

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن المنتدى الإسلامي

من العدد

السابع والتسعين - الثاني بعدالمئة

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 371 5307

كلمة صغيرة

مبدأ جديد، تحاول بعض الدول المغرمة - شكلاً لاحقيقة - بما يسمى بالديمقراطية الإمساك به، وهو - في الحقيقة - ما نسميه بـ «الديموخراطية» التي تعني الحكم بالحديد والنار مع فتح المجال لأحزاب هزيلة لارصيد لها من الواقع الشعبي ولا من تبني قيم الأمة ومسلماتها الشرعية؛ لذلك تدعو تلك الدول لانتخابات صورية معروفة نتيجتها سلفًا ، ولو توقعت تلك الدول أن تلك الأحزاب و الجماعات أو حتى المستقلين لهم وزن يسحبون به البساط من الحزب الحاكم المسيطر، لعرضتهم للضرب، والسجن، والاعتقال، ولو اصدر قضاؤهم حكمًا ببطلان تلك الانتخابات، فلن يعار اهتمامًا ؛ بدعوى أن المعارضين مشاغبين .

والعجيب أن الذي يدافع عن ذلك التوجه ليس الصحف الرسمية فقط وإنما - أيضًا - صحف ومجلات مشبوهة متغيرة الاتجاه تميل مع الريح أنى تميل، تؤيد تلك الانتخابات المزيفة، وتعتبر المضارين منها حاقدين ومفلسين، ومادروا أن العالم كله يعرف حقيقة تلك الانتخابات التي ينتقدها أبناء البلاد أنفسهم وأعلام الفكر والرأي فيها .

والعجيب أن يسقط رئيس دولة ويتحول النظام الحاكم إلى المرتبة الثالثة في بعض الدول الأجنبية، بينما في دولنا (الديموخراطية) فالنتيجة معروفة : أغلبية مطلقة . هذه هي (ديموقراطيتهم) عفوًا ديموخراطيتهم . وفي العدد مقالة مستفيضة حول الموضوع.

في هذا العــــدد:

■ الموزعون ■

الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١، ٦٣٥١٥٣، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩، هاتف ٦٢٣٩٢٠، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطـــر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصـــر: القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣، هاتف ٥٤/ ٢٤٥٧٤٥

السعودية: مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦، الرياض ١١٥٥٧، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨، فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمـــن: مكتبة دار القدس، صنعاء: ص.ب ١٠٦٥٥ بـاب البلقة، هاتف ٣٠٥٩٣٥

السودان: دار اقرأ للنشر والتوزيع، الخرطوم: ص.ب ٨٨ براري.

الكويت: درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة
هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة:
ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١،
فاكس ٥٣١٢٨١ .

أمريكا: Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065

الرقم المجاني: (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

الاشتراكات

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبـا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسـات الرسـمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

سعر العدد

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ٥ر١ جنيه استرليني أو مـا يعـادلهـا ، البـحـرين ٦٠٠ فلس ، اليـمـن ٢٥ ريالا ، مـصـر ١٢٥ قـرشًـا ، السـعـودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس ، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيهًا ، سلطنة عمان ٥٠٠ بيزة .

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

انتكست الأمة الإسلامية ـ في القرون الأخيرة ـ ، وتصدَّعت أركانها ، وتسلط عليها أعداؤها ، واستبدل الله (سبحانه وتعالى) قوتها بضعف ، وعزتها بذلة ، واجتماعها بفرقة وشتات ، أصبحت مستباحة الحمى ، مهيضة الجناح ، يعبث بها العابثون، ويفسد فيها المفسدون ، تنتهك حرماتها ، وتسرق مقدراتها ، ويُستولَى على أرضها ، وتُشتَت شعوبها ، وهي لاتملك حولاً ولاطولاً ...!!

في كل أرض لها مأساة ، وفي كل بلد لها محنة .. أبناؤها يشردون ، ودعاتها يُقَتَّلون ، نساؤها ترمَّل ، وأطفالها تُيتم ..!

فما الذي جرى لها حتى وهنت ، ووصلت إلى هذا المآل ..؟!

مالذي جرى حتى تغيب هذا الغياب المذهل الذي أفقدها اتزانها ووجودها....؟!

تدبر قول الله (سبحانه وتعالى) في محكم التنزيل : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٧].

إذاً هذا هو السر ... وهذا هو موضع الداء ..!



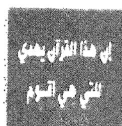


أعرضت الأمة عن شرع الله (تعالى) ، وهجرت كتاب الله (عز وجل) علمًا وعملاً ، وأدبرت عن سنة النبي المصطفى ﷺ، واستبدلتها بقوانين وضعية، واجتهادات بشرية ملفقة من الشرق والغرب .. فكانت النتيجة الملموسة التي تجنيها الأجيال : التخبط والشقاء الذي نرى آثاره تزداد يومًا بعد يوم ..

كم ذاقت الأمة من البلاء ، وأصابها من الشدة ، بسبب إدبارها وإعراضها عن شرع الله ووحيه المنزل ؟! وكم تقلبت في ألوان وألوان من الذل والهوان ..؟! تأمل حال الأمة الإسلامية من أدناها إلى أقصاها ، وسوف تجد حالةً من القلق، وعدم الاتزان تسيطر على كثير من أجزائها ، وصدق المولى (جل وعلا) إذ يقول : ﴿ **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [**الملك** : ٢٢] .

إن السعادة كل السعادة ، والطمأنينة كل الطمأنينة ، إنما هي في تعظيم شرع الله (تعالى) واتباعه والاهتداء بهديه . والشقاوة ، والتخبط كل التخبط ، إنما هو في الإعراض عن شرع الله (تعالى) والاستهانة به وهجره . قال الله (تعالى) : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [**الرعد** : ٢٨] . ولعل شهر رمضان المبارك يذكر الأمة الإسلامية بضرورة العودة الصادقة إلى كتاب الله العظيم ، فقد شرف الله (تعالى) هذا الشهر بنزول القرآن ، فقال : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ** ﴾ [**البقرة** : ١٨٥] . فالله (سبحانه وتعالى) أنزل كتابه العزيز ليهتدي به الناس و يعتصموا به ، فهو مصدر القوة والعزة ، وأساس التمكين والرفعة ، فيه الهدى والنور ، من آمن به حق الإيمان ، وصدق به أخلص التصديق ، فقد هداه الله وآتاه من فضله، وأعانه على كل خير ، قال الله (تعالى) : ﴿ **الم ① ذَلِكَ**





الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢]. ومن هجره وأعرض عنه علماً وعملاً، ولم يؤمن بمتشابهه ويعمل بمحكمه، فقد أضله الله، وختم على قلبه وبصره، قال الله (تعالى) ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧] وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)(١).

إن القرآن الكريم ليس آيات تهتز لها الرؤوس، وتتمايل بها العمائم، ويطرب لها الدراويش في الموالد والمآتم والاحتفالات، وليس آيات تُهَذُّ هَذَّ الشعر، أو تنثر نثر الدقل، بل هو آيات بينات تتنزل على قلوب المؤمنين فتغمرها بالسكينة والطمأنينة، وتملؤها بالثقة والثبات. وتدبرُ آيات الله (عز وجل) ومعرفة مقاصدها ومراميها، والوقوف عند عظاتها وعبرها، والتفكر في معانيها وفقهها وأسرارها: نعمة عظيمة من أجل النعم التي يوفق إليها العبد المسلم. قال الله (تعالى): ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] ولهذا وصف أبو عبد الرحمن السلمي الصحابة (رضي الله عنهم) بقوله: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن، كعثمان بن عفان و عبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات، لم يجاوزوها حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً»(٢). وقال عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما): (لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدَّبَّرها





وأرتلها ، أحب إلي من أن أقرأ القرآن أجمعَ هذرمة)[٣] .

وإذا طغى الران على القلب، وانتكس الإنسان بعبثه ولهوه حجبه الله (تعالى) عن نور القرآن، وحال بينه وبين الهدى والحق، قال الله (تعالى) : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤] وقال الله (تعالى) : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٥ ، ٤٦] وتوعد الله (تعالى) المعرضين عن كتابه العزيز بقوله (عز وجل) : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الزمر : ٢٢] .

وأما أهل الإيمان فقد وصفهم الله بقوله (تعالى) : ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء : ١٠٥ - ١٠٩] .

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين يعظمونه حق التعظيم، فيؤمنون بمتشابهه، ويعملون بمحكمه ويحلون حلاله ، ويحرمون حرامه ، ويحكمونه في جميع أمورهم .. وصلى الله على محمد وآله وسلم .



إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم

---

١ ـ أخرجه : مسلم، في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها. ج ١ ، ص ٥٥٩، ح ٨١٧ .

٢ ـ سير أعلام النبلاء : ٤ / ٢٦٩ .

٣ ـ فضائل القرآن، ابن كثير : ص ٧٥.



المنهج العلمي للاستدلال

(منهج المبتدعة في التعامل مع النصوص الشرعية)

(٣)

بقلم: أحمد بن عبد الرحمن الصويان

تحدث الكاتب في الحلقة الأولى عن منهج الاستدلال عند أهل السنة، ثم تحدث في الحلقة الثانية عن منهج المبتدعة، وذكر أنه يعتمد على ثلاثة أصول؛ الأول: ردّ النصوص الثابتة والاعتراض عليها، والثاني: العبث في الأصول الشرعية للاستدلال وتشويهها، وذكر تحت هذا الأصل سبع مسائل، وفي هذه الحلقة الأخيرة: يتمم هذه المسائل، ويذكر الأصل الثالث في منهج المبتدعة مبيناً فساده.

ـ البيان ـ

ثامناً: رد حديث الآحاد:

لعل أول من رد حديث الآحاد جملة في العقائد والأحكام هم: الخوارج، ثم تبعهم المعتزلة، بحجة أنها أحاديث ظنية الثبوت لاتفيد العلم اليقيني!.

ثم تبنى هذا المذهب جمع من المتكلمين الذين اعتمدوا حديث الآحاد في الأحكام وردوها في العقائد، وانتشر هذا المذهب انتشاراً واسعاً عند المتأخرين حتى ظنه من لاتحقيق عنده من المعاصرين: أنه مذهب الأئمة الأربعة وجمهور العلماء (١).

وبسبب هذا رُدَّت عقائد كثيرة جداً ثبتت عن النبي ﷺ في أحاديث صحيحة.

واستغل هذا المذهب قوم من أهل الأهواء والزنادقة في رد كثير من دلائل النصوص الشرعية المحكمة؛ بحجة أنها لم ترد وروداً قطعياً، بل إن بعضهم رد الأحاديث المتواترة القطعية بحجة أن تواترها لم يثبت عنده، حتى أصبح ذلك سلماً للزنادقة والعابثين.

وقد رد هذه الفرية في وقت مبكر جمع من أهل العلم وأئمة السنة ، وبينوا مخالفتها للدلالة الشرعية والعقلية وإجماع الأمة . ولعل من أوائل من بسط الردّ على المبتدعة في هذا الباب : الإمام الشافعي في كتابه الجليل : « الرسالة » ، ثم تبعه جمع من الأئمة على رأسهم الإمام البخاري حيث أفرد كتاباً مستقلاً في صحيحه سماه: « أخبار الآحاد »، ذكر فيه عدداً من الأحاديث التي تدل على وجوب العمل بحديث الآحاد في العقائد والأحكام ، وجعله بين يدي كتاب : « الاعتصام بالكتاب والسنة »، ثم تتابع العلماء في تفصيل هذه المسألة ، ويلخص ابن عبدالبر القرطبي مذهب الأئمة أهل الفقه والأثر بقوله : « وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها ، ويجعلها شرعاً وديناً في معتقده ، وعلى ذلك جماعة أهل السنة »[٢] .

تاسعاً : القدح في الصحابة (رضي الله عنهم) :

تقدم في الحلقة الأولى بيان عظيم منزلة الصحابة (رضي الله عنهم) ، وأن فهم دلائل الكتاب والسنة إنما يؤخذ عنهم ، فهم أعلم الناس بمراد الله (تعالى) ، ومراد رسوله ﷺ وكل علم من علوم الشرع يؤخذ من غير طريقهم ، أو بخلاف منهجهم فهو ضلال وانحراف، وصدق عمران بن حصين (رضي الله عنه) إذ يقول : « ياقوم : خذوا عنا ، فإنكم والله إن لا تفعلوا لتضلُّنَّ »[٣] .

وأكثر المبتدعة انحرفوا في شأن الصحابة انحرافاً واضحاً ، ولم يعتمدوا منهجهم ولم يسيروا سيرهم ، ومنهم من قدح فيهم وكذبهم وافترى عليهم ، ومنهم من كفرهم واتهمهم بالنفاق والعياذ بالله !!

وأول من وقع في هذا الانحراف هم الخوارج والرافضة ، ثم تبعهم المعتزلة والجهمية ، وسائر المبتدعة؛ ولهذا قال أبو حاتم الرازي : «علامة أهل البدع : الوقيعة في أهل الأثر »[٤] .

ومن أمثلة جرأة المبتدعة ووقوعهم في الصحابة :

ـ قال عمرو بن عبيد : « لو شهد عندي علي وطلحة والزبير وعثمان ، على



دراسات شرعية

شراك نعل ما أجزتُ شهادتهم!!»[٥].

ـ ولما قال له يحيى: كيف حديث الحسن عن سمرة في السكتتين؟ فقال: «ماتصنع بسمرة؟ قبح الله سمرة!!»[٦].

وتتبع مخازي المبتدعة في هذا الباب أمر يطول ذكره، وأشدهم غلواً فيه الرافضة، قال ابن تيمية: «ثم إن الرافضة ـ أو أكثرهم ـ لفرط جهلهم وضلالهم يقولون: إنهم ـ يعني: أبا بكر وعمر ـ ومن اتبعهم كانوا كفاراً مرتدين، وإن اليهود والنصارى خير منهم؛ لأن الكافر الأصلي خير من المرتد! وقد رأيت هذا في عدة من كتبهم، وهذا القول من أعظم الأقوال افتراءً على أولياء الله المتقين، وحزب الله المفلحين، وجند الله الغالبين»[٩].

وقد بين السلف أن حقيقة الطعن في الصحابة هي: الطعن في الدين، ولهذا قال أبو زرعة: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرحُ بهم أولى، وهم زنادقة»[٨].

وقال ابن تيمية: «أول هذه الأمة هم الذين قاموا بالدين تصديقاً وعلماً، وعملاً وتبليغاً، فالطعن فيهم طعن في الدين، موجب للإعراض عما بعث الله به النبيين، وهذا كان مقصود أول من أظهر بدعة التشيع، فإنما كان قصده: الصد عن سبيل الله، وإبطال ماجاءت به الرسل عن الله»[٩].

وهجر منهج الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وعدم الاهتداء بهديهم أدى إلى تخبط المبتدعة تخبطاً شديداً، وكلما ابتعد المرء عن منهج الصحابة علماً وعملاً ازداد انحرافه وجهله، وكثر ضلاله وبعده عن منهاج النبوة. ألم تر إلى الخوارج حينما ضلوا وحاربوا المسلمين، ذهب إليهم عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) وناظرهم، ورد على شبهاتهم، رجع معه أكثر القوم وعصمهم الله من الفتنة، ومن أعرض عنه، ولم يسمع

مشورته ضل وانتكس ، والعياذ بالله ..؟!
فالخير كل الخير إنما هو في تتبع آثارهم والاقتداء بسننهم، فهم أعلم منا بكل صلاح .

عاشراً : اتباع المتشابهات :

وصف الله تعالى المبتدعة أهل الزيغ في قوله : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ...** ﴾ [**آل عمران**:٧] .

روت عائشة (رضي الله عنها) : أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ، ثم قال : « فإذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه ، فأولئك الذين سمى الله، فاحذروهم»[١٠] .

وقال الطبري : « هذه الآية وإن كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك ، فإنه معنيٌّ بها كل مبتدع في دين الله بدعة ، فمال قلبه إليها ، تأويلاً منه لبعض متشابه آي القرآن، ثم حاج به وجادل به أهل الحق، وعدل عن الواضح من أدلة آيه المحكمات، إرادة منه بذلك : اللبس على أهل الحق من المؤمنين ، وطلباً لعلم تأويل ماتشابه عليه من ذلك كائناً من كان، وأي أصناف البدعة كان ، من أهل النصرانية كان، أو اليهودية ، أو المجوسية، أو كان سبئيًا ، أو حرورياً ، أو قدرياً ، أو جهمياً »[١١] .

وقال في تفسير المتشابه : « ماتشابهت ألفاظه وتصرفت معانيه بوجوه التأويلات، ليحققوا بادعائهم الأباطيل من التأويلات في ذلك ماهم عليه من الضلالة والزيغ عن محجة الحق ، تلبيساً منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك ، وتصاريف معانيه »[١٦] .

وقال السعدي : « فالذين في قلوبهم مرض وزيغ ، وانحراف لسوء قصدهم : يتبعون المتشابه منه؛ فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة ، وآرائهم الزائفة طلباً للفتنة، وتحريفاً لكتابه ، وتأويلاً له على مشاربهم ومذاهبهم ليَضلوا ويُضلوا .
وأما أهل العلم الراسخون فيه الذين وصل العلم واليقين إلى أفئدتهم؛ فأثمر لهم العمل والمعارف ، فيعلمون أن القرآن كله

دراسات شرعية

من عند الله ، وأنه كله حق محكمه ومتشابهه ، وأن الحق لا يتناقض ولا يختلف ، فلعلمهم أن المحكمات معناها في غاية الصراحة والبيان يردون إليها المشتبه الذي تحصل فيه الحيرة لناقص العلم وناقص المعرفة، فيردون المتشابه إلى المحكم فيعود كله محكماً »[١٣] .

ولهذا كان المبتدعة يضربون النصوص بعضها ببعض ، وزعموا أنها قد تتعارض وتتخالف ، وذكروا أمثلة كثيرة في هذا الباب . ولكن علماء السنة الأثبات ردوا باطلهم وبينوا جهلهم وتناقضهم[١٤]؛ وقد قال رسول الله ﷺ : « إن هذا القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وماتشابه فآمنوا به »[١٥] .

حادي عشر : جهلهم باللغة العربية :

تقدم في الحلقة الأولى بيان أهمية اللغة العربية ، وأنها الأداة التي تفهم بها دلائل الكتاب والسنة، وقد قصر المبتدعة في ذلك وأهملوا لغة القرآن ، وغلبت عليهم العجمة، فتأولوا القرآن على غير تأويله .

قال الشاطبي في بيان مأخذ المبتدعة في الاستدلال : « ومنها : تخرصهم على الكلام في القرآن والسنة العربيين، مع العزوف عن علم العربية الذي يفهم به عن الله ورسوله ، فيفتاتون على الشريعة بما فهموا ، ويدينون به ويخالفون الراسخين في العلم ، وإنما دخلوا في ذلك من جهة تحسين الظن بأنفسهم ، واعتقادهم أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط، وليسوا كذلك » .

ثم ذكر بعض الأمثلة التي تدل على فرط جهلهم بالعربية ، فقال : « كما حكي عن بعضهم أنه سئل عن قول الله (تعالى) : ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ [آل **عمران** : ١١٧] ، فقال : هذا الصرصر ، يعني صرار الليل . وعن النظام أنه كان يقول : إذا آلى المرء بغير اسم الله لم يكن مولياً ، قال : لأن الإيلاء مشتق من اسم الله . وقال بعضهم في قوله (تعالى) : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [**طه** : ١٢١] لكثرة أكله من الشجرة ، يذهبون إلى قول العرب غوى الفصيل : إذا أكثر من اللبن حتى بشم، ولا يقال فيه غوى ، وإنما غوى من الغي ... »[١٦] .

والعجيب أن من كان عالماً باللغة من المبتدعة فإنه قد يحرف قواعد اللغة وماتعارف عليه العرب ، من أجل أن يوافق مذهبه الباطل، وإليك هذين المثالين :

المثال الأول : إنكار رؤية الله تعالى في الجنة :

في تفسير قول الله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** ﴾ [**الأعراف**: ١٤٣] ، زعم المعتزلة أن (لن) تفيد نفي المستقبل (بمعنى المؤبد)[١٧] ، يعني : لن تراني في الدنيا ولن تراني في الآخرة ! وهذا مخالف لقواعد اللغة، فلن لاتفيد النفي المؤبد، ودليل ذلك قول الله تعالى : ﴿ **فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي** ﴾[**يوسف** : ٨٠]. وقوله تعالى: ﴿ **إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا** ﴾ [**مريم**:٢٦]. ولهذا قال ابن مالك:

ومن رأى النفي بلن مؤبداً
فقوله اردد وسواه فاعضدا[١٨] .

المثال الثاني : تأويل الاستواء بالاستيلاء :

في تفسير قول الله (تعالى) : ﴿ **الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ [**طه**:٥] زعم بعض المبتدعة : أن الاستواء بمعنى الاستيلاء ، وأولوا النصوص المتواترة في إثبات علو الله تعالى على خلقه ، وردوا إجماع الأمة ، قال القاضي عبد الجبار : « الاستواء ههنا بمعنى الاستيلاء والقهر والغلبة ، وذلك مشهور في اللغة، قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف أو دم مهراق »[١٩] .

وقد رد أهل السنة هذا الافتراء وبينوا بطلانه ومخالفته لقواعد الشرع وقواعد اللغة، وهو من قول شاعر ليس من العصور المحتج بها في اللغة، فضلاً عن كونه نصرانياً[٢٠] .

الأصل الثالث : إحداث أصول بدعية جديدة للاستدلال والتلقي

بعد أن تجرأ المبتدعة في رد النصوص، وعبثوا في الأصول الشرعية للاستدلال : وضعوا أصولاً بدعية جديدة للاستدلال ،

إما بديلة عن الأصول الشرعية ، وإما مزاحمة لها ، ومن هذه الأصول :

أولاً : تقليد الأئمة والشيوخ :

تعظيم الآباء والشيوخ آفة قديمة اعترض بها المشركون على النبي ﷺ وزعموا أن أشياخهم وعظماءهم أولى بالوحي من النبي ﷺ قال الله (تعالى) : **﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾** [الزخرف : ٣١] . ولما عرض عليهم النبي ﷺ الحق بالحجة القاطعة والبرهان الساطع ، اعترضوا عليه بآبائهم : **﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾** [الزخرف :٢٣] . فكان تعظيمهم لآبائهم مانعاً لهم من معرفة الحق ووزن البراهين بالموازين المستقيمة .

وقد اقتبس المبتدعة من المشركين هذه الصفة في تعظيم الشيوخ ، وغلا فيهم بعضهم غلواً شديداً أخرجهم عن جادة الصراط المستقيم ، ومن أبرز من انحرف في هذا الباب :

أ ـ الرافضة الإمامية : الذين زعموا لأئمتهم العصمة المطلقة كعصمة النبي ﷺ ، ولهذا فهم : « لايعتمدون على القرآن ولاعلى الحديث ولاعلى الإجماع إلا لكون المعصوم منهم ، ولاعلى القياس وإن كان واضحاً جلياً »[٢١] . و « صاروا لذلك لاينظرون في دليل ولاتعليل »[٢٢] .

ب ـ الصوفية الباطنية : الذين عظموا الأولياء والأقطاب ، وسلموا لهم بكل مايقولون ، بل زعم بعضهم أن الأولياء أفضل من الرسل ، وقال قائلهم :

مقام النبوة في برزخ
فويق الرسول ودون الولي !!

جـ ـ الفلاسفة الباطنية : الذين عظموا فلاسفة اليونان كأرسطو وأمثاله ، وقلدوهم في منطقهم ، وعارضوا الكتاب والسنة بأقوالهم، والعجيب أنهم ينهون العامة عن تقليد الرسل ، ومع ذلك فهم يقلدون رؤوسهم[٢٣] .

د ـ جهلة مقلدة الأئمة الأربعة : الذين عظموا الأئمة المتبوعين ، وجعلوا أقوالهم هي المعيار في القبول والرد ، وقدموها على الكتاب والسنة ، حتى قال الكرخي : « كل آية تخالف ماعليه

أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة ، وكل حديث كذلك فمؤول أو منسوخ»[٢٤].

وقد نهى السلف وأئمة السنة عن التقليد الأعمى مطلقاً ، وذموا المقلدة الذين يهجرون النصوص الشرعية ، ويعارضونها بأقوال أئمتهم، ولهذا قال الشافعي : « أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس»[٢٥] . وشدد ابن تيمية على هذا بقوله : «معارضة أقوال الأنبياء بآراء الرجال، وتقديم ذلك عليها هو من فعل المكذبين للرسل، بل هو جماع كل كفر »[٢٦] .

ثانياً : الكشف والإلهام :

زعم غلاة المتصوفة أن الأئمة يكشف لهم من معاني القرآن والسنة أمور لايعلمها علماء الشريعة الذين سموهم بعلماء الظاهر ! . وقد أصّل هذه العقيدة أبو حامد الغزالي في عدد من كتبه ، وأفرط فيها ابن عربي وغيره من أئمة التصوف .

قال الغزالي : « فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر ، وفاض على صدورهم النور ، لابالتعليم والدراسة والكتابة للكتب ، بل بالزهد في الدنيا والتبرّي من علائقها ، وتفريغ القلب من شواغلها . . . » ثم يصف طريق ذلك فيقول : « أولاً : بانقطاع علائق الدنيا بالكلية ، وتفريغ القلب منها . . . ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب ، ويجلس فارغ القلب، مجموع الهمّ ، ولايفرق فكره بقراءة القرآن ، ولابالتأمل في تفسير، ولايكتب حديثاً ولاغيره(!!) ، بل يجتهد ألا يخطر بباله شيء سوى الله (تعالى)، فلا يزال بعد جلوسه في الخلوة، قائلاً بلسانه : الله .. الله .. على الدوام، مع حضور القلب ، حتى ينتهي إلى حالة يترك اللسان، ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه . . . وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله (تعالى) ، بل هو بما فعله صار متعرضاً لنفحات رحمة الله ، فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة ، كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريقة . . »[٢٧] .

دراسات شرعية

ويقول في موضع آخر : « الخلوة لاتكون إلا في بيت مظلم، فإن لم يكن له مكان مظلم فليق رأسه بجيبه ، أو يتدثر بكساء أو إزار ، ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة النبوية ! » [٢٨] .

وازداد غلو بعض أهل الرياضة والتصوف حتى زعموا أن الله يخاطبهم كما خاطب موسى بن عمران (عليه الصلاة والسلام) وهؤلاء ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : زعموا أنهم يخاطبون بأعظم مما خوطب به موسى ، فهم يدعون أنهم أعلى من الأنبياء !

الصنف الثاني : زعموا أن الله يكلمهم مثل كلام موسى ، ويقولون : إن النبوة مكتسبة !

الصنف الثالث : زعموا أن صاحب الرياضة قد يسمع الخطاب الذي سمعه موسى، ولكن موسى مقصود بالتكليم دون هذا ...[٣٣] .

وقد رد أئمة الإسلام هذا الضلال ، وبينوا بطلانه وزيغه ، ومن ذلك : قول ابن تيمية رداً على الغزالي ـ الذي زعم أن ميزان قبول السمعيات موافقتها للكشف والمشاهدة ـ : « هذا الكلام مضمونه : أنه لايستفاد من خبر الرسول ﷺ شيء من الأمور العلمية، بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة ، وهذان أصلان للإلحاد ، فإن كل ذي مكاشفة إن لم يزنها بالكتاب والسنة ، وإلا دخل في الضلالات .. » [٣٠] .

ومنتهى هؤلاء القوم اتباع الظن وماتهوى الأنفس ، بغير علم ولاهدى ولابصيرة ، ولهذا عبثت فيهم الخرافة ، وسيطر عليهم الدجالون .

ثالثاً : تعظيم العقل :

للعقل منزلة جليلة في دين الإسلام ، فقد جعله الله (تعالى) أداة للفهم ، ومناطاً للتكليف ، وأمر بحفظه ورعايته، وحرم كل مايفسده أو يؤثر عليه ، وحث الناس على التدبر والتفكر والتعقل في آيات كثيرة جداً ، كما ذم الله (تعالى) المشركين الذين عطلوا حواسهم وعقولهم بقوله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٧١] .

ولهذا دل القرآن على الأدلة العقلية وبينها ونبه عليها، وكان الخطاب القرآني خطاباً برهانياً ، وبين مايدل على صدق الرسول ﷺ في كل مايقوله؛ ليظهر الحق بأدلته السمعية والعقلية ، والرسول ﷺ يخبر بالحق ، ويقيم عليه الأدلة العقلية البرهانية الموصلة إلى معرفته(٣١) .

ومع هذه المنزلة الجليلة للعقل ، إلا أن طريق النجاة من العذاب الأليم : « الرواية والنقل ، إذ لايكفي من ذلك مجرد العقل، بل كما أن نور العين لايرى إلا مع ظهور نور قدامه ، فكذلك نور العقل لايهتدي إلا إذا طلعت عليه شمس الرسالة »(٣٢) . وقيام دين الله في الأرض إنما هو بواسطة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، « ولاتحسبن أن العقول لو تركت وعلومها التي تستفيدها بمجرد النظر عرفت الله معرفة مفصلة بصفاته وأسمائه على وجه اليقين »(٣٣) .

« ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد »(٣٤) .

وقد انحرف عن هذا السبيل الوسط فريقان من الناس :

الفريق الأول : المتصوفة الجهال ، الذين ألغوا عقولهم ، وقدسوا المجانين والمجاذيب ، و « كلما كان الشيخ أحمق وأجهل ، كان بالله أعرف ، وعندهم أعظم »(٣٥) . وكانوا يقولون : « من أراد التحقيق : فليترك العقل والشرع! »(٣٦) .

الفريق الثاني : المتكلمون والجهمية ومن ذهب مذهبهم ، الذين قدسوا العقل وجعلوه حاكماً على الشرع ومقدماً عليه ، و « يجعلون العقل وحده أصل علمهم ، ويفردونه ، ويجعلون الإيمان والقرآن تابعين له »(٣٧) .

وهؤلاء المعظمون للعقل ينقسمون قسمين:

القسم الأول : المخالفون للنصوص النبوية ، الذين يقولون : إن الأنبياء لم يعرفوا الحق الذي عرفناه ، أو يقولون عرفوه، ولم يبينوه للخلق كما بيناه ، بل تكلموا بما يخالفه من غير بيان منهم!! .

دراسات شرعية

القسم الثاني : المدعون للسنة والشريعة الذين يقولون : إن الأنبياء والسلف الذين اتبعوا الأنبياء ، لم يعرفوا معاني هذه النصوص التي قالوها والتي بلغوها عن الأنبياء ، أو أن الأنبياء عرفوا معانيها ولم يبينوا مرادهم للناس . وقد يقولون : نحن عرفنا الحق بعقولنا ، ثم اجتهدنا في حمل كلام الأنبياء على مايوافق مدلول العقل..![٣٨] .

ولهذا زعم هؤلاء القوم أن العقل قد يخالف النقل ، وصالوا على النصوص صولة المحاربين ، وردوا الأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم ، ويدعون أنها مخالفة للمعقول ، كالمنكرين لعذاب القبر ، والصراط، والميزان ، ورؤية الله في الآخرة ، وحديث الذباب وقتله ، وأن في أحد جناحيه داء وفي الآخر دواء ، ومأشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول [٣٩] .

واقتدى بهم : أفراخهم من المعاصرين الذين يسمون أنفسهم : بالعقلانيين ، وبزّوهم في الجرأة على النصوص بالتحريف والاعتراض والرد، فكما أن أؤلئك انبهروا بالفكر اليوناني وراحوا يقلدونه ، فقد انبهر هؤلاء بالفكر الغربي ، وضعفوا أمامه ، وراحوا يلهثون في ركابه!!

وكم جرَّ هذا المذهب من بلاء وشر على الأمة ، حيث أصبح طريقًا للعبث في النصوص ، وسُلَّمًا للزنادقة والعلمانيين ؟!

وخلاصة اعتقاد أهل السنة في هذا الباب أن : « الأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة ، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه ، لم تأت بما يعلم العقل امتناعه»[٤٠] . كما أن : « الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل ، وأن صريح المعقول لايناقض صحيح المنقول ، وإنما يقع التناقض بين ما يُدخل في السمع وليس منه، ومايدخل في العقل وليس منه» [٤١] .

وختامًا : أسأل الله (عز وجل) أن يثبتنا على السنة، وأن يعيذنا من نزغات الفتن.

الهوامـش :

(١) انظر مثلاً : الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ شلتوت (ص٧٤ ـ ٧٦) ، وأصول الفقه لبدران أبو العينين (ص ٨٧) .
(٢) التمهيد : جـ ١ ، ص ٨ .
(٣) الكفاية في علم الرواية : ص ١٥ .
(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : جـ١ ، ص ١٧٩ .
(٥) الاعتصام : جـ ١ ، ص ١١٩ .
(٦) المرجع السابق .
(٧) منهاج السنة النبوية : جـ ٧ ، ص ٤٧٥ .
(٨) الكفاية في علم الرواية : ص ٩٧ .
(٩) منهاج السنة النبوية : جـ ١ ، ص ١٨ .
(١٠) أخرجه : البخاري في التفسير : جـ ٨ ، ص ٢٠٩ ، ح (٤٥٤٧) . ومسلم في العلم : جـ ٤ ، ص ٢٠٥٣ ، ح (٢٦٦٥) .
(١١) تفسير الطبري : جـ ٣ ، ص ١٨١ .
(١٢) المرجع السابق : جـ ٣ ، ص ١٧٦ .
(١٣) تفسير السعدي : جـ ١ ، ص ٣٥٧ .
(١٤) انظر : كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة : ص ٥٩ ومابعدها .
(١٥) عزاه ابن كثير لابن مردويه ، وقال الوادعي : حسن. تفسير القرآن العظيم : جـ ٢ ، ص ١٤ .
(١٦) الاعتصام : جـ ١ ، ص ٢٣٧ .
(١٧) انظر : الكشاف للزمخشري : جـ ٢ ، ص ١٣٣ .
(١٨) انظر : شرح الطحاوية : ص ٢٠٧ـ ٢٠٨ .
(١٩) شرح الأصول الخمسة : ص ٢٢٦ .
(٢٠) انظر مثلاً : مختصر الصواعق المرسلة : ص٣١٥ـ ٣٢٨ .
(٢١) منهاج السنة النبوية : جـ ١ ، ص ٦٩ .
(٢٢) المرجع السابق : جـ ٦ ، ص ٣٨١ .
(٢٣) الفتاوى : جـ ٥ ، ص ٢٨٩ .
(٢٤) الرسالة في أصول الحنفية : ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .
(٢٥) إعلام الموقعين : جـ ٢ ، ص ٢٠١ .
(٢٦) درء التعارض : جـ ٥ ، ص ٢٠٤ .
(٢٧) إحياء علوم الدين : جـ ٣ ، ص ١٩ـ ٢٠ .
(٢٨) المرجع السابق : جـ ٢ ، ص ٦٦ .
(٢٩) انظر: الفتاوى : جـ ١١ ، ص ٦٠٦ـ ٦٠٧ ، وجـ ٢ ، ص ٣٩٩ .
(٣٠) درء التعارض : جـ ٥ ، ص ٣٤٨ .
(٣١) انظر : درء التعارض : جـ ١ ، ص ١٩٩ وجـ ٣ ، ص ٣٠٥ . والفتاوى : جـ ٢ ، ص ٤٦ ـ ٤٧ . وجـ ١٦ ، ص ٤٦٩ .
(٣٢) مجموع الفتاوى : جـ١ ، ص ٦ .
(٣٣) الصارم المسلول : ص ٢٤٩ .
(٣٤) الفتاوى : جـ ١٩ ، ص ١٠٠ .
(٣٥) المرجع السابق : جـ ٢ ، ص ١٧٤ .
(٣٦) المرجع السابق : جـ ١١ ، ص ٢٤٣ .
(٣٧) المرجع السابق : جـ ٣ ، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .
(٣٨) انظر : درء التعارض : جـ ١ ، ص ١٩ .
(٣٩) انظر : الاعتصام : جـ ١، ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .
(٤٠) الفتاوى : جـ ٣ ، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩ .
(٤١) درء التعارض : جـ ٢ ، ص ٣٦٤ .

مصادر التفسير: (٣)

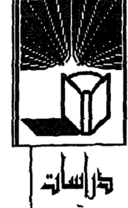
التفسير بالسنة

ـ الحلقة الثانية ـ

بقلم: مساعد بن سليمان الطيار

في الحلقة الماضية تحدث الكاتب عن التفسير بالسنة من حيث : تحرير مصطلح التفسير بالسنة، وتحرير مصطلح التفسير النبوي، وأنواع كل منهما، وأمثلة من كل نوع، ويتابع في هذه الحلقة استكمال عناصر هذا الموضوع.

ـ البيان ـ



ثلاث مسائل متممة للحديث عن التفسير بالسنة :

■ المسألة الأولى : التفسير بالسنة عند المحدِّثين :

يورد المحدثون التفسير النبوي والتفسير بالسنة في كتبهم تحت كتاب يعنونونه بـ (كتاب التفسير) .

وممن كتب في هذا الباب : الإمام البخاري في صحيحه، والنسائي في سننه الكبرى ، والترمذي في سننه، والحاكم في مستدركه(١).

وما أريد إبرازه هنا أمران :

الأول : أن استعمالهم للتفسير بالسنة كثير.

الثاني : أن ربطهم معنى الحديث بالآية وذكـــر ذلك تحت آية من الآيات التي يعنونون بها الأبواب هو اجتهاد خاص بهم، مما يعني أنهم شاركوا في هذا الجانب من التفسير.

وقد كان هؤلاء المحدِّثون يحرصون على إيراد مايصلح من كلام النبي ﷺ تفسيراً لآية ، ولو من طرف خفي .

بل كانوا يذهبون إلى أبعد من ذلك، حيث يوردون مايتعلق بالآية من الأحاديث لأي سبب كان ؛ كذكر بعض لفظ الآية في الحديث أو ذكر قراءة الرسول ﷺ لتلك الآية في زمن مخصوص ، أو غير ذلك من الأسباب، وهذا يدل على مدى حرصهم واهتمامهم بربط الآية بما يتعلق بها من الحديث النبوي ، وإن لم يكن جائياً في مساق التفسير ، وقد أشار إلى هذا بعض شراح صحيح الإمام البخاري ، ومنهم :

١- أبو مسعود الكنهكوهي (ت:١٣٢٣) ، قال : ثم الذي ينبغي التنبه له : أن التفسير عند هؤلاء الكرام أعمُّ من أن يكون شرح كلمة ، أو بيان مايُقرأ بعد تمام سورة ، ولا أقَلّ من أن يكون لفظ القرآن وارداً في الحديث .

وكون الأمور المتقدمة من التفسير ظاهر[٢]، وإنما الخفاء في هذا الأخير والنكتة فيه: أن لفظ الحديث يفسر لفظ القرآن بحيث يُعلم منه أن المراد في الموضعين واحد، وكثيرا مايُكشف معنى اللفظ بوقوعه في قصة وكلام لايتضح مراده لو وقع هذا اللفظ في غير تلك القصة ؛ فإذا لاحظ الرجل الآية والرواية معا كانت له مُكنة على تحصيل المعنى[٣]» .

٢- وقال (صاحب الفيض) :« ثم اعلم أن تفسير المصنف (أي:البخاري) ليس على شاكلة تفسير المتأخرين في كشف المغلقات،وتقرير المسائل، بل قصد فيه إخراج حديث مناسب متعلق به ولو بوجه»[٤] .

وبهذا يتلخص أن المحدّثين يوردون من كلام الرسول ﷺ ما يصلح أن يكون تفسيرا،كما يوردون ما يتعلق بالآية ـ من كلامه أوفعله ـ لأدنى سبب .

ومن أمثلة الأول (ما يصلح من كلامه تفسيرا) :

١ـ ترجم البخاري في باب:ذكر إدريس (عليه السلام) بقوله (تعالى): **﴿ ورفعناه مكانا عليا ﴾** [مريم:٥٧] ثم روى تحت هذا الباب حديث المعراج، وفيه أن الرسول ﷺ وجد في السموات إدريس وموسى وعيسى....»

٢ـ وذكر النسائي تحت قوله (تعالى) : **﴿فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾** [النساء: ١٤٠] حديث

بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، عن النبي ﷺ قال: «ويلٌ للذي يحدث القوم فيكذب، فيضحك به القوم، ويلٌ له، ويلٌ له»(٦).

٣- وذكر الترمذي في تفسير قوله (تعالى): ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] حديث المغيرة بن شعبة، يرفعه إلى رسول الله ﷺ، يقول: «إن موسى - عليه السلام - سأل ربه، فقال: أي رب، أي أهل الجنة أدنى منزلة؟ قال: رجل يأتي بعدما يدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة.

فيقول: كيف أدخل الجنة وقد نزلوا منازلهم، وأخذوا أخذاتهم، قال: فيقال له: أترضى أن يكون لك ما كان لملك من ملوك الدنيا؟

فيقول: نعم، أي ربِّ، قد رضيت. فيقال له: فإن لك هذا، ومثله، فيقول رضيت أيْ ربِّ.

فيقال له: فإن لك هذا، وعشرة أمثاله. فيقول: رضيت أي ربِّ، فيقال له: فإن لك مع هذا ما اشتهت نفسك، ولذت عينك»(٧).



ومن أمثلة الثاني (مايكون لأدنى سبب):

١- ماذكره البخاري تحت باب ﴿وهو ألد الخصام﴾ [البقرة: ٢٠٤]، من حديث عائشة (رضي الله عنها)، عن النبي ﷺ أنه قال: «أبغضُ الرجال إلى الله الألد الخَصِم»(٨).

٢- وتحت تفسير قوله (تعالى): ﴿قَالُوا آمَنَّا واشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١] أورد النسائي أثر ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر: في الأولى منهما إلى قوله: ﴿قولوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: ١٣٦] إلى آخر الآية، وفي الأخرى ﴿قالوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١](٩).

المسألة الثانية: نظرة وصفية لأمثلة التفسير النبوي:

من خلال إلقاء نظرة سريعة على الوارد من التفسير النبوي يمكن فهرسة الأمثلة تحت عناوين كالتالي:

١- بيان معنى لفظة:

إن المتأمل في ما نقله الصحابة عن الرسول ﷺ يلاحظ أنهم لم يوردوا عنه

تفسيراً للألفاظ ، ويظهر - والله أعلم - أن ذلك بسبب معرفتهم المعاني اللغوية ؛ لأنهم عرب يفهمون معاني الخطاب ، ولو ورد لهم استشكال في فهم ألفاظه أو مدلولاته اللغوية لسألوا عنها ، ومما يدل على ذلك حديث ابن مسعود في نزول آية: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ** ﴾ [الأنعام: ٨٢] فهم فهموا الظلم بمعناه العام في لغتهم (أي أنهم استشكلوا مدلول لفظة : الظلم) فشق عليهم هذا الخطاب حتى بينه لهم رسول الله ﷺ .

إذن .. لم يكن الصحابة بحاجة إلى بيان المفردات اللغوية ، ولذا لم يرد في التفسير النبوي إلا نادراً ، ومنه ماجاء عن أبي سعيد الخدري من تفسير الرسول ﷺ للفظة « وسطاً » من قوله (تعالى): ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال ﷺ « والوسط : العدل » (١٠) .

٢- بيان حكم فقهي في الآية :

قد يرد الحكم في آية مطلقا فيذكر الرسول ﷺ مزيد بيان له ، وذلك إما بتحديد مقدار الحكم الفقهي ، أو تخصيص اللفظ العام أو غير ذلك .

ومن تحديد المقدار: مارواه البخاري في تفسير قوله (تعالى): ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ** ﴾ [البقرة: ١٩٦] عن كعب بن عجرة قال : حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي ، فقال : ماكنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا ، أما تجد شاه ؟

قلت : لا

قال : صم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين ؛ لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك» فنزلت فيَّ خاصة ، وهي لكم عامة(١١) .

فأنت ترى أن البيان القرآني لم يحدد المقدار في الفدية ، فلما فسر الرسول ﷺ فسرها بالمقدار، وأنتَ تعلم أن هذا أحد أنواع بيان السنة للقرآن .

ومن تخصيص العام في الحكم الفقهي ، مارواه مسلم عن أنس قال : كانت اليهود إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت ، فسأل أصحاب النبي ﷺ ، فأنزل الله (عز وجل) ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى**

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة:٢٢٢] إلى آخر الآية ، فقال رسول الله ﷺ : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح »[١٢] .

فلو أُخذ بظاهر العموم في قوله « فاعتزلوا » لفهم أن اعتزال المرأة عام : في مؤاكلتها ومشاربتها ومخالطتها ومجامعتها، فكان هذا البيان النبوي مخصصا لذلك العموم القرآني .

٣- بيان المشكل :

إنما يعرف المشكل بسؤال الصحابة عنه؛ لأن السؤال لايقع إلا بعد استشكال - في الغالب - ومن أمثلة ماسأل عنه الصحابة : حياة الشهداء .

قال مسروق : سألنا عبد الله عن هذه الآية : ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فقال : أما إنا قد سألنا عن ذلك ، فأخبرنا أن أرواحهم في جوف طير خضرٍ، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل.. » الحديث[١٣] .

وعن المغيرة بن شعبة (رضى الله عنه) قال : لما قدمتُ نجران سألوني : إنكم تقرؤون : ﴿ياأخت هارون﴾ [مريم: ٢٨] وموسى قبل عيسى بكذا وكذا .

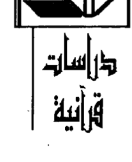
فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال : « إنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم »[١٤].

٤- ذكر مصداق كلامه من القرآن :

ورد في تفسير النبي ﷺ أحاديث كثيرة يذكر فيها مصداق كلامه من القرآن، وتأتي عبارات : (ثم قرأ) (اقرؤا إن شئتم) (مصداق ذلك من كتاب الله)، ومن ذلك مارواه ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتطع مال امرىء مسلم بيمين كاذبة لقي الله وهو عليه غضبان ، وقال عبد الله : ثم قرأ رسول الله ﷺ مصداق ذلك من كتاب الله جل ذكره : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ..﴾ [آل عمران : ٧٧][١٥].

٥- بيان مبهم :

القاعدة الغالبة أن ما أبهمه القرآن فلا فائدة عملية تنال من ذكره ، ومع ذلك فإنه ورد سؤال الصحابة عن ذلك، إلا أنه نادر ،



ومن ذلك ما رواه مسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : مرَّبي عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري ، قال : قلت له : كيف سمعت أباك يذكر المسجد الذي أسس على التقوى ؟.

قال : قال أبي : دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه ، فقلت : يارسول الله ، أي المسجدين الذي أسس على التقوى ؟

قال : فأخذ كفًا من حصباء فضرب به الأرض ، ثم قال : هو مسجدكم هذا؛ لمسجد المدينة .

قال : فقلت : أشهد أني سمعت أباك هكذا يذكره »[١٦] .

أخيراً ..

هذه بعض الأمثلة للتفسير النبوي ، والموضوع يحتاج إلى جمع وتأمل لتحديد نوع المثال ، مما يفيد في معرفة ماكان يحتاجه الصحابة من البيان النبوي للقرآن، ولعل أقرب ما يذكر هنا هو ندرة ماورد عنه من بيان معنى غريب القرآن ؛ مما يترتب عليه أن فهم عربيته كان موكولا للصحابة (رضي الله عنهم) ، والله أعلم .

المسألة الثالثة : مايستفاد من التفسير النبوي في أصول التفسير :

إن النظر في التفسير النبوي ، واستنطاق الأمثلة التفسيرية فيه يفيد في جوانب عدة ، ومما يفيده هنا أن طريقة التفسير النبوي أصل معتمد في التفسير ، فإذا ورد عنه تعميم للفظ ، أو تفسير بمثالٍ، أو غير ذلك ، حُكِم بصحة هذه الأساليب التفسيرية في التفسير، وأنها في المجال الذي يمكن الاقتداء به ولاقياس عليه .

كما أنه يفيد في بيان صحة بعض الأساليب التي اعتمدها المفسرون من السلف .

ثم إن هذا يفيد في تصحيح بعض مرويات السلف التي جاءت مخالفة للعبارة النبوية في التفسير ، ذلك أن تحرير هذه الأساليب في التفسير النبوي يبين مدى احتمال النص لغير عبارة النبي ﷺ ، وفيما أظن ـ حسب علمي ـ أن (فِقهَ النصِّ التفسيري) من التفسير النبوي لم يلق عناية من هذا الجانب ، ولذا قمت بهذه المحاولة الاجتهادية لبيان هذه الفكرة من خلال أمثلة توضح ذلك.

إن مثل هذه الدراسة السريعة لاتكفي في تأصيل قضية كهذه ، ولكنه جهد المقل، وبذرة ألقيها لتجد طريقها إلى النماء ـ إن شاء الله ـ وإليك أخي القارىء عرض الأمثلة:

* **المثال الأول :**

عن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال : «سمعت رسول الله ﷺ ـ وهو على المنبر ـ يقول : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾ [**الأنفال** : ٦٠] ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[١٧] .

وجاء عن جمع من السلف مايلي :

١ـ القوة : الرمي من القوة (مكحول).

٢ـ القوة : الرمي والسيوف والسلاح (ابن عباس) .

٣ـ أمرهم بإعداد الخيل (عبَّاد بن عبد الله ابن الزبير) .

٤ـ القوة : ذكور الخيل (عكرمة ومجاهد) .

٥ـ القوة : الفرس إلى السهم ومادونه (سعيد بن المسيب)[١٨].

لقد فسر الرسول ﷺ القوة بالرمي ، فهل يُطَّرح ماورد عن السلف من عبارات مخالفة لما جاء عنه ﷺ ، ويقال : مادام النص قد ثبت طاح ما دونه .

أم يقال : إن الرسول ﷺ أراد أن يشير إلى القوة التي هي أنكى أنواع القوة، وأشدها تأثيراً في الحرب؟ .

الذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن الرسول ﷺ أراد هذا ، وقد أشار إلى ذلك الإمام الطبري فقال : «والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب ، ومايتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمي ، وغير ذلك ، ورباط الخيل .

ولا وجه لأن يقال : عنى بالقوة معنى من معاني القوة ، وقد عمَّ الله الأمر بها .

فإن قال قائل : فإن رسول الله ﷺ قد بين أن ذلك مراداً به الخصوص ؛ بقوله : «ألا إن القوة الرمي» . قيل له : إن الخبر وإن كان قد جاء بذلك ، فليس في الخبر مايدل على أنه مراد به الرمي خاصة دون سائر معاني القوة عليهم ، فإن الرمي أحد معاني القوة؛ لأنه إنما قيل في الخبر : «ألا إن القوة الرمي» ولم يقل : دون غيرها .



ومن القوة - أيضا : السيف والرمح والحربة ، وكل ماكان معونة على قتال المشركين ، كمعونة الرمي ، أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم . هذا مع وهاء سند الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ»(١٩).

وبهذا يمكن القول أنه لما لم يكن في تفسير الرسول ﷺ مايدل على التخصيص، دل ذلك على أن مراده التمثيل ، ولما مثل للقوة ذكر أعلى القوة وأشدها .

وإذا كان ذلك كذلك فإن روايات السلف لاتكون معارضة للتفسير النبوي ، ولذا يصح قبولها والتفسير بها ؛ لأنها تدخل في عموم القوة .

ونتيجة القول : أن التفسير بالمثال أسلوب صحيح في التفسير ؛ لأنه وارد عن الرسول ﷺ في مثل هذا الحديث، والله أعلم

* **المثال الثاني :**

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال : مفاتح الغيب خمس : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [**لقمان**: ٣٤](٢٠) .

في هذا المثال تجد أن رسول الله ﷺ فسر (مفاتح الغيب) في قوله تعالى: ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ...** ﴾ [**الأنعام**: ٥٩] بآية لقمان : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...** ﴾ [**لقمان**: ٣٤].

ويمكن القول : إن تفسير القرآن بالقرآن مسلك صحيح من مسالك التفسير بناء على هذا المثال .

ولعلك تقول : إن هذا المسلك واضح ومعروف مشهور .

فأقول لك: إن المراد هنا تأصيله بوروده عن النبي ﷺ ، إذ في وروده عنه ماينبه إلى استعمال هذا المسلك.

ومما يدل على ذلك أن الصحابة لما استشكلوا قوله (تعالى): ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ [**الأنعام**: ٨٢] قال لهم : إنه ليس بذاك ألا تسمعُ إلى قول لقمان

لابنه : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣](٢١) .

فكأنه ﷺ يرشدهم إلى هذا المسلك بقوله : « ألا تسمع » ، وكان يمكن إجابتهم وحل إشكالهم بدون الإشارة إلى الآية والله أعلم

وأخيراً..

إذا كان يمكن استنباط بعض الأساليب التفسيرية في التفسير النبوي والقياس عليها، فإن هناك مالايقاس عليه ، ومنه :

أولاً : أن يكون التفسير في بيان حكم شرعي :

عن أنس بن مالك قال : « كانت اليهود إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها، ولم يجامعوهن في البيوت . فسأل أصحاب النبي ﷺ ، فأنزل الله عز وجل ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾[البقرة: ٢٢٢] .

فقال رسول الله ﷺ : « اصنعوا كل شيء إلا النكاح »(٢٢) .

إن قول الله (تعالى): ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ لفظ عام ، ويمكن أن يفهم منه اعتزال النساء في المؤاكلة والمنام والبيوت ، فذكر الرسول ﷺ مايدل على تخصيص الاعتزال بالمجامعة دون غيرها من المعاشرة .

ثانياً : أن يكون التفسير لبيان أمر غيبي :

عن مسروق قال : سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] . فقال :

أما إنا قد سألنا عن ذلك ، فقال : أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل»(٢٣) .

إن صفة حياة هؤلاء الشهداء لايمكن إدراكها إلا عن سماع من النبي ﷺ ، ولذا سأل الصحابة عن هذه الحياة الخاصة بالشهداء .

إنه في مثل هذين المثالين لايمكن



دراسات قرآنية

استنباط (أسلوب تفسيري) لأن المجال في هذا ليس مفتوحا بحيث يمكن الاستنباط منه ، بل هو محدد لبيان حكم شرعي أو أمر غيبي ، ولذا يقف المفسر عند النص ولايمكنه تجاوزه ، ليستفيد منه في نص آخر يقيسه عليه .

---

(١) كان ابن كثير من أكثر المفسرين تأثرا بهذا المنهج الذي عند المحدثين .

(٢) ماذكره من قوله : (بيان مايقرأ بعد تمام سورة) ظاهر أنه ليس من التفسير ، فتامل .

(٣) لامع الدراري : ٩ / ٤-٥ .

(٤) انظر : لامع الدراري : ٩ / ٤ (حاشية رقم[١]) .

(٥) انظر : فتح الباري ٦ / ٤٣١ .

(٦) السنن الكبرى ٦ / ٣٢٩

(٧) سنن الترمذي ٥/ ٣٤٧.

(٨) انظر : فتح الباري ٨ / ٣٦ ومثله النسائي في السنن الكبرى ١ / ٣٠١

(٩) السنن الكبرى للنسائي ٦ / ٣٣٩.

(١٠) رواه البخاري (فتح الباري ٨ / ٢١) .

(١١) رواه البخاري (فتح الباري ٨ / ٣٤) .

(١٢) رواه مسلم ح/رقم ٣٠٢ .

(١٣) أخرجه مسلم ح/ ١٨٨٧ .

(١٤) رواه مسلم ح/٢١٣٥ .

(١٥) رواه البخاري .

(١٦) رواه مسلم ح/١٣٩٨ .

(١٧) رواه الإمام مسلم ح/١٩١٧.

(١٨) انظر : الدر المنثور : ٤ / ٨٣ ومابعدها .

(١٩) تفسير الطبري (ط : شاكر) ١٤ / ٣٧.
وما ذكر الطبري من وهاء السند ؛ لأنه رواه من طريق ابن لهيعة (١٤ / ٣) ولذا ضعفه ـ فيما يظهر ـ ولم يكن عنده له إسناد آخر ، والحديث ـ كما علمت ـ رواه مسلم وغيره ، فلا شك في صحته .

(٢٠) رواه البخاري في مواضع من صحيحه (فتح الباري ٨ / ١٤١) ومن الطريف في تفسير القرآن بالقرآن عند النبي ﷺ أنه فسر آيتين من سورة الأنعام بآيتين من سورة لقمان.

(٢١) رواه البخاري في مواضع من صحيحه (فتح الباري ٨ / ٣٧٢) .

(٢٢) رواه مسلم برقم ٣٠٢ .

(٢٣) رواه مسلم برقم ١٨٨٧ .

دراسات تربوية

رمضان بين الواقع والواجب

بقلم : فيصل بن علي البعداني

رمضان من مواسم الخيرات التي امتن الله (تعالى) بها على عباده، ليقوى إيمانهم، وتزداد فيه تقواهم، وتتعمق صلتهم بربهم ، قال (تعالى) : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣] . والمتأمل في النصوص الشرعيةالواردة في الصيام؛ التي تتحدث عن حِكَم الصيام وغاياته في الشريعة وفي واقعنا ـ معاشر المسلمين ـ يجد بوناً كبيراً لدى أكثر عامة الأمة وكثير من شباب الصحوة بين الواقع والواجب.

وسأحاول بإذن الله (تعالى) أن أتلمس أبرز الأسباب التي أدت إلى هذا التباين، معرجاً على شيء مما يسر الله (تعالى) له من طرق العلاج.

أولاً : الأسباب :

هناك أسباب كثيرة من أبرزها :

١ـ الجهل بأهداف وحِكَم الصيام وغاياته:

يعد الجهل بأهداف وحكم الصيام وغاياته في الشريعة لدى كثير من المسلمين، وقيامهم بالتطبيق تقليداً ومسايرة للمجتمع من دون التأمل والدراسة من أبرز أسباب هذا التباين، يقول الشيخ الدوسري : « فإن لم يكن البشر واعين لحكمة التشريع الإلهي وثمراته في الدنيا قبل الآخرة ، فإنهم لن يطبقوه على تمامه، أو على الوجه الصحيح »[١] ، ويمكن إيجاز أهم تلك الحكم فيما يلي :

* **تحقيق التقوى** : تعد التقوى من أبرز حكم الصيام.

يقول الرازي : (إن الصوم يورث التقوى لما فيه من انكسار الشهوة وانقماع الهوى؛ فإنه يردع عن الأشر والبطر والفواحش ، ويهون لذات الدنيا

ورياستها، وذلك لأن الصوم يكسر شهوة البطن والفرج ، فمن أكثر منه هان عليه أمر هذين، وخفت عليه مؤونتهما ، فكان ذلك رادعًا له عن ارتكاب المحارم والفواحش ، ومهوناً عليه أمر الرياسة في الدنيا ، وذلك جامع لأسباب التقوى. .)[٢]

* **التربية على الصبر وقوة الإرادة :**

التربية على الصبر من أبرز مرامي الصيام حتى سمى النبي ﷺ شهر الصيام: بشهر الصبر إذ في الصوم « تربية لقوة الإرادة على كبح جماح الشهوات وأنانية النفوس، ليقوى صاحبها على ترك مألوفاته أكلاً أوشربًا أو متاعًا، فيكون قوي الإرادة في الإقدام على أوامر الله، التي من أعظمها حمل الرسالة المحمدية والدفع بها إلى الأمام، ساخراً بما أمامه من كل مشقة وصعوبة . . والصوم يمثل ضربًا من ضروب الصبر، الذي هو الثبات في القيام بالواجب في كل شأن من شؤون الحياة»[٣] إذ يصبر فيه الإنسان نفسه على طاعة الله (تعالى) بالوقوف عند حدوده فعلاً وتركاً، قال (تعالى) بعد أن ذكر شيئاً من أحكام الصيام: **﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها ﴾** [البقرة :١٨٧]، كما يضبطها ويمنعها عن لذاتها طواعية وامتثالاً لأمر الله (تعالى) وطلباً لثوابه ، وفي ذلك من التربية على قوة العزيمة والإرادة مايجعل الإنسان متحكمًا في أهوائه وشهواته .

* **التربية على الاستسلام والخضوع لله (تعالى) :**

يربي الصيامُ المسلم على ضبط نفسه الأمارة بالسوء ، ويمكنه من السيطرة عليها والإمساك بزمامها، بحيث لايكون مستسلمًا لها بل مستسلمًا لأوامر ربه خاضعًا منقادًا لنواهيه ، مؤثرًا لمحابه سبحانه، مقدمًا لها على رغائب الجسد وشهواته.

* **إنشاء الخوف من الله (تعالى) ومراقبته:**

الصيام عبادة خالصة بين العبد وربه ، ولذا فإنه يربي في المسلم الخوف من الله (تعالى) ومراقبته والتطلع لثوابه ، إذ بإمكانه أن يُظهر الصيام أمام الخلق وهو غير صائم أصلاً، سواء أكان عن طريق تناول شيء من المفطرات ، أو بمجرد

فقدان النية، وإن أمسك عنها طوال النهار، وفي ذلك من ظهور صدق الإيمان وكمال العبودية وقوة المحبة لله (تعالى) ورجاء ماعنده ماجعل جزاء الصيام عند الله (تعالى) أعظم من جزاء جل العبادات، قال الله (تعالى) في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ماشاء الله عزوجلّ، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي..»[٤]. قال ابن القيم: «والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لايطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم»[٥].

*** لمُّ شعث القلب، والتفكر في ملكوت الله (تعالى):**

لما كان فضول الطعام والشراب والكلام والمنام ومخالطة الأنام مما يزيد القلب شعثاً ويشتته في كل وادٍ، ويقطعه عن سيره إلى الله (تعالى)، أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه، اقتضت رحمة الله (تعالى) بعباده أن شرع لهم من الصوم مايذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات وشرع لهم من العبادات أثناءه من اعتكاف وقيام ودعاء وتلاوة قرآن مايذهب فضول الكلام والمنام ومخالطة الأنام. ولذا صح عن النبي ﷺ أنه قال: «الصوم جنة وحصن حصين من النار»[٦] بل عده حصناً للمؤمن، وذلك لكونه:

- كاسراً للشهوة ومضعفاً لها، قال ﷺ: «خصاء أمتي الصيام»[٧]، وقال ﷺ: «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[٨].

- ومضيقاً على الشيطان مجاريه بتضييق مجاري الطعام والشراب قال ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[٩]، فتسكن بذلك وساوس الشيطان.

كما أن القلب في حال الصيام يتفرغ للتفكر في آيات الله (تعالى) وملكوته، لأن الإفراط في تناول الشهوات يستوجب

دراسات تربوية

الغـفلة، وربما يقـسي القلب ويعـمي عن الحق، قـال ابن رجب : « وخلو الباطن من الطعـام والشراب ينور القلب ويوجب رقته ويزيل قسوته ويخليه للذكر والفكر»[١٠].

* **معرفة العباد لما هم فيه من نعم ، وتذكر الأغنياء لحال إخوانهم الفقراء :**

يحصل للأغنياء نتيجة امتناعهم عن الطعام والشراب في نهار الصيام مشقة ، فيـوجب ذلك لـهم معرفة قدر نعمـة الله (تعالى) عليهم بالغنى؛ حيث مكنهم من تلك النعم طوال العام مع ابتلاء عبـادٍ له آخرين بالحرمان؛ مما يستوجب الشكر لله (تعالى) على ذلك .

كـمـا أن الفـقـراء ينظرون في العطايا التي يعطاها العبـاد خـلال هذا الشـهـر من خلو الذهن للتفكر والعبادة والذكر نتيجة الجـوع وخلو البطن، ويرون أن حـالهـم مـقـاربة لذلك في غـالب العـام، وأنهم مـؤهلون لاسـتـغـلال تلك النعم طوال الوقت مما يسـتـدعي شكرها .كـمـا أن الصيـام يجـعل الأغنياء يتـذكرون حـال من حـولهـم من إخـوانهـم الفـقـراء، ويدعـوهـم إلى رحـمـة المحـتـاجين ومواساتهم بما يمكن من ذلك .

* **قوة الأجساد وصحتها :** الأصل في مـشروعـيـة الصـيام أنه يقـوي الإيمان ويكسب العبـد التقـوى التي تحجزه عن المعـاصي والآثام إلا أن له حكمًـا وفـوائد أخر ، من أبرزها : مـا اتضح في عصـرنا من تقويته للأجسـاد وأثره في صحـتـهـا بالوقـاية من العلل والأمـراض الجـسـمـيـة والنفسية .

٢ـ تعليق الصيام بالتروك فقط:

يعـتـقـد كـثـيـر من الناس أن الصـيـام جـملة من التـروك فـقـط ، متناسين أن الله (تعالى) شرع الصيام وشرع معه جملة من الأعـمـال التي تتظافر لتـحـقيق غايات الصوم وآثاره المرجوة منه ، ولعل من أبرز تلك الأعمال التي دلت عليها النصوص :

* **قـيام الليل** ، قـال ﷺ : « من قـام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ماتقدم من ذنبه »[١١] .

* **العمـرة** ، قـال ﷺ : « عـمـرة في رمضان كحجة معي »[١٢] .

* **تفطير الصائمين** ، قال ﷺ : (من فطر صائمًا كان له مثل أجره، غيـر أنه

لاينقص من أجر الصائم شيئًا)[١٣].

* **قراءة القرآن وختمه** : قال ﷺ : (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشراب فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ، قال: فيشفعان)[١٤] ، وثبت أن النبي ﷺ كان يلقاه جبريل في كل سنة في رمضان، فيعرض عليه النبي ﷺ القرآن.

* **الصدقة** : عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : (كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود مايكون في شهر رمضان)[١٥] قال الشافعي: (أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء بالرسول ﷺ ؛ لحاجة الناس فيه إلى مصالحهم ، ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم).

* **الاعتكاف** : عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : (كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان)[١٦]. قال الزهري : (عجبًا للمسلمين تركوا الاعتكاف ، مع أن النبي ﷺ ماتركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله ـ عز وجل ـ).

* **الدعاء** : حيث ذكر الله (تعالى) في ثنايا آيات الصيام قوله : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة: ١٨٦] ليرغب الصائم في كثرة الدعاء ، وقال ﷺ : (ثلاث دعوات مستجابات : دعوة الصائم ، ودعوة المظلوم ، ودعوة المسافر)[١٧].

* **التوبة** : رمضان موسم التوبة والعودة إلى إلله (عز وجل) وذلك لعظيم جوده (تعالى) وفضله في كل وقت، وفي هذا الشهر خاصة ، حيث تصفد الشياطين [١٨] ، وله سبحانه في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار بالإضافة إلى تهيؤ الإنسان بالصوم وسائر العبادات لذلك ، ولذا قال ﷺ : (رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له).

* **الاجتهاد في العمل مطلقًا في العشر الأواخر** : عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كان ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله وجد وشد المئزر)[١٩] وقالت (رضي الله عنها)

أيضاً: (كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر مالايجتهد في غيره)[٢٠].

والأفعال المشروعة في رمضان كثيرة، فالمفترض في حق المسلم أن يحرص على شغل وقته بما يعود عليه بالنفع أكثر عند لقاء الله (عز وجل).

٣ـ عدم استشعار أثر المعاصي على الصيام:

الذنوب سبب حرمان الله للعبد من الاستفادة من الصيام وتحقيقه التقوى فيه، قال تعالى: **﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾** [الشورى: ٣٠] ولذا فإن: «الصوم ينقص ثوابه بالمعاصي وإن لم يبطل بها، فقد لايحصل الصائم على ثواب مع تحمله التعب بالجوع والعطش لأنه لم يصم الصيام المطلوب».

وقد وردت عدة أحاديث تبين ذلك المعنى وتجليه منها قوله ﷺ: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»[٢١] وقال ﷺ: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد، أو جهل عليك، فقل: إني صائم»[٢٢]، وقال ﷺ: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[٢٣].

٤ـ أخطاء بعض الصائمين:

يقع بعض الصائمين في أخطاء منها:

* **الإسراف في الإنفاق**: الأصل في الصيام أنه مدرسة عملية للاقتصاد وتعويد النفس الجلد وقوة التحمل عند الأزمات، وضبط النوازع والرغبات، ولكن الذي يحصل في واقع الكثير من المسلمين في وقتنا الحاضر العكس، حيث تزداد النفقات وتتجاوز حد الاعتدال إلى التبذير والإسراف.

* **التوسع في تناول الأطعمة والأشربة وسائر الملذات**: صار موسم الصيام في حياة أناسٍ موسماً لتنويع المآكل والمشارب وتناول الملذات، ولايخفى مافي ذلك من منافاة لغرض الصيام ومراميه.

* **السهر في الليل والنوم في النهار**: ينقلب الحال في رمضان في حياة الكثيرين، فيصبح الليل نهاراً والنهار ليلاً؛ بحيث يصبح الليل وقتاً للاجتماع

دراسات تربوية

والسهر، والنهار وقتاً للنوم والكسل ، هذا إذا لم يصاحب ذلك اجتماع على محرمات وتضييع للواجبات ، وعدم القيام بالعبادات كما يجب .

* **التعلق بالدنيا وعدم الاهتمام بشأن الآخرة** : مع دخول رمضان يزداد انشغال كثيرين بتجاراتهم وبيعهم وشرائهم ، ويأخذ ذلك منهم جل الليل والنهار ، ومع أن البيع والشراء حلالان في الإسلام ، إلا أن المذموم من ذلك، هو تعلق القلب بمتاع الدنيا، وإعطاء كل جهدِه ووقته لذلك، مع إغفال المرء لحظ نفسه في الآخرة وحاجتها إلى أعمال صالحة تهذبها ، وتزيل عنها درنها وشوائبها .

* **مخالطة البطالين** : وهم مضيعوا أوقات العباد فيما لايعود عليهم بنفع ديني أو دنيوي ـ وليس من شرطهم الإفساد والانحراف عن جادة الحق الصواب ـ ومخالطة العبد لهم وإكثاره من ذلك يعود عليه بالندم والحسرة في كل وقت فكيف في مواسم الخيرات؟!

* **أخطاء في أداء بعض العبادات** : يحرص بعض الموفقين للخيرات على القيام ببعض العبادات ، ولكن يعتري تطبيقهم بعض الأخطاء، ومن ذلك :

أ ـ التأخر عن الصلاة : وذلك للتأخر في الخروج من المنزل لصلاة العشاء والتراويح والذهاب إلى مسجد بعيد ليصلي مع إمام يجيد القراءة، وقد يؤدي ذلك التأخر إلى فوات صلاة الجماعة أو بعضها، مع أن صلاة الجماعة واجبة على الأرجح، وصلاة التراويح نافلة .

ب ـ تشدد بعض الحريصين على الاتباع في تحديد عدد صلاة التراويح ، مما يؤدي ببعضهم إلى أن لايصلي مع إمامه حتى ينصرف إذا كان يزيد على الحد المعروف عنده، وأحسب أن هذا اجتهاد مأجور إن شاء الله، لكن أخشى أن يفوته أجر قيام ليلة مع مايصاحب ذلك ـ عند بعضهم ـ من البغضاء والشحناء بين المختلفين في العدد .

جـ ـ حرص بعض المسلمين على ختم القرآن في رمضان مرة أو أكثر: ولاإشكال في ذلك لثبوت مشروعيته، ولكن الإشكال في كيفية تلاوتهم إذ يهذُّ بعض القراء ـ في التراويح وغيرها ـ القرآن هذًّا

كهذّ الشعر بدون تدبر لمعانيه وتفهم لأحكامه، وقد قال الله (تعالى): ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾[ص:٢٩]. صحيح أنه ثبت عن بعض السلف أنه كان يختم القرآن في رمضان كل ليلة، حتى قال الزهري: (إذا دخل رمضان فإنما هو قراءة القرآن وإطعام الطعام) ولكن خير الهدي هدي النبي ﷺ الذي قال: (لايفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث).

د ـ يحرص بعض المسلمين على الاعتكاف، ولكن قد يعتكفون جماعات، فيحلو بينهم الحديث وتتسع أبوابه، ويكون الاعتكاف موضع عشرة ومجلبة للزائرين، يقول ابن القيم بعد ذكره لهدي النبي ﷺ في الاعتكاف: (كل هذا تحصيل لمقصود الاعتكاف وروحه، عكس مايفعله الجهال من اتخاذ المعتكف موضع عشرة، ومجلبة للزائرين وأخذهم بأطراف الأحاديث بينهم، فهذا لون والاعتكاف النبوي لون).

هـ ـ تتفتح أبواب الخير وطرقه على الصالحين في رمضان بشكل لايمكن العبد الإحاطة بها جميعًا، مما يتطلب منه المفاضلة بين الأعمال واختيار ما يكون أصلح لقلبه وأكثر نفعًا لأهله ومجتمعه، والملاحظ في واقع كثير من الصالحين أنه يريد الإحاطة بكل خير يمكنه القيام به فلا يقوم بشيء منها، أويقوم بأعمال خيرة يمكنه أن يقوم بأفضل منها، أو يوكل القيام بها إلى شخص حوله لايمكن أن يقوم بشيء منها بدون ذلك ويقوم هو بغيرها.

٥ـ الوسائل الإعلامية والعلاقات الاجتماعية:

لوسائل الإعلام ـ سواء أكانت مرئية أو مسموعة أو مقروءة ـ دور كبير في تشتيت أذهان كثير من الصائمين وبالأخص الشباب والنساء، وبالتالي إشغالهم عن استيعاب غايات الصيام ومراميه، والاستفادة منها في إصلاح النفوس والمجتمعات بالشكل المطلوب وذلك من خلال المواد التي تقدمها تلك الوسائل والتي تصب غالباً في الجانب الترويحي، وماتبقى من مجالات تكون

دراسات تربوية

في الغالب سطحية مع اشتمال كثير منها على جوانب محرمة .

كما أن للتوسع في العلاقات الاجتماعية بين الأسر والأصدقاء دوراً ملحوظًا في إضاعة الأوقات ، ولذا فإني أرى أن الخير للمسلم أن يقلل من علاقاته تلك في هذا الشهر ما أمكن، وأن يجعلها مقصورة على الصلة أو المواساة والدعوة إلى الله (تعالى) ، وتدارس أحكام الإسلام وتعاليمه .

ثانيًا : العلاج :

كانت تلك أبرز الأسباب لتلك الظاهرة ، ولعل من أبرز وسائل علاجها بالإضافة إلى معالجة مسببات تلك الأسباب وآثارها ، مايلي :

١ـ أن يقوم العلماء والدعاة بدورهم في التربية والتوجيه للأمة ، سواء عن طريق الاختلاط بالناس لتعليمهم، أو تقديم القدوات الحسنة لهم ، عن طريق السلوك والممارسات المنضبطة بالشرع.

٢ـ أن يستوعب المسلم حقيقة وظيفته في الحياة، وأهمية الوقت بالنسبة إليه ؛ ليكون ذلك دافعًا له للجدية في حياته، والموازنة بين مايمكن أن يقوم به من أفعال، ولكي يستفيد من نعمة الوقت بشكل أفضل، بعيداً عن الإغراق في المباحات والمستحبات على حساب الفرائض والواجبات، كما عليه أن يقوم بترويض نفسه على القيام بالأعمال الصالحة، كالتبكير للصلاة، والجلوس بعد الفجر في المسجد إلى طلوع الفجر . . ونحوها، ليتعوّد على ممارستها والاستمرار عليها بعد رمضان .

٣ـ أن يعمل الجميع على تعميق روح الاتباع للنبي ﷺ والتأسي به في سائر شؤون الحياة عمومًا وفي شهر الصيام خصوصًا ، وهذا يتطلب تعلم فقه الصيام وآدابه، واستيعاب حِكَم الصيام وغاياته، وتقريب الوسائل التي تتيح لسائر فئات الأمة الاستفادة من الصيام في تهذيب النفوس ، ونشر الخير والفضيلة ومحاربة الشر والرذيلة، بشكل أفضل .

٤ـ أن تقوم مؤسسات التوجيه سواء أكانت إعلامية أو تعليمية أو تربوية أو

ترويحية بدورها التوجيهي المنطلق من ديننا، والمدرك لطبيعة التحديات التي تمر بها أمتنا عن طريق نشر الجدية، والاستمساك بالدين بقوة في سائر حياة الأمة عموماً، والشباب منهم على وجه الخصوص .

٥ـ أن يعيد الدعاة أفراداً ومؤسسات تقويم برامجهم الدعوية سواء من حيث الكم أو الكيف؛ حتى تساعد بشكل أفضل على معالجة هذا التباين، وتعمل على إزالة وتصحيح آثاره، حتى تتحقق تقوانا ويقوى إيماننا بإذن الله (تعالى). والله نسأل أن يجعلنا من المقبولين ،،،

١ـ صفوة الآثار والمفاهيم ٣/ ٨٢.
٢ـ مفاتيح الغيب ٥/ ٧٠.
٣ـ تفسير المنار ٢/ ٤٥ .
٤ـ مسلم ٢/ ٨٠٧، ح/ ١١٥١.
٥ـ زاد المعاد ٢/ ٢٩ .
٦ـ أحمد ٢/ ٤٠٢ وحسنه الألباني انظر صحيح الجامع ، ح/ ٣٨٨٠.
٧ـ أحمد ٢/ ١٧٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ، ح/٣٢٢٨.
٨ـ مسلم ٢/ ١٠١٨، ح/ ١٤٠٠
٩ـ مسلم ٢/ ١٧١٢، ح/ ٢١٧٥.
١٠ـ لطائف المعارف ص ٢٩٠.
١١ـ مسلم ١/ ٥٢٣ ، ح/ ٧٥٩.
١٢ـ الحاكم ١/ ٤٨٣ وصححه الألباني في الإرواء ح ١٥٨٧ .
١٣ـ أحمد ٢/ ١٧٤ وصححه الألباني في الإرواء ح/ ٦٤١٥.
١٤ـ أحمد وصححه الألباني في الإرواء ح/ ٣٨٨٢.
١٥ـ مسلم ٤/ ١٨٠٣، ح/ ٢٣٠٨ .
١٦ـ مسلم ٢/ ٨٣٠ ، ح/ ١١٧١ .
١٧ـ صحيح الجامع، ح/ ٣٠٣٠.
١٨ـ انظر مسلم ك٢/ ٨٧٥، ح/ ١٠٧٩ .
١٩ـ مسلم ٢/ ٨٣٢، ح/ ١١٧٤ .
٢٠ـ مسلم ٢/ ٨٣٢، ح/ ١١٧٥ .
٢١ـ أحمد ٢/ ٣٧٣، وانظر صحيح الجامع ، ح/ ٣٤٨٨.
٢٢ـ الحاكم ١/ ٤٢٠ ، صحيح الجامع ، ح/ ٥٣٧٦.
٢٣ـ البخاري مع الفتح ٤/ ١١٦، ح/ ١٩٠٣ .

مقال

نظرات
في قضية ترجمة معاني القرآن الكريم
(٤)

بقلم: د. فهد بن محمد المالك

بعد أن استعرضنا في الحلقات الثلاث الماضية من هذه السلسلة ـ التي أسأل الله العظيم أن أكون قد قدمت فيها للقارئ العزيز معلومات مفيدة ـ قضية ترجمة معاني القرآن الكريم وما يدور حولها من توجيهات وقواعد ، وبعد أن ذكرنا أن جميع الترجمات وبدون استثناء تحتاج للمزيد من الدراسة والبحث لما تحويه تلكم الترجمات من أخطاء وانحرافات ، ولما يكتنفها من قصور وخلل ، لعلنا في هذه الحلقة الأخيرة نسلط الضوء على نماذج من بعض الأخطاء التي وقع فيها أولئك المترجمون ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه النماذج من الأخطاء هي غيض من فيض مما هو موجود في الترجمات المتداولة ، ولو أردنا الإسهاب في سردها لطال بنا المقام ولَكَلَّ منا البنان .

ونظراً لطول الموضوع وتشعبه ، فقد آثرت أن أقتصر على سرد نماذج من الأخطاء العَقَديَّة والأخطاء الفنية دون التوسع فيها ، وهدفي من ذلك : حفز همم المسلمين عموماً، والمهتمين بكتاب الله (عز وجل) خصوصاً إلى مزيد من بذل الجهد في مواجهة هذا الطوفان الذي أصاب أغلى وأثمن كتاب على وجه الأرض، وهدفي الآخر هو تبصير أهل الإسلام بخطورة الأمر ، وأنه جدير بالعناية والتركيز .

أولا : نماذج من الأخطاء العقدية :

إن فكر المترجم وعقيدته ومنحى حياته لهو من الأمور التي سبق أن أشرت إلى أن لها تأثيراً كبيراً على الترجمة وعلى أسلوبها ، وكما قيل : « كل إناء بما فيه ينضح » .

ولعل الأمثلة الآتية تبين صدق ذلك :

المثال الأول :

تعتبر ترجمة محمد أسد (رحمه الله) التي أعطيت فكرة مبسطة عنها في الحلقة الماضية من الترجمات القوية من الناحية اللغوية ومن الناحية الفنية ، ومحمد أسد معروف لدى الكثير من القراء من خلال كتابه الشهير « الطريق إلى مكة » ، إلا أنه (رحمه الله) حَكَّم عقله كثيراً في ترجمته على حساب النص الصريح؛ مما أدى به إلى الوقوع في شطحات كبيرة، خالف بها مذهب أهل السنة والجماعة، ومن هذه الشطحات :

أ ـ أنه يَشكُّ في حقيقة : أن إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) قد وقع في النار حقيقة عندما قذفه فيها النمرود ، وأنه (عليه الصلاة والسلام) قد بقي حياً وهو في النار ، ويرى محمد أسد أن ذلك لا يقبله العقل بتاتاً ، فيقول في تعليقه على الآية :

﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩]

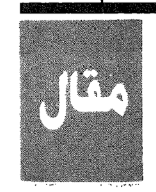
"Nowhere does the Qura'n state that Abraham was actually, bodily thrown into the Fire and miracoulously kept a live in it" (١).

وترجمة ذلك :

« لم يرد في أي موضع من القرآن أن إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) قد قُذفَ في النار بجسمه حقيقة، وأنه (عليه الصلاة والسلام) بقي حياً فيها بمعجزة إلهية » .

بل إن محمد أسد تجاوز ذلك إلى القول : إن هذه القصة والواقعة ـ أي قصة قذف النمرود لإبراهيم (عليه الصلاة والسلام) في النار ـ من المعتقدات التلمودية التي يجب تجاهلها .

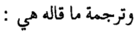
ب ـ يَشُكُّ محمد أسد (رحمه الله) في مصداقية أن عيسى عليه الصلاة والسلام



قـد تكلم في المهـد، ويرى أن تكلم الطفل وهو في المهـد من الأمـور التي لا يقبلها العقل البشري ، يقول في تعليقه على الآية :

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ [مريم: ٢٩، ٣٠] .

"Since it is not conceivable that anyone could be granted divine revelation and made a prophet before attaining to full maturity of intellect and experience, ... However , the whole of this passage (verses 30-33) may also be understood as having been uttered by Jesus at a much time aftar he had reached maturity and been actually entrusted with his prophetic mission " (٢) .



وترجمة ما قاله هي :

« بما أنه لا يمكن تصور نزول الوحي على شخص وتكليفه بالنبوة قبل بلوغه الكامل مرحلة الرشد والإدراك ...؛ لذلك فإن هذا المقطع من الآيات (٣٠ - ٣٣) من الممكن فهمه على أنه كان حديثاً وكلاماً من عيسى (عليه الصلاة والسلام) في وقت متأخر من حياته بعد بلوغه وتكليفه الفعلي بمهمة النبوة » .

جـ - ينكـر محمـد أسـد (رحمه الله) مبدأ النسـخ في كتـاب اللـه (عز وجل)، ويرى أن هذا المبدأ مرفوض نهائياً في حق كتاب الله سبحانه ، وأننا لو قلنا بذلك، فإننا نعطي كتاب الله الكريم صبغة بشرية . .

انظر إلى ما قاله عند تعليقه على الآية : ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ... ﴾ [البقرة: ١٠٦]

بل إنه ذهب إلى القول بأننا لو ربطنا الآية بالتي قبلها لاتضح لنا أن الشيء المقصود بالنسخ: هو ما قالته اليهود والنصارى في حق كتبهم المقدسة، وأن معنى هذه الآية لا يعني القرآن بذاته (٣) .

المثال الثاني :

من الشطحات التي شطح بها عبد الله يوسف علي (رحمه الله) تعليقه على الخضر حيث قال في تعليقه على الآية :

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ... ﴾ [الكهف : ٦٥] .

" He is a mysterious being " (٤)

وترجمة ذلك « أنه ـ أي الخضر ـ : شخصية غامضة » وقد بدا واضحاً في التعليق شدة تأثر عبد الله يوسف علي بالأدب الإنجليزي فقد شبه الخضر بشخصية أسطورية موجودة في الأدب والتاريخ اليوناني تعرف باسم Melchizedeck . أما لقمان فقد شبهه عبد الله يوسف علي في تعليقه بشخصية يونانية تعرف باسم Aesop (٥) .

أما محمد أسد (رحمه الله) فله رأي أشد خطراً من ذلك : حيث يرى أن الشخصيات المذكورة في القرآن كالخضر ، ولقمان ، وذي القرنين هي شخصيات أسطورية خرافية ، وليست واقعية حقيقية؛ فهو يصفهم بأنهم « Mythical Figures »(٦) وهذه تعني « شخصيات أسطورية » .

المثال الثالث :

في الحلقة الثالثة من هذه السلسلة ذكرنا أن محمد ظفر خان صاحب فكر ومعتقد قادياني ؛ لذلك يتوقع منه ومن أمثاله أن يحاولوا نشر فكرهم ، وبث معتقدهم داخل ترجماتهم ، وكما هو معلوم لدى القارىء العزيز أن من أصول الفكر القادياني : الاعتقاد بأن غلام أحمد مرزا هو آخر الأنبياء بعد نبينا محمد ﷺ ؛ لذلك فقد حاول محمد ظفر خان التلاعب بالآيات في ترجمته حتى تخدم فكرته القاديانية ، وكمثال على ذلك فقد ترجم الآيات :

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ



مقال

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٢ - ٤] .

" He it is Who has raised among the unlettered people , and will raise among others from them who have not yet joined them , a Messenger from among themselves who recites unto them His sings , and purifies them " (٧)

وهنا يتضح أن محمد ظفر خان قد دمج الآيتين ٣ ، ٤ معًا بطريقة خبيثة حتى تخدم فكره ومعتقده ، وترجمته لهذه الآيات يمكن أن تترجم إلى العربية كما يلي :

« هو الذي بعث في الأميين، وسيبعث في آخرين - لما يلحقوا بهم - رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويطهرهم .... »

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العطف في ﴿ **وآخرين منهم** ﴾ يعود على الأميين كما قال ذلك الزمخشري : (﴿ **وآخرين** ﴾ مجرور عُطِفَ على الأميين، يعني : أنه بعثه في الأميين الذين على عهده وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد، وسيلحقون بهم؛ وهم الذين بعد الصحابة (رضي الله عنهم)(٨). وقال مجاهد وغيره : ﴿ **وآخرين منهم...** ﴾ هم الأعاجم وكل من صدق النبي ﷺ من غير العرب ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: كنا جلوس عند النبي ﷺ فأنزلت عليه ﴿ **وآخرين منهم ...** ﴾ قالوا : من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً، وفينا سلمان الفارسي فوضع النبي ﷺ يده على سلمان، ثم قال : « لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال - أو رجل - من هؤلاء » رواه مسلم والترمذي والنسائي (٩) .

ومن هنا يتضح خطأ محمد ظفر خان الذي عطف « وآخرين » على « بعث » .

المثال الرابع :

تعتبر ترجمة الإنجليزي آربري من الترجمات الجيدة نوعاً ما ، إلا أنها لم تخل كذلك من سموم في داخلها لتضليل الناس عن طريق الصواب .

انظر إليه وهو يترجم الآية :

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

" Those who follow the Messenger , the prophet of the common folk" (١٠).

وهذه الترجمة من آربري يمكن ترجمتها بالعربية إلى : « الذين يتبعون الرسول نبي العوام (العامة) » .

وفي هذه الترجمة ما فيها من تحريف وتغيير للمعنى الأساس في الآية . وفيها ما فيها من تلاعب بالألفاظ والكلمات ، وإلا فإن الفرق كبير بين « النبي الأمي » و « نبي العوام (العامة) » .

كما أن داود قد سلك مسلكاً مشابهاً في التحريف والتغيير لما فعله آربري فيترجم داود الآية :

﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ [البقرة : ١٩١] . إلى :

" Idolatery is worse than carnage ".

وهذه الترجمة تعني : « الوثنية أسوأ من المذبحة » .

ثانياً : نماذج من الأخطاء الفنية :

المقصود بالأخطاء الفنية هي تلك الأخطاء التي خرج بها المترجم عن قواعد وأصول فَن الترجمة ، وأطلق لنفسه العنان أن يتصرف كيفما شاء دون مراعاة لضوابط وقواعد علم الترجمة . والأمثلة الآتية هي نقطة من بحر تلك الأخطاء الفنية التي ملأت صفحات الترجمات :

(١) أخطأ محمد ظفر خان كثيراً في ترجمته للآيات التي فيها قسم من الله (عز وجل) ،



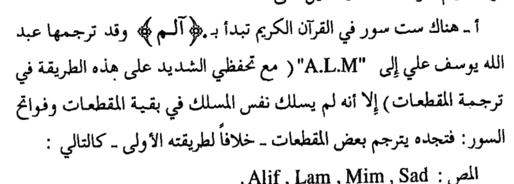
فهو يستخدم الصيغتين التاليتين للدلالة على القسم :

" We cite in evidence... " .

" We call to witness ... "(١٢)

وهاتان الصيغتان تبعدان كل البعد عن الدلالة على معنى القسم .

(٢) من المسلمات الأساسية في فن الترجمة : أن المترجم الناجح عليه أن يسير على وتيرة واحدة في ترجمته ، فإذا ترجم الكلمة في موضع ما إلى مرادف لها في اللغة المقابلة ، عليه أن يستخدم المرادف نفسه إذا جاءت الكلمة نفسها في موضع آخر . إلا أن أغلب المترجمين لم يراعوا ذلك في ترجماتهم ، والأمثلة الآتية دليل على ذلك :



أ ـ هناك ست سور في القرآن الكريم تبدأ بـ ﴿ آلم ﴾ وقد ترجمها عبد الله يوسف علي إلى "A.L.M" (مع تحفظي الشديد على هذه الطريقة في ترجمة المقطعات) إلا أنه لم يسلك نفس المسلك في بقية المقطعات وفواتح السور: فتجده يترجم بعض المقطعات ـ خلافاً لطريقته الأولى ـ كالتالي :

المص : Alif , Lam , Mim , Sad .

حم : Ha , Mim .

كهيعص : Kaf , Ha , Ya, Ain, Sad .

ب ـ الآية : ﴿ .. ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ... ﴾ .

تكررت في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم (سورة الأنعام ٥٢، وسورة الأعراف ٣٧، وسورة هود ١٨) ، ومع ذلك فقد ترجمها عبد الله يوسف علي إلى ثلاث صيغ مختلفة هي :

" Who can be more wicked than one inventeth a lie against God".

"Who is more unjust than inventeth a lie against God".

" Who doth more wrong than inventeth a lie against God".

جـ ـ كذلك وقع آربري في الخطأ نفسه ؛ وذلك بعدم استخدامه لمرادف واحد للكلمة نفسها، ففي المثال التالي يترجم آربري كلمة «آية» إلى معنيين مختلفين . ففي قوله تعالى :

﴿ .. يتلوا عليكم آياتنا ... ﴾ [البقرة: ١٥١] .

يترجمها آربري إلى :

"To recite Our signs to you ..."(١٣) .

ويترجم آربري الآية :

﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية .. ﴾ [النحل: ١٠١] .

"And when we exchange averse in the place of another verse"(١٤).

وهنا على الرغم من أن كلمة «آية» و «آيات» لهما المعنى نفسه ، إلا أن المترجم ترجمهما إلى معنيين مختلفين .

(٣) أخطأ آربري في تسميته لسورتي «المؤمنون » و «غافر» فقد أعطى لكلا السورتين الاسم نفسه بصيغة المفرد "The Believer" (سورة غافر يسميها بعض العلماء سورة المؤمن) . وترجمة آربري بهذه الطريقة تسبب خلطاً وإشكالاً لدى القارئ لمثل هذه الترجمة .

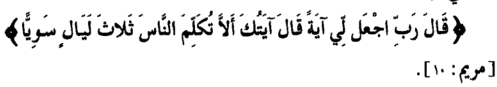
كما أن آربري وقع في خطأ كبير؛ وذلك بتسميته سورة الروم في ترجمته باسم "The Greeks" . وهذه التسمية تعني الإغريق أو اليونانيين ، وهذا خطأ تاريخي فادح فضلاً عن تشويه المراد وتحريف المقصود بكلام رب العالمين ؛ وليت الأمر اقتصر على خطأ التسمية فقط ، بل إن آربري ارتكب الخطأ نفسه في ثنايا السورة فهو يترجم الآية :



﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ [الروم: ٢] . إلى :

"The Greeks have been vanquished"(١٥) .

(٤) من أصول الترجمة ألا يضيف المترجم من عنده شيئاً لم يكن موجوداً في الأصل ، إلا أن داود في ترجمته لم يتقيد بذلك إطلاقاً ، فهو كما ذكرنا في الحلقة الثالثة يطلق لنفسه العنان في إضافة وحذف ما يشاء، كما في ترجمته للآية :



[مريم: ١٠].

"Your sign is that of three days and three nights, He replied you shall be bereft of speech".

وهنا أضاف داود كلمة « ثلاثة أيام » وهي لم تكن موجودة في الأصل .

ختاماً : أود التنبه لعدة أمور :

١- من الأخطاء التي يقع فيها كثير من الإخوة عندما يلقي خطاباً أو محاضرة أو خطبة بلغة غير العربية، ويريد ذلك المتحدث الاستشهاد بشيء من القرآن الكريم، تجده يقول : إن الله (سبحانه وتعالى) قال في كتابه العزيز،ثم يقرأ الترجمة التي عنده ، ومكمن الخطأ هو أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل كتابه بلسان عربي مبين، لذا فإنه بإمكان المتحدث في مثل هذه الحالة أن يشير إلى أن الذي بين يديه هو ترجمة لمعنى ما قاله الله (سبحانه)، وليس هو نص ما قاله .

٢- عندما يطلب أحد منك - أيها القارئ العزيز - ترجمة لمعاني القرآن الكريم عليك أن تحرص على اختيار أفضل الترجمات وسؤال أهل الاختصاص

عن ذلك ؛ وذلك حتى لاتوقع من طلب منك في متاهة وضلال، وتكون أنت السبب في ذلك .

٣ـ ضرورة التنبيه على ما في الترجمات من انحرافات وشطحات والتحذير من ذلك . وإيضاح الصواب والحق للناس أجمعين .

والآن لعلك أيها القاريء العزيز أدركت مدى أهمية هذا الموضوع وهذه القضية ولعلك أدركت أنه لابد من تضافر الجهود وتآزر الهمم ؛ وذلك للوقوف أمام هذا الطوفان الجارف الذي يمس أنفس كتاب عرفته الخليقة . ولعلك كذلك أدركت مدى الحاجة إلى إنشاء هيئة إسلامية عالمية تتولى شؤون ترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات العالم .

---

١ ـ ترجمة محمد أسد طبعة ١٩٨١م ص ٤٩٥ .

٢ ـ ترجمة محمد أسد طبعة ١٩٨١، ٤٦٠.

٣ ـ ترجمة محمد أسد ، طبعة ١٩٨١م، ٢٣ .

٤ ـ ترجمة عبد الله يوسف علي ، طبعة دار الفكر ، ص ٧٤٨ .

٥ ـ ترجمة عبد الله يوسف علي ، طبعة دار الفكر ، ص ١٠٨٢.

٦ ـ ترجمة محمد أسد ، طبعة ١٩٨١م ، ص ٦٢٨، ٤٥٢، ٤٥٣ .

٧ ـ ترجمة محمد ظفر خان ، طبعة ١٩٩١م ، ص ٥٦٢ .

٨ ـ الزمخشري ـ الكشاف ، جـ ٤ ، ص ٣٦٧ .

٩ ـ محمد نسيب الرفاعي ـ تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير جـ ٤، ص٣٦١.

١٠ ـ ترجمة آربري ، طبعة ١٩٩١، ص ١٦١ .

١١ ـ ترجمة داود ، طبعة ١٩٩٠م ، ص ٢٩.

١٢ ـ ترجمة محمد ظفر خان ، طبعة ١٩٩١م، ص ٦٢٤ ، ٩١٦.

١٣ ـ ترجمة آربري ، طبعة ١٩٩١م، ص ١٩.

١٤ ـ ترجمة آربري ، طبعة ١٩٩١م، ص ٢٧٠.

١٥ ـ ترجمة آربري ، طبعة ١٩٩١م، ص ٤١١ .

١٦ ـ ترجمة داود ، طبعة ١٩٩٠م ، ص ٢١٤ .

الثقة بالنفس

● محمد العبدة ●



إن من أخطر الأشياء على الإنسان أن يفقد الثقة بنفسه، فلا يرى أنه أهل للقيام بالأعمال الكبيرة، أو أن عنده القدرة على التغيير، وبعض الناس قد يسير خطوات صحيحة وقوية، ثم يتوقف فلا يتابع الطريق ، خوفًا من النتائج أو خوفًا من المستقبل ، فهو يشعر أنه حُمِّل أكثر مما يقدر على حمله ، ويرى الطريق شاقًا فينكص للوراء عائداً إلى موقعه الأول ، آمناً في سربه، وفي الغالب، فإن هذا الخوف وهم من الأوهام وليس حقيقة، كما قال الشاعر :

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى ... وما الأمن إلا مارآه الفتى أمنا

ومثل هذا إذا واجه صعوبات أو مشكلات فإنه يواجهها بعزيمة مسترخية وهمة مستخذية، بل هو أقرب إلى أن يقول : ﴿إن بيوتنا عورة﴾ وقد قص علينا القرآن قصة يوسف (عليه الصلاة والسلام) ، وكان بإمكانه أن يستريح بعد السجن من العناء ، ولكنه قال : ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾؛ لأنه يريد أن يقدم خدمة للدعوة .

وهذه الحالة كما أنها تعتري الفرد ، فإنها تعتري الهيئات أيضاً ففي حديثه عن جمعية علماء المسلمين في الجزائر ، قال المفكر الجزائري مالك بن نبي : لقد وصلوا إلى القمة عام ١٩٣٦م، ولكنهم كانوا كمن

ينظر في هذه القمة إلى أسفل الوادي؛ فأصابهم (الدوار)؛ ووقعوا في الفخ الذي نصبه لهم أهل السياسة عندما شاركوهم في الانتخابات والمفاوضات. إنهم كما قيل ينهزمون وهم في قمة النصر! .

إن من أكبر أسباب هذا الخوف التربية التي يتلقاها الإنسان في طفولته ونشأته ؛ تربية أدخلت في روعه القبول بالقليل والبعد عن الأخطاء ، وحب الاطمئنان ، تربية لم تعلمه المغامرة المدروسة أو اقتحام الأهوال ، وأدخلت في روعه أنه رجل (النصف) فهو نصف متعلم، ونصف متحضر، ونصف (حامل رسالة)، وهو دائماً معلّق، يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، قد تكون هذه التربية من والديه ، أو من المدرسة، وبشكل عام فهي من البيئة التي غذته بهذا الشعور، ولم يتلق أبداً تربية تضع أمامه (المثال) والقدوة والنظر إلى زعماء التجديد والإصلاح، وأن أعظم مهمة يقوم بها المسلم هي دعوة الخلق إلى الله، وإرجاع المجتمع إلى حظيرة الإسلام ، ولا أعتقد أنه من السهل إصلاح مثل هؤلاء (المترددين) فالأمل فيهم ضعيف ، لأن المهام العظيمة تحتاج إلى رجال (الفطرة) وليس إلى رجال (القلة) « والذي اعتاد أن يشعر في مضمار العمل بالخوف والتهيب، والذي يصعب عليه جداً الإقدام على أمر عظيم، ذاك إنسان قد تعود أسوأ العادات، وقيد بأردأ القيود التي تحول بينه وبين الاستفادة مما وهبه الله من قوى وطاقات»[1] .

---

(١) د. محمد أمين المصري : المسؤولية ص ٣٠ .

المخاض.. وأنة شوق

قراءة في نصين شعريين

بقلم:
د. حسين علي محمد

قبل أن أبدأ في قراءة العددين (٩٣) و(٩٤) من مجلة « البيان » الزاهرة ، عن شهري جمادى الأولى ، وجمادى الآخرة ١٤١٦هـ أحيي القائمين على أمر المجلة وملفها الأدبي وأدعو لهم بالصمود والاستمرار على ثغر من ثغور الإسلام ، لينشروا لنا الإبداع الأدبي « النظيف » الذي لا يسمم آبار الوجدان ، بل يرقى بالنفس ويدفعها إلى التسامى عن أوضار كثيرة ينشرها في الناس أدب يناهض وجدان الأمة ويقف بالنشء على شفا هاوية لامنجاة منها إلا بالاعتصام بالله ، ثم نشر الإبداع الإسلامي الجاد رؤية وأداءً.

بعد هذه المقدمة أقول إنني سأكتفي بالوقوف أمام نصين هما : « المخاض» للشاعر تركي المالكي ، و« أنَّة شوق » للشاعر محمد إدريس ؛ لأن الوقفة قد تطول مع النصين ، فلا تتسع صفحات « الملحق الأدبي » للتناول النقدي لمواد « البيان ». ونشير هنا بالتقدير إلى دراسة الأستاذ محمد حسن بريغش عن « نجيب الكيلاني » رائد القصة الإسلامية المعاصرة » التي استمتعت بقراءتها ، و« قراءة » الدكتور حسن بن فهد الهويمل ، وما أشد حاجة الساحة النقدية للأدب الإسلامي إلى نقد الأستاذين الفاضلين، فبارك الله في جهدهما ، وفي جهادهما في هذا المجال .

البيان الأدبي

■ **المخاض : لتركي المالكي :**

« المخاض » هو وجع الولادة ، وهو الطلق المبشِّر بالميلاد . وهل هو ميلاد جديد ، أم ميلاد مثخن بالجراح ؟ يقولُ تركي المالكي في مطلع نصِّه :

أَمُورُ على نطع الأسئلهْ[١]

من البداية نرى أننا أمام شاعر تعذبه أسئلته وأطروحاته ، ونعرف أنه يتعذب من استخدامه لكلمتي « أمُور» و « نطع » ففي « المنجد » : « مار يمور موراً البحر : إذا ماج واضطرب ، و مارَ الدم على الأرض : جرى فتردّد عرضا ، ومار الشيء : تحرك كثيراً وبسرعة من جهة إلى أخرى ، ومن هذه إلى تلك كالسهم إذا انتشب في الشجرة »[٢] و« النطع» جمع أنطاع ونطوع : بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس »[٣] .

فما الذي يجعل شاعرنا يتعذب ، ويضطرب ؟ هل هي أسئلته التي يشير إليها، أو بتعبير آخر « خطابه الشعري » أو أطروحاته المغايرة للسائد ؟

لو رجعنا إلى بعض مانشره في « البيان » من قَبْل (فهو ليس له ديوان مطبوع حتى الآن) لوجدنا بعضاً من طرحه الشعري المغاير ؛ فقد نشر قبل خمسة وعشرين شهراً قصيدة بعنوان « نجمة الاعتصام » نرى فيها شاعراً غاضباً، يستعير قناع « حكيم القبيلة » أو « حادي القافلة » ويسخر من المشهد المحيط بنا[٤] ، إنه يرى مشهد قومه فيتأمله :

رَقَص الحبْلُ بالراقصينْ
بعد دبكتهمْ نصَف قرنٍ علَيهْ
فانهمرْ ياسَلاَمْ
« عارضٌ ممطرٌ »
وانتثر ياشَرَرْ

ياسعادتهم بالمطرْ (٥)

لاتتعجب ، فهذا الذي يرقصون عليه ليس سُلّماً ! وإنما هو « حَبْل » الحبل مراوغ ، والسلم أكثر ثباتاً منه ! وهذا « السلام » الذي سينهمر كالمطر ، هو في رؤية شاعرنا « سلام مراوغ » كرقصة « الدبْكة » فوق الحبال ! هو لو يعلمون شرر لنيران تتأجج ، وستحرق ولن تبقي ولن تَذَرْ .

ولاينسى الشاعر أنه سليل الفاتحين العظام الذين ينتمون للطهر ، والورود ، والجمر ، وشمس النهار ، وأفق الحياة ، فيزرع فينا الأمل ويبعد عنا اليأس :

.. إني أرى - رغم هذا الظلام !-
في عروقي دَمَ الفاتحينْ
يتدفقُ بالطهر كالورد ، كالجمرِ ..
يَسْقي جذوعَ الكَلِمْ !
هو مابينها يضطرِمْ !
وهي تمنحه نبضها
وتُهمِّشُ فيه العدمْ
ثم تزرعُ من لونه الأرجوانيِّ شمسَ النهارِ
وأفْقَ الحياة وشوقَ القممْ (٦)

ويجأر إلى الله في نهاية القصيدة أن يرزقه الشهادة ، وأن يكون لظى تحرق تاريخ فاقدي الوعي ، المُدَجَّنين ، الذين يمدون يد الصداقة نحو ذابحيهم (٧) .



وفي النصِ الجديد « المخاض » نرى امتداداً لنص « نجمة الاعتصام » وكأنه إكمال شعري له، إنه « يمور على نطع الأسئلة ، يعذبه خطابه الشعري المخالف للسائد . فهل تورده أسئلتُه موارد التهلكة ؟!

إنه لايتوقف أمام مايتهدده من عذاب ، وإنما يكسر الصمت ومَنْ أسدله . من « الكسر » نعرف عمق رغبته في التخطي والتجاوز ، ومن « أسدله » نكتشف كيف كان الصمت كاسراً ، وكيف جرؤ النص على الكسر / لا التحطيم وها هو يحلم بـ « أطايب الغيمة المثقلة » بالوعود الخضر، وسماء الرؤى المقبلة .. ويرى أن دمه هو الذي يفتح أول الطريق .

وكأن نهاية القصيدة هنا تُكمل نهاية َقصيدة « نجمة الاعتصام » وتُثْريها، فهو هنا يقول :

ومن مهجتي أُوقد الشعرَ لَهْ

وأرقب دوري إلى المقصلةْ

ولكنَّ جمرى الذي مَازَجَتْهُ المواجعُ ..

إذْ أسرجتْهُ « البصائرُ » ..

يومًا سيحصُدُ من كَبَّلَهْ (٨)

فقد تحدد الدرب أمام السالك ، وأصبح المأمول حقيقة . فقد كان مطلبه في نهاية « نجمة الاعتصام » :

فيارب لاتجعل حياتي مهينةً ... ولاميتتي بين النساء النوائحِ

ولكن شهيداً تدرجُ الطيرُ حولَه ... وتأكلُ غربانُ الفلا من جوانحي

ويارب ٌ لاتجعلْ من القيد معصمًا ... أجُرُّ به خزيي! وتُطوى مطامحي!

ولكنْ لظىً يغلي ليدفنَ تحتَه ... تواريخَ مَنْ مدُّوا يداً نحوَ ذابحي(٩)

لقد تَحددَّ الطلب ، وأصبح المطلب الفردي رغبةً جماعية يُسرجها أهلُ (البصائر) في هذا الظلام الدامس .

وهذه القصيدة « المخاض » أقرب إلى الرؤى الفكرية ، التي تمور بالفكر ، فهي أقرب إلى الومضة الشعرية ، أو الدفقة الشعرية الحارة التي تخاطب العقل . كما كان يخاطبه الكلاسيكيون وشعراء مدرسة « الديوان » بينما كانت قصيدته « نجمة

الاعتصام » متوهجة بالشعر الوجداني الخالص ، الذي يكشف أغوار النفس ، ويضيء زواياها المعتمة ، وقد أصاب الترهلُ والسقوطُ « الواقعَ » باليأس من الجهاد (إنه في القصيدة رقص وليس جهاداً) فهم هرولوا نحو العدو .

وعلى أية حال ، فتجربة تركي المالكي من التجارب الثرية في الشعر الإسلامي المعاصر ، وتحتاج إلى المتابعة والنقد .

■ **أنَّةُ شوق : لمحمد إدريس :**

قصيدة محمد إدريس « أنَّةُ شوق » تطلعنا على شاعر مكتمل الأدوات، ينتظره مستقبل في عالم الشعر ، ومن مطلع قصيدته ـ التي تقع في تسعة أبيات ـ نعرف أن شاعرنا مجدد يخوض تجربة جديدة في العروض العربي :

ربما الصَّمْتُ مناجاةُ غريبٍ وحبيبٍ لحبيبْ
أخرس البَيْنُ صداها، فتوارتْ في الفؤاد(١٠)

فهذا النص يتخذ من « بحر الرمل » إطاراً موسيقياً ، لكنه يزيد تفعليةفمن المعروف أن « بحر الرمل » ست تفعيلات .

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن . . . فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

لكن شاعرنا هنا يزيد تفعيلة كاملة، فيصير الوزن عنده :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن
فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

ويصيب التفعيلة الأخيرة في الضرب والقافية بعض التغيرات .

كأن تصير فَعِلاتُ ، أو فاعِلن ، أو فَعِلن . هذا معروف في موسيقي بحر الرمل (١٢) لكن مايؤخذ على شاعرنا محمد إدريس أن أعاريض(١٣) أبياته لاتسير على وزن واحد فإذا أخذنا الأبيات الثلاثة نموذجًا وهي تقول :

ربما الصمـــتُ مناجـاة حبيبٍ لحبيـبْ
أخرس البَينُ صداها ، فتوارتْ في الفـؤاد



رُبَّما الشوقُ جراحاتٌ تنزَّى في الحنايـا

أوهتِ الروح، فراحتْ تَتَلظَّى في البعاد

لاتلمني ياخلـي البال تلهـــو ســادراً

إن بدت مني دموع ، وشرود في ازدياد

فأعاريض الأبيات الثلاثة تأتي على أوزان (فَعِلانْ ـ فاعلاتن ـ فاعلن) أما أضْرُبُهُ فتسير على وزن « فاعلاتن » (ولا أدري لماذا لم يكسر الدال ، فكل القصيدة تنتهي بالدال المسكورة) .

وهذه القصيدة تجربة تجديدية جيدة تحسب للشاعر ، وترينا أن إمكانات الموسيقى في الشعر العربي وافرة ، وهي تنتظر من يكتشفها من خلال تجاربه الشعورية والوجدانية ليُثري بها ديوان الشعر العربي .

والله من وراء القصد .

---

(١) تركي المالكي : المخاض ، مجلة « البيان » العدد (٩٤) ، جمادى الآخرة ١٤١٦هـ ، ص ٥٩ .

(٢) المنجد ، ط ٣٣ ، دار المشرق ، بيروت ١٩٩٢، ص ٧٧٩

(٣) السابق ، ص ٨١٦ .

(٤) السخرية نادرة في الشعرالعربي ، فهل يقبض تركي على هذه الجمرة ؟ وهل يتحمل القبض على الجمرتين: الشعر ، والسخرية ـ معا ؟

(٥) تركي المالكي : نجمة الاعتصام ، مجلة « البيان » العدد (٦٩) جمادى الأولى ١٤١٤هـ ، ص ٣٨ .

(٦) السابق ، ص ٤١ .

(٧) لنا دراسة نتناول فيها « نجمة الاعتصام » لما تنشر بعد .

(٨) تركي المالكي : المخاض ، مصدر سابق ، ص ٥٩ .

(٩) تركي المالكي :نجمة الاعتصام ، مصدر سابق .

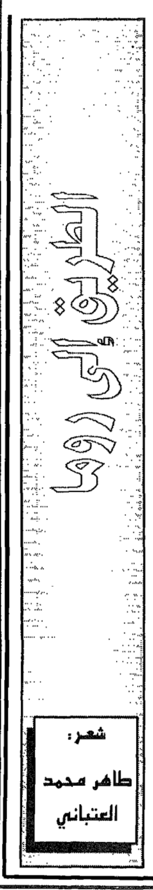
(١٠) محمد إدريس : أنَّة شوق ، مجلة « البيان » العدد (٩٣) جمادى الأولى ١٤١٦هـ ، ص ٥٨ .

(١١) انظر مثلا كتاب د . محمد علي الهاشمي : « العروض الواضح وعلم القافية » ط١، دار العلم دمشق ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١، ص ٨٩فما بعدها .

(١٢) العروض : آخر تفعيلة من الصدر .



دمي يتسرَّبُ في الأرضِ ..
يُعْلِنُ عشق الورودْ
وزينبُ تعرفني حين يهطل هذا الدمُ...
المستهام الفريدْ
دمي يتسرَّبُ في الأرضِ ...
يغذو عناقيدها، ويزفُّ القصيدْ
«وزينبُ»تبصرني
حين مرَّ الشهيدُ على جَفْنها...
في صلاة التهجُّد عندالسُّجودْ
دمي يتسرَّب في الأرضِ...
يكتب بعض الحروف التي...
سوف يطلع منها الربيع الوليدْ
وزينبُ تهتفُ بي أنْ: تقدَّمْ
دماؤك عنقودُ ضَوْءٍ...
وذكرى صلاةٍ،وخفقُ سجودْ
دماؤكَ...
لايعرف الخانعونَ بأن الذي...
أهْرقوهُ سيطلع من كل صوبٍ...،
ويزهِرُ في كل عيدْ
دماؤكَ...
لايعرف الميّتونَ بأن الحياة..
التي غرسوا ـ حينما قتلوكَ ـ!..
ستقتلهمْ



وزينبُ تهتفُ بي أن :هلمَّ...،
على ساحة النور للحق خطوٌ ...
وللفَجْرِ أنشودةٌ تُستعادْ ! ..
وأنت الذي سيعيدْ
وأنت الذي سيعيدُ إلى الأرض فَرحتها
حينما يلتقي ذا الشجى بالشجى
والغريبُ المصفّدُ في قيدِه ...
بانفساحِ الوجودْ !
جناحاكَ طِرْ بهما حيث شئتَ ...
ورَفْرِفْ كَماشئتَ ...
ها أنتَ حُرٌّ وهاهم عبيدْ !!
وزينبُ تهتف بي : إن روما التي عشقتْكْ
تظلُّ على لهف الانتظار...
فتطفرُ في مقلتيْها الدموعُ ..
ويصْهَلُ في وجْنتيها النشيدْ !
وروما التي عَشقَتْكْ ...
ترفْرِفُ في شفتيْها النبوءَةُ ...
تعرف أنَّك فارسُها المُرْتَجى،
وفتاها المجيدْ
وروما التي عشقَتْكْ ...
على صَدْرها ... يتوهَّجُ عِطْرٌ ...
أعدَّتْهُ من زَمنٍ ، خبَّأتْهُ بصندوقها
للحبيب الوحيْدْ!

---

* ننشر هنا مقطعاً من قصيدة طويلة بهذا العنوان ، منع من نشرها كاملة ضيقُ المساحة، والرغبةُ في إتاحة الفرصة لأكثر من نص شعري، مع اعتذارنا للشاعر الكريم، وتمنياتنا لنصوصه الجميلة أن يجمعها ديوانه المنتظر .

ـ التحرير الأدبي ـ

خيوط الفجر

بقلم :
محمد علي البدوي

جسر قديم ممتد بين « جوارزدي » و« سربنيتشا »، أعمدة إنارة تحتضر على جانبي الجسر، الشفق يؤذن باقتراب الليل ، والليل يبدأ الزحف الصامت على الكون، والسماء تلبس ثوب الحداد ، نهر صغير يجري تحت الجسر، رائحة الجثث الملقاة في النهر تزكم الأنوف ، وقع أقدام مترهلة ، شبح قادم، أنفاس متتابعة ، كان رجلٌ شاحب الوجه ، رث الثياب ، حافي القدمين ، قادماً من أتون الحرب المستعرة، وكان يتمتم :

اللعنة عليهم .. قتلة .. كلاب شوارع ضالة .

وتوقف أخيراً ، وهدأت أنفاسه المضطربة ، كان « محمد لاتيش » يلقي النظرة الأخيرة على أنقاض قريته التي تحتضر بعد أن اجتاحتها علوج الصرب ، يعانق بناظريه أطلال القرية المنكوبة، الدموع تنهمر من عينيه بغزارة ، وقد تسمر على ذلك الجسر المتهالك يسترجع شريط ذكرياته المرة .

القرية الصغيرة الوادعة القابعة خلف التلال البعيدة ، الطرق الضيقة ، الأبنية المتلاصقة القابعة خلف التلال الخضراء والمروج الغنية بالعشب الجبلي ، الرجال في الحقول ، والنساء في البيوت و « محمد لاتيش » إمام المسجد ، الشاب المحبوب الذي عاد مؤخراً من الأزهر، وعين إماماً لمسجد القرية ، الجميع هنا يحترمونه ويقدرونه فهو الشيخ « لاتيش » مدرس القرآن في المدرسة الوحيدة في القرية، وشيخ حلقات القرآن في المسجد ، وهو أب لطفله الصغير « علي » وقد أسماه تيمناً باسم رئيس الجمهورية،



فالجميع هنا يحب الرئيس، ويلقبونه بالشيخ، ويدينون له بالولاء والطاعة .. سحب السعادة تعبر سماء القرية، والشمس الساطعة تمنحهم دفء الأخوة ..

الدموع تنهمر من عينيه بغزارة ، وهو يتقدم على الجسر خطوات ، والليل يشق سواده ، وأصوات هدير الرصاص ، ودويٌّ المدافع يشق صمت المكان ، والذكريات المرة تتجمع في ذاكرته ، والأفكار تنداح في مخيلته، كما ينداح حجر الرحى ، وهو يحدق في بقايا القرية ، يستعيد الذكريات :

« سماء القرية ملبدة بالغيوم ، حبلى بالقلق والمجهول ، ريح عاتية تنذر بالعاصفة القادمة ، والأخبار تفيد : أن العاصمة « سراييفو » محاصرة ، فالحرب التي بدأت منذ شهور ، أصبحت حديث القرية، و« محمد لاتيش » يدعو الناس إلى التماسك وتوحيد الجهود، ويدعوهم إلى الجهاد والدفاع عن البلاد ، ويرغبهم في الموت من أجل الله ، وهو يشرف على حملات التطوع ، ويقيم مراكز التدريب ، ويردد آيات الأنفال .. وفي ذات يوم !! وقبل غروب الشمس، خلف الجبال الصامتة، وعندما كان الناس في طريق العودة إلى منازلهم، بدأت هدايا الصرب تنهال على القرية من كل مكان ، والمدافع تنفث سمها الملتهب على الجميع، فالصرب قد هاجموا القرية ، وبدأت الأشلاء تتناثر ، وسالت الدماء تروي أرض القرية، وتنبت شجرة الكرامة، والرجال يقاومون وقوافل الشهداء تسير ، ولكن الطوفان كان قوياً فاجتاح القرية ..

رياح خفيفة تحرك الجسر ، وصور المأساة لم تفارق ذاكرته بعد .. زوجته وابنه عندما انهدم عليهما البيت .. أطفال القرية وهم يستنجدون .. الرجال وهم صرعى مجندلون على ثرى القرية ، كل ذلك كان « لاتيش » يشاهده من تحت أنقاض المسجد بعد أن انهدم عليه وهو يخطب في القوم ويحدوهم إلى الله ، وظن الجميع أن « لاتيش » قد مات ..

أصوات أهالي القرية لاتزال عالقةً بذاكرته، وهو يغادر الجسر، والليل يشتد سواده ، والفجر ينسج خيوطه على الكون «ولاتيش » يرقب طلوع الفجر باهتمام ، وابتسامة ترتسم على ثغره برغم فصول المأساة، وبزغ الفجر أخيراً ، كان « محمد لاتيش » قد توارى بعيداً ولم يزل صوته مسموعاً، وصداه يملأ المكان:

صبراً « سراييفوا » إن بعد الليل فجـراً

صبراً « سراييفوا » إن بعد العسر يسراً

الحضارة الظالمة

فـتنٌ تمـضـي وتـأتـي فـتنٌ والبـرايا مـزّقـتـهـا المحنُ

وحـديث الإفك مـا أعظمـهُ! مـاتت الروح وتـاه البـدنُ

و(حـمـاةُ الحق) مـا أعـجـبـهم يدّعـون الصـدق !! مـا أكـذبهم

يقـتلون الطهـر في مـضـجـعـه ويـوارون بـه أدمـعَـهـم!

يدعـون العـدل مـا بين الأنامْ جـثث القـتلى من الظلم ركـامْ

يدعـمـون الظلم بالليل وإنْ أشـرق الصـبح تنادوا للسـلام !!

هامت الأرواحُ في وادي العـذاب نبـتُـهُ شـوكٌ .. ونارٌ .. وحـرابْ

وسـعـيـد الحظ في عـالمهم من بنى منزلَه تحت التـرابْ!!

يا حـضـارات الريا والكذبِ يا حـضـارات العنا والنّصبِ

يُقْـتَلُ الأحـرارُ فـيـهـا غـيلةً عجبي من ظلمـهـا واعـجـبي..!!

البيان الأدبي

شعر

عبد الرزاق بن حمود الزهراني

إيه يا قنديلُ أضنتك الرياحْ   وحمانا للبرايا مستباحْ

وإذا همّ بقولٍ منصفٌ   ماجت الأرضُ صياحًا .. ونباحْ!!

أنجب التاريخُ عصرًا أحمقا   شرّه منتشرٌ ... لا يُتقى

قُتل الإنسانُ في أحشائه   وسَما الشيطان فيه وارتقى

ليس لليأسِ إلى قلبي سبيلْ   وأرى الكون ـ وإن ضلّ ـ جميلْ

وأرى الناسَ على أحقادهم   يطلبون العدلَ للظلمِ بديلْ

أملي في الله رب العالمين   خالق الإنسان من ماءٍ وطينْ

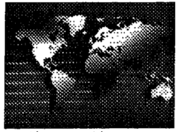
أن نرى الإسلام في فتح جديد   يغمر العالم نوراً ويقينْ..

اتفـاق دايتـون

أي سلم هذا الذي ينشدونه ؟!

بينما غطت احتفالات اتفاق دايتون الأفق ، كانت الولايات المتحدة ترسل رسالة واضحـة إلى العـالم عن طبيـعـة هذاالاتـفـاق وظروف ولادته . . . لقد اصطفت طاولات العشاء الذي أُجري في مرآب للطائرات في قاعدة دايتون الجوية ، وكان على الضيوف أن يحتفلوا في قارب حشرت فيه طائرات من نوع إف ـ ١٥، وإف ـ١٦ وطائرات «الشـبـح» وغـيـرها من صـواريخ جو / أرض، وجو / جو في رسالة واضحة لايمكن أن تفوت على لبيب .

لقد كان مضمون الاتفاق سيئًا بما فيه الكفاية ، وبالرغم من الضغط الأمريكي القوي (على الجانب البوسني بالخصوص) وقرقعة السلاح وإغراء المساعدات، فإن المراقبين على شتى اتجاهاتهم لم يعتبروه أكثر من مجرد هدنة مؤقتة أو شريط إعلاني لتلميع رئاسة كلنتون وتصويره على أنه صانع السلام.


المسلمون والعالم

■ **جمهورية «سقط المتاع» :**

مجلـة النيوزويـك الأمريكيـة اختارت هـذا الاسـم لجمهورية البوسنـة «الورقيـة» التي شـهـدت ولادتـها في دايتون ، يقـول المحلل البريطاني نويل مالكوم ـ الذي سخر من تعليق أحد أعضاء الوفد الأمريكي على الاتفاق بأنه ولَّد أعظم وأعقد دستور في العـالم لدولة حديثة ـ: «هل تظل هذه الدولة دولة فعلاً ؟ [ويضيف] سوف تتكون البوسنة والهرسك من كيانين هما : جـمـهـورية الصـرب والاتحـاد المسلم / الكرواتي، وسوف يكون لكل منهـمـا

بقلم : عبد الله عمر سلطان



حكومته وبرلمانه وشرطته وجيشه ، وسيكون كل منهما مسؤولاً ضمن أراضيه عن القوانين المتعلقة بمسائل مثل : أجهزة الإعلام والتعليم، وسيكون لكل منهما الحق في إقامة « علاقات موازية » مع الدول المجاورة، وسيكون لكل منهما الحق في فرض الضرائب ، وسيتمتع كل من الكيانين بالسلطات المنوطة بحكومات الدول الفعلية باستثناء قائمة قصيرة من المسائل التي أنيطت بالحكومة المركزية .

حيث سيكون هناك برلمان بوسني ومجلس للوزراء ورئاسة من ثلاثة أشخاص .

وإذا ما أزلنا المهام العملية العادية مثل إدارة الحركة الجوية من القائمة، فلن يتبقى سوى قائمة مختصرة جداً تحتوي على السياسة الخارجية والسياسة النقدية والجمارك والهجرة، فهل تكفي هذه السلطات ـ في غياب كل السلطات الأخرى التي تمارسها الدول الحقيقية ـ للإبقاء على البوسنة حية؟!

ولكن المشكلات تذهب إلى أبعد من ذلك ؛ فعلى الرغم من أن المؤسسات المركزية للدولة البوسنية قد تملك الحق ـ وفق اتفاقية دايتون ـ في معالجة هذه المسائل القليلة، إلا أنها قد تفتقر إلى القدرة على ذلك ؛ ولهذا السبب تم إدخال كثير من العوائق والضمانات في هذه الآلية، بحيث يسهل على أي فئة أن تجمد العملية برمتها .

إذن لماذا حرصت أمريكا على تمرير الاتفاق والمخاطرة بحياة عشرين ألف جندي أمريكي من أصحاب الدماء الزرقاء؟؟

الجواب يتشكل من جزأين : جزء يتعلق بالنتائج السريعة المتمثلة في مصلحة الإدارة الأمريكية لتصوير نفسها على أنها صاحبة السلام وصانعته لاسيما في عز الموسم الانتخابي ، كما يؤكد على حقيقة الدورالأمريكي وأهميته في حل المشكلات الدولية وأنها صاحبة الشأن في تسيير الملفات الساخنة في الوقت الذي تبدو فيه أوروبا عملاقًا اقتصاديًا وقزمًا سياسيًا، ويتأكد ذلك حينما نتأمل الاتفاق ونخرج منه بنتائج حاسمة ومنطقية تقول: إنه أقل إنصافًا للمسلمين من الحلول الأوروبية السابقة التي طالما رفضتها أمريكا بحجة أنها تكافئ المعتدي وتظلم الضحية !!

فاتفاق دايتون هو محصلة لخطط كارينجتون وأوين وإخوانهما من دهاقنة السياسة الأوروبيين .

أما في الجانب الاستراتيجي فيأتي تدخل أوروبا لسببين مهمين: أحدهما متوسط المدى، ويتمثل في إنقاذ حلف الأطلنطي وبعث الحياة فيه لاسيما في المواجهات المقبلة مع العدو الإسلامي، كما صار واضحًا ... فالحلف يمثل التزامًا بالأمن الجماعي أمام الأخطار الشرقية (الشيوعية سابقًا) أو الجنوبية « دول العالم الإسلامي » فالحلف أثبت أنه الأداة المثلى للحفاظ على الأمن الأمريكي المرتبط بالاستقرار في أوروبا، كما اتضح خلال الحربين العالميتين ، ولاشك أن ضياع هيبة الحلف يمثل ضياعًا لاستثمار أمني وسياسي عمره يزيد عن النصف قرن ..

أما العامل الثاني فهو استثمار القيادة الأمريكية للحلف على المدى البعيد، حيث إن أمريكا ترى في دولة يحكمها المسلمون في أوروبا ذريعة وفرصة



لاستمرار نفوذها في القارة القديمة من خلال الناتو، في الوقت الذي تتوجس فيه أوروبا على تناقضاتها القومية من احتمال نمو تيار إسلامي في البلقان ، يمكن أن يمتد ـ لا عن طريق الحرب هذه المرة، وإنما ثقافيًا وحضاريًا ـ إلى أوروبا الغربية، المسيحية .

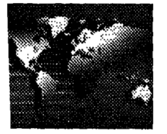
فالبوسنة حسب الاتفاق ، دولة علمانية أوروبية ديمقراطية غربية الطابع، والمسلمون فيها ـ على الرغم من كونهم الأكثرية المطلقة ٥٠٪ ـ يملكون ولا يحكمون .

فالاتفاق ينص على دستورية مبدأ الفيدرالية بين المسلمين والكروات في نصف الجمهورية المحاذي لكرواتيا !!! ومبدأ الكونفدرالية بين هؤلاء والصرب في النصف الآخر من البلاد المحاذي لصربيا، فأين هو الوجود الإسلامي في هذه الدولة ؟ وأين هو حق الأكثرية المسلمة في النظام الديمقراطي؟

أما العاصمة «سراييفو» فقد تركها الاتفاق موحدة إرضاءً للمسلمين ، ولكنه بالفعل قسمها إلى تسعة قطاعات منسجمة قوميًا ، كل قطاع له لغته الرسمية، ونطاقه التعليمي ، ومناسباته الخاصة ، حيث ينتخب سكان كل قطاع ممثليهم في المجلس البلدي للمدينة ، الذي ينتخب بدوره عمدة للمدينة وثلاثة نواب له (مسلم وكرواتي وصربي) ، ليرأس كل منهم المجلس لمدة سنة بالتناوب .

وإذا كان موضوع إبقاء سراييفو موحدة نزولاً عند رغبة المسلمين ، فأين هو التأثير الإسلامي في العاصمة ذات الأكثرية المسلمة الساحقة؟

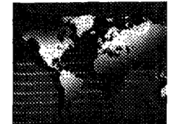
واتفاق دايتون وإن أوقف حمامات الدم في البلقان لبضع سنوات أو أقل فإنه قد أعاد البريق للزعامة الأمريكية وأعطاها نفوذًا متجددًا في القارة



القديمة وحوض المتوسط، ولن يغير مؤتمر برشلونة لدول المتوسط من ذلك شيء مهما كانت درجة نجاحه».

■ **مستقبل الاتفاق :**

بين مستقبل الاتفاق يطل ماضي التطهير العرقي الذي تتضح صورته يومًا بعد يوم، ويظهر العالم عاريًا من كل المشاعر الإنسانية حيث نرى تواطؤ القوى الدولية مع الصرب والكروات في ارتكاب جرائمهم ... لقد أشعل المسؤولون العسكريون لحلف الناتو ـ بما فيهم رئيس الأركان الأمريكي ـ الرأي العام بالحديث عن خطورة « المجاهدين » في البوسنة وضرورة ترحيلهم بالرغم من عدم ثبوت ارتكابهم لجريمة واحدة، بينما يظل المجرمون الحقيقيون يمارسون أدوارهم القذرة بالرغم من إدانتهم من قبل المحاكم والحكومات الغربية بارتكاب أبشع المجازر البشرية .. والسؤال : هل كان التركيز على المجاهدين ستارًا لإخفاء العلاقة المشبوهة بين عرابيِّ دايتون وجزاري صربيا .. ؟



سؤال يحاول هذا التقرير الإجابة عليه ... « تقول مختلف الروايات التي أوردتها وسائل الإعلام الدولية نقلاً عن شهادات « الخوذ الزرقاء» الهولنديين، إن « راتكو ملاديتش» (القائد العام لقوات صرب البوسنة) قد استدعى عشية ١١ يوليو ١٩٩٥، ضباط الفيلق الهولندي المكلفين بحماية سربرينتشا ، وذلك في قاعة أحد الفنادق الواقع في محيط المدينة المحاصرة منذ أكثر من سنتين ، ووضعهم داخل إحدى القاعات التي علق فيها خنزير من أرجله الخلفية ، وأمر أحد الجنود فذبحه أمام الملأ ، فنفرت الدماء من رقبة الخنزير الذبيح في جميع الاتجاهات ، وهنا استدار ملاديتش إلى « ضيوفه » المشدوهين من « حفاوة» هذا الاستقبال، وقال لهم بالحرف : « بهذه الطريقة سنعامل كل أولئك الذين سيضعون أنفسهم تحت حماية جنود (الخوذات الزرقاء!) » .



وراح (ملاديتش) يستكمل بسادية متوحشة في سربرينتشا ما بدأه في مقاطعات بوسنية أخرى طيلة السنوات الثلاث الماضية من عمليات « تطهير عرقي » وديني رهيبة ، أصاب فيها البشر والحجر ، ومس المقدسات وداس المحرمات ، لكن هذه المرة بشكل شامل ، كبير المدى والاتساع ، لقد وضع بين يديه حياة مايفوق أربعين ألف بوسني بالإضافة إلى ما قام به مجرمو الصرب من مذابح وما عمل من أخاديد دفن فيها ألوف من المسلمين العزل .

إن المعلومات الاستخباراتية الأمريكية سربت هذه المعلومات وقت المحادثات وهي تثبت التورط الحقيقي لذلك الجنرال الفاشي الصربي راتكو ملاديتش وزعيمه السياسي رادوفان كاراديتش ، إنما كان بقصد الضغط غير المباشر على زعيم بلغراد، الذي لا يقل فاشية عن صنيعته، أي سلوبودان ميلوسيفتش ، وذلك حتى تلين قناته في محادثات دايتون التي تمت تحت الرعاية الأمريكية ، ومن جهة أخرى يبدو أن أمريكا كانت متخوفة من أن تتهم بإخفاء معلومات في قضية مذابح سربرينتشا، لاسيما وأن عملية «استجواب» ضباط الفيلق الهولندي العامل في سربرينتشا تحت المظلة الأممية، وهو الذي عاش أفراده مختلف الوقائع الفظيعة لعملية التصفية العرقية التي مارسها الجنرال ملاديتش، ستعلن على الملأ .

والتساؤل الذي بات يطرحه مختلف المهتمين بالقضية البوسنية اليوم ، هو: لماذا تخلفت أمريكا في تقديم كل الوثائق المورطة لملاديتش وزبانيته كل هذه المدة؟

الظاهر هو : أن واشنطن لم ترد أن تنفجر في وجهها قضية مذابح سربرينتشا ضد المسلمين ، ومذابح كرايينا ضد السكان الصرب العزل، في الوقت الذي تقوم فيه برعاية محادثات سلام تعتبر مصيرية بالنسبة لمستقبل

منطقة البلقان كلها: ولذلك قامت إدارة البيت الأبيض بتفريغ جعبة المعلومات الخطيرة التي تمتلكها على دفعات صغيرة، وذلك لتخفيف الصدمة من جهة، وحتى لاتعطي الكونغرس الأمريكي مبرراً قوياً يدفع به إلى الموافقة على رفع حظر السلاح المضروب على البوسنة وأطراف الصراع الأخرى في البلقان، ومن جهة أخرى يعتقد أن تخلف أمريكا عن الإعلان عما تملكه من وثائق بخصوص مذابح سربرينتشا، كان مع زعيم كرواتيا فرانيو توجمان لمشروع الهجوم الخاطف على إقليم كرايينا الكرواتي، ولهذا انتظرت أمريكا المدة الكافية حتى يتسنى لها ولحليفها توجمان تنفيذ ذلك المخطط، وبعدها أصبح بالإمكان تسليم وثائق إدانة قادة صرب البوسنة إلى محكمة الجنايات الدولية.

ومن جهة أخرى يبدو أن تسليم هذه الوثائق في هذا الوقت بالذات، إنما قصد به الضغط على سلوبودان ميلوسيفتش، الزعيم الصربي المفاوض في دايتون، وذلك حتى يجبر على قبول أهم شروط مسودة السلام البلقانية تلك، أي منع قادة صرب البوسنة من تسلم أي مناصب سياسية في جمهورية البوسنة التي شرع في وضع ملامحها الأولى في دايتون.

■ حسابات الغرب الباردة:

إن كل هذه المبررات لايمكن أن تقنع أي أحد، وبالتالي فالتساؤلات ستبقى حول مسؤولية العالم الغربي وأمريكا بالذات عن مذابح شرق البوسنة التي راح ضحيتها عدة آلاف من المسلمين، حيث تركت السفاح الرهيب ملاديتش وجنوده يرتكبون المجازر ولم تتحرك لنجدتهم، وذلك عن سوء قصد وطوية، ومن أجل حسابات استراتيجية وتكتيكية باتت اليوم واضحة وبينة، لكن السؤال الذي سيبقى معلقًا هو: لماذا لم تحاول تلك الدول الكبرى الضغط على بلغراد وقيادة صرب البوسنة السياسية في باليه حتى يمكن إجلاء



سكان منطقة سربرينتشا وجيب (جيبا) المُسْلِمَين الموضُوعَين تحت الحماية الأممية، والأخطر من كل هذا: لماذا تم السكوت على تلك المجازر الرهيبة التي ذهب ضحيتها آلاف من مسلمي البوسنة؟

.. هذا هو ما في الاتفاق .. وتلك هي القواعد التي بني عليها. أما المستقبل فهو إفراز لهذا الماضي الكريه .. دعونا نستشهد بنوبل مالكوم مرة أخرى حيث يقول: ونحن نتطلع إلى رجالات دولنا وهم يرتشفون أنخابهم في جلسة التوقيع على المعاهدة في باريس يتعين علينا أن نسأل: أهذه هي الحصيلة التي يريدونها حقًا؟ والجواب الصحيح عن ذلك هو: أجل.

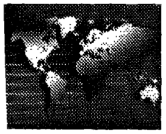
وبقي هذا الهدف السياسي الرئيس، وكانت المشكلة في كيفية تحقيقه مع المحافظة على الالتزام العلني بصيانة وحدة الدولة البوسنية.

وجاء الحل في اتفاق دايتون: إطار يضمن من الناحية النظرية المحافظة على البوسنة، ولكنه يؤدي خطوة خطوة، من الناحية العملية إلى تفكيكها. إنها دولة جرى تصميمها لكي تدمر نفسها، في تقسيم بالحركة البطيئة، وهو أقصى ما توصلت إليه النظرية التفكيكية في علم السياسة.

نعم ... إن البوسنة مقبلة على « حفلة دم مريعة طالما أن السادة في عواصم رعاية التطهير العرقي ماضون في خطتهم الشريرة، وطالما أن المسلمين مشتغلون في إزالة أثار همجية المجاهدين! وطالما إعلامهم يلاحق الجمعيات الخيرية ورجال العطاء القلائل الذين يرفضون أن تتحول البوسنة ومسلموها إلى « خنازير » تذبح من الوريد إلى الوريد.

وحسبنا الله ونعم الوكيل،،،

المسلمون



والعالم

زيارة البابا المتكررة لإفريقيا .. لماذا ؟

إن طبيعة التنصير في إفريقيا مختلفة عن طبيعة التنصير في المناطق الأخرى من العالم؛ وذلك لأن هذه القارة ـ وبخاصة جنوب الصحراء منها ـ من وجهة نظر الفاتيكان بمثابة مناطق خالصة للنصارى وحدهم، انطلاقاً من عوامل سيطرتهم على الحياة السياسية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية في كثير من البلدان هناك؛ وذلك لقدرتهم على تغيير ما يرونه غير متفق مع مصالحهم ومتعارض مع سياساتهم، ولاستطاعتهم وضع الخطط البديلة في الوقت المناسب، وذلك ما دعاهم إلى إطلاق شعار (تنصير إفريقيا عام ألفين)، ورصد لهذا الشعار أموالاً قدرت بخمسة مليارات تقريباً .

المسلمون



والعالم

مهرجان الاستقبال :

في السابع عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٩٥م كانت الاستعدادات لاستقبال بابا الفاتيكان قد اكتملت ، ومنها بناء منصة كبيرة في ساحة الاستقلال (إحدى الساحات المشهورة في مدينة نيروبي عاصمة كينيا التي تعقد فيها الاجتماعات العامة والمهرجانات الوطنية)، كما تم تجهيز فريق صحفي يتكون من صحفيين ومراسلين محليين ودوليين؛ للقيام بالتغطية الشاملة لزيارة (بابا الفاتيكان) التي استغرقت ثلاثة أيام ، وقد وعدت الحكومة بالحفاظ على أمن البابا وسلامته ، فانطلق الفريق الأمني من قوات الشرطة وعناصر سلاح الطيران المقدر عددهم بستة عشر جندياً ليأخذوا

بقلم :
التحريـــر



مواقعهم ، أما شرطة المرور فقد أغلقت جميع الشوارع المؤدية إلى ساحة الاستقلال، ولم يسمح بمرور السيارات إلا السيارات الخاصة التابعة لموكب (البابا) التي وضعت عليها إشارات خاصة .

وبدأ الشعب من أتباع الكنيسة الكاثوليكية ، وكذلك من المذاهب الأخرى يتوافدون إلى العاصمة فرادى وجماعات، وانتعشت الحركة الاقتصادية في نيروبي ؛ حيث امتلأت الفنادق والمطاعم ، وأقامت بعض شركات المواد الغذائية والمرطبات مراكزَ لها في ساحة الاستقلال، وقد قدرت تكاليف هذه الاستعدادات بحوالي عشرين مليون شلن (حوالي نصف مليون دولار) من قبل السكرتارية الكاثوليكية، أما الحكومة فلا يعرف بالتحديد كم تكلفت ، وقد قدر عدد الحاضرين في مراسم الطقوس الخاصة التي أقيمت في ساحة الاستقلال بحوالي مليون شخص من أتباع الكنيسة الكاثوليكية وأتباع المذاهب الأخرى من البروتستانت والكنيسة الإفريقية ، وكذلك من أتباع الديانة الهندوسية ؛ علماً بأن عدد أتباع الكنيسة الكاثوليكية في كينيا يقدر بحوالي سبعة ملايين حسب مصادرهم .

وفي صباح يوم الاثنين ١٨ / ٩ / ١٩٩٥م كان الرئيس الكيني (دانيال أراب موي) في مقدمة مستقبلي بابا الفاتيكان في مطار كينياتا

الدولي ومعه مجموعة كبيرة من الوزراء ونوابهم وأعضاء البرلمان ، وكذلك زعماء الأحزاب المعارضة، وكبار التجار، ورجال الأعمال ، وسفراء الدول الأوروبية والإفريقية ، وكذلك بعض سفراء الدول الإسلامية ، وأيضاً كان في استقباله كبار رجالات الدين الكاثوليك والمذاهب الأخرى من كينيا وشرق إفريقيا، وكانت الهيلوكبترات والطائرات الحربية تحلق في سماء نيروبي مستعدة لاستقباله، وكان الآلاف من الشعب الكاثوليكي قد اصطفوا في الشارع من المطار إلى القصر الجمهوري ، وبقية الشعب كان يتابع أحداث الاستقبال في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، حيث كانت الأحداث تنقل على الهواء مباشرة وفي حوالي الساعة الثالثة بعد الظهر أعلن عن هبوط طائرة البوينغ التابعة للخطوط الجوية لجنوب إفريقية القادمة من جوهانسبرج ، حيث كان (البابا) قد أتم زيارته لجنوب إفريقيا التي استغرقت ثلاثة أيام ، ويذكر أن هذه الزيارة هي الحادية عشرة من نوعها لإفريقيا، والثالثة لكينيا .



أفرقة الكنيسة حتى لاتتلاشى النصرانية :

كانت الأولى في كينيا في مايو عام ١٩٨٠م والثانية في أغسطس ١٩٨٥م، وهذه الرحلة الأخيرة قد شملت ثلاث محطات من الدول الإفريقية وهي الكاميرون في غرب القارة الإفريقية، وجنوب إفريقيا في جنوبها ، ثم كينيا في شرق القارة .

وكان هدف هذه الرحلة المعلن في هذه المحطات هو إعلان مذكرة تعاليم الكنيسة الجديدة الملائمة للعادات الإفريقية ، علماً أن هذه التعاليم الجديدة كانت قد تمت المناقشة حولها في شهر إبريل من عام ١٩٩٤م في روما بحضور مجموعة من القساوسة الأفارقة من الدول الإفريقية الذين اقترحوا على البابا أن يعدل تعاليم الكنيسة الكاثوليكية ، إن هو أراد

أن يحافظ على أتباع هذه الطائفة ، ويكسب مزيداً من الأتباع ، واقترحوا أن تكون هذه التعاليم الجديدة ملائمة ومناسبة للعادات الإفريقية !!

جاء (البابا) مرتدياً لباس إحدى القبائل الكينية كأول خطوة لإخضاع الكنيسة للتقاليد الإفريقية ، وهذه أول خطة جديدة لجذب قلوب الأفارقة للنصرانية بعد ماتعذر عليهم اعتناقها خوفاً من التجرد من تقاليدهم التي تأصلت فيهم .

بعد ذلك انطلق الموكب البابوي تحت الحراسة المشددة من المطار إلى القصر الجمهوري ، حيث عقد مع الرئيس (موي) جلسة مغلقة لمدة نصف ساعة، لاتعرف تفاصيل مادار بينهما فيها ، بعدها وقع على دفتر كبار الزوار.

وفي المطار صافح (البابا) مستقبليه من الوزراء والسفراء وبعض رجال الدين ، بعد أن رحب به الرئيس ، ثم ألقى كلمة شكر لمستقبليه وأعلن أنه قد جاء لمهمة (بعث الرجاء)!.

وفي صبيحة الثلاثاء ١٩/٩/١٩٩٥م كان يوم الميعاد قد بدأ ، فقد إجتمع في ساحة الاستقلال حوالي مليون شخص ينتظرون قدوم البابا لأداء طقوس العبادة ، وقد وصل الساحة حوالي الساعة التاسعة والنصف ، ثم في تمام العاشرة وصل موكب القساوسة والأساقفة، بعدها مباشرة بدأت طقوس العبادة رسمياً، واستمرت هذه الطقوس لمدة ثلاث ساعات ، ثم في الساعة الرابعة بعد الظهر تحركت الجموع إلى ساحة البعث الواقعة خارج المدينة ، حيث وصل البابا هناك في الساعة الخامسة، حيث أعلن رسمياً عن مذكرة تعاليم الكنيسة الجديدة التي تتناسب مع العادات الإفريقية تعرف هذه المذكرة بـ African Synod،



وقد اشتملت هذه المذكرة على خمس نقاط رئيسة :

١ـ تنصير القارة الإفريقية .

٢ـ تعديل التعاليم المسيحية لتلائم العادات الإفريقية .

٣ـ الحوار الديني مع بقية المذاهب والديانات الأخرى .

٤ـ نشر العدل والأمن .

٥ـ توظيف وسائل الإعلام لخدمة أغراض وأهداف التنصير .

وصدق الله العظيم: **﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾** [البقرة: ٧٩] .

إغراءات التنصير :

ثم ألقى بابا الفاتيكان كلمة تركزت حول المشكلات التي تعاني منها القارة الإفريقية: من الحروب الأهلية، والجهل، والفقر، والفساد في الأنظمة، وضرورة العمل الجاد للتخلص من هذه المشكلات .

وقد تلخصت نظرته لحل هذه المشكلات فيما يأتي :

١ـ ضرورة اعتناق القادة الأفارقة المسيحية الكاثوليكية ، لأنها الضمان من الفساد الأخلاقي والاجتماعي والسياسي .

٢ـ يجب على الدول الأوروبية الغنية الدائنة أن تعيد جدولة ديونها، وأن تعفو عن مديونياتها .

٣ـ يجب على الدول الصناعية أن تقلل من صفقات الأسلحة إلى دول إفريقيا، وبدلاً منها تعمل على مساعدة الدول الإفريقية في النمو الصناعي.

ثم عقد البابا بعد ذلك لقاء مع القساوسة والأساقفة الذين حضروا من تنزانيا وأوغندا وأثيوبيا وإرتريا والسودان وزامبيا وموريشيوس إضافة إلى



أساقفة وقساوسة كينيا وأوصاهم بضرورة التلاحم فيما بينهم والعمل الجاد لتنفيذ بنود المذكرة ، كما اجتمع أيضاً مع زعماء الكنيسة الأنجيليكانية والكنيسة الإفريقية المستقلة ، وكذلك مع زعماء الطائفة الهندوسية .

وقال البابا : لقد كان بودي أن أجتمع مع جميع زعماء المذاهب والديانات الأخرى . ومما يذكر أن المسلمين قد قاطعوا زيارة البابا وأعلنوا أن حضورهم لمراسم الطقوس أو مراسم إعلان المذكرة كان منافياً لمعتقداتهم ، من جهة أخرى ذكر أحد المسلمين الذي نصب نفسه ناطقاً رسمياً باسم المسلمين !! أن المسلمين لم يحضروا تلك المراسيم ؛ لأنهم لم يتلقوا دعوة رسمية بذلك ولو دعوا لأجابوا ! أما رئيس القضاة فقد امتنع عن التعليق ! ولكنه قال : لايجوز لأحد أن يجعل نفسه متحدثاً باسم المسلمين، وأنه شخصياً لو دعي لأجاب !

ثم في صباح يوم الأربعاء ٢٠ / ٩ / ١٩٩٥م انطلق البابا والوفد الكاثوليكي المرافق له إلى المطار معلناً بذلك نهاية زيارته لكينيا التي استغرقت ثلاثة أيام ، وقد ذهب لوداعه في المطار الرئيس (موي) ووزراؤه وأعضاء البرلمان ، وأعضاء السلك الدبلوماسي ، كما شاركت الطائرات في حفلة وداعه ، وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً أقلعت طائرة الأيرباص التابعة للخطوط الجوية الكينية حاملة (البابا)، والوفد المرافق له متوجهة إلى روما، وهكذا انتهت زيارة البابا إلى كينيا .

ومن المعروف أن كينيا تعتبر قلعة الفاتيكان في إفريقيا ، وأن روما تعقد الآمال في أن تكون كينيا هي المنفذة لأحلام الفاتيكان في تنصير إفريقيا مع نهاية القرن الحالي ؛ لذلك تهتم الدول الأوروبية وأمريكا بهذه الدولة أيما اهتمام، ويقدمون لها أنواعاً من المساعدات المادية والأدبية، كما يهتم بها



البابا شخصياً ؛ وذلك بتخصيصه ثلاث زيارات من إحدى عشرة زيارة له لإفريقيا، كما أن للفاتيكان سفارة كاملة في كينيا للتنسيق في جهود التنصير، وقد كثرت المنظمات التنصيرية المحلية والدولية بشكل رهيب (تعد هذه المنظمات بالآلاف) ولها جهود في جميع مناطق المسلمين وخاصة المناطق الفقيرة : يقدمون المساعدات الإنسانية ، ولهم شبكة للتنسيق في أعمالهم تتمثل في مجلس الكنائس الوطني الكيني .

هل لهذه الزيارة من آثار؟

ويتوقع من آثار هذه الزيارة أن تشدد الحكومة من قبضتها على المسلمين ؛ لأن البابا قد حذر الحكومة مما زعمه: خطر تنامي الأصولية الإسلامية التي تجد الدعم من الدول الإسلامية .

وخلال أسبوع من مغادرة البابا أعلن عميد الشرطة الكينية بأن أي جندي من قوته لايعرف المسيح فهو جندي فاشل ، وأنه لايريد العناصر الفاشلة في قوته ، ثم أعلن وزير التربية رفضه تسجيل كليتي المعلمين وهما الكليتان الوحيدتان للمسلمين ، علماً أن المسيحيين يمتلكون ١٢ كلية للمعلمين وثلاث جامعات ، وهم الآن في الاستعدادات لبناء جامعة جديدة، وقد حضر الرئيس موي في ١٥ ديسمبر ١٩٩٥م حملة لجمع تبرعات لبناء هذه الجامعة الجديدة للمسيحيين .

والمسلمون الآن قلقون من تطورات الأحداث حيث أصبح انحياز الحكومة الكينية للمسيحيين جلياً، وتشددها مع المسلمين واضحًا . والكارثة الأخرى أن السياسيين المسلمين والأغنياء منهم لا يزالون متمسكين بحبل الرئيس والحكومة .

فحتى متى يتغافل المسلمون هناك عن الخطر المحدق بهم وبإخوانهم



ولا يكونون يداً واحدة على من سواهم للتخفيف من الانحياز؛ ضدهم وذلك بالطرق الشرعية ، فالمسلمون جزء من ذلك الشعب . أما أن يهمشوا ويضطهدوا، فهذا ما لا يقبل، ثم أين (منظمة المؤتمر الإسلامي)، و(رابطة العالم الإسلامي)، و (المجلس العالمي للمساجد)؟! بل أين كل دولة مسلمة؟ لماذا لايكون لهؤلاء مواقف قوية ستكون لها آثارها بإذن الله. وحين يكون الموقف سلبياً من تهميش المسلمين ومحاولات إضعافهم فستتوالى الضغوط والاضطهادات عليهم كما هو حاصل الآن .

إن علينا مد يد العون لإخواننا ودعمهم كما يفعل غيرنا مع بني ملتهم؛ حينها ستتلاشى أحلام (البابا) بجعل إفريقيا نصرانية عام (٢٠٠٠)، وهذا سوف يحدث بإذن الله، وصدق الله العظيم:

﴿ وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٩] .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩] .



الحروب الصليبية
بعد ٩٠٠ عام ... هل انتهت ؟

اختارت الدول الأوروبية الواقعة على سواحل البحر الأبيض المتوسط يوم ٢٧ نوفمبر من عام ١٩٩٥م ، لكي يكون موعداً لانعقاد مؤتمر موسع في برشلونة بأسبانيا يضم ١٥ دولة أوربية و١٢ دولة متوسطية من بينهما ٨ دول عربية إضافة إلى تركيا وقبرص ومالطة و ... ودولة العدو الصهيوني ، فهل جاء هذا الموعد ـ في زمانه ومكانه محض مصادفة ؟! كلا .. إن هذا الموعد يوافق بالتمام والكمال ذكرى مرور ٩٠٠ عام على بدء الحروب الصليبية ، ففي مثل ذلك اليوم من ذلك الشهر في عام ١٠٩٥ للميلاد ، أطلق بابا النصارى (أوربان الثاني) دعوته لبدء الحملات الصليبية على البلدان الإسلامية الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط بغرض الاستيلاء على بيت المقدس .

منذ سنوات قليلة خلت ، اختار الأوروبيون ذكرى أخرى لاتخلو من الدلالات التاريخية، ليعقدوا فيها ـ في إسبانيا أيضًا ـ مؤتمر مدريد ، وكان في ذكرى مرور خمسمئة عام على سقوط الأندلس ! ومعلوم أن هذا المؤتمر قد دشنت فيه المرحلة الحاسمة لإسقاط المزيد من شقيقات الأندلس بأنواع أخرى من السقوط . أما (برشلونة) فإن مؤتمرها المعقود بين الفرقاء التاريخيين لم يعقد من أجل تعاون اقتصادي ، أو سياسي أو عسكري بالدرجة الأولى ، بل لم يكن من همومه حل ماتبقى من مشكلة الشرق الأوسط أو المغرب العربي ، بل كان الهم الأول المسيطر عليه فيما ظهر : إقحام جسم يراد إقحامه في المنطقة العربية بوسائل مباشرة وغير مباشرة، فقد اتجه المؤتمر إلى تعزيز جهود دول عديدة تتحرى إدخال إسرائيل في صميم نسيج المنطقة العربية والشرق أوسطية ، تمهيداً للتعاقد على إقامة تحالف بين دول المنطقة ، يضمن توزيع المنافع فيها ، ويعمل على احتواء



بقلم :

عبد العزيز كامل

المسلمون



والعالم

ظاهرة الخوف التي أصبحت الدول في شمال المتوسط تكثر الشكوى منها .

إن أوروبا تريد ـ باختصار ـ أن تحفظ أمن حدودها الجنوبية بأي ثمن ، ولكن ممن ؟! هل هناك دولة أو نظام واحد في شمال إفريقيا يصرح أو يلمح بتهديد الجيران الشماليين ؟ كلا . ولكن الخوف كل الخوف من انتفاضة الشعوب الإسلامية التي طالما استعبدها واستذلها الأوروبيون في التاريخ الحديث، وذلك ليس أول مؤتمر يعقد لهذا الهدف ، فقد عقد في إشبيلية بأسبانيا أيضاً مؤتمر في سبتمبر سنة ١٩٩٤م ، للغرض نفسه ، وبدعوى ضرورة مواجهة المد الإسلامي الذي يهدد استقرار حوض البحر الأبيض المتوسط . الغريب أن ثلاث دول كاثوليكية تقف كرأس حربة في حشد التأييد لهذا التوجه، وبالذات فرنسا التي أصرت ـ من دون دول أوروبا كلها ـ على عدم خفض ميزانيتها الدفاعية ، بدعوى تضاعف الأزمات في حوض البحر الأبيض المتوسط، فليس البروتستانت الإنجليز والأمريكان أو الصرب الأرثوذكس وحدهم هم الذين يعانون من حمى (الأصولية الإسلامية) ! .

لقد عقد قبل ذلك بشهور ، وفي ٩، ١٠ يونيو عام ١٩٩٤م مؤتمر مشابه، وكان هذه المرة في مدينة اسطنبول التركية ، التي كانت عاصمة للخلافة الإسلامية ، وشارك في المؤتمر أربعون وزيراً للخارجية والدفاع بالدول الغربية في اجتماعيين منفصلين ، ضم الأول مجلس وزراء حلف الأطلسي، وضم الثاني مجلس تعاون شمال الأطلسي ، الذي يضم كافة الدول الأوروبية الشرقية، والغربية ، وشاركت فيه روسيا أيضاً ، وكان محور الاجتماع يدورحول وضع خطة لمواجهة الخطر القادم الذي يمكن أن يواجه العالم بعد انتهاء الحرب

الباردة ، وتكررت جلسات الاجتماع بين الوزراء أعضاء المؤتمر ، ثم كُلف أمين عام الحلف (سابقـا) (ويلـي كـلاوس) بشكـل رسـمي بإعـداد ورقة عمل للحلف تتضمـن كيفية مواجهـة المـد الإسلامي أو (الأصولية الإسلامية) .

وخلص (ويلي كلاوس) (فيما يبدو) إلى أن (الأصولية) هي أكبر خطر يواجه الحضارة الغربية، حتى إنه قال لمجلة (زيتونج) الألمانية الصادرة في ٢ فبراير ١٩٩٤م: «إن الأصولية خطيرة كما كانت الشيوعية ، ونرجوكم ألاتقللوا من شأن هذا الخطر» وأضاف : « إن حلف الأطلسي هو أكثر من تحالف عسكري ، فقد أخذ على نفسه أن يدافع عن المبادئ الأساسية للحضارة الغربية» ! وقال في حديث آخر نشرته مجلة (الإيندبندنت) البريطانية : «إن الخطر الأصولي الإسلامي هو من أهم التحديات التي تواجه الغرب بعد تفكك الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية» وقال :« من واجبنا أن نتعاون مع الدول التي تواجه ذلك النوع من الصعوبات » .

هل هو إذن تحضير لحروب صليبية جديدة ؟! ألم تنته الحروب الصليبية بعد ؟!

ألم يقل القائد (اللنبي) بعد استيلاء الإنجليز على القدس في الحرب العالمية الثانية ـ وهو واقف على قبر صلاح الدين ـ: (الآن انتهت الحروب الصليبية)! هل كان مخطئاً؟! يبدو ذلك.

ويبدو أن أوروبا لم تشبع بعد من دماء المسلمين ، ولم تكفها سبع أو ثمان حملات في القرون الوسطى لإشفاء غليلها من المسلمين الموحدين، ولم تشفها الحملات المعاصرة قبل وبعد الحربين الكونيتين في النصف الأول من هذا القرن. بدليل أن صيحاتهم باتت تصم الآذان مبشرة ومنذرة بقيام المزيد من الحروب الصليبية بين العالم الإسلامي والعالم النصراني.

إن القائد (اللنبي) قال : إن الحروب الصليبية انتهت باستيلاء النصارى على القدس في القرن العشرين ، ولكن جاء الصرب وافتتحوا حملات جديدة ، حتى قال وزير إعلامهم بالحرف الواحد في إعلان شهير له : « إن الصرب في معاركهم في البلقان ، إنما يمثلون طليعة الحرب الصليبية الأخيرة لاستئصال شأفة الإسلام » . إن العالم قد رأى بعينيه الصلبان تحفر على صدور ورقاب المسلمين في البوسنة ، فهل تستحق هذه الحرب وصفاً آخر غير (الحرب الصليبية) ؟!

المسلمون



والعالم

لقد فرغ النصارى من أمر أكثر الدول والأنظمة في العالم الإسلامي تقريباً ، وأقبلوا على الشعوب المسلمة ذاتها ، ليناصبوا كل من بقي على الوفاء للدين العداء، و(الأصولية) التي نصبوها عدواً بديلاً بعد سقوط الشيوعية ، ماهي إلا تعبير عن رغبة قطاعات عريضة من الشعوب الإسلامية في العودة لأصول الدين. هذه الأصولية بهذا المعنى ، هي المستهدفة بالحرب الشعواء التي بشر الغرب بقيامها ، ثم باشر البدء فيها فعلاً ، أحياناً بالقوة العسكرية ، وأحيانًا بالمحاصرة الاقتصادية ، وفي أحايين أخرى بالتسلط الدولي (القانوني) المسمى (الشرعية الدولية) ومهما حاول الصليبيون الجدد ستر أغراضهم وأحقادهم الدينية بالأقنعة السياسية أو الاقتصادية أو الثقافية ، فإن تلك الأقنعة تسقط ، ويظهر الوجه الحقيقي للصراع.. الدين .. **﴿ ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ﴾ ، ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾، ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ، وودوا لو تكفرون ﴾** .

إن القرآن لم يحدثنا عن الأطماع الاقتصادية، أو الأهداف السياسية والعسكرية أو الحضارية للنصارى واليهود ، ولكنه ركز على الأغراض الدينية لهم ، أما الأغراض الأخرى فتأتي بالتبع، لقد كانت هتافات الجنود النصارى الزاحفين على بيت القدس أيام الحروب الأولى (أمر الله ... أمر الله ... إنها إرادة الله) ولاندري أي واحد من الثلاثة يقصدون !!

وباسم هذا الإله المُدَّعى ، ذبح النصارى المسلمين العزل وقت دخولهم القدس في الحملة الصليبية الأولى ، حتى بلغ عدد القتلى من المسلمين في ساحات الأقصى وطرقات المدينة نحو سبعين ألفًا . وتخبرنا الروايات الصليبية نفسها بأطراف من المأساة، فيروي شاهد العيان (ريمون داجيل) في رواية موثقة لدى أدعياء (المسيحية السمحة) طرفًا من الحدث ، يقول: « وقعنا على مشاهد لم يسبق لها مثيل ، فقد قتل عدد كبير من أبناء المدينة ، فكانوا يُرمون بالنبال ، أو يجبرون على القفز جماعات من فوق الأسوار ، كما عذب بعضهم قبل

المسلمون

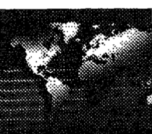


والعالم

أن يرموا في النار ، شوارع المدينة كانت مليئة بالرؤوس والأيدي والأرجل ، وكان الجنود في كل مكان يسيرون فوق الجثث ، لقد كانت مجزرة رهيبة بعدها كنا نسير في بحيرات من الدم، لقد نهب الصليبيون حتى ارتووا » ! ورصد التاريخ الإسلامي الحدث ذاته بكثير من التفصيل والدقة ، سردها ابن الأثير في كتابه (الكامل) (جـ١ ص ١٩٤)، وذكر أن المذبحة استمرت طوال يوم الدخول وليلته ، واقتحم النصارى المسجد الأقصى في صباح اليوم التالي ، وأجهزوا على من احتموا فيه ، وصبغت ساحات المسجد بدماء العباد والزهاد الركع السجود، وتوجه قائد الحملة (ريموند) في الضحى لدخول ساحة المسجد ، متلمساً طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبته ، وكان النظر لايقع إلا على أكوام من الرؤوس والأيدي والأقدام المقطعة في الطرقات والساحات ، نهب النصارى جميع الأمتعة وخربوا أثاث المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، ونهبوا القناديل التي بلغت نيفًا وأربعين قنديلاً ، كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، وأخذوا نيفًا وعشرين قنديلاً من ذهب ».

هذا ما حفظته ذاكرة التاريخ عن اليوم الذي أرادوا أن يكون عيداً يحتفل به المسلمون مع النصارى .. على أنقاض أرض الأندلس الضائعة ، بل ليتهم أرادوا الاحتفال بالذكرى فحسب، بل أرادوا أن يجعلوها بداية انطلاق بالتعاون مع بعض الخائنين من بني جلدتنا لبدء رحلة جديدة من الحروب الصليبية .. وقبل ذلك بالتعاون مع العدو القديم ـ اليهود ـ الذين أصبحوا اليوم أصدق أصدقاء النصارى الصليبيين ، وأخلص معاونيهم ، حتى إن الغرب النصراني كله قد أجمع على تحويل الأرض المقدسة إلى ترسانة ضخمة من الأسلحة النووية والكيمائية والجرثومية الموجهة إلى صدور كل شعوب المنطقة الإسلامية ، وإن دولة اليهود (إسرائيل) هي (حصان طروادة) جديد ، حشوه اليهود ، ولكن يعتليه النصارى ويوجهونه، واليهود يعرفون دورهم هذا تمامًا ، وهم يعلمون أن النصارى يدخرونهم ليوم معلوم قد يحاول المسلمون فيه استعادة كرامتهم ومقدساتهم.

ولهذا فإن المراقب المسلم لايمكنه أن يتجاهل الدور اليهودي في التبشير بالصراع القادم ودق



الطبول للحرب المرتقبة ، وتصريحاتهم القديمة في ذلك كثيرة ومتواترة، ولايزال قادتهم يرددون ـ وبقوة أشد ـ التحذيرات والصيحات والنذر من خطورة عودة الروح إلى الإسلامية على يد دعاة (الأصولية) . قال حاييم هيرتزوج الرئيس الإسرائيلي السابق أثناء زيارة قام بها لبريطانيا عام ١٩٩٣م (إن الأصولية الإسلامية هي الخطر الأكبر على العالم الحر) . وكان الهالك ـ إسحاق رابين ـ قد كرس جهده لمحاربة المد الإسلامي في المنطقة وكانت محور اهتمامه في داخل الكيان الصهيوني وخارجه ، وقد قال في مؤتمر لاتحاد المنظمات اليهود في الولايات المتحدة (إيباك) في إبريل ١٩٩٣م (إننا نريد التأكد من أن الرئيس كلينتون وفريقه يدركان تماما خطر الأصولية الإسلامية والدور الحاسم الإسرائيلي في محاربتها) واستطرد قائلاً : (إن مقاومتنا ضد الإرهابيين المسلمين القتلة مقصود منها أيضاً إيقاظ العالم الذي يرقد في سبات عميق على حقيقة أن هذا خطر جاد وحقيقي يهدد السلام العالمي ، والآن نقف نحن الإسرائيليين في خط النار الأول ضد الإسلام الأصولي ، ونحن نطالب كل الدول وكل الشعوب أن يكرسوا انتباههم إلى الخطر الضخم الكامن في الأصولية الإسلامية).

وتترجم هذه الصيحات اليهودية إلى برامج عملية ، فبعد سيطرة الأغلبية اليهودية الأمريكية على الكونجرس الأمريكي ، برزت تلك السياسة أكثر فأكثر وقدم (بنوت جنجريتش) رئيس مجلس النواب الأمريكي عرضاً شاملاً للسياسة المقترحة لمواجهة الأصولية في العالم ، في جلسة عقدت في واشنطن، وضمت مايزيد على ٤٠٠ من كبار الخبراء في الشؤون الأمنية والعسكرية وقدم خطة من أربع بنود تحول في مجملها دون نجاح أي محاولة للنهوض الإسلامي ، وبخاصة في منطقة الشرق الأوسط .

وقال بالحرف الواحد أمام هذا المؤتمر : الأصولية تعني إعلان الحرب على الحضارة الحالية للعالم ، وعلينا التعامل مع هذا الموقف على أنه حرب معلنة) !!

إذن : يا (جينجرتش) فالحرب الصليبية على الإسلام الأصولي أصبحت بشكل رسمي معلنة ، وأنتم في الغرب تديرون معركتها ، فمن يدير معركتنا .. ؟!! .



إشكاليـة
زاويـة النظر للديمقراطيـة
(١)

بقلم : سامي محمد صالح الدلال

إن منبع هذه الإشكالية يتصل باختلاف زاوية النظر للديمقراطية ، مما يؤدي إلى تعدد وجهات تفسير مضامينها في النظام السياسي الواحد والمجتمع الواحد، فكيف إذا تعددت الأنظمة السياسية وتضاعفت المجتمعات!، لاشك أن ذلك سيؤدي إلى مزيد من انفراج زاوية الخلاف في تفسير الديمقراطية . ومكمن ذلك يعود إلى أنها من نتاج العقل البشري الذي يخضع لتأثيرات شتى كل منها له دوره في انفعالاته ويترك بصماته على تكييف خياله وتوصيف أوامره .

ولنُخْضعْ الآن هذه الإشكالية لزوايا نظر متعددة .

■ منظور الحكام :

إن الحكام في العالم الثالث لا يعتبرون الديمقراطية وسيلة من وسائل المشاركة الشعبية في الحكم، بل هي من وجهة نظرهم تكأة يتكئون عليها لإضفاء رونق جماهيري على حكمهم، ولذلك فإن الانتخابات وما ينتج عنها من مجالس نيابية ينبغي أن يضع لها الحكام برنامج إخراج عملي يحقق هذه الغاية، ويوصل إلى هذا الهدف ، فإذا ما اختلت المعادلة عند التطبيق لصالح ازدياد نفوذ المجلس النيابي بما لايؤدي إلى تحقيق رغبات الحكام، فإنهم لا يتورعون عن استخدام الجيش لقمع آثار اختلال تلك المعادلة، كما حدث في تركيا وباكستان والجزائر وروسيا والقرم وغيرها .

إن هؤلاء الحكام يطلبون من المجلس النيابي أن يقوم بدوره المناط به لتشريع القوانين التي ترسم للناس طريقة حياتهم على



المنحى الذي يخدم أهداف الحكام ويحقق أطماعهم، ولن يستطيع المجلس النيابي أن يضطلع بهذا الدور المبرمج له إلا إذا كان أداة طيعة في يد الزعيم، يستمع لرأيه ويأتمر بأمره، ومن قبل قال فرعون لملئه (الذين هم أعضاء مجلسه): ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] وقد كان فرعون سبّاقاً في استعمال مجلسه واجهة لتحقيق مآربه وأهدافه الطاغوتية، فأراد استخلاص قرار من ذلك المجلس بقتل نبي الله (موسى عليه الصلاة والسلام) خوفًا من أن يفلح موسى (عليه الصلاة والسلام) في تبديل عقيدة الجماهير الحاشدة من حالها الشركي إلى دين التوحيد، أو أن يردها إلى الصلاح الذي هو في عرف فرعون فساد، قال (تعالى): ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]، وكأنما ليس ثمة فساد في الجماهير التي يحكمها فرعون؛ فهي في مفهومه قد استكملت أركان الصلاح بعبادتها له وطاعتها أوامره فهي والحال هذه ليس فيها من الفساد مايذكر!.

لقد كانت خشيته ظاهرة من أن يدب فيها الصلاح بانتشار دعوة التوحيد فيها بعد أن كانت في حالة فساد حقيقي تمثل في استسلام الجماهير له وتأليههم لشخصه؛ اقتنع فرعون بالنتيجة التي وصل إليها ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

إن الديمقراطية في العالم الثالث (كما يسمونه) ينبغي أن تحقِّق ـ من منظور الحكام ـ هذه الغاية وإلافلا داعيَ لها.

ومن هذا المنظور، فإنهم ينظرون إلى هذه الديمقراطية باعتبارها واجهة تضفي على حكمهم طابع المشاركة الشعبية، وتنفي عنهم تهمة الطاغوتية (الديكتاتورية) فضلاً عن كونها مسرباً يمررون من خلاله رغباتهم في إطار قانوني، والواقع أنهم لا يجدون في ذلك صعوبة تذكر، ذلك أن المجلس النيابي واستمرار بقائه مناط بهذا الدور الموكل إليه.

■ **منظور الأحزاب:**

إن الديمقراطية من وجهة نظر الأحزاب هي وسيلة للوصول إلى الديكتاتورية الحزبية، أي فرض رأي حزب ما على جميع الأمة من خلال المجلس النيابي.

وقد يتحقق ذلك لحزب من الأحزاب : من خلال حصوله على الأغلبية البرلمانية؛ إما بقوة حضوره الجماهيري ، من خلال حسن تنظيمه وكثافة إعلامه وتبنيه لقضايا الناس - ولو نظريًا - ، وإما من خلال فرض سيطرته وهيمنته الحزبية عن طريق الجيش (كما هو الحال في حزب البعث الحاكم في بعض الدول العربية).

إن هذه الأحزاب وهي في حُمَّى الاندفاع للحصول على أكبر عدد من كراسي المجلس ، تضحي بقيم خلقية، وتمارس أبشع الأفعال الرديَّة ، من رشوة ومحسوبية ، دون أن يرمش لها جفن أو أن ترتجف في يدها إصبع؛ ولذلك تراها تتقاتل بالسلاح للحصول على أصوات الناخبين ، بنفس القوة التي توزع فيها الرشوة ، سواء أكانت أموالاً أم وعوداً بمناصب، وهي في كل ذلك لاتتورع عن ممارسة الكذب والدجل لتحقيق أغراضها والوصول إلى مراميها .

ونظرًا لانحطاط المستوى الثقافي لدى كثير من الجماهير؛ فإنها سرعان ماتقع في فخاخ هذه الأحزاب، لتكون لها صيداً سهلاً ، لكنه ثمين !!.

كما أن هذه الأحزاب يتربص بعضها ببعض كل التربص باسم الديمقراطية ، وليس ثمة ضحية لهذا الصراع إلا مصالح الشعوب المستضعفة التي لاتجد مايسد جوعها، ويكسي عريها، ويوفر مأواها .

ومن سخريات الواقع أن معظم هذه الأحزاب ترفع شعارات براقة مضمونها واحد وعباراتها شتى، فجميعها لم توجد إلا لخدمة مصالح الكادحين والعمال والفلاحين ، ولرفع الظلم عن المظلومين ، وللنهوض بمستوى المعيشة ، وتحقيق الكفاية والعدل وتشييد دعائم النهضة ، وهلم جرا.

إن معظم هذه الأحزاب قد نشأت محادة لله ورسوله ، وهي العوبة في أيدي أعداء الأمة ، بل هي رماحها التي تخرق ، وسيوفها التي تقطع ، ولقد اتخذت من الديمقراطية لباسًا تختفي تحت مخططاتها وتحيك مؤامراتها، ففرقت الأمة ، وشتت كلمتها وبعثرت جهدها ، بعد أن صدتها عن دينها ، وماكان ينبغي لهذه الأمة أن تستسلم لهذه الأحزاب وقادتها بعد أن غشيتها رحمة ربها بهذا الدين العظيم الذي



ارتضاه لها، قال (تعالى): ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٢ - ٥٤].

وكم فعلت هذه الأحزاب من أفعال شائنة بعد أن استلمت السلطة، وتبرقعت بلبوس الديمقراطية، فسامت شعوبها سوء العذاب، فقتلت الشرفاء وحولت الصلحاء إلى المحاكم العسكرية وعاثت في الأرض فساداً، وصدق فيها قوله (تعالى): ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٤ - ٢٠٦].

■ **المنظور القبلي :**

إن التنافس بين القبائل لاحتلال مراكز التوجيه ومواقع السيطرة واستلام زمام القيادة كان من قبل بعثة النبي ﷺ، وعندما جاء الإسلام أزاح عصبية الجاهلية الأولى، وعَقَدَ التفاوتَ والتمايزَ على علم التقوى، قال (تعالى) ﴿ .. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ .. ﴾ [الحجرات: ١٣] ثم لما خبا الحس الإسلامي في نفوس المسلمين في أزمنتنا الحاضرة هذه، نبا إلى السطح من جديد حس الانتماء القبلي، وطغت النعرة العشائرية، وقد وجدت القبائل في الديمقراطية بغيتها التي تحقق من خلالها بروزها على غيرها بأسلوب حديث وحضاري !!

فمن أجل هذا تؤيد القبائل الديمقراطية وتشارك فيها؛ فتتضافر جهود القبيلة على دعم مرشحيها بكل الوسائل المادية والمعنوية المتاحة، ولا تشترط القبيلة ـ غالباً ـ فيمن يمثلها حرصه على الدعوة إلى الإسلام وتحكيم شريعة الله المنزلة على خير الأنام، بقدر ماتشترط قدرته على التعبير عن مطالبها، وتمكنه من إبراز مناقبها، ورفع اسمها، ولوكان مرشحها ملحداً أو صوفيًا حلوليًا .

ويتنافس نواب القبائل في المجلس على استصدار القوانين التي تعزز بروز قبائلهم، ويتسابقون في تقديم الخدمات لمناطقهم، فترى نائب القبيلة في البرلمان لا يمثل شعبه

إنما يمثل قبيلته فحسب .

ولعل بعض القبائل لو خيرت بين النظام الإسلامي والنظام الديمقراطي لاختارت الأخير إن شعرت أنها ستكون أكثر بروزاً وأوفى حضوراً في رحابه؛ حيث إنها لا تستطيع أن تحقق ذلك في النظام الإسلامي الذي يسمو فوق كل الشرائح الطبقية والانتماءات القبلية .

فلما صار للقبائل هذا الثقل في الكفة الديمقراطية تسابقت الأحزاب على كسب رضاها ، وخَطْب ودها؛ أملاً في توظيف أصوات المنتمين إليها لصالح دعم تلك الأحزاب ،ولما رأت تلك القبائل تدافع الأحزاب نحوها وتنافسها على حيازة أصواتها، وجدت في ذلك ضالتها ، وهي الاستفادة من تلك الأحزاب وإمكاناتها الكبيرة في تسخيرها لصالح مرشحيها ، وهكذا حصل الانقضاض التداخلي والامتزاج التفاعلي بين الأحزاب والقبائل ، كل منهما منصرف الذهن إلى توظيف الآخر لصالح أهدافه .

إن القبائل ترى في الديمقراطية محضناً لتفريخ الأحزاب ووسيلة ممتازة للبروز السياسي من خلال انضمام أفراد القبيلة إلى الأحزاب المختلفة التي من خلالها يتسلقون سلم الأضواء السياسية ، والتي بدورها توفر الفرص الاقتصادية وتوسع وترفع مكانتها الاجتماعية .

فالديمقراطية ـ من خلال هذا التحليل ـ تكرس وتعزز وتعمق الحس القبلي والانتماء العائلي على حساب الرسوخ العقدي والامتثال الدعوي ؛ وهذا يعني أنها تنأى بتلك القبائل عن مفهوم قوله (تعالى) : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ..﴾ [الحجرات: ١٣]** .

وهذا معناه: ـ من الناحية العملية ـ افتراق الكلمة، وبث بذور العداوة وتنمية روح البغضاء، وتوسيع التنابز بالألقاب؛ بما يؤدي إلى تفتيت الوحدة الحقيقية واستهلاك الطاقات الشعبية فيما يضر ولاينفع ،مما يوهن الكيان الإسلامي ويضعف تماسكه ، ثم يؤدي به في نهاية المطاف إلى أن يكون لقمة سائغة في فم أعداء الأمة ومبغضيها .

إن القبائل هي مادة سواد المسلمين،

ويلاحظ قصور كبير لدى الإسلاميين في قيامهم بمهام الدعوة على منهاج أهل السنة والجماعة في تلك القبائل الكثيرة المبثوثة في طول العالم الإسلامي وعرضه ، مما جعل ساحتها فارغة ، فاقتنص العلمانيون هذه الفرصة ليملؤوها بغثاء أفكارهم الهابطة وآرائهم الهدامة .

ولاشك أن جنوح القبائل نحو المشاركات الديمقراطية فيه مؤشر كاف للتدليل على نجاح العلمانيين في اقتحام حصون الإسلام، من خلال التأثير على زعماء القبائل ورواد توجيهها ، وإننا نأمل أن يولي الإسلاميون القبائل والعشائر ماتستحق من الاهتمام وبذل الجهد؛ لتسلك السبيل القويم والمنهاج الصحيح ، فتكون رافداً غزيراً للعمل الإسلامي الدعوي التغييري المنضبط بالنصوص الشرعية والواعي لساحة الواقع ، وما فيها من دهاليز وماتكتنفها من مؤثرات .

■ **منظور العامة :**

أقصد بالعامة : أغلبية الناس ، وهم العوام الذين يشكلون في العالم الثالث الطبقة الكبرى، وهؤلاء يقسمون إلى شرائح : فمنهم أميون ، ومنهم مثقفون ثقافة محدودة ، وأغلبهم عمال وفلاحون ومهنيون ، ومعظمهم غير منتمين إلى الأحزاب ، فيستفاد من ضوضائهم وصراخهم في الهتافات والمظاهرات وإحداث الضجة وتعميم الصخب .

إن هذه الطبقة غالبًا ماتكون في ضنك من العيش ومكابدة للحياة، فهي في كدٍّ لا ينقطع ، تسعى ليل نهار لتحصيل قوت يومها وسد جوعة أبنائها ، وإن كثيراً منهم لايفلح في الوصول إلى خط الكفاف، فهم بمثابة الغريق ، يفتش عما يمكن أن ينقذه وإن كانت قشة، ولما كانت الأحزاب ترفع شعار الدفاع عن الفقير والمسكين وعن المكفوف والملهوف ، وأنها من خلال الديمقراطية ومعارك المجالس النيابية ستعيد للمظلوم حقوقه وتدفع عنه أسباب الفاقة والعوز ، لذلك نظر العامة إليها ـ أي الأحزاب المنادية بالديمقراطية ـ على أنها طريق لحل أزماتهم وتحصيل حاجاتهم ، فهي وسيلة مشروعة ، من وجهة نظرهم ، للحصول على مكاسب معيشية ، بل رفاهية حياتية ، فتدافع العامة للانتساب إليها

(تنظيماً حزبيًا وشعاراً ديمقراطيًا) ، فتم سوقهم في أنفاق الديمقراطية ، ثم انساحوا في دروبها ومسالكها ، وصاروا لها داعين وللاحتكام إليها مطالبين !!

ورغم أن جميع هؤلاء من المسلمين - أقصد في البلاد الإسلامية - فإنهم لم يفطنوا إلى أن ما يرومونه من حل لمشكلاتهم وإشكالاتهم لايتحصل لهم إلا في دوحة الإسلام وظلالها الوارفة ، وماسبب ذلك إلا جهلهم به لطول عهدهم بهجره؛ ولتقصير كثير من علمائه في القيام بحقه، فالإسلام لدى أغلب العوام عادة موروثة تنحصر في (سجادة الصلاة وسبحة ألفية)! وعلاقة بين العبد وربه لاشأن لها بأي منحى من نواحي الحياة .

ولذلك تعلق العوام بالديمقراطية ، بعد أن قدمها لهم الإعلام على أنها المنقذ من مهاوي الجهل والفقر، وباعتبارها أيضاً طريقًا مفتوحًا أمامهم يغريهم بالمشاركة في الحكم وصنع القرار السياسي ، دون أن يدركوا أن هذا الطريق المنفسح مد أبصارهم نظريًا لايستطيعون سلوكه عمليًا لانعدام حصولهم على مقومات ولوجه ، فضلاً عن اقتحام قلاعه واجتياح حصونه ، إن العوام في هذا البحر الخضم كالسمك الذي هجر قاعه المكتنز بأصناف الغذاء ولاذ بالسباحة قرب السطح يفتش عن فتات خبز يلقيه إليه صياد ، فما يكاد يزدرده حتى يحس بوخز رأس السنارة وهي تنغرز في جوفه ، وليست إلا لحظات، فإذا به هامد الحركة في سلة صائده !

فعجبًا لمن يَدَعُون غذاء الإسلام ويجرون وراء فتات خبز الديمقراطية فتصطادهم سنارة العلمانية لتلقي بهم في سلة أعداء الإسلام، وربما فقدوا حياتهم الإيمانية التي لا استمرار حقيقيًا لوجودها إلا باتباعهم دين الله المنزل من السماء ، ولقد مرت على العالم الإسلامي - عهود، ولاتزال - تسلط فيها الطواغيت، وصادروا الحريات ونكلوا بالمعارضين؛ فأصبح الناس لايتكلمون إلا همساً ، ولايذكرون مطالبهم إلا تورية ، ولا يعبرون عن مشاعرهم إلا في مسارب أوردة أفئدتهم ، فتراهم يعدون على أنفسهم أنفاسهم؛ ويحصون على ألسنتهم ألفاظهم ، فعندما بلغت القلوب الحناجر، وتجاوز السيل الزبى ، قيل لهم : ها



هي أبواب الديمقراطية قد أشرعت، وأقداحها قد أترعت، فادخلوها آمنين، وارتووا من كؤوسها هانئين !! فازدحموا على فجاجها أفواجاً أفواجاً، وتلاطموا على حيازة كراسي نيابتها أمواجاً، ولسان حالهم يقول: هذه دار حريتنا ومُبوَّأ استرداد كرامتنا !

إن الديمقراطية بمعناها الشامل المتضمن انعتاق الحرية عن كل انضباط شرعي أتاحت للطغام من العوام من العلمانيين وأمثالهم، أن يتخذوا منها مظلة لانحراف أخلاقهم وإظهار خلاعتهم وكشف عوراتهم نساءً ورجالاً باسم الحرية الشخصية ،بل أتاحت لهم أن يوظفوا أقلامهم، وينفثوا حقدهم الأسود على كل مايمت للإسلام والمسلمين بصلة، وقد وجد هؤلاء العوام في الديمقراطية ملاذاً، في ظله يمارسون المنكر باسم الحب، ويعاقرون الخمر باسم المشروبات الروحية، ويبتلعون أموال الناس ربوياً باسم الفائدة، فلهذا السبب يأله هؤلاء الطغام الديمقراطية، ويكرهون الإسلام، إن الديمقراطية تتيح لهم فرصة نشر فسادهم في عامة الناس، حتى يصبح ذلك بينهم عادة، ومن يخرج عليه يستحق الإبادة !!.

وأما الأحزاب، فإنهم يرون في هؤلاء العوام مادة خامًا يكثرون بها سوادهم، ويستفيدون من أصواتهم الانتخابية، بل يستخدمونهم في تنفيذ أهدافهم ونشر دعاياتهم والدفع بهم في نحور خصومهم !!

وإن من العجب حقاً، أن هؤلاء المستضعفين، رغم سوء حال معيشتهم ومحدودية دخولهم، فإنهم يقعون ضحية للديمقراطيين الذين يدفعونهم للتبرع بأموالهم، على حساب اللقمة التي يقتطعونها من أفواه أطفالهم، عن طريق التأثير على مشاعرهم واستمطار عواطفهم، رافعين الشعارات البراقة، وباذلين الوعود المهراقة !!

وأما العوام، بل وغير العوام من أصحاب الديانات الأخرى، فإنهم يعتبرون الديمقراطية مكسباً ؛ لأنها تبعد المسلمين عن الإمساك بزمام السلطة، فضلاً عن كونها مظلة قانونية تتيح لهم نشر أباطيلهم وترهاتهم !!

(للحديث بقية)

فقه مراتب الأعمال

بقلم: د. سعد الدين العثماني



الفقه استنباط للمعاني :

اتفقت نصوص الكتاب والسنة على أهمية الفقه بالنسبة للمسلم ، وحثت على طلبه وإعلاء شأنه، ففي الصحيحين عن معاوية أنه سمع النبي ﷺ يقول : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[١] ، والفقه: الفهم ؛ فهم معاني الكلام ومراميه وإنزاله منازله .

وثبت في نصوص أخرى أن الفقه ليس هو حفظ النصوص واستعراضها، وإدراك ظواهر ألفاظها، فعن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال : «مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، شربوا منها وسقوا ورعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأً ، فذلك مثل من فَقُه في دين الله ونفعه الله به فَعلم وعَلَّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[٢] .

فالمستجيبون لما بعث الله به رسوله صنفان : صنف أول : تلقى الهدى والعلم فأنبت منه (الكلأ والعشب الكثير) علما وعملاً ، إذ فَجَّر من ذلك علمًا وفقهًا كثيرًا نفع الله به ، وصنف ثان : نقل الهدى والعلم كما تلقاه ، فهو بمثابة الأرض التي يستقر فيها الماء فينفع به الناس . . فالأولون فقهاء والآخيرون حفظة، ولكلٍ دوره ومكانته .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها، ثم بلّغها عني، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »(٣)، وهذا التأكيد نفسه على أن حمل النصوص وحفظها لايصنف وحده الإنسان في دائرة الفقهاء، بل هو في حاجة إلى شروط زائدة : فطرية ومكتسبة.

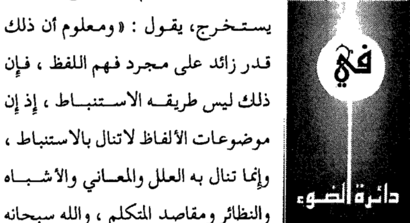
ولذلك لم يكن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كلهم في مستوى واحد من الفقه أو الحفظ ، بل كان منهم فقهاء عرفوا بعمق الاستنباط ودقة الفهم والقدرة على الغوص في عمق التشريع ، من أمثال الخلفاء الراشدين وعبد الله بن عباس ، وكان منهم قراء حفظوا القرآن وأتقنوا حروفه، وأحكموا آياته من أمثال زيد بن ثابت، وكان منهم محدثون انصرفت همتهم إلى حفظ الحديث وإتقانه مثل أبي هريرة وكان لكل منهم حظ معين في التخصصات الثلاثة كلها ، إلا أن همته كانت مصروفة أكثر إلى الفقه أو القراءة أو حفظ الحديث. وهناك من اشتهر في الفقه والحفظ كليهما مثل عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنهم جميعاً) .

وعندما دعا الرسول ﷺ لابن عباس بقوله: « اللهم فقهه في الدين »(٤) لم يكن المقصود أن يكثر حفظه للنصوص أو أن يدرك ظواهر ألفاظها فقط ، بل المقصود من الدعاء: أن يبارك في فهمه واستنباطه ، حتى يستخرج من النصوص كنوزها ، ويدرك من الكلام معانيه ومراميه؛ لذلك كانت أرضه من أطيب الأراضي وأخصبها ، قبلت الهدى والعلم النبويين ، فأنبتت من كل زوج كريم .

يقول ابن تيمية وهو يعقد المقارنة بين حفظ أبي هريرة وفقه ابن عباس : « وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره؟! وأبو هريرة أحفظ منه ، بل هو حافظ الأمة على الإطلاق : يؤدي الحديث كما سمعه ويدرسه بالليل درسًا ، فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ماحفظه كما سمعه، وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه

والاستنباط وتفجير النصوص وشق الأنهار منها ، واستخراج كنوزها»(٥).

وهكذا فإن على شباب الصحوة الإسلامية أن يدركوا أن مجرد قراءة النصوص وحفظها ليس فقهًا، بل الفقه شيء زائد عن مجرد الألفاظ ، وهذا أمر ورد واضحًا في قوله (تعالى) : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء :٨٢] : قال ابن كثير في تفسير الآية : « يستنبطونه أي يستخرجونه من معادنه » ، فالكلام أن معنى يستنبط يستخرج، يقول : « ومعلوم أن ذلك قدر زائد على مجرد فهم اللفظ ، فإن ذلك ليس طريقه الاستنباط ، إذ إن موضوعات الألفاظ لاتنال بالاستنباط ، وإنما تنال به العلل والمعاني والأشباه والنظائر ومقاصد المتكلم ، والله سبحانه ذم من سمع ظاهرًا مجردًا فأذاعه وأفشاه، وحمد من استنبط، من أولي العلم حقيقته ومعناه» .



لذلك فإن معرفة فنون العلم والفقه الواردين في الشرع ، وتتبع تقريرات علماء السلف في ذلك هو وحده العاصم من الخروج عن مراد الشرع نظرًا وعملا ، وهو الهادي للسداد والتوفيق ولخيري الدنيا والآخرة .

المقصود بفقه مراتب الأعمال :

هو من أنواع الفقه التي يجب أن يتعلمها المسلم ويهتم بها ، وهو يعني : العلم بفاضل الأعمال ومفضولها ، وأرجحها ومرجوحها، فإن كانت الأعمال طاعة علم أيُّها أحب إلى الله وأكثرها أجرًا وثوابًا ، وإن كانت معصية علم أيُّها أبغض إلى الله وأكثرها وزرًا وعقوبة ، وإن كانت الأعمال وسيلة إلى أهداف معينة (المقاصد الشرعية مثلاً) علم أيُّها أقدر على تحقيق هذه الأهداف، وأيُّها أولى بذلك، وإن كان الإنسان أمام بدائل متعددة من خير أو شر ، علم خير الخيرين وشر الشرين، وإذا جهل المسلم أي الأعمال أفضل وأولى لاشك أن ينفق وقته وجهده وماله في أجر أقل ويفوت ماهو أجل وأعظم، وأنه اختلطت لديه مراتب الأعمال واختل

لديه توازنها قد يصل إلى عكس مقصود الشرع؛ فيأثم من حيث يريد أن يغنم ، أو إلى عكس مقصوده في الواقع؛ فيفسد من حيث يريد أن يصلح.

القرآن الكريم ومراتب الأعمال :

وقد وردت آيات عديدة في كتاب الله (عز وجل) تبين أن الأعمال ليست كلها في درجة واحدة ، بل تختلف درجاتها في الخير ، كما تختلف دركاتها في الشر.

ومن ذلك قوله (تعالى) : **﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾** [**البقرة** : ٢٧١] . قال ابن كثير : « فيه دلالة على أن إسرار الصدقة أفضل من إظهارها »* .

ومن ذلك أيضا قوله (تعالى) : **﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾** [**التوبة** : ١٩] ففاضلت الآية بين أمرين كلاهما طاعة وقربة ، وبينت أنهما لايستويان عند الله (تعالى) .

وفي قوله (تعالى) : **﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾** [**القدر** : ٣] دليل على أن عبادة وقيام ليلة القدر خير من عبادة ألف شهر.

كما بين القرآن الكريم في آيات أخرى : أن المحرمات منها الكبائر والصغائر، فقال (تعالى) : **﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾** [**النساء** : ٣١]، وقال سبحانه مادحاً عباده المحسنين : **﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ ﴾** [**النجم** : ٣٢] . فدلت الآيتان على أن المنهيات قسمان : كبائر، وأخرى دونها سميت في الآية الأولى سيئات، وفي الثانية لَمَمًا . قال ابن كثير « لأن اللممَ من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال » .

السنة النبوية ومراتب الأعمال :

والسنة النبوية زاخرة بالنماذج والأمثلة لتفاضل الأعمال والتكاليف

الشرعية التي يجب على المسلم مراعاتها في عبادته وحركته في الحياة، وربما يكون أجمع حديث في ذلك حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون - أوبضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[٦].

وقد سئل الرسول ﷺ مراراً عن: أي الإسلام أفضل، أو أيه خير فأجاب، وإنما المقصود أي أعمال المسلم أفضل أو أخير؛ ولذلك بوب الإمام النووي لأحاديث رواها مسلم في صحيحه من ذلك النوع، فقال: «باب بيان تفاضل الإسلام، أو أي أموره أفضل»[٧].

وفي المقابل بينت أحاديث عديدة كون الذنوب أنواعاً ومراتب، فعن أبي بكرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يارسول الله. قال - ثلاثاً -: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور وشهادة الزور، ألا وقول الزور وشهادة الزور»[٨]. وعن عبد الله بن مسعود قال: قلت يارسول الله: أي الذنوب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»، قلت: ثم أي؟ قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك»[٩].

أصول الفقه يضع القواعد:

وانطلاقاً مما مر، فقد اتفقت الأمة على أن الأحكام الشرعية التي كلف بها المسلم أنواع ومراتب، وليست على ميزان واحد، كما اتفق جمهور العلماء على انقسام مأمورات الشرع إلى واجبات ومستحبات، وانقسام منهياته إلى مكروهات ومحرمات. يقول مجد الدين ابن تيمية في المسودة: «اتفق الفقهاء والمتكلمون على أن أحكام الشرع تنقسم إلى: واجب، ومندوب، ومحرم ومكروه ومباح»[١٠].

ولأن الواجب على المسلم أن يضع كل أمر شرعي موضعه، ولايخلط بين أنواع الأحكام أو يتعامل معها كيفما اتفق، فقد بين العلماء - والأصوليون منهم بالخصوص - تعريف كل نوع من

الأحكام الشرعية التكليفية الخمسة ، ووضعوا قواعد لكيفية استنباطها وأساليب التفريق بينها ، كما قرروا أنه ـ لذلك ـ لايجوز أن يُسوَّى بين الواجب والمندوب «لافي القول ولا في الفعل ولافي الاعتقاد»[11]، ولايسوى بين الحرام والمكروه[12] ، ولابين المباح وبين المندوب والمكروه[13] ، يقول الشاطبي : «الواجبات لاتستقر واجبات إلا إذا لم يُسوَّ بينها وبين غيرها من الأحكام ، فلا تُترك ولايُسامح في تركها البتة ، كما أن المحرمات لاتستقر كذلك إلا إذا لم يسوّ بينها وبين غيرها من الأحكام فلاتفعل ، ولايسامح في فعلها»[11] .

والمصالح الشرعية مقسمة إلى : ضروريات، وحاجيات، وتحسينيات، وهي مرتبة هذا الترتيب ، فإن الأوامر المتعلقة بالأمور الضروية كما يقول الشاطبي : « ليست كالأوامر الشرعية المتعلقة بالأمور الحاجية ولا التحسينية ، ولا الأمور المكملة للضروريات كالضروريات أنفسها ، بل بينهما تفاوت معلوم ، بل الضروريات ليست في الطلب على وزان واحد، كالطلب المتعلق بأصل الدين ليس في التأكيد كالنفس ، ولا النفس كالعقل إلى سائر أصناف الضروريات ، والحاجيات كذلك..»[14] .

إذاً لايكفي المسلم أن يعلم ما أمَر به الشرع أو مانهى عنه ، بل عليه أن يعلم أيضا درجة الأمر أو النهي ، وأن ينزل كل ذلك مرتبته دون إفراط ولاتفريط .

فقه مراتب الأعمال خاصةُ العلماء بهذا الدين :

وقد وصف الإمام ابن تيمية فقه مراتب الأعمال بأنه حقيقة الدين، وحقيقة العمل بما جاءت به الرسل ، وبأنه خاصة العلماء بهذا الدين، يقول «فتفطن لحقيقة الدين، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد ، بحيث تعرف ما ينبغي من مراتب المعروف ومراتب المنكر،حتى تقدم أهمها عند المزاحمة ، فإن هذا حقيقة العمل بما جاءت به الرسل، فإن التمييز بين جنس المعروف

وجنس المنكر ، وجنس الدليل وغير الدليل يتيسر كثيراً . فأما مراتب المنكر ومراتب الدليل ، بحيث تقدم عند التزاحم أعرف المعروفين فتدعو إليه ، وتنكر أنكر المنكرين : وترجح أقوى الدليلين ، فإنه هو خاصة العلماء بهذا الدين »[١٥].

أما تلميذه ابن القيم فقد اعتبر انشغال الإنسان بالأعمال المفضولة عن الفاضلة من عقبات الشيطان التي لايتجاوزها المسلم إلا بفقه في الأعمال ومراتبها، إن الشيطان في هذه العقبة يأمر الإنسان ويُحَسِّن له الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات، ويريه مافيها من الفضل والربح؛ ليشغله بها عما هو أفضل وأعظم كسبا وربحًا، « لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب، طمع في تخسيره كماله وفضله، ودرجاته العالية ، فشغله بالمفضول عن الفاضل، وبالمرجوح عن الراجح ، وبالمحبوب لله عن الأحب إليه، وبالمرضي عن الأرضى له »، ثم قال ابن القيم : « فإن نجا منها بفقه في الأعمال ومراتبها عند الله ، ومنازلها في الفضل، ومعرفة مقاديرها، والتمييز بين عاليها، وسافلها ، ومفضولها وفاضلها ، ورئيسها ومرؤوسها ، وسيدها ومسودها؛ فإن في الأعمال والأقوال سيدا ومسودا ، ورئيسًا ومرؤوسا ، وذروة وما دونها . . . ولايقطع هذه العقبة إلا أهل البصائر والصدق من أولي العلم ، السائرين على جادة التوفيق؛ قد أنزلوا الأعمال منازلها، وأعطوا كل ذي حق حقه »[١٦].



غياب حس الأولويات :

لقد كان لعدم الاهتمام بتعليم المسلم هذا الفقه الجليل آثار قد تكون بعيدة المدى وشديدة الضرر دنيا، وأخرى. ومن تلك النتائج :

١ ـ ضياع الأجر : فالجاهل بمراتب الأعمال يهتم بالعمل قليل الأجر على حساب كثير الأجر، ويضيع الجهد الكبير للحصول على حسنات قليلة وتروي لنا السنة من ذلك أمثلة كثيرة فعن أنس قال : كنا مع النبي ﷺ في السفر، فمنا الصائم ومنا المفطر، قال :

فنزلنا منزلاً في يوم حار أكثرنا ظلاً صاحب الكساء ومنا من يتقي الشمس بيده ، قال: فسقط الصوام وقام المفطرون ، فضربوا الأبنية وسقوا الرِّكَاب، فقال رسول الله ﷺ « ذهب المفطرون اليوم بالأجر »[١٧].

وقد يصل الأمرُ إلى حد تضييع أصل الأجر نفسه ، فعن أبي هريرة قال: قال رجل: يارسول الله، إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال : « هي في النار » قال : يارسول الله فإن فلانة ... يذكر من قلة صيامها، وصدقتها وصلاتها، وأنها تصدق بالأثوار من الأقط (أي بالقطع من اللبن المجفف) ولاتؤذي جيرانها ، قال : « هي في الجنة »[١٨] .

كما أن ابن الجوزي قد ذكر أمثلة متعددة لدى العبّاد بالخصوص ، كلها ناتج عن قلة الفقه بمراتب الأعمال ، قال مثلا : « وقد لبّس إبليس على جماعة من المتعبدين، فأكثروا من صلاة الليل وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليل وصلاة الضحى أكثر مما يفرح بأداء الفرائض ، ثم يقع قبيل الفجر فتفوته الفريضة ، أو يقوم فيتهيأ لها فتفوته الجماعة أو يصبح كسلانًا فلا يقدر على الكسب لعائلته »[١٩].

٢ـ سوء فهم الشريعة : إن الجهل بمراتب الأعمال عندما يكون عامًا ، يؤدي إلى فوضى فكرية عارمة ، تشوه الشريعة وتخل بتوازنها ، لقد أرسى الشرع بين المأمورات والمنهيات توازنا لايجوز الإخلال به ، تماما كنِسَب الدواء الواحد ، قد يؤدي تغييرها إلى إفساده وإلغاء خصائصه ، إن لم ينقلب إلى سم قاتل ، ومن ذلك أن المسلم اليوم مثلا قد أضحى عنده ترتيب جديد لأوامر الشرع، يَجعل الشعائر التعبدية (فرائض ومستحبات) أعلى مرتبة من سائر الواجبات والفرائض الأخرى ، وأوكد من ترك منهيات الشرع (محرمات ومكروهات) .

٣ ـ غياب حس الأولويات في الدعوة : فسوء فهم الشريعة واختلاط مراتب أحكامها يؤدي إلى عجز الدعاة

في دائرة الضوء

عن البدء بما يجب البدء به . فإذا كان في أحكام الدين واجب ومستحب ، وفاضل ومفضول ، فإن الدعوة إلى الواجب والفاضل مقدم على الدعوة إلى مادونها ، لكننا نرى من بين شباب الصحوة الإسلامية ودعاتها من ينشغل بالمسائل المرجوحة والأحكام الخلافية ، وتُبدد الجهود والطاقات فيها ، والأولى البدء بالدعوة إلى أصول العقيدة والشريعة، وبذل الجهد في معالجة القضايا المصيرية الكبرى للأمة. وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد من اعتبار درجة المعروف ودرجة المنكر ، حتى لايُفسد الإنسان بدل أن يصلح ، وحتى لاينفّر بدل أن يبشر ، ولذلك اعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه: «إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر ، بحيث لايفرقون بينهما ، بل إما أن يفعلوهما جميعًا أو يتركوهما جميعًا لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا عن منكر بل ينظر ، فإن كان المعروف أكثر ، أُمر به، وإن استلزم ماهو دونه من المنكر ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه ، بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله وزوال فعل الحسنات، وإن كان المنكر أغلب نُهي عنه، وإن استلزم ماهو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزِم للمنكر الزائد عليه ، أمرًا بمنكر وسعيًا في معصية الله ورسوله»[٢٠] إن هذا النص تطبيق رائع لفقه مراتب الأعمال وتقديم الراجح منها، وقد صاغ الأصوليون ذلك في قواعد تشريعية هادية مثل: دفع أشد المفسدتين بأخفهما . والإتيان بأعظم المصلحتين وتفويت أدناهما، وتقديم المصلحة الراجحة على المفسدة الخفيفة ، وعدم ترك المصلحة الغالبة خشية المفسدة النادرة . .

ولايستقيم عمل دعوي إلا بفقه هذه الأصول والقواعد والالتزام بها ، فعسى أن يوفق أبناء الصحوة الإسلامية وشبابها إلى ذلك ، والحمد لله رب العالمين .

(١) البخاري ـ كتاب العلم ـ باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، ومسلم ـ كتاب الزكاة ـ باب النهي عن المسألة .

(٢) البخاري ـ كتاب العلم ـ باب فضل من علم وعلم، ومسلم ـ كتاب الفضائل ـ باب بيان مثل مابعث النبي ﷺ من الهدى والعلم .

(٣) ابن ماجه في سننه ـ في المقدمة ـ باب من بلغ علماً، وأحمد في المسند . وورد بروايات عدة متقاربة عن زيد بن ثابت وابن مسعود وغيرهما، انظر الألباني ـ صحيح الجامع الصغير (١/٢٢٥) .

(٤) البخاري ـ كتاب الوضوء ـ باب وضع الماء عند الخلاء ، وهو في مسند أحمد باللفظ نفسه. وروي في االصحيحين وفي السنن بالفاظ مختلفة ، انظر : فتح الباري (١/٢٠٤ ، ٢٠٥) .

(٥) مجموع الفتاوى (٤/٩٣ ، ٩٤) .

(٦) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ، انظر صحيح الجامع الصغير للألباني (٢/٤١٧).

(٧) شرح النووي على مسلم (٢/٩).

(٨) البخاري ـ كتاب الأدب ـ باب عقوق الوالدين من الكبائر ، وأخرجه أيضا مسلم وأحمد والترمذي .

(٩) البخاري ـ كتاب الأدب ـ باب قتل الولد خشية أن ياكل معه .

(١٠) المسودة في أصول الفقه (ص: ٦٥)، وانظر باب الحكم الشرعي في كتب أصول الفقه .

(١١) الموافقات (٣/٣٢١) و (٣/٣٣٦) .

(١٢) نفسه (٣/٣٣١) .

(١٣) نفسه (٣/٣٢٦)

(١٤) نفسه (٣/٢٠٦)

(١٥) اقتضاء الصراط المستقيم (ص: ٢٨) .

(١٦) مدارج السالكين(١/٢٢١) .

(١٧) البخاري ـ كتاب الجهاد ـ باب فضل الخدمة في الغزو ومسلم ـ كتاب الصيام ـ باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية، والنسائي ـ كتاب الصيام فضل الإفطار في الصيام ، واللفظ هنا لمسلم ، الرُّكاب : الرواحل وهي الإبل التي يسار عليها (البيان) .

(١٨) أخرجه أحمد والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح الإسناد . كذا في الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني (١٩/٢١٩) .

(١٩) تلبيس إبليس (ص ١٤١)

(٢٠) الحسبة (ص ٣٨ ـ ٣٩)

* لكلام ابن كثير تتمة ، معرفتها مهمة ، وهي قوله : « لأنه أبعد عن الرياء إلا أن يترتب على الإظهار مصلحة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحيثية.

نقطة فوق الفاصلة

بقلم: محمود عبد العزيز



طالعت بمزيد من الإعجاب التوضيح الذي جاء في العدد (٩٠) تحت عنوان « فاصلة أدبية » والذي ذُكرت فيه وجهة نظر التحرير تجاه الشعر الحر المنشور بالمجلة .

وإذا كنت أُعجبت بالفاصلة كمقطوعة أدبية راقية الأداء رشيقة التعبير إلا أنني أختلف معكم حول ما ترمي إليه ، واختلاف المسلمين لا يفسد لودهم قضية ، بل أرى أن هذا الأداء الأدبي الراقي استعمل لتمرير وجهة النظر المؤيدة للشعر الحر بطريقة ناعمة ممتعة .

وإذا سمحتم أن تسمعوا لأحد المتطفلين على مائدتكم الثقافية العامرة، فإني أحب أن أذكر وجهة نظر أخرى، وقد عودتمونا على تقبل عرض آراء متنوعة انطلاقًا من ممارسة واعية للنقد الذاتي .

فالناظر في التوضيح الذي جاء في الفاصلة يَخلُص إلى أن المراد توضيحه نقطتان :

أولاً : الشكل الشعري لبعض قصائد الشعر المنشورة ، التي أُطلق عليها تجاوزًا « شعر التفعيلة » .

ثانيًا : الغموض الشعري في بعض القصائد المنشورة .

والناظر في القصائد المنشورة بالبيان الأدبي يلحظ امتزاج النقطتين غالبًا ، وكان هناك علاقة عضوية بين الغموض والشعر الحر .

ففي الشكل ذكرتم ما خلاصته : أن الالتزام يكون بالفصحى وعدم العبثية والشكلية المحضة مع قبول أشكال أدبية جديدة لا يعترضها « نص شرعي صريح ، أو رأي فقهي صحيح » .

ولنراجع مقاطع بعض النصوص الشعرية على ضوء « معبر » شعر التفعيلة الذي ذكر في صدر « الفاصلة »، ولن نذهب بعيدًا ، بل سنطوي صفحة واحدة بعد نهاية « الفاصلة » لنقرأ :

« باسم كشف السر عن خارطة الأموات « دي جاما ... » .

ثم : « يرسم : المدخل والمخرج ، والأبعاد ، هبوب الريح ، هزات المدارات ، المضيقات ....» .

على أي تفعيلة هذا الشعر ؟! بل ما الفرق بينه وبين النثر غير أنه متقطع السطور ؟! ولنبحث في القصيدة نفسها عن الفصحى في مثل : « في علبة ديتول» ... (لم ينس التنوين) و« خلطة كيك! » « دوزن ناظريك »، فهكذا يشمل التفلت من الفصحى المفردات اللاتينية والمولَّدات الفارسية .

وإذا كنا ننزهكم عن العبثية في المعنى ، فإن العبثية في الشكل تجاوزت التغاضي عن ذريعة « التفعيلة » لتصل إلى « العدمية » ، ومن يريد التأكد فليراجع قصيدة « معالم» في العدد (٨٤) ، حيث نلاحظ الشعر النقطي! :

« يدعم الأكبر (قيصر) !!

.... » (هكذا)

وفي العدد (٨٦) قصيدة « أهازيج دماء اليقظة» للشاعر نفسه :

« صوت ٤ ـ...... سْ» (هكذا: سين مفردة ساكنة بعد حشد نقطي) .

ولكن في العدد (٨٩) التطويري: تطورت الأبيات النقطية عدداً فبلغت ثلاثة أبيات !! .

وبالطبع فلن نسأل عن التفعيلة ولا عن الفصحى لعدم وجود ألفاظ أصلاً، وهذه المرة الأولى التي أشاهد فيها ـ حسب اطلاعي المحدود ـ شعراً يقرأ ـ بل يُنظر ـ ولا يُلقى ولا يُسمع !! ، وبالطبع فإن المعنى مدفون في أغور بطن الشاعر ، والاجتهاد في الوصول إليه مسؤولية كل منقِّب !

وقد تمت هذه التجاوزات ـ في نظري ـ تحت دعوى مطلقة ، هي : قبول أشكال أدبية جديدة، في حين اعتبرتم أن الضابط لها : ألا يعترض هذه الأشكال نص شرعي صريح أو رأي فقهي صحيح .

وإذ كنت أعتبر أن التجديد والمرونة ضروريان لانتعاش الإبداع الأدبي وعدم خنقه ، إلا أنه من غير المقبول إطلاق هذه الدعوى لتهدم وتبني الأشكال الأدبية بزعم عدم معارضتها لنص شرعي أو رأي فقهي، فإذا كنا نقبل هذا الضابط في الحكم على المعاني التي ترمي إليها الأهداف والغايات الموضوعية للإبداع الأدبي إلا أنه لا يصلح وحده معياراً للحكم على الشكل الأدبي ، بل نستطيع القول: إن هذا يعتبر مدخلاً لدعاة تكريس

العامية بدل الفصحى ، ولدعاة كتابة العربية بأحرف لاتينية ، فالتعامل الجاف المتعسف مع النصوص الشرعية والآراء الفقهية لا يمنع ذلك إذا كانت وحدها هي المعيار في قبول أو رفض الشكل الأدبي !!.

والمسألة أكبر من مجموعة كلمات تفتقد إلى قافية وبحر شعري ، فهي تعود إلى هوية أمة تفقد شخصيتها بسقوط مشخصاتها تباعاً لتذوب في شخصية حضارة أخرى ، واللغة واللباس من أهم عناصر شخصية أي أمة ، لذا : رأينا أتاتورك حريصاً على تحويل ومسخ مظاهر هذه العناصر أثناء أَوْرَبَة المجتمع التركي، ورأينا أيضاً وعي بقية من علماء الدولة العثمانية بأبعاد هذا التحول فيما عرف بمعركة القبعة والطربوش ، فالمسألة ليست مجرد فتوى في غطاء رأس لم يأت فيه نص شرعي (لاحظ أن الطربوش أيضاً ليس فيه نص شرعي صريح ولا رأي فقهي صحيح !!) ولكنها مسألة أمة يراد القضاء عليها حضارياً عبر هدم مشخصاتها.

ومن هنا أرى - شخصيًا - أن هناك فرقًا بين قبول أشكال أدبية جديدة لم تكن معروفة في الأدب العربي من قبل - كالمسرحية والرواية والقصة والمقال - وتغيير شكل القصيدة الشعرية العربية ليوافق شكل القصيدة الأوروبية؛ فالشعر العربي لم نكتشفه الآن حتى نحدد - أو لا نحدد - ملامح شكل بنائه ، بل تطور عبر مراحل طويلة استغرقت سنوات عديدة ليصل إلى كمال تجاوبه مع الذوق العربي ونغم العربية، كما رأيناه في أول قصيدة جاهلية.وصلتنا وحتى اليوم ، وليس من المعقول الاستغناء عن قواعد هذا البناء لمجرد أن الشعر الحر جديد ومستحدث،فجدته وحداثته - وحتى قبوله ورواجه عند الآخرين - ليست مبررات لقبوله بدون تحقيق أو تمحيص شكلاً مزاحماً لبناء القصيدة العربية التي حافظت على شكلها عبر آلاف السنين ، ولم يتغير هذا الشكل إلا بالتزام مزيد من الضوابط كما في الموشحات الأندلسية إثباتًا لتفوق شعراء الأندلس والمغرب العربي على شعراء المشرق العربي وقتها .

فما الذي حدث حتى يحدث الانقلاب على القصيدة العربية ؟.

الذي حدث هو الهزيمة النفسية المريعة التي خيمت على عالمنا الإسلامي في العصور المتأخرة:

فالشعر « الحر» لم يحدث إلا بعد الانبهار

بحضارة العالم «الحر» المتمدين!!.

والشعر «الحر» ارتبطت نشأته بأدباء مشبوهي التوجهات، مشبوهي الانتماء.

والشعر «الحر» استخدم فيه مبرر هدم قيم أخرى للأمة (الحرية)، فالزندقة والإلحاد كانا باسم: «حرية الفكر والعقيدة»، والانحلال وهدم الأسرة كانا باسم «تحرير المرأة»، والربا والاحتكار كانا باسم «تحرير الاقتصاد» و«السوق الحرة».

فالهزيمة النفسية الأدبية جعلت الشعر الأوروبي معياراً للقصيدة، فلماذا لم نحاكم الشعر الأوروبي إلى وزن وقافية القصيدة العربية؟!! ولماذا لم تظهر دعوات بهذا المعنى بين أدباء أوروبا؟! لأنهم يدركون اختلاف الذوق الأوروبي والنغم اللاتيني عن الذوق العربي ونغم العربية، ولأنهم «تراثيون تقليديون»؛ فشكل قصيدتهم باقٍ كما هو لم يتغير، ولم يتغير إلا البناء الموضوعي، وهذا ما حدث أيضًا في الشعر العربي الذي كان من تقاليده في القصيدة الجاهلية البدء بالمطلع الغزلي، ثم الانتقال إلى أغراض شعرية أخرى، فتطور هذا البناء الموضوعي إلى الوحدة الموضوعية للقصيدة.

حقًّا إن «الأديب يجب أن يكون حرًّا طليقًا، إلا أنه لا بد من أن تكون هناك مناطق تحريم ومناطق إباحة.. وأنه لا يكون فن ما لم تكن هناك أطر فضفاضة ترعى، وضوابط وحدود تحمي «الفن» من أن تنتهك حرماته، فيختلط الفن بغير الفن، والادعاء والشعبذة بالصدق والأصالة، فلا ضوابط تميز وتفرق بين هذا وذاك.

الفن هو الاقتدار على الضبط، والبراعة في إحسان التحرك، وإجادة التصرف والحركة في أضيق المساحات والمجالات وأدق الأطر، دون المساس بها أو خدشها وتشويهها أو المروق عليها»*

أما عن الغموض الشعري فإننا نطالبكم فقط بما جاء في «الفاصلة»: أن يتحلى أدبنا بقدر من الوضوح، يجعله «امتداداً لنبل حسان (رضي الله عنه)». لا أن نكتفي بكونه صالحًا للدرس في قاعات المحاضرات، وتحليل النقاد على صفحات الكتب والصحف والمجلات، نطالبكم بالأدب الذي ينسل من بين دفات الكتب ويخترق جدران القاعات ليخالط شغاف قلوب الجماهير المسلمة ليصنعوا منه أنشودة الأمل الموعود، ويرموا بها قراصنة الأمم، بل قراصنة الفكر.

تعقيب

الأخ الكريم محمود عبد العزيز ..

ها نحن نشرنا رأيك كاملاً ، احتفاءً منا بالاستقبال المنتج الفاعل ، الذي ننتظره من قرائنا تجاوباً وحواراً مع كل ما ننشره على صدر المجلة، وسنعلق على عدد من النقاط التي أثرتها ، مع تقديرنا لوجهة نظرك وإن اختلفنا معها :

* لازلنا عند الضابط الذي حددناه في قبول الأشكال الأدبية ، وهو « أن لايعترضها نص شرعي صريح ، أو رأيٌ فقهي صحيح » إذ إن أحكام الأوزان الخليلية والنقد الجمالي في تراثنا ليس من الثابت المعصوم ، بل هو كسب نسبي من المتجدد الطامح إلى الأكمل والأجمل. فهو عطاء بشري ، وليس وحيًا شرعياً منزلاً ملزماً، كما أن الذوق الجمالي ليس قيمة مطلقة ، يمتلكها جيل دون جيل ، أو أمة دون أخرى ، ومثلما أن إحلال الحرام بغير نص شرعي صريح ، أو رأي فقهي صحيح قولٌ على الله بغير علم ، فإن تحريم الحلال مثله في الإثم ، وإنما يختلف الناس بأذواقهم، بناءً على بيئاتهم ، وتجاربهم، ومعارفهم ؛ ولذا فإننا نقدم ما يرضي الذوق الخليلي ، كما نرضي ذوق المحب للجديد من الأشكال الأدبية بتقنياتها الجمالية المعاصرة ، والنص المستكملُ لأدواته الفنية والجمالية على مستوى الشكل، المنتظم في إطار الرؤية الإسلامية من جهة الدلالة مقدَّمٌ على غيره عند النشر ، سواءٌ أكان عمودياً أو من شعر التفعيلة . وليس نشرنا للأخير مجرد حب للتجديد - مع أن حب التجدد نعمة في ذاتها - ولكنه ضرورة تستحثنا كي نكون متفوقين ، وحتى نكون إشعاعاً لاظلاًّ ! نمتلكُ أصول الأشكال الجمالية والفنية ، ونواجهُ بها مضامين الشعر العلماني الحديثة الخائبة .

وتكريسُ العامية بديلاً من الفصحى أو كتابة العربية بالحروف اللاتينية مرفوضٌ بالرأي الفقهي الصحيح ، المستقرىء للنص الشرعي من الكتاب والسنة ، لا بأمور أخرى كما يظن الكاتب الكريم .

* نهمس في أُذن أخينا حتى لايتعجل في الحكم ، فنحن بالفعل إلى هذا العدد لم ننشر إلا القصيدة العمودية أو شعر التفعيلة ، وحتى النماذج التي ذكرها الأخ الكريم، ليست من الشعر المنثور في شيء فما اجتزأه

متابعات

من قصيدة « جغرافيا الرقاب » ـ مثلاً ـ يهيمن على إيقاعه تفعيلة (فاعلاتن) بتنوعاتها المذكورة في علم العروض ، ولو كتبنا الكلمات بلغة العروض الإشارية فسيكون (باسم كشف السر عن خارطه الأموات دي جاما) .. هكذا: (/٥//٥/ ٥/٥//٥/ ٥/٥//٥ ///٥/٥ /٥//٥/٥ /٥) وكـذا .. البقية؛ فهي ليست مجرد نثر متقطع السطور ـ كما ذكرت ـ . ثم إننا لانرفض النقد الأدبي الواعي لما ننشره من نصوص، بل نبحث عنه، ونلح على ذوي الموهبة المصقولة بالمعرفة أن يمارسوه على صفحات المجلة ، غير أن النقد المنهجي للنص الأدبي مشروط بالانطلاق من رؤية متكاملة له ، لأن النص كائن حي ، كل جزء منه تتحدّد قيمته ووظيفته من خلال صلته ببقية الأجزاء، في شبكة من العلاقات التي تُنتج بمجموعها تأثيرَ النص في وعي القارىء وعاطفته، كما تنتج دلالات النص وإيحاءاته، أما اجتزاءُ سطر من نص شعري والنظر إليه معزولاً عن شبكة العلاقات التي تجسده ، وعن وظيفته الدلالية داخل النص باعتباره امتداداً لما سبقه،وجسراً إلى مابعده، فإنه تمزيق للنص يشبه عمل من يقطع اليد من الجسد، ثم يلوح بها متسائلا :ماقيمة هذه القطعة الميتة؟ مع أن النص المكتوب يستفيد من إمكانات الرؤية البصرية في التعويض بالإشاراتِ الكتابية عن الدلالات التي تقدمها اللغة المنطوقة ، ومايصحبها من تلوينات في الأداء ، كدلالات النبر والتنغيم، مما لايظهر في اللغة المكتوبة ، وهي قدرات أفاد منها الإنسان كثيرا بانتشار الطباعة ، وحقق بها وظائف نفعيةٍ وجمالية عديدة .

أخيرا فإن تبادل التأثُّر والتأثير بين الآداب أمر قديم مشهود ، والتغيرات في أجناس الكتابة الأدبية ، وأشكالها، وتوصيفاتها الجمالية والفنية أمرٌ مشهود ومشترك بين آداب الأمم المختلفة ، والأمة الفاعلة الراغبة في التأثير يغيظها أن يكون على الأرض ملمح من حق أو خير أو جمال ثم لاتمتلكه !.

التحرير الأدبي

(*) صالح آدم بيلو : من قضايا الأدب الإسلامي ، ص ١١٨ .

بريد البيان

وفاة عالم صومالي

وصلنا من الأخ : محمد حسين معلم مقالة تعرف بفضيلة الشيخ نور الدين على الصومالي، أحد المؤسسين الأوائل للدعوة السلفية في الصومال، الذي توفي في ١٤١٦/٦/٤ عن عمر يناهز (٨١) سنة، وهو من الشمال الشرقي في الصومال، تلقى العلم عن كثير من العلماء ودرس في دار الحديث المكية والأزهر وعاد داعية في بلاده للعقيدة السلفية ، عانى كثيرا من مضايقات المبتدعين وسجن عدة مرات في عهد (بري)، ثم اضطر للهجرة إلى كينيا وأوغندا حيث واصل دعوته في معهد (بلال الإسلامي) بكينيا، ومعهد (كيسوا) في ممباسا، وتخرج على يديه العديد من الدعاة، وله كثير من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة في (هداية المستفيد من علم التوحيد) و(التعظيم المشروع للرسول الكريم والتعظيم المبتدع) رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته . وسيصدر للكاتب دراسة موسعة عن الشيخ ضمن دراسة عن علماء الصومال وجهودهم في الدعوة الإسلامية .

الأخ / محمود أبو فروة

نشكر لك مراسلتك المجلة ، أما مقالك الحواري فهو مناسب للزوايا الخفيفة في المجلات الأسبوعية ، فنعتذر عن نشره ، ومرحبا بك في مشاركات أخرى .

عادل بن محمد أمين مقيم

ملاحظاتك واقتراحاتك محل العناية والتقدير ، شاكرين لك حرصك واهتمامك. وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه.

عبدالله البسيمي

ما أرسلته من ثناء نشكرك عليه ، أما ملاحظاتك فهي موضع الاهتمام من أسرة التحرير، نسأل الله (عز وجل) أن يجعلنا وإياك من المتعاونين على البر والتقوى.

صابر إبراهيم

كلامك عن أخلاق النبي ﷺ صحيح لاغبار عليه ، نسأل الله أن يوفقنا للاقتداء به .

محمد عايض القحطاني

نشكرك على ثنائك على التطوير للمجلة ، وما كتبته من اقتراحات وجيهة هي محل اهتمامنا ، ولعلها ترى النور قريباً إن شاء الله .

عبد الله الدخيل

ستصلك رسالة خاصة بخصوص طلبك إن شاء الله .

فيصل اليوسف

نشكرك على اهتمامك بنفع القراء ، ونعتذر عن نشر قصيدتيك (لضعفهما فنياً)، ونحن في انتظار مشاركات أخرى .

سعيد غرم الله الغامدي

نشكرك على ثنائك على المجلة ، ومتابعتك لها . نسأل الله (عز وجل) أن نكون من المتحابين فيه.

مسلم عبد الوهاب

نشكرك على مشاركتك ، والموضوع عام ، وشواهده من غير مجتمعاتنا في الغالب ـ فضلاً عن كونه مصوراً ـ ولاحكم للإسلام فيه ، لذا نعتذر عن نشره.

مـا وراء الـوهـن

بقلم: د. محمد بن ظافر الشهري

في بلد من بلاد المسلمين التي تحتضن ألواناً شتى من البدع، التقيت بأحد أئمة المساجد ودار بيننا حوار قصير، انتهى بإقرار الرجل بأن ما يفعله أدبار المكتوبات، إنما هو من البدع المحدثة، ووعد بالعمل على التخلص من تلكم البدعة بالطريقة المناسبة.

وتمضي الأيام، وأعود للصلاة خلف ذلك الإمام، فإذا به يمارس البدعة ذاتها التي تحاورنا بشأنها، ويبرر عكوفه عليها: بأن الناس لم يوافقوا على تركها!! ؛ لقد كان يريد أن يقول بوضوح : دعني آكل «لقمة عيشي».

لقد كان ذلك البلد فقيراً، ولكن المشكلة لا تخص بلداً بعينه، فالمرض منتشر بين المسلمين، ولكن حجم «اللقمة» قد يختلف، كما أن الأعراض تختلف من بلد إلى آخر، فتارة تتمثل في تمرير البدع، وتارة تكون غير ذلك..، وربما خفيت الأعراض أحياناً.

إن مصيبتنا اليوم لم تقف عند حد «حب الدنيا وكراهية



الموت» ، بل وصلت بنا إلى حد «حب الترف وكراهية الشظف»، وبذل كل شيء في سبيل هذا الحب «العذري» الذي قلما يلام عليه العشاق.

وهكذا فلم تعد الضرورات الدنيوية – بل ولا الحاجيات – هي مناط الرخصة في ارتكاب بعض المحظورات ؛ ولكن نوافل التحسينيات اليوم تعد كافية عند فئام من الناس لتبرير الذنوب .. وربما الموبقات .

كم هو مؤلم أن تفقد حدود الله هيبتها في القلوب إلى الحد الذي توضع فيه الشريعة الغراء في كفة وتوضع الخميلة والخميصة في الكفة الأخرى، والأدهى والأمرّ أن ترجح كفة العرض الدنيوي عند كثير من الناس.

لقد رجعت إلى القرآن العظيم فكان جلاءً لما أصابني من حزن، فحمدت الله (تعالى) وطفقت أتلو قوله (عز وجل): **﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾** [الشورى: ٢٠] .

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 371 5307

كلمة صغيرة

مفارقة عجيبة

يعرف كل دارس للإسلام أن هذا الدين شامل للحياة كلها، وقد قامت دولة الإسلام منذ بدايتها في المدينة النبوية على هدي الكتاب والسنة، واستمرت وتواصل مدأها حتى بلغ المشرقين، ولم يكن لها دستور سوى شريعة الله، ولم يجرؤ مسلم على تبديلها حتى جاء الانقلاب الماسوني على يد (أتاتورك) عام ١٩٢٤م، حيث قرر فصل الدين عن الدولة، وقامت تركيا العلمانية بقوانينها المحادة لله، في محاولة لإبعاد الإسلام عن التأثير في واقع أمتنا، وقامت فيما بعد لهذا الهدف دول وأحزاب في شتى ديار الإسلام، لا هم لهم سوى إبعاد الإسلام عن الحياة، لتجد الافكار الملحدة والنظم المستوردة والأحزاب الكافرة قدماً لها في الديار الإسلامية، وسُنت قوانين جائرة بدعاوى ما أنزل الله بها من سلطان لمنع هذا الدين من العودة للحكم .

والعجيب أن يكون دين كهنوتي كالنصرانية يظلل الحياة في بعض الدول كألمانيا وإيطاليا ـ بالحزب المسيحي الديمقراطي ـ، ولهذا الدين دولة معروفة تحكم باسمه ـ هي الفاتيكان ـ لها سفاراتها حتى في كثير من ديار الإسلام، ولهم اجتماعات تتدخل في شؤون بعض الدول، كما حصل في اجتماع كهنة (السنودس) الذي أشار على الأحزاب اللبنانية بضرورة المشاركة في الانتخابات القادمة ، أما في بلاد الإسلام الديمقراطية ! فويل، ثم ويل لأي جهة إسلامية أو عالم مسلم يتحدث عن مثل هذه الأمور، لأنها لا تعنيه ـ في زعمهم ـ هكذا حياة المسلمين في زمن (اللامعقول) ! .

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطـر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصـر : القاهرة - ش الجلاء - الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٢٤٥٧٤٥/٥٤

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩ ،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠ ، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمـن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ١٠٦٥٥ بـاب البلقة ، هاتف ٣٠٥٩٣٥

السودان : دار اقرأ للنشر والتوزيع ، الخرطوم : ص.ب ٨٨ براري.

الكويت : درة الكويت للتوزيع ، ص.ب ٢٩١٢٦ ، الصفاة
هاتف ٤٧٢٤٦٦٦ ، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة :
ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ - ٥٣٤٥٦١ ،
فاكس ٥٣١٢٨١ .

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065

الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

■ **الاشتراكات** ■

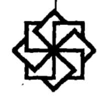
بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبـا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ **سعر العدد** ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ٥ر١ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١١ دراهمًا ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيهًا ، سلطنة عمان ٥٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

وعد الله .. الإسلام قادم





الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. وبعد :

مرت على أمتنا الإسلامية في العقود الأخيرة أحداث جسام في شتى أقطارها، وقد عانى بعض المسلمين من تلك الأحداث الكثير من الأذى والاضطهاد والتشريد والقتل والحصار، مما يعرفه القاصي والداني.

ويقف أعداء الإسلام في الشرق والغرب حيال تلك الجرائم موقف المستهتر، ولو أضير واحد من مواطنيهم لأقاموا الدنيا ولم يقعدوها بصخب إعلامي كثيف، فبينما يعاني المسلمون في البوسنة وفلسطين وكشمير وبورما والفلبين والشيشان من القتل الجماعي، والتطهير العرقي، وتدمير القرى والمدن، نجد أولئك لا تعوزهم الأعذار الباردة والحجج التافهة؛ بدعوى أن تلك الجرائم شؤون داخلية، أو أن وراءها نفر من المتطرفين الإسلاميين، أو أن إنقاذ المعتدى عليهم سيرجح كفة الصراع لمصلحة جهة دون أخرى! أما هيئة الأمم وبطرسها الأرثوذكسي، فهي تزيد الطين بلة بقرارات مشبوهة وحلول جائرة، يكون المسلمون فيها غنيمة للمعتدين، وما سلام « دايتون » عنا ببعيد .

إن هناك محاولات قائمة لإجهاض عودة الإسلام، ولكنها ـ بإذن الله ـ ستبوء بالفشل .

إن أعداء الإسلام يقفون بكل وقاحة دون قيام أي توجه إسلامي يعمل

للخروج على الهيمنة الأجنبية، أو يحاول الاستقلالية وبناء القوة الذاتية للأمة، فيعملون جاهدين على الإساءة إليه والتخويف من آثار توجهه بصورة فجة.

وحينما نتأمل في قضية « المجاهدين المسلمين » نجد تجسيداً للصورة السابقة، فحين كان هؤلاء الشباب يَقُضُّون مضاجع الجيش السوفييتي، ويخلخلون صفوفه، ويذيقون قادته الأمرّين، كانوا هم الأبطال، بل الثوار – في عرفهم – ! بل كانوا يُمَدُّون بالدعم، ويشجعون على مواصلة المقاومة للجيش الأحمر، الذي كان يقف بكل غطرسة يتحدى الغرب وجيوشه، ويقف منهم موقف الند، ثم صار ذلك الجيش أضحوكة العالم، وما لبث أن تداعت أركانه، فخرج يجر أذيال الخيبة والهزيمة من أفغانستان. نعم، نحن لا نقول : إن المجاهدين الأفغان ـ وحدهم ـ هم الذين أسقطوا الإمبراطورية السوفييتية ؛ لأنها كانت تحمل عوامل فنائها بانحراف أيديولوجيتها ودكتاتورية قادتها .

وبعد أن أدى المجاهدون دورهم في أفغانستان أصبحوا مغضوباً عليهم، ومحلاً للاعتقال والقتل بدعوى كونهم إرهابيين ومتطرفين ؛ مما أدى إلى ردود أفعال مأساوية، وكان الأولى تلافيها بالأساليب (الحضارية) التي يدعي هؤلاء تبنيها، وهم الضاربون بها عرض الحائط.

ويتكرر الموقف مع مجاهدي البوسنة، وهم الذين حز في نفوسهم أن يقف إخوانهم مسلمو البوسنة محرومين من السلاح، يتعرضون للعدوان الصربي الأرثوذكسي الحاقد في ظل عدم المبالاة الدولية، فتداعى أولئك الشباب لنجدة إخوانهم، ووقفوا ببسالة للدفاع معهم عن بيضة الإسلام وأعراض المسلمين وممتلكاتهم، وقدموا أنفسهم رخيصة في سبيل الله، فيما نحسبهم، ولا نزكي على الله أحداً.



وعد الله الإسلام قادم

فماذا يضير الغرب من هؤلاء الفتية، الذين يؤدون واجب الجهاد وواجب

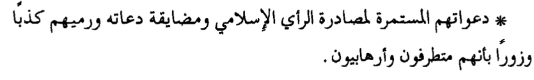
الأخوة الإسلامية ﴿ .. وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ .. ﴾ [**الأنفال** : ٧٢]، ماذا يضير الغرب من وجود أولئك النفر لولا أنه يخشى أن تعود للمسلمين دولتهم في قلب أوروبا التي ظن الغربيون أنهم أجهضوها (بمؤامرة دايتون) . ولاشك أن خوفهم من الجهاد والمجاهدين لخشيتهم من سريان هذه الروح في نفوس المسلمين بالفريضة الكبرى التي وصفها الرسول ﷺ بأنها ذروة سنام الإسلام ، وحينها فلن يقدم أحد على محاولات إذلال المسلمين ومؤمرات القضاء على قوتهم وجعلهم شعوباً متفرقين لا تجمعهم رابطة العقيدة ـ والعقيدة وحدها ـ.

وبخلاف ذلك ستكون روابطهم قومية ومنطلقاتهم أيديولوجيات منحرفة، فهذا ـ ولا شك ـ سيؤدي إلى السبات والتبعية والذلة ، هذا الموقف لا يخفى على كل مسلم أنار الله بصيرته بفهم هذا الدين من مصادره الأصيلة (كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفهم سلف الأمة الصالحين) ومعرفة الواقع على حقيقته .

لكن ما يعجب له كل مسلم أن يقوم بذلك الدور في الإساءة إلى الإسلام ودعاته ولمجاهذيه نفر من أمتنا ، هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، لكنهم يعملون بوحي من أعداء الإسلام والمنضوين تحت لوائهم من رموز العلمانية المعروفين .

إن هؤلاء الشانئين يُعرفون بسيماهم، ويعرفون بلحن القول، ومن عملهم المتواصل في الإساءة إلى الإسلام ودعاته بمناسبة وبغير مناسبة، وهم الذين يجب أن يسموا بـ (منافقي العصر) سواء أكانوا من اليسار أو اليمين، ونلمس آثار ذلك العداء القابع في صدورهم مما يسودون به صحفهم ومجلاتهم من حرب مستمرة ضد الإسلام والمسلمين، تتمثل فيما يلي :





* دعواتهم المستمرة لمصادرة الرأي الإسلامي ومضايقة دعاته ورميهم كذباً وزوراً بأنهم متطرفون وأرهابيون .



* التخويف المستمر من كل توجه إسلامي بدعوى أنه ظلامية وانحراف عن الصواب ! بينما يؤيدون كل ناعق من دعاة الباطل .

* العمل المتواصل والتشجيع المستمر لتغريب المجتمعات الإسلامية والدعوة إلى إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وادعاء أن أي دعوة لتحكيم الشريعة الإسلامية في الحياة إنما هي - في زعمهم - تخلف ورجعية .

* حينما عرف الناس حقيقة دعاة الإسلام وكانوا محل ثقتهم وتأييدهم سمح أولئك المشبوهون لنفرٍ من بني جلدتهم بالحديث باسم الإسلام لهدمه من الداخل .

* الغضب والحزن لفوز أي اتجاه إسلامي، سواءً أكان ذلك في انتخابات عامة أو نقابية أو حتى تفوق أفراده، وإظهار البغض والحقد الكامن ضدهم بشكل واضح .

إن الإسلام قادم بإذن الله وبوعد رسول الله ﷺ مهما حيكت المؤامرات من الأعداء، والتي ستفشل - إن شاء الله -؛ فحينما سقطت آخر خلافة إسلامية يوم انحرفت عن الطريق الصحيح للعقيدة، فأسقطت ببساطة بمؤامرة محبوكة الأطراف على يد الماسوني «أتاتورك»، لكن الإسلام يعود اليوم من جديد لتركيا ويفوز حزب الرفاه الإسلامي الاتجاه بالمركز الأول رغم الحرب الشعواء ضده .

ورغم تحالف العلمانيين الذين كشروا عن أنيابهم وأبانوا موقفهم العدائي المكشوف من الإسلام ، إلا أن هذا الفوز - ولا شك - مؤشر على اتجاه وخطوة على طريق طويل . وتحقيقًا لوعد الله فسيعود الإسلام، ليس إلى تركيا فقط، وإنما إلى كل ديار الإسلام التي نُحيت فيها الشريعة الإسلامية..



سيعود الإسلام رغم أنف كل (منافقي العصر) من أدعياء العلمانية .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور : ٥٥] .

وعد الله الإسلام قادم

دراسات شرعية

فن الوعظ

أهميته وضوابطه

بقلم : عبد الحكيم بن محمد بلال

■ مدخل :

في لسان العرب : الموعظة : النصح والتذكير بالعواقب[1].

والوعظ هو: ذلك الأسلوب الذي يستخدمه الداعية إلى الله إذا أراد نصح الناس وتذكيرهم بالعواقب ، فيرغبهم في الحسنة وثوابها ، ويرهبهم من السيئة وعقابها ، على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل .

ولا غنى للداعية عن استخدام أسلوب الوعظ في دعوته للناس وتربيته لهم، فقد أمر الله به نبيه ﷺ في دعوته، فقال (عز وجل) : **﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.. ﴾** [النحل : ١٢٥] ، وقال (سبحانه وتعالى) : **﴿ .. وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾** [النساء : ٦٣] ، كما أمر (تعالى) به رسله من قبل، فكان نهجهم في دعوتهم، قال (تعالى) : **﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾** [طه : ٤٤]، فالموعظة وسيلة الذكرى ، وسبيل الخشية، والقرآن كله موعظة : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾** [يونس : ٥٧] .

فالوعظ أسلوب دعوي له أهمية بالغة في إصلاح القلوب ، وتهذيب النفوس ؛ ذلك أنه متعلق بطب الأرواح وعلاجها من أمراضها الفتاكة القاتلة ، وإذا صلح

القلب صلح الجسد كله ، فانبعثت الأعضاء بالأعمال الصالحة مصداقًا على الإيمان .

وكم يكون لكلمة الواعظ من الأثر البالغ في نفوس سامعيها ، خاصة إذا نظرنا لما تيسر في هذه الأزمان من وسائل وأدوات ، تمكّن الواعظ المربي من إيصال كلمته إلى الآلاف المؤلفة ممن لا تتهيأ لهم رؤيته ولا لقاؤه .

■ **ظهور الوعاظ :**

نظرا لأهمية الوعظ فقد حرص عليه النبيﷺ، وكان يتخول أصحابه بالموعظة، ثم حرص عليه الصحابة (رضي الله عنهم) عند تفرقهم في الأمصار ، وكثرة الداخلين في الإسلام ، ثم شاع ذلك في عصر التابعين، وبرز منهم: الحسن البصري (رحمه الله)، فكان له مجلس يعظ الناس فيه .

ومع ظهور التاليف وُجد من اهتم بهذا الجانب وكتب فيه، كالإمام أحمد الذي ألف كتابًا في الزهد ، ومثله ابن المبارك وهناد ابن السري وغيرهما ، وخصص الإمام البخاري كتابًا في صحيحه أسماه : (الرقاق)، ومثله الإمام مسلم الذي ضَمَّن صحيحه كتابًا بعنوان : (الزهد والرقائق) .

واهتم به من المتأخرين جمّ من العلماء كابن الجوزي، وابن القيم، وابن رجب ، وغيرهم كثير.

وفي أواخر عصر التابعين ظهر القصاص والوعاظ ، ثم كثروا ، وقلت عنايتهم بالسنة، واختلط الحابل بالنابل، وصار بعض الوعاظ كحاطب ليل لا يدري ما يقول، أصحيح أم باطل، صدق أم كذب؟! . كما ذكر ابن الجوزي : «أن الوعاظ كانوا في قديم الزمان علماء فقهاء ... ثم خسّت هذه الصناعة ، فتعرض لها الجهال ، فبَعُد عن الحضور عندهم المميزون من الناس ، وتعلق بهم العوام والنساء ، فلم يتشاغلوا بالعلم وأقبلوا على القصص ، وما يعجب الجهلة ، وتنوعت البدع في هذا الفن»(٢).

■ **المخاطبون بالوعظ :**

يحتاج الناس كلهم إلى المواعظ والتذكير ، صغيرهم وكبيرهم ، جاهلهم وعالمهم، فاجرهم وتقيهم ، ولو كان أحد





في غنية عنها لكان أصحاب رسول الله ﷺ ، فقد كان ﷺ يتعهدهم بالمواعظ ، ويهذب نفوسهم بما يرقق قلوبهم ، والشواهد من السنة متوافرة .

ولكن ينبغي أن يكون خطاب الناس على قدر عقولهم ومداركهم وعلومهم ، فلا يكون الخطاب واحداً لكل أحد؛ وذلك لسببين :

الأول : تفاوت الناس في الدرجات، وبالتالي في الواجبات؛ فقد يجب على العالم ما لا يجب على الجاهل، ويجب على الغني ما لا يجب على الفقير، ويجب على القادر القوي ما لا يجب على العاجز الضعيف ، وهكذا . .

الثاني : أن بعض الحديث يكون فتنة إذا كان مما يُساء فهمه ، ولذا قال علي (رضي الله عنه) : «حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!»[٣]، أي : بما يفهمون ، وفي بعض رواياته : «ودعوا ما ينكرون» أي: يشتبه عليهم فهمه ، وقال ابن مسعود : «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[٤] .

■ **أساليب الوعظ :**

لا تظن أن الوعظ لا يكون إلا بخطب رنانة ، أو كلام مطوّل يُجمع له الناس ، ويتهيؤون له ، ثم تُطَأطأ الرؤوس ويبدأ الواعظ بسرد موعظته !! فكل هذا غير لازم؛ فقد كان ﷺ يعظ أصحابه بالخطبة، وقد يعظهم بما يناسب الحال ، فيذكرهم بحقارة الدنيا حين يرى جَدْيًا أَسَكّ ، ويذكرهم بنعيم الجنة حين يعجب أصحابه من حلة حرير ، ويذكرهم برحمة الله حين يرى امرأة تبحث عن صبيِّها في السبي، ثم تضمه وترضعه .

وهكذا . . . فقد تكون الموعظة قصة تُسرد ، أو مثلاً يُضرب ، أو جملة تقال ، أو فعلاً يحتذى به ، بدون تكلف أو تقعر.

■ **ضوابط الوعظ :**

في هذا العصر كثر في الوعاظ الاعتماد على الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة التي تُذْكَر بصيغة الجزم، وكذا: الاعتماد على القصص المحكية التي لا زمام لها ولا خطام، كما نجد من يعتمد الوعظ أسلوبًا وحيدًا في الدعوة

لا ثاني له ، أو يُكثر من وَعْظ الناس كثرةً تملّهم . . .

فلهذه الأمور ونحوها تبرز الحاجة الملحة للتنبيه على بعض الضوابط التي ترد الأمر إلى نصابه ، وتجعل الوعظ في صورته الشرعية البهيّة المؤثرة النافعة .

ومن هذه الضوابط ما يلي :

■ أولاً: الاعتماد على الكتاب والسنة :

يجب أن يكون اعتماد الواعظ في وعظه على كتاب الله (تعالى) ، وسنة رسوله ﷺ ، فهما أصل كل موعظة، عن النواس بن سمعان (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ ، قال: «ضرب الله مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تتفرجوا ، وداع يدعو من جوف الصراط ، فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب، قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه، والصراط : الإسلام، والسوران : حدود الله (تعالى)، والأبواب المفتحة : محارم الله (تعالى) ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله (عز وجل) ، والداعي فوق الصراط : واعظ الله في قلب كل مسلم»(٥) . والواعظ حين يحث الناس على أمر ويُحذّرهم من آخر ينبغي أن يبين لهم الدليل، ولا يجعل حديثه مجرد أوامر ونواهٍ مجردة عن الدليل ، وعن ذكر المنافع أو المضار للشيء المأمور به أو المنهي عنه ، وكل ذلك مُتضمن في الكتاب والسنة ، بالتأمل والتدبر لنصوصهما . فإذا ما أراد الواعظ أن يُثري موعظته ويُبلغ كلامه فإن أمامه مواعظ يعجز الفصحاء عن مجاراتها ، وينقطع الحكماء دون محاكاتها ، وأين كلام الله من كلام البشر ، وأين كلام من لا ينطق عن الهوى من كلام عامة البشر ؟!

وقد يعطي الله (تعالى) بعض خلقه لسانًا فصيحًا وبيانًا بليغًا ، لكن الموعظة منه لا تكمل دون الاستشهاد بالكتاب والسنة؛ فإن لهما أثرًا وهيمنة على القلوب .



■ **ثانيًا: في الصحيح غنية عن الضعيف:**

وعند اعتماد الواعظ الكتاب والسنة، فإنه سيجد في تفسير القرآن كثيرًا من الروايات الضعيفة، والإسرائيليات الموضوعة، وسيجد في كتب الحديث كثيرًا من الأحاديث التي لا تثبت، وحينئذ: فإن عليه الحيطة والحذر بمراجعة كلام أهل العلم فيها، وهذا التحري دليل على صدق الواعظ؛ ففي حديث مسلم: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع»[٦]. وقد كان حال الوعاظ في هذا الباب عجبًا، فقد قلّ فيهم العلم، وصدق في بعضهم قول ابن مسعود (رضي الله عنه): «إنكم في زمان كثير علماؤه، قليل خطباؤه، وإن بعدكم زمانًا كثير خطباؤه، والعلماء فيه قليل»[٧]، وصار كثير منهم لا يهتمون بتمييز القصص والحكايات، فهمُّهم الإتيان بالغريب من الأخبار، والعجيب من القصص؛ التي قد ينشدُّ لها العوام والجهلة، وبلغ ببعضهم الحال إلى أن اقترن ذكره بالوضع في الحديث والكذب فيه؛ حسبة للأجر والثواب!، أو تكسبًا واسترزاقًا، وعدّهم أهل الحديث في جملة الوضاعين[٨].

وقد طفحت كتب المواعظ بالقصص المنكرة، والعجائب المختلقة، ولهذا حذر الأئمة من أخبار القصاص ورواياتهم، فألف ابن تيمية كتابًا سماه: (أحاديث القصاص)، وألف السيوطي كتابًا سماه: (تحذير الخواص من أكاذيب القصاص)، ولابن الجوزي: (القصاص والمذكرين)[*] ونحوها كثير.

ومن كتب الوعظ التي ينبغي الحذر منها، حيث كثر فيها الغث:

(الروض الفائق في المواعظ والرقائق) لأبي مدين الحريفيش، (وروض الرياحين في حكايات الصالحين) لأبي السعادات اليافعي، و(قرة العيون ومفرح القلب المحزون، وبستان العارفين، وتنبيه الغافلين) كلها لأبي الليث السمرقندي، و(إحياء علوم الدين) لأبي حامد الغزالي[**].

ولئن أجاز بعض السلف ذكر الحديث الضعيف في أبواب الفضائل،

فإن هذا ليس على إطلاقه ؛ فقد شرطوا له شروطًا ثلاثة :

١ـ ألا يكون الضعف شديداً.

٢ـ أن يكون الحديث مندرجًا تحت أصل عام .

٣ـ ألا يعتقد عند العمل به ثبوته[٩] .

ولا يخفى أن هناك فرقًا بين ذكر الحديث الضعيف والاحتجاج به ؛ فإن ذكره لا يعني إثبات حكم شرعي به[١٠] .

■ **ثالثًا : تعهد الناس بالموعظة:**

النفس تمل وتسأم فيضعف أثر التذكير فيها ؛ وربما كرهته فلم يُنتفع به حينئذ؛ لذا: كان النبي ﷺ ـ لخبرته بالنفوس ـ يتعهد أصحابه بالنصح والتذكير، أيامًا وأيامًا ، ولا يُكثِر عليهم؛ لئلاً يملوا، وكذا كان صحابته الذين تربوا على يديه يمتثلون ذلك ، بل ويوصون به :

فعن عكرمة عن ابن عباس قال : «حدّث الناس كل جمعة مرة ، فإن أبيت فمرتين ، فإن أبيت فثلاث مرات، ولا تُملَّ الناس هذا القرآن ، ولا ألْفينَّك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم ، فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم ، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه . .» الحديث[١١] .

وعن أبي وائل ، قال : كان عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ يذكرٌ الناس في كل خميس ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن : لوددت أنك ذكَّرتنا كل يوم ، قال : «أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملّكم ، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها؛ مخافة السآمة علينا»[١٢] .

فعلى الواعظ أن يتفرس في حال الموعوظين ، ويتحيَّن نشاطهم ليقبلوا بقلوبهم ، فينتفعوا بإذن الله (تعالى) . ولينظر الداعية في مدى تطبيقه لهذا المبدأ التربوي العظيم ، الذي تُحفظ به الأوقات، والجهود ، ويُؤْمَنُ به من نفرة الناس وضجرهم، وله في رسول الله ﷺ خير أسوة، فقد كان ـ كما قال جابر بن سمرة ـ: «لا يطيل الموعظة يوم الجمعة ، إنما هن كلمات يسيرات»[١٣]، وقالت عائشة (رضي الله عنها) : « إن النبي ﷺ كان يحدث حديثًا لو عدّه العادّ لأحصاه»[١٤].



■ رابعـًا : الحــذر من المبــالغــة، والتهويل، وتقنيط الناس :

اجتهادا في محبة الخير للناس والخوف عليهم يقوم الواعظ أحيانًا بتضخيم جزاء السيئة ، وعقوبة المعصية، فيزيد على الوارد فيها أحيانًا ، ويهول ويعظم أخرى، حتى يخيل لسامعه أن عذاب الله نازل به لا محالة، وأنه لا توبة له ، وأن عمله الصالح لن ينفعه ، وأنه لا حيلة له !!.

وقد يحدث العكس أحيانًا عند بعض الوعاظ ، فيُهَوِّنون من المعصية ويقللون من شأنها !! والمنهج الشرعي الوسط : الموازنة بين الترغيب والترهيب ، والخوف والرجاء ، قال الله (تعالى) : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

ولهذا أثنى الله على عباده المؤمنين بجمعهم بين هاتين الصفتين الكريمتين ، فقال: ﴿ .. وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ.. ﴾ [الإسراء: ٥٧] ، وقالت عائشة (رضي الله عنها) لعبيد بن عمير: « إياك وإملال الناس وتقنيطهم»[١٥] .

■ خامسًا : البلاغة بلا تكلف :

كانت مواعظ النبي ﷺ بليغة غير متكلفة، فقد جاء في حديث العرباض (رضي الله عنه) : « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ... »[١٦]، قال ابن رجب: « والبلاغة في الموعظة مستحبة؛ لأنها أقرب إلى القلوب واستجلابها ، والبلاغة : هي التوصل إلى إفهام المعاني المقصودة، وإيصالها إلى قلوب السامعين بأحسن صورة من الألفاظ الدالة عليها ، وأفصحها وأحلاها للأسماع ، وأوقعها في القلوب، وكان ﷺ يقصر خطبتها ، ولا يطيلها، بل كان يبلغ ويوجز»[١٧] . وفي ظل اهتمام المتحدث ببلاغته في خطبته قد يجنح فيقع في التكلف، يظنه بلاغة !.

ومن صور التكلف :

أ ـ التقوُّل لما لا يعلم :

عن مسروق قال : « دخلنا على عبد الله بن مسعود، قال : يا أيها الناس من علم شيئًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول لما لا

يعلم : الله أعلم ، قال الله (عز وجل) لنبيه ﷺ : ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[18] .

ب ـ السجع :

في قول ابن عباس المتقدم : « ... فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه ، فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه ، فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب »، قال الغزالي : « المكروه من السجع هو المتكلف ، لأنه لا يلائم الضراعة والذلة ، وإلا ففي الأدعية المأثورة كلمات متوازية لكنها غير متكلفة »[19] .

والحال في الموعظة ـ بالنسبة للسجع ـ كالحال في الدعاء ، فإن فيه ـ في الغالب ـ تكلفًا مُذْهِبًا لرونق الموعظة وخشوعها ، إلا الحسن منه ، وهو: ما خلا من التكلف والتكرار ، وكانت الألفاظ المسجوعة حلوة المذاق .

جـ ـ الثرثرة والتشدق والإطناب لغير حاجة :

الثرثرة تعني : كثرة الكلام تكلفًا وخروجًا عن الحق[20] ، عن جابر (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أحبكم إليّ وأقربكم مجلسًا مني يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إليّ، وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون ... » الحديث[21] .

فينبغي للواعظ أن يراعي في وعظه الحال من جهة الإيجاز والإطناب ، وإن كان الأصل : أن المواعظ تكون أميل إلى الإيجاز بعيداً عن التشدق والثرثرة ، واقتداء بالنبي ﷺ الذي نهى عن ذلك ، وأخذاً بمنهج السلف في ذلك ، وقد تكون للإطناب حاجة من ضعف فهم السامعين ، أو ظن الواعظ صعوبة فهم ما ألقاه عليهم .

■ **سادسًا : استغلال المناسبات والأحداث :**

كان ﷺ يستغل المناسبة أو الحدث ـ ولو كان يسيراً قد لا يوقف عنده، ولا يؤبه به ـ وينطلق من خلاله مربيًا واعظًا ، والشواهد كثيرة، منها :

ـ قوله لما دخلت العشر : « ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه العشر .. »[22] .

دراسات شرعية

ـ قوله يوم النحر : « أي شهر هذا ؟ ... فأي بلد هذا ؟ ... فأي يوم هذا؟..». ثم قال : « فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا؛ في بلدكم هذا ، في شهركم هذا... »[٢٣].

ـ أُهديت له ﷺ حلة حرير ، فجعل أصحابه يمسونها ، ويعجبون من لينها ، فقال : « أتعجبون من لين هذه ؟ لمناديل سعد بن معاذ خير منها ... »[٢٤] .

وهكذا ينبغي للواعظ ؛ فلا يحدث الناس عن الزهد في الدنيا أو الموت وهو في مناسبة زواج !! أو يحدثهم عن فضل الفقير الصابر وهم أغنياء في زمن سعة... ونحو ذلك كثير .

وكم يخسر الواعظ حين تمر به مناسبة أو حدث ، ويكون قد هيأ في نفسه كلامًا من قَبْل ليعظ به الناس، فيلقي ذلك الكلام ويعرض عن استغلال تلك المناسبة ! إنه يفوِّت بذلك رصيدًا من الفهم عند السامعين كان يمكنه تحصيله لو استغل تلك المناسبة أو ذلك الحدث .

ويتحقق ذلك في أبهى صوره عندما يجمع الواعظ بين العلم والحكمة، فيقدر لكل أمر قدره، ويعطيه ما يستحقه .

■ **سابعًا : الهيمنة بالتأثير الوعظي على المخاطبين :**

عن العرباض بن سارية قال : وعظنا رسول الله ﷺ يومًا ـ بعد صلاة الغداة ـ موعظة بليغة ، ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب، فقال رجل : إن هذه موعظة مودع، فبماذا تعهد إلينا يا رسول الله ؟ قال : « أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، ... » الحديث .

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده ، ويحركها، يقبل بها ويدبر ، يمجد الرب نفسه : أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الملك، أنا العزيز ، أنا الكريم ، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا : ليخرَّن به !! »[٢٦].

« ولا يتصف الواعظ الداعية بهذه الهيمنة والتأثير إلا أن يكون مخلص النية،

رقيق القلب ، خاشع النفس... وإلا فالمسؤولية كبيرة عند رب العالمين:

روى ابن أبي الدنيا عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة ، ما أردت بها؟» قال : فكان مالك إذا حدثني بهذا بكى ، ثم يقول : أتحسبون أن عيني تقرّ بكلامي هذا عليكم، وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ما أردت به ؟! ، أنت الشهيد على قلبي، لو أعلم أنه أحب إليك ، لم أقرأ على اثنين أبداً»[٢٧] .

وفرق كبير بين داعية يتكلم بلسانه، وهو متصنع للكلام ليسبي به قلوب الرجال، وبين داعية مخلص مكلوم القلب على الإسلام يتكلم بنبضات قلبه، ولواعج حزنه وأساه»[٢٨] .

قال ذرّ لأبيه عمر بن ذر : يا أبت : ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد، فإذا تكلمت يا أبتي سمعت البكاء من هاهنا وهاهنا ؟ فقال : يا بني : ليست النائحة المستأجرة كالنائحة الثكلى[٢٩] .

إن الموعظة المخلصة ، إذا وجدت لها نفساً صافية ، وقلباً متفتحاً متدبراً ، فإنها أسرع للاستجابة ، وأبلغ في التأثير ، وهذا المعنى قد أكده القرآن في آيات كثيرة ، كقوله (تعالى) : **﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾** [ق : ٣٧] وقال: **﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾** [ق : ٨] .

■ **ثامناً : الاستشهاد بالقصة الصحيحة المؤثرة :**

ينبغي للواعظ استخدام القصص الهادفة المؤثرة ، فهي تشدّ السامع ، وتقرِّب له الهدف، وهذا هو منهج القرآن، قال الله (تعالى) : **﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾** [**القصص** : ٣] ، وهذه طريقة النبي ﷺ ، والسيرة مليئة بقصص من كانوا قبلنا مما حكاه النبي ﷺ لأصحابه ، كقصة الذين تكلموا في المهد ، والثلاثة الذين أطبق عليهم الغار، وقصة أصحاب الأخدود ، وغيرها كثير .

ومن المسلَّمات التربوية : أن التربية بالقدوة لها أثر عظيم ، بل إنها تفوق الكلام النظري بكثير ، والقدوة قد تكون

حاضرة مشاهدة ، وقد تكون محكيّة بالقصص ، فلا عجب أن تكثر القصص كثرة كاثرة في كتاب الله (تعالى) وسنة نبيه ﷺ .

ولكن لا بد من انتباه الواعظ إلى أمرين:

الأول :أن عليه ـ كما سبق ذكره ـ أن يتحرى الصحيح منها، ولا يذكر القصة لذيوعها وانتشارها بين الناس، بل لثبوتها .

الثاني :أن عليه ألا يقف عند جزئيات الحوادث التاريخية وتفاصيلها ، ويهمل الدروس والعبر المستفادة منها ، فإنها هي المقصودة من القصص، قال (تعالى): ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ** .. ﴾ [**يوسف**:١١١] . ولكن ينبغي أن تكون الاستفادة باستنباط الدروس والعبر بلا مبالغة ولا تهويل ، بحيث لا يستنبط منها غير ما تنبئ عنه، وبذلك توضع القصة في موضعها الصحيح .

■ **تاسعًا : الوعظ في موضعه الصحيح:**

ركز بعض الناس على التربية بالوعظ تركيزًا شديدًا ، وظنَّ أنَّ الوعظ هو الوسيلة الوحيدة للبناء والتربية ، والصحيح أن الوعظ باب مهم من أبواب التربية ، ولكنه ليس الباب الوحيد ، فأبواب الدين كثيرة ـ ولله الحمد ـ ، كالعلم والتعليم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله .. ونحوها. وهذه الأبواب تكوِّن بمجموعها وحدة واحدة متآلفة ، ويجب إعطاء كل باب حقه الشرعي ، في وقته الشرعي دون إفراط أو تفريط .

كما أن الوعظ لا يعد نهاية المطاف ، بل إن الهدف من الوعظ هو إعداد النفس وتزكيتها ، لتَحَمُّل تكاليف هذا الدين، وتَعلُّمِ أحكامه ، وحَمْلِ رسالته .

---

(١) لسان العرب ، م٦ ص٤٨٧٤ .

(٢) انظر: تلبيس إبليس ، ص ١٢٣ .

(٣) البخاري، كتاب العلم ، باب ٤٩ .

(٤) مسلم، المقدمة ، ص ١١ .

(٥) رواه أحمد ، جـ٤ ص١٨٢ ، وانظر صحيح الجامع ، ح ٤٨٨٧ .

(٦) مسلم ، ح ٥ ، وعند أبي داود ح ٤٩٩٢ : « كفى بالمرء إثمًا .. » .

(٧) أخرجه أبو خيثمة في كتاب العلم ، ص ١٠٩.

(٨) انظر شرح الألفية للسخاوي، جـ١، ص٢٨٣.

(٩) السابق: جـ١ص٣١٣.

(١٠) انظر الفتاوى، جـ١٨ ص ٦٦.

(١١) رواه البخاري، ح ٦٣٣٧.

(١٢) رواه البخاري، ح ٧٠.

(١٣) رواه أبو داود، ح ١١٠٧، وانظر: صحيح سنن أبي داود، ح ٩٧٩.

(١٤) البخاري، ح ٣٥٦٧.

(١٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، جـ٢ ص ١٢٨.

(١٦) صحيح سنن الترمذي، ح ١٢٥٧.

(١٧) جامع العلوم والحكم، جـ٢ ص ١١١.

(١٨) رواه البخاري، ح ٤٨٠٩.

(١٩) الفتح، جـ١١ ص ١٤٣.

(٢٠) لسان العرب، م١ ص ٤٧٧.

(٢١) صحيح سنن الترمذي، ح ١٦٤٢.

(٢٢) رواه الترمذي، ح ٧٥٧.

(٢٣) رواه مسلم، ح ٦٧٩.

(٢٤) رواه البخاري عن البراء، ح ٣٨٠٢.

(٢٥) رواه مسلم، ح ٢٩٥٧.

(٢٦) وصحح أحمد شاكر إسناده، ح ٥٤١٤.

(٢٧) أخرجه في الصمت وآداب اللسان، ص٢٩٥، رقم ٥١٤، وقال المنذري في الترغيب، جـ١ ص ١٢٥: بإسناد جيد. أهـ، والمرفوع في ضعيف الجامع، ح٢٥٠٢.

(٢٨) تربية الأولاد في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، جـ٢ ص ٧١٥.

(٢٩) الحلية، لأبي نعيم، جـ٥ ص ١١٠.

* وقد شحن ابن الجوزي كتبه الوعظية بالأحاديث الموضوعة، والقصص الباطلة، - كما ذكر ذلك السخاوي (شرح الألفية، جـ١ ص٢٧٧) - ومن هذه الكتب: المدهش، وذم الهوى، والمواعظ والمجالس.

** ذكر ابن تيمية كتاب (الإحياء) فانصفه، كما هو منهج أهل السنة، فذكر أن فيه فوائد في أعمال القلوب والأدب، لكن فيه مواد مذمومة فاسدة: من كلام الفلاسفة وأغاليط الصوفية، وفيه أحاديث موضوعة كثيرة، ويمكن الاستفادة بالكتاب مع تخريج الحافظ العراقي، ولكن ينبغي ألا يشتغل به إلا ذوو القدم الراسخ في العلم الشرعي.

مصادر التفسير: (٣)

تفسير الصحابة للقرآن

- الحلقة الأولى -

بقلم : مساعد بن سليمان الطيار

بدأ الكاتب هذه السلسلة بالحديث عن مصادر التفسير، وبين المقصود بها، ثم تحدث عن تفسير القرآن بالقرآن ، ثم بالسنة، محرِّرًا المصطلحات وذاكرًا نماذج من النصوص المندرجة تحتها، وحديثه في هذه الحلقة وما بعدها عن تفسير الصحابة (رضي الله عنهم) .

- البيان -



الصحابة (رضوان الله عليهم) خِيَرَةُ الله (سبحانه) لرسوله ﷺ ، جعلهم أنصار دينه ، ووزراء نبيِّه ﷺ ، وهم أرقُّ الناس قلوبًا ، وأعمقهم علمًا ، وأبعدهم عن التكلف ، حفظ الله بهم الدين ، ونشره بهم في العالمين ، وكانوا في علمه بين مُكْثِرٍ ومُقِلٍّ .

قال مسروق : « لقد جالست أصحاب محمد ﷺ فوجدتهم كالإخاذ (الغدير)، فالإخاذ يروي الرجل ، والإخاذ يروي الرجلين ، والإخاذ يروي العشرة ، والإخاذ يروي المئة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم، فوجدت عبد الله ابن مسعود من ذلك الإخاذ » [١] .

ولما كان لهم من الصحبة والقرب من رسول الله ﷺ ومعرفة أحواله ، فإن لأقوالهم تقدُّمًا على غيرها عند أهل العلم ، فتجدهم يعتمدون عليها في بيان الدين ، ويتخيَّرُونَ من أقوالهم إذا اختلفوا ، غير خارجين عنها إلى غيرها [٢] .

هذا ، وقد تميَّزت أقوالهم بالعمق من غير تكلُّف ، ومن نظر في تفسيراتهم ووازنها

بأقوال المتأخرين عَرَفَ صدق هذا القول .

ولقد كان من أبرز مَنْ أظهر هذه الفكرة، وبيّن ما للصحابة من مزيّة في عباراتهم التفسيرية الإمامُ ابن القيم في كتبه ، ومن ذلك قوله : « ... فعاد الصواب إلى قول الصحابة ، وهم أعلم الأمّة بكتاب الله ومُراده » (٣) .

أهمية تفسير الصحابة :

وقد ذكر العلماء أسبابًا تدلُّ على أهمية الرجوع إلى تفسيرهم ، وهذه الأسباب كالتالي :

١ ـ أنهم شهدوا التنزيل ، وعرفوا أحواله.

لقد كان لمشاهدتهم التنزيل ، ومعرفة أحواله أكبر الأثر في علوّ تفسيرهم وصحته، إذ الشاهد يدرك من الفهم ما لا يدركه الغائب .

وفي حجيّة بيان الصحابة للقرآن، فيما لو اختلفوا ، قال الشاطبي : « وأما الثاني : مباشرتهم للوقائع والنوازل ، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنّة ، فهم أقْعَدُ في فَهْم القرائن الحالية ، وأعرف بأسباب التنزيل ، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يراه الغائب .

فمتى جاء عنهم تقييدُ بعض المطلَقات ، أو تخصيص بعض العمومات ، فالعمل عليه على الصواب، وهذا إن لم ينقل عن أحدهم خلاف في المسألة ، فإن خالف بعضهم فالمسألة اجتهادية » (٤).

ومعرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن ؛ لأن الجهل بأسباب النزول مُوقِعٌ في الشُّبَه والإشكالات ، ومُوردٌ للنصوص الظاهرة مَورِدَ الإجمال حتى يقع الاختلاف .

وإنما يقع ذلك ؛ لأن معرفة أسباب النزول بمنزلة مقتضيات الأحوال التي يُفْهَمُ بها الخطاب ، وإذا فات نقل بعض القرائن الدالّة فات فهم الكلام جملة ، أو فهم شيءٍ منه .

ومعرفة أسباب النزول رافعة لكل مشكلٍ في هذا النمط ، فهي من المهمات في فهم الكتاب بلا بدٍّ، ومعنى معرفة السبب هو معنى مقتضى الحال (٥) .

إن ممّا يدلُّ على ما سبق من الكلام : ما رواه أبو الشيخ وابن مردويه والحاكم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : « أُتيَ

برجلٍ من المهاجرين الأولين ـ وقد شرب الخمر ـ فأمر به عمر أن يُجلد ،فقال : لِمَ تجلدني ؟! بيني وبينك كتاب الله ، قال : وفي أيِّ كتاب الله تجد أن لا أجلدك ؟.

قال : فإن الله (تعالى) يقول في كتابه : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا .. ﴾ [المائدة : ٩٣] ، فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وأحسنوا ؛ شهدت مع رسول الله ﷺ : بدراً ، وأحداً ، والخندق ، والمشاهد .

فقال عمر : ألا تَرُدُّون عليه ؟

فقال ابن عباس : هؤلاء الآياتَ نزلت عذراً للماضين ، وحجةً على الباقين ، عذراً للماضين ؛ لأنهم لَقُوا الله قبل أن حرَّم الله عليهم الخمر ، وحجة على الباقين ؛ لأن الله يقول : ﴿ .. إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ .. ﴾ [المائدة : ٩٠ [المائدة : ٩٠]. حتى بلغ الآية الأخرى »[٦].

فانظر كيف خفي على هذا البدريِّ (رضي الله عنه) حكم هذه الآية لمَّا لم يكن يعلم سبب نزولها ؟ وكيف لم تكن مشكِلة عند من علم سبب نزولها ؟ فنزلها منزلتها ، وبيَّن معناها .

٢ ـ أنهم عرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن :

يقول الشاطبي ـ في بيان أهمية معرفة الأحوال في التفسير ـ : « ومن ذلك : معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها. ومجاري أحوالها حالة التنزيل ، وإن لم يكن ثَمَّ سبب خاص ، لا بدَّ لمن أراد الخوض في علم القرآن منه ، وإلا وقع في الشُّبه والإشكالات التي يتعذَّر الخروج منها إلا بهذه المعرفة »[٧] .

● ومن الأمثلة التي تدلُّ على أهمية معرفة أحوالهم في التفسير: ما رواه البخاري في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ .. ﴾ [البقرة : ١٩٨] عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : « كانت عُكاظٌ ومجنَّةٌ وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية ، فتأثَّموا أن يَتَّجروا في المواسم، فنزلت ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ .. ﴾ في مواسم الحج »[٨] .

دراسات قرآنية

● ومثله ما رواه البخاري عن عائشة (رضي الله عنهما) قالت : « كانت قريش ومن دَانَ دينها يقفون المزدلفة ، وكانوا يسمّون الحُمْسُ ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيَّه ﷺ أن يأتي عرفات ، ثُمَّ يقفَ بها ، ثُمَّ يُفيضَ منها، فذلك قوله (تعالى) : ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ..﴾ [البقرة : ١٩٩] (٩).

● ومثله ما رواه البخاري عن ابن المنكدر، قال : « سمعت جابراً (رضي الله عنه) قال : كانت اليهود تقول : « إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول ، فنزلت ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ..﴾ »(١٠) .

٣ ـ أنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن :

لما كان القرآن نزل بلغتهم ، فإنهم أعرف به من غيرهم ، وهم في مرتبة الفصاحة العربية، فلم تتغيَّر ألسنتهم ، ولم تنزل عن رتبتها العليا في الفصاحة ، ولذا فَهُم أعرف من غيرهم في فهم الكتاب والسنة، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صحّ اعتماده من هذه الجهة (١١) .

كما أن ما نقل عنهم من كلام أو تفسير فإنه حجَّة في اللغة ، وفيه بيان لصحَّة الإطلاق في لغة العرب ، قال ابن حجر : « استشكل ابن التين قوله (١٢) : « ناساً من الجن » من حيث إن الناس ضدُّ الجنّ .

وأجيب بأنه على قول من قال : إنه من نَاسَ : إذا تحرك ، أو ذُكر للتقابل ، حيث قال : (ناس من الناس) ، (وناساً من الجن)

ويا ليت شعري، على من يعترض؟!» (١٣).

٤ ـ حسن فهمهم :

إن من نَظَرَ في أقوال الصحابة في التفسير متدبراً لهذه الأقوال ، ومتفهماً لمراميها ، وعلاقتها بتفسير الآية، فإنه سيتبيَّن له ما آتاهم الله من حسن البيان عن معاني القرآن ، من غير تكلُّفٍ في البيان، ولا تعمُّق في تجنيس الكلام ، بل تراهم يُلْقون الألفاظ بداهة على المعنى ، فتصيب منه المراد .

وكان مما عزَّز لهم حسن الفهم : ما سبق ذكره من الأسباب التي دعت إلى الرجوع إلى تفسيرهم من : مشاهدة التنزيل ، ومعرفة أحوال من نزل فيهم القرآن ، وكونهم أصحاب اللسان الذي نزل به

القرآن ، مع ما لهم من معرفة بأحوال صاحب الشريعة ﷺ ، مما كان يعينهم على فهم المراد وحسن الاستنباط، قال ابن القيم: « قال الحاكم أبو عبد الله، في التفسير من كتاب المستدرك : ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل ، عند الشيخين حديث مسند »[١٤] .

وقال في موضع آخر من كتابه : « هو عندنا في حكم المرفوع »[١٥] .

وهذا وإن كان فيه نظرٌ ، فلا ريب أنه أولى بالقبول من تفسير من بعدهم ، فهم أعلم الأمة بمراد الله (عز وجل) من كتابه؛ فعليهم نزل ، وهم أول من خوطب به من الأمة ، وقد شاهدوا تفسيره من الرسول ﷺ علمًا وعملاً ، وهم العرب الفصحاء على الحقيقة ، فلا يُعدَلُ عن تفسيرهم ما وجد إليه سبيل»[١٦] .

إن هذه المزيَّة تُوجِبُ على دارسِ التفسير أن يرجع إلى أقوالهم ، وأن يَفْهَم تفسيراتِهم، ليَعْتَمِد عليها في التفسير ، ويبنيَ عليها مسائل الآيات وفوائدها .

غير إن كثيراً ممن يَدْرُسُ التفسير أو يُدَرِّسُه لا يهتم بإيراد أقوال الصحابة[١٧]، وكثيراً ما تراه يكتفي بأن ينسب التفسير إلى المتأخرين من المفسرين كالزجاج والزمخشري وابن عطية والقرطبي وأبي حيان وابن كثير... وغيرهم .

إن في هذا المسلك ما يقطعُ على طالب العلم شرف الوصول إلى علوم هؤلاء الصحابة وأفهامهم ، بل قد يجعله ينظر إلى أقوالهم نظر المقلِّلِ من شأنها ، ويرى أن تفسيراتهم سطحيَّة ، لا عمق فيها ، ولا تقريرا!! .

وهذا خطأ مَحْضٌ، ومجانبة الصواب، وإنما كان سبيل أهل العلم الراسخين فيه أنهم « يتكثَّرون بموافقة الصحابة »، وانظر كم الفرق بين أن يُقال : هذا قول ابن عباس في الآية ، أو يقال : هذا قول الزجاج أو ابن عطية أوغيرهم في الآية .

فانظر إلى ما ستميل إليه نفسك؟ ، وأي قول سيطمئن له قلبك ؟.

٥ ـ سلامة قصدهم :

لم يقع بين الصحابة خلافٌ يؤثِّر في علمهم ، بحيث يوجِّه آراءهم العلمية إلى ما يعتقدونه ، وإن كان مخالفًا للحق ، بل كان شأن الخلاف بينهم إظهار الحق ، لا الانتصار للنفس أو المذهب الذي ذُهِبَ إليه.

لقد ظهر ـ خلاف أمرهم في الخلاف ـ فيمن بعدهم من أصحاب العقائد الباطلة؛ كالخوارج ، والمرجئة ، والجهمية، والمعتزلة، وغيرهم ، فظهر في أقوالهم مجانبةُ الحق ، وكثر الخلاف بسبب كثرة الآراء الباطلة ، مما جعل القرآنَ عُرضةً للتحريف والتأويل ، إذ كلٌّ يصرفه إلى مذهب ، وهذا مما سلم منه جيل الصحابة، فلم يتلوَّث بمثل هذه الخلافات.

ولهذا جاء تفسيرهم بعيداً عن إشكالات التأويل ، وصرف اللفظ القرآني إلى ما يناسب المذهب، أو غيرها من الانحرافات في التفسير .

---

١ ـ المدخل إلى السنن الكبرى ، ص ١٦ .

٢ ـ انظر : المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي، ص١٠٩ ـ ١١٠ .

٣ ـ انظر : بدائع التفسير ، جـ٢ ص٢١٦ ، وجـ٣ ص٣١٣، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، وشفاء العليل، ص٥٤ .

٤ ـ انظر : الموافقات بتحقيق محيي الدين عبد الحميد ، جـ٣ ص ٢١٨ ـ ٢١٩ .

٥ ـ الموافقات، جـ٣ ص ٢٢٥ (بتصرف).

٦ ـ الدرر المنثور، جـ٣ ص ١٦١ ، وانظر : المستدرك.

٧ ـ الموافقات، جـ٣ ص ٢٢٩ ، وقد أحال في هذه المسألة على النوع الثاني من المقاصد (جـ٢ص٤٤)، والموافقات، جـ٣ ص ٢٢٧ .

٨ ـ انظر : فتح الباري ، جـ٨ ص٣٤ .

٩ ـ انظر : فتح الباري ، جـ٨ ص ٣٥ .

١٠ ـ انظر : فتح الباري، جـ٨ ص ٣٧ .

١١ ـ انظر : الموافقات ، جـ٣ ص ٢١٨ .

١٢ ـ يعني ابن مسعود (رضي الله عنه).

١٣ ـ فتح الباري، جـ٨ ص٢٤٩ .

١٤ ـ المستدرك ، جـ٢ ص٢٥٨ .

١٥ ـ المستدرك .

١٦ ـ بدائع التفسير ، جـ٣ ص٤٠٤ .

١٧ ـ وأيضًا التابعين وأتباعهم ممن لهم عناية بالتفسير .

مقال

مسألة القدر المشترك من خلال كتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها في الإيمان بالغيب

بقلم: سامي السويلم

مما فطر الله عليه الخلق : القدرة على الجمع بين المتشابهات ، والتفريق بين المتغايرات ؛ فالطفل مثلاً: يدرك أن أباه «رجل» ، كما أن عمه كذلك، وإمام المسجد كذلك ، .. وهكذا ، لكنه يدرك أيضاً إن أباه ليس عمه، وليس إمام الحي ، أي إن الأب والعم والإمام يشتركون في بعض الخصائص ، كالرجولة، لكنهم يختلفون في أشياء كثيرة . ولفظ « رجل » يقتصر على معنى يشترك فيه هؤلاء ، أي: على «قدر مشترك» بينهم .

ومن زار مكة وطيبة والرباط يجد قواسم مشتركة بين هذه المدن ، وبموجب هذا الاشتراك نطلق على كل منها لفظ «مدينة»، فهذه مدينة الرباط ، ومدينة مكة، ومدينة الرسول ﷺ، مع أننا ندرك جيداً الاختلاف الكبير بين هذه المدن؛ فلفظ «مدينة» إذن يشير إلى معنى موجود في كل من هذه المدن الثلاث، وإن اختلفت فيما بينها، حتى في درجة المدنية وتطورها .

ونحن نرى الثلج فنجده أبيض ، ونرى السحاب والبيض ، فنجد كل واحد منهما أبيض، مع أن بياض الثلج يختلف عن بياض السحاب ، عن بياض البيض، .. وهكذا . أي إن لفظ «أبيض» يدل على معنى مشترك بين صفة البياض في هذه الأشياء، وإن تفاوت مقدار هذا المعنى من شيء إلى آخر .

من الأمثلة المتقدمة نستنتج أن الله (تعالى) وهب العقل البشري قدرة فذة على إدراك أوجه الشبه بين أشياء متغايرة ومتباينة ، كما ألهمه استعمال ألفاظ تسمى : «الألفاظ المتواطئة» تشير إلى المعاني المشتركة ، دون أن يستلزم ذلك انتفاء المغايرة أو التفاوت بين ما تطلق عليه هذه الألفاظ ، فهذه المعاني المشتركة هي ما يسمى : «القدر المشترك» ، ويسمى التفاوت الحاصل : «القدر المميِّز» ، وهذه القدرة ، التي تبدو لنا بدهية ، هي في نظري خاصة بديعة ، تشهد لخالقها بالعظمة والجلال .

إن هذه المقدمة البدهية ، التي قد لا يجد القارىء لأول وهلة جديداً فيها ، تمثل أساساً مهمًّا تصاغ من خلاله عقيدة أهل السنة والجماعة في توحيد العلم والقول، وكون القارىء لا يجد فيها جديداً يؤكد انفراد عقيدة أهل السنة والجماعة بالجمع بين اليسر والعمق .

توظيف القدر المشترك في إدراك الغيب:

فالإنسان يستطيع أن يستخدم هذه الخاصية في إدراك أشياء لم يرها قط ، ولم يعاينها من ذي قبل: فإذا سمع الطفل مثلاً عن «رجل» ينظم سير السيارات يسمى «رجل المرور» ، أدرك شيئًا من صفاته ، وإن لم يكن قد رآه من قبل ، وإن لم يستوعب صفته كما يستوعب صفة أبيه وعمه وإمام المسجد؛ فهو يدرك أن رجل المرور فيه شبه من أبيه وعمه وإمام الحي ، وهذا الشبه استنتجه الذهن من لفظ «رجل» الذي يطلق أيضاً على هؤلاء .

وهكذا: إذا سمعنا عن مدينة لم نرها من قبل (طنجة مثلاً) فستتكون لدينا صورة عن هذه المدينة، استطعنا أن نرسم هذه الصورة من معرفتنا للفظ «مدينة» ، فهذا اللفظ نعلم أنه يدل على معانٍ مشتركة توجد في مكة وطيبة والرباط . لكن الصورة تظل عامة لأننا ندرك أنه كما اختلفت الرباط عن مكة عن طيبة ، فقد تختلف طنجة عن هذه المدن ، وتتميز عنها بما لا يوجد في المدن الأخرى.

إذن، فالعقل البشري يدرك أوجه الشبه بين الأشياء التي يراها ويخبرها ، ويطلق على



هذه الأوجه والمعاني المشتركة ألفاظًا مطلقة ، فإذا سمع هذا اللفظ مضافًا إلى شيء لم يره من قبل أدرك ثبوت القدر المشترك لذلك الشيء الغائب، دون أن يستلزم ذلك نفس ما قد يوجد من أوجه الاختلاف أو التفاضل بينه وبين ما رآه من قبل .

أثر المسألة في الإيمان بالغيب :

ويدخل في ذلك ما أخبرنا به الله (تعالى) ورسوله ﷺ مما لم نشاهده وذلك مثل: الصفات الإلهية ، والجنة والنار ، والصراط، والحوض، والميزان ، والملائكة والروح ، . . . ونحوها ، فكيف يمكن أن يدرك العقل البشري صفة ما غاب عنه ، وهو لم يره قط؟!.

الجواب يتلخص في تلك الخاصية الفذة التي وهبها الله(تعالى) للعقل البشري ؛ فنحن نفهم معنى « أجنحة » في قول الله (تعالى) : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ** .. ﴾ [فاطر : ١] مما تكون لدينا من معنى عام للفظ « جناح » في إطلاقاته المألوفة لدينا : فهناك جناح النسر، وجناح الحدأة ، وجناح الحمام ، وجناح العصفور ، وجناح الذباب ، وجناح البعوض..

فمن هذه الاستعمالات المختلفة للفظ « جناح » يستنتج الذهن معنًى عامًّا ، هو القدر المشترك بين مدلوله في تلك الأشياء المختلفة التي رأيناها وعرفناها ، فإذا أخبرنا الله (تعالى) أن للملك جناحًا ، استنتج الذهن مفهومًا عامًّا مطلقًا عن جناح الملك من خلال إثبات ذلك القدر المشترك الذي استخلصناه من استعمالات هذا اللفظ فيما نشاهده ، لكن المفهوم يظل مطلقًا لأننا ندرك أن طبيعة الملك تختلف عن طبيعة الطيور والإنسان وسائر ما قد يستعمل له لفظ « جناح » فيما نشاهده من مخلوقات ، تمامًا كما تختلف هذه المخلوقات التي نشاهدها فيما بينها ، مع ثبوت القدر المشترك للفظ فيها جميعًا ، وكلما كان

الإنسان أكثر إحاطة بهذا الاختلاف في المشهودات ، مع ثبوت القدر المشترك بينها ، كان أكثر قدرة على إدراك الاختلاف بينها وبين ما غاب عنه مما وصف باللفظ نفسه .

وكذلك القول في سائر أوصاف الملائكة ، كالصعود والنزول والكلام وغيرها ، بل وفي سائر أمور الغيب .

ولأدع الحديث لشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) حول هذه النقطة :

« وتمام الكلام في هذا الباب أنك تعلم : أنا لا نعلم ما غاب عنا إلا بمعرفة ما شهدناه، فنحن نعرف أشياءً بحسّنا الظاهر أو الباطن[1] وتلك معرفة معينة مخصوصة ، ثم إنا بعقولنا نعتبر الغائب بالشاهد ، فيبقى في أذهاننا قضايا عامة كلية ، ثم إذا خوطبنا بوصف ما غاب عنا لم نفهم ما قيل لنا إلا بمعرفة المشهود لنا ، فلولا أنا نشهد من أنفسنا جوعًا وعطشًا وشبعًا وريًّا، وحبًّا وبغضًا، ولذةً وألمًا، رضًى وسخطًا ، لم نعرف حقيقة ما نخاطب به إذا وصف لنا ذلك وأخبرنا به عن غيرنا ، وكذلك لو لم نعلم ما في الشاهد : حياةً ، وقدرةً، وعلمًا ، وكلامًا، لم نفهم ما نخاطب به إذا وصف الغائب عنا بذلك ، وكذلك لو لم نشهد موجوداً لم نعرف غائبًا » .

« فلا بد فيما شهدناه وما غاب عنا من قدر مشترك هو مسمى اللفظ المتواطىء ، فبهذه الموافقة والمشاركة والمشابهة والمواطأة نفهم الغائب ونثبته ، وهذا خاصة العقل، ولولا ذلك لم نعلم إلا ما نحسه ، ولم نعلم أموراً عامة ولا أموراً غائبة عن أحاسيسنا الظاهرة والباطنة ، ولهذا من لم يحس الشيء ولا نظيره لم يعرف حقيقته» .

« ثم إن الله (تعالى) أخبرنا بما وعدنا به في الدار الآخرة من النعيم والعذاب ، وأخبرنا بما يؤكل ويشرب وينكح ويفرش وغير ذلك ، فلولا معرفتنا بما يشبه ذلك في الدنيا لم نفهم ما وعدنا الله به ، ونحن نعلم مع ذلك أن تلك الحقائق ليست مثل هذه حتى قال ابن عباس (رضي الله عنه): ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء ، وهذا تفسير قوله : ﴿ .. وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا .. ﴾ [البقرة : ٢٥] على أحد الأقوال .. فبين هذه الموجودات في الدنيا وتلك الموجودات في الآخرة مشابهة وموافقة من بعض الوجوه ،





وبه فهمنا المراد وأحببناه ورغبنا فيه ، أو أبغضناه ونفرنا عنه . وبينهما مباينة ومفاضلة لا يُقدَّر قدرُها في الدنيا . . . ».

« فإذا كان هذا في هذين المخلوقين ، فالأمر بين الخالق والمخلوق أعظم ، فإن مباينة الله لخلقه وعظمته وكبريائه وفضله : أعظم وأكبر مما بين مخلوق ومخلوق ، فإذا كانت صفات ذلك المخلوق مع مشابهتها لصفات هذا المخلوق، بينهما من التفاضل والتباين ما لا نعلمه في الدنيا . . . فصفات الخالق (عز وجل) أولى أن يكون بينها وبين صفات المخلوق من التباين والتفاضل ما لا يعلمه إلا الله (تبارك وتعالى) . . . [و] قد علمنا بطريق خبر الله (عز وجل) عن نفسه . . . أن الله يوصف بصفات الكمال، موصوف بالحياة والعلم والقدرة . . . ولولا أن هذه الأسماء والصفات تدل على معنى مشترك كلي، يقتضي من الموافقة والمشابهة ما به تُفهم وتُثبت هذه المعاني لله : لم نكن قد عرفنا عن الله شيئًا . ولا صار في قلوبنا إيمان به ، ولا علم ولا معرفة ولا محبة، ولا إرادة لعبادته ودعائه وسؤاله ومحبته وتعظيمه؛ فإن جميع الأمور لا تكون إلا مع العلم ، ولا يمكن العلم إلا بإثبات تلك المعاني التي فيها من الموافقة والمواطأة ما به حصل لنا ما حصل من العلم لما غاب عن شهودنا» .

« ومن فهم هذه الحقائق الشريفة والقواعد الجليلة النافعة حصل له من العلم والمعرفة والتوحيد والإيمان ، وانجاب عنه من الشبه والضلال والحيرة ما يصير به في هذا الباب من الذين أنعم الله عليهم ، غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، ومن سادة أهل الإيمان . . . » إلى آخر كلامه (رحمه الله) ، وهو نفيس للغاية [٢] .

أدلة الكتاب والسنة على إثبات القدر المشترك :

ليس المقصود هنا الاستدلال على إثبات قدرة العقل على استخلاص القدر المشترك ، فهذه خاصة بدهية، إنما المقصود الاستدلال على أن الله (تعالى) أثبت في القرآن وعلى لسان رسوله ﷺ القدر المشترك بين الصفات الإلهية

وصفات المخلوقين ، كما أثبت القدر المميِّز بينهما ، وقد جاءت الأدلة على أنواع :

١ ـ **أول هذه الأنواع** : ما ذكره الأئمة ـ مما وقفت عليه ـ كابن خزيمة في التوحيد[٣] ، وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على المريسي[٤] ، وابن تيمية في مواضع متعددة من كتبه، كالرسالة التدمرية وغيرها ، قال (رحمه الله) : « فإن الله سمى نفسه بأسماء ، وسمى بعض عباده بأسماء، وليس المسمى كالمسمى ، فسمى نفسه حيًّا عليمًا قديرًا، ورؤوفًا رحيمًا ، عزيزًا حكيمًا ، سميعًا بصيرًا ... كقوله : **﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾** ، وقوله : **﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾**. وقال : **﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾**، وقال :**﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** .

وقد سمى بعض عباده حيًّا فقال : **﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾** ، وبعضهم عليمًا بقوله : **﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾**، وبعضهم حليمًا بقوله : **﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾**، وبعضهم رؤوفًا رحيمًا بقوله : **﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**، وبعضهم سميعًا بصيرًا بقوله : **﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾** .

ومعلوم أنه لا يماثل الحيُّ الحيَّ، ولا العليمُ العليمَ ، ولا العزيزُ العزيزَ ، ولا الرؤوفُ الرؤوفَ ، ولا الرحيمُ الرحيمَ»[٥] .

٢ ـ عطف الخلق على الرب (تعالى) في مقام الفاعل . وذلك في مثل قول الله (تعالى) : **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾**، وقوله: **﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾** ، وقوله :**﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾**، وقوله : **﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾** ونحوها .

فعطف الخلق على الرب (تعالى) في مقام الفاعل دليل على اشتراكهما في أصل الفعل ، وإلا لما صح العطف ، فلا يصح أن يقال: شهد زيد وعمرو، أو: جاء زيد وعمرو ، وزيد لم يشهد أو لم يجئ، بل لا بد من أن يكون الجميع قد شهد وجاء، وإن كانت شهادةُ أحدهما أو مجيئُه قد تفضل شهادةَ الآخر ومجيئَه ، ومما يوضح





ذلك: أن الله (تعالى) عطف أولي العلم على الملائكة في قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾ فدل على اشتراكهما في أصل الشهادة، مع أن شهادة أولي العلم ليست مماثلة لشهادة الملائكة، فكذلك شهادة هذين لا تماثل شهادة الرب (تعالى)، وإن اشتركوا في أصل المعنى.

٣ ـ الجزاء من جنس العمل، مثل قوله (تعالى): ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾، وقوله: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وقوله: ﴿وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ﴾، وقوله: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، وقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، وقوله: ﴿كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾، وقوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، وقوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾، وقوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾وفي صحيح البخاري قوله (عليه الصلاة والسلام): «لا توعي فيوعي الله عليك»، وفي مسند الإمام أحمد وجامع الترمذي وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، ونحوها.

إثبات القدر المشترك ليس تمثيلاً:

قد يتبادر للذهن أن في إثبات قدر مشترك بين صفات الرب (جل وعلا) وصفات المخلوقين تشبيه أو تمثيل لصفات الله (تعالى) بصفات خلقه، ويخلط كثير من الناس في هذا المقام بين مفهوم «التمثيل» ومفهوم «التشبيه». فالأول هو الذي نفته النصوص الشرعية، كقوله (تعالى): ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. بخلاف لفظ «التشبيه» فإنه لفظ مجمل،

قد يراد به التمثيل ، وقد يراد به ما ليس تمثيلاً ، وقد فرّق (تعالى) بينهما في قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ . قال شيخ الإسلام : « فوصفَ القولين بالتماثل ، والقلوب بالتشابه لا بالتماثل ، فإن القلوب ـ وإن اشتركت في هذا القول ـ فهي مختلفة لا متماثلة ، وقال النبي ﷺ : « الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس »، فدل على أنه يعلمها بعض الناس، وهي في نفس الأمر ليست متماثلة بل بعضها حرام وبعضها حلال »[٦] .

فالتشابه ، إذا أطلق ، يتضمن الموافقة من بعض الوجوه دون بعض ، أما المماثلة فهي الموافقة من جميع الوجوه، بحيث يستوي الشيء ومثله في كل جانب ويجوز ويمتنع على أحدهما من الخصائص واللوازم. فالمحذور شرعًا هو التمثيل ، أما « التشبيه » فإن أريد به التمثيل فهو ممتنع ، وإن أريد به الموافقة من بعض الوجوه دون بعض فليس في ذلك محذور، وذلك أن « جماهير العقلاء يعلمون أنه ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك، ونفس ذلك القدر المشترك ليس هو نفس التمثيل والتشبيه الذي قام الدليل العقلي والسمعي على نفيه ، وإنما التشبيه الذي قام الدليل على نفيه ما يستلزم ثبوت شيء من خصائص المخلوقين لله (سبحانه وتعالى) إذ هو (سبحانه) ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله »[٧] .

« وشبه الشيء بالشيء يكون لمشابهته له من بعض الوجوه ، وذلك لا يقتضي التماثل الذي يوجب أن يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع . وإذا قيل هذا حي عليم قدير ، وهذا حي عليم قدير ، فتشابها في مسمى الحي والعليم والقدير، لم يوجب ذلك أن يكون هذا المسمى مماثلاً لهذا المسمى من كل وجه، بل هنا ثلاثة أشياء:

أحدها :القدر المشترك الذي تشابها فيه ، وهو معنى كلي لا يختص به أحدهما ، ولا يوجد كليًّا عامًّا إلا في علم العالم[٨].

الثاني :ما يختص به هذا ، كما يختص الرب بما يقوم به من الحياة والعلم والقدرة.





الثالث :ما يختص به ذاك ، كما يختص به العبد، من الحياة والعلم والقدرة، فما اختص به الرب (عز وجل) لا يشركه فيه العبد، ولا يجوز عليه شيء من النقائص التي تجوز على صفات العبد، وما يختص به العبد لا يشركه فيه الرب ، ولا يستحق شيئاً من صفات الكمال التي يختص بها الرب (عز وجل) . وأما القدر المشترك كالمعنى الكلي الثابت في ذهن الإنسان ، فهذا لا يستلزم خصائص الخالق ولا خصائص المخلوق ، فالاشتراك فيه لا محذور فيه »[٩] .

« والقدر المشترك المطلق ، كالوجود والعلم والحقيقة ونحو ذلك ، لا يلزمه شيء من صفات النقص الممتنعة على الله (تعالى)، فما وجب للقدر المشترك لا نقص فيه ولا عيب . وما نُفي عنه فلا كمال فيه، وما جاز له فلا محذور في جوازه . وأما ما يتقدس الرب (تعالى) ويتنزه عنه من النقائص والآفات، فهي ليست من لوازم القدر المشترك الكلي المطلق أصلاً ، بل هي من خصائص المخلوقات الناقصة ، والله (تعالى) منزه عن كل نقص وعيب، وهذه معان شريفة بُسطت في غير هذا الموضع »[١٠] .

نفي القدر المشترك يستلزم الإلحاد *:

ومما يوضح ذلك أنه « ما من شيئين إلا وهما متفقان في أمر من الأمور ، ولو أنه في كونهما موجودين، وذلك الذي اتفقا فيه لا يمكن نفيه إلا بنفي كل منهما »[١١]، فلو نفى أحدٌ القدر المشترك بين صفات الرب (تعالى) وصفات الخلق، ظنًّا منه أن ذلك من التمثيل أو التشبيه المحظور ، لزمه نفي وجود الرب (تعالى) بالكلية ، « فإن من نفى بعض ما وصف الله به نفسه ، كالرضا والغضب والمحبة والبغض ونحو ذلك ، وزعم أن ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم ، قيل له : أنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر ، مع أن ما تُثبته ليس مثل صفات المخلوقين، فقل فيما أثبتَّه مثل قولك فيما نفيته وأثبتَهَ

الله ورسوله ، إذ لا فرق بينهما .

فإن قال : أنا لا أثبتُ شيئًا من الصفات .

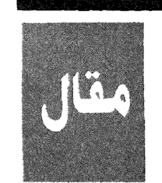
قيل له : فأنت تثبتُ له الأسماء الحسنى ، مثل : حي وعليم وقدير ، والعبد يتسمى بهذه الأسماء، وليس ما تثبت للرب من هذه الأسماء مماثلاً لما تُثبت للعبد، فقل في صفاته نظير قولك في أسمائه .

فإن قال : وأنا لا أثبت له الأسماء الحسنى ، بل أقول : هي مجاز ، أو هي أسماء لبعض مبتدعاته، كقول غلاة الباطنية والمتفلسفة .

قيل له : فلا بد أن تعتقد أنه حق قائم بنفسه، والجسم موجود قائم بنفسه ، وليس هو مماثلاً » [١٢] .

فليس له بعد ذلك إلا أن يقول : أنا لا أثبت شيئًا ، بل أنكر وجود الرب (تعالى) ، وإلا كان متناقضًا ، وهذا هو الإلحاد ، ولو قال ذلك « قيل له : فمن المعلوم بالمشاهدة والعقل وجودُ موجودات ، ومن المعلوم أيضًا أن منها ما هو حادث بعد أن لم يكن ، كما نعلم أنا حادثون بعد عدَمنا، وأن السحاب حادث، والمطر والنبات حادث... ومن المعلوم بالضرورة أن الحادث بعد عدمه لا بد له من مُحدِث ، وهذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة ... ولهذا قال (تعالى) : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ... والمحدَث لا بد له من قديم ... والممكن لا بد له من واجب ... فقد لزم أن الوجود فيه موجود قديم واجب بنفسه، وموجود ممكن محدَث كائن بعد أن لم يكن ، وهذان قد اشتركا في مسمى الوجود » [١٣] .

« فعُلم بهذه البراهين البينة اتفاقهما من وجه واختلافهما من وجه ، فمن نفى ما اتفقا فيه كان معطلاً قائلاً للباطل، ومن جعلهما متماثلين كان مشبهًا قائلاً للباطل، والله أعلم » [١٤] .



تطبيقات المسألة في العصر الحاضر :

غني عن القول أن أهمية موضوع المقال تنبع من أهمية فهم العقيدة الإسلامية واستيعابها، لكن من المفيد أيضاً أن ننظر كيف يمكن الاستفادة من منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب في العصر الحاضر. . هناك مجالات متعددة ، لكنني سأقتصر على واحد من هذه المجالات، وهو مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

إن الفكرة الأساسية في مشروع الإعجاز العلمي هي النظر في بعض النصوص الشرعية التي تناولت المظاهر الكونية في ضوء الاكتشافات الحديثة ، ولكي يسير المشروع في طريقه الصحيح ، دون الوقوع في خطأ تحميل النص ما لا يحتمل ، فلا بد من فهم النص في ضوء قواعد التفسير وأصوله التي سلكها السلف الصالح (رضي الله عنهم) ، والنصوص التي تناولت المظاهر الكونية - قبل أن يعلم الإنسان حقيقة هذه المظاهر وماهيتها - تدخل في دائرة نصوص الغيب ، ومن هنا: فإن الحاجة إلى اتباع منهج السلف في هذا الباب ملحة لكي يأمن الباحث في هذا المجال من ليّ النصوص أو تأويلها لكي توافق الاكتشافات العلمية المعاصرة ، ومتى أحسن تطبيق هذا المنهج ، ستكون النتيجة نصراً مضاعفاً ؛ فالاكتشاف العلمي سيكون دليلاً جديداً على إعجاز القرآن ، وفي الوقت نفسه دليلاً على سداد منهج أهل السنة والجماعة .

مثالٌ على ذلك أذكر قوله (تعالى) : ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ ﴾ ، فهذا البرزخ كان غيباً لمن نزل عليهم القرآن، ومقتضى منهج السلف أن يُثبت لهذا البرزخ القدرُ المشترك للفظ « برزخ » المعلوم مما نشهده مما يطلق عليه اللفظ، مع الامتناع عن الجزم بمماثلته لشيء من ذلك ، ثم تبين لنا الآن طبيعة هذا البرزخ ، وشهد الجميع فعلاً ثبوت القدر المشترك للفظ فيه ، مع مغايرته لكل ما عرفناه سابقاً .

إن هذه النتيجة لم يكن الوصول إليها ممكنًا لو سلكنا سبل الفرق الإسلامية التي اعتمدت التأويل منهجًا لها كلما وجدت ظاهر النص مخالفًا لما تقرر عندها من مسلمات باطلة في كثير من الأحيان، ومن جهة أخرى: فإن منهج السلف في هذا الباب يضمن حماية النص من أي خطأ في تنزيله على الاكتشافات العلمية الحديثة، فغاية ما هنالك حينئذ أن الباحث أخطأ في تحديد « كيفية » النص، أو « القدر المميز » الذي تضمنه، أما « المعنى » أو « القدر المشترك » فهو باق لم يطرأ عليه شيء. إن مثل هذا المنهج هو الأسلوب الوحيد، في نظري، للجمع بين الحفاظ على تعظيم القرآن (وما يتبع ذلك من احترام خير القرون وما أثر عنهم في تفسيره) واقتحام ميادين جديدة للبحث عن إعجاز القرآن العظيم.

---

(١) الحس الظاهر كالجوع والعطش، والباطن كالحب والبغض، كما يذكر ذلك بعد أسطر.

(٢) شرح حديث النزول، الفتاوى: جـ ٥، ص ٣٤٦ - ٣٥١، وانظر: درء التعارض جـ ٦، ص ١٢٣-١٢٥.

(٣) التوحيد: جـ ١، ص ٥٩ - ٨١.

(٤) الرد على المريسي: ص ٤٠٠ - ٤٠١.

(٥) منهاج السنة: جـ ٢، ص ١١٢ - ١١٣.

(٦) الجواب الصحيح، جـ٣ ص ٤٤٦.

(٧) درء التعارض، جـ ٥ ص ٢٢٧.

(٨) أي في الذهن وليس في الخارج.

(١٠) منهاج السنة.

(١١) درء التعارض، جـ٥ ص ١٨٣.

(١٢) منهاج السنة، جـ٢ ص ١١٥-١١٦

(١٣) الفتاوى، جـ٥ ص ٣٥٧-٣٥٩.

(١٤) منهاج السنة، جـ٢ ص ١١٧.

* المراد بالإلحاد هنا: الإلحاد في أسماء الله وصفاته بمعنى الميل بها والعدول عن الحق الثابت له (تعالى).

إحياء التراث..

كيف يكون ؟

• محمد العبدة •



ليس غريبًا أن يهتم المسلمون اهتمامًا بالغًا بتراثهم العلمي ، فيحاولون إخراجه بحلة جديدة مع التحقيق والتدقيق ، بل هذا من الواجب المناط بهم ؛ فإنه لا نهضة ولا قوام لهم إلا بالاتصال بهذا التراث : فهمًا ودراسة، وتأملاً وعبرة، وفي الوقت نفسه : نقداً وتصفية لما علق به مما يخالف أصول الإسلام وثوابته ومفاهيمه ، متأثرًا بالظروف المكانية والزمانية .

إن الأمة المبتورة المنقطعة عن ماضيها لا خير فيها؛ فالتراث هو القاعدة الأساسية للانطلاق ، ولكن هل نكتفي من الإحياء بتحقيق النص وذكر اختلافات النسخ ما بين (أ) و (ب) .. إلى غير ذلك من وسائل علم التحقيق وأدواته ـ الذي تقدم له في هذه الأيام من لا يحسنه ـ ؟ أم أن هناك إحياءً من نوع آخر ، يجب أن يترافق مع هذا التحقيق ـ إن لم يكن هو الأصل والأساس ـ؟، ذلك هو إحياء أصحاب التراث في أخلاقهم وعملهم وعقلهم ، فإذا أحيينا تراث الإمام أحمد (رحمه الله) ، فلماذا لا نحيي صموده في وجه البدعة التي أرادت الدولة فرضها بالقوة ، ونحيي حرصه على جماهير الأمة ألا تقع ضحية هذه البدعة ، وليس أمامها عالم تقتدي به ، فصبر وصابر ، وكانت العاقبة للمتقين .

وعندما نحقق ما جمعه المحدثون ، كي نميز الصحيح من الضعيف ، فلماذا

لا نحيي منهجهم في طلب العلم والرحلة إليه ، وتحملهم المشاق العظيمة في ذلك ، ولو أن يسمع حديثًا واحداً، ومنهجهم في الضبط والتوثيق ، والبصر في الروايات والرواة؟ . ولماذا لا نحيي أدب الشافعي (رحمه الله) في الحوار واهتمامه بأمر المسلمين عندما نجده يتأسف أن تكون مهنة شريفة كالطب بأيدي اليهود والنصارى ، واهتمامه باللغة العربية لما رأى أن المسلمين أهلكتهم العُجمة فابتعدوا عن فهم كتاب الله؟.

إن نقل علم ابن تيمية من المخطوطات إلى الورق الأبيض لهو شيء مهم وضروري ، ولكن.. لماذا لا نحيي فيه تلك العقلية العلمية الواسعة وذاك الإنصاف والاعتدال في تقويم الرجال ، وتلك الأخلاق العالية في الاعتذار لمن يغلب عليهم اتباع الحق، ولكن تبدر منهم هفوات وزلات، ثم محاربته لأهل الإلحاد ودفاعه عن حياض الإسلام ؟، وإن الذي يحيي فقه ابن المسيب لجدير به أن يحيي صلابته في الحق ، والذي يكثر من ترديد (إحياء منهج السلف) لو أنه يتمثل بشجاعة ابن المبارك ، وكرم الليث بن سعد ، ويحيي منهج السلف في العمل والبعد عن شهوات الرئاسة العلمية والتصدر للناس ، وأن يتمثل صفاء قلوبهم وكثرة عبادتهم وخشيتهم، وبعدهم عن الخصومات الردّية والمردية .

هذا الإحياء للتراث هو الداء الشافي لموات هذه الأمة ، حتى لا تكون كما قال الشاعر:

خلي الغمد ، ما في الكف مال   وهذا الرف يهوي بالكتاب

من ثمرات اليقين باليوم الآخر

بقلم: عبدالعزيز بن ناصر الجليل

دراسات تربوية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا وقدوتنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد ..

لما كان الإيمان باليوم الآخر أحد أصول الإيمان الستة التي لا يصح إيمان مسلم بدونها .

ولما لذلك الإيمان من أثر في حياة المسلم وطاعته لأوامر الله (عزو جل) واجتناب نواهيه، ولما له من أثر في صلاح القلوب وصلاح الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة، ولما في نسيان ذلك اليوم العظيم والغفلة عنه من خطر على حياة الناس ومصيرهم.. فلا غرابة إذن أن يرد ذكر هذا اليوم كثيراً في القرآن، حتى لا تكاد تخلو منه صفحة من صفحاته .

وإذا كان الكتاب والسنة قد اهتما غاية الاهتمام بتفاصيل ذلك اليوم المشهود وبأحوال هذا النبأ العظيم؛ فإنه من الحمق والجهل ألا نهتم بما اهتم به الوحيان .

إن أعظم قضية يجب أن ينشغل بها كل واحد منا هي : قضية وجوده وحياته والغاية منها، وقضية مستقبله ومصيره وشقائه وسعادته، فلا يجوز أن يتقدم ذلك شيء مهما كان، فكل أمر دونه هين وكل خطب سواه حقير. وهل هناك أعظم وأفدح من أن يخسر الإنسان حياته وأهله، ويخسر مع ذلك سعادته وسعادتهم، فماذا يبقى بعد ذلك؟ **﴿قُلْ إنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾** [الزمر:١٥] .

وأهمية هذا الموضوع تتجلى فيما يلي :

١ـ انفتاح الدنيا الشديد على كثير من الناس في هذا الزمان وما صحب ذلك من مكر الليل والنهار بأساليب جديدة ودعايات خبيثة تزين الدنيا في أعين الناس وتصدهم عن الآخرة، ومع ما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ من الإيمان

والتقوى، فقد كان يحذرهم من الاغترار بالدنيا وضرورة الاستعداد للآخرة، مع أن الدنيا لم تنفتح عليهم مثل اليوم، فلا شك ولا ريب أننا أحوج منهم بكثير إلى أن نتذكر الآخرة ويذكّر بعضنا بعضاً بعظمة شأنها وأهمية الاستعداد لها.

٢ـ ركون كثير من الناس للدنيا ولقد ترتب على ذلك أن قست القلوب، وتحجرت الأعين، وهُجِرَ كتاب الله (عز وجل)، وإذا قرأ أحدنا القرآن قرأه بقلب لاهٍ، فأنّى لمثل ذلك القلب أن يخشع لذكر الله؟ وأنّى لعينيه أن تدمع خوفًا من الله، وقد انعكس ذلك على الصلاة فقلّ الخاشعون والمطمئنون فيها.. والله المستعان.

٣ـ لما في تذكر ذلك اليوم ومشاهده العظيمة من حث على العمل الصالح والمبادرة لفعل الخيرات وترك المنكرات، بل ما تكاسل المتكاسلون في عمل الصالحات سواء الواجب منها والمسنون إلا بسبب الغفلة عن الآخرة والانشغال عنها، يقول (تعالى) في وصف عباده الصالحين: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٧]. ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

٤ـ لما ظهر في عصرنا اليوم من المشكلات المعقدة والأمراض المزمنة، التي نشأت عنها الأمراض النفسية المتنوعة من القلق والاكتئاب اللذين يؤديان غالبًا إلى حياة يائسة، ومن أسباب ذلك: البعد عن الله (تعالى)، وعن تذكر اليوم الآخر.

٥ـ لما تميز به زماننا اليوم من كثرة المظالم في بعض المجتمعات واعتداء الناس بعضهم على بعض، من أكلٍ لأموال غيرهم بدون وجه حق، وكذلك النيل من الأعراض، والحسد والتباغض، والفرقة والاختلاف، وبخاصة بين بعض الدعاة وطلبة العلم، ولا شك أنه لا شيء مثل تذكر اليوم الآخر وتذكر الوقوف بين يدي الله (عز وجل) علاجًا لتلك الأمراض.

٦ـ ولما كان الركون إلى الدنيا والغفلة عن الآخرة من أعظم الأسباب في وهن النفوس وضعفها كان لا بد من التذكير المستمر بذلك اليوم وما فيه من نعيم أو جحيم، لأن في هذا التذكير أكبر الأثر في نشاط الهمم وعدم الاستسلام للوهن واليأس رجاء ثواب الله (عز وجل) وما أعده للمجاهدين في سبيله الداعين إليه.

٧ـ ولما قلّ في برامج الدعوة والتربية الاعتناء بهذا الجانب العظيم من التربية مما له الأثر الكبير

في الاستقامة على الجادة والدعوة إلى الله على بصيرة، ولكن نرى من بعض المهتمين بالدعوة من يستهين بهذا الجانب العظيم حتى صار بعضهم يقلل من أثر التذكرة بالآخرة بقوله: إن هذا الأمر يغلب عليه الوعظ أو هذا مقال عاطفي وعظي... إلخ .. مع أن المتأمل لكتاب الله (سبحانه) وسنة رسوله ﷺ يرى بجلاء جانب الوعظ بارزاً بالربط بين الدنيا والآخرة والثواب والعقاب.. نسأل الله أن يهدينا جميعاً وأن يوفقنا للاقتداء بالسنة والسير على نهجها .

■ **الآثار المرجوة لليقين باليوم الآخر:**

إن في اليقين باليوم الآخر وأنبائه العظيمة لآثاراً واضحة وثماراً طيبة ، لابد أن تظهر في قلب العبد وعلى لسانه وجوارحه ، وفي حياته كلها، ولكن هذا اليقين وحده لا يكفي حتى ينضم إليه الصبر ومجاهدة الشهوات والعوائق، لأن الواحد منا ـ مع يقينه باليوم الآخر وأهواله ـ يرى في حياته أن ثمرات هذا اليقين ضعيفة، فلابد إذن من سبب لهذا الأمر ، ويجلي هذه المسألة الإمام ابن القيم (رحمه الله تعالى) فيقول: «فإن قلت كيف يجتمع التصديق الجازم الذي لا شك فيه بالمعاد والجنة والنار ويتخلف العمل؟ وهل في الطباع البشرية أن يعلم العبد أنه مطلوب غداً إلى بين يدي بعض الملوك ليعاقبه أشد عقوبة، أو يكرمه أتم كرامة، ويبيت ساهيًا غافلاً ! ولا يتذكر موقفه بين يدي الملك، ولا يستعد له ، ولا يأخذ له أهبته؟! .

قيل: هذا (لعمر الله) سؤال صحيح وارد على أكثر الخلق ؛ فاجتماع هذين الأمرين من أعجب الأشياء ، وهذا التخلف له عدة أسباب:

أحدهما: ضعف العلم ونقصان اليقين ، ومن ظن أن العلم لا يتفاوت ، فقوله من أفسد الأقوال وأبطلها .

وقد سأل إبراهيم الخليل ربه أن يريه إحياء الموتى عياناً بعد علمه بقدرة الرب على ذلك ، ليزداد طمأنينة ، ويصير المعلوم غيباً شهادة .

وقد روى أحمد في مسنده عن النبي ﷺ أنه قال: «ليس الخبر كالمعاينة»(1) .

فإذا اجتمع إلى ضعف العلم عدم استحضاره أو غيبته عن القلب في كثير من أوقاته أو أكثرها لاشتغاله بما يضاده، وانضم إلى ذلك تغاضي الطبع، وغلبات الهوى ، واستيلاء الشهوة ،وتسويل النفس، وغرور الشيطان ، واستبطاء الوعد ، وطول الأمل ، ورقدة الغفلة، وحب العاجلة، ورخص التأويل، وإلف العوائد، فهناك لا يمسك الإيمان إلا الذي يمسك



السموات والأرض أن تزولا ، وبهذا السبب يتفاوت الناس في الإيمان والأعمال ، حتى ينتهي إلى أدنى مثقال ذرة في القلب .

وجماع هذه الأسباب يرجع إلى ضعف البصيرة والصبر، ولهذا مدح الله (سبحانه) أهل الصبر واليقين ، وجعلهم أئمة الدين، فقال (تعالى): ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة : ٢٤] »(٢) .

■ ذكر الثمرات المرجوة :

وبعد هذه المقدمة التي لا بد منها حول ثمرات اليقين بالنبأ العظيم نذكر ما تيسر من هذه الثمرات ، والله ولي التوفيق :

١ـ الإخلاص لله (عز وجل) والمتابعة للرسول ﷺ :

إن الموقن بلقاء الله (عز وجل) يوم الفزع الأكبر، لا تلقاه إلا حريصاً على أعماله ، خائفاً من كل ما يحبطها من أنواع الشرك الأكبر أو الشرك الأصغر ، حيث إن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال ، فتصير هباءً منثوراً ، والشرك الأصغر يحبط العمل الذي حصل فيه هذا النوع من الشرك كيسير الرياء، والعجب، والمن، وطلب الجاه والشرف في الدنيا ، فكلما كان العبد موقناً بلقاء ربه كان منه الحرص الشديد على ألا تضيع منه أعماله الصالحة في موقف القيامة ، يوم أن يكون في أشد الأوقات حاجة إليها ؛ ولذلك فهو يجاهد نفسه بحماية أعماله في الدنيا بالإخلاص فيها لله (تعالى) لعل الله (عز وجل) أن ينفعه بها ، كما أن اليقين بالرجوع إلى الله (عز وجل) يجعل العبد في أعماله كلها متبعاً للرسول ﷺ غير مبتدع ولامبدل ؛ لأن الله (عز وجل) لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً ، قال (تعالى) : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

٢ـ الحذر من الدنيا والزهد فيها والصبر على شدائدها وطمأنينة القلب وسلامته :

إذا أكثر العبد ذكر الآخرة، وكانت منه دائماً على بال ، فإن الزهد في الدنيا والحذر منها ومن فتنتها سيحلان في القلب ، وحينئذ لا يكترث بزهرتها، ولا يحزن على فواتها ، ولا يمدن عينيه إلى ما متع الله به بعض عباده من نعم ليفتنهم فيها ، وهذه الثمرة يتولد عنها بدورها ثمار أخرى مباركة طيبة منها : القناعة ، وسلامة



القلب من الحرص والحسد والغل والشحناء ؛ لأن الذي يعيش بتفكيره في الآخرة وأنبائها العظيمة لا تهمه الدنيا الضيقة المحدودة، مع ملاحظة أن إيمان المسلم باليوم الآخر وزهده في الدنيا لا يعني انقطاعه عنها وعدم ابتغاء الرزق في أكنافها؛ يقول (تعالى): ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ ﴾ [القصص: ٧٧] .

كما يتولد أيضا من هذا الشعور ، الراحة النفسية والسعادة القلبية وقوة الاحتمال والصبر على الشدائد والابتلاءات ، ذلك للرجاء فيما عند الله (عز وجل) من الأجر والثواب ، وأنه مهما جاء من شدائد الدنيا فهي منقطعة ولها أجل ، فهو ينتظر الفرج ويرجو الثواب الذي لا ينقطع يوم الرجوع إلى الله (عز وجل) ، قال (تعالى): ﴿ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ ﴾ [النساء: ١٠٤]

وما إن يفقد القلب هذه المعاني حتى يخيم عليه الهم والتعاسة، ومن هنا ينشأ القلق والانزعاج والضيق والحزن ، أما ذاك الذي عرف الدنيا على حقيقتها، وامتلأ قلبه بهمّ الآخرة وأنبائها، فإن نفسه لا تذهب على الدنيا حسرات، ولا تنقطع نفسه لهثًا في طلبها، ولا يأكل قلبه الغل والحسد والتنافس فيها ، ولا يقل صبره ولا يجزع قلبه عند المحن والشدائد ، ومهما حرم في هذه الدنيا الفانية فهو يعلم أن لله (عز وجل) في ذلك الحكمة البالغة، وهو يرجو الأجر يوم القيامة، قال (تعالى) : ﴿ وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٣٣ - ٣٥] .

٣ـ التزود بالأعمال الصالحة وأنواع القربات واجتناب المعاصي والمبادرة بالتوبة والاستغفار :

يقول الإمام ابن القيم (رحمه الله تعالى) : « ومما ينبغي أن من رجا شيئًا استلزم رجاؤه ثلاثة أمور :

أحدهما : محبة ما يرجوه .

الثاني : خوفه من فواته .

الثالث : سعيه في تحصيله بحسب الإمكان .

وأما رجاءٌ لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راجٍ خائف، والسائرعلى الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات .

وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة

قال : قال رسول الله ﷺ « من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة »[3] وهو (سبحانه) كما جعل الرجاء لأهل الأعمال الصالحة، فكذلك جعل الخوف لأهل الأعمال الصالحة ، فعلم أن الرجاء والخوف النافع ما اقترن به العمل، قال (تعالى): ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (57) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون: 57 - 61].

وقد روى الترمذي في جامعه عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ، فقلت : أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون ؟ قال: « لا، يا ابنة الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون أن لا يتقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات »[4] وقد روي من حديث أبي هريرة أيضاً.

والله (سبحانه) وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن »[5] .

وقال (تعالى): ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: 218].

يقول ابن القيم (رحمه الله تعالى): « فتأمل كيف جعل رجاءهم إتيانهم بهذه الطاعات ؟ وقال المغرورون : إن المفرطين المضيعين لحقوق الله المعطلين لأوامره الباغين المتجرئين على محارمه ، أولئك يرجون رحمة الله »[6].

للحديث صلة.

(1) أحمد، جـ1 ص215، 271. وصحح إسناده أحمد شاكر (1842).

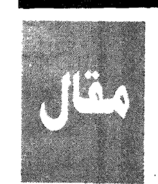
(2) الجواب الكافي، ص 54.

(3) رواه الترمذي ، كتاب صفة القيامة، باب 18 الحديث رقم 2450. وانظر صحيح سنن الترمذي (1993).

(4) رواه أحمد ،جـ6ص159، والترمذي (كتاب التفسير) باب تفسير سورة المؤمنون، ح 3175.

(5) الجواب الكافي، ص 57، 58.

(6) الجواب الكافي، ص 56.



دور الملأ في الصد عن سبيل الله

بقلم: فهد بن ناصر الجديد

عندما أمر الله (تعالى) ملائكته بالسجود لآدم ، أبى إبليس واستكبر عن أمر ربه ، فقال (تعالى) مخاطبًا إبليس بأمر قدري كوني: ﴿ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣]

ولم يكتف إبليس بالطرد والإبعاد عن رحمة الله ، بل استدرك اللعين وسأل الله النَّظِرَةَ إلى يوم القيامة؛ إمعانًا في الكيد والحسد لآدم وذريته من بعده، ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر: ٣٦] . وقد أجابه (تعالى) إلى ما سأل ، لما له في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة التي لا تخالف ولا تمانع ، ولا معقب لحكمه، قال (تعالى) : ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: ٣٧ – ٤٠]

من هنا يتضح أن السبب الرئيس في امتناع إبليس عن السجود لآدم هو الإباء والاستكبار على الله وليس التكذيب ، شأنه في ذلك شأن الملأ من الناس أعوان

إبليس الذين تصدوا لدعوة الرسل .

والملأ هم: الرؤساء، سُمُّوا بذلك لأنهم مِلاءٌ بما يحتاج إليه ، وقيل : أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدَّموهم الذين يرجع إلى قولهم[1]، وقد استخدم أولئك الملأ كل ما يملكون من أساليب ووسائل لصرف الناس عن عبادة الله ، وصدهم عن سبيله، من هذه الأساليب :

■ **الأسلوب الاجتماعي :**

عند دراستنا للقرآن الكريم يتضح أن الملأ من قومي نوح ولوط (عليهما الصلاة والسلام) قد استخدموا هذا الأسلوب لاستعباد الناس ، فبجانب عبادة الأصنام كان قوم نوح قد تفشى فيهم الصراع الطبقي ، فالملأ من السادات والأشراف قد ورثوا هذه المكانة بسبب تعظيم أسلافهم الصالحين، فزادهم ذلك مكانةً في مجتمعهم عن أولئك الضعفاء من قومهم، حتى أدى بهم الأمر إلى أن اتخذوا لهم صوراً وأصناماً، فلما اندرس العلم وعم الجهل وطال عليهم الأمد، عبدوا تلك الأصنام.

فلما أرسل الله (تعالى) نوحاً (عليه الصلاة السلام) دعاهم إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك ، قال (تعالى) : **﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾** [هود: ٢٥، ٢٦] .

وقد كان السبب الرئيس المانع من استجابة أولئك الملأ هو أن التابعين له هم الضعفاء والمساكين ، يقول (تعالى) : **﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾** [هود: ٢٧] .

وبعد أن أوضح نوح (عليه الصلاة والسلام) وبين حقيقة التوحيد وأبطل عبادة الأصنام ، أخذ يصحح الوضع الاجتماعي المتردي في مجتمعه ، قال (تعالى) : **﴿ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي**



خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٢٩ – ٣١] .

أما لوط (عليه الصلاة والسلام) فقد استخدم الملأ من قومه أسلوبًا بشعًا من الأساليب الاجتماعية التي يستعبدون بها الناس، هذا الإسلوب هو إتيان الذكران من العالمين،ولم تكن تلك الظاهرة الخبيثة مرضًا مقصوراً على فرد أو جماعة من الناس، وإنما كانت عامة في ذلك المجتمع **﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾** [العنكبوت: ٢٩].

فلما أرسل الله لهم لوطًا (عليه الصلاة والسلام) دعاهم إلى توحيد الله وترك عبادة ما سواه ، ثم أنكر عليهم هذا الأسلوب البشع : **﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾** [العنكبوت: ٢٨، ٢٩].

أما قوم عاد وقوم ثمود فقد استخدموا أسلوب البناء العمراني بجانب عبادة الأصنام؛ ليصدوا الناس عن عبادة الله وحده ، فقد كانت قبيلة عاد تسكن ما بين اليمن وعُمان ، وقد حباهم الله بنعم وفيرة وخيرات كثيرة حتى بلغوا قمة الإبداع المادي والصناعي والرفاهة، ولكنهم لم يعبدوا الله ولم يشكروا نعمه عليهم ، بل استخدموا تلك النعم في استعباد الضعفاء ، فأرسل الله لهم هوداً (عليه الصلاة والسلام)، فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، قال (تعالى): **﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾** [هود: ٥٠] .

وبعد أن دعاهم إلى التوحيد الخالص، اتجه (عليه الصلاة والسلام) إلى إصلاح ما كان عليه القوم من فساد، فأنكر عليهم المبالغة في البنيان وشق السدود واتخاذ المصانع حتى صرفهم ذلك عن عبادة الله، قال (تعالى) : **﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ**

لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [الشعراء: ١٢٨، ١٢٩]. وقد تصدى الملأ من قومه لدعوته وحاربوه ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٦].

أما قبيلة ثمود فقد كانت تسكن الحِجْر (بين الحجاز والشام) وقد ساروا على نهج سلفهم من قوم عاد في اتخاذ القصور والسهول حتى صرفهم ذلك عن عبادة الله، فأرسل الله لهم صالحًا فدعاهم إلى التوحيد الخالص، قال (تعالى): ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١].

وبعد أن دعاهم إلى التوحيد، انطلق صالحٌ (عليه الصلاة والسلام) فأنكر عليهم أسلوبهم في استعباد الناس وصرفهم عن عبادة الله، قال (تعالى): ﴿ واذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٤]. وقال (تعالى): ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ ﴾ [الشعراء: ١٤٦ - ١٥٢].

ولا شك أن الملأ قد تصدوا لدعوته وحاربوه ومن آمن معه ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦].

■ **الأسلوب الاقتصادي:**

تقع مدين في بلاد الشام ،وقد حبى الله بلادهم مكانة مهمة، إذ تقع في ممر قوافل التجارة،وقد استغل الملأ منهم هذه الأهمية، فبجانب عبادتهم للأيكة (وهي الشجرة الكبيرة) أصبحوا يطففون الكيل والميزان، فبعث الله إليهم شعيبًا (عليه الصلاة والسلام) ودعاهم إلى التوحيد الخالص، قال (تعالى): ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ



اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٨٥] ثم أبطل ما كانوا عليه من الظلم في تطفيف الكيل وبخس الناس والإفساد في الأرض، قال (تعالى): ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥] وليس مستغربًا أن يتصدى الملأ إلى دعوة شعيب (عليه الصلاة والسلام) ويهددوه بالنفي: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨].

■ **الأسلوب السياسي:**

استخدم فرعون وملؤه هذا الأسلوب في استعباد الناس وصدهم عن دين الله، ففرعون الذي قال: ﴿... أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، لا يدعي أنه الخالق المدبر، وإنما يدعي أنه الحاكم المسيطر بإرادته وقانونه، يفسر ذلك قوله (تعالى): ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١]، بل كان فرعون يعبد آلهة قومه كما في قوله (تعالى): ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] لذا: استخدم فرعون وملؤه السحر، وأجبروا مجموعة من الشبان على تعلمه؛ ليفرضوا سيطرتهم على المجتمع ويصدوهم عن عبادة الله، ويتبين ذلك من قول أولئك السحرة لما آمنوا بالله (تعالى) فلم يرهبهم التهديد والوعيد، قال (تعالى): ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٣].

قال ابن عباس: «أخذ فرعون أربعين غلامًا من بني اسرائيل، فأمر أن يُعَلَّموا السحر، وقال: علموهم تعليمًا لا يعلمه أحد في الأرض»(٢)، فبعث الله

(تعالى) موسى (عليه الصلاة والسلام) ، فدعاهم إلى وحدانية الله وأبطل ما كانوا عليه من السحر بالمناظرة التي انتهت بإيمان السحرة .

■ **سبيل التصدي :**

مما سبق يتضح أن معظم الكفر الحاصل في البشرية ليس بسبب تكذيب دعوة الرسل وإنما بالإباء والاستكبار على أمر الله ، يقول (تعالى): ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾ [**النمل**: ١٤] يقول ابن القيم : «إن الله (تعالى) أيد رسله ، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة ، وأزال به المعذرة»[٣] لذا: لابد لمن أراد دعوة الناس إلى الهدى أن يسلك سبيلاً واحداً سار عليه الرسل جميعًا، هذا السبيل هو البدء بالتوحيد الخالص ودعوة الناس إليه، وكشف ما يناقضه من الشرك بالله، وسد الذرائع الموصلة إليه ، ثم الانتقال إلى إصلاح ما تآلف الناس عليه من الفساد بمختلف أساليبه في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن أي فساد في أي مجتمع هو من صنع الملأ ، لذا : لابد من التحلي بالصبر على مشاق الدعوة تجاه ما يحدثه أولئك الملأ ، يقول المودودي : « والظاهر أن أول ما يطالب به دينُ الله عباده : أن يدخلوا في عبودية الحق كافة مخلصين له الطاعة والانقياد ، حتى لا يبقى في أعناقهم قلادة من قلائد العبودية لغير الله (تعالى) ، ثم يتطلب منهم ألا يكون لحياتهم قانون إلا ما أنزله الله (تعالى) وجاء به الرسول الأمي الكريم ﷺ، ثم إن الإسلام يطالبهم بأن ينعدم من الأرض الفساد ، وتستأصل شأفة السيئات والمنكرات، الجالبة على العباد غضب الله (تعالى) وسخطه »[٤] .

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب .

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٣ ص١٧٦ .

(٣) مدراج السالكين، جـ١ص٣٤٦.

(٤) مقدمة كتاب الأسس الأخلاقية، للمودودي .



السلام كما جاء في القرآن الكريم

بقلم: د. محمد بن عبد الله الشباني

ورد لفظ «السلام» ومشتقاته في عدد كبير من آيات القرآن الكريم، حيث عالج القرآن الكريم مفهوم السلام وفق معنى الإسلام الذي يقوم على ضرورة الخضوع التام والمطلق لخالق الإنسان، من حيث القبول والتسليم بما يُوجبه الله، وتكييف السلوك وفق مقتضيات ذلك .

إن أصل مادة «السلام» تأتي من الفعل الثلاثي (سَلَمَ) والمشتقات منه التي تأتي لمعانٍ متعددة، لكنها جميعًا تدور حول مفهوم: الاستسلام، والطاعة، والخضوع، والصلح، وترك الحرب والمنازعة، والسلم، والأمان، ولاستجلاء هذه المعاني للفظة «السلام» ـ كما جاء في القرآن الكريم ـ فسوف أستعرض المعاني والدلالات التي ورد فيها لفظ «السلام» على النحو التالي:

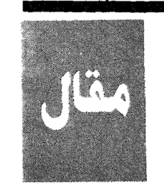
■ **أولاً: في مجال الحياة الأسرية:**

ورد أحد مشتقات كلمة «السلام» في سورة البقرة عند معالجة القرآن الكريم لجانب من جوانب الحياة الأسرية، الذي يتعلق بحماية الطفولة وتحقيق الأمان عند انفصام الروابط التي تجمع بين عنصري الأسرة (الأب، والأم) في قوله (تعالى): **﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ**

إلاَّ وُسْعَهَا ..... وَإِنْ أَرَدْتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] في هذه الآية ورد لفظ «سَلَّمتم» ، وهو أحد مشتقات كلمة «السلام»، وقد جاء اللفظ ضمن سياق آيات نظَّمت وعالجت أموراً تتعلق بالنتائج التي تترتب على الخلاف الذي يقع بين الزوجين ؛ مما قد يؤدي إلى الانفصال النهائي، وبالتالي: فقد تم تنظيم علاقة الأطفال الذين نتجوا عن تلك العلاقة ، ولقد استخدم القرآن الكريم لفظ «سَلَّمْتُم» بدلاً من أي لفظ آخر يفيد المنح والإعطاء؛ لنكتة بلاغية وتربوية، وهي : أن السلام في الحياة الأسرية من أهم متطلبات الاستقرار النفسي لأفراد الأمة ، ومن هنا وردت كلمة «سَلَّمتم» لتنظم العلاقة بين الزوجين المنفصلين ؛ بإضفاء مفهوم الأمان ، ويورد الزمخشري (رحمه الله) عند تفسيره لهذه الآية معنًى جليلاً لمفهوم «السلام» في الأسرة المسلمة، فيقول: «إذا سلمتم إلى المراضع ما آتيتم: ما أردتم إيتاءه ، كقوله (تعالى) ﴿ .. إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ .. ﴾ [المائدة: ٦] وقرئ ما أتيتم من أتي إليه إحساناً إذا فعله ، ومنه قوله (تعالى) ﴿ .. إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴾ [مريم: ٦١] أي مفعولاً، وروى شيبان عن عاصم: ما أوتيتم أي ما آتاكم الله ، وأجركم عليه من الأجرة ونحوه ، وليس التسليم بشرط للجواز والصحة ، وإنما هو نَدْب إلى الأَوْلى ، ويجوز أن يكون نعتًا على أن يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من أهنأ ما يكون لتكون طيبة النفس راضية ؛ فيعود ذلك إصلاحًا لشأن الصبي واحتياطًا في أمره ، فأمرنا بإتيانه ناجزاً يداً بيد ، كأنه قيل إذا أديتم إليهن - يداً بيد - ما أعطيتموهن بالمعروف ؛ مستبشري الوجوه، ناطقين بالقول الجميل مطيبين لأنفس المراضع بما أمكن؛ حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن»[1].

■ **ثانيا: في مجال الحرب والسلم:**

جاء لفظ «السلام» في القرآن الكريم في مواضع عديدة ، عندما تحدث القرآن عن علاقة المجتمع المسلم مع بقية الجماعات الأخرى التي تدين بغير دين الإسلام، وأوضح



الإطار الذي يحدد مظاهر ونوعية علاقات السلم، والظروف التي يمكن فيها قبول المهادنة والصلح مع العدو ، ولهذا لابد من فهم هذه الآيات التي تحدثت عن الحرب والسلم وورود لفظ « السلام » فيها كوحدة واحدة؛ لمعرفه كيفية بناء العلاقات السلمية مع الجماعات والمجتمعات الأخرى على النحو التالي :

١ ـ المناوأة والمضادة للمجتمع المسلم :

من أبرز الآيات التي يُسْتَشْهَدُ بها لإجازة السلام مع أعداء الأمة قوله (تعالى) : ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ..** ﴾ [**الأنفال** : ٦١] وذلك بعد فصلها عن سياقها . ولفهم هذه الآية لابدّ من فهم الآيات السابقة واللاحقة لها ، فهذه الآية جاءت تعقيبًا بعد قوله (تعالى) : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم ..** ﴾ [**الأنفال** :٦٠] وجاء بعدها قوله (تعالى) : ﴿ **وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ ..** ﴾ [**الأنفال** : ٦٢]، وإذا أردنا فهم هذه الآيات أو ربطها ببعضها ، فلابد من الرجوع إلى ما قبلها من الآيات التي حددت الظروف الحربية التي كانت سائدة في زمن الرسول ﷺ ، فقد وصف القرآن الكريم هذه الظروف بقوله (تعالى) : ﴿ **إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ ..** ﴾ [**الأنفال** :٥٥]، فقد وصفت هذه الآيات حقيقة الكفر والكافرين فيما يتعلق بمدى التزامهم بمواثيقهم ، ولقد أوضح ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره لهذه الآية : ماذا ينبغي أن تمارسه الأمة، يقول (رحمه الله) : « أخبر (تعالى) أن شر مادة على وجه الأرض هم الذين كفروا، فهم لا يؤمنون، وكلما عاهدوا عهداً نقضوه، وكلما أكدوه بالأيمان نكثوه، وهم لا يخافون من الله في شيء ارتكبوه من الآثام ، فإن تَغْلِبْهُم وتَظْفَرْ بهم في حرب فنكلْ بهم : قاله ابن عباس ، والحسن البصري ، والضحاك، والسدي، وعطاء الخرساني ، وابن عيينة ، ومعناه : غلّظ عقوبتهم وأثخنهم قتلاً؛ ليخاف مَن سواهم مِنْ

الأعداء من العرب وغيرهم ، ويعتبروا أو يصيروا لهم عبرة ﴿ **لعلهم يذكرون** ﴾، وقال السدي: يقول : لعلهم يحذرون أن ينكثوا فيقع بهم مثل ذلك[٢].

إن السلام لا يقوم بدوره لصالح المسلمين إلا عندما يدرك العدو أن المسلمين يمتلكون القدرة على تأديب الأعداء عند عدم احترامهم للمعاهدات، لهذا لا يمكن تحقيق السلام إلا إذا ذاق اليهود وأعوانهم الهزيمة المرة وأصبحوا تحت سيطرة المسلمين، وبالتالي : سيوفون بالعهد خوفًا من أن يُنكل بهم، ولكنهم إذا عرفوا أنهم إذ ينقضون المواثيق يحصلون على أوضاع أفضل مما حصلوا عليه ؛ فإنهم لا يمتنعون عن نقض تلك المواثيق ، وما يحدث من نقض لمواثيق وعهود في البوسنة والهرسك ـ مثلاً ـ لدليل معاصر يؤكد هذه الحقيقة .

إن قبول السلم والمهادنة مع الأعداء ـ كما أوضحته الآية ـ يرتبط بالالتزام من قبل الأمة الإسلامية بما جاء في الآية التي سبقت آية ﴿ **وَإن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ ..** ﴾ [**الأنفال** : ٦١] وهي قوله (تعالى) : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم ..** ﴾ [**الأنفال** : ٦٠]، فقد أعقب هذه الآية قوله (تعالى) : ﴿ **وَإن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ ..** ﴾ [**الأنفال** : ٦١] فشرط قبول السلام أو المهادنة ـ كما أوضحته الآية السابقة ـ يتمثل في أمرين :

الأول : عدم جواز عقد الهدنة إلا إذا توفرت للأمة عناصر القوة؛ المتاحة وفق ما يتوفر في كل عصر من العصور من أسباب القوة، وأن على الأمة العمل على توفير هذه القوة بتنمية القدرات العسكرية بشكل مستمر ومتواصل حتى في عهد السلم ، وبالتالي : فأي مهادنة من قبل أي حاكم مسلم لا تكون سارية إذا أخل بهذا الشرط، وقد أشارت هذا الآية إلى حقيقة مهمة ، وهي : عملية تنمية القوة العسكرية واعتبار أنها الوسيلة الفعالة لتحقيق السلام الحقيقي، كما في قوله (تعالى) : ﴿ **.. تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ..** ﴾ [**الأنفال** : ٦٠] ، فالاستعداد لا يُقصد به القيام بالحرب ، وإنما هو التخويف به، أي : تحقيق الردع ؛ ولهذا : وجّه



الله (تعالى) الأنظار إلى أن هذا الاستعداد يحتاج إلى الإنفاق، وأن على أفراد الأمة بذل المال في هذا السبيل ، وأن هذا الإنفاق لغرض تحقيق إرهاب العدو هو إنفاق في سبيل الله ، يجزي الله المنفقين على بذله، فلا يُبْخسون شيئًا مما أنفقوه في هذا الوجه ، كما أن الاستعداد وتنمية القدرات العسكرية يجب أن يكون بتنمية القدرة على تصنيع هذا السلاح، والعمل على توفير المناخ الإداري والسياسي والمالي لتوفير القدرة على ذلك، فشراء السلاح من الأعداء بدون العمل على توفير الإمكانات لصنعه يعتبر تضييعًا لحق الأمة، وصرفًا لمفهوم قوله (تعالى) : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم ..** ﴾ [**الأنفال** : ٦٠] .

الأمر الثاني : عدم قبول السلام أو المهادنة من موقف الضعف ؛ فيجب إلغاء أي معاهدة أو هدنة إذا اتضح أن الالتزام بها سوف يؤثر على مصالح الأمة ، وعندئذٍ، ووفق الأخلاق الإسلامية التي يأمر بها الله، فإن من الواجب إبلاغ الطرف الذي تمت المعاهدة معه بإلغائها والاستمرار في مناصبة العدو الحرب إلا إذا قبل العدو تعديل المهادنة وفق مصلحة الأمة، والامتناع عن طلب السلم معهم إلا إذا طلبوا المسالمة وخضعوا لشروط المسلمين ؛ أي إن السلام يكون مطلبًا للعدو بعد أن يدرك أن القوة للمسلمين ، وليس أمامه إلا طلب السلام والقبول بما يفرضه المسلمون من شروط ، يقول ابن كثير (رحمه الله) في تفسير قوله (تعالى) ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ ..** ﴾ الآية : « فإذا خفت من قوم خيانة فانبذ لهم عهدهم على سواء، فإن استمروا على حربك ومنابذتك فقاتلهم، وإن جنحوا، أي : مالوا، للسلم ، أي: المسالمة والمصالحة والمهادنة ، فاجنح لها ، أي : فمل إليها واقبل منهم ذلك ؛ ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح، ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله ﷺ تسع سنين، أجابهم إلى ذلك »[٣] .

وبجانب ما أشارت إليه هذه الآيات من سورة الأنفال من شروط لقبول السلام والمهادنة مع الأعداء ، فقد أوضحت سورة النساء أوضاعاً أخرى لقبول المهادنة وتحقيق السلم مع الأعداء، وذلك في حالة أن يكون هناك ضعف داخلي في مجتمع المسلمين ، وأعداء يتربصون بهم، يتحينون الفرص للانقضاض على الأمة، يقول (تعالى): ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٨٩) إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً (٩٠) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلائِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ٨٨ – ٩١] .

السلام الذي تتحدث عنه هذه الآيات، إنما هو سلم متعلق بوجود ظروف توزع القوة بين معسكر الإسلام ومعسكر الكفر ؛ أي إن القوة متكافئة بين المسلمين والكفار، ولهذا تعمد فئة بالتظاهر بالإسلام أو بالوقوف على الحياد، وقد أوضحت هذه الآيات نوع المهادنة والسلم، والأسلوب الذي يجب انتهاجه. وهذا التوجيه الوارد في هذه الآيات يخص حالة قيام دولة مسلمة في مجتمعات إسلامية، وفي حالة وقوع معارضة لولي أمر المسلمين من فئات تنازعه الأمر ـ بادعاء شرعي ـ فتطلب المصالحة أو المهادنة، كما حدث من طلب معاوية (رضي الله عنه) الصلح والتحكيم من علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الذي كان أميراً للمؤمنين، ويؤكد هذا المفهوم ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد بسنده إلى علي بن أبي طالب

(رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال له: «إنه سيكون اختلاف أو أمر، فإن استطعت أن يكون السلم فافعل»[٤] .

كما توضح الآيات طبيعة السلم والمهادنة في حالة التعامل مع المنافقين الذين يدَّعون الإسلام ، أو في ظل مفهوم السلام العالمي، ويتمثل ذلك في الحقائق التالية :

١- إن طبيعة المنافقين هي خذلان الأمة في أشد المواقف خطورة حيث يمارسون دور التثبيط وزعزعة ثقة الأمة بنفسها، فهم يعمدون إلى تخويف الأمة من أعدائها؛ ليغرسوا فيها الوهن حتى لا تقاوم العدو فتستسلم له . وهذه الطبيعة المتأصلة في نفوسهم إنما تعود إلى اتباعهم الباطل ، ولذا: لا نجد فترة من فترات التاريخ الإسلامي كان المنافقون أصحاب القوة والنفوذ في الأمة إلا ونجد أن الأمة وقعت في قبضة الأعداء، وإن مجانبة هذا الأمر تكون بمنع المنافقين أن يُوَلَّوْا قيادة الأمة، وعدم موالاتهم أو الاستعانة بهم وطلب النصرة منهم .

٢ ـ حددت الآيات نوعية نفاق الجماعات سواء داخل المجتمع المسلم أو خارجه، وتتمثل هذه الجماعات في دول كافرة، سواء أكان كفرها متمثلاً في تبني العلمانية منهاجًا يقوم عليه نظام الدولة، أو دول أو مجموعات بشرية تتظاهر بانتمائها للإسلام ولكن الكفر هو حقيقة هذه الجماعات أو الدول .

لقد أوضحت هذه الآيات كيفية التعامل مع هذه النوعية من الدول أو التجمعات البشرية؛ وذلك بتصنيف علاقة السلم والحرب إلى نوعين من التعامل : **النوع الأول** : مسالمة هذه الجماعات أو الدول التي ترتبط مع دول أو مجموعات بينها وبين الدولة الإسلامية مهادنة وترغب أن تقف على الحياد، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ مع بني مدلج، فقد أورد ابن

كثير في تفسيره لهذه الآية: عن سراقة بن مالك المدلجي (رضي الله عنه) أنه حدثهم، قال: «لما ظهر النبي ﷺ على أهل بدر وأحد، وأسلم من حولهم، قال سراقة: بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج فأتيته، فقلت: أنشدك النعمة، فقالوا: مه، فقال النبي ﷺ: دعوه، ما تريد؟ قال: بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي، وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا لم تخشن لقلوب قومي عليهم، فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد بن الوليد فقال: اذهب معه فافعل ما يريد، فصالحهم خالد على أن لا يعينوا على رسول الله ﷺ، وإن أسلمت قريش أسلموا معهم»(٥) .

الثاني : يشبهون النوع الأول في الصورة الظاهرة، ولكن يختلفون في أن نية هؤلاء غير نية النوع الأول، فهم لا يظهرون المناجزة والمساندة في الظاهر حتى ينالوا المنفعة من المجتمع المسلم ، ولكنهم في الحقيقة مع الأعداء، يتآمرون ضد مصلحة المسلمين، بل إنهم يعمدون إلى المخادعة والتضليل، وقد ذكر ابن كثير عن ابن جرير عن مجاهد أن قوله (تعالى) : **﴿ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ .. ﴾** [النساء: ٩١] قد نزل في قوم من أهل مكة، كانوا يأتون النبي ﷺ فيسلمون رياءً، ثم يرجعون إلى قريش فيرتكسون في الأوثان، ويبتغون بذلك أن يأمنوا ههنا وههنا، فأمر بقتلهم إن لم يعتزلوا ويصلحوا»(٦) .

إن هذا النوع لا يقتصر على الأفراد المذبذبين، بل يتعدى ذلك إلى الدول والجماعات التي تمارس الخداع والتضليل؛ إما من أجل تخدير المجتمع المسلم ونزع روح المبادرة، أو من أجل نهب خيراته من خلال إظهار مناصرة قضاياه وحمايته من أعدائه بقصد ترويض المجتمع المسلم، ولهذا: فإن على المجتمع المسلم ألا يسمح لهذا النوع من النفاق الكافر بالتواجد، والعمل على قتالهم، وإن المهادنة معهم لا يجوز

مقال

عقدها إلا إذا التزموا بكف الأذى وعدم التدخل في أمور المجتمع المسلم .

لقد أوضح القرآن الكريم أن المهادنة وعقد السلام ـ كما جاء في القرآن الكريم ـ لا يجوز إلا عندما يتم تحقيق ما جاء في آيات سورة محمد، حيث قال (تعالى) : **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٤، ٣٥]**. فقد حددت هذه الآية عدم جواز بدء طلب السلم أو المهادنة إلا إذا تحقق ما يريده الله: من أن المسلمين يكونون هم الأعلون، وبالتالي: فإنهم لا يطلبون السلام ، ولكن يمنحونه لغيرهم إذا طلبه العدو، لما فيه من مصلحة الناس؛ من حيث تمكينهم من سماع كلمة الله حتى تقوم الحجة على الناس، فلا يكون للناس حجة بعد الرسل؛ ولهذا: جاء الإسلام ووضع أحكامًا لأهل الذمة من أجل أن يتحقق المبدأ الأساس في الإسلام، الذي أشار إليه قوله (تعالى) : **﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]** .

ثالثًا: جاء لفظ « السلام» بمعنى الخضوع والاستسلام لله، الذي هو المفهوم الحقيقي لدين الإسلام، فقد ورد لفظ « السلام » ومشتقاته للدلالة على الإسلام، الذي يعني كمال الخضوع والذلة والاستسلام لله بما شرعه وأمر به، فقد ورد لفظ « السِّلم » بهذا المعنى في قوله (تعالى) : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ..﴾ [البقرة: ٢٠٨]** ، فإذا جاء من يعرف معنى هذه الآية ، ويستشهد بأنها دليل على أن الإسلام يأمر بعقد السلام مع أعداء الله الذين نهبوا الأرض وأخرجوا المسلمين من بلادهم، وشردوهم في الأرض، فقد حرف معنى الآية عن مفهومها الذي نزلت

به إلى معنى آخر مغاير لما نزلت من أجله .

إن المعنى الحقيقي لهذه الآية كما فسرها علماء المسلمين من المفسرين: هو الأمر بالدخول في الإسلام، وقبول شريعة الإسلام، يقول الزمخشري : « السّلم بكسر السين وفتحها ـ وقرأ الأعمش بفتح السين واللام ـ هو الاستسلام والطاعة، أي: استسلموا لله وأطيعوه (كافة) لا يخرج أحد منكم يده عن طاعته، وقيل هو الإسلام، والخطاب لأهل الكتاب، لأنهم آمنوا بنبيهم وكتابهم، وللمنافقين لأنهم آمنوا بألسنتهم، ويجوز أن يكون (كافة) حالاً من السلم، لأنها تؤنث كما تؤنث الحرب . . . على أن المؤمنين أمروا بأن يدخلوا في الطاعات كلها، وأن لا يدخلوا في طاعة دون طاعة، بل شُعَب الإسلام وشرائعه كلها، وأن لا يتركوا شيئًا منها، وعن عبد الله بن سلام أنه استأذن من رسول الله ﷺ أن يقيم على السبت وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل. ﴿ **فإن زللتم** ﴾ عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات، أي: الحجج والشواهد على أن ما دعيتم إلى الدخول فيه هو الحق، فاعلموا أن الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم»(٧) .

ويقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : « يقول الله (تعالى) آمرًا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك، فقال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وطاووس والضحاك وعكرمة وقتادة والسدي وابن زيد في قوله ﴿ **ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ** .. ﴾ يعني: الإسلام، وقال الضحاك عن ابن عباس، وأبو العالية، والربيع، عن أنس ﴿ **ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ** .. ﴾ يعني: الطاعة ، ومن المفسرين من يجعل قوله ﴿ **كَافَّةً** ﴾ حالاً من الداخلين في الإسلام: كلكم، والصحيح الأول، وهو: أنهم أمروا كلهم أن يعملوا بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام ـ وهي كثيرة جدًا ـ ما استطاعوا منها، كما روى ابن أبي حاتم ... عن ابن عباس ﴿ **ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً** ﴾ كذا قرأه بالنصب، يعني: مؤمني أهل الكتاب، فإنهم كانوا مع الإيمان

مقال

بالله مستمسكين ببعض أمور التوارة والشرائع التي أنزلت فيهم، فقال الله: ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ يقول: ادخلوا في شرائع دين محمد ﷺ ولا تدَعُوا منها شيئًا، وحسبكم الإيمان بالتوراة وما فيها، وقوله: ﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ أي: عدلتم عن الحق بعدما قامت عليكم الحجج، فاعلموا أن الله عزيز، أي: في انتقامه، ولا يفوته هارب »[٨] .

والآيات التي ورد فيها لفظ « السلم » ضمن مفهوم الإسلام المتضمن لمعاني الخضوع والاستسلام مثل قوله (تعالى) : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ .. ﴾ [البقرة : ١١٢] ، وقوله (تعالى): ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا .. ﴾ [آل عمران : ٨٣] .

رابعًا : لقد ورد لفظ « السلام » في القرآن بما يفيد ضرورة استخدامه كتحية يتخذها الأفراد، بقصد بث الأمان النفسي والمادي في المجتمع المسلم، وقد ورد هذا المعنى في صور ومواقف متعددة ، كحكاية عن واقع لما سيحدث في الدار الأخرى، ولطمأنة أفراد المجتمع بعضهم لبعض في تعاملهم، ومن ذلك: ما ورد في سورة هود، في قوله (تعالى) : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ .. ﴾ [هود : ٦٩]، وقوله (تعالى) : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ .. ﴾ [الذاريات : ٢٥]، وقوله (تعالى) : ﴿ .. قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴾ [طه : ٤٧] ، وقوله (تعالى) : ﴿ .. لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا .. ﴾ [النور : ٢٧]، وقوله (تعالى) : ﴿ .. وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا .. ﴾ [النساء : ٩٤]، وغير ذلك من الآيات

التي تدور حول مفهوم السلام الذي يعطي الأمان ويبث الاطمئنان في النفوس ويزيل عنها الخوف والوجل .

فهذه الآيات جميعها تشير إلى أن السلام هو الأمان النفسي والمادي؛ ولهذا يأمر الله عباده المؤمنين أن يمارسوا قول السلام وفعله في الدنيا لتحقيق السلام الاجتماعي، الذي يمثل الغاية التي يسعى إليها الإسلام ، فالسلام بمختلف معانيه يقود إلى الأمان الذي هو غاية كل إنسان .

خامسًا : ومن المعاني التي ورد فيها لفظ « السلام » أنها اسم من أسماء الجنة، باعتبار أن السلام الحقيقي الدائم والمستمر هو ما يتحقق في الجنة، حيث يتحقق للإنسان الأمان النفسي والمادي والخلود الأبدي، فهو السلام الذي يطمح إليه الإنسان، يقول الله (تعالى) مخبراً عن ذلك : ﴿ **لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [**الأنعام** : ١٢٧] ، ولأن مانح السلام الحقيقي في الدنيا والآخرة هو الله (سبحانه)، ولأهمية السلام وعظيم شأنه فقد سمى نفسه بذلك، فمن أسمائه الحسنى: « السلام » كما جاء في قوله (تعالى) : ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ** .. ﴾ [**الحشر** :٢٣] .

---

(١) الكشاف ، للزمخشري ، جـ١ ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ .
(٢) تفسير ابن كثير ، جـ٢ ص ٣٢٠ .
(٣) السابق ، جـ٢ ص ٣٢٢ .
(٤) السابق.
(٥) المصدر نفسه ، جـ١ ص ٥٣٣ .
(٦) السابق.
(٧) الكشاف ، جـ١ ص ٣٥٣ .
(٨) تفسير ابن كثير ، جـ١ ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ .

إشكاليــة
زاويــة النظر للديمقراطيــة

(٢)

بقلم : سامي محمد صالح الدلال

تحدث الكاتب في الحلقة الماضية عن التباين الذي يحدث في تفسير الديمقراطية وتبني موقف منها بناءً على اختلاف زوايا النظر إليها من خلال منظور كل من : الحكام ، والأحزاب، والمنظور القبلي ، ومن خلال منظور العامة من الناس، ويواصل الكاتب في هذه الحلقة معالجة بقية الموضوع .

ـ البيان ـ

هموم ثقافية

■ **منظور الأبعاد :**

هما بعدان : المكان والزمان .

إن مفهوم الديمقراطية في الاستغراق الزمني المحدد يتحول إلى مفاهيم متعددة بحسب المكان ، أي : بحسب البلدان والأقاليم والقارات ، ففي جيلنا المعاصر باعتباره بعداً زمنيًا، فإن مفهوم الديمقراطية لدى الدول الغربية هو غير مفهومه لدى دول العالم الثالث ، كما أنه غير مفهومه لدى الدول التي تولدت من تفكك الاتحاد السوفييتي السابق ، وهناك أسباب عدة وراء اختلاف تلك المفاهيم ، منها :

١ـ طبيعة التركيبة السكانية .

٢ـ تنوع واختلاف المراجع العقدية .

٣ـ تمايز الألوان الثقافية والتعبيرات الحضارية .

٤ـ تباين الأنظمة السياسية .

٥ـ اختلاف الطبيعة الجغرافية .

٦ـ مقدار استحضار المختزن التاريخي

٧ـ بروز أو ضمور التفاوت الطبقي .

٨ـ مضمون المنحى الاقتصادي وهياكله .

٩ـ كيفية ممارسة وتطور العلاقات الاجتماعية .

١٠ـ حجم المشاركة الأممية ، مع

ملاحظة التنافس على الأدوار القيادية والسيادة العالمية.

١١ـ تعدد الاجتهادت المجتمعية للتعبير عن الذات وممارسة النفوذ .

١٢ ـ تنوع المشاعر النفسية والانفعالات العاطفية بحسب الريادة أو التبعية .

فلو نظرنا من خلال بعد زمني محدد ـ وليكن جيلاً أو جيلين ـ إلى خارطة بلدان الكرة الأرضية الآخذة بالديمقراطية ، لوجدنا أن ديمقراطية كل بلد منها تختلف عن الأخرى ،إما لتحقق جميع الأسباب السابقة فيها ، أو لتحقق بعضها ، مع ملاحظة ما يمكن أن يتولد من أسباب أخرى ناشئة عن التداخل والتفاعل بين الأسباب السابقة .

ذلك من حيث منظور بعدي الزمان المحدد والمكان غير المحدد .

وأما في إطار بعدي المكان المحدد والزمان غير المحدد ، فإننا لو أخذنا بقعة مكانية واحدة مثلاً ، بلداً من البلدان ، فإننا عند التدقيق في استغراقه الزمني سنلاحظ للديمقراطية فيه تطوراً تاريخياً مستمراً ، وهو يصعد درجات سلم السنين ثم القرون، فمفهوم الديمقراطية الآن في بلد ما ليس هو مفهوم الديمقراطية نفسه في ذلك البلد قبل قرن أو قرنين ، وإن الانتقال من مفهوم الديمقراطية السابق إلى مفهوم الديمقراطية اللاحق لم يتم دفعة واحدة، فهو خارج إطار تطور الطفرة، بل تم هذا التطور تدريجيًّا، وهذا يعني أن مفاهيم ديمقراطية متتابعة قد مرت على ذاك البلد . . وما ينطبق على بلد واحد ينطبق على باقي البلدان ، كل بحسب ظروفه وأحواله ، وهناك عدة أسباب تؤدي إلى تغير أو تطور المفهوم الديمقراطي في البلد الواحد عبر الزمن، منها :

١ـ التطورات الثقافية .

٢ـ التحولات الاجتماعية .

٣ـ التغيرات السياسية .

٤ـ المقدرات الاقتصادية .

٥ـ التأثرات بالوافدات الخارجية .

٦ـ الاستعدادات التعبوية ، سواء



أكانت نفسية أو مادية ، انتشارية أو انكفائية .

٧ـ الممارسات الاحتكاكية ، كالحروب مثلاً .

٨ـ طغيان الشعور بالتحدي الأممي .

٩ـ الاندفاع أو الانخذالات الحضارية .

١٠ ـ التعرض للظروف الحادة كالأمراض الوبائية أو الكوارث الجيولوجية .

ومن خلال تلك المؤثرات يمكننا أن نتخيل طبيعة تطور مفهوم الديمقراطية من منظور البعد الزمني غير المحدد .

فإذا نظرنا للمفهوم الديمقراطي من خلال البعدين المكاني غير المحدد والزماني غير المحدد وفق العناصر التي ذكرتها وطبيعة التداخل الذي بينها ، لاتضح أمامنا حجم الفوضى الحياتية التي سيحياها البشر من خلال اندراج ترتيب شؤون حياتهم على ذلك المفهوم المتغير والمتطور باستمرار .

ويمكننا أن نرصد عناصر رئيسة في تلك الزوبعة الفوضوية الناشئة من الاحتكام للمفاهيم الديمقراطية ، ومن أهمها :

١ـ انبتات المسيرة البشرية عن التوجيه الرباني .

٢ـ الاحتكام إلى منطلقات ذات طابع مصلحي لا يمكن الاتفاق عليها، وبالتالي : الفشل في بلورة مرتكزات قيمية تستظل في فيئها معالم الاستقرار البشري .

٣ـ شيوع الفوضى الفكرية وذيوع النظريات الكلامية وامتداد التحليلات الفلسفية .

٤ـ « الغاية تبرر الوسيلة » سيكون الشعار الذي تحت ظله ترسم الخطط وتنفذ البرامج .

٥ـ التناحر والتقاتل لفرض الهيمنة وإحكام السيطرة وإخضاع الخصوم : نفوساً وممتلكات .

٦ـ تفاقم التفاوت الطبقي برعاية دستورية .

٧ـ بروز الثقافات الإلحادية المكتظة بالإسفافات العقدية والجنسية .

٨ـ استشراء التمزقات الاجتماعية، ومن أبرزها التفككات الأسرية .



٩ـ ظهور الجنوحات نحو إبراز الذات وممارسة الهيمنة .

١٠ ـ انعدام ضوابط ممارسة الحرية بمفهومها السوي .

١١ ـ التخلخل الاقتصادي الناجم عن التبدل المستمر بالنظريات والتطبيق.

١٢ ـ استشراء الرذائل بسبب اختلاف النظرة لمفهوم الأخلاق، وبواعث القيم، ومدلولات الممارسات والتصرفات .

فإذا وضح لنا ذلك ، علمنا مقدار الانحراف والخطر الذي وقع في مهاويه بعض الإسلاميين، وهم يغذون السير في الطرق الديمقراطية .

ولعلنا من خلال منظور الأبعاد المذكورة نستطيع أن نمس الخسائر الفادحة التالية المترتبة على انسياق ـ بل انجراف ـ الإسلاميين نحو المستنقع الديمقراطي :

١ـ التعبير العملي عن عدم إحاطتهم بكيفية استيعاب المنهاج الرباني لمتطلبات البشرية عبر اختلاف المكان وتتابع الزمان .

٢ـ محاولة تبرير ذلك التعبير بأطروحات عقلية محضة تتلمس لتمريرها مصطلحات أصولية تتعلق بالمفاسد والمصالح .

إن هناك خطورة إضافية تتعلق باستخدام هذا المنهج للوصول إلى ذلك التبرير، تلك الخطورة تكمن في توسيع (ترجيح) قد حصل لحالة معينة في مكان محدد وزمان معين ليشمل مسيرة منهج كامل ، فلو حصل في بلد ما ، وبظروف معينة أن رجح الإسلاميون خوض الانتخابات النيابية، (وهم مخطئون في ذلك من وجهة نظري)، فإن هذا الترجيح لايجوز توسيعه لتمرير الفكرة الديمقراطية وممارساتها في العالم الإسلامي أجمع .

٣ـ إحلال المفاهيم الديمقراطية ، بكافة ما تحتويه من سلبيات (ذكرت بعضها) محل المفاهيم الإسلامية ، أي : استبعاد الكتاب والسنة .

٤ـ وقوع الاختلاف والشقاق بين الإسلاميين الديمقراطيين أنفسهم ،

بسبب طبيعة ما تحمله المفاهيم الديمقراطية من اختلافات إزاء النظر لكل حالة قائمة أو طارئة .

٥ـ اندثار الثقافة الإسلامية وبروز الثقافة العلمانية باسم الديمقراطية .

٦ـ الولوج في الامتزاج الحضاري ، فكرًا وممارسة ، مع مجتمعات الكفر والإلحاد ، وذلك من خلال القفز على الفواصل العقدية المؤصلة في الكتاب والسنة .

٧ـ الاحتكام إلى القوانين الوضعية البشرية، مما يترتب عليه أمران : أولهما : إلحاق الوصف الشرعي بفاعلي ذلك ، وهو الكفر والظلم والفسق (كل بحسبه) . وثانيهما : بلورة جميع مناحي الحياة في إطار صبغة تلك القوانين الوضعية ، مما يترتب عليه فوضى عقدية وأخلاقية وثقافية واقتصادية وأمنية تفوت جميع الضرورات الخمس التي راعتها الشريعة من حفظ للدين والنفس والمال والنسل والعقل .

٨ـ استحقاق هذه الأمة المحتكمة في شؤونها للمفاهيم الديمقراطية لغضب الله (تعالى) ، مما يترتب عليه تسليط الأعداء عليها، وإلحاق الهزائم المنكرة بجيوشها وعساكرها، ورفع البركة من أقواتها ونزع الأمن من قلوبها، قال (تعالى) : **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** [**النحل**:١١٢]. وإن من أعظم النعم على هذه الأمة : كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، وإن من الكفر بهما عدم الاحتكام إليهما ، بل الاحتكام إلى غيرهما بدلاً عنهما ، وإننا لنرى بأم أعيننا كيف أن لباس الجوع والخوف لاحق بالمتحاكمين إلى الديمقراطية .

٩ـ إن الإسلاميين (الديمقراطيين) يتحملون المسؤولية الشرعية أمام الله (تعالى)، ثم أمام الناس من الأجيال القادمة فيما جنته أيديهم من آثار ردم المفاهيم الإسلامية بالتراب الديمقراطي ، كم من الجهد وبذل الطاقة واستغراق



الأوقات ستحتاجه الأجيال الإسلامية القادمة حتى تتمكن من إزالة ذاك التراب الديمقراطي عن المفاهيم الإسلامية الحقة لتظهر كما هي .. حقيقة زاهية بهية .

١٠ ـ أن الإسلاميين (الديمقراطيين) ، بسلوكهم الديمقراطي يعبرون عن قدوة غير مُرضية، سواء على مستوى جيلهم أو على مستوى الأجيال القادمة ، إن الناس يذكرون أعلام الهدى من أهل السنة والجماعة الذين لم يتنازلوا قيد أنملة عن الحق المكلل بالدليل الشرعي من أمثال : أحمد بن حنبل، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية (تغمدهم الله برحمته) .. وغيرهم كثير من علماء الإسلام ، يذكرونهم بالخير والتزكية، ولايزكون على الله أحداً، ويدعون لهم برفع الدرجات ونيل المكرمات في أعلى الجنات ، لكن بماذا سيذكر مسلمو الأجيال القادمة أولئك الديمقراطيين الإسلاميين الذين انساقوا في خضم تلك المجالس التي تخضع كتاب الله وسنة رسوله للتصويت البشري ليُرى هل يأخذ بهما أو لا يأخذ .. نعم ، لن تذكر الأجيال الإسلامية القادمة الإسلاميين أصحاب المفاهيم الديمقراطية بالخير والدعاء لهم بما تدعو به لعلماء الإسلام الذين صان الله بهم دينه وأعلى بالتزامهم كتابه وسنة نبيه كلمة الإسلام خفاقة عالية .

١١ ـ إن الإسلاميين الديمقراطيين ، بمؤلفاتهم ودراساتهم وكتبهم حول الأخذ بالديمقراطية سيُدخلون شوائب عظيمة في المفاهيم الإسلامية لا تقل خطورة عن تلك الشوائب التي أحدثها إدخال علم الكلام وفلسفة اليونان في مناهج النظر وإعمال الفكر في المفاهيم العقدية الإسلامية ، تلك العلوم التي حرفت الفهم الصحيح للعقيدة السلفية ، عقيدة أهل السنة والجماعة .

١٢ـ إن استغراق الإسلاميين (الديمقراطيين) في حمأة المناهج الفكرية والممارسات العملية للديمقراطية قد صرف أذهانهم ولفت قلوبهم عن

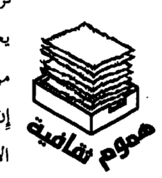
الجهاد في سبيل الله (تعالى) ، ذلك أن الحكم الديمقراطي ـ وهو حكم بشري بحت ـ قد خلع الالتزام بشرع الله (تعالى) من رقبته ، ومن جملة ذلك : الجهاد في سبيل الله، إن الجهاد في سبيل الله (تعالى) حكم معطل تمامًا في ظل المجالس النيابية وأحكام الديمقراطية .

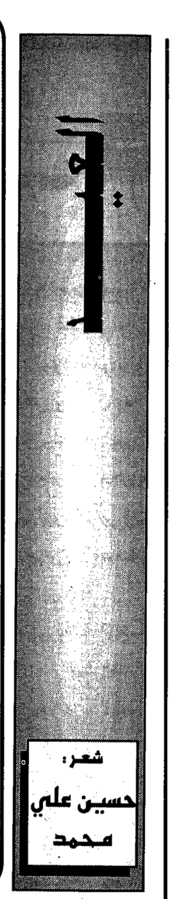
١٢- إن احتكام الإسلاميين للديمقراطية وأخذهم بها يفرض عليهم لزومًا عدم الاعتراض على كل ما يعرضه الملحدون والمرجفون والمنافقون من أفكار علمانية وطروحات حداثية . إن أقصى ما يمكن أن يعترض به الإسلاميون في هذا المجال هو قولهم: لا يجوز أن يقال كذا أو يقال كذا.

فيرد عليهم الآخرون بقولهم: إننا في دولة ديمقراطية تكفل الحريات والإدلاء بالآراء، فليقل كل منا ما يشاء ، ولم لا؟! فالدستور يحمي الجميع .

وبعد .. فتلك بعض آثار انعكاس المفاهيم الديمقراطية وأبعادها المختلفة على أفكار وتوجهات الإسلاميين وممارساتهم تلك الأفكار التي تتبدى خللاً في الفهم العقدي وانحرافًا في الممارسة والتوجه الدعوي .

فهلاّ انتبهنا إلى آفاق تعدد زوايا النظر إلى الديمقراطية وما ينتجه من إشكاليات ؟!! .





(١)

لا تطلب مني أن أطرب وأغنّي بجميلِ الشِّعْرْ
في هذا العيدْ
فالحزنُ شديدْ
آلامي تقهرُ جبلَ الصَّبْرْ
هل قُضي الأمرْ ؟

(٢)

يا كم خَدَعونا بالقول البرّاقِ .. بكلِّ غثاءْ
حتى صِرْنَا هَدَفًا لسهام الأعداءْ
خَدَعونا بالصُّوَر الشوهاءْ
فجرينا خلف الأوهامِ الخَادِعةِ السَّوْدَاءْ
حتى ضجّتْ منا الأفْوَاءْ

(٣)

آه من فتَنٍ ينسجُها الغشَّاشُونَ الكذَّابُون بلا رحْمَهْ
هلْ نحنُ الأبناءُ البررةُ في هذي« العتْمَهْ » ؟
هل نحنُ « الأمَّهْ » ؟
من يكشف عنَّا هذي الغُمَّهْ ؟
من يمتلكُ العزْمَةَ ، والوثبةَ ، والهمَّهْ ؟

(٤)

لا تطلُبْ مني شرحًا ، فالليلُ قصيرْ
والحزنُ وفيرْ
وأنا .. مكلومُ القلبِ ، حسيرْ
لا تطلبْ مني أنْ أشدوَ في هذا العيدِ
بدرِّ القوْلْ
فقلبي .. مفطورٌ وكسيرْ

الأمم المتحدة

الموقف العجيب حيال قضيتي فلسطين والبوسنة !! (٣)

كان الحديث في حلقات سابقة، عن الواقع الذي أفرزته الحرب العالمية الثانية ، الذي تمخض عن نشوء علاقات ليست عادلة بين أمم الأرض ، تمثلت في وجود عالم حرٌ قوي ومستكبر ، يتحكم في عالم آخر يرسف في قيود العبودية والتأخر والضعف، على الرغم من أنه يمتلك كل إمكانات القوة والغنى والتقدم ، وهذا العالم المستضعف والمستهدف كان ـ وللأسف ـ يتمثل في غالبيته من شعوب الأمة الإسلامية عرباً وعجماً، حيث فرضت الدول الكبرى أو المتكبرة من خلال هيئاتها العالمية معادلات دولية صارمة وظالمة ، لا تسمح ـ تحت أي ظرف من الظروف ـ لأي من دول العالم الإسلامي منفردة أو مجتمعة أن تخرج عن إطار التبعية لهيمنة الكبار وتسلطهم .

وإذا كانت السياسات العامة الدولية ، تشير في مجموعها إلى الملامح الواضحة لهذا المسلك الجائر من تلك الأمم ضدنا ، فإن هناك محطات بارزة في تلك السياسات، تنطق وقائعها بأن ما أريد له أن يكون (شرعة دولية) أو (شرعية دولية) ! ليس أكثر من بنود في برنامج تسلطي دولي يحفظ لتلك الأمم (المتحدة) سيادتها على الأمم (غير المتحدة) ، وساضرب مثالين فقط لقضيتين إسلاميتين ، إحداهما ـ وهي قضية فلسطين ـ تدور أحداثها منذ عقود، والثانية نشأت أحداثها من وقت قريب ـ وهي قضية البوسنة ـ، ومع هذا : فإن طريقة الأمم المتحدة في معالجتهما ، تثبت أن المنهاج في التعامل واحد ؛ لأنه يعكس إرادة واحدة هي إرادة الأعداء الكبار .

المسلمون



والعالم



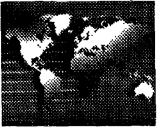
بقلم :
عبد العزيز كامل

أولاً ـ قضية فلسطين :

كانت (عصبة الأمم) هي المنشئة عمليًا لـ (الوطن) القومي لليهود في فلسطين ، وذلك بإخضاعها للانتداب البريطاني، لكي يُجهِّزها موطنًا دائمًا لعصابات الصهاينة، وكذلك تبنت عصبة الأمم وعد (بلفور) ، وحولته من وعد نظري فردي إلى سياسة عملية جماعية ، أسبغت عليها مقررات العصبة (شرعية دولية) .

ولما جاءت (هيئة الأمم المتحدة) وحلت محل عصبة الأمم ، انتقلت بالأرض الفلسطينية من حالة (الوطن) إلى حالة (الدولة) لليهود، فكانت هي المنشئة من الناحية العملية للدولة السفاح التي سميت بعد ذلك (إسرائيل)، وتحقق ذلك عندما اقترحت لجنة تابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة في إبريل سنة ١٩٤٧م تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين ، إحداهما يهودية والأخرى فلسطينية ، مع إبقاء القدس تحت نظام دولي خاص، وهو ما وافقت عليه على الفور الوكالة اليهودية ، التي كانت بمثابة دولة لليهود قبل مرحلة الدولة ، أما عرب فلسطين وباقي الدول العربية فقد رفضوا الاقتراح، ولكن الجمعية العامة للأمم المتحدة أقرته مع ذلك في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧م ، وبهذا أعطت تلك الجمعية لنفسها ـ لأول مرة ـ حق تقرير مستقبل شعب ومصير إقليم دون استفتاء ذلك الشعب أو الرجوع إليه .

ومن العجيب أن الجمعية العامة التي أقرت هذا القرار الجائر ـ رغم أنف أصحاب الشأن ـ هي نفسها التي رفضت اقتراحًا عربيًا بطلب رأي استشاري من محكمة



(العدل) الدولية ، يبدي الرأي في أهلية تلك الجمعية لاتخاذ مثل هذا القرار بذلك الشكل! .

لقد مضت الجمعية العامة للأمم المتحدة في وضع هذا القرار موضع التنفيذ، وقررت تشكيل لجنة خاصة مهمتها إدارة المناطق التي ترحل عنها قوات الدولة المنتدبة (بريطانيا) ريثما يتمكن اليهود من التحضير لإنشاء حكومتهم على الأرض المقررة لهم ، وطلبت من مجلس الأمن أن يراقب الوضع ، ويتخذ الإجراءات الضرورية لتمكين اللجنة من أداء مهمتها .

ولكن بريطانيا سارعت في ١٤ مايو ١٩٤٨م إلى إنهاء انتدابها من جانب واحد؛ لتمكين اليهود من التعجيل بإعلان دولتهم المستقلة قبل أن يتمكن العرب والمسلمون من إجهاض المشروع ، وحتى تتم لليهود الحماية من (المجتمع الدولي) باعتبارهم (أصحاب دولة مستقلة عضو في الأمم المتحدة) ، وكان لهذا القرار البريطاني المفاجىء أثره ؛ إذ سارع اليهود إلى إعلان الدولة بالفعل في اليوم التالي ، مما أدى إلى اندلاع القتال بين العرب و (دولة) اليهود ، بدلاً من (عصابات) يهود ، وحسب ما هو متوقع ، فقد تدخل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة ، وأمر بوقف العمليات العسكرية ، ودعا إلى هدنة ، وكلفت الأمم المتحدة وسيطًا لها هو (الكونت برنادوت) للمساعدة في إيجاد تسوية سلمية بين العرب و(دولة) إسرائيل ، تضمن التعايش بين الطرفين، ولكن اليهود لم يكونوا بعد على استعداد لحلول سلمية ، فلا يزال في برامجهم الكثير ؛ فلهذا أقدم عملاؤهم على اغتيال الوسيط الدولي ، ومع ذلك سكتت الأمم المتحدة على هذا العقوق من الوليدة المشاكسة (إسرائيل) .

وقبلت المنظمة (الأم) وليدتها عضواً كاملاً بها ، على الرغم من أزمة العضوية الحادة التي كانت تواجه الأمم المتحدة في ذلك الوقت .

وظلت القضية الفلسطينية إحدى القضايا المزمنة في المنظمة الدولية ، وصدرت





بشأنها مئات القرارات ، بعدما تحولت مع مرور الوقت إلى ما سمي بـ (الصراع العربي الإسرائيلي)، ومن هذه القرارات ما يتعلق باللاجئين، ومنها ما يتعلق بوضع القدس ، أو موضوع التسوية النهائية . ودون الدخول في تفاصيل تلك القرارات ، فإنه تجدر الإشارة إلى أن هذه القضية ظلت تعامل في أروقة الأمم المتحدة (قضيةً للاجئين) منذ نهاية حرب ١٩٤٨م وحتى حرب ١٩٦٧م ، ثم اعترفت الأمم المتحدة ـ بعد حرب ١٩٧٣م ـ بمنظمة التحرير وأعطتها أهلية إدارة الأماكن التابعة للقسم العربي من فلسطين ـ بمقتضى قرار التقسيم ـ ذلك القسم الذي احتله اليهود أيضًا في حرب يونيو ٦٧ ، كما هو معروف .

ولكن القضية أخذت منحًى آخر بعد زيارة الرئيس المصري السابق (أنور السادات) للقدس واعترافه بـ (دولة إسرائيل) ، فقد أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية هي الوسيط الرئيس فيما سمي بـ (عملية السلام)، وأصبح خيار الحرب لاستعادة ما ضاع بالحرب في حكم الإلغاء، وانحصر الحديث في انسحاب اليهود من الأراضي التي احتلوها بعد حرب ١٩٦٧م بعدما كرست الأمم المتحدة بقراراتها أحقية اليهود في كل أرض اغتصبوها قبل تلك الحرب ، وكان اعتراف الكثير من الدول العربية بدولة اليهود فيما بعد إقرارًا وتصديقًا لهذا الأمر ، وإضفاءً للشرعية عليه .

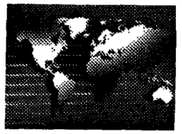
وبعد حرب الخليج التي أعقبتها مباشرة مداولات مدريد، لم يعد للأمم المتحدة ما تفعله، ولم يعد ليهود حاجة إليها ، حتى إنهم رفضوا حضورها مؤتمر مدريد ، ولم يبق لها علاقة بالقضية سوى القرارات المدرجة في أدراجها .

إذن ، فنصيب القضية الفلسطينية أو (الصراع العربي الإسرائيلي) من اهتمام الأمم المتحدة على مدى نصف قرن انحصر في عدد من القرارات والتوصيات المجملة أو المعطلة ، التي قننت الظلم ولم تنصف العرب ، ومع هذا : فإن العرب تقبلوها قسرًا على أنها (أفضل الأسوأ)، وبالنظر إلى أن الجمعية العامة للأمم المتحدة هي بمثابة

(مجلس شعب) دولي تدلي فيه كل الدول الأعضاء بأصواتها، فإنه تمارس فيها الطقوس الديمقراطية، دون مساس بالمصالح الاستعمارية الغربية أو الشرقية، فقد صدر عن تلك الجمعية عدد من القرارات التي تعبر عن تنوع وجهات النظر تحت سقف المنظمة الدولية، لكن دون أن تملك تلك الجمعية سلطة تنفيذها أو فرض احترامها، إلا بإذن خاص من الدول الكبار، من تلك القرارات، مثلاً: قرار صدر عام ١٩٧٥م عن الجمعية العامة يدين (الصهيونية) ويعدها نوعاً من العنصرية، وقد وقفت خلف القرار الدول العربية والإسلامية والمتعاطفة معها، ولكن ـ وكما هو متوقع ـ رفضت الولايات المتحدة القرار، وهددت بقطع الأموال عن مؤسسات الأمم المتحدة إذا لم تلغه، وظلت مبيتة النية لإلغائه، حتى دعا الرئيس الأمريكي السابق (بوش) بنفسه الجمعية العامة إلى إلغائه دون قيد أو شرط، فاستجابت راغمة !، فنبذت القرار في سطر واحد، صدر في سبتمبر عام ١٩٩١م، أما القرارات الأخرى التي أظهرت نوعاً من التعاطف مع بعض الحقوق الفلسطينية والعربية، فقد وصفتها «مادلين أولبرايت» المندوبة الأمريكية لدى الأمم المتحدة بأنها قرارات (غير ودية) ومنافية لروح السلام، ووعدت في زيارة لها إلى الشرق الأوسط في أكتوبر الماضي بأن تعمل لتعديل هذه القرارات في الدورة المقبلة للجمعية العامة، إن هذه القرارات المرشحة للتعديل أو الإلغاء، هي التي كانت تمثل في نظر الغرب والمسلمين (عدالة) الشرعية الدولية، وكانوا ـ ولا يزالون ـ يحلمون بمجيء اليوم الذي يستطيع المجتمع الدولي فيه أن يطبقها أو أن يفرضها على الدولة المدللة (إسرائيل)، إنها قرارات تتكئ عليها المطالب العربية والفلسطينية في سعيها اللاهث نحو السلام العادل، فهي لا تملك غير هذا السيف الخشبي، لتحارب به في (معركة السلام) كما أسموها، ولكنهم مع هذا يواجهون الآن الحرمان من هذا السلاح.

إن من القرارات المرشحة للحاق بقرار إدانة الصهيونية: القرار (١٩٤) (خاصة الفقرات الضامنة لحق اللاجئين في العودة)، والقرار (٢٣٧) الخاص بعودة النازحين،

المسلمون



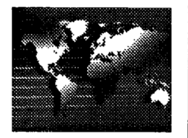
والعالم

والقـرارات المراعيــة لوضـع القدس الخاص، والقـرارات التي تدين الاستيطان، فماذا بقي ؟!! إنه لم يبـق إلا الخنـوع «لشريعة» الولايـات المتحـدة بعد طـول الخضـوع لـ (شرعية) الأمم المتحدة !.

ثانيًا : قضية البوسنة والهرسك :

أطلقت بعض الأوساط الغربية على مسلمي البوسنة وصف : (الفلسطينيين الجدد في أوروبا)، وبالفعل ، فهناك أوجه تشابه كبيرة بين قضيتي الشعبين وطرق المعالجة الدولية لهما ، وتأتي الأمم المتحدة أيضًا لتعكس في إداراتها للأزمة وجهة نظر الغرب الصليبي فيما ينبغي أن تسير عليه الأمور هناك ، فكما فاضت المشاعر الغربية النصرانية عطفًا على اليـهـود ضـد المسلمين في فلسطين ، فـقـد أحـاط هؤلاء إخـوانهم الصـرب الصليبيين بالتـأييد ضد المسلمين في البوسنة، وتجلت مظاهر تلك المعاملة ـ لكل ذي عينين ـ في تسلسل المواقف التي اتخذتها المنظمة الدولية ، ويخطئ من يظن أن الأمم المتحدة كان لها دور سلبي تجاه الأزمة في البوسنة ، بل الحقيقة : أن دورها كان في غاية الإيجابية ؛ من حيث السعي إلى تحقيق الأهداف الصليبية الصربية والكرواتية في أقصر مدة وبأقل تكلفة .

لقد كانت الأمم المتحدة وراء قرار حظر تصدير السلاح إلى جمهوريات الاتحاد اليوغسلافي السابق، ذلك القرار الذي لم يطبق في الواقع إلا على جمهورية البوسنة والهرسك، التي كـانـت تتـعـرض وحـدها لحرب الإبادة والتـدمـير على مـدى ثلاث سنوات ، أما صربيا : فقد ورثت الترسانة العسكرية الكبيرة للجيش اليوغسلافي السابق ، وأما كرواتيا فقد أظهرت أحداث سقوط (كراجينا) مؤخرًا أنها لم تتأثر أبدًا بالحظر الصوري عليها ، فالحظر كان فعالاً ومحكمًا فقط على البوسنيين المسلمين بأمر الأمم المتحدة ، وظل أمينها يردد بمناسبة وغير مناسبة: أن رفع الحظر عن المسلمين لن يحل المشكلة ، بل سيطيل أمد الحرب !! فعبّر بذلك عن رغبة منظمته في تصفية

المسـلمون

والعـالم

الوجود الإسلامي في أقصر وقت ممكن، وتعللت الأمم المتحدة في عدم تدخلها الجاد لوقف الحرب بأنها حرب أهلية ، متنكرة للحقيقة الواضحة التي تتمثل في قيام دولة ظالمة بالاعتداء على دولة أخرى مجاورة ومستقلة ، .. ولما تعالت بعض الأصوات منددة بازدواج المعايير في الأمم المتحدة ، وتناقض مواقفها بين أزمتي الخليج والبوسنة ، برر بطرس غالي ذلك التناقض بقوله : الوضع في البوسنة يختلف عن الوضع في الكويت ! وأعرب عن مخاوف الأمم المتحدة من أن يؤدي التدخل في هذا النزاع إلى تهميش النزاعات الأخرى ، بل وصل الأمر بأمين الأمم (المتحدة) إلى أن حذر مجلس الأمن من اتخاذ قرارات متشددة مع الصرب ، قد يتعرض موظفو الأمم المتحدة بسببها للخطر! وقصارى ما فعلته الأمم المتحدة أن أعلنت حمايتها لبعض المناطق في البوسنة، وأعلنتها (ملاذات آمنة) [سربرنيتسا ـ جوارجدي ـ بيهاتش ـ توزلا ـ جيبا ـ سراييفو] .. ثم ماذا ؟!.. ثم نزعت منها السلاح في الوقت الذي بقيت فيه خمسة منها تحت الحصار الشامل من الصرب ، ثم ... وبعد أن ظهر زيف تلك الحماية ، تعلل بطرس غالي بأن إنقاذ تلك المناطق من الصرب يحتاج إلى ربع مليون جندي ! وهو ما لا تقدر الأمم المتحدة على حشده . لقد استمر الحصار تحت سمع وبصر الأمم المتحدة لسنوات طوال ، تحت دوي القنص والقصف والقذف ، حتى تفتقت قريحة (الشرعية الدولية) عن ترتيب تمثيلية هزلية ، يتقاسم بطولتها حلف الأطلسي والمنظمة الدولية ؛ يدور (السيناريو) الموضوع لها حول قيام الحلف بتوجيه ضربات جوية للقوات الصربية إذا هددت الملاذات الآمنة ، بما يعطي انطباعًا بأن الأمم الغربية متحدة فعلاً ضد المعتدي لصالح المعتدى عليه، ولكن الحقائق أظهرت بعد ذلك أن الأمم المتحدة (المنظمة) كانت تعطي الصرب المعلومات مسبقًا عن زمان ومكان القصف ، حتى تهيء المسرح بالرمال والأحجار وربما بعض الأبقار ، لتكون من ضحايا القصف ! .

وظلت الحماية الدولية معلنة ، وظلت المدن المحمية تتساقط بعد أن جردتها الأمم



المتحدة الظالمة من السلاح المتواضع الذي كانت تدافع به عن نفسها .

وفي النهاية أفسحت الأمم المتحدة للولايات المتحدة المجال ، تمامًا كما فعلت في فلسطين ، فسلمتها القضية برمتها ، لترى فيها رأيها وتنفذ فيها حكمها الذي لن يكون أبدًا منصفًا للمسلمين .

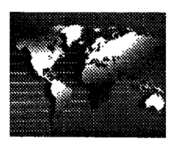
ماذا وراء اتفاق دايتون ؟

وجاء اتفاق (دايتون) للسلام في البوسنة ، على الطريقة الأمريكية ، كنظيره في قضية فلسطين أو الشرق الأوسط ، جاء مُقننًا للظلم الذي رعته وحمته الأمم المتحدة ، ودفعت البوسنة وحدها ـ مثلما دفعت فلسطين من قبل ـ ثمن الحرب وثمن السلام ، فالاتفاق أنهى البوسنة والهرسك كما كانت قبل عام ١٩٩٢م ، وانتصر للتطهير العرقي بقوة القانون بعد قوة السلاح ، وأخضع المسلمين ـ بعد أن سمح لهم بسلطة وطنية ـ لسيطرة الكروات في وحدة فيدرالية قسرية ، لتكون أشبه بحكومة السلطة الوطنية الفلسطينية تحت سيطرة وقهر الحكومة الإسرائيلية ! .

ومثلما تقبل العرب في النهاية ما كان مرفوضًا من قرارات التقسيم قبل خمسة عقود ماضية ، فقد أُكره البوسنيون أخيراً على قبول القسمة الضيزى نفسها ، ووصف رئيسهم المغلوب على أمره (علي عزت بيجوفيتش) السلام الهزيل المرتقب مع الصليبيين المتوحشين بقوله : « قد لا يكون سلامًا عادلاً ، إلا أنه أكثر عدلاً من استمرار الحرب » ! .

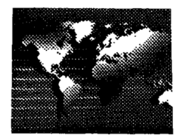
ولكن ما لم يقله بيجوفيتش : هو أن ذلك السلام لا يضمن انتهاء الحرب ، فمن يمنع الصرب أو الكروات من العودة إلى الحرب إذا عادت إليهم الشهية لالتهام البقية ؟! إن الجواب على ذلك مخبأ في جيوب أساطين (الشرعية الدولية) وفي طوايا المقررات الأممية للمنظمة الدولية .

فليملأ المتحدثون عن المسلمين الدنيا ضجيجًا بالحديث عن احترام تلك الشرعية الدولية ، ولكننا نسأل ... هل لهذه (الشرعية الدولية) شرعية إسلامية ؟!!



النفائس العلمانية !!

في تحليل الانتخابات التركية

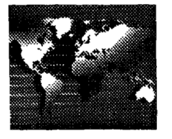


هناك مثل ألماني شهير يفرض نفسه فرضًا كلما تابعنا أحداث عالمنا الإسلامي اليوم ، هذا المثل يقول : « إننا لا نكتشف طباعنا إلا عندما نتكلم عن طباع الغير . . » وحقًّا قد كشفت ردود الأفعال العالمية والعربية عن طبائع المتحدثين عشية إعلان نتائج الانتخابات النيابية في تركيا .. لقد كانت انتخابات تركيا تجرى لعقود من الزمن دون أن تثير في وسائل الإعلام المحلية والإقليمية والدولية ذلك الاهتمام المثير أو تلك الإثارة المهمة !! ، أما وقد طرح الإسلام بديلاً لنظام علماني متهرئ ، فإن مراسلي وكالات الأنباء و « ناسخيها » العرب ، والحكومات العدوة والصديقة أصبحت تترقب نتائج الانتخابات على أحر من الجمر ؛ حيث « البهارات الأصولية . . » التي أصبحت تثير شهية الجميع ، وتجعلهم مهتمين بمتابعة تفاصيل التفاصيل ، وكسور النتائج وإخفاقات المعسكر العلماني . .

أعلنت النتائج ، فإذا بحفيد الأمراء السلاجقة المهندس « نجم الدين أربكان » يجر الجميع إلى عبق التاريخ . . . ويجبر المنسلخين من تاريخهم وهويتهم ومجدهم على الجلوس من جديد في رواق الباب العالي ، ويدعوهم إلى تناول وجبة « روحية » عبر تلال (إسلامبول) التي كانت



د. عبد الله عمر سلطان



تعطس فتصاب عوالم أوروبا بالقشعريرة ...!! سقى الله تلك الأزمنة التي كانت الأرزاق فيها تحت ظلال الرماح ، فها هو الزمان يدور دورته فتجري أنقرة إلى أوروبا طالبة منها تذكرة دخول نادي أوروبا العلمانية ، فتصاب أوروبا بحالة من الصراحة والوضوح – هي غريبة عنها حتمًا – لتقول : إن العلمنة طبقة قطيفة فاخرة ؛ لا بد أن تركيا تدرك أن وراءها روحًا صليبية تحتفل الآن بمرور تسعة قرون على بدء حملتها المضادة تجاه الشرق المسلم...!

إذن: هذه الانتخابات الأخيرة استطاعت أن تمزج العوامل العقدية بالعُقد التاريخية ، وأن تعري المعطيات الجمالية الدولية تجاه المنطقة الإسلامية ، وأن تشابك بين الردود والتصريحات « الأصيلة » القادمة من عوالم الغرب بتلك المتمثلة (برجع الصدى) الغربي العلماني الهوى ..

كانت الانتخابات التي أظهرت – كما يقول المثل الألماني – « طباع القوم » – وإن اختلفت ألسنتهم – حينما يمسون تلك الكلمة/العقدة...« الإسلام » .

العامل الدولي .. « وإسرائيل »:

لأول مرة تتدخل أوروبا وأمريكا مباشرة في انتخابات أناضولية ... لم

تعد تدري كما قال «كمال نوظلو» لمراسل التلفزيون الفرنسي : «هل الحملة هي لانتخاب «شيراك» أم «تشيلر» ... ؟ وكان يسخر من تلك اللوحة الهائلة التي استخدمتها رئيسة الوزراء التركية في حملتها ، ولترسيخ (أوربة) الملف التركي.. كان رئيس فرنسا « جاك شيراك » يقبل رئيسة الوزراء التركية للتأكيد على أهمية المرشحه العلمانية أوروبياً... ، لقد عمل «شيراك» بالفعل على دعم المعسكر العلماني بصورة قوية ، فقد قاد الاتصالات والضغوط التي أدت إلى قبول تركيا ضمن أعضائه المتمتعين بمزايا اتفاقية الإعفاء الجمركي ، التي ثبت أنها لم تكن لتمر لولا أن فرص (حزب الرفاه) في الفوز كان يتوقع أن تكون كبيرة .

دعونا نتأمل هذا الاتفاق وظروفه في هذا التقرير :

« يعتبر قرار البرلمان الأوروبي الخاص بالتصديق على دخول تركيا الوحدة الجمركية مع الاتحاد الأوروبي – الذي اتخذ يوم ١٣ ديسمبر (الماضي) قبل الانتخابات البرلمانية التركية بـ ١١ يومًا – نصراً سياسيًّا كبيراً «لتشيلر» رئيسة الوزراء التركية ، إذ إنها بذلك تكون قد حققت حلمًا تاريخيًّا تُركيًّا بعد نضال دام ٣٠ عامًا ، على أمل أن تحصل تركيا على العضوية الكاملة في الاتحاد الأوروبي عام ٢٠٠٠م وفقًا لتصريحات «تشيلر» .

إلا أنه بقراءة ذلك النص في ظل المعطيات السياسية الداخلية والخارجية ، وفي إطار الشروط المفروضة لقبول عضوية تركيا ، مع الأخذ في الاعتبار الثوابت السياسية التركية ، فإن النتيجة النهائية تشير إلى أنه نصر فارغ المحتوى، استهدف دعم «تشيلر» في حملتها



الانتخابية أولاً وإركاع تركيا ثانياً .

فالرفض الأوروبي السابق لدخول تركيا استند إلى مبررات لم تزل قائمة رغم محاولات التجميل بمكياج رخيص ؛ فسجلُّ تركيا الخاص بحقوق الإنسان لم يزل سيئًا – وفقًا لرؤية منظمات حقوق الإنسان – وإن كان أفضل بكثير من دول أخرى في المنطقة ، والمادة الثامنة في قانون مكافحة الإرهاب هي نفسها ، رغم تغيير بعض كلماتها تلبية لرغبة الغرب ، والنواب السابقون لحزب العمل الديمقراطي (أكراد) ما زالوا يقضون عقوبات بالحبس ، ولا يعني الإفراج عن قلة منهم سراً محاولة لترطيب بشرة تركيا في مواجهة حرارة القضية الكردية ، بل إن الإصلاحات الديمقراطية لم تلب الطلبات الأوروبية .

والسؤال المهم الذي يحتاج إلى إجابة ، هو : لماذا تم قبولها إذن ؟ .. بقراءة متأنية لشريط الأحداث نجد أن «تشيلر» أعلنت – سواء في لقاءاتها مع القادة الأوروبيين أو في تصريحاتها الصحفية – أنها إذا لم تنجح وتستمر في حكم تركيا ، فإن الإسلاميين سيحكمون تركيا ويهددون المصالح الغربية ويُخلّون بالتوازن الإقليمي والدولي .. ولذلك : فإنه يجب الإسراع (بأوربة تركيا) لقطع الطريق على حزب (الرفاه الإسلامي) ، خاصة وأن الرأي العام التركي أصبح في حالة غضب من الرفض الأوروبي .

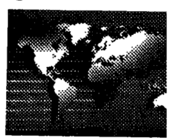
وبالطبع أكدت تقارير الاستخبارات واستطلاعات الرأي العام أقوال «تشيلر»، لذلك : ضغط الرئيس الأمريكي «بيل كلينتون» من ناحيته لقبول تركيا ، كما بذل «شيمون بيريز» رئيس الوزراء الإسرائيلي جهوداً أيضاً في



هذا الإطار ، من خلال الرسائل التي بعث بها إلى كل من رئيس الوزراء الأسباني – بصفته الرئيس الحالي للاتحاد الأوروبي وزعيم الحزب الاشتراكي –، وإلى رئيس حزب العمال البريطاني يطالبهما بدعم الطلب التركي مشيراً إلى أن ذلك حماية للمصالح الغربية ، وضمان للاستقرار في المنطقة ، وتقوية للنظام العلماني الذي يقوم بدور مهم في مواجهة الأصولية الإسلامية .

ولما كانت الانتخابات البرلمانية على الأبواب وسط إخفاقات داخلية كبرى تتحمل مسؤوليتها « تشيلر » مقابل نجاحات لم ينكرها أحد من الخاصة أو العامة حققها (حزب الرفاه) من خلال البلديات الكبرى التي يتولاها منذ مارس ١٩٩٤م... كان لا مفر من دعم « تشيلر » ، التي أشارت الاستطلاعات إلى تراجع حزبها للمركز الرابع ، بينما يحتل (الرفاه) المركز الأول ، وذلك بتقديم نصر سياسي تاريخي لم يحققه أحد من رؤساء وزراء تركيا ، بهدف توظيفه في الحملة الانتخابية ، وهو ما حدث بالفعل .

إلا أن ذلك الأمر لا يعني عدم استفادة أوروبا ، إذ يرى كل من « مسعود يلماظ » زعيم « الوطن الأم » و « بولنت أجاويد » زعيم « اليسار الديمقراطي » – وهما من مؤيدي الوحدة الجمركية – : أن شروط الوحدة مجحفة على الصعيدين السياسي والاقتصادي ، إذ تم تقديم تنازلات في ملف القضية القبرصية ، كما أن مبلغ المليارات الثلاثة المخصصة لتركيا يعتبر قليلاً جداً بعد إزالة الحواجز الجمركية .. ويريان أن تركيا تنازلت كثيراً لأوروبا التي ستضغط أكثر ، وهو ما اتضح من طلب البرلمان الأوروبي أن تجلس تركيا مع حزب العمال الكردي الانفصالي ، الذي تصفه الحكومة

المسلمون

والعالم

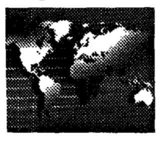
والحكومات الأوروبية بالإرهاب ، ومع ممثلي الشعب الكردي لحل المشكلة الكردية بالطرق السياسية .

وبالتالي : يكون الغرب قد حقق أهدافه كاملة دون أن يقدم شيئاً يذكر لتركيا الدولة ؛ إذ إنها بذلك دخلت القفص الحديدي لفرض ما يريده الغرب عليها ، ويكفي أن يكون حل القضية الكردية قد جاء من الغرب ، رغم أن هناك الكثير من الأصوات التركية المخلصة طالما نادت بإيجاد حل سياسي للمشكلة ، مما يعني أن الحل الخارجي لن يساهم مطلقاً في ترطيب العلاقات بين الأتراك والأكراد ؛ لأنه ليس نابعاً من القلب ...» .

إذن : كان هناك دعم خارجي واضح وقوي للأحزاب العلمانية – لا سيما حزب « تشيلر » – قبل الانتخابات وبعدها ، وقد اتضح ذلك أكثر بعد دخول حكومة الصهاينة على الخط ، حيث عبرت (تل أبيب) على لسان سفيرها عن قلقها من فوز « أربكان » وحزبه ، كما نشرت تقارير متعددة عن مشاورات ونصائح تقدمت بها حكومة « بيريز » لحل الإشكال بين الإخوة والأخوات في العلمنة ، ويتمثل في إنشاء حكومة ترأسها « تشيلر » لنصف الوقت و« يلماز » لنصف الوقت الآخر ، كما فعل « رابين » و « شامير » من قبل .

ويمكن من خلال استعراض الصحافة ووسائل الإعلام الغربية استنباط خطوط عريضة تحكم النظرة الغربية للوضع في تركيا ، وأهمها :

* أن تركيا لا تزال بعيدة عن أن تحكم بالإسلام ؛ فهناك سياسة متفق عليها تسمى سياسة الصمامات المتعددة التي تكفل إبقاء تركيا في الطابور الغربي ، ويمثل دعم السياسيين العلمانيين والقوانين اللادينية والثقافة المعادية



للإسلام الصمام «الديموقراطي» الأول ، بينما يشكل الجيش التركي - المعروف بِهَوَسِهِ العلماني خط الدفاع الثاني - ثم يأتي بعد ذلك خط الدفاع الثالث المتمثل في التفتيت الداخلي لتركيا في حالة اقترابها من تكوين دولة إسلامية موحدة .. وذلك عبر الأقليات والقوميات المتعددة التي طالما أتقن الغرب عبر التاريخ توجيهها في سبيل تمرير مشروعه التغريبي .

* أن العلمانية لا تزال قوية ومؤثرة وغنية ، فعلى الرغم من تصويت ٢١٪ من السكان لصالح «الرفاه» ، فإن أكثرية السكان لا تزال تمنح أصواتها للأحزاب العلمانية، وهذا يعني أن « بني علمان يسيطرون على الميدان » !!.

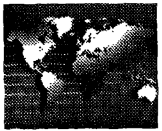
* أن على الأحزاب العلمانية - كما تقول صحيفة «وول ستريت جرنال»- أن تتحد ، أو بعبارتها : إن غياب الخطر الإسلامي المباشر « لا يشكل مبرراً لعدم الاكتراث بتنامي قوة حزب «الرفاه» ، فقد أعلنت كافة الأحزاب العلمانية رداً على حصوله على أكبر عدد من الأصوات : أنها سترفض الدخول في ائتلاف معه لتشكيل الحكومة الجديدة ، وفي هذه الحالة: فإن كلاً من حزب « الطريق القويم » وحزب «الوطن الأم » اللذين حصلا مجتمعين على مئتين وسبعة وستين مقعداً في البرلمان ، سيكونان بحاجة لتأييد: إما الحزب الديمقراطي اليساري «٦٧ مقعداً » ، أو حزب الشعب الجمهوري «٤٩ مقعداً » من أجل تشكيل الحكومة ، وليس من شأن ذلك سوى إبعاد حزب «الرفاه» عن الحكم لعدة سنوات أخرى، إذا فشل أي ائتلاف علماني آخر في تحقيق الإصلاحات الاقتصادية التي تحتاجها تركيا بإلحاح.



فالمطلوب هو دمج سريع لحزبي « الوطن الأم » و « الطريق القويم » في حزب علماني واحد ذي اتجاه يميني وسط ، ويجب أن تكون في تركيا حكومة قوية ومستقرة من أجل تحويل المؤسسات العامة إلى القطاع الخاص ، وإعادة هيكلة نظام الأمن الاجتماعي الذي يعاني من « الإفلاس » ، وكذلك : إصلاح سياسات الدعم الزراعي ، وإذا لم تقم مثل هذه الحكومة في تركيا ، فإن الطريق سيكون مفتوحًا أمام حزب الرفاه لتولي السلطة بمفرده، ودون الحاجة إلى الائتلاف مع أحزاب أخرى ، قبل نهاية العقد الحالي ».

* أن الأحزاب العلمانية تترهل ، وهي فاسدة عمومًا ، وقد سجلت الحكومة السابقة مؤشرات انحدار خطيرة ، حيث زاد العجز في الميزانية ، وانخفضت قيمة الليرة التركية بنسبة ١٣٠٪ في الربع الأول فقط من عام ١٩٩٤م ، « ولسبع سنوات مضت يعاني الاقتصاد التركي تضخمًا شديداً حتى بلغ حاليًا ٧٠٪ ، وقد بلغ قبل ذلك ١٥٠٪ ، لكن إجراءات التقشف التي اتبعتها « تشيلر » قد أنزلته إلى النسبة الأولى، ويكفي أن نعرف أن الدولار الأمريكي كان – لسبع سنوات مضت – يعادل ٤٤ ليرة تركية ، أما حاليًا فقد قفز عن الـ ٥٧ ليرة .

ارتفعت ديون تركيا الخارجية منذ عام ١٩٩١م وحتى الآن من ٥٠–٧٥ مليار دولار ، كما ارتفعت ديونها الداخلية من ٨ – ٢٦ مليار دولار . والمشكلة ليست في الديون فقط ، فكما هو معروف فإن الأطراف الدائنة تعيش على فوائد الديون، وهي نسبة عالية . وهكذا : فإن الميزانية



الحكومية والمؤسسات غير الحكومية تُستنزف سنويًا بدفع فوائد الديون بالإضافة إلى أقساط الديون المستحقة ، الأمر الذي أثقل كاهل الاقتصاد التركي خلال السنوات الأربع التي مضت ، وهي سنوات الانقلاب في تصويت الجماهير التركية ، أي : إنها سنوات البحث عن حزب وأيديولوجية تختلف عن أيديولوجية العلمانيين » .

* في المقابل تجُمِع التقارير الدبلوماسية والصحفية والأعلامية على كفاءة (حزب الرفاه) التي تصفه صحيفة « وول ستريت جرنال » بأنه القوى المؤهلة لملء فراغ الفساد القائم ، وتقول : « لقد تسارع بروز (حزب الرفاه) الإسلامي كقوة سياسية لها ثقلها في السنوات الأخيرة ، مع تراجع الأوضاع الاقتصادية في ظل الحكومة التي هيمن عليها كل من حزب « الوطن الأم » وحزب « الطريق القويم » .

لقد فاجأ (حزب الرفاه) المؤسسة التركية بتحقيق الانتصار في الانتخابات المحلية في شهر مارس ١٩٩٤م عندما تولى (حزب الرفاه) رئاسة بلديتي (أنقرة واستانبول) وعدد آخر من المدن الرئيسة ، بالإضافة إلى حصوله على ١٩ بالمئة من إجمالي الأصوات ، لقد أثبت (حزب الرفاه) قدرته وأمانته في ممارسة الحكم المحلي عن طريق العمل الجاد (دون دعم كبير من حكومة حزب الطريق القويم) ؛ لحل مشكلات المناطق الريفية التي تتجاهلها الحكومات المتعاقبة منذ زمن طويل . لقد نجح (حزب الرفاه) من خلال الحملة الانتخابية المنظمة على النمط الأميركي في انتخابات ديسمبر الماضي ، لا سيما في المناطق الريفية الفقيرة ؛ حيث وجدت هذه الحملة صداها في ظل



السياسات الاقتصادية غير الموفقة لحكومة « تشيلر » . وأصبح الحزب الأقوى المرشح لتشكيل الحكومة الجديدة . لقد استطاع (حزب الرفاه) استغلال مشاعر الاستياء في أوساط الشعب التركي من ارتفاع نسبة التضخم ، والبطالة، وانخفاض قيمة العملة الوطنية بسرعة ، والفساد ، واتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء ، والثورة الكردية المستمرة منذ أحد عشر عاماً في جنوب شرقي البلاد .

ونتيجة لذلك : لم يعر الأتراك اهتماماً عندما خرجت « تشيلر » في حملاتها الانتخابية لتعرض نفسها بأنها : « قاهرة الاتحاد الأوروبي » وباعتبارها أتاتورك (أم الأتراك) تشبهاً بكمال أتاتورك (أبو الأتراك) » .

إذن : ليس هناك (هلع غربي) إلى الآن ، ولكن هناك « تهيئة » لخطوات لاحقة من صعود المد الإسلامي في تركيا .



في الفلبين ..

هل تحقق خطة (غزة / أريحا) أهدافها ؟

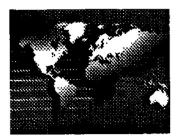


لقد باتت خطة (غزة / أريحا) التي توصل إليها اليهود في فلسطين المحتلة و (م.ت.ف) بما تحمل في طياتها من تآمر على القضية الفلسطينية وإهدار للحقوق التاريخية والجغرافية للمسلمين الفلسطينيين أصبحت تلك الخطة رمزاً لكل قضية إسلامية يراد لها التصفية، ولكل شعب مسلم أُريد هضم حقوقه الثابتة، فبعد أن اعتمدت الخطة المذكورة على شبري (غزة / أريحا) من أرض فلسطين الممتدة من البحر إلى النهر، واعتقد يهود بذلك أنهم قد نجحوا في طمس معالم قضية الشعب الفلسطيني، وأثبتوا حقهم المزعوم في الوجود الأبدي على أرض الإسراء، واعتقد عرفات وجماعته أنهم قد ربحوا البيع، واستخلصوا من فم الأسد ما لا يمكن لغيرهم استخلاصه .

ها هي الخطة نفسها بحذافيرها وبأهدافها ذاتها ، يسعى أعداء الإسلام الصليبيين لفرضها على المسلمين في الفلبين ، عبر الطرف العلماني نفسه الذي يمثل تنظيماً شبيهاً بـ(م.ت.ف) .

■ **أوجه الشبه بين ظروف القضيتين :**

كثيرة هي أوجه الشبه بين القضيتين الفلسطينية والفلبينية ، فالقضيتان تتعلقان باغتصاب واحتلال أراض إسلامية، وقمع شعب مسلم بالقوة العسكرية ، بل تكاد تتشابه (تكتيكات) طريقتي الاحتلال إلى حد كبير ؛ ومن ذلك : اعتماد المحتلين على سياسة الاستيطان باستجلاب المستوطنين غير المسلمين وزرعهم في أراضي المسلمين



بقلم : **محمد عبد الله**

المغتصبة لتغيير تركيبتها السكانية ومعالمها الأصلية ، وهو ما يحدث في جزر الفلبين الإسلامية الجنوبية ، كما هو الحال في فلسطين .

أما على صعيد أصحاب البلاد الأصليين ؛ فنجد في كلتا الحالتين طرفين يختلفان في الأيديولوجية والمنهج والتصورات والطموح ، فالطرف الأول هم (الإسلاميون) الذين وعوا قضيتهم وتناولوها من خلال المنظور الشرعي ، وتبنوا خيار الجهاد للدفاع عن دينهم وكرامتهم السليبة ، واتخذوا ذلك طريقًا لتخليص بلادهم من الكافر المحتل، أما الطرف الآخر فهم (العلمانيون) الذين لا يهمهم إلا إثبات وجودهم وتحقيق ذواتهم وتحصيل المغانم ، ولا يبالون في سبيل ذلك بالثمن الذي يقدمونه من مذلة ومهانة وتفريط في الواجبات والأوامر الشرعية، ولا يعيرون اهتمامًا للدماء التي سالت والتضحيات الجسام التي قدمت ، ولا همّ لهم إلا ما يتهافتون على تحصيله اليوم !! .

واليوم: أراد أعداء الإسلام من يهود وصليبيين وأعوانهم طي ملفي القضيتين بالطريقة نفسها والأسلوب والإخراج ذاته، فبعد أن حقق اليهود خطوات على الصعيد الفلسطيني جاء الدور على قضية مسلمي الفلبين لوأدها بالأسلوب نفسه.

■ (غزة / أريحا) الفلبينية :

لما استعصى أمر المسلمين في الفلبين على الحكومة الصليبية المغتصبة ، وفشلت جميع خططها لاحتوائهم، وعجزت عن قهرهم وإخضاعهم بالطرق العسكرية

القمعية على مدار السنوات الطوال الماضية ، وأصر مسلمو الفلبين بدورهم على مواصلة جهادهم؛ حتى يحققوا النصر ويتحرروا من طغيان هذه الحكومة التي أيقنت أنها لن تصل لأهدافها بالطرق القمعية التي اعتمدت عليها في السابق ، وبعد أن ازدادت حدة العمليات الجهادية وتصاعدت كمًّا وكيفًا في مواجهتها، وسيطر الإسلاميون بشكل كبير على دفة التوجية في المجتمع، حيث لاقوا تأييداً واسعًا بين صفوفه ، الأمر الذي جعل هذه الحكومة تستشعر الخطر المحدق بها لو تركت الأمور تمضي على هذا النحو ، فلم يعد لها بد من الاعتماد على مثل هذه المؤامرة الجديدة لتدارك أمرها قبل فوات الأوان ، فأعلنت بدورها عن عزمها على عقد مفاوضات (سلام!) مع المسلمين، ولم تجد الحكومة الصليبية أفضل من الجبهة القومية (العلمانية) لتمرير مؤامراتها عن طريقها، لما يتسم به القائمون عليها من مؤهلات للقيام بهذا الدور من: تعطش للسلطة، وحب للظهور، ورغبة في الزعامة ، أما من جهة العلمانيين أنفسهم فقد لاحت لهم الفرصة التي لا تفوّت لتنصيبهم على رؤوس المسلمين، الذين نبذوهم وانفضّوا من حولهم بعدما تبين لهم حقيقة منهجهم، والأطماع الشخصية التي يضمرونها في أنفسهم، والمصالح الذاتية التي يسعون لتحقيقها .

وكل هذه العوامل هيأت الظروف للطرفين ليجتمعا على هذه الخطة ليحقق كل طرف مأربه من خلالها .

■ **الأهداف الحقيقية وراء هذه الخطة :**

حين لجأت الحكومة الفلبينية لهذه المؤامرة لم تكن تقصد بذلك التخلص من معاناتها مع المسلمين وتركهم لحال سبيلهم، بل سعت لتحقيق عدة أهداف على أصعدة شتى فشلت في تحقيق أي منها بسياستها الأولى .

ويمكن تلخيص هذه الأهداف فيما يلي :

١ـ قطع الطريق على التيار الإسلامي المتنامي ، والحد من نشاط الحركة الجهادية

المسلمون



والعالم



الصاعدة ، وعدم تمكين القيادات الإسلامية من احتلال مواقع الصدارة في قيادة المجتمع المسلم في الفلبين .

٢ـ إحكام سيطرتها بشكل نافذ ودائم على مناطق المسلمين الجنوبية ، وهو الأمر الذي لم تتمكن من تحقيقه على مدى السنوات الماضية منذ استقلال دولة الفلبين عام ١٩٤٦ م وحتى اليوم؛ وذلك من خلال سيطرتها على الميلشيات المسلحة التابعة للجبهة العلمانية، الذين سيصبحون جزءاً من الحكومة وقواتها، وبالتالي : تتمكن قواتها العسكرية والأمنية من الانتشار في هذا المناطق بحرية تامة وأمان نسبي كلما دعت الضرورة لذلك (حسب ما نصت عليه مسوّدة الاتفاق المبدئية) .

٣ـ توفير الأموال والدماء التي تتكبدها في كل مواجهة مع المجاهدين، حيث ستوكل مهمة (التطهير الأمني) وحفظ النظام وفرض قانون الدولة لتقوم الميلشيات المسلحة المحسوبة على المسلمين بها .

٤ـ خطب ود الدول الإسلامية التي تربطها بها علاقات اقتصادية حيوية ، وتحسين صورتها أمام هذه الدول وشعوبها المسلمة؛ بتظاهرها بأنها قد منحت المسلمين حريتهم وأحسنت إليهم ، ومن جهة أخرى: استقطاب رؤوس الأموال الإسلامية لتنفيذ مشروعات استثمارية في جنوب الفلبين بالإضافة إلى الاستفادة من المنح المالية التي ستقدمها بعض الدول الإسلامية لدعم السلطة الجديدة (الحكم الإداري) مما سيوفر للحكومة المركزية ما كانت ستنفقه من ميزانيتها الاقتصادية في المنطقة .

٥ـ التفرغ نسبيًّا لحل بعض مشكلاتها الاقتصادية المزمنة، وتوفير جانب من نفقات الدفاع التي ترهق ميزانيتها المالية وتستنزف منها ما قيمته مليون (بيسوز) يوميًّا (٦٣ ألف دولار) حسب ما صرح به رئيس الفلبين نفسه .

٦ـ استغلال الثروات الطبيعية من (أخشاب ومعادن) التي تذخر بها بلاد

المسلمين الجنوبية، ولا تستطيع الحكومة الوصول إليها في ظل الظروف الحالية ، حيث لا يمكنها المسلمون من ذلك .

ومما يؤكد سعي الحكومة في تحقيق هذه الأهداف : الموافقة الفورية التي أبدتها فيما يتعلق بإدراج المناطق التي تشهد نشاطًا كبيرًا وسيطرة للمجاهدين، ولا تجد لها فيها مستقرًا ضمن الاتفاقية .

■ **هل تحقق الخطة أهدافها المرسومة ؟! :**

مما لاشك فيه أن الحكومة الفلبينية تعلق آمالاً كبيرة على تحقيق أهدافها من وراء هذه الخطة ـ أو أكثرها على الأقل ـ في هذه المرحلة، ولكن ليس معنى هذا أنها قد فرطت في أهدافها الكبرى بعيدة المدى، أو أنها ستترك السلطة التي ستعينها تفعل ما تشاء وتتصرف بحرية في المهام التي أوكلت إليها دون إشراف ومتابعة منها ، فمن جهتها : ستحاول هذه السلطة إثبات نجاحها فيما أوكل إليها ولو بالقوة .

عقبات في طريق الخطة :

إن حرص الطرفين على إنجاح الخطة وتحقيق أهداف كل طرف منها لا يعني بالضرورة نجاحها الفعلي؛ ذلك أن هناك عقبات كبيرة في طريقها خارجة عن إرادة الطرفين ، وأهمها :

أولاً : الرفض الشعبي العام لهذه الخطة وحالة السخط والاستياء التي تتعرض لها الجبهة لإقدامها على هذه الخطوة وعدم الالتفات لرغبة الشعب الحقيقية في التخلص من السيطرة الصليبية عليهم .

ثانياً : الرفض الجماعي من قبل الجماعات الجهادية والجمعيات الإسلامية الفاعلة للخطة ومقاطعتها بشكل تام .

ثالثاً : إصرار القادة الميدانيين والمجاهدين (في الخنادق) على مواصلة جهادهم ضد الحكومة ، حتى لو منحت الجبهة ذلك الحكم الإداري .



وهذه الأسباب ـ بل بعضها ـ كفيل بإفشال هذه الخطةُ طالما أنها لم ترد للمسلمين حقوقهم وتحقق آمالهم ، وافتقادها لعنصر التأييد والرضا الشعبي وحده كفيل بالقضاء عليها في مهدها، ولن تتمكن الجبهة العلمانية ـ إن شاء الله ـ من مواجهة الشعب المسلم المعارض بأكمله، وفي هذه الحالة لن تترك الحكومة الأوضاع بدون معالجة جديدة، وستعود للتدخل كما كان الحال من قبل ، هذا إذا لم تغير الحكومة رأيها وتتراجع عن التنفيذ بعد إتمام الاتفاق ـ لمصلحة أخرى تراها ـ كما حدث عقب «اتفاقية طرابلس» عام ١٩٧٦م التي لم تُنَفَّذْ من بنودها بنداً واحداً حتى اليوم على الرغم من مصادقة الحكومة الليبية ـ التي استضافت المفاوضات ـ ومنظمة المؤتمر الإسلامي عليها !!.

وبعد .. فهذه عينة من عينات المكر الصليبي والدولي ضد المسلمين في كثير من ديار الإسلام ، إن (خطة غزة / أريحا) في فلسطين جعلت السلطة في فلسطين أسيرة الحكم الصهيوني، بل جعلتها عيناً وعصاً بيد (يهود) ضد شعبها، فهل يفطن شعب مورو المسلم لهذه الخطة والمؤامرة؟! أم تكون سبباً لتقاتل المسلمين مع بعضهم البعض، والصليبيون يتفرجون، ثم لا يحصل للمسلمين نصر سوى الحرب الأهلية التي لا تبقي ولا تذر ، وهذا هو المتوقع إن لم يتدارك هذا الشعب وقادته ومجاهدوه الموقف برفض الخطة، حتى يعطى المسلمون حقوقهم كاملة . ثم إن على قادة الجبهة الذين وقعوا الخطة الجديدة أن يفيئوا إلى الله ويحرصوا على مصالح الشعب المسلم في الفلبين، وألا يكونوا مع الحكومة ضدهم طمعاً في عرض زائل ، وعليهم تصحيح مسارهم والتعاون مع إخوانهم على البر والتقوى، وتلافي أساليب البغي والعدوان. فحتى متى يخسر المسلمون جل قضاياهم بحلول هزيلة وتصرفات حمقاء، هلاّ اجتمعوا وكانوا يداً واحدة، فإنهم حينئذ سيأخذون حقهم كاملاً .

هذا ما ندعو إليه ونحذر من خلافه، والله المستعان.



جهود الأسلمة وعوائق « التقليدية »

بقلم :
خميس بن عاشور



الاحتواء من الأساليب التي يستخدمها خصوم الحل الإسلامي وذلك بهدف توظيف قوة الإسلام والمسلمين لأغراض العلمنة وأهداف النظام العالمي الجديد . والذي نهتم له في هذا الحديث ليس العالم الغربي، وليست الأنظمة والدول العميلة له ، ولكن الذين نقصدهم بالحديث هم أولئك الذين يعملون من أجل إرجاع الإسلام إلى مكانته في مجتمعاتهم ودولهم وتخليصها من هذا الجمود الفكري ، وفي إطار هذا الاحتواء أصبح كثير من العلماء والدعاة يستمرئون وضعهم، ويطمئنون إلى عدوهم ، بل صاروا من العناصر التي تسهم في تلك الجهود من خلال المشاركة في إثراء القضايا المطروحة لخدمة النظام العالمي، وتجاهلوا قضايا الإسلام الأساسية، وواجب العمل من أجل تحقيقها، وما يتطلبه ذلك من قوة تغييرية كبيرة من أجل كسر تلك الحواجز المادية والمعنوية التي تكونت في فترات هجران تطبيق الشريعة والتفريط في سلطة التنفيذ التي هي شرط لهذا التطبيق .

قال الماوردي : « فليس دين زال سلطانه إلا بدلت أحكامه وطمست أعلامه »(١) . إن من أسباب هجر

الشريعة وعدم التفكير في تطبيقها: إقصاءها من الواقع، وهذا ما كرس مقولة عدم صلاحيتها للتطبيق في هذا العصر، فالضرورة إذن تبدو ملحَّة لتكوين قوة معنوية كبيرة تسهم في تحطيم هذه الحواجز، التي نشأت في زمن القوانين الوضعية الظالمة داخل مجتمعاتنا ودولنا.

إن أولئك الذين لا يزالون يبحثون عن صيغة اجتهادية لعرض الحل الإسلامي كان حريًا بهم أن يراجعوا حساباتهم ويقرؤوا قوله (تعالى): ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. فالإسلام قد كمل وتم، ولم يبق إلا تطبيقه تطبيقًا شرعيًا حسب مقتضيات كل عصر دون المساس بالثوابت الاعتقادية والتشريعية، ومن المفيد إزالة تلك العقدة التاريخية لدى كثير من المثقفين المسلمين والدعاة؛ التي تتمثل في المشاعر الأبوية نحو الدعوة، فحماية الدعوة قبل أن تكون بالأشخاص يجب أن تكون بالمبادىء التي شرعها الإسلام، فالمبادىء هي التي يحتمي بها الأشخاص وليس العكس صحيحًا؛ لأن التنازل عن هذه المبادىء لحجة مصلحة هذه المبادىء هو « الإهانة المهذبة » لها !!.

إن كثيرًا من المدائح التي قيلت في مزايا الشرع الإسلامي بعد سقوط الخلافة إنما هي في الغالب عمليات دفاعية سببها الانبهار والشلل الحضاري، وبسبب المعاناة التي يتعرض لها دعاة الإسلام ودعاة تطبيق الشرع؛ فإن كثيرًا منهم يميلون نفسيًا نحو استصعاب تحقيق الحل الإسلامي، ومع ذلك فلا يمكنهم التملص من واجب العمل على إرجاع سلطة التنفيذ التي هي شرط للتطبيق كما سبق. وتطبيق الحكم يجب أولاً - كما يراه المحققون من الفقهاء والأصوليين - لعلة أولى هي الامتثال لأمر الله (عز وجل)، أما إدراك المقصد أو الحكمة فليس ذلك شرطًا في تطبيق الحكم، وذلك لأن إدراك

المقصد عمل اجتهادي يقوم به عقل المجتهد الذي قد يصيب وقد يخطئ، ولذلك فلا يعلّق التطبيق على إدراك المقصد أو الحكمة؛ لأن كل ذلك متحقق دون ريب بعد تطبيق الحكم.

■ **سؤال يطرح نفسه:**

ولو سُئلنا ذلك السؤال التقليدي، وهو: كيف نطبق الحدود مثلاً والأمة غير مؤهلة ومستعدة لذلك؟ فالجواب: شرط التهيؤ والاستعداد هو تطبيق هذه الحدود فعلاً، وسوف تتهيأ بإذن الله، ولنا أن نقول: إن الحدود من حقوق الله التي لا تنفع فيها شفاعة ولا عفو، فمن خوّل لنا التعطيل لحكم هو من حقوق الله (عز وجل)؟، إنه لا يمكننا ـ مطلقًا ـ أن ندعي أننا أكثر رحمة من الله نحو العصاة والمذنبين، ولذلك فإن التردد في فعل الخير ليس من ورائه خير، وإن منهج التطبيق في الإسلام لا يحتاج إلى بيان أفصح وأوضح من السير فيه قدمًا. وعندما ننطلق من عمق الأزمة من أجل البحث عن حلول موضوعية فإننا لا نجني سوى الخيبة والنتائج الفاسدة، وكذلك فإن الانطلاق من واقع التقليد بمفهومه الأصولي الفقهي وحتى بمفهومه السياسي (٢) لا تكون الثمرة والنتيجة منه إلا تقليدًا مركّزًا، سِمَتُهُ الأساسية: التدليس والتمويه والعيش في ظلال الوهم، الذي يعتبر عاملاً رئيسًا في عملية الهدم الفكري الذي تعيشه بعض العقليات المذهبية والفعاليات الإسلامية اليوم.

إن النظر في مجالات الشرع يفتقد عند مثل هذه الفئة إلى البعد المستقبلي الذي وضعه الشارع الحكيم؛ أي إن بعض الصفات التي تميز العملية التشريعية شبه منعدمة في نفس هذا المنظور الضيق؛ فالله (عز وجل) عندما وضع هذه الشريعة وأرسل بها رسوله ﷺ، إنما فعل ذلك بعلمه بما كان وبما هو كائن، أي: إن البعد المستقبلي لعملية التشريع الإلهية يجب أن نضمنها عملية فهمنا للإسلام عقيدة وشريعة، وذلك من

أجل ألا نقع فيما هو تقديم بين يدي الله ورسوله ، وكذلك حتى لا نقع في اجتهاد هو في مقابلة نص صحيح بالنسبة لمجال التشريع ، أو أن نجتهد لإيجاد عقيدة بديلة عن عقيدة الوحي الإلهي كالذي اقترفته مدرسة التأويل قديمًا وحديثًا .

إن فرض الإسلام على الواقع هو الذي يقضي على تلك المحاولات المنحرفة لفرض الواقع على الإسلام لأن منهج الإسلام تغييري النزعة، وهذا يدل على أنه لا يقبل المواجهة إذا كانت بدافع سد الثغرات وتعويض النقائص ، بالإضافة إلى أن المصدرية الإلهية للإسلام لا تقبل إلا أن يكون الإسلام فوق الجميع ، وقديمًا قال الشاعر :

إذا غامرت في شرفٍ مروم
فلا تقنع بما دون النجومِ
فَطَعْمُ الموتِ في أمرٍ حَقيرٍ
كَطَعْمِ الموتِ في أَمْرٍ عظيمِ

وكما سبقت الإشارة إليه، فإن التقليد الذي يحاول أصحابه إلباسه لباس الإصلاح والتجديد، إنما هو الداء العضال الذي يجب إزاحته من ميدان العمل نحو إرجاع الشرعية للعمل الإسلامي وترشيده، حتى لاينحرف عن منهج الرسالة الإسلامية التغييري، الذي من شأنه أن يُحوّل ما أمر الله ورسوله بتحويله من عادات الأمم وتقاليدهم وأفكارهم وسلوكياتهم ، وإن هذه العملية الانتقائية للتفكير والسلوك هي التي من شأنها وضع الأسس والخصائص التي يجب أن تميز المجتمع الإسلامي العالمي من غير تمييز بين الأجناس والشعوب؛ وذلك حتى لا تصبح النظرات الضيقة للمجتمع الإسلامي عائقًا في وجه الرجوع الميمون نحو الإسلام دينًا ودولة ، وحتى لا تصبح القومية والوطنية وجهًا من وجوه الانغلاق نحو الذات، وبالتالي بروز النظام القبلي والعشائري في أقنعة جديدة تخفي وراءها معالم «الأرستقراطية» التي لا تقبل التغيير ، ومع ذلك: فإنه لا يمكننا أن ننكر اعتراف الإسلام

بالخصائص والفروق بين الأفراد والمجتمعات؛ لأن الشارع الحكيم قد راعى ذلك أثناء عملية التشريع؛ قال الله (تعالى): ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم:٢٢].

إن هذه النزعة التقليدية بالنسبة لنا ـ نحن المسلمين ـ لها جذور دينية، وهي تهدف إلى المقاصد نفسها التي تتركز أساسًا فيما يسميه بعضهم بـ «الآبائية»[٣] التي ترفض التغيير وتتمسك بالتقليد، هذا التقليد الذي يعرفه الأصوليون بأنه: «قبول قول الغير من غير معرفة دليله»[٤]، أو هو «قبول قول بلا حجة، وليس ذلك طريقًا إلى العلم لا في الأصول ولا في الفروع»[٥] وقد نهى القرآن الكريم المسلمين عن أن يَقْفُوا ما ليس لهم به علم، قال (تعالى): ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء:٣٦].

والتقليد في أمور الدين هو الأخطر؛ لأنه يسهم في مزاحمة المصدر الحقيقي للشرع الذي هو الوحي الإلهي (كتابًا وسنة)، وهنا يمكننا أن نطرح سؤالاً لنجيب عليه، وهو: لماذا لا يريد المسلم أن يترك دينه على الرغم من أنه في كثير من الحالات لا يلتزم به سلوكًا وتفكيرًا؟ والجواب يمكن أن يكون كما يلي: إن تلك الآبائية على الرغم من سلبياتها وخطرها هي التي حافظت على هذا الانتماء الذي ترسخ عبر الأجيال ليصبح عادة وتقليداً، ورغم أن هذا التقليد وهذه العادة لا تدفعنا إلى التشكيك في هذا الانتماء ـ مثلما يفعله أهل النظر وأهل الكلام ـ إلا أننا سنتخذ هذه الآبائية نقطة للانطلاق الذي سيرتكز على العلم وعلى الاتباع.

إن البحث عن الحلول من خارج الموضوع ـ أي الإسلام ـ لا يمكن أن

في دائرة الضوء

يقود إلى نتيجة سارة بلا ريب ، فلقد ذمّ الإسلام التقليد بينما حث على العلم وعلى الاتباع للوحي .

إن عدم معرفة المسلم دليل السلوك والاعتقاد هو الذي أحال التدين إلى عادات وتقاليد فاقدة لصيغ الاقتناع ؛ لأنه لا يمكن أن يقتنع المسلم بدينه إلا إذا كان هذا الدين مدلّلاً عليه، وحينئذ ستنبعث الروح والحياة في تلك التقاليد والعادات لتصبح عملاً مثمراً وعبادة خالصة يجني من ورائها المسلم ثمار التزكية والعمل الصالح ، وإنما يتم ذلك بمعرفة أدلة السلوك والاعتقاد الشرعية من مظانها ومصادرها .

إن هذه العملية التي تهدف إلى تغيير جذري في منهج الاعتقاد والعمل هي التي يمكن أن نطلق عليها إصلاحًا وتجديدًا فعلاً ، ومع ذلك فإن هذه العملية ستصطدم بعوائق التقليدية والآبائية، ولكن سرعان ما ستنهار هذه العوائق لسبب يسير، وهو: أنها لم تكن مشيدة إلا على الأوهام والأباطيل .

---

(١) الماوردي : أدب الدنيا والدين ، ص ٧٨ .

(٢) انظر : د. أحمد زكي بدوي : معجم المصطلحات السياسية والدولية ، ص ١٤٨ ، د. عبد الوهاب الكيالي وآخرين : موسوعة السياسة ، ص ٧٧٧ .

(٣) جودت سعيد : حتى يغيروا ما بأنفسهم .

(٤) الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : مذكرة أصول الفقه ، ص ٣١٤ .

(٥) أبو حامد الغزالي : المنخول من علم الأصول، ص ٣٨٧ .

هل يستحق نجيب الكيلاني أن يكون رائداً ؟!

بقلم : محمد الدوسري



لقد قرأت في العدد ٩٢ (ربيع الثاني ١٤١٦هـ) ، مقالة تتحدث عن (نجيب الكيلاني) بصفته رائد القصة الإسلامية المعاصرة!. وكثيراً ما أتوقف وأتعجب عند مثل هذه المقالات التي تتحدث عن هذا الرجل، ومما يزيد في عجبي أن أهلها لا يتورعون عن إطلاق صفات : الكاتب الكبير ، الرائد .. إلخ، على نجيب الكيلاني (رحمه الله) ، ويتغاضون بشدة عن سقطاته التي لا تكاد تخلو منها قصصه ورواياته!، بل إن أحدهم قال - في أحد مهرجانات الجنادرية المقامة في الرياض - : إنه يطمئن على أولاده تمام الاطمئنان إذا قرؤوا روايات الكيلاني!، وأخذ يكيل له الشكر كيلاً وافراً !.

وكتابتي لهذا التعقيب ليست اعتراضاً على الاحتفاء بالرجل ، ولكنها رجاء موجه للأدباء الإسلاميين - وخصوصاً مؤسسي رابطة الأدب الإسلامي - أن ينحوا العاطفة جانباً ، ويتأملوا الأمر ملياً ؛ فَلَكَمْ ولَكَمْ عانى العمل الإسلامي من الانسياق وراء العاطفة ، ووضع الأشخاص فوق مكانتهم الحقيقية ، والذي نرجوه من إخواننا الأدباء هو: أن يضعوا الأمور في نصابها ؛ فنجيب الكيلاني هذا كان يضَمِّن رواياته مشاهد جنسية يخجل المسلم من قراءتها ، ولكن يبدو أن بعض الأدباء الإسلاميين (سامحهم الله) قد تأثروا تأثراً غير مباشر بالروايات الحديثة التي لا تتعفف عن إقحام الجنس في ثنايا القصة، فأصبحوا لا

يرون ضيرًا في هذا الأمر !، وقد قيل: كثرة الإمساس تقلل الإحساس .

ولَكُم أن تتخيّلوا ماذا يقع في حس المراهق ، وهو يرى بطل رواية « ليالي تركستان » لـ (نجيب الكيلاني) ، لا يفتأ يضم ويُقَبِّل عشيقته!، ولو أن المؤلف ينبهه إلى أن هذا الأمر محرم لكان أهون ، ولكنه لم يفعل ؛ فماذا تتوقع ـ أخي القارئ ـ أن ينمو في حس المراهق: حب الفضيلة ، أم حب الرزيلة ؟!.

ولقد أمسك بي أحد الإخوة ، وقال : « يا أخي كيف تقولون : إن نجيب الكيلاني أديب إسلامي ، وأنا قرأت له رواية « رأس الشيطان » ، فوجدت فيها من المشاهد ما يندى له الجبين » ، ولقد حرت جوابًا في البداية ، فلم أدر ما أقول ، ولكني تداركت نفسي وذكرت له بان الرجل أخطأ ، وكان يتوجب عليه أن يرتفع بمستوى القصة عن هذه القذارات ، فلا يكفي أن تكون روايته يدور رحاها حول موضوع إسلامي .

ويجب على أدبائنا الإسلاميين ، أن يكونوا على شجاعة حقيقية وواقعية في التعامل مع جميع الأدباء؛ فلا يعطوا أحداً أكبر من حقه ، ولا يزنوا الحق بالرجال ؛ فإذا تكلموا عن نجيب الكيلاني ،فيجب أن يذكروا أخطاءه وبوضوح كامل ؛ فخطأ الرجل في تضمينه المشاهد المخلّة بالأدب أمر ليس بالهيِّن، فالرسول ﷺ لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا . ونجيب الكيلاني لا يرى بأسًا في إقحام المشاهد الجنسية في ثنايا الرواية ، فهو يقول : « .. وإذا كان الزنا ـ صورة الجنس المنحرف الحرام ـ وباءً خطرًا ، أفلا يمكن تناوله بما يستحقه من تقبيح وتنفير ؛ وما يصاحبه من مقدمات وإغراءات وسقوط ؟ »[1].

فهو كما نرى لا يمانع أن يتناول مقدمات الزنا ، والإغراء ، والسقوط ! ، مع أنه يذكر أن « الأدب الإسلامي حينما يحتفي بقضايا المجتمع والعصر فإنه ينهج نهج القرآن الكريم ، وأحاديث نبينا المختار، صاحب الرسالة

متابعات

العظمى ﷺ»(٢)، وأورد دليلاً : قصة يوسف (عليه السلام)، ولكنه للأسف لم ينضبط بهذا الضابط ، فالقرآن ـ في قصة يوسف (عليه السلام) ـ ، والسنة ـ في قصة عابد بني إسرائيل الذي أغراه الشيطان بالزنا ـ، لم يتناولا الجنس بالطريقة التي فهمها نجيب الكيلاني وحاول إقناعنا بها !.

ونجيب الكيلاني لا يرى بأساً من ظهور المرأة على المسرح!، معللاً ذلك بالتعليل التالي : « ... لأن هناك قضايا وأموراً حساسة لا يمكن أن تقدم إلا من خلال المرأة، فضلاً عن أن « وضعية » المرأة في المجتمع وما يلابسها من محاذير وحرج وسلبيات، لا يمكن تناولها إلا بالتواجد المباشر للمرأة»(٣)!. ومشكلة نجيب الكيلاني ومعظم أدبائنا ، هي أنهم لم يحاولوا الانعتاق من أسر الأشكال الأدبية الغربية ؛ فمن الذي قال بضرورة المسرح في الأدب الإسلامي؟!، ففيما عداه غنية وفضل؛ ثم : لماذا لا يقوم الأديب المسلم الملتزم بمعالجة مشكلة ظهور المرأة ـ إن كان ولا بد من مسرح ـ فيبدع لنا مسرحية تتطرق لقضايا المرأة بدون ظهورها على المسرح ؟!! .

وفي تاريخنا خير مثال على ذلك ، فلقد قام الفنان المسلم المتقدم باستبدال التصاوير المحرمة ، بالخط العربي والنقوش الإسلامية .

ورجاؤنا الحار من الإخوة الأدباء الذين أخذوا على عواتقهم مهمة تقديم أدب إسلامي متميز ـ خاصة أعضاء رابطة الأدب الإسلامي ـ أن يؤطروا الأطر التي تتناسب مع إسلامنا فعلاً ، وأن تكون أسس وبدايات جهودهم وتنظيرهم ، ونقدهم ، وإبداعاتهم، مستمدة (بكاملها) من الإسلام؛ فلا نرضى بأن يقدموا لنا كلاماً فاحشاً ، ثم يقولوا لنا : هذا أدب إسلامي !، أو يقدموا لنا قصة أو رواية تتخللها انحرافات عقدية ، ثم يقولوا لنا : هذا إبداع من إبداعات الأدب الإسلامي !.

ونرجو منهم أن يكونوا صرحاء مع أنفسهم ، ومع غيرهم من الأدباء ، فلا تكون المجاملة هي الفيصل في تقرير إبداع هذا الكاتب أو ذاك، وأن يتقوا الله في إخوانهم المسلمين ، وليقدموا ما يعكس روح دينهم ، وينفع أمّتهم، ويرسخ في أبنائها حب الله ورسوله ثم حب الفضيلة .

تعقيب الكاتب

بعد ورود وجهة نظر الأستاذ محمد الدوسري حول الموضوع، عرضناها على الكاتب الأديب الناقد محمد حسن بريغش، فكتب التعقيب التالي :

لقد تفضل الأخ الكريم بالكتابة عن نجيب الكيلاني (رحمه الله) ناصحًا ومحذراً الأدباء الإسلاميين والنقاد : ألاّ يطلقوا صفات الريادة والمديح، وألا يُؤْثروا المجاملة في نقدهم، وألا يتغاضوا عن الانحرافات والأخطاء عند الكيلاني وغيره، وألاّ ينساقوا وراء العاطفة في تقويم الأشخاص، فيضعوا الأشخاص فوق مكانتهم .. إلخ .

وذكَّرهم بمسؤوليتهم أمام الله (عز وجل)، لكي يقدموا ما يعكس روح دينهم وينفع أمتهم ، ويرسخ في أبنائها حب الله ورسوله ثم حب الفضيلة .

وأشكر الأخ الكريم الذي عقّب على ما كتبتُه عن نجيب الكيلاني في العدد (٩٢) من مجلة (البيان) ، ولقد كانت غيرته على دينه، وخوفه على شباب الأمة من الانحراف، وحماسته في الصّدع بالحقيقة باعثًا لهذا التعقيب، فجزاه الله خيراً، وله منا الشكر .

أما اعتراضات الأخ فلها ما يبررها، ولكنه وقع في مبالغات وأحكام متعجلة ؛ لأن ما نُشر في البيان عن الكيلاني (رحمه الله) لم يقع في إطلاق الأحكام العاطفية ، بل حدد بشكل دقيق ومختصر مكانة الكاتب وظروفه، وحدد بعض الأسباب التي دفعت الكيلاني لمجاراة كتاب القصة .

ولذلك قلت فيما كتبت :

متابعات

« وهذا يؤكد بأن الكيلاني كان في بداياته القصصية معنيًا بترسيخ قدميه، وتقديم نفسه بوصفه كاتب قصة مصريًا يجيد كتابة الرواية، ويقف مع كتَّاب القصة الآخرين : (نجيب محفوظ ، وباكثير ، والسّحار ، وعبد الحليم عبد الله ، والشرقاوي ، ويوسف إدريس.. وغيرهم) ولهذا: لم تكن قصصه الأولى تختلف عن قصص غيره إلا في نسبة مشاركة المرأة والجنس في القصة.. »[٤].

وقلت أيضًا : «وتأرجح بين الرضوخ لتقاليد القصة الغربية والالتزام بالتصور الإسلامي للقصة»[٥]

ووضّحت سبب تأرجحه في ذلك، وأشرت إلى أن هذه الظاهرة تثير لدينا قضية مهمة، تبدو عامة عند كثير من الأدباء والكتاب الذين يتحدثون عن الأدب الإسلامي؛ وهي: فقرهم في الزاد الشرعي، وتأثرهم بالفكر الغربي»[٦] .

ولكن ذلك كله لا يمنع من الاعتراف للرجل بريادته في مجال القصة الإسلامية ، وإسهاماته في مجال الأدب الإسلامي، فالريادة لا تعني الإصابة ؛ لأن الرائد هو من يتقدم القوم ليبصر لهم مواطن الكلأ ومساقط الغيث[٧] ، فهو سابق للناس يستطلع لهم ، ويخبرهم ، وقد يخطئ وقد يصيب . والكيلاني كان يخوض غمار التجربة وسط جو يعج بالهيجان السياسي والفكري ، ويمتلئ بالأفكار المعادية التي تهيمن على الساحة، ولا يستطيع كاتب التعقيب أن يتصور مثل هذه الأجواء المليئة بالفتن، ووسط ذلك الجو بدأ الكيلاني يكتب حينما كان الآخرون يتهيبون من كلمة إسلام، فهو رائد حقًا في هذا المجال، اجتهد فأصاب وأخطأ ، وحينما نتحدث عنه لا نغض الطرف عن أخطائه ، ولا تأخذنا العاطفة في إطلاق الأحكام ، ولكننا أيضًا لا نقع بالمقابل في الغلو فنرفض كل شيء منه؛ لأنه أخطأ هناك وأصاب هنا.

لقد كتبت عن الكيلاني منذ وقت

مبكر، وكنت صريحًا وواضحًا في الكشف عن هذه الأخطاء في كتابين خاصين بالقصة[8]، بل وكان الرجل (رحمه الله) من أحسن من يستمع إلى نقد ناقديه، ويتقبل نصيحة إخوانه، ويصغي إلى أصحاب الرأي الآخر من قراء أدبه والنقاد.

ولهذا نلتمس له العذر، ونسأل الله له الرحمة، ونبين أخطاءه برفق وعدل، ولا نبخسه حقه من المميزات التي يستحقها عن جدارة.

وكذلك فإن لكل فن شروطه وأجواءه، شريطة ألا يخرج عن الإطار الشرعي: أي دائرة الحلال المباح، ولا ينفع في إطلاق الأحكام العامة أن نطبق أخلاق العابد الزاهد على كل المسلمين، فربما كانت فضائلهم نوعًا من الإسراف والتبذير والإساءة عند مثل هذا الرجل الزاهد.

وأخيرًا: فللأخ الشكر كله على غيرته، ونرجو الله (عز وجلّ) أن يقوي من عزيمة المسلمين لارتياد مجالات الحياة بإيمان وصدق وشجاعة لتقديم الخير للناس، وإعطاء الصورة الصحيحة للحياة بعامة، والأدب بخاصة، وكما يريدها لنا رب العالمين (سبحانه وتعالى).

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامي، نجيب الكيلاني، كتاب الأمة (١٤٠٨هـ)، ص١١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٥.

(٣) المصدر نفسه، صفحة ١١٢، ١١٣.

(٤) البيان، العدد (٩٢)، ص ٧٦.

(٥) السابق، ص ٧٧.

(٦) انظر: البيان، (٩٢)، ص ٧٨ - ٧٩.

(٧) انظر: القاموس المحيط، ص٣٦٢، مؤسسة الرسالة. والمعجم الوسيط، ص٣٨١، المكتبة الإسلامية باستانبول.

(٨) هما: (في القصة الإسلامية المعاصرة) و(دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة - عرض ودراسة لعدد من قصص الدكتور نجيب الكيلاني).

دعوة إلى التفكير

إن مما تحيا به أمتنا : تفكير جاد معطاء ، وتصور بناء؛ ذلك أن الأمم تحيا بعقول أفرادها ، وتنمو بتفكيرهم..

ولا شك أن التفكير في حق خير أمة أخرجت للناس وأشرفها وأكرمها على الله أوكد وأوجب ، لأنها أمة الهدى ودين الحق؛ التي حازت قصب السبق إلى الخيرات بنبيها محمد ﷺ ، ومما يدفعها إلى إحياء روح التفكير، ويرغبها فيه: ما أشاد به كتابها المنزل من التفكر والتدبر، قال (تعالى) ﴿..أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾ [سبأ: ٤٦]، وقال في صفات أولي الألباب ﴿... ويتفكرون في خلق السموات والأرض ..﴾ [آل عمران: ١٩١] فالقرآن يربينا ويأخذ بأيدينا لنلتمس منه العبرة والعظة حين يفتح للفكر آفاقه، وللتدبر أبوابه ، وإن كان مبدأ التفكير هو في نعم الله ومخلوقاته إلا أن ذلك هو الانطلاقة العملية والباعث للتفكير .. فهو منطلق العمل ، وبداية الحركة، وإشراقة النور ، وكما قال «سفيان بن عيينة» (رحمه الله): «الفكر .. نور يدخل قلبك» ، وربما يتمثل بهذا البيت :

إذا المرء كانت له فكرة - ففي كل شيء له عبرة*

والتفكير الجاد ليس مجرد فلسفة نظرية أو تصورات عقلية، بل هو يقظة روحية وهمة وقّادة ذات فعالية ، به تتضح معالم الطريق ويتبين الهدى من الضلال، فالفكرة مرآة ترى فيها حسناتك وسيئاتك، ومدرسة تكسب منها حقائق وتجارب .

بقلم : سالم فرج سعد

* تفسير ابن كثير، جـ١ ص٤٧٧ .

التاريخ الإسلامي : زاد

لقد وهب الله (عز وجل) الطفل قدرات ذهنية وعقلية عالية تتمثل غالبًا في ملكة الحفظ .. ولا غرو في أن أطفالنا يحفظون أسماءً .. وقصصًا كثيرة ...، أسماء شخصيات اجتماعية، وسياسية، وفنية ـ وهي الغالبة ـ وقصصًا خرافية وبطولية ربما سمعوها أوشاهدوها أو قرؤوها في إحدى الوسائل الإعلامية .. وهذا في حد ذاته أمر معتاد .. ولايدعو للدهشة .. ولكن الغريب أن هذا الطفل الذي يمتلئ ذهنه بهذه الأسماء والأحداث ربما لا يعرف إلا النذر اليسير عن الشخصيات الإسلامية التاريخية ... ماذا يعرف أبناؤنا عن خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص ؟ و ماذا تعرف بناتنا عن الخنساء أو سمية بنت الخياط أو .. ؟

ولا شك أن التاريخ الإسلامي كان هدفًا لأعداء الأمة من مستشرقين ومستغربين .. بداية من جورجي زيدان وانتهاءً بالمسلسلات التاريخية الهابطة، التي تشوه الحقائق والأحداث . لقد عرف أعداؤنا أن الشعب الذي لا يملك ماضيًا هو ـ بالتأكيد ـ لا مستقبل له ، وشاهدوا ولمسوا قوتنا النابعة من معين التاريخ الإسلامي الصافي، من نماذجه المشرقة، من تضحيات أفراده: من صفحات التاريخ وجد هذا التراث الهائل من القيم والأخلاق . أيتها الأم المسلمة في البيت، أيتها المعلمة المسلمة: نحن نعد جيلاً مسلمًا نريد منه أن يحمل الأمانة ، أمانة الدين وأمانة التاريخ ، وهذه بلا شك رحلة مضنية وشاقة يلزمها الكثير من الصبر والكثير من الجلد .

ولا شك أن التاريخ لن ينسى صبرك وجلدك في سبيل المحافظة عليه !! وليكن التاريخ الإسلامي الصحيح هو زادك والمعين الذي تسقين منه هذا الجيل المتعطش للمبادئ والقيم السامية، إننا نقف على ثغر من ثغور الإسلام، فحذار أن يؤتى الإسلام من قبلنا ..

بقلم : زهرة الإبراهيمي



كشف اللثام عما تعانيه الأمة من الجروح والآلام

إن الأمم ترقى إلى السمو والعلو بما تنتجه من حضارة، وبما تقدمه للبشرية من خير .

وقد كانت الأمة الإسلامية، وستبقى - بإذن الله - هي الأمة الوسط التي تقود الناس إلى بر الأمان وإلى طريق النجاة .

كانت أمة صاحبة رسالة تخرج الناس من ظلمات الشرك إلى نور الإسلام، كانت مصدر السعادة للناس .

إن حضارة الإسلام لم تكن حضارة مادية فحسب أو حضارة أرضية (وإن كانت هذه الأشياء مما لابد منه)، وإنما هي قبل ذلك حضارة عقيدة ، حضارة جهاد ، حضارة أخلاق ، حضارة استخلاف في هذه الأرض ..

واليوم تمر الأمة بأسوأ مراحل ضعفها، والناظر المتأمل بعين البصير المتدبر يرى حال الأمة الإسلامية : يرى من الجروح والآلام ما تنفطر له القلوب ؛ فيرى أن الأمة قد استهوت الذل واستمرأته؛ لأنها أخلدت إلى الأرض، وتتبعت شهواتها وغرائزها بنهم ، فنست الجهاد والقتال في سبيل الله .

ومن الآلام : الجهل المطبق عند عامة الناس - إلا من رحم الله -، ليس جهلاً في أمور معيشتهم أو أمور دنياهم، وإنما في أمور دينهم ، والشرك المنتشر في أطناب الأمة الإسلامية أكبر شاهد على ذلك ، وانتشار الأحاديث الضعيفة بين الناس وتمسكهم بها ، وجهلهم وتساهلهم في أداء الفرائض والعبادات المفروضة عليهم، وأما أخلاقيات وسلوكيات كثير من أفراد الأمة : فأصبحت مقيدة بما تمليها عليهم المصالح الدنيوية .

وأيضاً من الجروح التي تان بسببها الأمة :

* الغياب الكلي أو الجزئي للدين في بيوت كثير من الناس ؛ حتى أنهم ألفوا المعاصي : كبائرها وصغائرها ، وأصبحت النفوس لا تفرق بين المعروف والمنكر في صغيرة أوكبيرة من حياتهم.

* إن الأمة ما زالت تعاني الأمرين من صنف من الناس، وصفهم الرسول ﷺ بأنهم دعاة على أبواب جهنم ، يقذفون الناس إلى جهنم بحلاوة كلامهم وطلاوته، هم المنافقون ، وما أدراك من هم ؟!، إنهم قوم وصفهم الله (سبحانه وتعالى) ونعتهم بنعوت في أكثر من سورة من القران الكريم : يطعنون في الدين ، يتلونون في كل ثوب ، إنهم خفافيش الدجى في كل عصر وزمان، يظهرون في الليل حتى يضربوا ضربتهم .

* وثالثة الأثافي جهل الأمة بالعدو المتربص بها ، تربص الدوائر ، وقد نست الآيات المحذرة من هذا العدو، فأصبحت توالي مَنْ غضب الله عليه ولعنه، وأصبح الولاء والبراء معتمداً على مصالح خاصة ليس لها بالدين علاقة، لا من بعيد ولا من قريب .

بقلم : غازي الوادعي

بريد البيان

رسالة نعتز بها

تصلنا رسائل من مختلف ديار الإسلام ما بين مادحة وعاتبة، وموجهة ومصوبة ومشجعة، ونرد على بعضها ما وسعنا الجهد . إلا أنه وصلتنا رسالة من فضيلة الدكتور **عبد الله بن محمد العجلان**، ولقد اضطررنا إلى حذف الكثير من الثناء فيها على المجلة، ونكتفي بنشر تلخيص لرسالته (جزاه الله خير الجزاء) :

إن القراءة المتأنية لمجلة البيان جعلتني أشعر بفيض من المشاعر والأحاسيس التي ما كانت تخطر ببالي قبل ذلك ، ولا ينبغي أن تكون حبيسة النفس ، بل هي قضية مشتركة، ومن أهم ملامح هذه المشاعر :

١ـ إن مجلة البيان (هذا الصوت الندي من ديار الغربة) تخاطب الفرد المسلم في ديار الإسلام، وهي مؤهلة لتبليغ رسالة الإسلام : عقيدة ، وعبادة ، ونظام حياة.

٢ـ إن تقصير كثير من العلماء بالمشاركة والتوجيه في مثل هذه المجلة جعله الله خيراً في شباب واعد من طلبة العلم، ومن بعض العلماء والمفكرين؛ ليقيم الله به المحجة ويوضح الحجة والله غالب على أمره.

٣ـ إن كثيراً من المجلات العربية على اختلاف ألوانها ومشاربها ذات انتماءات متعددة، إلا أن هذه المجلة لا تكاد توجد إلا في أماكن محددة وبأعداد قليلة ، إذ هي مجلة الخاصة ، وتلك مع الأسف مجلات العامة، وهذا يومئ إلى خلل في حياة الأمة الإسلامية، يتمثل في عدم التوازن بين الفرص المتاحة لكل الأصوات على اختلاف ألوانها.

٤ـ الشعور العميق بالاحترام والاعتزاز تجاه المجلة وأقلامها ، للمعالجة الجادة والطرح الموضوعي للأفكار .

وفي النهاية يدعو الدكتور (جزاه الله خيراً) للمجلة بالتوفيق في خدمة الدين الحنيف ورفع شأن الأمة الإسلامية .

القارئ الحريص على المجلة

بعد شكره لجهود القائمين على المجلة أبدى ملاحظات ومنها : سؤاله عن نصيب المرأة والطفل والأسرة عامة وعن الرقائق والإيمانيات . وتمنى لو وجدت في المجلة زاوية للفتاوى التي تهم المسلمين، ولاسيما في الغرب، ونحن نقدر حرص الأخ الكريم وما ذكره من ملاحظات جيدة ونتمنى على الكتّاب التطرق لها .

والفتاوى ننشرها بين وقت وآخر. وسنحاول جاهدين نشر كل ما يصلنا مما يعالج الواقع ويفصل الموقف من النوازل المستجدة.. وفق الله الجميع إلى كل خير.

كاتب لم يذكر اسمه

يؤكد مع جمع من القراء أهمية وضع الهوامش في كل صفحة عوضاً عن وضعها في نهاية كل مقال. نشكرك وهذا الاقتراح سيرى النور قريباً ـ إن شاء الله ـ .

مشتاق حسين

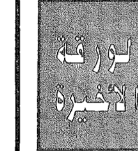
قصيدتك « ابتسم فأنت مسلم » ستنشر في عدد قادم ـ بإذن الله ـ .

عثمان حمد الحواس

نرحب بك، ونشكرك على مشاركتيك المعنونة بـ « لنفكر بمرونة » و « هموم طالب في المرحلة الثانوية » وقد رأت أسرة التحرير نشر أجزاء منهما في منتدى القراء ، كما أن مقالك « صناعة المشاعر » معروض الآن على المحرر الأدبي .

د. حسن إبراهيم

نعتذر عن نشر مشاركتك (عرض لكتاب الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة) لكون الكتاب صدر منذ فترة ليست قصيرة وبعض مواده سبق نشرها في المجلة.



بائع خبز فقيه !

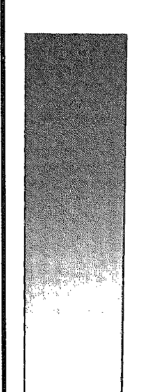
بقلم : محمد بن عبد الله آل شاكر

رأيته وهو يحمل عبء السبعين من السنين، تزينه لحية بيضاء، وابتسامة لطيفة، يلقاك بها وأنت تشتري منه الخبز في واحد من مخابز بلدنا الحبيب ،ولما دخلت عليه في إحدى الليالي ، بعد صلاة التراويح بادرني بالسؤال : ما رأيك في القراءة من المصحف في الصلاة ؟ وكان يقصد صلاة التراويح في رمضان.

وقد وقع في ظني أنه تفقَّه على مذهب الإمام أبي حنيفة (رحمه الله) ـ كغالبية أهل موطنه « أفغانستان » ـ فقلت له: صلاته تامة ؛ لأن القراءة عبادة انضمت إلى عبادة أخرى هي الصلاة ، والعبادة لا تفسد الصلاة ، وهو قول أبي يوسف ومحمد بن الحسن .

فأجابني : ولكن شيخهما (أبا حنيفة) يخالفهما في ذلك ؛ وكأنه بهذا الكلام يشير إلى ترجيح رأي الإمام في فساد هذ الصلاة لما فيها من تشبُّه بأهل الكتاب ، إذ الفتوى على قول أبي حنيفة ـ في المذهب ـ سواء أَوَافَقَهُ أحد أصحابه أم لم يوافقه .

ثم مدَّ يده إلى كتاب ضخم ، فإذا هو جزء من « فتح القدير» للكمال بن الهمام شرح « الهداية » للمرغيناني الحنفي ، بطبعة حجرية هندية دقيقة، وعليها حواشٍ لا يصنبر على القراءة فيها وبين سطورها المتعرجة والمائلة إلا أولو العزم من طلبة العلم، وفتح الكتاب ليقرأ لي نصًّا فيه ذلك الحكم ،



فعجبتُ ـ والله ـ لهذا الفقه الدقيق عند بائع الخبز الطاعن في السن ، وزادني هذا حبًّا له وإكبارًا ، ولكن عجبي ازداد أكثر عندما فتح كتابًا آخر بجانب منضدته (بل هو ثلاثة كتب في كتاب : متن، وشرح، وحاشية!!)، واسمه « قمر الأقمار على نور الأنوار شرح المنار » لكي يؤيد ما ذهب إليه من الفقه بقاعدة من الأصول !.

وعندئذ أصابتني حالة من الذهول والشرود، عدتُ بعدها إلى انتباهي وقد ارتسمت أمام ناظريَّ صورة عدد من الطلبة في إحدى الجامعات، وقد أهدتهم الكلية التي ينتسبون إليها مجموعة من الكتب والمصادرالعلمية، تشجيعًا لهم وحفزًا لهممهم ، وتعزيزًا لتفوقهم، وبين هذه الكتب « فتح القدير » نفسه ، ولكن بطبعة جميلة واضحة ، وهم يريدون أن يستبدلوا به كتابًا آخر ، متسائلين عن فائدته وموضوعه !!.

أما الكتاب الآخر ، وهو « قمر الأقمار . . . » فهو شرح العلامة محمد بن عبد الحي على « نور الأنوار» لِمُلا جَيُّون ، وهذا شرح « للمنار » للنَّسفي، فقد قفز إلى ذهني سؤالٌ حياله : كم من أساتذتنا وطلابنا المتخصصين قد سمع بالكتاب ومؤلِّفه ، أو اكتحلت أعينهم بمرآه ، بَلْه القراءة فيه والرجوع إليه ؟.

ما أظن أنَّ حالفًا يحنث لو حلف بأنَّ كثيرًا منهم لم يسمع بهذا الكتاب، ولم يره من باب أولى !، تُرى ما الذي يشغل كثيرًا منا ومن طلاب العلم ؟ وما مدى اهتمامهم بما نذروا أنفسهم له ؟ أم أن الاهتمام بالرصيد ومتابعة الأسعار وتقلّباتها زاحمت اهتماماتهم العلمية ونموَّهم التربوي المهني ؟ أسأل الله لي ولهم الهداية والتوفيق ، وأن يردَّنا إلى ما نكون به خير أمة*

---

* مسألة حمل الإمام للمصحف للقراءة ـ في الصلاة ـ فيها خلاف بين أهل العلم ، واختار بعض المحققين جواز ذلك، فإذا كان الإمام لم يحفظ ، أو كان حفظه ضعيفًا وقراءته في المصحف أنفع للناس وأنفع له، فلا بأس بذلك ، وقد أورد البخاري (رحمه الله) تعليقًا في صحيحه عن عائشة (رضي الله عنها) أن مولاها (ذكوان) كان يصلي بها في الليل من المصحف ، والله أعلم .

ـ البيان ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 371 5307

كلمة صغيرة

حديث و شجون

يطلق جل الإعلام العربي إطلاقات فضفاضة، ولكنها لاتتسع إلا للإسلاميين، مثال ذلك الصارخ : لفظة الإرهاب ومشتقاتها ، ومن عجائب ذلك الإعلام أنه لم يضع تعريفًا جامعًا مانعًا للإرهارب، حتى إنه بات في حس الكثيرين : أنه متى أطلق لفظ إرهابي، فإنه يعني إسلامي، وهذا ادعاء باطل و افتراء مقصود .

ولكن حين يأتي الإرهاب من وراء البحار، أو حين يقوم به ذوو الدماء الزرقاء! فإنه يسلم من هجمات ذلك الإعلام (المؤم) ولا حديث حينئذ عن الخطر الداهم الذي ينتظر العالم، ولا عن العنف الذي سيعصف بالحضارة ، ولا ...

لقد فجر (اليمين الأمريكي) مبنى فيدراليًا في أمريكا، وحصلت انتحارات جماعية لمتطرفين أجانب ، وقام (الشين فين) الأيرلندي بانفجارات هزّت لندن ، والعنف الصهيوني يذيق الفلسطينيين كل يوم سوء العذاب.. وغير ذلك كثير.

ولم يسجن أحد من اليمين الأمريكي مدى الحياة ، وما زال البريطانيون يخطبون ود (الشين فين) الإرهابية ، وزعيمهم تستقبله أمريكا بالأحضان، وأما الصهاينة فهم محبوبو دعاة التطبيع، والهرولة إليهم جارية بمباركة (الإعلام المشبوه) .

نقول لذلك الإعلام : شيئًا من الموضوعية، بل شيئًا من الحياء، كفى حقدًا ، وكفى خبثًا .. أسفروا عن حقيقتكم ومواقفكم العدائية للإسلام ودعاته... وعند الله تجتمع الخصوم .

في هـذا العـــدد :

■ الموزعون ■

الأردن : إلشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطــر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصــر : القاهرة - ش الجلاء - الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/ ٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩ ،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠ ، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

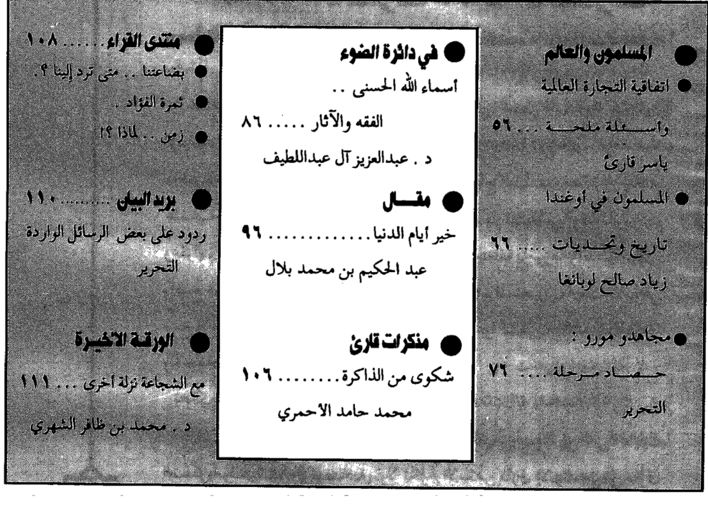
اليمــن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ١٠٦٥٥ بـاب البلقة ، هاتف ٣٠٥٩٣٥

السودان : دار اقرأ للنشر والتوزيع ، الخرطوم : ص.ب ٨٨ براري .

الكويت : درة الكويت للتوزيع ، ص.ب ٢٩١٢٦ ، الصفاة
هاتف ٤٧٢٤٦٦٦ ، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة :
ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ - ٥٣٤٥٦١ ،
فاكس ٥٣١٢٨١ .

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065
الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)



■ **الاشتراكات** ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ **سعر العدد** ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ١٫٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١١ دراهمًا ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيهًا ، سلطنة عمان ٥٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

يا دعاة الإسلام:
الائتلاف .. لا الاختلاف

بعد سقوط الدولة العثمانية، وتمزق العالم الإسلامي، سيطر الاستعمار على ديار الإسلام، وأذاق المسلمين ألوانًا من الذل والهوان، وسعى جاهدًا لنزع الهوية الإسلامية، وسلخ الأمة الإسلامية عن حضارتها وتاريخها، ثم خرج المستعمر بعد أن زرع أذنابًا علمانية من بني جلدتنا، يتكلمون بلساننا، أجسامهم نبتت في أرضنا، وقلوبهم وعقولهم تربت على فكر الغرب أو الشرق، واستمرت متعلقة برموزها وحُدَاتُها هناك.

وأصبح هؤلاء القوم أشد خطرًا على المسلمين من أسيادهم المستعمرين، حيث تفننوا في مسخ الأمة الإسلامية وإفسادها وسلب هويتها، وخدعوا الشعوب بالشعارات البراقة والأطروحات الملفقة.

ولكن ماذا كانت النتيجة ..؟!!.

دخلت الأمة في أنفاق مظلمة، وتعرضت لهزائم ونكسات متنوعة في شتى المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية..ولا تخرج الأمة من مأزق إلا وتدخل في مأزق أشد منه إظلامًا وفسادًا..و كلما سقط قناع وانكشف ما وراءه صُنِعَتْ أَقْنِعَةٌ أُخر، لمعت في وسائل الإعلام..

وفي هذا الجو المظلم من الزيف والخداع..وفي هذه المستنقعات الآسنة من التخلف والانحطاط..ولدت الحركة الإسلامية المعاصرة من جديد..!.

لقد ظن أعداء الإسلام أنه بسقوط الدولة العثمانية قد وئد الإسلام، فإذا بالصحوة الإسلامية تقلب الموازين، وتزيل تلك الظنون والأوهام.

افتتاحية العدد

وعلى الرغم من القمع والتسلط الذي ووجهت به الحركة الإسلامية ورجالاتها، إلا أن مطارق الظلم لم تزدها إلا قوة وتجذراً وصلابة..

لقد امتدت هذه الأغصان الكريمة، وتنامت بصورة مذهلة أدهشت جميع المراقبين والمتابعين لسير الأحداث، وأصبحت الصحوة الإسلامية هي الشغل الشاغل للساسة والكتاب العلمانيين ووسائل الإعلام، وبخاصة بعد السقوط المفاجئ للمعسكر الشيوعي.

لقد درجت وسائل الإعلام الغربية على التحذير من ذلك (الغول) القادم من المشرق الإسلامي، وتوالت التقارير السياسية و (التحليلات) الإعلامية، تشرح هذه الظاهرة، وتحدد معالمها وأبعادها، وترسم الخطط والاستراتيجيات السياسية والعسكرية لمواجهتها.

ماذا تملك الصحوة الإسلامية حتى يهابها أعداء الله؟!!.

هل تملك التقنية..؟!.

هل تملك الاقتصاد..؟!.

هل تملك القوة..؟!.

هل تملك السلاح..؟!.

لا تملك شيئًا من ذلك على الإطلاق، ولكنها تملك هذا الدين الرباني الذي أنزله الله ليبقى إلى قيام الساعة، قال (تعالى) : **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾** [التوبة : ٣٣].



لقد أنجزت الصحوة الإسلامية خلال العقود الماضية إنجازات هائلة، والتفت الشعوب الإسلامية حولها بكل ثقة واطمئنان، حتى أصبحت ـ بحمد الله ـ بعثًا شمل معظم طبقات الأمة، فهذه المسيرة المباركة سائرة، ولن تتوقف بإذن الله (تعالى).

ولكن..! أليس من العقل والحكمة.. بل ومن الشرع : أن نعاود النظر في هذه المسيرة، ونقلب الطرف هنا وهناك، ونحاول بكل جدية وإشفاق تقويم هذه المسيرة سلبًا و إيجابًا، حتى نضمن سلامتها واستقامتها على الطريق المستقيم، خاصة في هذا العصر الذي تمر فيه الصحوة الإسلامية بمنعطف خطر بالغ الأهمية..؟!

إن ثمة حقيقة دعوية تدمي القلب، وتحزن النفس، ولا تحتاج إلى كبير جهد أو عناء لإثباتها، وذلك: أن الإنسان لا يكاد يذهب إلى بلد من بلاد الإسلام إلا ويجد الدعاة أحزابًا متفرقين وأشتاتًا متناحرين.

ونظرة سريعة في أحوال العالم الإسلامي من أدناه إلى أقصاه، تُظْهِرُ لنا بجلاء ذلك التصدع الداخلي في صفوف الحركة الإسلامية : فالفرقة والتنازع والتدابر سمة مشتركة لدى معظم العاملين للإسلام، فهي القاسم المشترك الأكبر بينهم:

الجماعات الإسلامية في مصر لا تحصى ...

الحركة الإسلامية في سوريا تتمزق وتتنازع، وكانت مأساة حماة ثمرة مرة لذلك..

الحركة الإسلامية في كشمير تجاوزت عشرين حزبًا ..

الجهاد الأرتيري يبدأ بالتوحد والائتلاف، وينتهي بالفرقة وتبادل التهم..

الصراع الحزبي في الباكستان يؤدي إلى هزيمة الإسلاميين في الانتخابات هزيمة ساحقة..

الأحداث الدامية في أفغانستان مثال صارخ للفوضى الحزبية والتنظيمية..

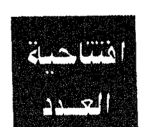
أحداث الخليج شرقت بالمسلمين وغربت، وكشفت ما كان مستترًا..

وهكذا في الأردن، والخليج، واليمن، والسودان، والمغرب العربي... وتجول حيثما شئت داخل هذه المنظومة الإسلامية، فالظاهرة هي هي، تزداد حينًا حتى تصل إلى الصراع وتشابك الأيدي، وتقل حينًا آخر، ولكنها كما قال الشاعر :

أرى تحت الرماد وميض نار وأخشى أن يكون لها ضرام



إن أي متابع لمسيرة العمل الإسلامي المعاصر يلحظ هذا الشرخ الممتد في الجسم الإسلامي، ورغم أن الأصل الذي حث عليه الإسلام، وتواترت به النصوص، واجتمعت عليه الأمة، هو الائتلاف والاتحاد، وأن تكون الأمة المسلمة يدًا واحدة على من سواها، يسعى بذمتها أدناها، إلا أن رياح الفرقة وأعاصيرها تزداد يومًا بعد يوم، وما تزيدها الأحداث إلا تجذرًا واتساعًا، وكان الظن أن المحن والشدائد سوف تقود إلى التوحد، أو على أدنى الأحوال إلى التنسيق واتخاذ مواقف مشتركة، ولكن التجارب



الماضية والجارية أظهرت شيئًا آخر، فعقدة التفرد والتميز ملازمة لأكثر التجمعات، وكل تجمع يعتقد بأنه الإمام الذي تثنى عنده الركب، ويلتف حوله الناس، ويسلّم بين يديه القريب والبعيد، ويجتمع عنده العرب والعجم...!.

قلب الحركة الإسلامية يغلي ويتمزق من الداخل بسبب هذه الصراعات المستمرة بين الإسلاميين، تلك التي تغذيها الحزبية الطاغية في الصفوف، والتي أنهكت الجسم المسلم وحاصرته، وأصبحت عند بعض فصائله معيار الحق وأساسه؛ فالحق ما قاله القادة، ولو خالف من خالف، والباطل ما ردوه، ولو وافق من وافق..!.

إذا هدأت الأمور بين بعض الدعاة لا ترى إلا الابتسامات الصفراء الباهتة، والمجاملات الباردة، مشوبة بشيء من التوجس والحذر والشك، وقد يتحول ذلك – في بعض الأحيان – إلى تراشق بالتهم وإسفاف في العبارات ولغط أجوف ومهاترات تطول ولا تنتهي، وإذا دعت الضرورة الحزبية شمر المشمِّر عن ساعديه واستل لسانه، وأخذ يفري في أعراض إخوانه المسلمين، فالغيبة والنميمة محرمتان على العوام، أما بين الدعاة فالمصلحة الحزبية تجيزهما..!!.

أما آن لنا أن ندرك بعد كل هذه التجربة أن الاعتصام بحبل الله المتين والاجتماع على الهدى المستقيم هو القوة الحقيقية التي نستطيع أن نواجه بها الأعداء..؟!.

قال الله (تعالى): ﴿ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].



دراسات شرعية

حتى يكون حجنا مبرورا

بقلم : فيصل بن علي البعداني

رتب الله (تعالى) أجراً عظيماً على الحج المبرور، دل عليه رسوله ﷺ بقوله: «..والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»(١).

والحج المبرور: ما توسع فيه العبد بأعمال الخير، إذ معاني البر تعود إلى معنيين (٢):

١ - الإحسان إلى الناس وصلتهم، وضده العقوق، وفي الحديث: «البر: حسن الخلق»(٣)، وفي المسند عن جابر مرفوعاً: «قالوا: وما بر الحج يا رسول الله؟ قال: إطعام الطعام وإفشاء السلام»(٤).

٢ - التوسع في الطاعات وخصال التقوى، وضده الإثم؛ ومنه قوله (تعالى): ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة: ٤٤]، قال القرطبي: «الأقوال التي ذكرت في تفسيره متقاربة المعنى، وهي: أنه الحج الذي وفيت أحكامه، ووقع موقعًا لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل»(٥).

وعلى ذلك: فليس كل من حج البيت كان حجه مبروراً، بل الأمر كما قال ابن عمر (رضي الله عنهما) لمجاهد حين قال: «ما أكثر الحاج» قال: «ما أقلهم، ولكن قل: ما أكثر الركب»(٦).

ومن أجل تفاوت الناس في الحج، فسأحاول في هذه السطور ذكر أبرز الأمور التي تعين الحاج، ليكون حجه مبروراً بإذن الله، ومن ذلك:

أولاً: الإخلاص والمتابعة:

لا صحة ولا قبول للأعمال إلا بما يلي:

١ – الإخلاص لله (تعالى) وإرادة وجهه وحده، قال الله (تعالى) في الحديث القدسي : «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه»(٧)، وقد كان ﷺ يحذر من ضد ذلك، فيدعو مستعيناً بربه قائلاً : «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة»(٨).

٢ – متابعة العبد للنبي ﷺ في كافة أعماله، قال ﷺ : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(٩)؛ ولذا : كان ﷺ يقول في الحج : «لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»(١٠)، ولقد استوعب الصحابة (رضي الله عنهم) ذلك الأمر، فقال الفاروق حين قبّل الحجر : «أما والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله استلمك ما استلمتك، فاستلمه»(١١).

ثانياً : الاستعداد للحج :

تهيئة العبد نفسه واستعداده للحج من أهم الأمور التي تعينه على أداء النسك على الوجه المشروع، وتجعل حجه مبروراً، ولعل أبرز الجوانب التي ينبغي أن يستعد بها المرء للحج ما يلي :

١ – إصلاح العبد ما بينه وبين الله (تعالى) بالتوبة النصوح بشروطها المعروفة.

٢ – الاستعانة بالله (تعالى) وطلب توفيقه، وإظهار الافتقار إليه، والخوف منه، والرجاء فيه، إذ إنه مع أهمية الاستعداد المادي للحج إلا أنه لا يجوز للمرء الركون إلى الوسائل المادية وحدها.

٣ – تحلل العبد من الحقوق والودائع التي لديه، وقضاء الديون أو استئذان من عُرِف عنه من أصحابها حرص وشدة طلب .

٤ – كتابة العبد لوصيته؛ إذ السفر مظنة تعرض الإنسان للخطر .

٥ – إعداد العبد النفقة الكافية لمن يعول إلى وقت رجوعه، ووصيته لهم خيراً، واستخلاف من يقوم بشؤونهم، وذلك حتى يكون همُّه متجهاً لأداء النسك .

٦ – اختيار الراحلة المناسبة، وانتخاب النفقة الطيبة الحلال، لأن النفقة الحرام من موانع الإجابة، عند الطبراني مرفوعاً : «إذا خرج الرجل حاجًّا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك، ناداه

دراسات شرعية

من السماء: لبيك وسعديك؛ زادك حلال، وراحلتك حلال، وحجك مبرور، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى: لبيك، ناداه منادٍ من السماء: لا لبيك ولا سعديك، زادك حرام، ونفقتك حرام، وحجك غير مبرور»[١٢].

ونحن الآن في زمن تفشت فيه المكاسب الحرام - إلا من رحم الله -، وكثرت فيه الأموال المشبوهة، فليتق كلٌ عبد ربه، وليتذكر قوله ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا»[١٣].

ويستحب للعبد الإكثار من التزود بالنفقة الحلال على وجه يمكنه معه من التوسع في الزاد دون الحاجة إلى الناس، والرفق بالضعفاء.

٧ - اختيار الرفقة الصالحة التي تعينه إذا ضعف، وتذكره إذا نسي، وتعلمه إذا جهل، وتأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر.

وليحذر العبد من صحبة صنفين:

- الصحبة الفاسدة التي تقود إلى المعصية وتعين على الباطل.

- صحبة البطالين الذين يقضون أوقاتهم فيما لا يعود عليهم بالنفع في الآخرة.

٨ - التفقه في أحكام النسك وآدابه، والتعرف على أحكام السفر، من حيث: القصر، والجمع، والتيمم، والمسح على الخفين... إلخ؛ قال ﷺ: «من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين»[١٤].

ومما يعين العبد على ذلك: التزود بما يحتاج إليه من كتب أهل العلم وأشرطتهم، ومصاحبة أهل العلم بالمناسك، وأهل المعرفة بأماكن وأوقات الشعائر.

ثالثًا: استشعار حقيقة الحج وغاياته:

إدراك العبد لحقيقة الحج، والحكم والأسرار التي شرعت الشعائر من أجلها يهيئه ليكون حجه مبرورًا؛ إذ القيام بذلك بمثابة الخشوع في الصلاة، فمن كان فيها أكثر خشوعًا كانت صلاته أكثر قبولاً، وكذلك الحج: كلما استوعب المرء حقيقة الحج، وروحه، والحكم والغايات التي شرع من أجلها، واتخذ ذلك وسيلة لتصحيح عقيدته وسلوكه.. كلما كان حجه أكثر قبولاً وأعظم أجرًا واستفادة، ولن يتمكن أحد من ذلك ما لم يقم بتهيئة نفسه، ويستغرق في التأمل والبحث عن أسرار

الحج وحكمه، أما من لم يكن كذلك، فيخشى أن يكون عمله مزيجًا من السياحة والمتاعب لا غير.

ولعل من أبرز الحكم والغايات التي ينبغي أن يستشعرها الحاج ما يلي :

١ - تحقيق التقوى :

الغاية من الحج تحقيق التقوى، ولذا : نجد ارتباط التقوى بالحج في آيات الحج بشكل واضح جلي، قال (تعالى) : ﴿ **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ..وَاتَّقُوا اللَّهَ ..** ﴾[البقرة : ١٩٦] ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ..** ﴾ [البقرة: ١٩٧].

٢ - تأصيل قضية التوحيد في النفوس وتأكيدها :

يرتكز الحج على تجريد النية لله (تعالى) وإرادته بالعمل دون سواه، قال (تعالى) ﴿ **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ** ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وقال (عز وجل) في ثنايا آيات الحج : ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ (٣٠) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ..** ﴾ [الحج: ٣٠، ٣١]:

وفي التلبية (وهي شعار الحج) جاء إفراد الله بالنسك صريحًا : « لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك »[١٥]، كما أن الحج يرتكز على توحيد المتابعة للرسول ﷺ وعدم الوقوع في شرك الطاعة، إذ لا مجال للتنسك في الشعيرة بالأهواء والعوائد، بل لا بد من التأسي به ﷺ والأخذ عنه.

٣ - تعظيم شعائر الله وحرماته :

من أبرز غايات الحج وحكمه تربية العبد على استحسان شعائر الله وحرماته، وإجلالها ومحبتها، والتحرج من المساس بها أو هتكها، قال الله (تعالى) في ثنايا آيات الحج : ﴿ **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾ [الحج: ٣٢] ..

٤ - التربية على الأخلاق الحسنة والخلال الحميدة، ومن ذلك :

«أ» العفة : قال الله (تعالى) : ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ ..** ﴾ [البقرة: ١٩٧] والرفث : هو الجماع ودواعيه من القول والفعل.

« ب » كظم الغيظ وترك الجدال والمخاصمة: قال الله (عز وجل) : ﴿ **وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ** ﴾ [البقرة: ١٩٧]، قال عطاء : « والجدال : أن تجادل صاحبك حتى تغضبه

دراسات شرعية

ويغضبك»، والأظهر أن المراد بنفي الجدال في الآية: (نفي جنس) مراد به المبالغة في النهي عن الجدال المذموم فقط، وهو النزاع والمخاصمة في غير فائدة شرعية.

«ج» **الرفق واللين والسكينة**: قال ﷺ عندما سمع زجراً شديداً وضرباً وصوتاً للإبل في الدفع من مزدلفة: «أيها الناس: عليكم بالسكينة؛ فإن البر ليس بالإيضاع (يعني الإسراع)»[16].

«د» **إنكار الذات والاندماج في المجموع**: في الحج ينكر العبد ذاته ويتجرد عما يستطيع أن يخص نفسه به، ويندمج مع إخوانه الحجيج في اللباس والهتاف والتنقل والعمل.

«هـ» **التربية على تحمل تبعة الخطأ**: ويظهر ذلك جليًّا في الفدية الواجبة على من ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام عمداً، وعلى من أخطأ الوقوف بعرفات، أو دفع إلى مزدلفة قبل غروب الشمس... إلخ.

«و» **التربية على التواضع**: ويظهر ذلك جليًّا في الوحدة بين جميع الحجيج في الشعائر والمشاعر، وإلغاء أثر الفوارق المادية بينهم من لغة ودم ومال... إلخ، وقد كان من خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع: «يا أيها الناس: ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»[17].

«ز» **التربية على الصبر بأنواعه**: حيث يلجم العبد نفسه عن الشهوات بترك محظورات الإحرام، ويمنعها عن بعض المباحات (في غير الإحرام)، ويعرضها للضنك والتعب في سبيل امتثال أوامر الله بأداء النسك وإتمامه؛ فيكون ذلك دافعاً إلى ترك المعاصي، وامتثال الطاعات، وتحمل الأذى في سبيل ذلك بعد الحج.

«ح» **البذل والسخاء**: وهذا واضح في تحمل العبد لنفقات الحج.

٥ - التذكير باليوم الآخر:

يُذكِّر الحج العبد باليوم الآخر وما فيه من مواقف وأهوال بشكل واضح جلي، ومن ذلك:

* **خروجه من بلده ومفارقته لأهله**: يذكره بمفارقته لهم حال خروجه من الدنيا إلى الآخرة.

* **التجرد من المخيط والخروج من الزينة**: يذكره بالكفن وخروج العباد من قبورهم يوم القيامة حفاة عراة غرلاً.

* **الترحال والتعب**: يذكرانه بالضيق

والضنك في عرصات القيامة، حتى إن من العباد من يلجمه العرق يومئذ إلجامًا .

٦ - التربية على الاستسلام والخضوع لله (تعالى) :

يتربى العبد في الحج على الاستسلام والانقياد والخضوع والطاعة المطلقة لله رب العالمين، سواء في أعمال الحج نفسها، من : التجرد من المخيط، والخروج من الزينة، والطواف، والسعي، والوقوف، والرمي، والمبيت، والحلق (أو التقصير) ونحو ذلك من الأمور التي قد لا تكون جلية المعنى، بل قد تكون إلى الأمر المجرد الذي ليس فيه لنفس العبد حظ ورغبة ظاهرة، أو فيما تحمله تلك الأعمال في طياتها من ذكريات قديمة من عهد إبراهيم (عليه السلام)، وما تلاه من استسلام وخضوع وإيثار لمحاب الله (تعالى) ومرضاته على شهوات النفس وأهوائها .

٧ - تعميق الأخوة الإيمانية، والوحدة الإسلامية:

يجتمع الحجاج على اختلاف بينهم في اللسان والألوان والأوطان والأعراق في مكان واحد، وزمان واحد، بمظهر واحد، وهتاف واحد، لهدف واحد، هو: الإيمان بالله (تعالى)، والامتثال لأمره، والاجتناب لمعصيته، فتتعمق بذلك المحبة بينهم، فيكون ذلك دافعًا لهم إلى التعارف، والتعاون، والتفكير، والتناصح، وتبادل الخبرات والتجارب، ومشجعًا لهم للقيام بأمر هذا الدين الذي جمعهم، والعمل على الرفع من شأنه .

٨ - ربط الحجيج بأسلافهم :

تحمل أعمال الحج في طياتها ذكريات قديمة : من هجرة إبراهيم (عليه السلام) وزوجه وابنه الرضيع إلى الحجاز، وقصته حين أُمر بذبح ابنه، وبنائه للبيت، وأذانه في الناس بالحج حتى مبعث نبينا (محمد) ﷺ، والتذكير بحجة الوداع معه ﷺ حيث حج معه ما يربو على مئة ألف صحابي، وقال لهم ﷺ : « خذوا عني مناسككم »، ثم توالت العصور الإسلامية إلى وقتنا الحاضر حيث تربو أعداد الحجيج على أكثر من ألفي ألف من المسلمين؛ مما يجعل الحاج يتذكر تلك القرون ممن شهد أرض المشاعر قبله، ويتأمل الصراع العقدي الذي جرى بين

دراسات شرعية

الموحدين والمشركين فيها، وما بذله الموحدون من تضحية بالأنفس ومتع الحياة من أهل ومال وجاه، وما قام به المشركون من عناد وبغي ودفاع عن مصالح أنفسهم وشهواتها؛ ليدرك أسباب هلاك من هلك ونجاة من نجا، فيحرص على الأخذ بأسباب النجاة، ويعد نفسه امتداداً للناجين من الأنبياء والصالحين، ويحذر من أسباب الهلاك، ويعد نفسه عدوًّا للمجرمين، ويستيقن أن العاقبة للمتقين، ويرى بمضي من حج من تلك الأقوام إلى ربهم أن مصير الجميع واحد، وأنهم كما رحلوا فسيرحل هو، فيعتصم لكي ينجو ويسلم بين يدي الله بالتقوى.

٩ - الإكثار من ذكر الله (تعالى) :

المتأمل في شعائر الحج من تلبية وتكبير وتهليل ودعاء ... إلخ، وفي نصوص الوحيين التي تتحدث عنه، يجد أن الإكثار من ذكر الله (تعالى) من أبرز حكم الحج وغاياته، ولعل من تلك النصوص قوله (تعالى) : **﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾** [البقرة: ١٩٨] وقوله ﷺ : «إنما جعل الطواف بالبيت، وبين الصفا والمروة، ورمي الجمار: لإقامة ذكر الله في الأرض»[١٨] .

١٠ - التعود على النظام والتربية على الانضباط:

في الحج قيود وحدود والتزام وهيئات لا يجوز للحاج الإخلال بها، تعوده حب النظام والمحافظة عليه، وتربيه على الانضباط بامتثال الأمر وترك النهي، والنصوص الدالة على ذلك كثيرة جلية.

١١ - منافع أخرى :

ومنافع أخرى دنيوية وأخروية، فردية وجماعية، تجل عن الحصر، يدل عليها تنكير المنافع وإبهامها في قوله (عز وجل) : **﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾** [الحج: ٢٨] نسأل الله (تعالى) أن يهيء لنا من أمرنا رشداً وأن يكتب لنا منها أوفر الحظ والنصيب.

رابعاً : الحذر من مقارفة المعاصي والوقوع في الأخطاء :

لا يحصل للعبد بر الحج إلا بمجانبة المعاصي والحذر منها، ومع أن مقارفة الذنوب والمعاصي مَنْهِيٌّ عنها في كل

وقت، إلا أن الله (تعالى) أمر مَن حج بتركها، فقال (عز وجل) : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٩٧] وذلك لشرف الزمان وعظمة المكان، قال (تعالى) : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥] فكيف يكون جزاء من فعل وقارف؟! .

والمتأمل في واقع الناس في الحج يجد الكثير من المنكرات والأخطاء الناتجة عن: ضعف الخوف من الله، وعدم مراعاة حرمة الزمان والمكان، الناتجة عن الجهل بالشرع واتباع الأعراف والعوائد، ولعل من أبرز ما يتفشى في الحج من المنكرات والأخطاء : ارتكاب محظورات الإحرام عمداً بغير عذر وأذية المسلمين بالقول والفعل، وترك التناصح والأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، وتأخير الصلاة عن وقتها، والغيبة، والنميمة، واللغو، والجدال، وقيل وقال، والإسراف أو التقتير في النفقة، والعبث بالأطعمة، وسوء الخلق، والتهاون في الذنوب : كإطلاق النظر، والاستماع إلى ما لا يحل، ومزاحمة النساء للرجال، وكشفهن لما لا يجوز كشفه، والتعجل أو التأخر عند أداء المناسك في الأوقات الشرعية المحددة لها، وعدم مراعاة حدود الأمكنة التي لا يجزئ أداء أعمال الحج خارجها. . .إلخ.

فما أغبن من بذل نفسه وماله وبدل حاله وجماله فيرجع بالمحرمات وغضب الرحمن، قال الشاعر :

يحج لكيما يغفر الله ذنبه

ويرجع وقد حطت عليه ذنوب

خامساً : الاجتهاد في الطاعة واستغلال الوقت :

وردت في ثنايا آيات الحج إشارات تحث العبد على الاستكثار من الطاعات وقت أداء النسك، ومن ذلك قوله (عز وجل) : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة : ١٩٧]

ولعل من أهم الطاعات التي ينبغي أن يستكثر منها العبد ويشغل بها وقته أثناء النسك :

١ - **أعمال القلوب** : من: إخلاص،

دراسات شرعية

ومحبة، وتوكل، وخوف، ورجاء، وتعظيم، وخضوع، وإظهار افتقار، وصدق في الطلب والمسألة، وتوبة، وإنابة، وصبر، ورضا وطمأنينة... ونحو ذلك من أهم ما ينبغي أن ينشغل به العبد في حجه، إذ مدار الإسلام عليها، قال ابن القيم: «ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب وأنها لا تنفع بدونها»[19].

٢ - قراءة القرآن والذكر والاستغفار:

وقد أمر الله الحجيج بالذكر والاستغفار في ثنايا آيات الحج، وقال ﷺ حاثًّا على التلبية والذكر: «ما أهل مهل ولا كبر مكبر قط إلا بُشِّر»[20] وقد روي أن النبي ﷺ سئل: «أي الحاج أفضل؟ قال: أكثرهم لله ذكرًا»[21].

٣ - بذل المعروف: قال ابن رجب: «ومن أجمع خصال البر التي يحتاج إليها الحاج: ما وصى به النبي ﷺ أبا جُرَيّ الهجيمي فقال: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تعطي صلة الحبل، ولو أن تعطي شِسْع النعل، ولو أن تنحي الشيء من طريق الناس يؤذيهم، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منطلق، ولو أن تلقى أخاك المسلم فتسلم عليه، ولو أن تؤنس الوَحشان في الأرض»[22] وفي الحديث الآخر: قيل: يا رسول الله، من أحب الناس إلى الله؟ قال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس».

٤ - الدعوة إلى الله (عز وجل):

ينتشر الجهل بين الحجيج، وتنتشر بدع ومنكرات وأخطاء كثيرة في الحج، مما يوجب على العلماء والدعاة القيام بما يجب عليهم من إرشاد، ونصح، وتوجيه، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، قال شجاع بن الوليد: «كنت أحج مع سفيان، فما يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذاهبًا وراجعًا»[23].

٥ - الدعاء والمسألة:

الحج من مواسم المسألة والدعاء العظيمة

التي ينبغي استغلالها والتضرع بين يدي الله فيها، قال ﷺ : «خير الدعاء دعاء عرفة»[24] وقال ﷺ : «الحجاج والعمار وفد الله، دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم»[25].

سادسًا : الاستقامة .. الاستقامة :

ودليل الحج المبرور استقامة المسلم بعد الحج، ولزومه الطاعة وتركه للمعصية، قال الحسن البصري : «الحج المبرور : أن يرجع زاهدًا في الدنيا، راغبًا في الآخرة، ويشهد لذلك قوله (تعالى): ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد : 17]».

فلتحذر أخي من أن تهدم ما بنيت، وتشتت ما جمعت، وتبدد ما حَصَّلت، فتنتكس بعد الاهتداء، وترتكس بعد النقاء.

وتذكر أن الحج يهدم ما قبله من ذنوب، وأنك بحجك ترجع كيوم ولدتك أمك، فإياك أن تقابل الله بعد هذه النعمة بالمعصية، و افتح صفحة جديدة من حياتك مع الله (عز وجل) ملؤها الطاعة، وعنوانها الاستقامة.. والله يتولاني وإياك.

الهوامش :

١ – البخاري مع الفتح، ح/١٧٧٣ .
٢ – انظر : لطائف المعارف ، ص٤١٠ .
٣ – مسلم، ح/٢٥٥٣ .
٤ – انظر : الفتح ، جـ٤ ص٤٤٦ .
٥ – فتح الباري، جـ٣ ص٤٤٦ .
٦ – مصنف عبد الرزاق ، ح/٨٨٣٦ ، وانظر : أنوار الحج للقاري ص٥٥ .
٧ – مسلم، ح/٢٩٨٥ .
٨ – ابن ماجة ، ح/٢٨٩٠ ، وانظر : صحيح سنن ابن ماجة ح/١٧١٨ .
٩ – مسلم ، ح/١٧١٨ .
١٠ – مسلم ، ح/١٢٩٧ .
١١ – البخاري مع الفتح، ح/١٦١٠ .
١٢ – المعجم الأوسط للطبراني، ح/٥٢٢٤ ، وجاء في مجمع الزوائد : «وفيه سليمان بن داود اليمامي وهو ضعيف» (جـ١٠ ص٢٩٢) .
١٣ – مسلم، جـ٢ ص٧٠٣ .
١٤ – البخاري مع الفتح، ح/٧١ .
١٥ – البخاري مع الفتح، ح/١٥٤٩ .
١٦ – البخاري، ح/١٦٧١ .
١٧ – انظر : لطائف المعارف ، ص٤١١ .
١٨ – الترمذي، ح/٩٠٢ .
١٩ – بدائع الفوائد، جـ٣ ص٣٣٠ .
٢٠ – المعجم الأوسط للطبراني، ح/٧٧٧٥ ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ، ح/٥٥٦٩ .
٢١ – المسند، جـ٣ ص٤٣٨ ، وهو ضعيف .
٢٢ – لطائف المعارف ، ص٤١١ .
٢٣ – سير أعلام النبلاء ، جـ٧ ص٢٥٩ .
٢٤ – الترمذي : ح/٣٥٨٥ ، وانظر : صحيح سنن الترمذي ، ح/٨٣٧، والجواب الكافي ، ص١٠١ .
٢٥ – انظر : صحيح الجامع، ح/٣١٧٣ ، وقال الألباني : حسن .

مصادر التفسير: (٣)

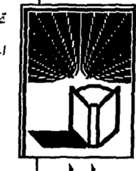
تفسير الصحابة للقرآن

ـ الحلقة الثانية ـ

بقلم: مساعد بن سليمان الطيار

كانت الحلقة السابقة هي الأولى من تفسير الصحابة، والرابعة من هذه السلسلة ، وقد تحدث فيها الكاتب عن : قدر الصحابة، ثم عن أهمية تفسيرهم ، ويواصل في هذه الحلقة بقية الموضوع .

ـ البيان ـ



مصادر الصحابة في التفسير :

للتفسير مرجعان :

الأول : ما يَرْجِعُ إلى النقل .

والثاني : ما يرجع إلى الاستدلال[1] .

ويمكن توزيع مصادر الصحابة على هذين المرجعين ؛ لأن تفاسير الصحابة: منها ما يرجع إلى النقل ، ومنها ما اعتمدوا فيه على استنباطهم ، وهم فيه مجتهدون .

تفصيل مصادر الصحابة:

أولاً : ما يرجع إلى النقل ، ويندرج تحته قسمان:

الأول : ما يرجع إلى المشاهدة ، وتحته ما يلي :

١ ـ أسباب النزول .

٢ ـ أحوال من نزل فيهم القرآن .

وهذان بينهما تلازم في حالة ما إذا كان سبب النزول متعلقاً بحال من أحوال من نزل فيهم القرآن .

الثاني : ما يرجع إلى السماع ، ويندرج تحته ما يلي :

١ ـ ما يروونه عن النبي ﷺ من التفسير النبوي الصريح .

٢ ـ ما يرويه بعضهم عن بعض .

٣ ـ ما يروونه من الغيبيات .

ثانياً : ما يتعلق بالفهم والاجتهاد

(الاستدلال) ، ويندرج تحته ما يلي :

١ ـ تفسير القرآن بالقرآن .

٢ ـ تفسير القرآن بأقوال الرسول ﷺ مما ليس نصًا في التفسير .

٣ ـ التفسير اللغوي (المحتملات اللغوية) .

٤ ـ المحتملات المرادة في الخطاب القرآني، أو ما يرجع إلى احتمال النص القرآني أكثر من معنى .

تفصيل هذه المصادر :

أولاً : ما يَرْجِعُ إلى النَّقْلِ :

الأول : ما يتعلق بالمشاهدة :

ويعتبر هذا مما تميَّز به الصحابة (رضي الله عنهم)؛ لأن المشاهدة لا يمكن أن تتأتَّى لغيرهم ؛ ولذا: فإن الأصل أن ما ورد من هذا الباب فإن مَحَلَّهُ القبول بلا خلاف .

ويدخل فيما يتعلق بالمشاهدة ما يلي:

١ ـ أسباب النزول :

لقد سبق الحديث عن أن مشاهدتهم لأسباب النزول كانت من أهم أسباب رجوع من جاء بعدهم إلى تفسيرهم ، والاعتماد عليه في فهم الآية .

والمراد بسبب النزول : ما كان صريحًا في السببية ، ويظهر ذلك من خلال النصِّ المروي في السبب ؛ كأن يقول الصحابي : كان كذا وكذا فنزلت الآية ، أو يقع سؤال فينزل جوابه، أو غيرها مما يمكن معرفته من خلال النص بقرائن تدل على السببية الصريحة .

٢ ـ معرفة أحوال من نزل فيهم القرآن :

إن معرفة هذه الأحوال تفيد في درايتهم بقصة الآية ، الذي هو أشبه بسبب النزول ، بحيث لو فقدت هذه المعرفة لوقع الخطأ في فهم المراد بالآية ، كما وقع لعروة بن الزبير (رضي الله عنه) في فهم قوله (تعالى) : **﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا .. ﴾** [**البقرة**: ١٥٨] .

قال عروة : « قلت لعائشة زوج النبي ﷺ ـ وأنا يومئذ حديث السِّن ـ أرأيتِ قول الله (تبارك وتعالى) : **﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا .. ﴾** [**البقرة**: ١٥٨] فما أرى على أحدٍ شيئًا ألا يطَّوف بهما .

فقالت عائشة : كَلاً ، لو كانت كما تقول كانت: (فلا جناح عليه أن لا يطوَّف بهما) ، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار :

كانوا يُهلُّون لمناة ـ وكانت مناة حَذْوَ قُدَيد ـ وكانوا يتحرَّجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ..﴾ [البقرة:١٥٨]» [٢] .

ويلحظ من هذا المثال: أن سبب النزول قد يكون من أجل حالٍ من أحوال من نزل فيهم الخطاب من العرب أو اليهود ، وبهذا يكون المثال صالحًا للتمثيل به في الأمرين .

ومما نزل بسبب حال من أحوال اليهود ، ما روى جابر (رضي الله عنه) قال : « كانت اليهود تقول : إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول ، فنزلت : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ..﴾ [البقرة:٢٢٣][٣].

تنبيه :

للصحابة فيما يتعلق بالمشاهدة حالتان :

الأولى : أن يكون الصحابي ممن حضر سبب النزول ، أو عايش الأحوال التي نزل بشأنها القرآن ، وهذا هو الذي ينطبق عليه الحديث هنا .

الثانية : أن يكون سمعه من صحابي آخر، وبهذا فإنه يدخل في القسم الذي بعده.

الثاني : ما يتعلق بالسماع :

يشمل هذا القسم كل الروايات التي يرويها الصحابي عن غيره ، ويدخل في هذا القسم ما يلي :

١ ـ الرواية عن الرسول ﷺ :

والمراد به : ما يروونه من التفسير النبوي الصريح ، وقد يقع تفسيره جوابًا لأسئلتهم ، أو أن يفسِّر لهم ابتداءً .

* ومن الأول : ما رواه مسلم في تفسير قوله (تعالى) : ﴿.. لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ..﴾ [التوبة: ١٠٨] عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : « مرَّ بي عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري قال : قلت له : كيف سمعت أباك يذكر المسجد الذي أسس على التقوى ؟.

قال : قال أبي : دخلت على رسول الله ﷺ في بيت بعض نسائه ، فقلت : يا رسول الله ، أيُّ المسجدين الذي أسس على التقوى؟ قال : فأخذ كفًّا من حصباء فضرب به الأرض ، ثم قال : هو مسجدكم هذا، لمسجد المدينة .

دراسات قرآنية

قال : فقلت : أشهد أني سمعت أباك هكذا يذكره »[4].

* ومن الثاني : ما رواه البخاري عن أبي ذرٍّ، قال : « كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس ، فقال : يا أبا ذر ، أتدري أين تغيب الشمس ؟.

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فذلك قوله (تعالى) :

﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ »[5] .

٢ ـ ما يرويه الصحابي عن الصحابي :

قد تكون الرواية عن الصحابي مجردة من السؤال ، بحيث يورد الصحابي تفسير الصحابي إيراداً من غير سؤال ، أو تكون عن سؤالٍ ؛ ومنه: ما رواه البخاري عن ابن عباس في قوله (تعالى) :

﴿ .. وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم : ٤] .

قال ابن عباس : أردت أن أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ ، فمكثت سنة ، فلم أجد له موضعاً ، حتى خرجت معه حاجًّا، فلما كنَّا بظهران ذهب عمر لحاجته ، فقال : أدركني بالوضوء ، فأدركته بالإداوة ، فجعلت أسكب عليه ، ورأيت موضعاً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، من المرأتان اللتان تظاهرتا ؟

قال ابن عباس : فما أتممت كلامي حتى قال : عائشة وحفصة »[6] .

ويدخل في باب الرواية: ما كان من أسباب النزول ، أو أحوال من نزل فيهم القرآن ، إذا كان الصحابي لم يحضر السبب أو الحال ، فإن طريقه في ذلك: الرواية ، وروايته مقبولة في ذلك، وإن لم ينسبها إلى من رواها له من الصحابة، وذلك لأن الصحابة عدول باتفاق الأمة .

ويمكن التمثيل لهذا بما يرويه صغار الصحابة أو من تأخر إسلامهم من أحداثٍ لم يحضروها أو يعاصروها .

ومن أمثلة ذلك: ما رواه أبو هريرة وابن عباس في تفسير قوله (تعالى) : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء :٢١٤] من أن رسول الله ﷺ صعد الصفا، ونادى بطون قريش .. إلى آخر الحديث[7] .

وذلك أن أبا هريرة أسلم في المدينة، وابن



عباس ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، والحدث الذي يرويانه في تفسير الآية كان بمكة ، وكان في أوائل سنيٍّ البعثة .

٣ ـ ما يروونه من المغيَّبات :

تشمل الأمور الغيبية ما مضى ، وما سيكون ، والأخبار الماضية إما أن يكون مصدرها الرسول ﷺ ، وهذا هو المراد، وإما أن يكون مصدرها أهل الكتاب ، وهذا يدخل في البحث السابق .

أما الأخبار المستقبلية ، فالغالب أنها عن رسول الله ﷺ، وقد يرد منها ما هو عن أهل الكتاب .



وها هنا مسألة تحتاج إلى بحث ، وهي : كيف نُميِّز ما روي عن أهل الكتاب مما روي عن النبي ﷺ ؟ .

الجواب : (................)* .

هذا .. وما يُروى عن أهل الكتاب، فقد اصطلح العلماء على تسميته بـ (الإسرائيليات) . وهي عند الصحابة على قسمين من حيث التحمُّل في الرواية :

الأول : السماع منهم ، وهذا يأخذونه عن بعض مسلمة أهل الكتاب : كابن سلام من الصحابة، وكعب الأحبار وأبي الجلد من التابعين .

ويظهر من استقراء المرويات الإسرائيلية أن الصحابة لا يسندون مروياتهم ـ في الغالب ـ مما يجعل الباحث لا يجزم بالأخذ المباشر عن مُسلمة بني إسرائيل ، بل قد يكون مما اطّلعوا عليه وقرؤوه ، والله أعلم .

ومن أمثلة الرواية عن عبد الله بن سلام: ما رواه ابن مُجلِّز ، قال : « جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام ، فسأله عن الهدهد، لم تفقَّده سليمان من بين الطير ؟ .

فقال عبد الله بن سلام : إن سليمان نزل منزلة في مسير له ، فلم يَدْرِ ما بُعْدُ الماء ، فقال : من يعلم بُعْدَ الماء ؟ ، قالوا : الهدهد ، فذلك حين تفقَّده » (٨) .

الثاني : ما يكون من طريق الوجادة ، وهو ما يقرؤونه من كتب أهل الكتاب ، كما حصل لعبد الله بن عمرو بن العاص من إصابته زاملتين فيها كتبٌ من كتب أهل الكتاب (٩) .

استطْرَادٌ :

مما يحسن توجيه النظر إليه في هذا المبحث ، أن بعض المعاصرين قد شنَّ غارة على وجود مرويات بني إسرائيل في تفسير الصحابة ، وعدَّ ذلك من عيوب تفسيرهم .

والذي يجب التنبُّه له أن الحديث عن الإسرائيليات يَطَال سلف الأمة من المفسرين : صحابةً، وتابعين ، ولقد كان هؤلاء أعلم

الناس بالتفسير ، وأعظم الذائدين عن الدين كل تحريف وبطلان .

لقد تجوَّز سلف هذه الأمة في رواية الإسرائيليات ، أفلم يكونوا يعرفون حكم روايتها ومنزلتها في التفسير ؟ .

ألم يكونوا يميِّزون هذه الإسرائيليات التي استطاع المتأخرون تمييزها؟! ، وإذا كان ذلك كذلك؟ فما الضرر من روايتها ؟ .

ألا يكفي المفسر بأن يحكم على الخبر بأنه إسرائيلي ، مما يجعله يتوقف في قبول الخبر ؟ .

إن بحث (الإسرائيليات) يحتاج إلى إعادة نظر فيما يتعلق بمنهج سلف الأمة في روايتهم لها ، ومن أهم ما يجب بحثه في ذلك ما يلي :

١ ـ جَمْعُ مروياتهم فيها ، وجَعْلُ مرويات كل مفسرٍ على حدَة .

٢ ـ محاولة معرفة طريق تحمُّل المفسر لها ، وكيفية أدائه لها ، فهل كان يكتفي بعرضها ثقةً منه بتلاميذه الناقلين عنه ؟ .

أو هل كان ينقدها ، ويبين لتلاميذه ما فيها؟ .

٣ ـ ما مدى اعتماد المفسر عليها ؟ .

وهل كان يذكرها على سبيل الرواية لما عنده في تفسير هذه الآية ، من غير نظر إلى صحة وضعف المروي ؟ .

أوْ هل كان يرويها على سبيل الاستئناس بها في التفسير ؟ .

أو هل يعتمد عليها ، ويبني فهم الآية على ما يرويه منها ؟ .

تلك المسائل وغيرها لا يتأتَّى إلا بعد جمع المرويات ، واستنطاقها لإبراز جوابات هذه الأسئلة وغيرها مما يمكن أن يثُورَ مع البحث .

ثم بعد هذا يمكن استنباط منهج السلف وموقفهم من الإسرائيليات في التفسير . والله أعلم .

---

١ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « العلم : إما نقلٌ مُصَدَّقٌ ، وإما استدلال محقَّقٌ » (مقدمة في أصول التفسير، ص٥٥) .

٢ ـ رواه البخاري (فتح الباري، جـ٨ ص٢٤ ـ ٢٥) .

٣ ـ رواه البخاري (فتح الباري، جـ٨ ص٣٧) .

٤ ـ رواه مسلم في صحيحه (رقم ١٣٩٨) .

٥ ـ انظر : البخاري (فتح الباري ، جـ٨ ص٤٠٢) .

٦ ـ رواه البخاري (فتح الباري، جـ٨ ص٥٢٧) .

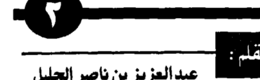
٧ ـ انظر روايتهما في : صحيح البخاري (فتح الباري، جـ٨ ص ٣٦٠) .

* ـ جواب هذا السؤال يحتاج بحثًا خاصًا، والمراد هنا الإشارة إلى هذا الإشكال فقط.

٨ ـ تفسير الطبري ، جـ١٩ ص ١٤٣ . وانظر : سؤال ابن عباس لأبي الجلد في تفسير الطبري: جـ١ ص ١٥١ ، ١٣ ، ١٢٣ .

٩ ـ رواه البخاري (فتح الباري، جـ١ ص١٦٧) .

من ثمرات اليقين باليوم الآخر



بقلم : عبد العزيز بن ناصر الجليل

تطرق الكاتب في الحلقة الأولى إلى بعض ثمار الإيمان باليوم الآخر ، وهي : الإخلاص لله (تعالى) والمتابعة للرسول ﷺ، والحذر من الدنيا، والزهد فيها، والصبر على شدائدها ، والتزود بالأعمال الصالحة وأنواع القربات، واجتناب المعاصي، ويواصل الكاتب في هذه الحلقة ما تبقى من هذا الموضوع .

ـ البيان ـ



٤ - الدعوة إلى الله (عز وجل) والجهاد في سبيله :

وهذا يدخل في الثمرة السابقة، حيث إنه من أفضل القربات والأعمال الصالحة، وقد أفردته هنا باعتباره ثمرة مستقلة من ثمار اليقين باليوم الآخر، وذلك لما يلي :

(أ) فضل الجهاد والدعوة إلى الله (سبحانه) وأثرهما في إنقاذ الناس - بإذن ربهم - من الظلمات إلى النور، ولذلك كان من أحب الأعمال إلى الله (عز وجل)، قال (تعالى) : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت : ٣٣]

(ب) وصف الرسول ﷺ للجهاد بأنه ذروة سنام الإسلام.

في الجهاد أيضاً : حقيقة الزهد في الحياة الدنيا، وفيه أيضاً : حقيقة الإخلاص؛ فإن الكلام فيمن جاهد في سبيل الله، لا في سبيل الرياسة، ولا في سبيل المال، ولا في سبيل الحمية.. وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هي العليا، وأعظم مراتب الإخلاص: تسليم النفس والمال للمعبود، كما قال (تعالى) : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

(ج) في الحديث عن الجهاد في سبيل الله (عز وجل) ومحاربة الفساد وتعبيد الناس لرب العالمين أكبر رد على الذين يرون أن التعلق باليوم الآخر والاستعداد له يعني اعتزال الناس، وترك الدنيا لأهلها، والاشتغال بالنفس وعيوبها، وترك الحياة يأسن فيها أهلها.

نعم هذا ما يراه بعض المتصوفة وأصحاب الفهم المنحرف لحقيقة الدنيا والآخرة.. «[لقد كان] الناس في فترات من الزمان يعيشون سلبيين، ويَدَعون الفساد والشر والظلم والتخلف والجهالة تغمر حياتهم الدنيا - مع ادعائهم الإسلام - هم يصنعون ذلك كله أو بعضه لأن تصورهم للإسلام قد فسد وانحرف؛ ولأن يقينهم في الآخرة قد تزعزع وضعف! لا لأنهم يدينون بحقيقة هذا الدين... فما يستيقن أحد من لقاء الله في الآخرة؛ وهو يعي حقيقة هذا الدين، ثم يعيش في هذه الحياة سلبيًّا أو متخلفًا أو راضيًا بالشر والفساد. إنما يزاول المد لم هذه الحياة الدنيا وهو يشعر أنه أكبر منها وأعلى، ويستمتع بطيباتها أو يزهد فيها وهو يعلم أنها حلال في الدنيا خالصة له يوم القيامة...، ويكافح الشر والفساد والظلم محتملاً الأذى والتضحية حتى الشهادة، وهو إنما يقدم لنفسه في الآخرة... إنه يعلم من دينه أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن ليس هنالك طريق للآخرة لا يمر بالدنيا، وأن الدنيا صغيرة زهيدة، ولكنها من نعمة الله التي يجتاز منها إلى نعمة الله الكبرى»[(١)].

٥ - اجتناب الظلم بشتى صوره :

نظرًا لكثرة الظلم والشحناء بين المسلمين في عصرنا الحاضر، وأنه لا شيء يمنع النفس من ظلم غيرها في نفس أو مال أو عرض: كاليقين بالرجوع إلى الله (عز وجل)، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإنصاف المظلوم ممن ظلمه، فإذا تذكر العبد هذا الموقف العصيب الرهيب، وأنه

لا يضيع عند الله شيء، كما قال (تعالى): ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقوله (تعالى) ﴿وقد خاب من حمل ظلماً﴾ [طه: ١١١]، إذا تذكر هذه المواقف واتعظ بهذه الآيات، وأيقن بتحققها فلا شك أن ذلك سيمنعه من التهاون في حقوق الخلق، والحذر من ظلمهم في دم أو مال أو عرض، خاصة وأن حقوق العباد مبنية على المشاحة والحرص على استيفاء الحق من الخصم، وبالذات في يوم الهول الأعظم الذي يتمنى العبد فيه أن يكون له مظلمة عند أمه وأبيه وصاحبته وبنيه، فضلاً عن غيرهم من الأباعد، ومعلوم أن التقاضي هنالك ليس بالدينار والدرهم ولكن بالحسنات والسيئات.

فياليتنا نتذكر دائماً يوم الفصل العظيم، يوم يفصل الحكم العدل بين الناس، ويقضي بين الخصماء بحكمه وهو أحكم الحاكمين، ليتنا لا نغفل عن هذا المشهد العظيم، حتى لا يجور بعضنا على بعض، ولا يأكل بعضنا لحوم بعض، ولا نتكلم إلا بعلم وعدل، إنه لا شيء يمنع من ذلك كله إلا الخوف من الله (عز وجل) وخوف الوقوف بين يديه، واليقين الحق بأن ذلك كائن في يوم لا ريب فيه؛ قال (تعالى): ﴿إنك ميت وإنهم ميتون (٣٠) ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١].

٦ - حصول الأمن والاستقرار والألفة بين الناس بالحكم بشريعة الله:

إن مجتمعاً يسود بين أهله الإيمان بالله (عز وجل) واليقين بالآخرة والجزاء والحساب، لا شك أنه مجتمع تسوده المحبة ويعمه السلام؛ لأن تعظيم الله (سبحانه) سيجعل هذه النفوس لا ترضى بغير شرع الله (عز وجل) بديلاً، ولا تقبل الاستسلام إلا لحكمه، وهذا بدوره سيضفي الأمن والأمان على مثل هذه المجتمعات، لأن أهلها يخافون الله ويخافون يوم الفصل والجزاء، فلا تحاكم إلا لشرع الله، ولا تعامل إلا بأخلاق الإسلام الفاضلة: فلا خيانة ولا غش ولا ظلم، ولا يعني هذا أنه لا يوجد في المجتمعات المسلمة

من يظلم أو يخون أو يغش، فهذا لم يسلم منه عصر النبوة ولا الخلافة الراشدة، لكن هذه المعاصي تبقى فردية، يؤدَّب أفرادها بحكم الله (عز وجل) وحدوده، إذا لم يردعهم وازع الدين والخوف من الله، والحالات الفردية تلك ليست عامة، أما عندما يقل الوازع الديني والخوف من الآخرة، ويكون التحاكم إلى أهواء البشر وحكمهم فهذا هو البلاء العظيم والفساد الكبير : حيث تداس القيم والحرمات، ويأكل القوي الضعيف، وبالتالي : لا يأمن الناس على أديانهم ولا أنفسهم ولا أموالهم ولا أعراضهم، وكفى بذلك سبباً في عدم الأمن والاستقرار، وانتشار الخوف، واختلال حياة الناس .

٧ - تقصير الأمل وحفظ الوقت :

إن من أخطر الأبواب التي يدخل منها الشيطان على العبد : طول الأمل، والأماني الخادعة التي تجعل صاحبها في غفلة شديدة عن الآخرة، واغترار بزينة الحياة الدنيا، وتضييع ساعات العمر النفيسة في اللهث وراءها حتى يأتي الأجل الذي يقطع هذه الآمال، وتذهب النفس حسرات على ما فرطت في عمرها، وأضاعت من أوقاتها . ولكن اليقين بالرجوع إلى الله (عز وجل) والتذكر الدائم لقصر الحياة وأبدية الآخرة وبقائها ، هو العلاج الناجع لطول الأمل وضياع الأوقات .

يقول ابن قدامة (رحمه الله) : «واعلم أن السبب في طول الأمل شيئان :

أحدهما : حب الدنيا، والثاني : الجهل.

أما حب الدنيا : فإن الإنسان إذا أنس بها وبشهواتها ولذاتها وعلائقها، ثقل على قلبه مفارقتها، فامتنع من الفكر في الموت، الذي هو سبب مفارقتها، وكل من كره شيئاً دفعه عن نفسه . . .

السبب الثاني : الجهل، وهو أن الإنسان يعول على شبابه، ويستبعد قرب الموت مع الشباب، أو ليس يتفكر المسكين في أن مشايخ بلده لو عدوا كانوا أقل من العشرة ؟ وإنما قلوا لأن الموت في الشباب أكثر، وإلى أن يموت شيخ قد يموت ألف صبي وشاب، وقد

يغتر بصحته، ولا يدري أن الموت يأتي فجأة، وإن استبعد ذلك»[٢].

٨- سلامة التفكير وانضباط الموازين وسمو الأخلاق :

لا يستوي من يؤمن بالله واليوم الآخر ويوقن بيوم الحساب والجزاء ولا يغفل عنه، ومن لا يؤمن بالآخرة ، أو يؤمن بها ولكنه في لهو وغفلة عنها، لا يستويان أبداً في الدنيا ولا في الآخرة، أما في الآخرة فيوضحه قوله (تعالى) : ﴿ **لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾[الحشر : ٢٠].

وأما في الحياة الدنيا فلا يلتقي أبداً من يعلم أن له غاية عظيمة في هذا الحياة، وأن مرده إلى الله (عز وجل) في يوم الجزاء والحساب والنشور، مع من لا يعلم من هذه الحياة الدنيا إلا ظاهرها، وأنها كل شيء عنده، وهو عن الآخرة من الغافلين.

إنهما لا يلتقيان في التفكير، ولا في الميزان الذي توزن به الأشياء والأحداث، ولا في الأحكام، وبالتالي : فبقدر ما تسمو أخلاق الأول وتعلو همته لسمو منهجه وميزانه بقدر ما تسفل وترذل أخلاق الآخر لسفالة تصوره وفساد ميزانه.

قال (تعالى) في وصف أهل الدنيا : ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ [الروم : ٧].

٩ - الفوز برضا الله (سبحانه) وجنته، والنجاة من سخطه والنار :

وهذه ثمرة الثمار، وغاية الغايات، ومسك الختام في مبحث الثمار، قال (تعالى) : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [آل عمران : ١٨٥].

يقول الشيخ السعدي (رحمه الله تعالى) عند قوله (تعالى) : ﴿ **فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ** ﴾ : «أي : حصل له الفوز العظيم بالنجاة من العذاب الأليم، والوصول إلى جنات النعيم، التي فيها : ما لا عين

رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ ومفهوم الآية: أن من لم يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فإنه لم يفز، بل قد شقي الشقاء الأبدي، وابتلي بالعذاب السرمدي، وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه، وأن العاملين يجزون فيه بعض الجزاء مما عملوه، ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه»(٣).

اللهم إنا نسألك بأن لك الحمد، أنت المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، ونسألك أن لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، يا حي يا قيوم، يا أرحم الراحمين.

---

(١) اليوم الآخر في ظلال القرآن، ص٦.

(٢) مختصر منهاج القاصدين، ص٣٦٧ - ٣٦٨.

(٣) تفسير السعدي، جـ١ ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

الحق والباطل

• محمد العبدة •



وُصِفَ الباطل في القرآن الكريم بأنه (زهوق) ،أي : من طبيعته أن يتلاشى ويضمحل ، وتخرج أنفاسه مرة بعد مرة ، والتعبير بالفعل الثلاثي (زهق) دليل على أن الهلاك من طبيعته ، ومن معاني الحق: الثبات والصحة، ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ [الزمر : ٥]، ﴿ وكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر : ٣] ، « أي : كل شيء إلى غاية، فالحق يستقر ثابتًا ظاهرًا، والباطل يستقر زاهقًا ذاهبًا »(١) ، وهذا من سنن الله الكونية والشرعية ، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء : ١٨] وقد جرت سنته في خلقه بأن الضعيف ينتصر بالحق على القوي ، وأن الحق أكبر من أن يُكافح، ولئن ثبت الباطل أمامه مرة ، فقلما يثبت أخرى ﴿ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ ﴾ [الشورى : ٢٤]، أي : من عادته ذلك ، وقال (تعالى) : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس : ٨١] أي: لا يثبته ولايديمه، ولكن يسلط عليه الدمار .

فإذا كانت هذه سنته في خلقه ، وإذا كان الباطل بهذه المثابة وهذه المنزلة ، فلماذا نجد أهل الحق مدفوعين مقموعين؟ ولماذا نجد أن حقوقهم مهضومة وأمورهم ضعيفة ؟ ولماذا نرى الباطل قويًا منتفشًا ، قد زرع الأرض طولاً وعرضًا ، وصال وجال حتى ظُن أن لن يبيد ! ... أيتغلب الباطل على الحق ؟ والكون كله قائم على الحق ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً ﴾ [آل عمران : ١٩١] ونواميس الطبيعة

وقوانينها قائمة على الحق ، والشريعة المنزلة قائمة على الحق، فالكل من عند الله .

لا بد أن المسلمين مقصرون في اتباع الحق والتمسك به ، فسنن الله لا تتخلف ﴿ ومَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً ﴾ [طه : ١١٢]، بل إن المسلمين يقومون بأعمال تفسد عليهم أصل الحق الذي معهم، حتى كثر الباطل في هذه الأيام ، وعربد وتكبر « وإنما ثبات الباطل وتماسكه إنما يكون بالتوكؤ على أركان من الحق : كالنظام ، ومراعاة سنن الله في الخلق ، والأخلاق والسجايا الفاضلة ، كالصدق والأمانة ، فالحق ثابت في نفسه ، والباطل ثابت به، فلو تداعت أركان الحق عند هؤلاء لسقط الباطل »[٢] ومن الأشياء المشاهدة لكل ذي بصيرة ، والتي يراها الإنسان في كل آن : أن العاقبة للمتقين، لأهل الصدق والعدل والأمانة ، وإن ظهر في البداية أهل الظلم والفساد .

---

(١) تفسير ابن عطية، جـ١٤ ص١٤٢ .

(٢) مجلة المنار ، مجلد ٢ ص ٦٤٦ . .

الفاعلية .. طريق الحضارة

محمد محمد بدري



الإنسان - في أي أمة - هو أساس الحضارة ، وصعود حضارة أو هبوطها دائمًا ما يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمدى فاعلية الإنسان ، فإذا اتسم سلوك الإنسان - في أي أمة - بالفاعلية ، كان النهوض الحضاري لهذه الأمة .. أما إذا انعدمت فاعلية الإنسان، وتوارى جهده فإن مستقبل هذه الأمة لا يحمل لها إلا التخلف والانحطاط الحضاري .

ولقد كان (الإنسان) في الأمة الإسلامية هو مدار الحركة الحضارية ، وتمثل حياة رسول الله ﷺ وصحابته الكرام والأجيال الأولى من المسلمين هذه الحقيقة تمثيلاً واضحاً .

وإذن : فقد كان الإنسان حاضراً ومؤثراً في بناء الحضارة الإسلامية ..

وإلا « فمن الذي دخل في الصراع مع الشرك حتى قضى عليه ؟، من الذي نشر الإسلام وما جاء به من الهداية والحق والعدل والخير ؟، دماء مَنْ جرت في سبيل إنقاذ الإنسان المسحوق من عبادة العباد وهدايته إلى عبادة الله وحده ؟ ، من الذي ترجم نتاج الحضارات الأخرى ، واستخرج منها حضارة مستقلة بصبغة إسلامية ؟..

ألم يفعل كل ذلك وغير ذلك (الإنسان) المسلم الذي كرمه الإسلام وأعاد إليه حقيقته الإنسانية في الواقع والحياة بعد أن كان مستلبًا ، عبداً للشركاء والأنداد » (1).

لقد فهم الصحابة (رضوان الله عليهم) والأجيال الأولى من المسلمين: أن منهاج الله الذي أنزله على

رسوله ﷺ ، هو منهاج للحياة البشرية «يتم تحقيقه في حياة البشر أنفسهم في حدود طاقتهم البشرية ، وفي حدود الواقع المادي للحياة الإنسانية في كل بيئة، ويبدأ العمل من النقطة التي يكون البشر عندها، حينما يتسلم مقاليدهم ، ويسير بهم إلى نهاية الطريق في حدود طاقتهم البشرية، وبقدر ما يبذلونه من هذه الطاقة [٢]» وليس بطريقة خارقة غامضة الأسباب !!.

ومن هنا : كانت حركة المسلمين الأوائل في سبيل بناء الأمة الإسلامية والحضارة الإسلامية تقوم على أساس أن العمل وحده هو الذي يخط مصير الأمة في واقع الحياة ، وأن عرق الأحياء في عمل جماعي مشترك هو الذي يتكفل ببناء حضارة هذه الأمة ، وأن وجود الحق في الأمة - وحتى الانتساب إليه - لا يكفي في التمكين له في الأرض، إلا أن يكون من يحمل هذا الحق (يعمل) من أجل تمكينه ونصرته .

« وانطلاقا من هذه المقدمة الموجزة ، نصل إلى تحديد معلم مهم من معالم الأزمة التي تمر بها اليوم عقلية كثير من المسلمين ، هذه العقلية التي غدت طافحة بالأفكار النظرية المجردة ، ولكنها ما تزال - على الرغم من ذلك - عاجزة عن وضع هذه الأفكار موضع التنفيذ العملي ، أو هي ما تزال مقصرة في تسخير الأفكار بطريقة واقعية ، تجعلها على أكبر قدر من الفاعلية .. في حين أن أصول هذه الأفكار نفسها قد نهضت في زمن بأمتنا - بل وبالجنس البشري كله - نهضة تفوق الخيال » [٣] .

إن المسلمين يمتلكون نظرية صحيحة ومنهجًا متكاملاً، منّ الله به عليهم يوم أكمل لهم الدين وأتم عليهم نعمته ، ولكنهم في واقع الحياة يعانون من الاستلاب الحضاري وانطفاء الفاعلية .. ولذلك ؛ فإنهم يزحفون وراء غبار الركب البشري مع الزاحفين المنقطعين ..

إن الأفكار تبقى (ميّتة) حتى لو كانت صادقة وصحيحة حين لا تكون ذات (فاعلية) في إطار زمني محدد، والأشياء تصبح باهتة ومجرد أكداس إذا لم تكن متأتية عن حركة الحضارة ومتسقة مع وظيفتها ، والأشخاص يتحولون إلى البداوة وعدم التحضر عند فقدهم للروابط التي تفسر اجتماعهم وعملهم المشترك في سبيل أهدافهم الحضارية .

إن التقدم ـ أوالتخلف ـ لا يعتمد على الأفكار الصحيحة فقط، وإنما يعتمد أيضًا على أسلوب الحياة الذي ينتجه أفراد الأمة في سبيل تحقيق أهدافها ..

ولكي نوضّح أثر أسلوب الحياة على سلوك أفراد الأمة في سبيل تحقيق أهدافها ، نتصور « لو أن أنسانًا سار في البلاد الشرقية الإسلامية ، وتنقل في تطوافه من مدينة جاكرتا متجهًا إلى أقصى الغرب حتى بلغ مدينة طنجة ، ومر في مسيرته هذه على مختلف البلاد الواقعة على محور: جاكرتا / طنجة، لوجد ظواهر اجتماعية تكاد تسيطر على هذه البلاد جمعيها .

ولو أن هذا الإنسان نفسه ـ بعد رحلته الأولى ـ شرع في رحلة ثانية على محور آخر بادئًا من مدينة واشنطن متجهًا إلى موسكو محاولاً زيارة مختلف البلاد التي تقع على هذا المحور لوجد هنالك أيضًا ظواهر اجتماعية تكاد تسيطر على هذه البلاد جميعها، وتختلف اختلافًا تامًا عن الظواهر الأولى .

في البلاد الثانية يلاحظ المتأمل ما يلي :

أ ـ فاعلية هؤلاء الناس وحياتهم المملوءة جدًّا وحرصًا على الوقت وتنظيمه .

ب ـ الاستفادة من هذا الحرص وهذا التنظيم لتكون محصلة العمل الذي يتم أكبر محصلة ممكنة .

جـ ـ ظاهرة التخصص لدى أفراد المجتمع واضحة بالغة حدًّا كبيرًا من الدقة، وفرة الإنتاج لدى هؤلاء وفرة تزيد عن حاجاتهم أضعافًا كثيرة ، وشبيه بهذا المجتمع مجتمع النحل بما فيه من فعالية وتخصص ووفرة في الإنتاج عظيمة .

يقابل هذه الظواهر في المجتمع الأول ما يلي:

١ـ فعالية تكاد تكون منعدمة ، ونظرة إلى الوقت على أنه لا قيمة له .

٢ـ نشاط متجه إلى اللغو والحديث غير المنتج .

٣ـ وبعد هذا كله : فالتخصص مفقود، والجهود مبعثرة .

٤ـ والإنتاج أضأل من حاجات المجتمع، ولذلك: كان هذا المجتمع عالة على المجتمع الثاني في حاجاته الحيوية .

من أجل ما سبق: سمي المجتمع الأول متخلفًا ، والثاني حضاريًا، ولقد امتن أفراد المجتمع الثاني على أفراد المجتمع الأول فرأوا أن يعدلوا عن تسميته متخلفًا إلى تسميته



مجتمعًا آخذًا في النمو[٥] ، ولكن نواياهم الحقيقية مكان ارتياب كبير .

ومن أجل ما سبق : فرض المجتمع الثاني على الأول سبقه وتقدمه ، وبالتالي : وصايته وسيطرته ، كما فرض عليه ضرورة الاقتداء به وإسراع السير للحاق به » [٦] .

إن الإنسان الذي يعيش على محور جاكرتا / طنجة ، يواجه المشكلات نفسها التي يواجهها الإنسان على محور واشنطن/موسكو .. فهو يكدح من أجل قوت أبنائه، ويناضل في سبيل بناء أمته ، ويعمل بصورة ما لتدعيم حضارتها .. فما الذي جعل مجتمعات الإنسان الأول تصنف على أنها مجتمعات متخلفة ، ومجتمعات الإنسان الثاني تصنف على أنها مجتمعات متقدمة ؟ .

لا شك أنها (الفاعلية) في المجتمع الثاني التي دفعت به إلى التقدم ، وغياب هذه الفاعلية في المجتمع الأول هو الذي جعل منه مجتمعا متخلفا ، « فعلى محور (واشنطن/موسكو) توجد ديناميكية خاصة تختلف عن ديناميكية محور (طنجة/جاكرتا)، والفرق منحصر في أن الثرثرة تكثر كلما قل النشاط والحركة ، إذ حيثما يسود الكلام تَبْطُؤ الحركة .. وميزانية التاريخ ليست رصيدًا من الكلام، بل كتل من النشاط المادي، ومن الأفكار التي لها كثافة الواقع ووزنه »[٧] ولذلك : كانت المجتمعات التي لا تمتلك إلا رصيد (الكلام) هي المجتمعات المتخلفة ، وكانت المجتمعات التي تمتلك رصيد (العمل) والنشاط هي المجتمعات المتقدمة .

إنه قد يكون من الأولى للمشتغلين بعملية بعث الأمة الإسلامية وإحيائها من مواتها من الإسلاميين الذين يكتبون ويحاضرون ويتحدثون عن عظمة الإسلام ـ الأمر الذي أصبح يقينًا عند معظم المسلمين اليوم ـ أن يتفقوا ـ ولو مرة واحدة ـ للقيام بعمل حقيقي يبدأ من الإجابة على السؤال الحيوي : لماذا تأخر المسلمون ؟ ولماذا لم يُحدث الإسلام – هذا الدين العظيم – التفاعل والتغيير المطلوبَيْن في واقع الأمة الإسلامية اليوم؟ .

إن الإجابة المحددة عن مثل هذه الأسئلة هي التي تسهم في تغيير واقع الأمة ، وتحقق لها النقلة النوعية نحو التقدم والحضارة .

لقد زعمت القيادات العلمانية في بلاد الإسلام أن الكثافة البشرية للمجتمعات الإسلامية هي السبب الأول في تخلفها.. فهل هذا هو السبب الحقيقي؟.

« والشاهد من هذا كله: أننا ـ نحن المسلمين ـ لم نتعامل إلى الآن مع قضية الكثافة البشرية من منطلق حضاري واقعي، صحيح أن هناك معاناة شديدة في بعض بلدان العالم الإسلامي، ولكن سبب هذه المعاناة ليس في عدد السكان بقدر ما هو في الإدارة الفاسدة السيئة التي تشرف على إدارة الموارد (٨) » .

« إن الأرض الإسلامية من المحيط إلى المحيط هي ـ بقدر من الله ـ أغني بقعة في الأرض وأكثرها خيرات، وقد كانت ـ وماتزال حتى هذه اللحظة ـ لم تستثمر الاستثمار الكامل، الذي يستغل كل مواردها وكل طاقاتها »(٩) ؛ ولذلك: فإن أهل تلك الأرض الإسلامية ـ رغم بترولها، ومعادنها، ومواردها المائية، وقوّتها البشرية ـ هم أفقر أهل الأرض جميعهم وأكثرهم مشكلات ! .

إن السبب وراء فقر الأرض الإسلامية وكثرة مشكلاتها ليس قلة مواردها، وإنما « هو التقاعس، والتواكل، والضعف العلمي، ووهن العزائم، والانصراف عن عمارة الأرض، والرضى بالفقر على أنه قدر من الله لا ينبغي السعي إلى تغييره خوفًا من الوقوع في خطيئة التمرد على قدر الله » (١٠) .

« إنه ليس من الضروري (ولا من الممكن) أن يكون لمجتمع فقير المليارات من الذهب كي ينهض، وإنما ينهض بالرصيد الذي وضعه الله بين يديه: الإنسان، والتراب، والوقت » (١١) .

ولذلك: فإن الجهد الأكبر لا بد أن يوجه لصناعة الرجال الذين يتحركون في الواقع، مستخدمين التراب والوقت والمواهب من أجل بناء نهضة الأمة الإسلامية .

إذن: لابد من التفكير في أمور ثلاثة: في بناء الإنسان بناءً كاملاً، ويعتني في الوقت ذاته بالتراب، والزمن .. « فإذا فُعل ذلك، فإنه حينئذ قد كُوِّن المجتمع الأفضل، وكوِّنت الحضارة التي هي الإطار الذي تتم فيه للفرد سعادته، وللأمة تقدمها » (١٢) .

وإذن: فإن الخطوة الأولى على طريق الحضارة هي التفكير في الإنسان الذي لم



يتحضر بعد ، ومحاولة توفير الشروط التي تحقق له ما ينبغي من الفاعلية التي تؤهله لحمل رسالته وبناء حضارة أمته « فحاجتنا الأولى هي الإنسان الجديد .. الإنسان المتحضر .. الإنسان الذي يعود إلى التاريخ الذي خرجت منه حضارتنا منذ عهد بعيد . وصياغة هذا الجهاز الدقيق الذي يسمي (الإنسان) لا تتم بمجرد إضافة جديدة إلى معلوماته القديمة؛ لأنه سيبقى هو قديمًا في عاداته الفكرية، وفي مواقفه أمام المشكلات الاجتماعية ، وفي فعاليته إزاءها ، وعلى الأخص في (لا فعاليته) »[١٣] التي يدركها كل من ينظر نظرةً فاحصةً إلى واقع الأمة الإسلامية ، مقارنة بغيرها من الأمم ...

ولكي نوضح ما نقصده بقولنا : إن حاجتنا الأولى هي الإنسان الجديد .. الإنسان الفعال .. وأنه لابد من توفير الشروط التي تحقق له ما ينبغي من الفاعلية : ننظر إلى واقع بلد مثل (اليابان) .. ذلك البلد الذي يعيش في منطقة فقيرة في المواد الخام كالبترول والمعادن ، كما أنها ليست استراتيجية من ناحية الوضع الجغرافي ، ولكنه في ظل هذه الظروف الصعبة يتقدم يومًا بعد يوم ، بل ويغزو إنتاجه العالم الغربي ..

« لقد كانت مصر واليابان ذات يوم متأخرتين على مستوى واحد أو متقارب، ودخلتا الخضم في وقت واحد أو متقارب .. فمضت اليابان في الشوط حتى سبقت السابقين الذين تتلمذت عليهم من أهل الغرب ، وتعثرت مصر في خطواتها ، وتخاذلت ، وانتكست عدة مرات .. لماذا ؟!.

أحست اليابان بالحاجة إلى النهوض وهي محتفظة بذاتيتها ، فاعطت من نفسها العزيمة المطلوبة ، وبذلت الجهد المطلوب، وأحست مصر بالحاجة إلى النهوض وهي مسلوبة الشخصية ، فلا شخصيتها الإسلامية كانت حية تدفعها إلى العمل ، ولا اكتسبت ـ وهي في موضع التقليد ـ ذاتية مستقلة ، لأن التقليد يقتل الذاتية ولا ينميها ، ومن ثم: ظلت في مكانها ، أو تحركت خطوات متخاذلة متعثرة ، لا توصّل إلى شيء ذي بال »[١٤] .

إن اليابان بدأ الطريق إلى التقدم ببناء

الإنسان المتحضر والمجتمع المتحضر ، ودرس الحضارة الغربية بالنسبة لحاجاته ، وليس بالنسبة لشهواته، « فالفارق العظيم بين الصلة التي ربطها اليابان بالحضارة الغربية وبين صلتنا بها : أن اليابان وقف من الحضارة موقف التلميذ، ووقفنا منها موقف الزبون!!، إنه استورد منها الأفكار بوجه ونحن استوردنا منها الأشياء بوجه خاص» [١٥] .

والأمة الإسلامية إذا أرادت التقدم، وأحست بضرورة أن تدخل السباق الحضاري ، فإنه لا سبيل لها إلى ذلك إلا أن تقف هذا الموقف المتوازن ، فتدعو إلى الاستفادة مما عند الغرب من تقدم مادي وعلمي وحضاري ، وفي الوقت ذاته تَحْذَر من الذوبان في شخصية الغرب .

« وبمثل هذه الروح يمكن للعالم الإسلامي أن يحل مشاكله ، فحين يسترد ذاتيته المفقودة سيكون أقدر على الاستفادة من تقدم الآخرين المادي والعلمي، أضعاف أضعاف ما يستفيده اليوم وهو في موضع التقليد كالعبيد .. وعندئذ يتقدم ، ويتغلب على (التخلف) الذي يرى البعض أنه العقدة التي لا تحل» [١٦] .



إن الأمة الإسلامية قادرة على أن تنهض من تخلفها وعجزها وهوانها وواقعها الراهن ، كما نهضت اليابان من تحت أنقاض هزائمها وكوارثها ودمارها المادي والمعنوي ، لتصبح رغم ضيق مساحتها ، وحرمانها من الثروات الطبيعية الضرورية .. تصبح الدولة الثانية في العالم بمقياس التقدم الصناعي والتجاري.

ما الذي ينقصنا عن الشعب الياباني الذي لم يكن يملك غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية إلا مدنًا خربة ، وصناعةً مدمرة ، فشق طريقه بعزيمة صادقة ، وإرادة صارمة ووسائل مكافئة للحاجة والأهداف ، حتى غزت صناعته أسواق العالم .. وأصبح الغرب يبحث عن سبيل اللحاق بهذا الشعب .

وكذلك الشعب الألماني، صاحب أقوى دولة أوربية اقتصاديًا .. كيف خرج من الحرب العالمية الثانية ؟.

لقد خرجت ألمانيا من الحرب العالمية الثانية وهي تحمل ذكرى عشرة ملايين قتيل ، ولا تمتلك إلا أنقاض حضارة سادت ثم بادت ، ولكنها بالعمل الجدي البصير المستمر تغلبت على مشاكلها،

وتقدمت ، واستعادت كل قوتها وأكثر ، وأصبحت في سنوات معدودات أهم دولة في أوروبا ، وواحدة من أهم دول العالم في الصناعة والتجارة والاقتصاد والتقدم العلمي ، وأيضًا في دورها وأثرها في حركة المجتمع البشري !.

« إن سر تقدم الأمم يكمن دائمًا في القدرة على تسخير القوى المتاحة ، وإذا أرادت الأمة الإسلامية أن تنهض وتتقدم، فليس أمامها من سبيل إلا أن تتصرف في حدود ما تملك فعلاً ، لا أن تحلم بما هو خارج عن أيديها ، لأن مثل هذه الأحلام لا تثمر في النهاية إلا الحسرة والندامة .

وحين تتصرف الأمة الإسلامية فيما تملك وفق السنن ، التي فطر الله عليها أمور الخلق فإنها بهذا تستثمر الطاقات المتاحة على أحسن وجه » (١٧) .

«إن وطنًا متخلفًا لابد له ـ إذا أراد التقدم ـ أن يستثمر سائر ما فيه من طاقات، يستثمر كافة عقوله وسواعده ودقائقه ، وكل شبر من ترابه ، فتلك هي العجلة الضخمة التي يجب دفعها لإنشاء حركة اجتماعية(١٨)» وبالتالي : حركة حضارية في ذلك الوطن .

إن المتأمل للنماذج التنموية في الأمة الإسلامية ، يجد أن الأنظمة العلمانية القائمة عليها تركز على عنصر رأس المال، بل وتزعم أنه العنصر الوحيد القادر على تحقيق التنمية في دول العالم الإسلامي ، وأنه لا سبيل لهذه الدول للخروج من التخلف إلا باستيراد التقنية!!.

ولا شك أن هذه الطريقة في بناء التقدم لاتقيم تقدمًا حضاريًا ، ولكنها تعطي مظهرًا مزيفًا من التمدين عندما يقيم المخدوعون بهذا الزيف المصانع العملاقة، ثم يستوردون لها كل المعدات من الغرب، بل ويستوردون كوادر العمل في هذه المصانع .

ومن هنا : فإن هذه المصانع والمشروعات التنموية ـ رغم الحجم الكبير للإنفاق فيها ـ لا يكون لها أدنى أثر في تقدم الأمة الحضاري ، وما ذلك إلا لأن (الإنسان) في كل هذه المشروعات كان غائبًا .

إن التنمية الناجحة تعتمد أساسًا على تحول (الإنسان)، ولذلك فلا بد أن يتحول اهتمامنا بالتكنولوجيا ورأس المال إلى(الإنسان) .. كيف نعيد تشكيل عقله وفق المنهج الإسلامي ؟ وكيف نعيد

إليـه الفـاعليـة التي يمنحـه إياها ذلك المنهج؟ وكيف نحرره من روح الاتكالية، وندفعه إلى التطلع إلى التقـدم ؟ .

فإذا استطعنا الإجابة على هذه الأسئلة، فقد وضعنا أقدامنا على أول الطريق للتقدم والخروج بالأمة من مرحلة (القصعة المستباحة) إلى التمكين والريادة.

إن الطريق إلى التقـدم والحضارة والريادة ، يقضي ببتر كل علاقات التبعية للغرب مهما كان نوعها ، وتقبل سائر الصعوبات التي تواجه الإنسان عندما يرشد ويتحمل كامل مسؤولياته .. ولذلك: فإننا إن كنا صادقين في محاولتنا لإخراج أمتنا من التخلف إلى التقدم ، فلا بد لنا من التحرك في هذا الطريق - وإن كان وعراً وصعباً، لنعزم العزمة ونمضي في هذا الطريق ، وليعقد كل منا العزم على أن يقلل شيئًا من تخلف هذه الأمة التي يعيش فيها .. فإذا فعلنا ذلك: فإننا قادرون - إن شاء الله - على أن نلحق بمن سبقونا ، بل وربما نتجاوزهم .

وبكلمة موجزة أقول :

الإنسان هو أساس الحضارة ، ولذلك: يؤكد منهج التغيير الحضاري الإسلامي على صياغة الإنسان المسلم من جديد قبل بناء العمارات وإنشاء المصانع وتعبيد الطرق وتنظيم الحياة المادية، أو معها على الأقل .. بينما تركز الأيديولوجية العلمانية على نقل التكنولوجيا وتغييب الإنسان .

ولا شك أن الواقع خير شاهد على أن هذه الأيديولوجية العلمانية لم تفشل في ردم الهوة الحضارية بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم فقط ، بل إنها ساهمت في زيادة اتساع هذه الهوة ، لأنها كانت تسير بخطوات الغرب نفسها، فردت بضاعة الآخرين إليهم وصبت كل الجهود في محصلته .

وإذن: فالطريق الصحيح للخروج بالأمة الإسلامية من دائرة التخلف : أن نعود إلى منهاج الإسلام في التغيير الحضاري ، فنقوم بتفجير الطاقات الكامنة في الإنسان المسلم ، عندها نمتلك القدرة على القفز فوق كل الحواجز لتحقيق التقدم والإنجاز الحضاري .

إن الأمة الإسلامية لن يكون لها مكان على خريطة المستقبل إلا إذا تاب



أبناؤها من خطيئة الكلام الكثير والعمل القليل ، وإلا إذا شمـر كل منهم عن ساعديه، وتعبد لله في ليله ونهاره بالعمل الكثير . . وبدون ذلك ، تبقى هذه الأمة بين مطرقة الغرب الحاقد وسندان أفعال أبنائها العاجزة ، التي لا تعدو في كثير من الأحيان مجموعة من الكلمات !!.

إن التخلف الذي ترسف فيه أمتنا إنما هو في حقيقته نتيجة لازمة لكسلنا وعجزنا عن المبادأة في أي ميدان . ولا طريق لنا إلى التقدم إلا أن نكون على يقين أن الفاعلية هي طريق الأمم إلى الحضارة .

---

(١) المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري ، د. محسن عبد الحميد، ص ٦٣، ٦٤ .

(٢) المصدر السابق، ص ٦٥, ٦٦.

(٣) هذا الدين ، سيد قطب، ص ٦.

(٤) أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، د . أحمد كنعان ص ٣٣، ٣٤.

(٥) لقد أطلقوا على المجتمعات المتخلفة لفظة (النامية) كي لا تشعر بعمق المأساة ، فلا تتساءل عن سبب تقدم الآخرين وتخلفنا، ولا تتحول الهزيمة النفسية إذا ما أحستها إلى دافع يفجر فيها روح (التحدي) والرفض للواقع المزري؛ مما يجرها نحو التغيير من أجل التقدم والرقي .

(٦) المجتمع الإسلامي ، د. محمد أمين المصري، ص ٣٣ - ٣٥.

(٧) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي ، ص ١٠٨ .

(٨) فقه الدعوة - ملامح وآفاق ، عمر عبيد حسنة، ص ١٧٥.

(٩) واقعنا المعاصر ، محمد قطب، ص ١٨١ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ١٨١ .

(١١) بين الرشاد والتيه ، مالك بن نبي ، ص ٦٠ .

(١٢) تأملات ، مالك بن نبي ، ص ١٧٠

(١٣) تأملات ، مالك بن نبي ، ص ١٩٠ - ١٩١.

(١٤) كيف نكتب التاريخ الإسلامي ؟، محمد قطب ، ص ٢٤٢ .

(١٥) تأملات "مالك بن نبي"، ص ١٨٥ .

(١٦) كيف نكتب التاريخ الإسلامي ؟، محمد قطب، ص ٢٤٤ .

(١٧) أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، د . أحمد كنعان، ص ٥٠ .

(١٨) بين الرشاد والتيه، مالك بن نبي، ص١٧٢ .

رسالتان إلى سعد!! *

الرسالة الأولى

إلى المرابط على ثغر الدعوة ينافح عنها!

أيقظتَ ركاماً يا سعد — في صف الصحوة ممتدُّ
وبنيت لعزتهم مجداً — وسهرت ليكتمل العقدُ
فبراك نحول من أرق — والسيف يرِقّ له الحدُّ
وظللت تجاهد في زمن — حدّاه الدرهم والنقدُ

* * *

مزّقت بكفك أردية — كانت بالباطل تسودُّ
وأقمت لواءك منتصباً — من نبع الصحوة ممتدُّ
ما ذقت الراحة من كمد — والخِلْوُ لعيشته رغدُ
ورضيت بأن تحيا حرّاً — وسواك لشهوته عبدُ

* * *

قالوا يا سعد لأمتنا : — سعد قد جانبه الزهدُ!
سعد يحتال لنهضتنا — ليقوم لدعوته سدُّ
قالوا ـ والحرص رديفهم ـ : — رفقاً بالصحوة يا سعدُ!

البيان الأدبي

شعر

جمال الحوشبي

مــا ضــرّك لو قلت : حــلالاً ؟ — والمــكــره لــيــسَ لــهُ بُــدُّ

مــا ضــرّك لو قلت : ســلامًــا؟ — والسِّلم لأمــتنا مَــجْــدُ

هــل تـطـمـع أن تـرفـع رأسًــا — ورؤوس البــاطل تحــتــدُّ؟

الــلحظ بمــبــدئــنــا بــرقٌ — واللفظ لمخــرجــه رَعْــدُ

والصــمت بحكمــتــه بحــر — في لجّــة حكمــتــه لَحْــدُ !

الحكمــة يا ســعــدُ ســلاح — والأمــر بشــرعــتنا قَــصْــدُ

قــد كــان الســعــد يحــالفنا — دهرًا من قَــبْلكَ يا ســعــد

مــا ضــرك لو عــشت عــزيزًا ؟ — وطـريـقـك .. أنـت بـه فَــرْدُ

فَــقَــلاك مــحــبٌّك مــعــتــذراً — ورمــاك الشــانئ والوَغْــدُ

* * *

مــا ضَــرّك ســعــد مــا فــعلوا — فلك الإشــراقــة والرّشــدُ

ومـكـانـك لـيـس يـقــاربه — مـنـهـم مـن أصــبـح يـرتـدُّ

مــا كــان النصح دليلهم — ولنا من مــوقــفــهم عَــهْــدُ

فلهم أقــوال تحــســبــهــا — من قــوة منطقــهــا تعــدو

وفــعــال تــسبح جــامــدة — ولهــا في مــربطهــا وِرْدُ

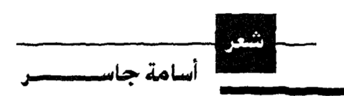
قـــــد كنت الكوكب بينهم ... يقـــضـــون وأنت لهم سـَــدُّ
واليـــوم تغـــيّـــر مـــبـــدؤهم ... فـــالقـــــرب بنظرتهم بُعـــدُ
أفنوا أعـــمـــاراً غـــاليـــة ... فـــغـــدوا واللحـــد لهم مـــهـــدُ

* * *

مـــا كنت الجـــاهل في زمن ... الصّـــاع بشـــرعـــتـــه مُـــدُّ
والظلم بمنهـــجـــه عَـــدْلٌ ... والحُـــسْن بِمظهـــره ضِـــدُّ
لم تلهك يا ســعـــد قـــصـــورٌ ... وبنين ترضْـــعـــهم هِنْدُ
ووظائف في زمن الشـــهـــوا ... ت ومـــالٌ ليس له حَـــدُّ
تاريخك يا ســعـــد عظيم ... كـــالبـــحـــر يكلله المَدُّ
بالحق ســهـــامك صـــائبـــةٌ ... وسِـــهـــام البـــاطل تَرتَدُّ
وبدينك تفـــخـــر منتـــسـِـبـاً ... وسِـــواَك بنعـــرتـه صَلْدُ
أردفت ركـــابك منطلقـاً ... تســفـــيك الظلمـــة والبـــردُ
وقـــراحُ الماء تجـــرّعـــه ... صـــبـــراً للدعـــوة يمتـــدُّ
فـــمَـــضَـــيتَ ورَكْبُك من سـفـهٍ ... يلهـــون وأعـــينهم رمـــدُ
وثـبـــاتك للحق قـــديم ... والحق بدعـــوتنا وِرْدُ
فـــبلغت مـــرادك منتـــصـــراً ... ولسـانك : ربٌّ لك الحـــمـــدُ
مـــا كنت الســالك أودية ... في خـــضـــرة فـــتنتـــهـــا وَرْدُ
وطريقك لســتَ به فـــرداً ... فـــعـــلام الدمـــعـــة يا ســـعـــد ؟؟

البيان
الأدبي

الرسالة الثانية



سعد طفل من البوسنة .. تبنته أسرة أمريكية بعد أن فقد عينيه إثر هجوم صربي

لماذا الحـزن يا «سـعـد» ؟ ... كـسـاك الخـوف والسـهـدُ

قـريـب أنـت من قـلبـي ... بعـيـدٌ والأسى بُعْـدُ

وتبكي في صـدى نفـسي ... فـهل لبكائكم ردٌّ ؟

غـريـبٌ في ديار الكفـر ... تشكو والنوى فـقـدُ

أترضى أن يقـال غـداً ... فـتى الإسلام مـرتدٌّ ؟

ولـكـن لـيس ذنبُكـمُ ... بريءٌ أنت يا « سـعـدُ » !

أصـدِّق جـرح نكبـتكم ... إذا مـا كـذّب الرعـدُ

أراك مـقـيَّـد العـينَيْن ... هدّ مـسـيـرك القـيـدُ

تُعـاني فـقـد أحـبـابٍ ... وكم ذا يؤلم الفـقـدُ

وتسـأل أمـة الإسـلام : ... أين العـدل والرّشـدُ ؟

وأين سـيـوف « عكرمـة » ؟ ... وأيـن بـنـوك يـا « زيـدُ » ؟

تقـود أسـود أمّـتـنا ... وخـيـل الله إذ تعـدو

فـنـعـم الـركـب إذ يمضـي ... ونعم الخـيل والأسـدُ

فكم مَنْ وجـهـه نورٌ ... وكم مَنْ عـزمـه صلدُ

ونحـــو الرّوم وجـــهــتـهم إلى أن حُـــقّق الوعـــدُ
ودار الـــكـــون دورتـــه وضــاع العـــزم والعــهـدُ
وخـــيـــرٌ بعـــده شـــرٌّ كـــذاك الجـــزر والمدُّ
فـأين الجـيش يحـمـيني؟ وأيـن البـــأس ياجندُ؟
وأين سـيـوفكم ؟ صـدئت فـعـافت لونهـا الغـمـدُ
تُنادي جند « مـعـتـصم » بأرضي عـربد الوغـدُ
وجـــال الغـــدر في داري وصـــال المكر والحـقـدُ
بحقّ الله أخـبـــرني تُرى! هل غـادر الوفـدُ؟!

* * *

بقلبي أنت يا « سـعـدُ » لك التّحنان والودُّ
فـأنت الجـرح مـذعـورًا بصـدري فـهـو يمتـدُّ
فليس لنزفـه حـدّ وليس لحـده صـدُّ
وأعـيـا من وصـالكُمُ فـبين وصـالنا سـدُّ
عظيمٌ مـاتعـانيـه أليمٌ مـالـه نِدُّ
فـحـزنك في دُجى بُؤسٍ وطالع نجـمنا سـعدُ
ونشرب من كـؤوس الشهـد يشـهـدُ عـيشنا زُهدُا!
وتشـرب أنت كـأس الموت يسكُبـهـا لكم لُدُّ
هنا أمنٌ وعـافـيـةٌ هنـاك الخـوف والبـردُ
« سرايـيفـو» ألا صـبرًا دعـائي مـا له حـدُّ
وصـبـرًا يافـتى الإسـلام بُشـرى نصـرنا تبـدو

البيان الأدبي

فـــيــوم النصــر مــوعــدنا لـنـا الإكـــرام والمجـــدُ
أزيِّنُ بـالرّضى شِـــعــري فـــيـــا ربي لك الحـــمـــدُ
وكـن يـاربّـنـا عـــونًـا فـــأنت الخـــالق الفـــردُ

* * *

أزاهر شـــعـــري المذبوح ضم رفـــاتـهـــا لحـــدُ
فـهل شـعـري سـيـسـعـفكم إذا نفَسي بـــه يشـــدو؟
وهل أزهـار أشـــعـــاري وبـــيـــتٌ زانَـــهُ وردُ
تصـــدُّ قـــذائف الأعـــداء فـــوق رؤوسكم تغـــدو؟
ولكن جـــهـــدُ مكلومٍ عـسى أن يجـدي الجـهـدُ
أداعـب مـــــقـلـةً ثكلى يحيط بدمعهـا الوجـدُ
وتصنع نزفَ أعـــصـــابي جـــراحٌ مـــا لـهـــا عـــدٌّ
وتـرسـم همّ أنفـــاســي دمـــوعٌ ضـــمّـــهـــا خـــدٌّ
لـعلّ الدمع يشـــفـع لي إذا مـــا حـــوسب العـــبـــدُ
فـــيــوم الحـــشـــر نخـــشـــاه إذا مـــا الحـــرُّ يشـــتـــدُّ
ونســـأل عنك يا « ســـعـــد » فـــهـل لســـؤالهـم ردُّ؟
صـــمـــتـنا لا لمكرمـــةٍ ولـكـن مـــــا لـنـا بُـدٌّ؟

★ وصلت القصيدتان إلى المجلة في وقت واحد، ومن بلدين مختلفين، واشتراك الشعور بين مرسليهما جعلنا نشركهما في الظهور في ملف واحد. وهما سعدان مختلفان، عسى أن يكون لأولهما موقع قادم يمنع من تكرر مأساة الثاني .

ـ التحرير الأدبي ـ

الغيمة التي لم تمطر بعد

بقلم :
علـــي محمـــــد

أما آن لك أن تمطري قبل أن أموت اختناقًا ؟

كان (صابر) ينظر إلى تلك السحابة، ويستجديها أن تمطر، وهو يتأمل وجهه على صفحة ماء النبع الذي يمر بخجل بين الحقول الصغيرة في قريته المستلقية تحت إبط جبلٍ ضخم، يربض على الغرب منها وكأنه يدسّها عن أعين تتربص بها الدوائر .

أمطري، أغرقيني، أو فاجعلي برقك المكتوم يحرقني .

ظل صامتًا ينتظر أن يدوي الرعد من صدر السحابة، .. فإذا بالنبع يكتسي حمرة ظنها أول الغيث، لكنه صعق بصوت الغريب ـ الذي نبذته القرية فأقام على أطرافها ـ إذْ مرَّ وهو يردد :

كل مساء يدلف ليلٌ
وعلى فمه بقعة دمْ
كل مساء تهوي ذَبْلَى
خلف تخوم الظلمة شمسْ
يجرؤ همسْ
كلَّ صباح تُشرقُ شمسْ
وعلى فمه كلَّ مساء تُسْحق شمسْ !



خُنق الهمسْ فمحى دمَه أثر الشمس.

رفع (صابر) رأسه ، فإذا الأفق تجاه الجبل تغشاه حمرة داكنة ، لم تكن تلفت انتباهه من قبل ، والشمس تسقط في فم ليل قاسٍ ، وعلى شفتيه بحر دم.

آه أنتِ أنا أيتها السحابة .

لم تمطري بعد ؟.

حمل سحابته ، وسار خلف الغريب الذي ابتلعه الظلام ،وصدى صوته يدوِّي بين جنبات الوادي .

ليلٌ فم شمسٌ دم

لكنه لم يتمكن من اللحاق به ، ورويداً رويداً بدأ صوت أمه يخنق صوت الغريب ليحل مكانه ، وهي تردد : لا بد أن تذعن لرغبات عمك ، إنه عمك الذي ربّاك وإخوتك ..وضع إصبعيه في أذنيه وهو يصرخ:لا ... لا ... لقد آن أن تتجرعي ثمرةً مرةً من شجرة العقوق التي غرستيها في مهجتي منذ فرضت عليَّ عمومة هذا الوغد .

ألستِ من صنع له الحبل ليشد منه مشنقتي ؟

أنسيتِ أنك من نزع الجلجل المعلق برقبة ذلك الحمار الذي رُبط برجله الطرف الآخر لحبل مشنقتي ؟.

لا ضير أن أموت ، لكن ذلك الحمار حينما يركض نحو العشب المزيف الذي ألقيتِ به على بعد خطوات منه لتخدعيه ، لن يشعر إلاَّ بقليل من الحسرة والكثير من المقت والاحتقار؛ فيركض لمسافة أبعد في المرة القادمة .

والحبل في عنق أخي الآخر .

ومضى يردد كلمات الغريب بين بيوت القرية حتى خرج منها، وكان الصيف بحرارته الخانقة رابضاً في بطن الوادي ، وهبوب السموم بين الأشجار كفحيح الأفعى حين تقتنص رأس الفريسة لتخنقها .

وجد نفسه أمام دار الغريب الذي كان مستلقياً على ظهره خارجها، وعيناه ترقبان الجبل الذي جثم على صدر الليل، فأمسى الليل لا حراك به، فلا تسمع إلا أصوات الحشرات، وكأنها حشرجة أنفاس الليل الذي يحتضر خوفاً من الجبل الصامت، قال دون أن يلتفت إلى صابر: كم تثلج صدري هيبة الجبل وأنا أتخيل الليل ترتعد فرائصه من أن يتحرك.

أصغى إليه صابر وهو يحاول تأمّلهُ رغم عتمة الظلمة.

منذ أدركت حقيقة الجبل أحببته وظللت أرقبه، وأبشّر باليوم الذي يتحرك فيه حتى اتهمني السّذج بالجنون، وظلت الشمس التي تعاني من جراحاتها تخرج مبتسمة كل صباح، وتشارك الآخرين السخرية مني، حتى انتبذتُ مكاني قرب الجبل.

آهٍ ليتني أستطيع الصعود إليه، لكن السذج سيتهمونني بالصعلكة قبل أن يقذفني الليل بتلك القرية.

وليتهم يكتفون بذلك، بل ها هم يقومون بحفر القبور في طريقه.

اقترب (صابر) أكثر، فعقدت لسانه المفاجأة حين رأى على جبين الغريب سحابةً أشد قتامة من تلك التي على جبينه، وأكثر انتشاراً على وجهه.

أدرك الغريب ما يدور بخلده، لكنه استرسل في كلامه.

آهٍ كم أود معانقة قمة الجبل فلعله يفجر هذه الغيمة السوداء التي تسكن وجهي، فهناك تُبدّد الغيوم حينما تلاحقها قمم الجبال.

صمت الغريب .. و (صابر) لم يعد يرى سوى ضخامة الجبل، ويتخيّل معاناته وهو يرى الشمس كل يوم تنزف بين فكي الليل، وهو مكبل بالقبور تحت قدميه وموثق بشفقته على أولئك المغفلين.

مرت أمام وجه (صابر) نسمة حارقة نبهته إلى أنه بحضرة الغريب الذي سكت وتخيل أن صمته إيذان له بالحديث.

لم تزرني السعادة أبداً، فلقد سجنها موت أبي ووضعت أمي مفتاح السجن بقبضة ذلك الوغد، الذي زرع الحرمان في قلوب إخوتي قبل قلبي، وظل يضرب حولنا سياجًا من العتمة، وأمُّنا في بلاهة وخنوع تقدم له أكثر مما يتمنى حين تخنقنا، وتتوقع أنها بذلك تمنحنا طوق النجاة .

والتفت في هذه اللحظة إلى الغريب قائلاً بلهجة الباكي : انظر إلى هذه السحابة التي على جبيني لم يراكم غيومها إلا أكُفّ القهر .. تأمل جيداً .. إنها تشبه الغيمة التي على وجهك ؟.

لم يرد الغريب ...

اقترب (صابر) من وجهه، وحدَّق فيه فلم يجد سوى غيمة سوداء جامدة لم تمطر، فأصابت قلب الغريب بالقحط والجفاف، فمات ..

وتذكر تلك النسمة الحارقة قبل قليل .

آهٍ .. حتى أنت أيها الغريب رفضت سماعي، وأنت تشاركني وطأة الغيوم، إن الموت ليس نهاية المطاف، لكنني لن أرضى أن تظل هذه الغيمة تخنق أنفاسي أو أظل أرقب الجبل، لكن قبل ذلك : لا بد أن أواري جثمان هذا الغريب، وأمسى ليلة يحفر القبر، ومع شروق الشمس كان الغريب تحت الثرى ..

و (صابر) الذي أنهكته تفاصيل الليلة السابقة، ينظر إلى الشمس التي لم تزل تخرج رغم معاناتها .

فاستلقى تحت شجرةٍ قرب الغريب، والتفت ليتأكد أن ما عاشه الليلة الماضية لم يكن حلمًا، فرأى القبر وأخذ مزودة الماء، وتوضأ، وبدأ رحلته إلى الجبل، وعيناه لا تريان إلا القمة .

يطأ الشوك ... فلا يبالي ... وتخترق أذنيه نداءات العاطلين فيخرجها من الجهة الأخرى، وبدأ يتجاوز بعض القبور التي تحيط بالجبل، وهي تزداد كثافة كلما تقدم في الطريق، والحجارة تدمي عقبيه، وأصوات المغفلين تقذفه بما تعرف وما لا تعرف،

فلم يبـال بهـا، لكن بعض الأصـوات مزّقت قلبـه فلم يجـد بدّاً من الالتفـات للتأكد من أصحابها .

إنهم إخوته الذين اختار هذا الطريق لتخليصهم .

كانت أمه وبعض إخوته أكثر من يرجمه بالحجارة والبذاءة، وبعض إخوته يرقبه بصمت .

وبدأ الليل كالأخطبوط يجذب الشمس إلى فيه ليقطع (صابر) الطريق إلى قمة الجبل، لكن (صابر) لم يعد يملك إلا المجازفة، فإما الوصول إلى القمة ليفجر عليها سحابته التي على وجهه فتمطر، أو يحرقه البرق الذي بصدرها ويشعل النار في رأس الجبل لتكون دليلاً يقود الآخرين ممن تعتمر الغيوم جباههم، أو يمزق بطن الليل ويخرج الشمس منه لتبقى مضيئة حتى تحرق العيون التي لا تعيش إلا في الظلام الدامس .

لكن الليل ابتلع الشمس كعادته، والمغفلون ما زالوا ينتظرون أن يصاب ذلك الصعلوك بلعنة الجبل التي يخافونها، ويشكرون الليل أنه يحجب عنهم الجبل حينما يريحهم من رؤيته كل مساء .

ودوت في قمة الجبل صرخة أفزعتهم، وإذا بالنار تشتعل في القمة والبرق يمزق السماء، وإذا بهم تتهلل أساريرهم، لكن الصرخة لم تنته، والنار بدأت في الانحدار بشكل سريع، وصوت (صابر) يرتفع، والنار تلتهمه، فقذف بنفسه من قمة الجبل، وقبل أن يصل الأرض استيقظ من حلمه، وإذا بالشمس قد اشتدت حرارتها، والشجرة لم تعد تظلله وهو يلهث من شدة العطش، وعيناه في اتجاهين مختلفين إحداهما ترمق قمة الجبل ، والأخرى تتمعن قبر الغريب والغيمة السوداء بينهما لم تمطر، وحينما كرر نظرته وجد أمه وإخوته يحولون بينه وبين رؤية الجبل وعمه يبتسم بجوار قبر الغريب .



ابتسم فأنت.. مُسلم!!

شعر: مشتاق حسين

حَطِّم العـودَ مُـثـيـرَ الشجَن نَغـمَـةُ الحُـزنِ مُـجـاجُ الأذُنِ

ازرَعِ البَسْمَةَ في الكونِ ولا تَقْـتُلِ الحُسْنَ بِخَلْقِ الحَزَنِ

كُنْ سَفـيـرَ السّعْـدِ في كَوكَـبِنَا بابْتِـسَـامٍ مِثـلَ طه فَكُنِ

كـانتِ البَسْمَـةُ لا تَهْجُـرُه ابْتِسَـامُ المَرْءِ بعضُ السُّنَنِ

رُتّبَ الأجْـرُ على البَسْمَـةِ وال عَـبْسُ بئسَ الفِعْلُ بخسُ الثمنِ

بَسْمَـةُ الطِفلِ يَراعٌ عَـجَبٌ تنقلُ القَفْـرَ إلى روضٍ سَنِي

فَاعْزِفِ اللّحْنَ بأوتَارِ الهُدى ثمّ في بِشْـرٍ أخَـيَّـا غَنِّنِ

يَصْدَحُ البُلبلُ في السجنِ كـمـا يُبـدِعُ الحُرُّ بأعْلَى الفَنَنِ

كُنْ سَمَـاءً حينَ تَبكي فَرَحًـا دَمْعُـهَـا الحُلْوُ حَيَـاةُ المُدُنِ

وغَمَـامُ الحُزْنِ يبكِي مَطَرًا حَـامِـضًـا يُهْـدي الرَّدَى في سَنَنِ

نِعـمَـةُ النّسْيَـانِ أغلَى المِنَنِ لَفّتِ الأدْمُعَ مِـثْلَ الكَفَنِ

أنَا لَمْ أدْعُكَ أنْ تَضْحَـكَ في مَـأتمٍ أوْ سَـوْدَةٍ في الفِتَنِ

أو تظُنّ الطَودَ أدْنَى حَجَـرٍ أوْ تَخَـالَ العِطْرَ وَسْطَ النَّتَنِ

أنْتَ إنْ لَمْ تَكُ ذِكْرَى أمَلٍ أيّهَـا المُسلمُ فِـينا فَمَنِ ؟!

صوت جديد: أمتي

أوَصَلتِ رغم الجُهدِ والإنهاكِ — وطريقكِ المفروشِ بالأشْواكِ ؟!

وخُطاكِ ـ تلكَ المثقلاتِ منَ الأسى — والذارفاتِ دمًا هُما عيناكِ ؟

هَلْ شانَ وجهَكِ ذلُّهُ وهَوانُهُ — أم في الترابِ الوهنُ قَدْ واراكِ ؟

أم ذا صَغارٌ قدْ كساكِ بثوبهِ — وسَقاكِ مُرَّ كؤوسهِ فرواكِ ؟

باللّهِ مَنْ في الوَحْلِ قَدْ ألقاكِ ؟ — مَنْ عَنْ طريقِ الرُّشْدِ قد أعْماكِ ؟

مَنْ فيكِ قد ذبحَ السماحةَ والتُّقى ؟ — تَبَّتْ يدا جَزَّارِكِ السَّفَّاكِ !

مَن قالَ إنَّكِ قد طوتكِ يَدُ الرَّدَى ؟ — يا ويلَهُ من كاذبٍ أفَّاكِ !

فكفاكِ مِنْ هَذا البُكاءِ وَوَدِّعي — سفحَ الدموعِ على عهودِ صِباكِ

ها آذنَ الفجرُ الجميلُ بنورهِ — في ليلِ تيهٍ طالَ فيهِ سُراكِ

صوتٌ جديدٌ أمَّتي ناداكِ — هذا صداهُ سارَ في الأفلاكِ

فلترفعي عنكِ القناعَ وتنفضي — دنسَ السنينِ ، فإنهُ آذاكِ

شعر

د. علم الدين مصطفى

قُومِي أعيدي للدُّنا ذكراكِ ومآثرًا جادَتْ بها كفَّاكِ

فضلاً وعدلاً ، رحمةً وهدايةً ومفاخرًا شهدتْ بها أعْداكِ

عودي لمنبعكِ الأصيلِ فطالما قد كانَ بالعزِّ الأثيلِ سقاكِ

أبطالُكِ الغُرُّ الكرامُ ألم تكنْ دكَّت حصونَ البغي والإشراكِ

أوَ لمْ تكوني للورى بدرَ الدُّجى لم يعرفوا نورَ الهُدى لَوْلاكِ

بَدَّدْتِ بالقرآنِ ظُلمةَ كونِهِم والخيرُ والإيمانُ غرسُ يَداكِ

فاعطِ القيادَ لِعُصْبةِ الحقِّ التي رَفعتْ قديمًا في الوجودِ لِواكِ

هُبِّي وبِسْمِ اللّهِ ربِّكِ فاركبي خيلَ الجهادِ إلى رفيعِ ذُراكِ

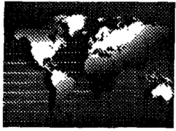
اتفاقية التجارة العالمية GATT

قراءة في تقرير .. وأسئلة ملحة...

إدراكًا منهم لصعوبة المواجهة العسكرية مع المسلمين في ظل راية الجهاد، عدل أعداء الإسلام إلى وسائل أشد فتكًا وأقل إثارة لقمع المارد الإسلامي ودحضه ورده إلى موقعه الذي يليق به كما يتخيلون؛ وأنشطة المنظمات الدولية ـ التي ترعى تلك الوسائل والأساليب ـ مجهولة إلى حد كبير لدى كثير من المثقفين داخل حدود أوطانهم وخارجها، ومتابعة ذلك تبدي لك حجم الفراغ والهوة التي بيننا وبين المخططات العالمية للانقضاض علينا من كل حدب وصوب؛ وما ذاك إلا بسبب عدم إلمام الكثيرين أو عدم اكتراثهم بتلك المؤسسات؛ تقليلاً لشأنها أو لندرة المصادر التي تحكي واقعها في ظل التعتيم الإعلامي عن سياسات القوم والانصراف إلى البرامج الرياضية والمجلات النسائية الرحبة، من أجل ذلك كله أسوق إليك ـ أخي القارئ الكريم ـ ملخصاً موجزاً لما احتواه تقرير غربي* عن الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة، التي يرمز لها اختصاراً بـ GATT ،التي تمخضت عنها «منظمة التجارة العالمية».

يحتوي التقرير على ثلاثة وعشرين فصلاً، يتحدث الأول منها عن نشأة الاتفاقية والجولة الأخيرة المعروفة باسم «أوراجواي» (وهي الدولة التي انبثقت منها الاتفاقية عام ١٩٨٦م) ،ثم تغطي الفصول من الثالث وحتى الحادي عشر الاتفاقات المتعلقة بالزراعة،و المنسوجات، والملابس، والخدمات، والاستثمارات، والملكية الفردية، وتسوية المنازعات، والدعم، والرسوم، والضمانات، وسياسة الإغراق، بينما يركز النصف الثاني من التقرير على آثار

المسلمون



والعالم

بقلم: **ياســـر قــارئ**

هذه الاتفاقيات على كل القطاعات السابقة.. (من ١٢ – ١٥)، ثم على دول أوروبا الغربية و الاتحاد السوفييتي (السابق) ومنطقة آسيا – الباسفيكي، وأمريكا الشمالية واللاتينية، فالشرق الأوسط وإفريقيا (١٦ – ٢٢)، أما الفصل الأخير فيلقي الضوء على المنظمة العالمية ومستقبلها.

يصطدم القارئ من العالم الثالث ـ من الصفحة الأولى ـ بحقيقة هذه الاتفاقية وأثرها؛ إذ يتعجب المؤلفان من تغير توجهات الدول النامية وانضمامها إلى المفاوضات في الوقت الذي كانت تمر فيه الجولة بانتكاسات ومصاعب جمة، على الرغم من الخسائر التي ستتعرض لها تلك الدول (وهي المستوردة للغذاء) على المدى القصير، هذا بالإضافة إلى دور الاتفاقية في انتقاص جانب السيادة على السياسة الداخلية للدولة، على الرغم من عبادة تلك الدول وتقديسها للاستقلالية السياسية!! (ص١–٣)، وليس هذا فحسب، بل ستكون المنظمة الشريك الثالث لصندوق النقد الدولي والبنك الدولي في وضع السياسات العالمية، كما عبر عن ذلك «بيتر سذر لاند» مدير عام الاتفاقية (ص٤)، فضلاً عن اختلاف الخبراء حول الجدوى الاقتصادية للاتفاقية على مدى العقد القادم؛ بسبب زيادة نمو التكتلات الاقتصادية الإقليمية القوية؛ الأمر الذي يؤذن باندلاع الحروب التجارية بين الدول (ص٦). أما أهم مكاسب هذه الجولة الأخيرة

المسلمون



والعالم

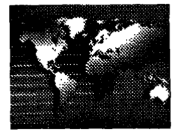
فهي : دخول مجالات الزراعة والمنسوجات ضمنها، وتطبيق الجزاءات ضد الدول المنتهكة لأحكام الاتفاقية،وفي هذا الصدد: فقد أعلنت أمريكا عزمها على استغلال حق المطالبة بالتعويض – أو فرض العقوبات التجارية (في حالة فشل الوصول إلى حل مع المخالفين) – إلى أقصى أبعاده (ص٢)، فإذا كان هذا توجه الدولة التي تقود العالم، فماذا عسى التابعين أن يفعلوا؟!.

بدأت جولة أوراجواي سنة ١٩٨٦م، وهي الثامنة، إذ عقدت الجولة الأولى في جنيف عام ١٩٤٧م بعد نهاية الحرب الكونية الثانية بمشاركة ثلاث وعشرين دولة ، وبمرور الوقت ازداد عدد المشاركين، وبالتالي: طول فترة انعقاد الجولة بسبب تشعب المواضيع والخلافات حتى اختتمت في سنة ١٩٦٣م وقد وصفها «سذر لاند» بأنها لحظة حاسمة في التاريخ الحديث (ص١)، فلماذا؟.

لقد استنتج الساسة الأمريكيون: أن انهيار التجارة الدولية وزيادة عدد التكتلات التجارية ،بالإضافة إلى التصعيد الجمركي الذي عمق الكساد وتسبب في قطبية التجارة الدولية :هما سببا قيام الحربين العالميتين (ص٩)؛ لذلك: فإن قيام نظام دولي للتجارة سوف يقلل من فرص الحرب في الوقت الذي تملي فيه أمريكا شروطها بحكم أنها المنتصرة في الحربين والدولة ذات الوزن الاقتصادي الأثقل في العالم، بمعنى آخر : فإن نظام التجارة المطلوب والمتوقع هو الذي يحقق مصالح الدول الكبرى فقط!.

ثلاث نقاط مهمة:

سوف أضرب صفحًا عن الفصول التي تتحدث عن الاتفاقيات ذاتها (٣-١١)، وذلك لكونها معلومات وإحصاءات علمية صرفة، وكذلك لإبقاء الموضوع مختصرًا قدر الإمكان، خاصة وأن الهدف المنشود هو: بيان أثر تلك



الاتفاقيات التي هي فرع عن مضمونها، إلا أن هناك ثلاث نقاط ينبغي التوقف عندها مليًّا:

الأولى: فيما يتعلق بالزراعة، يقول التقرير: إنه على الرغم من الصراع بين أوروبا وأمريكا واليابان واستراليا ونيوزيلندا (أين الدول النامية؟)، إلا أن الحل النهائي يمثل في تحرير القطاع الزراعي في ثلاثة مجالات، هي: النفاذ إلى الأسواق، والدعم المحلي، ومنافسة الصادرات، كما تتضمن النتائج طلباً بمعالجة خاصة لوضع الدول النامية (ص٢١).

إن الأمر في غاية الوضوح: فالدول المتنفذة تفرض سياستها، وما على المعدومين إلا التقدم بطلب الاسترحام، وإلا فالأسواق يجب أن تفتح، والدعم يجب أن يرفع، وإلا ستبادر أمريكا إلى استخدام حقها في الرد المناسب على المخالفين لبنود الاتفاقية كما ذكرنا. فهل ستكون هناك زراعة محلية مستقبلاً؟ وما هو حجم الخطر الذي يشكله الاعتماد على الواردات الزراعية، وبالذات في مجال استقلالية القرار والدار؟.

النقطة الثانية: وهي تكشف مدى مأساوية الواقع الذي تعيشه الدول النامية، إذ تصف الأمم المتحدة في تقريرها لعام ١٩٧٥م: أن براءات الاختراع تأتي من خمس دول متقدمة فقط، وهذا يعني أن حماية حقوق الملكية الفكرية سوف تساهم في زيادة عجز الميزان التجاري بين الدول المتقدمة والنامية، وعلى الرغم من مقاومة أمريكا و أوروبا لهذا القرار المجحف، إلا أنهما خضعتا لضغوط شركات صناعات الأدوية والملابس من أجل مراقبة وحماية تلك الحقوق (ص٤٥)، وهذا يعني إبقاء العلاج والكساء بعيداً عن متناول أيدي المحتاجين في العالم النامي، فبعد الزراعة جاء دور الطب، لكن صبراً .. أليس هناك منظمات غربية خيرية تسد هذا الفراغ؟ الجواب نعم، لكن .. ما الثمن الذي تطلبه في المقابل؟.

النقطة الثالثة: وتظهر حقيقة تلاعب الدول الكبرى بالاقتصاد العالمي وقوانينه بصورة لا لبس فيها، فالطائرات مثلا تكلف كثيراً في صناعتها، وبالتالي: هي صناعة توصف بأنها احتكارية، لكن أوروبا ممثله ببعض دولها أسست شركة (إيرباص) ودعمتها ماليًّا لتتحدى بها الهيمنة الأمريكية على الطيران والفضاء، خاصة وأن أمريكا تدعم الشركات المصنعة لديها من خلال الإعانات العسكرية غير المباشرة، وكلاً من أوروبا وأمريكا خالفا نظام التجارة العالمي، ولم يتعرضا لأي عقوبات (ص٧٤).

ثمة أسئلة كثيرة تطرح نفسها هنا، لماذا يتنافسون وهم على مذهب اقتصادي واحد وملة دينية واحدة؟ ولماذا لا يعاقبون على خرقهم للقانون الذي فرضوه على العالم بأسره؟ ومتى تكون للدول النامية سياسة مستقلة ومُجْدية كهذه؟!.

من آثار الاتفاقية الخطرة :

يخوض التقرير بعد ذلك في آثار الاتفاقية على الزراعة والصناعة والحواجز غير الجمركية وقطاع الخدمات، فأوروبا مثلاً تساهم في تصدير ٤٧٪ من إجمالي الصادرات الزراعية العالمية، ولكن ٩٠٪ من تلك الصادرات لا تتعدى أوروبا الغربية! (ص٧٧)، أليس هذا هو الأمن والتكامل الغذائي الذي ترعاه أوروبا؟ ثم: إن دعم الدول الصناعية لزارعيها سيقلل من حصة الدول النامية من هذه التجارة، في الوقت الذي سترتفع فيه أسعار الصادرات الزراعية الأوروبية، وتتفق الدراسات العلمية على حتمية هذا الارتفاع في الأسعار، وبالتالي: فإن الخاسر الأكبر هو الدول الإفريقية والآسيوية، بينما ستمتلىء جيوب الفلاحين في أمريكا الشمالية والجنوبية و أوروبا (ص٨١-٨٢).

أما في مجال الصناعة فإن استفادة الدولة النامية – وبخاصة في مجال

المسلمون



والعالم



الملابس والمنسوجات والأغذية والمواد الخام – طفيفة جداً، بيد أنها ستحدث انتعاشاً في صناعة الحديد والصلب والمعدات الصناعية والكيميائية والسيارات في أوروبا وأمريكا (ص٩٢)، وهذا يذكر بالمثل القائل «ما تجمعه الذرة في سنة يأخذه الجمل في خُفّه»!.

كما يشير تقرير الأمم المتحدة سنة ١٩٨٨م إلى أن التأثير الإجمالي للحواجز غير الجمركية على الواردات من الدول النامية أكبر منه على واردات الدول المتقدمة التي تستخدم هذا الأسلوب لحماية قطاعات الأغذية والحديد والمنسوجات والسيارات في بلادها (ص٩٤)، والأعجب من هذا الانحياز الغربي أو العداء المستحكم أو التعالي الأوروبي العرقي هو: زيادة نسبة الحواجز غير الجمركية على القطاع الذي يتوقع الفقراء الاستفادة منه، ألا وهو قطاع الملابس: وذلك بسبب وفرة ورخص الأيدي العاملة، وتوفر المواد الخام وقلة تكلفتها (ص٩٥)، بعبارة أشد وضوحاً: إن الدول المتقدمة عاقدة العزم على إبقاء الدول النامية في حالة التبعية المطلقة إلى أجلٍ غير معلوم، طالما استمرت الأخيرة في الاستماع إلى نصائح الخبراء الغربيين وإقصاء الناصحين المخلصين، ويؤيد التقرير هذه النظرة القاتمة بتأكيده على استفادة أوروبا في المجالات الصناعية عموماً، مما يعني استمرار ارتفاع مستوى المعيشة في الغرب وانخفاضه في الشرق (النامي)، وبالتالي تعميق الفجوة الحضارية أكثر فأكثر!، وليست مجالات الخدمات والاتصالات والمدارس والمصارف والمستشفيات والمواصلات بأفضل حال من سابقيها فيما يتعلق بالعالم الثالث؛ إذ سيكون نصيب الأسد للدول المتقدمة، بينما يتوزع الفقراء فتات السياح الذين سيتدفقون إلى العالم (النامي) للفرجة على عالم البؤس والضياع الإنساني (ص١٠٦)، وهنا نقف مع ما تنطوي عليه السياحة ومفهومها لدى

(الخواجات) من إسفاف وانحلال وفجور ورذيلة سينجرٌ إليها العالم « النامي »، وينطق لسان الحال : « حشف وسوء كيل »، لكن من المقصود؟!.

ينتقل التقرير بعد ذلك لتوضيح آثار الاتفاقية على دول العالم مبتدئًا بأوروبا الغربية، فالبشائر بالنسبة لدافعي الضرائب هناك كثيرة، منها : انخفاض أسعار السلع الزراعية والأعلاف، مما يفيد شركات التعليب ومعالجة الأغذية وتجار المواشي (ص١٠٨)، هذا بالإضافة إلى تراجع نسبة الضرائب على المواطنين بسبب رفع الدعم الحكومي عن قطاع الزراعة، بينما ترفض دول الاتحاد الأوروبي تحرير الخدمات التجارية : كالإعلام، والسينما، والفيديو – حسب ما تنص عليه الاتفاقية – والسبب هو : حجم ذلك القطاع؛ إذ يشكل نصف صادرات العالم (ص١١١)، ونتساءل عن الحرية والتعددية (والآخر) عند دول غرب أوروبا، لأننا قد تعلمنا مما سبق إلا نسألهم عن احترام الاتفاقية التي أبرموها.

ثم إن خسارة دول هذه المنطقة تكمن في قطاع المنسوجات والملابس الذي ستستحوذ عليه البرتغال وإيطاليا وتركيا؛ بسبب رخص الأيدي العاملة، كذلك ستنافس الشركات غير الأوروبية مثيلاتها في قطاع الكيماويات، في الوقت الذي تبدو فيه الصناعات ذات التقنية العالية في طور الأفول، بسبب قلة الإنفاق الحكومي على برامج الأبحاث والتطوير اللازمة.

على الطرف الآخر: نجد أن دول أوروبا الشرقية (سابقًا) ستربح كثيراً من تصدير السلع الزراعية للخارج، وبخاصة : القمح، والسكر، واللحوم، والألبان، ومنتجاتهما، كما أن بعض الدول مثل : بلغاريا، وبولندا، ورومانيا، والمجر، وروسيا، تمتلك ميزة نسبية في مجال الحديد والصلب، سوف تساهم – إضافة إلى الاستثمارات الأجنبية المتدفقة – في تنشيط قطاع الصناعة (ص١١٣)، ولا نملك إلا أن نقول: إن الغرب ماضٍ في الاهتمام بمحيطه الجغرافي وامتداده التاريخي





والديني الطبيعيين، وهناك شواهد أخرى على ذلك: كالأحلاف والمنظمات الأمنية والاقتصادية التي استحدثت مؤخراً.

يسوق التقرير البشارة إلى شريك أوروبا الأكبر وهو الولايات المتحدة: بأن الضرائب سوف تنخفض بسبب تخفيض الجمارك على الرغم من قلة الإنتاج وزيادة الاستهلاك ورفع الدعم الحكومي؛ لأن الاستيراد سوف يلبي حاجات أبناء (العم) وبأسعار زهيدة، بينما ستساهم الجمارك المحلية المخفضة في إنعاش القطاع الصناعي، إلا أن أعظم الفوائد بالنسبة لأمريكا سوف تأتي من قطاع الخدمات (ص١٢٤)، ولن تكون الحديقة الخلفية لأمريكا بأقل حظًا من جارتها العظمى، إذ إن سياسة دول أمريكا اللاتينية التصديرية وارتفاع الأسعار العالمية ستنعشان اقتصاديات تلك الدول في مجال الزراعة والمعادن والمنسوجات والحديد والصلب والجلود والأحذية والسياحة والسفر (ص١٣١).

دول الشرق الأوسط والاتفاقية:

يستعرض المؤلفان بعد ذلك منطقة الشرق الأوسط في ظل الاتفاقية الجديدة ويؤكدان ما قالاه في بداية التقرير من محدودية الأثر؛ وذلك بسبب استبعاد الهيدروكربونات (النفط ومشتقاته) من جولة المحادثات، كما أن ارتفاع أسعار السلع الزراعية سيؤدي إلى زيادة سوء حالة المنطقة في الوقت الذي تغنم فيه إسرائيل من الاتفاقية لكونها مصدراً للخضروات والفواكه، ولقلة وارداتها الزراعية (ص١٣٧)، ثم إن تواضع القاعدة الصناعية للمنطقة، يقلل من فرص استفادتها في مجال التصنيع تحت الظروف الجديدة، بينما ستترك حقوق الملكية الفكرية وإجراءات الاستثمار آثارها على المنطقة.

وعلى الرغم من عدم جدوى الاتفاقية لدول المنطقة إلا أن هناك سببين رئيسين للانضمام إليها – حسب رأي المؤلفين – : الأول : هو النفاذ إلى الأسواق

الدولية في مجال التصدير، والثاني: هو جذب رؤوس الأموال الأجنبية الخاصة والعامة، وهذا يعني استمرار مسلسل الانقياد إلى شروط وأهداف الدول الدائنة، التي لا تختلف عن تلك التي ينشدها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، ثم: ما هي الصادرات التي تحرص المنطقة على استمرار تدفقها ؟! إذ هي فقيرة صناعيًا، وعالة زراعيًا على غيرها، ومسلوبة «جيولوجيًا».

دول إفريقيا والاتفاقية :

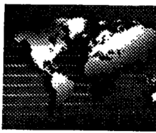
لا تختلف إفريقيا كثيراً عن الشرق الأوسط من جهة استفادتها من الاتفاقية؛ إذ هي تحتاج إلى وقت طويل من الإصلاحات الزراعية حتى تجني ثمار حرية التجارة وارتفاع أسعار السلع الغذائية والزراعية، لكن الشمال الإفريقي لديه فرصة في مجال المنسوجات والملابس إذا تمكن من تحسين البنية التحتية للبلاد، الأمر الذي يتطلب مبالغ طائلة جداً (ص١٣٩)، ولكن التقرير يبشر بزيادة الاستثمار الأجنبي المباشر على أي حال، مما يعني زيادة في إغراق المنطقة وإرهاق الشعوب ورهن أجيال المستقبل بالديون الخارجية.

التحديات التي تواجه الاتفاقية :

يحدثنا الفصل الأخير عن هيكل المنظمة الوليدة، ثم عن التحديات التي سوف تواجهها، وعلى رأسها الحاجة إلى وضع قواعد للاستثمار الأجنبي على الرغم من استحسان الدول النامية له وركضها خلفه، وكذلك: مكافحة الاحتكار العالمي، وعلاقة التجارة والبيئة، وحقوق الإنسان والعمال (عارضتها الدول النامية ضمن جوله المناقشات سنة ١٩٨٦م رغبة في استمرار زيادة الأرباح في ظل غياب مراقبة وشروط النقابات) والتكتلات الإقليمية وأثرها على حرية التجارة (ص١٤٣-١٥٢).

بهذا انتهى التقرير .. وتبرز الأسئلة الملحة فيما يتعلق بالاتفاقية وأطرافها

المسلمون



والعالم

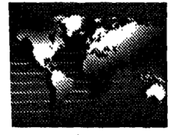
المتفاوتين في القوة السياسية والاقتصادية.

فلماذا تخضع دول العالم بأسرها لقوانين لا يحترمها مشرعوها؟ ولماذا تختار الدول المتقدمة الطرق القانونية لفرض رغباتها على العالم النامي أو فيما بينها؟ ألأنها أكثر حضارية من وسائل القوارب المسلحة التي اتبعها المستعمرون القدامى؟ أم لإيجاد مبرر قانوني يقضي بمعاقبة المخالفين، والذين يتوقع زيادتهم مستقبلاً في ظل بروز أجيال ترفض الخضوع والتبعية وتنشد الاستقلالية؟ .

لعل الجواب الذي توصلتُ إليه يشير إلى قيام أمم متحدة اقتصادية لتحل محل نظيرتها العسكرية في مرحلة الوفاق الدولي الجديد، وندعو ونرجو!! ألا تكون ظالمة كسابقتها، إلا أن المتعارف عليه هو أن الأفعى تغير جلدها ويبقى السم في أنيابها.

---

* فيليب إيفانز وجيمز والش (دليل وحدة أبحاث الإيكونومست إلى الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة): «جات» الجديدة : منظمة التجارة العالمية، ترجمة / حمد الخريف و فواز الدخيل، ط١، الرياض، ١٤١٥هـ.



المسلمون في أوغندا تاريخ وتحديات

تمهيد : إفريقيا الخضراء (جنوب الصحراء الكبرى)، يعتبرها المستعمرون الأوائل ومن خلفهم من جماعات التنصير التي ربت نفراً من أبناء إفريقيا ونصّرتهم وجعلتهم حكاماً، يعتبرون تلك المناطق حكراً على النصرانية، مع أن جل تلك المناطق سبق أن حكمتها دول إسلامية قديمة، وكثير من أهلها مسلمون، وأوغندا نموذج لتلك الدول التي نرى من تاريخها القديم ما يؤكد إسلاميتها حتى عصر متأخر جداً، وسنرى كيف تمزق المسلمون فيها، وفتح المجال لفئات منحرفة منسوبة إلى الإسلام للعمل بها حتى حكمها « نصراني متغطرس »، نلمس حقده في تصريحاته ومواقفه الأخيرة، وفي هذا المقال بيان لحال هذه الدولة والتحديات التي واجهتها .

ـ البيان ـ

المسلمون والعالم



أولاً : تعريف بأوغندا جغرافيّاً :

موقعها الجغرافي : تقع دولة « أوغندا » في الوسط الشرقي للقارة الإفريقية ، على خط الاستواء، ولها خمس جارات من الدول : تجاورها دولة « كينيا » شرقًا، و « زائير » غربًا ، و « السودان » شمالاً ، و « تنزانيا » و « رواندا » جنوبًا ، ولعدم إطلالها على البحر ، انتظمت في مجموعة الدول البرية الحبيسة ، التي ظلت سنين طويلة دون أن تطأها الأقدام الأجنبية ، مما ساعدها على المحافظة على أصولها البشرية ؛ فسكانها أفارقة أقحاح ، ينتمون إلى قبائل « البانتو »، و« النيليين »، و « لووا »(١).

سبب تسميتها : أطلقت عليها بريطانيا « يوغندا » نسبة إلى مملكة « بوغندا ».

بقلم: زياد صالح لو با نغا

إحدى الممالك التي كانت تتكون منها أوغندا قبل اتحادها، غير أن الدكتور «محمد سيد محمد» ذهب إلى أن تسميتها راجعة إلى اشتقاق كلمة «يوغندا» من ا سم إحدى ممالكها «بوغندا» ، فأصل الكلمة بلغة البانتو: «غاند»، وكلمة «باغندا» معناها : قبيلة الغاند ، وتسمى لغتها «لوغندا»: ويطلق على بلادهم «بوغندا» ، واعتاد المستكشفون القادمون من ساحل شرق إفريقيا استخدام المقطع الأول في اللغة السواحلية وهو «أو»، فأطلقوا على البلاد «أوغندا» ، وهو ما أطلق بعد ذلك على كل المناطق التي أدمجت في محمية أوغندا(٢)، وهو رأي وجيه ، يدل على أن التسمية محلية وليست أوروبية .

مساحتها : تبلغ مساحتها حوالي (٢٤٣ر٤١٠)كم٢، تغطي المياه منها ١٥٪ .

المناخ : إن كثرة المساحات المائية، وعظم ارتفاعها ، وهطول الأمطار على مدار السنة.. كل ذلك ترك أثرًا بالغًا في تعديل درجة الحرارة في أوغندا ، إذ لا تزيد غالبًا على (٢٧ْ) (٣) .

أهم مدنها : من أكبر مدنها «كمبالا»، وهي العاصمة الإدارية والتجارية، و«عنتيبي»، وهي المدينة السياسية، وبها المطار الدولي، و«جنجا»، وهي المدينة الصناعية ، ومنها ينبع نهر النيل أطول نهر في العالم، و «إمبالي»، وفيها أنشئت الجامعة الإسلامية ، التي افتتحت سنة ١٩٨٨م .

المسلمون



والعالم

٦ - **استقلالها** : دخلت أوغندا تحت الاحتلال البريطاني سنة «١٣٠٨هـ - ١٨٩٠م»، وظلت تابعة لحكمه اثنين وسبعين عامًا، وأخذت استقلالها سنة «١٣٨١هـ - ١٩٦٢م».(٤)

عدد سكانها : يبلغ عدد السكان في أوغندا الآن حوالي «١٧مليون» نسمة(٥)، يتروح عدد المسلمين فيها بين (٣٥٪-٤٠٪)(٦)، وعددهم في ازدياد مطرد .

ثانياً : دخول الإسلام في أوغندا :

ظلت «أوغندا» ردحًا من الزمن بلدًا وثنيًا، حتى منَّ الله عليها بالإسلام، حين دخلها سنة «١٢٦٠هـ - ١٨٤٤م»، ويعتبر الإسلام أول دين سماوي شق طريقه إليها؛ ليخرج الناس من عبادة الأوثان والطواغيت إلى عبادة الله الواحد القهار(٧)، وقد أخذ دخول الإسلام في هذا البلد مكانًا رئيسًا في تاريخه، إذ المؤرخون كلهم يبدؤون عنده، وليس هناك من الحفريات أو الآثار ما يتحدث عن هذا البلد قبل الإسلام، ومن هنا .. كان لزامًا على المسلمين أن يهتموا بهذه البقعة وسائر البقع الإفريقية وغيرها، لعدة أمور، منها :

١ - **انتشار الإسلام** : انتشر الإسلام في أكثر مناطق القارة الإفريقية بسرعة فائقة؛ حيث أصبحت نسبة المسلمين فيها هي الغالبية العظمى، فقد وصلت إلى «٥١٫٧٪»، وقيل «٥٧٪»(٨) مما يدل على أن هذه القارة إسلامية من حيث النسبة العددية، وأن مستقبلها - إن شاء الله - مستقبل إسلامي مشرق .

٢ - **أن إفريقيا تتوسط قارات العالم الخمس**، وبإمكانها أن تكون همزة وصل بين بقية القارات من حيث نقل الثقافة، والمعرفة، والتجارة .. وغيرها من الحاجات الضرورية للإنسان، أضف إلى ذلك أن أكثر أراضيها خصبة، فلو استغلت كلها في الزراعة والحرث لقل الفقر في العالم كله .

المسلمون



والعالم



وقد دخل الإسلام أوغندا عبر محورين أساسين:

المحور الأول: التجار العرب والمسلمون السواحليون ، الذين أتوا من شرق إفريقيا، أيام الدول الإسلامية التي قامت في تلك المنطقة في عهد النبهانيين، وإمبراطورية الزنج الإسلامية ، ودولة بنى سعيد في «زنجبار»، وقد دخل هؤلاء أوغندا سنة (١٢٦٠هـ - ١٨٤٤م)، وكان أولهم وصولاً الشيخ/أحمد بن إبراهيم العمري (رحمه الله) ، - وذلك في عهد الملك «سونا الثاني» - وقد وقف هذا الشيخ (رحمه الله) في مجلس الملك، وتحدث عن الإسلام ومحاسنه وآدابه، حتى اقتنع الملك، فأسلم ومن معه ، وتعلم القرآن الكريم، وحفظ منه أربعة أجزاء ، إلا أنه لم يعثر على أنه فعل شيئًا يذكر لنشر هذا الدين[٩].

المحور الثاني: العرب المسلمون : حيث انضم عدد منهم إلى الحملات الاستكشافية لمنابع نهر النيل ، التي لقيت ترحيبًا كبيرًا من الملك «موتيسا الأول»، الذي ورث عرش الملك بعد أبيه «سونا الثاني» ، وقد أسلم هو أيضًا وحسن إسلامه ، وطلب من «الخديوي إسماعيل» حاكم مصر أن يرسل له علماء لهداية شعبه ، وأبدى هذا الملك حماسًا منقطع النظير للإسلام، وعمل على نشره، ليس وسط قومه في مملكة «بوغندا» فحسب، بل تعداها إلى الممالك الأوغندية المجاورة، عندما كتب إلى «كابا ريغا» ملك مملكة «بونيورو» داعيًا إياه إلى الإسلام، كما حث أمراءه في مملكته وشعبه كله على اعتناق هذا الدين الرباني ، وإقامة شعائره الدينية ، وتشييد مساجده ، ومنح المسلمين السواحليين مشيخات وولايات ؛ لتدبير شؤونها الدينية ، كما أدخل التقويم الهجري في أنحاء مملكته ، وأمر الناس بالتحلي بآداب الإسلام وأخلاقه : في معاملاتهم اليومية، وشؤونهم

الاجتماعية[١٠].

وهكذا انتشر الإسلام في ربوع أوغندا، وكان انتشاره في مملكة «بوغندا» أقوى من أي مملكة أخرى مما جعل التيارات الوافدة تتآمر عليها لتمنع المد الإسلامي المتدفق منها، ولولاها لكانت ممالك أوغندا كلها مسلمة، ولكانت بمثابة ركيزة إسلامية كبيرة في منطقة الشرق الإفريقي كلها، وقد دام عهد «موتيسا الأول» ثمانية وعشرين عامًا؛ أي : من سنة (١٢٧٣هـ - ١٨٥٦م) إلى سنة (١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م)[١١].

ثالثًا: مراحل انتشار الثقافة الإسلامية وتحدياتها:

ويمكن تقسيم هذه المراحل إلى ثلاث، وهناك تحديات كثيرة واجهت كل مرحلة، وسنذكر بعضها بإيجاز، وهذه المراحل هي :

١ - المرحلة الأولى : من وقت دخول الإسلام في أوغندا سنة (١٢٦٠هـ - ١٨٤٤م) إلى سنة (١٣٩١هـ - ١٩٧١م).

٢ - المرحلة الثانية : من سنة (١٣٩١هـ - ١٩٧١م) إلى سنة (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٣ - المرحلة الثالثة : من سنة (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) إلى سنة (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

الثقافة الإسلامية وتحدياتها من (١٢٦٠هـ - ١٨٤٤م) إلى (١٣٩١هـ - ١٩٧١م):

قبل أن أتطرق إلى الثقافة الإسلامية في هذه الحقبة من الزمن، أود أن أكمل الشوط مع القادة والملوك، لتتضح الصورة التاريخية جيدًا، فقد ورث «موانغا» أبيه «موتيسا الأول» سنة (١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م)، ولم يكن في قوة أبيه من التمسك بالدين، بل إن انحيازه إلى الإرساليات التنصيرية دليل واضح على تحوله عن الإسلام، صحيح أن أباه في نهاية عهده، هو الذي أذن للإرسالية البروتستانتية بدخول أراضيه سنة(١٨٧٧م)، ثم أذن للإرسالية

المسلمون



والعالم



الكاثوليكية بعد ذلك سنة (١٨٧٩م)، لكن عهد «موانغا» امتلأ بالحروب ضد الإسلام والمسلمين، ففي سنة (١٨٨٩م) توحدت الإرساليتان لمحاربة المسلمين، وألحقت بهم هزيمة مؤلمة، أجبرتهم على التقهقر إلى «يونيورو» في المملكة المجاورة، ولم يحرك ذلك ساكن «موانغا»، كما أنه في سنة (١٨٩١م) هاجم المسيحيون المسلمين في حدود مملكة «يونيورو» وقتلوهم شر قتلة، وكان ذلك بمرأى ومسمع من «موانغا»، وقد دام ملكه حتى سنة (١٣١٥هـ - ١٨٩٤هـ)[١٢] ثم تلاه حكام نصرانيون، حتى آخر المرحلة، فقد تلاه ابنه «داودى شوا» سنة (١٣١٥هـ - ١٨٩٤م) ودام ملكه حتى سنة (١٣٦٠هـ - ١٩٣٩م)[١٣]، ثم اعتلى العرش ابنه «إدوارد فريدريك موتيسا الثاني»، وفي عهده في عام (١٣٦٩هـ - ١٩٤٨م) بدأت الأحزاب الوطنية تتكون للمطالبة بالاستقلال عن بريطانيا، وفي سنة (١٣٧٣هـ - ١٩٥٢م) طالب الملك «موتيسا الثاني» بالحكم الذاتي من بريطانيا، فمنحته ذلك سنة (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م) وفي السنة نفسها نظمت الانتخابات العامة التي فاز فيها حزب «مؤتمر الشعب الأوغندي» بقيادة الدكتور «ملتون أبوتى»، فأصبح أول رئيس لأوغندا بعد الاستقلال، وفي سنة (١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) اختلف الرئيس مع الملك «موتيسا الثاني»، فأرسل الرئيس حرسه الخاص للقبض عليه، إلا أنه تمكن من الفرار، ولجأ إلى بريطانيا ليقضي فيها بقية عمره، وتوفي سنة «١٣٨٩ - ١٩٦٩م»، ثم انتهى عهد هذا الرئيس بانقلاب عسكري في سنة «١٣٩١هـ - ١٩٧١م»[١٤]، وبانتهاء عهده انتهت المرحلة الأولى للتاريخ الأوغندي من حيث القادة والملوك.

أما الثقافة الإسلامية فقد انتشرت مع مجيء الإسلام إلى أوغندا؛ حيث أنشئت هناك المساجد والمدارس على نمط الكتاتيب، وكان الذي يتخرج منها يصير عضواً فعالاً في المجتمع الإسلامي، وقد انحصرت تلك الثقافة في

المبادئ التي أتى بها المسلمون الأوائل ، الذين قدموا إلى أوغندا، وتوقفت صحتها من عدمها على ما كان يحملونه من اعتقادات واتجاهات وأفكار ومفاهيم، وكان لها الأثر البالغ في الأجيال القادمة ، التي تربت في كنفهم ، وتخرجت على أيديهم . وأيًا ما كان الأمر ، فقد انتشرت الثقافة الإسلامية عبر تعليم اللغة العربية قراءة ونطقًا : إذ هي الأساس في معرفة الدين الإسلامي وفهم عباداته وشعائره ، وقضاياه الجوهرية ، ولم يكن الاعتماد في تعليمهم إياها ، على كتاب معين، إلا ما كانوا يرتجلونه من حفظهم وسليقتهم ، حيث كان أغلبهم من العرب التجار، والمصريين الذين أرسلهم حاكم مصر « الخديوي إسماعيل » . وأما علم الفقه ، فقد استقوه من بعض الكتب المختصرة في المذهب الشافعي ، التي تيسر عليهم حملها في رحلاتهم التجارية ، وكان منها :

١ - سفينة النجاة. ٢ - إرشاد المسلمين. ٣ - الغاية والتقريب. ٤ - الياقوت النفيس. ٥ - هداية الأطفال. ٦ - المبادئ الفقهية. ٧ - عمدة المالك وعدة الناسك ، وغير ذلك . . .

كما أنه في الرقائق والمواعظ ، اعتمدوا على: تذكرة الواعظين ، ودرة الناصحين ، والخطبة المنبرية لابن نباته(١٥)، فاستطاعوا بذلك أن يضعوا حجر الأساس للثقافة الإسلامية في أوغندا ، الذي انطلق منه من بعدهم، فأخذت رقعة الثقافة تتسع بكثرة طلابها ، الذين وفدوا إلى مدارس هؤلاء الشيوخ لطلب العلم والمعرفة.

والتحديات المواجهة للثقافة الإسلامية في كل مراحلها كثيرة ومتعددة ، ولكني سأوجزها في نوعين :

١ - التحديات الداخلية :

وأعني بها التي كانت من المسلمين أنفسهم، وعلى رأسهم علماؤهم الأوائل، فإنه على الرغم من جهودهم المشكورة ، وفضلهم الكبير في نشر الإسلام في ربوع



أوغندا ، إلا أنهم اصطحبوا بعض الكتب الخطيرة ، التي تحتوي على البدع والخرافات ، وعلموها أبناء الإسلام الجدد ، فتصور هؤلاء أن هذه الكتب من جملة المصادر التي يُستقى منها الإسلام الصحيح ، أضف إلى ذلك: أن وقع اللغة العربية وهيبتها في نفوسهم – لكونها لغة القرآن والسنة – جعلهم يعتقدون أن كل ماكتب بالعربية متصل بالقرآن ، فهو إذن من الإسلام، وبالتالي: يجب توقيره واحترامه.

وهذه الكتب شكلت تحديًا كبيرًا على عقيدة المسلمين الأوغنديين، وخاصة في موضوعاتها الجوهرية ، مثل:

(أ) الغلو في الرسول ﷺ : فإن المسلمين في أوغندا عرفوا نبيهم ﷺ عبر الكتب التالية :

– كتاب المولد للبرزنجي ، وهو كتاب بدعي يحتوي على قصص مولد النبي ﷺ، مع الغلو في شخصيته مدحًا وثناءً ، وقد أصبح هذا الكتاب معظمًا جدًا؛ حيث كانت تقرأ أبوابه في المناسبات الإسلامية، وكان كل مسلم يحرص على اقتنائه، حتى الذي لا يعرف منه إلا اسمه، واستمر هذا الوضع حتى في المرحلة التي تلت تلك المرحلة.

– كتاب البردة ، للبوصيرى ، وهو كتاب صوفي ، كان صاحبه من الغلاة في الإطراء والمدح لرسول الله ﷺ ، حتى إن بعض مقالاته ، تصل إلى الشرك بالله (تعالى)، وقد كان المسلمون يحفظونه عن ظهر غيب، ويتدارسونه كل ليلة جمعة، وفي رمضان كله .

(ب) علم السحر والتنجيم : أما التنجيم فقد استقوه من كتاب الأباجاد ، وأما السحر، فقد أخذوه من كتاب شمس المعارف ، وكلاهما يحتويان على الضلال والشرك بالله ، فإن الأخير ذكر في خاتمته إشارات تلزم البراءة من الله (تعالى) ورسوله ، وتعظم الجن والشياطين[16]. وهذا يدل على أن الثقافة الإسلامية في



تلك المرحلة كانت مهددة بالسقوط والانحطاط؛ لفقدان الأساس من العقيدة والتصور السليم لحقائق الوجود وطرق التعامل معها .

٢ - التحديات الخارجية :

وأعني بها : التي واجهت الثقافة الإسلامية من قبل التيارات غير الإسلامية ، التي اكتسحت البلاد بشكل كبير ، وكان على رأسها الاستعمار البريطاني؛ فقد أصيبت الثقافة الإسلامية بنكسة كبيرة ، عندما احتلت بريطانيا أوغندا سنة« ١٣٠٨هـ - ١٨٩٠م» ، وفرضت الحماية عليها سنة « ١٣١٢هـ - ١٨٩٤م» ، وحولتها إلى مستعمرة تابعة لحكمها ونفوذها، وهذا الاحتلال اتخذ أسلوبين من التحدي :

(أ) تعزيز البعثات التنصيرية : لقد عزز الاستعمار مواجهته للثقافة الإسلامية بالبعثات التنصيرية التي تنافست في العمل على ارتداد الناس عن الإسلام، وعلى رأسهم الملك « موتيسا الأول »؛ لأنها أدركت خطورة انتماء حاكم أعلى لدين معين - وخاصة الإسلام - لأنه بذلك يمكنه الحيلولة دون اعتناق قومه أي دين آخر، وفعلاً، تمكنت الإرساليتان -البروتستانتية و الكاثوليكية - من تحويل الملك « موتيسا الأول » عن مناصرة الإسلام وأهله ، وذلك بإطلاق شائعات مختلفة ، من بينها : أن أتباعه المسلمين يكرهون إمامته في الصلاة ، لأنه غير مختتن (وكان من عادات الملوك عدم إراقة شيء من دمائهم ، سواء بالختان أو بغيره) وأنه بذلك أخل بسنن الإسلام وتعاليمه، فلما سمع الملك هذا الكلام استدعى مؤذنه ورئيس خدامه وساله عن ذلك، فردد على مسامعه : أنه وجميع المسلمين يكرهون الصلاة خلفه والأكل معه؛ لأنه لم يتبع سنة الإسلام في الختان، وعلى الفور انزعج الملك بما صدر من المؤذن ، وأمر بمحاصرة المسلمين وأحرقهم أحياء في « نامغونغو »(١٧)، وما أن أحرق هؤلاء حتى أصبحت الثقافة الإسلامية، في غيابة الركود والجمود ، إذ لم يلتقطها أحد لينشرها في الأجيال الجديدة ، إلا بعض من أنجاهم الله (تعالى) من فتنة هذا الملك .



«ب» تشجيع المذاهب الهدامة، وتقديمها بديلاً عن الإسلام الصحيح: كالقاديانية، والإسماعيلية، والبهائية وغيرها، فهذه المذاهب المنشقة عن الإسلام، جاء بها الباكستانيون والبنغاليون والهنود، الذين استقدمتهم بريطانيا – وكان أكثرهم يحملون جنسية بريطانية – لمد خطوط السكك الحديدية، وحيث إن بريطانيا كانت قد احتلت بلادهم، فقد زاد توافدهم وهجرتهم إلى أوغندا، حتى استوطنوها، وزاولوا التجارة فيها حتى فاقوا أقرانهم المواطنين(١٨)، وبنوا مساجد ومدارس عرفت بأسمائهم ، فهؤلاء مهما أظهروا الإسلام، فإنهم يشوهونه بعقائدهم الفاسدة، وآرائهم الباطلة ، وتقديم بريطانيا لهم على المسلمين الحقيقيين، إنما يعني ذلك : التحدي السافر للإسلام وتعكير صفو ثقافته وحضارته .

وللحديث صلة .

---

١ – انظر :حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في إفريقيا الشرقية، لمحمد أحمد مشهور ص ٧٥ .

٢ – مجلة كلية الشريعة بجامعة الملك عبدالعزيز، العدد (٣) ١٣٩٧هـ ، مقال بعنوان: أوغندا قبل الحماية، لسيد عبدالمجيد بكر ص٦٧ .

٣،٤– الأقليات المسلمة في إفريقيا: جـ٢/ ١٢٩، ١٢٨.

٥ – انظر : العالم الإسلامي اليوم ، د. عادل طه يونس، ص٤٨ .

٦ – انظر : مجلة منار الإسلام، شعبان ١٤١٠هـ .

٧ – انظر: الأقليات المسلمة في العالم، جـ٢ ص٩٧١ .

٨ – المصدر السابق، ص١١ .

٩ و١٠ و١١ – مجلة العلوم الاجتماعية العدد (٦)، ص٢١،٢٣ .

١٢,١٣,١٤– مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، ص٢١،٢٥ – ٣٠ .

١٥,١٦ – مظاهر الانحراف في توحيد العبادة، ص١٠–١١ .

١٧– الدفاع عن أراضي المسلمين من أهم فروض الأعيان، ص٩٢ .

١٨ – الأقليات المسلمة في إفريقيا، جـ٢/١٣٣ .

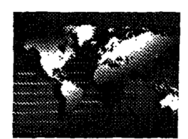
المسلمون



والعالم

مجاهدو مورو ..

حصاد مرحلة



تمهيد :

يسود التوتر الشديد منطقة مورو الإسلامية في هذه الأيام، ويتوقع سكانها المسلمون والنصارى وغيرهم أن تندلع نيران الحرب المدمرة في أي لحظة ، ذلك أن حكومة «راموس» حشدت قواتها المسلحة البرية والبحرية والجوية في هذه المنطقة، إذ إن سبعين في المئة من جنود القوات المسلحة الفلبينية قد تم نقلهم مع أجهزتهم الحربية إلى منطقة (ميناناو) .

ومنطقة « ميندناو» هي المنطقة التي يطلق عليها المسلمون : اسم « مورو »، وما زالت الحكومة تنقل إليها القوات معللة ذلك بسببين، هما:

أولاً : حراسة المشاريع الحكومية في المنطقة ، ومنها : اكتشاف منابع النفط، وإنشاء الطرق، واستصلاح الأراضي الزراعية .

ثانيًا : مواجهة الهجوم الموسع المتوقع من قبل « جبهة تحرير مورو الإسلامية »، علماً بأن الحكومة تزعم أن أجهزة استخباراتها استخلصت معلومات أكيدة تفيد أن مجاهدي « جبهة تحرير مورو الإسلامية » سيقومون بهجوم شامل وضربات مفاجئة ، والواقع أن حكومة الفلبين الصليبية اتخذت ادعاءها وزعمها المذكورين مبرراً لحشد قواتها في المناطق الإسلامية؛ فبالنسبة إلى مشاريعها المذكورة : فهي مشاريع عادية

بقلم :
التحريـــــــــــــر*

لا تحتاج إلى أكثر من مئة ألف جندي لحراستها ، وأما زعمها بأن مجاهدي « جبهة تحرير مورو الإسلامية » سيقومون بالهجوم الشامل على الفلبين فلا أساس له أيضًا ، ولكنها اصطنعت ذلك لتبرير تلك الحشود الضخمة في المنطقة، لمحاولة تحقيق نواياها السيئة من وراء ذلك.

والسر وراء حشد القوات معروف، وهو : أن هذه الدولة الصليبية (التي أقامها الاستعمار في منطقة الشرق الأقصى) تحاول أن تحقق نواياها القديمة، وهي القضاء على المسلمين في المنطقة؛ لأن الصليبيين لا يستطيعون أن يتعايشوا مع الموحدين الحقيقيين .

الأزمة الاقتصادية المتزايدة : بينما تنشر الحكومة الصليبية قواتها المسلحة في المناطق الإسلامية، تعاني هذه المناطق أزمة اقتصادية شديدة، وقد ارتفع ثمن كل شيء ، ومن ذلك : الأرز الذي يعتبر غذاءً أساسًا في المنطقة، وبطبيعة الحال فإن الناس يكرهون ارتفاع الأسعار، ولكن هناك شيء آخر أخطر وأشد وأبغض من ارتفاع الأسعار، وهو : ارتفاع نسبة الجرائم وانتشارها، وقد تصاعدت الجرائم مع حشود قوات الفلبين المسلحة في المنطقة ، ففي كل يوم يقتل أو يغتال عدد من الناس، وخاصة في محافظتي (ماجينداناو) و (كوتباتو) الشمالية، ولا يكاد

يمر أسبوع إلا ويكون قد خُطف أحد الأغنياء أو الموسرين، وقد انتشرت الفواحش وشرب الخمر ولعب القمار وغير ذلك، وتدهور الاقتصاد، وانتشرت السرقة والنهب وجميع أنواع الفساد والإفساد، بالإضافة إلى ما ذُكر : فإن الجواسيس و رجال المخابرات – الذين يقومون بأعمال تخريبية خفية – وينشرون الشائعات، ويوقعون العداوة بين الناس عن طريق الدسائس وإشعال الفتن ؛ مما أدى إلى انتشار الفوضى .

المناطق المحررة سالمة : أما المناطق المحررة التي يسيطر عليها المجاهدون، فلم تتأثر أبداً بسموم هؤلاء، ولم تتعرض للفساد، علماً بأن النظام المتبع فيها نظام إسلامي، ولا يوجد فيها آثار الانحراف، ولا تمارس فيها المحرمات: كشرب الخمر، ولعب القمار، وغيرهما من الأمور التي لا يبيحها الشرع .

الوضع الدعوي : رغم الظروف الصعبة التي تحيط بالمنطقة والحياة القاسية التي يعيشها دعاتنا، فإن الدعوة إلى دين الله الحق تشق طريقها ، فيحسن إسلام المسلمين، ويزداد عدد المسلمين الجدد يوماً بعد يوم؛ حيث يعتنق الإسلام كثير من النصارى و الوثنيين بحب ورضا، غير أننا لا نستطيع أن نقدم إحصاءً في هذا التقرير العاجل، ولكننا نوضح هذه الأدلة :

أدلة على تحسن إسلام المسلمين السابقين :

١ – تزدحم المساجد بالمصلين، وخاصة في القرى التي يسيطر عليها المجاهدون .

٢ – كثرة التجمعات الكبيرة للاستماع إلى المحاضرات الإسلامية، ومناقشة المسائل المتعلقة بتعاليم الدين الحنيف .

٣ – وجود آلاف مؤلفة من المسلمين في قواعد « جبهة تحرير مورو الإسلامية » ومراكزها؛ للاشتراك في الأنشطة الإسلامية فيها .



٤ – انتشار الحجاب في الجامعات العلمانية، والمؤسسات الرسمية، وفي الأسواق والشوارع.

٥ – تمسك المسلمين بعقيدة السلف الصالح، وخاصة المجاهدين منهم التابعين لجبهة تحرير مورو الإسلامية، وتركهم البدع والخرافات .

٦ – نبذ العادات والتقاليد المخالفة للإسلام .

٧ – نمو عقيدة الولاء والبراء، وخاصة لدى المجاهدين .

٨ – نمو الوحدة والتضامن، و التعاون على البر والتقوى .

من ثمرات الجهود الدعوية للجبهة :

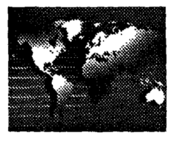
١ – توافد عدد كبير من النصارى والوثنيين على المساجد الجديدة لإعلان إسلامهم، مثل المسجد الذي بني في محافظة (بوكيد).

٢ – تسابق زعماء القبائل على تعيين خريجي الدورات الشرعية، لتعليم المسلمين أمور دينهم، وذلك في محافظة (بوكيد) التي يقطنها سكان معظمهم وثنيون .

٣ – إقامة مسجد ومدرسة في محافظة (أجوسان) على نفقة أهل الخير .

وقد فوجئ المدرسون المعينون في المدرسة : أن معظم التلاميذ الذين التحقوا بالمدرسة من أولاد النصارى و الوثنيين ، الذين قالوا : إنهم يريدون أن يعتنقوا الإسلام.

٤ – وقد أسلم عدد كبير من القبائل الوثنية في محافظة (سرانجاني)، وفي محافظة (كوتباتو) الجنوبية، ومحافظتي (داباو) الجنوبية والشمالية، ومحافظة (أجوسان) ومحافظة (سوريجا) و محافظة (زامبرانجا) الشمالية، وقد حضر عدد كبير منهم إلى قاعدة أبي بكر الصديق – حيث



مقر القيادة العامة للدعوة والجهاد في سبيل الله - لحضور دورات تدريبية قصيرة هناك تعقد للمسلمين الجدد .

٥ - في هذه الأيام يتوافد على قاعدة أبي بكر الصديق عدد من المسلمين الجدد الحاصلين على الشهادات الجامعية، لأداء الخدمة في التمريض، وفي الزراعة ، وغيرهما ، ولتلقي الدروس الإسلامية .

وما ذكر أمثلة فقط للإنجازات والأنشطة الدعوية التي تشرف عليها « جبهة تحرير مورو الإسلامية » .

الوضع الجهادي:

كان مجاهدونا منذ عام ١٩٧٠م يلجؤون إلى ما يسمى حرب العصابات، أو حرب الكر والفر ؛ بسبب قلة الإمكانات الحربية؛ وليست لديهم أماكن ثابتة، فكانوا يتنقلون في المناطق الجبلية الغابية، وظلوا على هذا الحال قرابة عشرين عامًا .

وقد بدأ الوضع يتغير منذ عام ١٩٩٠م إلى وقتنا الحاضر، وشهدت هذه الفترة تصاعداً كبيراً على صعيد المواجهات المسلحة بين مجاهدينا والقوات المسلحة الفلبينية ، وكانت معظم المواجهات لصالح المجاهدين (والحمد لله) .

وكانت بداية المواجهات التي انتصر فيها مجاهدونا حول قاعدة أبي بكر الصديق في عام ١٩٩٠م، واستمرت المواجهات الحربية المتقطعة إلى عام ١٩٩٣م، وفي عام ١٩٩٤م كانت المواجهات الحربية في محافظة (كوتباتو) الشمالية، في بلدية كل من (كارمين) و (أليوسان) و (بانيسيلان) ، واستولى مجاهدونا على ثلاث من القرى التي يستوطنها النصارى، وفي عام ١٩٩٥م حشدت الحكومة سبعين في المئة من جنود قواتها المسلحة في المناطق

المسلمون



والعالم

الإسلامية، وحاول الجنود الصليبيون أن يحاصروا قاعدة أبي بكر الصديق – حيث المقر الرئيس للقيادة العامة لجبهة تحرير مورو الإسلامية – كما حاولوا أيضاً أن يحاصروا قواعدنا العسكرية الأخرى، وتقدم مجاهدونا لملاقاة جنود العدو الذيْن كانوا على أهبة الهجوم الموسع، وعندما شعر العدو أن مجاهدينا قد أتموا سيطرتهم على جميع الأماكن الاستراتيجية في الميدان، وأن جنوده محاصرون : بادر رئيس أركان القوات المسلحة الفلبينية الجنرال (أرتورو إينريلي) بإصدار أوامر إلى قواته المسلحة بالانسحاب، وانسحب جنوده فعلاً، وأما مجاهدونا فبقوا في مواقعهم، ولا يزالون ثابتين فيها حتى الآن، وتقدم بعضهم قليلاً .

آثار انسحاب الجنود الصليبيين :

كان لانسحاب الجنود الحكوميين آثار طيبة في وضع الجهاد بخاصة، وفي وضع المسلمين بعامة، وأهمها ما يلي :

١ – رفع معنوية المسلمين المستضعفين الذين اعتادوا الهروب أمام جنود الكفار ، وهذه هي المرة الأولى في هذه البلاد منذ خمس وعشرين سنة أن ينسحب عشرات الآلاف من جنود الكفار أمام المجاهدين، وكان المألوف أن يهرب الناس أمام هؤلاء الجنود .

٢ – ارتفاع الأمل في النصر، وقد كان كثير من المسلمين المستضعفين يرون أن النصر على جنود الحكومة المزودين بالأسلحة المتطورة أمر صعب، وبعيد الوقوع ، ولكن عندما رأوا أن عشرات الآلاف من الجنود الصليبيين مع دباباتهم ومصفحاتهم ومدافعهم الثقيلة ينسحبون أمام المجاهدين : تيقنوا بأن النصر ممكن، وليس بعيداً .



٣ – أن النصارى المستوطنين في بلاد المسلمين فقدوا ثقتهم بجنود الحكومة، ويخشون الآن ألاّ يستطيع هؤلاء الجنودُ حمايتهم .

٤ – زعماء النصارى يتصلون بقادة الجهاد للتفاهم معهم، ويطلبون الأمان منهم .

٥– تغيرت معاملة النصارى مع المسلمين إلى الأحسن ، فكان هؤلاء ينظرون إلى المسلمين نظرة احتقار، والآن أصبحوا يحترمونهم .

٦ – تغيرت معاملة الجنود ورجال الشرطة مع المسلمين في المدن إلى الأحسن، فاصبحوا الآن ينظرون إلى المسلمين نظرة احترام وإعزاز .

٧ – توقفت الأعمال الوحشية التي يقوم بها النصارى المسلحون أو الميلشيات النصرانية ضد المسلمين .

وقد تبين عندنا الآن أن القتال الذي يكرهه كثير من المسلمين هو خير لهم، و أن المفاوضات السلمية التي يميل إليها كثير منهم هو شر لهم .

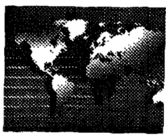
المرحلة الحاسمة :

لقد وصل جهادنا اليوم إلى مرحلة حاسمة، فقد كان مجاهدونا – كما ذكر – يلجؤون إلى حرب العصابات، لقلة إمكاناتهم، ولأنه لم تكن لهم قواعد ومواقع ثابتة .

قواعدنا ومعسكراتنا ثابتة :

ولكن لدينا الآن – بحمد الله – قواعد ومعسكرات عسكرية ثابتة وبعضها معروف لدى العدو ، ومجاهدونا يقفون وجهًا لوجه مع جنود العدو في حدود البلديات والقرى التي نسيطر عليها .

وقد حاول جنود العدو أن يستولوا على قواعدنا العسكرية و معسكراتنا



منذ أربع سنوات، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل الذريع (ولله الحمد والمنة) ولا يزالون يحاولون حتى الآن أن يستولوا على مناطقنا المحررة، وأن يحسموا المواجهة المسلحة لصالحهم، ولكن - بعون الله وفضله - يتقدم مجاهدونا شيئًا فشيئًا إلى الأمام لتحرير مزيد من أرضنا المحتلة .

حرب العدو النفسية :

بعد المساجلة العسكرية الملحوظة في هذه الفترة لجأ العدو إلى الحرب النفسية والدعائية، ونشر الشائعات، وإيقاع العداوة بين الناس، وإلى نشر الفساد والإفساد من إشاعة الخمور وأماكن اللهو.. لأن العدو ما زال يسيطر على جميع وسائل الإعلام، وتتعاون معه - قصداً ومن غير قصد - بعض وسائل الإعلام الإسلامية .

دور علماء مورو المسلمين :

أصدر علماء مورو بيانًا منذ ثلاثة أسابيع تقريبًا، أوضحوا في مقدمته: أن مسلمي مورو لم ينهزموا أمام الاستعمار في جهادهم الذي استمر أربعة قرون، ولكنهم فقدوا وطنهم بسبب المؤامرات ضدهم والمفاوضات السلمية التي أدت إلى إلحاق بلادهم بدولة الفلبين الصليبية ، وصرحوا بأنه لا حل لمشكلة مسلمي مورو إلا بإعادة استقلال بلادهم استقلالاً تامًّا مع سيادة الدستور الإسلامي من خلال حكومة إسلامية تحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإذا لم يتحقق الهدف المذكور، فسوف يواصل مسلمو مورو جهادهم جيلاً بعد جيل إلى أن يتم استقلال بلادهم مع قيام حكم الله فيها .

وقد هز البيان الفلبين كلها، وكان دويه أقوى من دوي القنابل، وقد

المسلمون



والعالم

عقد « راموس » اجتماعًا طارئًا بخصوص البيان المذكور.

أما الحكم الذاتي فلن يحل المشكلة مهما كان نوعه ، لأن المسلمين لن يطيقوا استمرار الحياة في ظل دستور الفلبين وقوانينها الوضعية الجائرة، ويجب على المسلمين أن يقيموا حكم الله و شرعه، ولن يتم ذلك في ظل الدستور الفلبيني الوضعي، لذلك : أصبح الجهاد فرض عين على مسلمي مورو.

فشل سياسة العدو.:

لقد أدرك العدو الصليبي ذلك، وأدرك أن عمليات القمع والاضطهاد والظلم والإرهاب لن تمنع المسلمين من مواصلة جهادهم ، كما أدرك كذلك أن المكر والكيد والخداع لن يفيده في معاملته مع المسلمين ، كما علم أيضًا أن سياسة الاستعمار القديمة – وهي « فرق تسد » – لن تؤثر على المسلمين .

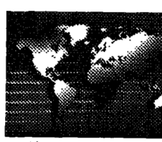
وإذا كان العدو يريد أن يحسم الأمر لصالح الاستقرار والأمن فلم يبق أمامه إلا أمران فقط :

إما أن **ينسحب من المناطق الإسلامية**، ويترك المسلمين أحرارًا ليعيدوا بناء دولتهم المغتصبة وهو الخيار السهل .

وإما أن يحارب المسلمين بقيادة « جبهة تحرير مورو الإسلامية »، و العلماء الأحرار و الأخيار، و خيرة المسلمين من الدعاة و المربين و المجاهدين والمثقفين ، ويعلم العدو أن « جبهة تحرير مورو الإسلامية » تملك الآن قوة عسكرية لا بأس بها، وأن مجاهديها قد تضاعف عددهم، وتحسنت أوضاعهم العسكرية .

هل يتم الحسم :

إن « جبهة تحرير مورو الإسلامية » تعتبر هذه السنة مرحلة حاسمة في



جهادها الطويل، و تتوقع قيام حرب واسعة النطاق بينها وبين حكومة الفلبين ، فقد أعد كل فريق عدته و حشد قواته، وكل فريق يبذل أقصى الجهد لحسم المواجهة المتوقعة لصالحه، لهذا نقول : إن جهادنا في سبيل الله وصل الآن إلى مرحلة حاسمة، ونسأل الله أن يكون الحسم لصالح الإسلام والمسلمين .

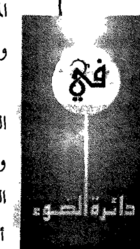
* من تقرير عن أوضاع المسلمين في مورو، صدر عن جبهة تحرير مورو الإسلامية، وكتب أصله رئيس الجبهة الشيخ «سلامات هاشم». (بتصرف)

– البيان –



أسماء الله الحسنى الفقه والآثار

بقلم : د. عبد العزيز آل عبد اللطيف



الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد : إن أجلّ المقاصد وأنفع العلوم : العلم بمعاني أسماء الله (عز وجلّ) الحسنى وصفاته العلا ، فإن التعرّف على الله (تعالى) من خلال أسمائه وصفاته يحقق العلم الصحيح بفاطر الأرض والسماوات ، والعلم بأسماء الله وصفاته يستلزم عبادة الله (تعالى) ومحبته وخشيته ، ويوجب تعظيمه وإجلاله .

ومع أهمية هذا الجانب وجلالة قدره، إلا أن ثمة غفلة عنه ، فنلحظ التقصير في فقه أسماء الله وصفاته ، وإهمال التعبّد والدعاء بها، وضعف الالتفات إلى ما تقتضيه هذه الأسماء الحسنى من الآثار والثمرات .

وسأتحدث ـ مستعيناً بالله (تعالى) ـ عن هذا الموضوع من خلال ما يلي :

• تظهر أهمية هذا الموضوع عبر الآيات القرآنية المتعددة التي تحض على تدبر القرآن الكريم ؛ كما قال (سبحانه) : **﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾** [ص :٢٩]، وذمّ القرآن من لا يفهمه، فقال (تعالى) : **﴿ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ**

حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٨]، ولا شك أن فقه أسماء الله (تعالىٰ) وصفاته يدخل في ذلك دخولاً أوليًّا .

ـ كما أن عبادة الله (تعالى) ومعرفته آكد الفرائض ، ولا يتحقق هذا إلا بمعرفة أسماء الله وصفاته .

يقول قوام السنة الأصفهاني (ت ٥٣٥ هـ) :

« قال بعض العلماء : أول فرض فرضه الله على خلقه : معرفته ، فإذا عرفه الناس عبدوه ، قال الله (تعالى) : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩]، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها ؛ فيعظموا الله حق عظمته ، ولو أراد رجل أن يعامل رجلاً : طلب أن يعرف اسمه وكنيته ، واسم أبيه وجده ، وسأل عن صغير أمره وكبيره ، فالله الذي خلقنا ورزقنا، ونحن نرجو رحمته ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها » (١) .

ـ وفقه أسماء الله (تعالى) وصفاته يوجب تحقيق الإيمان والعبادة لله وحده ، وإفراده (سبحانه) بالقصد والحبّ والتوكل وسائر العبادات ، كما بيّن ذلك أهل العلم .

ولذا : يقول العز بن عبد السلام :

« فهم معاني أسماء الله (تعالى) وسيلة إلى معاملته بثمراتها من : الخوف، والرجاء ، والمهابة ، والمحبة ، والتوكل ، وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات »(٢).

ويقول أيضًا : « ذكرُ الله بأوصاف الجمال موجب للرحمة ، وبأوصاف الكمال موجب للمهابة ، وبالتوّحد بالأفعال موجب للتوكل ، وبسعة الرحمة موجب للرجاء، وبشدة النقمة موجب للخوف ، وبالتفرّد بالإنعام موجب للشكر ، ولذلك قال (سبحانه) : ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ » .

ويقول ابن القيم ـ في هذا الصدد ـ :

« لا يستقر للعبد قدم في المعرفة ـ بل ولا في الإيمان ـ حتى يؤمن بصفات الرّب (جلّ جلاله)، ويعرفها

معرفة تخرج عن حدّ الجهل بربه ، فالإيمان بالصفات وتعرّفها هو أساس الإسلام ، وقاعدة الإيمان ، وثمرة شجرة الإحسان، فضلاً عن أن يكون من أهل العرفان... »(٣) .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي :

« إن معرفة الله (تعالى) تدعو إلى محبته وخشيته ورجائه وإخلاص العمل له ، وهذا عين سعادة العبد ، ولا سبيل إلى معرفة الله إلا بمعرفة أسمائه وصفاته ، والتفقه في فهم معانيها .. بل حقيقة الإيمان أن يعرف الربّ الذي يؤمن به ، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته ، حتى يبلغ درجة اليقين .

وبحسب معرفته بربه ، يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ، ازداد إيمانه ، وكلما نقص نقص ، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك : تدبر صفاته وأسمائه من القرآن .. »(٤) .



● والمقصود بالتعبد بأسماء الله (تعالى) وصفاته: تحقيق العلم بها - ابتداءً - ، وفقه معاني أسمائه وصفاته، وأن يعمل بها ، فيتصف بالصفات التي يحبها الله (تعالى): كالعلم، والعدل، والصبر، والرحمة .. ونحو ذلك، وينتهي عن الصفات التي يكرهها له (تعالى) من عبيده مما ينافي عبوديتهم لله (تعالى) ، كالصفات التي لا يصح للمخلوق أن يتصف بها كالكبر والعظمة والجبروت ... فيجب على العبد - إزاءها - الإقرار بها والخضوع لها .

ومن العمل بها : أن يدعو الله (تعالى) بها ؛ كما قال (سبحانه) : **﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾** [**الأعراف**: ١٨٠]، كما أن من العمل بها : تعظيمها وإجلالها ، وتحقيق ما تقتضيه من فِعْل المأمورات وترك المحظورات .

يقول ابن تيمية : « إن من أسماء الله (تعالى) وصفاته ما يُحمد العبد على الاتصاف به كالعلم والرحمة والحكمة وغير ذلك ، ومنها ما يذم العبد على الاتصاف به كالإلهية

والتجبر والتكبر ، وللعبد من الصفات التي يُحمد عليها ويؤمر بها ما يمنع اتصاف الربّ به كالعبودية والافتقار والحاجة والذل والسؤال ونحو ذلك . . . » [٥] .

وقال ابن القيم : « لما كان (سبحانه) يحبّ أسماءه وصفاته : كان أحبّ الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها ، وأبغضهم إليه : من اتصف بالصفات التي يكرهها ، فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت؛ لأن اتصافه بها ظلم ، إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه؛ لمنافاتها لصفات العبيد، وخروج من اتصف بها من ربقة العبودية، ومفارقته لمنصبه ومرتبته ، وتعديه طوره وحدّه ، وهذا خلاف ما تقدم من الصفات كالعلم والعدل والرحمة والإحسان والصبر والشكر ، فإنها لا تنافي العبودية ، بل اتصاف العبد بها من كمال عبوديته ، إذ المتصف بها من العبيد لم يتعد طوره، ولم يخرج بها من دائرة العبودية »[٦] .

وقال الحافظ ابن حجر أثناء شرحه لحديث « إن لله تسعة وتسعون اسمًا – مائة إلا واحدًا – من أحصاها دخل الجنة »[٧] :

« وقيل : معنى أحصاها : عمل بها، فإذا قال: « الحكيم »، مثلاً ، سلّم جميع أوامره، لأن جميعها على مقتضى الحكمة ، وإذا قال: « القدوس »، استحضر كونه منزهًا عن جميع النقائص ، وهذا اختيار أبي الوفا بن عقيل. وقال ابن بطّال : طريق العمل بها : أن الذي يسوغ الاقتداء به فيها – كالرحيم والكريم –: فإن الله يحب أن يرى حالاها على عبده، فليمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها ، وما كان يختص بالله (تعالى) – كالجبار والعظيم – : فيجب على العبد الإقرار بها، والخضوع لها، وعدم التحلي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد : نقف منه عند الطمع والرغبة ، وما كان فيه معنى الوعيد : نقف منه عند الخشية والرهبة »[٨] .

● ومما يستحق تقريره – ها هنا –: أن



تلازمًا وثيقًا بين إثبات الأسماء والصفات لله (تعالى) وتوحيد الله (تعالى) بأفعال العباد ، فكلما حقَّقَ العبد أسماء الله وصفاته علمًا وعملاً ، كلما كان أعظم وأكمل توحيدًا ، وفي المقابل: فإن هناك تلازمًا وطيدًا بين إنكار الأسماء أو الصفات وبين الشرك .

يقول ابن القيم ـ في تقرير هذا التلازم ـ : « كل شرك في العالم فأصله التعطيل ، فإنه لولا تعطيل كماله ـ أو بعضه ـ وظن السوء به، لما أشرك به ، كما قال إمام الحنفاء وأهل التوحيد لقومه : ﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات : ٨٦ ، ٨٧] أي : فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره؟، وما الذي ظننتم به حتى جعلتم معه شركاء؟ أظننتم أنه محتاج إلى الشركاء والأعوان ؟ أم ظننتم أنه يخفى عليه شيء من أحوال عباده حتى يحتاج إلى شركاء تعرفه بها كالملوك ؟، أم ظننتم أنه لا يقدر وحده على استقلاله بتدبيرهم وقضاء حوائجهم ؟ أم هو قاسٍ فيحتاج إلى شفعاء يستعطفونه على عباده ؟ ... والمقصود: أن التعطيل مبدأ الشرك وأساسه ، فلا تجد معطلاً إلا وشركه على حسب تعطيله، فمستقلٌ ومستكثرٌ»(٩) .



ونورد أمثلة في توضيح هذا التلازم والصلة بين توحيد العبادة وتوحيد الأسماء والصفات .

ـ فالدعاء ـ مثلاً ـ هو آكد العبادات وأعظمها ؛ فالدعاء هو العبادة ـ كما أخبر المصطفى ﷺ ـ ، وهو لا ينفك عن إثبات وفقه أسماء الله (تعالى) وصفاته .

ويشير ابن عقيل إلى هذه الصلة بقوله : « قد ندب الله (تعالى) إلى الدعاء ، وفي ذلك معانٍ :

أحدها : الوجود ، فإن من ليس بموجود لا يُدعى .

الثاني : الغنى ، فإن الفقير لا يُدعى .

الثالث : السمع ، فإن الأصم لا يُدعى .

الرابع : الكرم ، فإن البخيل لا يُدعى .

الخامس : الرحمة ، فإن القاسي لا يُدعى .

السادس : القـدرة ، فإن العاجـز لا يُدعى »[١٠] .

- والتوكل على الله (تعالى) وحده شرط في الإيمان ، وأجلّ العبادات القلبية ، ولا يتحقق التوكل إلا بمعرفة أسماء الله (تعالى) وصفاته، وقد وضح ذلك ابن القيم بقوله :

« ولا يتم التوكل إلا بمعرفة الربّ وصفاته من قدرته وكفايته وقيوميته وانتهاء الأمور إلى علمه ، وصدورها عن مشيئته وقدرته ، قال شيخنا ابن تيمية (رحمه الله) : ولذلك لا يصح التوكل ولا يتصور من فيلسوف، ولا من القدرية النفاة القائلين بأن يكون في ملكه ما لا يشاء ، ولا يستقيم أيضاً من الجهمية النفاة لصفات الربّ (جلّ جلاله) ، ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات .

فأي توكل لمن يعتقد أن الله لا يعلم جزئيات العالم سفليه وعلويه، ولا هو فاعل باختياره، ولا له إرادة ومشيئة، ولا يقوم به صفة؟ فكل من كان بالله وصفاته أعلم وأعرف ، كان توكله أصح وأقوى، والله (سبحانه وتعالى) أعلم »[١١] .

- وحسن الظن بالله والثقة به (تعالى) عبادة جليلة تقوْم على فقه أسماء الله وصفاته ، كالحكمة والقدرة . . ، كما أن سوء الظن بالله من آثار إنكار أسماء الله (تعالى) وصفاته .

يقول ابن القيم : « وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله ، وأسماءه وصفاته ، وعرف موجب حكمته وحمده . . .

ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تَعَتُّبًا على القدَر وملامة له . . . وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ، فمستقل ومستكثر ، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك ؟ »[١٢] .

- وأشار الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) إلى أن أصول العبادة الثلاثة (الحبّ، والرجاء، والخوف) من آثار وثمرات التعبد

بأسماء الله وصفاته ، فقال ـ في مسائل ذكرها في تفسير سورة الفاتحة ـ : « أركان الدين : الحب ، والرجاء ، والخوف ، فالحب في الأولى ، وهي ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، والرجاء في الثانية ، وهي ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، والخوف في الثالثة ، وهي ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ »[١٣] .

ـ إذا ظهر بهذه الأمثلة مدى التلازم الوثيق بين صفات الله (تعالى) وما تقتضيه من العبادات الظاهرة والباطنة ، فيمكن أن نخلص إلى ما حرره ابن القيم بقوله :

« لكل صفة عبوديةٌ خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها ، أعني : من موجبات العلم بها والتحقيق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح ، فعلم العبد بتفرد الرب (تعالى) بالضرّ والنفع ، والعطاء والمنع ، والخلق والرزق ، والإحياء والإماتة : يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً ، وعلمه بسمعه (تعالى) وبصره ، وعلمه أنه لا يخفى عليه مثقال ذرة ، وأنه يعلم السر، ويعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور: يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه على كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه ، فيثمر له ذلك : الحياء باطنًا ، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح ، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء ... وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه، تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة ، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة ، هي موجباتها .. فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات »[١٤] .

● والتعبد بأسماء الله (تعالى) وصفاته له آثاره الطيبة في حسن الخلق وسلامة السلوك ، كما أن تعطيل أسماء الله (تعالى) وصفاته لا ينفك عن مساوئ الأخلاق ورديء السلوك .

ومثال ذلك : أن القدرية النفاة لما

في دائرة الضوء

كانوا ينفون علم الله (تعالى) المحيط بكل شيء، ويزعمون أن العبد يخلق فعله نفسه ، فالخير هو الذي أوجده العبد وفَعَله ـ على حدّ زعمهم ـ ، ودخوله الجنة عوض عمله ، فأورثهم ذلك غروراً وعُجبًا ، وكما قال أبو سليمان الداراني :

« كيف يعجب عاقل بعمله ؟ وإنما يعدّ العمل نعمة من الله ، إنما ينبغي له أن يشكر ويتواضع ، وإنما يعجب بعمله القدرية »(١٥) .

ـ والتعبد بأسماء الله (تعالى) وصفاته سبب رئيس في السلامة من الآفات : كالحسد ، والكبر ، كما قال ابن القيم : « لو عرف ربّه بصفات الكمال ونعوت الجلال، لم يتكبر ولم يحسد أحداً عى ما آتاه الله ؛ فإن الحسد في الحقيقة نوع من معاداة الله ؛ فإنه يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها الله ، ويحب زوالها عنه والله يكره ذلك ، فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبته وكراهته . . . »(١٦) .

ـ والتعبد بأسماء الله (تعالى) وصفاته يثمر الموقف الصحيح تجاه المكروهات والمصائب النازلة ؛ فإن الإنسان ظلوم جهول ، والله (تعالى) بكل شيء عليم ، وهو (سبحانه) حَكَمٌ عدْل ، ولا يظلم (تعالى) أحداً ، قال (سبحانه) : **﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾** [البقرة : ٢١٦]

يقول ابن القيم : « من صحت له معرفة ربه والفقه في أسمائه وصفاته علم يقينًا أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه ولا فكرته ، بل مصلحة العبد فيما كره أعظم منها فيما يحب . . . »(١٧) .

ويقول أيضًا : . فكل ما تراه في الوجود ـ من شر وألم وعقوبة ونقص في نفسك وفي غيرك ـ فهو من قيام الرب (تعالى) بالقسط ، وهو عدل الله وقسطه ، وإن أجراه على يد ظالم، فالمسلّط له أعدل العادلين ، كما قال

(تعالى) لمن أفسد في الأرض: ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ [الإسراء: ٥][١٨] .

● وفي ختام هذه المقالة نسوق أمثلة من أسماء الله (تعالى)، وبيان معانيها وما تقتضيه من العبادات ، يقول قوام السنة الأصفهاني ـ أثناء حديثه عن اسم الله (تعالى) «الرزاق» ـ :

«الرزاق : المتكفل بالرزق ، والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها ، وَسِعَ الخلقَ كلهم رزقُه ، فلم يخص بذلك مؤمنًا دون كافر ، ولا وليًّا دون عدو ، ويرزق مَنْ عبده ومَنْ عبد غيره ، والأغلب من المخلوق أن يرزق فإذا غضب منع ، حكي أن بعض الخلفاء أراد أن يكتب جِراية لبعض العلماء ، فقال : لا أريده ، أنا في جراية من إذا غضب عليّ لم يقطع جرايته عني ، قال الله (تعالى): ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٠]، والمخلوق إذا رزق، فإنه يفنى ما عنده فيُقْطَعُ عطاؤه عمن أفضل عليه ، فإن لم يفن ما عنده فني هو وانقطع العطاء ، وخزائن الله لا تنفد وملكه لا يزول .. »[١٩] .



ـ ولما ذكر القرطبي من أسماء الله (تعالى) «الحفيظ» محتجًا بقوله (تعالى) : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [الشورى: ٦]، قال : «يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله هو الحافظ لجميع الممكنات ، وأعظم الحفظ : حفظ القلوب وحراسة الدين عن الكفر والنفاق وأنواع الفتن وفنون الأهواء والبدع ؛ حتى لا يزلّ عن الطريقة المثلى، قال (تعالى) : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

ويجب علينا حفظ حدوده ، وحفظ ما وجب علينا من حقوقه ، فيدخل في ذلك : معرفة الإيمان والإسلام وسائر ما يتعيّن علينا علمه .. »[٢٠] .

● ومن إشراقات ابن القيّم ـ التي

سطرها أثناء حديثه عن اسمي الله (تعالى) : « الأول » و « الآخر » ـ ما يلي :

« من عبد الله (تعالى) باسمه « الأول » و « الآخر » حصلت له حقيقة هذا الفقر [توجه القلب إلى الله وحده في جميع الأحوال] .. فإن عبوديته باسمه « الأول » تقتضي التجرد من مطالعة الأسباب والوقوف أو الالتفات إليها ، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته ، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد .

وعبوديته باسمه « الآخر » تقتضي أيضًا عدم ركونه للأسباب ، فإنها تنعدم لا محالة وتنقضي بالآخرية ، ويبقى الدائم الباقي بعدها ، فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي ، والتعلق بـ« الآخر » (سبحانه) تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول ، فالمتعلّق به حقيق أن لا ينقطع ، بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يفنى به »[21] .

---

١ ـ الحجة في بيان المحجة ، جـ ١ ، ص ١٢٢ .
٢ ـ شجرة المعارف والأحوال ، ص ١ .
٣ ـ مدارج السالكين ، جـ ٣ ، ص ٣٤٧ .
٤ ـ تفسير السعدي ، جـ ١ ، ص ٢٤ .
٥ ـ الصفدية ، جـ ٢ ، ص ٣٣٨ .
٦ ـ طريق الهجرتين ، ص ١٢٩ .
٧ ـ أخرجه البخاري : كتاب التوحيد ، باب ١٢ ، وكتاب الشروط ، باب ١٨ ، وكتاب الدعوات ، باب ٦٨ .
٨ ـ فتح الباري ، جـ ١١ ، ص ٢٢٩ .
٩ ـ مدارج السالكين ، جـ ٣ ، ص ٣٤٧ ، باختصار .
١٠ ـ شرح الطحاوية ، جـ ٢ ، ص ٦٧٨ .
١١ ـ مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ١١٧ .
١٢ ـ زاد المعاد ، جـ ٣ ، ص ٢٢٩ـ٢٣٥ ، بتصرف ، وانظر : كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، باب قوله (تعالى) : ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ .
١٣ ـ تاريخ ابن غنام ، جـ ٢ ، ص ٣٦٠ .
١٤ ـ مفتاح دار السعادة ، [illegible]، ص ٩٠ باختصار ، وانظر : طريق الهجرتين ، ص ٤٣ ، ومدارج السالكين ، جـ ١ ، ص ٤٢٠ ، جـ ٣ ، ص ٣٥١ ، والفوائد ، ص ٦٣ .
١٥ ـ حلية الأولياء ، لأبي نعيم ، جـ ٩ ، ص ٢٦٣ .
١٦ ـ الفوائد ، ص ١٥٠ .
١٧ ـ السابق ، ص ٨٥ .
١٨ ـ مدارج السالكين ، جـ ١ ، ص ٤٢٥ .
١٩ ـ الحجة في بيان المحجة ، جـ ١ ، ص ١٣٨ ، وانظر : الأسنى للقرطبي ، جـ ١ ، ص ٢٨٤ .
٢٠ ـ الأسنى ، شرح أسماء الله الحسنى ، جـ ١ ، ص ٣١١ .
٢١ ـ طريق الهجرتين ، ص ١٩ ، باختصار .

خير أيام الدنيا

ماذا يشرع فيها ؟

مقال

بقلم :
عبد الحكيم بن محمد بلال

تمهيد :

من رحمة الله (تبارك وتعالى) أن فاضل بين الأزمنة، فاصطفى واجتبى منها ما شاء بحكمته، قال (عز وجل) : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ .. ﴾ [القصص : ٦٨] وذلك التفضيل من فضله وإحسانه؛ ليكون عونًا للمسلم على تجديد النشاط، وزيادة الأجر، والقرب من الله (تعالى). ونظرة في واقع الكثير تنبئك عن جهل كثير بفضائل الأوقات، ومن أكبر الأدلة على ذلك : الغفلة عن اغتنامها، مما يؤدي إلى الحرمان من الأجر.

والأمر الذي يحتاج إلى وقفة تأمل : التباين الكبير بين كون عشر ذي الحجة أفضل أيام الدنيا، والعمل الصالح فيها أحب إلى الله من العمل فيما سواها، وبين واقع الناس وحالهم في تلك العشر، فالكثير لا يحرك ساكنًا، والأكثر لم يقم الأمر عنده ولم يقعد، ومن مظاهر ذلك - مثلاً - هجر سُنَّة التكبير المطلق وهي من شعائر تلك الأيام.

وعلى الرغم من أن هذه الأيام أعظم من أيام رمضان، والعمل فيها أفضل، إلا أنه لا يحصل فيها - ولو شيء - مما يحصل في رمضان؛ من النشاط في عمل الآخرة، ولا غرو، فالفارق بين الزمنين واضح، فقد اختص رمضان بما لم تختص به العشر، ومن ذلك :

- وقوع فريضة الصوم فيه، وهي « فريضة العام » على كل مسلم، مع ما يكون فيها من تربية للمسلم، وزيادة لإيمانه، بخلاف الحج فهو فريضة العمر.

- ارتباط رمضان بنزول القرآن فيه مما جعله شهر القرآن، وذلك له أثر كبير في إقبال الناس فيه على كتاب الله الكريم.

- الترغيب الخاص بقيام لياليه، وهدي النبي ﷺ في قيام العشر، وتحري ليلة القدر.

وهذه الأمور الثلاثة جعلت لرمضان جواً خاصًا متميزًا تنقلب حياة النَّاس فيه، وتتغير - أيًّا كان نوع ذلك التغير - .

- ما يحصل في رمضان من تصفيد الشياطين، وفتح أبواب الجنة، وإغلاق أبواب النيران، مما يكون له أعظم الأثر في انبعاث الناس للعبادة وحماسهم لها. فيكون ذلك حافزًا للعلماء والدعاة والأئمة والخطباء ليخاطبوا قلوب الناس، ما دامت مقبلة على الخير.

كل ذلك وغيره يجعل هذه العشر ابتلاءً وامتحانًا للناس، فلا يحصل فيها من المعونة على الخير كما يحصل في رمضان، والموفق من وفقه الله، فشمر وجد واجتهد.

فضل عشر ذي الحجة :

قد دل على فضلها أمور[1]:

الأول : قال (تعالى): ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [**الفجر**: ١، ٢] قال غير واحد : إنها عشر ذي الحجة، وهو الصحيح[2]. ولم يثبت عن النبي ﷺ شيء في تعيينها.

الثاني : أن النبي ﷺ شهد أنها أعظم أيام الدنيا، وجاء ذلك في أحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر، فقالوا: يارسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ : ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»[3].

وقوله ﷺ : «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه من العمل فيهن، من هذه العشر، فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد»[4]، والمراد في الحديثين : «أن كل يوم من أيام العشر أفضل من غيره من أيام السنة، سواء أكان يوم الجمعة أم لا، ويوم الجمعة فيه أفضل من الجمعة في غيره؛ لاجتماع الفضلين فيه»[5].

الثالث : أنه حث على العمل الصالح

مقال

فيها، وأمر بكثرة التهليل والتكبير.

الرابع : أن فيها يوم عرفة ويوم النحر.

الخامس : أنها مكان لاجتماع أمهات العبادة فيها، وهي : الصلاة، والصيام، والصدقة، والحج، ولا يتأتى ذلك في غيرها[٦].

أنواع العمل الصالح في أيام العشر :

وحيث ثبتت فضيلة الزمان ثبتت فضيلة العمل فيه، وأيضًا فقد جاء النص على محبة الله للعمل في العشر، فيكون أفضل، فتثبت فضيلة العمل من وجهين.

وأنواع العمل فيها ما يلي :

الأول : التوبة النصوح :

وهي الرجوع إلى الله (تعالى)، مما يكرهه ظاهرًا وباطنًا إلى ما يحبه ظاهرًا وباطنًا، ندمًا على ما مضى، وتركًا في الحال، وعزمًا على ألا يعود. وما يتاب منه يشمل : ترك الواجبات، وفعل المحرمات. وهي واجبة على المسلم حين يقع في معصية، في أي وقت كان؛ لأنه لا يدري في أي لحظة يموت، ثم إن السيئات يجر بعضها بعضًا، والمعاصي تكون غليظة ويزداد عقابها بقدر فضيلة الزمان والمكان؛ قال (تعالى) : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾** [التحريم : ٨]، وقد ذكر ابن القيم (رحمه الله تعالى) : أن النُّصْح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء : استغراق جميع الذنوب، و إجماع العزم والصدق، و تخليصها من الشوائب والعلل، وهي أكمل ما يكون من التوبة[٧].

الثاني : أداء الحج والعمرة :

وهما واقعان في العشر، باعتبار وقوع معظم مناسك الحج فيها، ولقد رغب النبي ﷺ في هاتين العبادتين العظيمتين، وحث عليهما؛ لأن في ذلك تطهيرًا للنفس من آثار الذنوب ودنس المعاصي، ليصبح أهلاً لكرامة الله (تعالى) في الآخرة.

الثالث : المحافظة على الواجبات :

والمقصود : أداؤها في أوقاتها وإحسانها بإتمامها على الصفة الشرعية الثابتة عن رسول الله ﷺ، ومراعاة سننها وآدابها. وهي أول ما ينشغل به العبد في حياته

كلها؛ روى البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته»(٨).

قال الحافظ: «وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به: امتثال الأمر، واحترام الآمر، وتعظيمه بالانقياد إليه، وإظهار عظمة الربوبية، وذل العبودية، فكان التقرب بذلك أعظم العمل»(٩).

والمحافظة على الواجبات صفة من الصفات التي امتدح الله بها عباده المؤمنين، قال (عز وجل): ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المعارج: ٣٤]، وتتأكد هذه المحافظة في هذه الأيام، لمحبة الله للعمل فيها، ومضاعفة الأجر.

الرابع: الإكثار من الأعمال الصالحة:

إن العمل الصالح محبوب لله (تعالى) في كل زمان ومكان، ويتأكد في هذه الأيام المباركة، وهذا يعني فضل العمل فيها، وعظم ثوابه، فمن لم يمكنه الحج فعليه أن يعمر وقته في هذه العشر بطاعة الله (تعالى)، من: الصلاة، وقراءة القرآن، والذكر، والدعاء، والصدقة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وغير ذلك من طرق الخير، وهذا من أعظم الأسباب لجلب محبة الله (تعالى).

الخامس: الذكر:

وله مزية على غيره من الأعمال؛ للنص عليه في قوله (تعالى): ﴿ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ ﴾ [الحج: ٢٨] قال ابن عباس: أيام العشر(١٠)، أي: يحمدونه ويشكرونه على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، ويدخل فيه: التكبير والتسمية

على الأضحية والهدي[١١]، ولقوله ﷺ : « فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد ».

السادس : التكبير :

يسن إظهار التكبير في المساجد والمنازل والطرقات والأسواق، وغيرها، يجهر به الرجال، وتسر به المرأة، إعلانًا بتعظيم الله (تعالى).

وأما صيغة التكبير فلم يثبت فيها شيء مرفوع، وأصح ما ورد فيه: قول سلمان : « كبروا الله : الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا ». وهناك صيغ وصفات أخرى واردة عن الصحابة والتابعين[١٢].

والتكبير صار عند بعض الناس من السنن المهجورة، وهي فرصة لكسب الأجر بإحياء هذه السنة، قال ﷺ : « من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي، فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا »[١٣]. وقد ثبت أن ابن عمر وأبا هريرة كانا يخرجان إلى السوق أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما[١٤]. والمراد : يتذكر الناس التكبير، فيكبرون بسبب تكبيرهما، والله أعلم.

والتكبير الجماعي بصوت واحد متوافق، أو تكبير شخص ترد خلفه مجموعة : من البدع التي ينبغي على المسلم الحريص على اتباع سنة النبي ﷺ اجتنابها والبعد عنها، أما الجاهل بصفة التكبير فيجوز تلقينه حتى يتعلم، فإن قيل : إن التكبير الجماعي سبب لإحياء هذه السنة، فإنه يجاب عليه : بأن الجهر بالتكبير إحياء للسنة، دون أن يكون جماعيًّا، ومن أراد فعل السنة، فإنه لا ينتظر فعل الناس لها، بل يكون أول الناس مبادرة إليها، ليقتدي به غيره.

السابع : الصيام :

عن حفصة (رضي الله عنها) قالت : « أربع لم يكن يدعهن النبي ﷺ : صيام عاشوراء، والعشر، وثلاثة أيام من كل شهر، والركعتين قبل الغداة »[١٥]

والمقصود : صيام التسع أو بعضها؛ لأن العيد لا يصام، وأما ما اشتهر عند

مقال

العوام – ولا سيما النساء – من صيام ثلاث الحجة، يقصدون بها اليوم السابع والثامن والتاسع، فهذا التخصيص لا أصل له.

الثامن : الأضحية :

وهي سنة مؤكدة في حق الموسر، وقال بعضهم – كابن تيمية – بوجوبها[16]، وقد أمر الله بها نبيه، فقال: ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ [**الكوثر** : ٢] فيدخل في الآية صلاة العيد، ونحر الأضاحي، فقد كان النبي ﷺ يحافظ عليها، قال ابن عمر (رضي الله عنهما) : أقام النبي ﷺ بالمدينة عشر سنين يضحي[17]

التاسع : صلاة العيد :

وهي متأكدة جدًّا، والقول بوجوبها قوي[18] فينبغي حضورها، وسماع الخطبة، وتدبر الحكمة من شرعية هذا العيد، وأنه يوم شكر وعمل صالح .

يوم عرفة :

وقد زاد هذا اليوم فضلاً ومزية على غيره، فاستحق أن يخص بحديث مستقل يكشف عن أوجه تفضيله وتشريفه، ومن تلك الأوجه ما يلي :

أولاً : أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة :

روى البخاري[19] : قالت اليهود لعمر : إنكم تقرؤون آية، لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً، فقال عمر : إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين كان رسول الله ﷺ حين أنزلت : يوم عرفة، إنا – والله – بعرفة، قال سفيان : وأشك كان يوم الجمعة أم لا : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [**المائدة** : ٣]. وإكمال الدين في ذلك اليوم حصل؛ لأن المسلمين لم يكونوا حجوا حجة الإسلام من قبل، فكمل بذلك دينهم لاستكمالهم عمل أركان الإسلام كلها، ولأن الله أعاد الحج على قواعد إبراهيم (عليه السلام)، ونفى الشرك وأهله، فلم يختلط بالمسلمين في ذلك الموقف منهم أحد . وأما إتمام النعمة فإنما حصل بالمغفرة، فلا تتم النعمة بدونها، كما قال الله لنبيه : ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ**

نعمته عليك﴾[الفتح : ٢][20] .

ثانيًا : أنه يوم عيد :

عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال : « يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب »[21] .

ثالثًا : أن صيامه يكفر سنتين :

قال ﷺ عن صيامه : « يكفر السنة الماضية والباقية »[22] .

رابعًا : أنه يوم مغفرة الذنوب، والعتق من النار:

عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال : « ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء ؟ »[23] قال ابن عبد البر : « وهو يدل على أنهم مغفور لهم؛ لأنه لا يباهي بأهل الخطايا والذنوب، إلا بعد التوبة والغفران، والله أعلم »[24] .

الأعمال المشروعة فيه :

أولاً : صيام ذلك اليوم :

ففي صحيح مسلم قال ﷺ : « ...صيام يوم عرفة أَحْتَسِبُ على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده... »[25] . وصومه إنما شرع لغير الحاج، أما الحاج فلا يجوز له ذلك. ويتأكد حفظ الجوارح عن المحرمات في ذلك اليوم، كما في حديث ابن عباس، وفيه : « إن هذا اليوم من مَلَك فيه سمعه وبصره ولسانه: غُفِر له »[26] . ولا يخفى أن حفظ الجوارح فيه حفظ لصيام الصائم، وحج الحاج، فاجتمعت عدة أسباب معينة على الطاعة وترك المعصية.

ثانيًا : الإكثار من الذكر والدعاء :

قال النبي ﷺ : « خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير »[27] ، قال ابن عبد البر : « وفي الحديث دليل على أن دعاء يوم عرفة مجاب في الأغلب، وأن أفضل الذكر : لا إله إلا الله »[28] . قال الخطابي : « معناه: أكثر ما أفتتح به دعائي وأقدمه أمامه من ثنائي على الله (عز وجل)، وذلك أن

مقال

الداعي يفتتح دعاءه بالثناء على الله (سبحانه وتعالى)، ويقدمه أمام مسألته، فسمي الثناء دعاء...»[٢٩].

ثالثًا : التكبير :

سبق في بيان وظائف العشر أن التكبير فيها مستحب كل وقت، في كل مكان يجوز فيه ذكر الله (تعالى). وكلام العلماء فيه يدل على أن التكبير نوعان :

الأول : التكبير المطلق : وهو المشروع في كل وقت من ليل أو نهار، ويبدأ بدخول شهر ذي الحجة، ويستمر إلى آخر أيام التشريق.

الثاني : التكبير المقيد : وهو الذي يكون عقب الصلوات، والمختار : أنه عقب كل صلاة، أيًّا كانت، وأنه يبدأ من صبح عرفة إلى آخر أيام التشريق[٣٠].

وخلاصة القول : أن التكبير يوم عرفة والعيد، وأيام التشريق يشرع في كل وقت – وهو المطلق –، ويشرع عقب كل صلاة – وهو المقيد –.

يوم النحر :

لهذا اليوم فضائل عديدة : فهو يوم الحج الأكبر[٣١]. وهو أفضل أيام العام؛ لحديث : «إن أعظم الأيام عند الله (تبارك وتعالى) : يوم النحر، ثم يوم القرّ»[٣٢] وهو بذلك أفضل من عيد الفطر، ولكونه يجتمع فيه الصلاة والنحر، وهما أفضل من الصلاة والصدقة[٣٣].

وقد اعتبرت الأعياد في الشعوب والأمم أيام لذة وانطلاق، وتحلل وإسراف، ولكن الإسلام صبغ العيدين بصبغة العبادة والخشوع إلى جانب الفسحة واللهو المباح[٣٤]. وقد شرع في يوم النحر من الأعمال العظيمة –كالصلاة، والتكبير، ونحر الهدي، والأضاحي، وبعض من مناسك الحج– ما يجعله موسمًا مباركًا للتقرب إلى الله (تعالى)، وطلب مرضاته، لا كما هو حال الكثير ممن جعله يوم لهو ولعب فحسب، إن لم يجعله يوم أشر وبطر، والعياذ بالله.

أيام التشريق :

وهي الأيام الثلاثة التالية ليوم النحر[٣٥]، وهي التي عناها الله (تعالى)

مقال

بقوله: ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾[البقرة: ٢٠٣]، كما جاء عن ابن عباس[٣٦]، وذكر القرطبي أنه لا خلاف في كونها أيام التشريق[٣٧]. وهي أيام عيد للمسلمين؛ لحديث: «يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام منى: عيدنا أهل الإسلام»[٣٨]. وقد نهي عن صيامها، وهي واقعة بعد العشر الفاضلة، فتشرف بالمجاورة أيضًا، وتشترك معها بوقوع بعض أعمال الحج فيها، ويدخل فيها يوم النحر، فيعظم شرفها وفضلها بذلك كله[٣٩]. كما أن ثانيها - وهو يوم القر، وهو الحادي عشر - أفضل الأيام بعد يوم النحر، وهذه الأيام الأربعة هي أيام نحر الهدي والأضاحي - على الراجح من أقوال أهل العلم -؛ تعظيمًا لله (تعالى)، وهذا مما يزيدها فضلاً، وهذه الأيام من أيام العبادة والذكر والفرح، قال فيها النبي ﷺ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب، وذكر لله»[٤٠]، فهي أيام إظهار الفرح والسرور بنعم الله العظيمة، وفي الحديث إشارة إلى الاستعانة بالأكل والشرب على ذكر الله، وهذا من شكر النعم[٤١]. وذكر الله المأمور به في الحديث أنواع متعددة منها:

١ - التكبير فيها: عقب الصلوات، وفي كل وقت، مطلقًا ومقيدًا، كما هو ظاهر الآية، وبه يتحقق كونها أيام ذكر لله[٤٢].

٢ - ذكر الله (تعالى) بالتسمية والتكبير عند نحر الهدي والأضاحي.

٣ - ذكره عند الأكل والشرب، وكذا أذكار الأحوال الأخرى.

٤ - التكبير عند رمي الجمار.

٥ - ذكر الله (تعالى) المطلق[٤٣].

هذه ذكرى، أسأل الله أن ينفع بها، وأعوذ بالله من أن يكون أهل البدع أجلد في بدعهم، وأنشط في باطلهم، من أهل الحق في فعل الخير والاستقامة على السنة.

---

١) انظر: «مجالس عشر ذي الحجة» للشيخ / عبدالله بن صالح الفوزان.

٢) تفسير ابن كثير، جـ٤ ص٥٠٥.

٣) أخرجه البخاري، ح/٩٦٩، و الترمذي،

ح/٧٥٧، واللفظ له.

٤) أخرجه أحمد، جـ٢ص٧٥ ، ١٣٢، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

٥) فتح الباري، جـ٢ ص٥٣٤ .

٦) انظر : المصدر السابق.

٧) انظر : مدارج السالكين، جـ١ ص٣١٦ ، ٣١٧ .

٨) أخرجه البخاري، ح/٦٥٠٢ .

٩) فتح الباري، جـ١١ ص٣٥١ .

١٠) صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق .

١١) انظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية، جـ٢٤ ص٢٢٥ .

١٢) فتح الباري ،جـ٢ ص٥٣٦ ، وقال الحافظ : « وقد أحدث في هذا الزمان زيادة لا أصل لها ».

١٣) أخرجه ابن ماجة، ح/٢٠٩، وانظر : صحيح سنن ابن ماجة، ح/١٧٣ .

١٤) البخاري، كتاب العيدين، باب العمل في أيام التشريق.

١٥) انظر : المسند، جـ٦ ص٢٨٧ .

١٦) انظر : مجموع الفتاوى، جـ٢٣ ص١٦٢ ، ١٦٤ .

١٧) المسند، جـ٢ ص٣٨ ، وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح، والترمذي، ح/١٥٥٩، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي، ح/٢٦١ .

١٨) انظر: الفتاوى، جـ٢٣ ص١٦١.

١٩) ح/٤٦٠٦ .

٢٠) انظر : لطائف المعارف، ص ٤٨٦ ، ٤٨٧.

٢١) رواه أبو داود، ح/٢٤١٩ ، وانظر : صحيح سنن أبي داود ، ح/٢١١٤ .

٢٢) أخرجه مسلم، ح/١١٦٣ .

٣٢) أخرجه مسلم، ح/١٣٤٨ .

٢٤) انظر : التمهيد لابن عبد البر، جـ١ ص١٢٠ .

٢٥) مسلم، ح/١١٦٢ .

٢٦) المسند، جـ١ ص٣٢٩، وصحح أحمد شاكر إسناده، ح/٣٠٤٢ .

٢٧) الترمذي، ح/٢٨٣٧ ، ومالك، جـ١ ص٤٢٢، ح/٢٤٦ ، وصححه الألباني .

٢٨) التمهيد، جـ٦ ص٤١ .

٢٩) مجالس عشر ذي الحجة، لعبدالله الفوزان، ص٩٧٠.

٣٠) انظر : الفتح، جـ٢ ص٥٣٥، والفتاوى جـ٢٤ ص٢٢٠.

٣١) سنن أبي داود، ح/١٩٤٥ ، وانظر : صحيح سنن أبي داود، ح/١٧١٤ ، و البخاري، ح/٤٦٥٧ تعليقاً .

٣٢) سنن أبي داود، ح/١٧٦٥ ، وانظر : صحيح سنن أبي داود ، ح/١٥٥٢ ، ويوم القر هو : اليوم الذي يلي يوم النحر ، سمي بذلك لأن الناس يقرون فيه بمنى.

٣٣) لطائف المعارف، ص٤٨٢ ، ٤٨٣ .

٣٤) انظر : الأركان الأربعة، ص٦٠ .

٣٥) وسميت أيام التشريق؛ لأن الناس يشرقون فيها لحوم الهدي والأضاحي، أي : يقددونها وينشرونها في الشمس.

٣٦) البخاري تعليقاً، وله إسناد صحيح (الفتح جـ٢ ص٥٣٠).

٣٧) تفسير القرطبي، جـ٣ ص٣.

٣٨) أخرجه أبو داود، ح/٢٤١٩ ، وانظر صحيح سنن أبي داود، ح/٢١١٤ .

٣٩) انظر : فتح الباري، جـ٢ص٥٣٢ ، ٥٣٣ .

٤٠) أخرجه مسلم ، ح/١١٤١ .

٤١) انظر : لطائف المعارف، ص٥٠٤ .

٤٢) انظر : نيل الأوطار ، جـ٣ ص٣٨٩ .

٤٣) انظر : لطائف المعارف، ص٥٠١ ، ٥٠٢ .

شكوى من الذاكرة

بقلم : محمد بن حامد الأحمري



كلانا في الهم شرق، كلمة يقولها لك زميلك عندما تشتكي إليه من ضعف الذاكرة، وتبدد المعلومات، وتفلت القرآن والحديث، ونسيان أسماء الأصدقاء، وضياع المواعيد، وأمور العامة إذا نسوا تهون، ولكن مصيبة المثقفين بذاكراتهم كبيرة، وكنت أظن أن لا سبيل لي إلى العلم والمعرفة لضعف في الذاكرة،وكنت أحسب نفسي – ولم أزل – منهم، وأقول لنفسي: عليك بمغادرة قاعة المعرفة والقراءة، فهذه لقوم ليسوا مثلك، إنها لأولئك الذين يحفظون فلا ينسون، وتعرض عليهم الأمور فلا تغادر أذهانهم ،ثم كانت لي جولات في ميدان القراءة فوجدت علماء نجباء تفوت عليهم الاستدلالات في كتب مكتوبة ومواقف مشهودة، ينسون ما لا أعذرهم آنذاك بنسيانه، ثم قرأت في تراجم الرجال ما يشجع الضعيف ويهزه للعمل وعدم اليأس، فذاك الفذ الكبير لم يحفظ القرآن، وذاك العالم النحرير ضعيف في حفظه، وطعنوا في أبي حنيفة فتألمت له وفرحت لنفسي، ومع السنين كانت الذاكرة تضعف وشواهد الخلل تتزايد، حتى لكأن الشخص يفرح بها أيما فرح، يقول زكي نجيب محمود* في (الكوميديا الأرضية) : «... ما أشقاني بهذه الذاكرة الضعيفة العاجزة التي توشك أن تبدد لي كل ما قد وعيت وخبرت في أعوامي السوالف، فلا تبقي لي من ذلك شيئًا، وإني لأعلم من ذاكرتي هذا الضعف الشديد، وهذا الإسراف في تبديد الودائع، حتى لتراني أحوط لها بكل ما يشير به علماء النفس من وسائل، فأشدد الروابط بين أجزاء الشيء المحفوظ، وأضع تحته الخطوط، و أوضحه في هوامش الكتب برموز وعلامات وملخصات، لكن هيهات للغربال أن يحفظ في جوفه ماء، تراني أقرأ الكتاب، فلا تمضي أيام قليلة بعد الفراغ منه حتى يذهب عني، وتذهب كل آثاره، فلا عنوانه هناك ولا اسم كاتبه، ولاشيء من مكنونه، فالرأس بعده خلاء خواء كما كان قبله ، فلا زيادة به إن لم يكن نقصان»[1].

وبعد أن أطال في الشكوى تذكر القصة التي قرأها - كما يقول -، قبل ثلاثين عامًا، فإذا به يذكرها ويكتب تفصيلاتها، وعجبت لجوره على ذاكرته مع أنها كانت له وفية رغم تباعد السنين.

وقد قرأت من قبل لعدد من العلماء والمشاهير وكبار الفلاسفة شكواهم المرة من ذاكراتهم.

وحصيلة هذه التجارب: أن الحفظ نسبي، وكلٌّ يشعر بمقدار نقصه كلما زاد سهمه من القدرة على الحفظ والتذكر، أما الكثير ممن يعانون ضعفًا أكبر فإنهم غالبًا لا يشعرون بالمشكلة التي يعانونها، وعلى النقيض أولئك الذين يقنعون أنفسهم بضعف القدرة على الحفظ، ويدمرون قدراتهم بإشعار أنفسهم أن لا مجال لتطوير القدرة على الحفظ، فهؤلاء ربما كان لهم نصيب من القدرة لو قدروا وحافظوا ودربوا ذاكراتهم.

ومما أزيدك هنا بيانه أن مما علق بذاكرة كاتب هذه السطور من وسائل التذكر، وهي كثيرة: أن تكرر النص المطلوب حفظه وترجع له مرات في غير وقت الحفظ الأول، وأن تجعل للنص رايات شاهرات ككلمة غريبة تضع عليها علامة وتبرز تلك القضية أو اسم شخص أو مكان، وهذه العلامات تدلك على مسالك النص. ويذكر المهتمون بهذا العلم - إن عُدَّ علمًا - أن تتصور النص أو القائل أو الأشخاص وتجسم هذه المعلومات، ثم تربط بينها بشيء، كما يقولون لو كنت تريد شراء عدة أغراض- مثلاً: بصل، طماطم، سكر، حليب - فما عليك إلا أن تتصور ابنك في فمه رضاعة، وبيده اليمنى طماطم، واليسرى بصل، وقد نثر كيس السكر، تركب هذه الصورة في الذاكرة ثم تذهب، ولا أظن أنك تنسى لو تعودت هذه الطريقة.

وينصحون أيضًا باستخدام النص المراد حفظه سواء أكان كلمة في لغة جديده تتعلمها، أو حديثاً مهمًا تحب حفظه؛ فالاستخدام للنص يعين على الحفظ.

وبعد سياق كل هذه الإرشادات والنصائح تذكر أن كاتب هذه الأسطر لولا أنه يعاني من سوء الحفظ ومشكلة الذاكرة لما كتب هذا.

---

* ما نقله الكاتب عن د. زكي نجيب محمود مما تشترك فيه القرائح، ولا يحمل شيئًا من أطروحات الدكتور الفلسفية والعلمانية، وقد سبق للمجلة أن تناولت أفكار الدكتور المذكور بالنقد، انظر: العددين (٦٩)، (٧٠). - **البيان** -

١) الكوميديا الأرضية، ص٨٧.

بضاعتنا.. متى ترد إلينا

دخلت يومًا مكتب احد أعضاء هيئة التدريس – وذلك يوم أن كنت في الجامعة – لأسأله عن أشياء في المقرر . كان الأستاذ مشغولاً بأمر ما على الهاتف، فأشار لي : بأن أجلس وأنتظره قليلاً، تحول انتباهي كله أثناء ذلك إلى ورقة قد علقها هذا الأستاذ الفاضل خلفه، كانت مكتوبة باللغة الإنجليزية . وإليكم ملخص ما ذكر في هذه الورقة :

عشر خطوات عليك ان تتبعها لتكون مثاليًا في تعاملك مع الآخرين :

١ – ابتسم. ٢ – تكلم بهدوء. ٣ – أعط متحدثك جل اهتمامك عند تحدثك إليه أو تحدثه إليك. ٤ – لا تقاطع محدثك ... إلى آخر هذه التعليمات الجميلة، وأعتذر إليك أخي الكريم عن عدم تذكري لباقي هذه التعليمات المفيدة .

حقًّا لقد ملكت هذه الورقة على مشاعري، وأعجبتني كثيرًا وأنا في ذلك الموقف، وأحسست أنها ورقة مثالية قد علقها رجلٌ مثالي، ولا يطبقها إلا من كان مثاليًّا، ولكن هناك أمر آخر نال اهتمامي أكثر و أكثر، أتمنى منك – أخي القارئ – أن تشاركني هذا الاهتمام :

لقد تذكرت أن هذه الورقة الرائعة قد كتبها أناس يتكلمون بلغة غير لغتي ويدينون بدين غير ديني مع أنني أجد في ديني العظيم دليلاً صحيحًا على كل مبدأ فيها . فأولها يذكرني بحديث المصطفى ﷺ : «وتبسمك في وجه أخيك صدقة» .

وثانيها يذكرني بقول الحق (جل علاه) : ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩] .

و ثالثها يذكرني بهدي رائع من القدوة الكريم (عليه أفضل الصلاة و التسليم)، و هو : أنه كان يلتفت ﷺ إلى من يحدثه بكامل جسده، وليس بوجهه فحسب، كما ورد عنه ﷺ .

و رابعها يذكرني بقول ورد عن أحد الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) عندما وصف مجالسهم عند رسول الله ﷺ فقال : «.. و كنا إذا تكلم منا أحد أنصت له الباقون كان على رؤوسهم الطير» .

و خامسها و سادسها و سابعها ... إلخ .

كانت كلها على هذه الشاكلة أو قريبة منها جدًا على ما أذكر .

بعد هذا و ذاك يدور الآن في خلدي سؤال أظنه في غاية الأهمية، ألم يقل الله (جل وعلا) : ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد: ٢٤]

إذن – أخي الكريم – من الذي على قلبه الأقفال؟ أهو الذي يدين بغير دين الله الذي ارتضاه (سبحانه)، ولكنه يدعو لرسم نظام حياته منه ، مع تمسكه بكفره وعناده وضلاله، أم الذي دان لهذا الدين الحق الكامل، ولكنه ترك تعاليمه ومبادئه، واغتر بغيره من الزيغ والضلال..؟!!

فايز خالد جنينة

* تفسير ابن كثير، جـ١ص٤٧٧ .

ثمرة الفؤاد

كم يشتد حنين المرء حين تستقر به الحياة، ويطول عمره، ويقرب أجله، ويشرف على الرحيل، إلى ولد من نطفته، يمد من عمره القصير، و يخلفه بعد الرحيل، يحمل اسمه، و يكون له أثراً يدل عليه «إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث.. » منها ولد صالح يدعو له، نعم.. إن المال والبنون زينة، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] زينة ولكنهم ثمرة للفؤاد، و فلذات للأكباد، وبسمات للوجود، و زهرات الحياة، هم جنى البشرية الشهي، وقطفها الزكي، وعبيرها الفواح، هم بقاء للبشرية وامتداد لها، واستخلاف في الأرض و استثمار لها، وبناء للحياة واستمرار لها. فحب الولد و الحنين إليه حقيقة كائنة في كيان كل إنسان سوي، وساكنة في كل ضمير حي، تتفق مع النظام الإلهي والبقاء و الاستمرارية في حياتنا الزائلة...

ولكننا في عصرنا و حضارتنا المليئة بالعادات الوبيئة، والوسائل الإعلامية الخليعة و المستوردة بأنواعها، جعلنا من أبنائنا و فلذات أكبادنا عرضة للانحرافات الخلقية و العادات السيئة، التي لا ينقذنا منها - بعد الله - سوى التمسك بتعاليم الإسلام السمحة، و الابتعاد عما يتلوث به الأبناء، و ذلك بحسن التربية (تربية الإسلام)، حتى يكون لنا الأجر والثواب، ولهم الصلاح و العفاف، و البعد عن الرذيلة.

وتربية الأولاد مسؤولية عظمى، سوف نسأل عنها أمام الله (عز وجل). فاتقوا الله في الأبناء، و ارحموهم أيها الآباء، واعلموا أنكم مسؤولون عن هذا التحلل والتأثر بأخلاق الشرق والغرب.

سعيد بن جمهور الزهراني

زمن .. لماذا ؟!.

- لماذا نرهق أنفسنا في هذه الحياة بالتفكير في تفاهات الآخرين .. وتعمى أبصارنا عن تفاهات أنفسنا ؟!.
- لماذا نجعل من الزمن شماعة نعلق عليها ضعفنا ومآسينا؟!.
- لماذا نصنع من العزلة سداً عن السيول المنهمرة من مآقينا؟!.
- لماذا يعني العمر عندنا لحظة - إن عشناها يوماً - لا نبالي بالشهور؟!.
- لماذا نضيء الشموع، ومن ضياها نحترق ؟!.
- لماذا نظن بأن الظلام هو الذي يستمع شكوانا واليد التي تمسح أدمعنا؟!.
- لماذا يجرحنا شوك الورد .. ولا ينعشنا أريج العطر ؟!.
- لماذا نجد في الذكرى ألماً واطلالاً حزينة .. ولا تزرع فينا حافزاً وعبرة تنجينا؟!.
- لماذا نركض خلف السراب .. بينما تجف أنهارنا العذبة هجراً ؟!.
- لماذا نجعل من الصمت حاجزاً عن الصدع بالحق - ولا نجعل منه صرحاً عن فضول الكلام ؟!.
- لماذا تفيض سيول أدمعنا لفراق الأخلاء .. ونبخل بدمعة صغيرة من خشية الله ؟!.
- لماذا نسمع همس الحبيب .. ونصمّ آذاننا عن صرخة ثكلى وأنّة شيخ؟!.
- لماذا ترتفع أكفّنا ضراعةً .. فتنجلي المحنة .. ثم بها نعود نصفع بعضنا بعضاً ؟!.
- لماذا تتضاعف أعداد المهاجرين .. بينما ينقرض الأنصار؟!.

ام مجاهد

بريد البيان

وفاة عالم جليل

وصلنا من الأخ د . علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل ترجمة لفضيلة الشيخ العلامة / (أبو محمد بديع الدين الشاه السندي) مُحَدِّث السند ببلاد الباكستان، الذي وافاه الأجل ليلة الأربعاء ١٩/٨/١٤١٦هـ بكراتشي عن عمر يناهز نيفًا وسبعين عامًا، والعالم الفقيد ممن اعتنوا بالتعليم والدعوة والجهاد في بلاد السند والباكستان، كما نفع الله به كثيرًا من المشائخ وطلاب العلم أثناء إقامته في مكة وتدريسه في المسجد الحرام لخمس سنين، حيث هاجر إليها عام ١٣٩٥هـ، عاد الشيخ (رحمة الله) بعد ذلك إلى وطنه لمتابعة جهوده الدعوية في نشر العلم وترسيخ دعوة التوحيد والسنة، فأسس جمعية أهل الحديث في السند، وتولى رئاستها حتى وافاه الأجل. لقي الفقيد (رحمه الله) جماعة من العلماء، فتلقى عنهم واستجازهم: كالشيخ / ثناء الله الآمرتسري، والشيخ المحدث / عبدالحق الهاشمي.

خلّف الشيخ وأخوه (رحمهما الله) مكتبتين من أكبر مكتبات الباكستان، حيث تزخران بقديم المطبوع وحديثه، مع أصول المخطوطات ومصوراتها.

للشيخ (رحمه الله) مؤلفات كثيرة مطبوعة ومخطوطة باللغات العربية والأردية والسندية، منها: التوحيد الخالص، وفتاوى كثيرة، ومسائل متعددة.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته.

الأخ عبداللطيف بن محمد بن عبدالله.

موضوع أدب الخلاف كتب عنه كثيرًا ، مرحبًا بك في مشاركات أخرى .

الأخوة : عادل مراد، أشرف توفيق، هشام طلعت .

نشكر لكم اقتراحاتكم القيمة، وستكون بمشيئة الله محل اهتمامنا .

الأخ عبدالله عامر الغامدي ماطلبته لا يوجد عندنا، وللشاعر المذكور دواوين تباع بالمكتبات، مع شكرنا الجزيل لثنائك على المجلة .

الأخ حمد العنزي

مشاركتك « نحن والموت » تم إحالتها لملف منتدى القراء لتأخذ دورها في النشر لاحقًا – بمشيئة الله – .

الأخ / عبد الله الدخيل

نرجو إرسال عنوان مراسلتك إلى المجلة ، ليتسنى لنا الرد عليك.

محبة الدين سماء

موضوعك سينشر في عدد قادم – إن شاء الله – .

الأخ / فادي محمد الخلف

نعتذر عن نشر مشاركتك حيث لا تنشر المجلة ما سبق نشره، والمجلة في انتظار مشاركات قادمة.

اعتذار

سقط سهوًا من قصيدة (العيد) في العدد الماضي للشاعر « حسين علي محمد » أنها عن « شبلي النعماني ».

لذا جرى التنويه .

الورقة الأخيرة

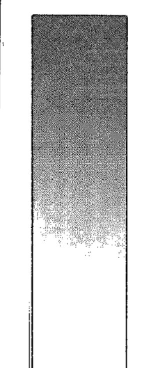
مع الشجاعة .. نزلة أخرى

بقلم : د. محمد بن ظافر الشهري

منذ بضع سنوات والعصابات الصليبية المجتمعة في البوسنة تتفنن في ابتداع ضروب من التعذيب والإبادة ؛ دونها ما أثر عن محاكم التفتيش في الأندلس المضاع ، ولقد يئست تلكم العصابات وأعوانها - وكثير ما هم - من استئصال شأفة المسلمين بحد الحسام ؛ فمالت إلى (السلاح / البسلام) !!

ولما كانت الضحكات المتشنجة التي تعالت من « دايتون » إلى « زغرب » و« بلغراد » مرورا بـ« لندن » و « باريس » تكفينا عناء البحث عن الخاسر الوحيد في هذه العملية « التاريخية » - كما وصفها عرابوها - ؛ فإننا نكتفي بالوقوف عند البند الذي شدد - كما هو حال جل المؤتمرات الدولية اليوم - على ضرورة التصدي لـ « المتطرفين » الإسلاميين ، ووجوب طردهم من تلكم الأرض .

لقد كثرت الألقاب التي تطلق على هؤلاء النفر ، فقد كانوا في أفغانستان المجاهدين الأبطال الذين يحاربون الملحدين الروس ، فلما شهدت جروزني على تحسن سجل الروس في حقوق الإنسان!! ؛ تحول اللقب من « المجاهدين » إلى « الأفغان العرب » الذين لا هم لهم إلا قلب أنظمة



العسكر (الانقلابية المعتدلة) ، ثم كان الإرهاب خاتم الألقاب ..

إن من السفه أن نعاتب الغرب (الصليبي) على مكافأة العصابات من بني دينه عل
الجهود المبذولة طيلة السنوات الأربع الحالية ، ولكن من الواجب أن نعاتب (البوسنيين
على الرضى بمعاقبة إخوانهم الذين جاؤوا إليهم يحملون الأرواح على الراح .. ليذب
عن دماء المسلمين وأعراض المسلمات ، ثم يقال لهم - وقد بذلوا أنفسهم رخيصة -
اخرجوا وإلا .. !!

هب أن « البوسنيين » قالوا لمن أعانهم بالمال من المسلمين : لا أخلف الله عليكم، إذ
لاشتد النكير عليهم والتوبيخ لهم ، فأين هذا المثال من واقع الحال ؟! .. وليس الجو
بالمال من الجود بالنفس في شيء، وليس الجحود باللسان بأنكى من مقابلة الإحسا
بحد السنان .

لست أزعم أنني أعلم من « البوسنيين » بواقع حالهم ، ولست أجهل أنهم ذاقوا مرار
العدوان حساً وذقتها معنى ، وقبل هذا وذاك سأقدم حسن الظن معللاً النفس بأن الحرب
خدعة ، وأن ليس كل ما يعلم يقال .. ولا كل ما يقال يفعل .. ولكنني كلما تعالت
الضحكات الآنفة الذكر ، وتقاطرت الأمداد تحمل الصلبان ؛ راودني الظن - وأعوذ بالل
من سوء الظن - أنني أقرأ نسخة منقحة ومزيدة من « سلام الشجعان » ..

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

وماذا بعد؟!

ما فتئ الدعاة إلى الله على بصيرة من التحذير من اللهاث وراء الاستفزاز العلماني (المنظم وغير المنظم) الذي قد يدفع بعض الشباب الغيورين إلى القيام بأعمال أقل ما توصف بأنها متهورة، وضررها أكثر من نفعها على جميع الأطراف.

وما فتئ الدعاة أيضاً من دعوة أهل العقل والحكمة من جميع التيارات في المجتمعات الإسلامية إلى العمل على احترام قيم مجتمعهم ومقدساته والوقوف أمام العابثين بهذه القيم، إن لم يكن إعلاء للدين - وهكذا يجب أن يكون لدى كل المسلمين - فلتجنيب البلاد الوقوع في مستنقع الفوضى، الذي قد يصعب بعد ذلك الخروج منه والعودة بالمجتمعات سالمة إلى بر الأمن والأمان.

نقول هذا بمناسبة الاقتحام الذي حدث لمقر مؤسسة إعلامية دأبت إصداراتها على الترويج للعلمانية والإثارة غير الخُلُقية والتشويش الفكري، ثم توجت ذلك بنشر رسم يحمل السخرية من الذات الإلهية!، وكانت جريدة علمانية أخرى سبقتها إلى هذا التعدي، ثم اعتذرت الصحيفة وقررت (فصل)! الموظف المسؤول.. قرار إداري لمعاقبة من اعتدى على الذات الإلهية!!.

ثم مرة أخرى حدث الاعتداء من الصحيفة المعنية (التي لم تدرك إحراز السبق!!)، وبعد ذلك حدث الاقتحام لمهاجمة مسؤول التحرير - كما قيل - وقبض أحد الموظفين (بشجاعة) على أحد المهاجمين، وكوفئ الموظف - بقرار إداري - لشجاعته في التصدي لمن أراد التعدي على (الذات التحريرية).

فهل لو ضرب عقلاء المجتمع - عند أول تعد - على يد العابثين بما يستحقونه من جزاء في دين الله، هل كان سيجد المتهجمون مسوغاً لعملهم؟!.

وإلى أي مدى سيأخذنا العلمانيون أو (التنويريون) أو (الحداثيون)؟!، وأين يريدون أن يحطوا ببلداننا؟، وأين احترامهم لعقيدة الأمة جمعاء؟!..

(حسبنا الله ونعم الوكيل).

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الاردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطـر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصـر : القاهرة – ش الجلاء – الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن احمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٢٤٥٧٤٥/٥٤

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمـن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ١٠٦٥٥ بـاب البلقة ، هاتف ٣٠٥٩٣٥

السودان : دار اقرأ للنشر والتوزيع ، الخرطوم : ص.ب ٨٨ براري .

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065

الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ٥ر١ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيه ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.
EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

العدد المئوي ..

نحو مجلة البيان ونحو أهدافها

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

لا نأتي بجديد إذا أكدنا على أهمية الإعلام من حيث أهدافه وتأثيره في المجتمعات، وتغييره لكثير من الوقائع والأحداث، إذا استمر في أداء رسالته المنوطة به، حتى صار من أحدث مسميات منظريه (المتلاعبون بالعقول)؛ ولذا: نجد الإعلام في كثير من البلدان يستطيع أن يغير اتجاهات، ويروج لنظريات أو يهدمها، وأن يصعد بقوى معينة ويهبط بأخرى، وما ذلك إلا لقوة تأثيره على اتجاهات الناس، وبالتالي: استطاعته تغيير موازين القوى السياسية (الداخلية والخارجية).

غير أن الإسلاميين لم يتح لهم توظيفًا مثمرًا و مؤثرًا للوسائل الإعلامية من مسموعة ومرئية خدمةً للأهداف الدعوية وإنماءً لوعي الأمة وإصلاحًا لأمرها، **لأسباب داخلية، مثل:** ندرة الكوادر المتخصصة، وضيق ذات اليد عن التمويل، ويسر وسائل: الخطابة، والمحاضرة، والشريط ... **فضلاً عن وجود أسباب خارجية، منها:**



١ – أن الفئات الإعلامية العلمانية لا ترى في الإعلام رسالة وعقيدة أو أسلوب دعوة وتوجيه، إنما هو في منظورها دعاية لها ولمنطلقاتها.



٢ – الأخذ بالمنهج الليبرالي (أحادي التطبيق) الذي يتيح الحرية التامة لكل التوجهات الفكرية أنى كانت، عدا التوجهات الإسلامية التي لا يرون فيها – ادعاءً – سوى أنها إرهاب وتطرف.

٣ – الاتجاه الاستهلاكي لكل ما تنتجه الدول من أفلام وبرامج تقوم على الترفيه

المسف وإشاعة الفاحشة (مكر الليل والنهار).

وتلك الوسائل الإعلامية بأساليبها المختلفة تواصل أداء أدوارها المرسومة لتضليل الأمة، وإضعاف انتمائها لعقيدتها ومنهجها الإسلامي، والفت في عضد أي توجه إسلامي جديد.

ولما قام نفر من المفكرين والدعاة إلى الله بالمطالبة بإعادة النظر في الوسائل الدعوية وأهمية الارتقاء بأساليبها في الدعوة والتوجيه... لم يكن أمامهم سوى أسلوب واحد هو (الإعلام المقروء) عبر الصحف والمجلات، التي ما زالت تؤدي دورها المحدود، لكن: بتأثير دون تأثير الوسائل الأخرى بدرجات.

فحتى متى لا يتنبه الإسلاميون لرسالة الإعلام الخطيرة، وحتى متى لا يستغلونه للدعوة الراشدة لمبادئ الإسلام؟!، إن الأمة الإسلامية تملك أعظم منهاج عرفته البشرية بمختلف مللها ونحلها، فهل نستطيع تبليغ رسالته إلى العالم أجمع؟! وهل نحسن استخدام وسائل الإعلام بتقنياته المختلفة لعرض العقيدة الإسلامية عرضاً مناسباً، يعالج حالة القلق والضياع الذي تعيشه الأمم؟!.

إننا في مجلة (البيان) منذ صدورها عام ١٤٠٦هـ الموافق ١٩٨٦م؛ لتكون صوتًا من أصوات أهل السنة، ولسانًا معبراً عن الإسلام باعتباره الرسالة الخاتمة، ولتخاطب الناس كافة، ولتكون بيانًا يتضمن توضيح الأهداف والغايات التي يتطلع إليها المخلصون من أبناء هذه الأمة، ولتساعد في البحث عن الوسائل المشروعة التي تخدم العمل الإسلامي، مع الدعوة إلى اجتماع جهود الدعاة إلى الله على المنهج السلفي الرشيد، والبعد عن الحزبية والإقليمية.. ما زلنا على هذا الدرب، مستعينين في ذلك بالله، ثم بمشاركات نخبة من العلماء والدعاة والمفكرين المشهود لهم بسلامة العقيدة، والسابقة في الدعوة، والإلمام بواقع الأمة وما يتناوشها من مؤامرات، **رغبة في ترشيد الدعوة إلى الله لتؤدي رسالتها على الوجه المطلوب.**



العدد المئوي

إننا بهذا العدد نكون قد أنهينا العقد الأول من عمر المجلة، وما كنا نتوقع أن نصل إلى هذا الإنجاز الذي وصلنا إليه، فعلى الرغم من ضعف الإمكانات، وكثرة العقبات

والمصاعب، وقلة الخبرات، وندرة القدرات الإعلامية، إلا أننا - بفضل الله وتوفيقه - استطعنا - فيما نحسب - أن نشق طريقنا بكل ثبات، مستعينين بالله (تعالى)، سائلينه التوفيق والتسديد .

لقد سارت (البيان) - بتوفيق الله - مؤدية دورها على هدي من كتاب الله وسنة رسوله، والتمسك بمنهج سلفنا الصالح من أهل السنة والجماعة، وها نحن نصل - بعون الله - إلى العدد (المئوي) راجين العون والسداد من الله (تعالى)، وما زالت رسائل القراء والمتابعين تغمرنا يوميًا بالثناء والتقدير والتوجيه والنصح والمتابعة مما يطالعه القراء الكرام على صفحات هذه المجلة .

وإننا نؤكد كثيراً على أننا في حاجة ماسة للنقد الهادف، والتقويم البنّاء، الذي يعيننا ويأخذ بأيدينا إلى الصواب، ولدينا طموح كبير، وتطلع وثاب إلى المزيد من الإنجاز والنجاح، ولن يكون ذلك إلا بتوفيق الله (تعالى)، ثم بتعاون قرائنا الأعزاء معنا في أداء هذه الرسالة .

ولا شك أن مهمة العمل الصحفي شاقة، وأداء الدور المطلوب فيه معاناة لا يعرفها إلا من كابدها؛ لأن الممارسة الكتابية - لا سيما الفكرية والدعوية منها - من أشق أنواع الكتابة وأصعبها، وبخاصة مع الظروف التي تحيط بأمتنا وسط أجواء موبوءة تضخم من أخطاء التيار الإسلامي إن وجدت، وتحاول محاصرته بكل الوسائل، بغض النظر عن مدى شرعيتها أو زيفها .

لكن أصحاب (رسالة الحق) لن يعدموا - بإذن الله - الأساليب الصحيحة والطرق الموضوعية لإيصال ما يؤمنون به من مبادئ إلى أفراد الأمة ممن لم تعد تنطلي عليهم الحرب المعلنة ضد الإسلام ودعاته ممن يعتبرونهم مصدر البلاء، والفتن ! .



وفي الوقت نفسه يتناسون ويغضون الطرف عن الإرهاب المؤسسي والإرهاب الدولي الذي تعقد له الاجتماعات، وتنظم له المؤتمرات، وتتطرق له وسائل الإعلام ليل نهار، لكن ذلك كله لن يفلح - بإذن الله - مهما كانت الوسائل في تحقيق أهدافهم المشبوهة، بل ستزيد المسلمين - بإذن الله - إيمانًا وتمسكًا بدينهم، وتجعل الدعاة إلى الله

افتتاحية العدد

أكثر إيمانًا بدعوتهم، وأكثر يقينًا بصدق توجههم الذي يتقربون إلى الله بأدائه.

إننا في مجلة (البيان) لا ندعي لذواتنا العصمة، ولا نزكي أنفسنا (معاذ الله)، لكننا نعمل جاهدين في إيصال رسالة ديننا الحنيف للناس كافة، مع الاتباع لسنة الهادي الأمين ﷺ، ووفقًا لمنهج وفهم سلفنا الصالح (رضي الله عنهم أجمعين)، ونحرص على أن نسلط الأضواء على واقع أمتنا، وكشف ما يخطط ضدها، ونعمل جاهدين لتقويم خطوات العمل الدعوي، رغبة في الوصول به إلى شاطئ الأمان، وتلافي أي أخطاء قد تحصل مما ينعكس سلبًا على الدعوة بعامة والدعاة بخاصة، ومن هذا المنطلق: فقد حاولنا أن يكون هذا العدد (المئوي) متميزاً.

وقد حرصنا أن يحتوي على مشاركات لنفر من الكتاب، بدراسات وأبحاث ومتابعات تشبع نهم القارئ من كل نافع ومفيد، وسنقدم - إن شاء الله - ملفات دورية لمعالجة كثير من الجوانب المعاشة في واقعنا المعاصر، يشارك في عرضها وتقويمها بعض من الفعاليات العلمية والعملية، ونبدأ في هذا العدد بالملف الأول، وهو دراسات وتحليلات موسعة لبعض المختصين في حوار حول الصحوة الإسلامية، وتقويم دورها، الذي نتوقع أن يكون مجالاً خصبًا للحوار البناء لكل المهتمين.

ونأمل أن يتواصل العلماء والمفكرون والدعاة في الإسهام بآرائهم وطروحاتهم معنا فيما نطرحه للحوار حول مثل هذه المسائل الملحة.

إن الكلمة أمانة، وهي مسؤولية كل مسلم مهما كان موقعه، وتتضخم هذه المسؤولية بخاصة على العلماء والدعاة والمفكرين وطلاب العلم ﴿ **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ** ﴾ [**الأعراف**: ٨٩].



العدد المئوي

آل البيت

منزلتهم - خصائهم

بقلم: عبدالحكيم بن محمد بلال

أولاً: التعريف، والمراد بهم:

(الآل) في اللغة: من الأَوْل، وهو: الرجوع. وآلُ الرجل: أهل بيته، وعياله؛ لأنه إليه مآلهم، وإليهم مآله[1].

المراد بآل النبي ﷺ[2]:

اختلف في آل بيت الرسول ﷺ على قولين:

القول الأول: أنهم الذين حرمت عليهم الصدقة، وهم: بنو هاشم، وبنو عبدالمطلب، أو بنو هاشم خاصة، أو بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب؛ وهذا القول هو اختيار الأكثرين. ولا شك أن بعضهم أخص بكونه من آل البيت من بعض، فعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين: أخص من غيرهم.[3]

ومن أدلة هذا القول:

أ - حديث (غدير خمّ) عن زيد بن أرقم أن النبي ﷺ خطبهم، وفيه: أنه حث على التمسك بكتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، فقال له: حصين: ومَنْ أهل بيته يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم. وفي رواية: قيل مَنْ أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا، وايم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته: أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة من بعده»[4].

---

1) لسان العرب، م1 ص171.
2) انظر جلاء الأفهام، لابن القيم، ص 210 - 228.
3) انظر منهاج السنة، جـ7 ص75 - 78.
4) رواه مسلم، ح/2408.

ب - حديث عمر بن سلمة قال: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] في بيت أم سلمة، فدعى النبي ﷺ فاطمة وحسنًا وحسينًا فجللهم بكساء، وعلي خلف ظهره فجلله بكساء، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»[١].

القول الثاني: أنهم ذريته وأزواجه خاصة:

ومن أدلة هذا القول:

أ - قوله (تعالى): ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ...﴾ حتى قوله: ﴿وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠ - ٣٣] فدخلن في آل البيت؛ لأن هذا الخطاب كله في سياق ذكرهن، فلا يجوز إخراجهن من شيء منه.

ب - ما جاء في روايات حديث الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد: «اللهم صل على محمد وآل محمد»، قالوا: فإنه مفسر بمثل حديث أبي حميد: «اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته»[٢]، فجعل مكان الآل: الأزواج، والذرية؛ مفسرًا له بذلك.

جـ - أن الله (تعالى) جعل امرأة إبراهيم من آله، فقال: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ...﴾ [هود: ٧٣] كما جعل امرأة لوط من أهله، فقال: ﴿... إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ...﴾ [العنكبوت: ٣٣].

وقيل في معنى «الآل» أقوال أخرى لا تصح.

هل أزواج النبي ﷺ من آله؟:

يأتي إفراد هذه المسألة من أهميتها؛ فالرافضة ينكرون كون أزواج النبي ﷺ من آله، وحجة من ذهب إلى هذا من أهل العلم: حديث زيد، وحديث ابن سلمة.

ويمكن مناقشة الاستدلال بهما كما يلي:

أولاً - حديث زيد، إنما وقع فيه نفيه - في الرواية الثانية - على أن يكون المراد بأهل بيته نساؤه فقط دون غيرهن، ولذا: قال في الرواية الأولى: «نساؤه من أهل بيته»، فأثبت كونهن من أهل بيته، ونفى كونهن أهل بيته دون غيرهن، ويحتمل أيضًا: أنه أراد تفسير الأهل - المذكورين في الحديث - بالآل الذين حرموا الصدقة استقلالاً، وهم قرابته دون أزواجه، ولكن الاحتمال الأول أرجح؛ جمعًا بين الروايتين، وجمعًا أيضًا بين القرآن والأحاديث المتقدمة[٣].

ثانيًا: وأما استدلالهم بحديث عمر بن سلمة، فمناقشته من أوجه:

١) أخرجه الترمذي، ح/٣٧٨٧، ومسلم بمعناه، ح/٢٤٢٤. ٢) أخرجه مسلم، ح/٤٠٧.
٣) انظر تفسير ابن كثير، جـ٣ ص٤٨٦.

١ - أن الحديث يحمل على أن النبي ﷺ ألحق أهل الكساء بحكم هذه الآية، وجعلهم أهل بيته، كما ألحق المدينة بمكة في حكم الحَرَمِيَّة، وعليه: فأهل الكساء جُعلوا من أهل بيته بدعائه، أو بتأويل الآية على محاملها.

٢ - أن الحديث لا يقتضي حصر آل البيت في أولئك؛ لما جاء في الرواية الأخرى: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق»[١]، وهذا غايته أن قرابته أحق بهذه التسمية، وليس فيه إخراج الأزواج من الآل.

٣ - أن قصر أهل البيت على المذكورين في الحديث «يقتضي أن تكون الآية مبتورة عما قبلها وما بعدها».

٤ - أن قوله ﷺ لأم سلمة - حين قالت: وأنا معهم يا رسول الله؟ -: «أنت على مكانك، وأنت إلى خير»[٢] ليس فيه ما يفيد منعها من ذلك؛ لأن المراد أن ما سألته من الحاصل، لأن الآية نزلت فيها، وفي ضرائرها، فليست هي بحاجة إلى إلحاقها بهم[٣]. وبعد هذه المناقشة يتبين أن القول الذي تجتمع به الأدلة هو: شمول الآل للقرابة والأزواج، وهذا القول هو اختيار كثير من أهل العلم، وصححه ابن تيمية[٤].

واليوم: فإن نسل البيت الطاهر لم ينقطع، كما دلت أحاديث خروج المهدي على أنه من نسله ﷺ، ولكن لا يثبت النسب لكل مدع، إذ لا بد من إثبات النسب، فإن كان ذاك فلآل بيت رسول الله ﷺ ما سيأتي ذكره من الخصائص والحقوق والواجبات.

ثانياً: خصائصهم ومناقبهم:

١ - خصائصهم:

أ - تحريم أكل الصدقة عليهم: قال ﷺ: «إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد، ولا لآل محمد».[٥]

ب - إعطاؤهم خُمُس خمس الغنيمة، وخمس الفيء: قال (تعالى): **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ [الأنفال: ٤١]**، وقال: **﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ...﴾ [الحشر: ٧]**، فإذا حرموا نصيبهم هذا أعطوا من الصدقة.

جـ - فضل النسب وطهارة الحسب:

قال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة،

---

١) المسند، جـ٤ ص١٧٠.
٢) تفسير الطبري، جـ١٠ ص٢٩٧، بنحوه.
٣) انظر: تفسير ابن عاشور، جـ٢٢ ص١٦.
٤) منهاج السنة، جـ٧ ص٧٦، جـ٤ ص٢٤.
٥) أخرجه مسلم ح/١٠٧٢.

واصطفاني من بني هاشم»[1].

٢ – **مناقبهم العامة:**

أ – **تخصيصهم بالصلاة عليهم:** وذلك كما في التشهد في الصلاة عليه وعلى آله.

ب – **وصية الرسول ﷺ بهم:** كما تقدم.

ولا يثبت لآل البيت – والله أعلم – غير ذلك من الخصائص العامة، فيجب الحذر من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ودسائس المبتدعة.

٣ – **المناقب والفضائل الخاصة ببعض آل البيت:**

قد ثبت لكثير من أفراد آل البيت مناقب كثيرة، حفظتها السنة، ففضائل علي أشهر من أن تذكر، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وخديجة خير النساء، وفضل عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام[2]، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وحمزة سيد الشهداء يوم القيامة... وهذا غيض من فيض.

ثالثاً: عقيدة أهل السنة والجماعة في آل البيت:

تتلخص عقيدة أهل السنة في آل البيت في أنهم يحبون المؤمنين من آل البيت، ويرون أن المؤمن من آل البيت له حقان عليهم: إيمانه، وقرابته.

ويرون أنهم ما شرفوا إلا لقربهم من الرسول ﷺ، وليس هو الذي شَرُف بهم، ويتبرؤون من طريقة الروافض، ومن طريقة النواصب، ويحفظون فيهم وصية الرسول ﷺ، ولازم هذه المحبة: توليهم ونصرتهم، وهي من لوازم حفظ الوصية فيهم.

ويرون أنهم مراتب ومنازل، وأنهم وإن تميزوا فلا يعني أن لهم الفضل المطلق على من فضلهم في العلم والإيمان، فالثلاثة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، أفضل من علي، وإن امتاز عنهم بخصوصيات؛ لأن هناك فرقاً بين الإطلاق والتقييد[3].

«وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه (رضي الله عنهن)، والدعاء لهن، ومعرفة فضلهن، والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين»[4].

قال ابن كثير (رحمه الله): «ولا ننكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم، وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض، فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلي وأهل

١) أخرجه مسلم ح ٢٢٧٦.
٢) مسلم، ح/ ٢٤٣٠ وما بعده.
٣) انظر شرح مقدمة التفسير، لابن عثيمين. ص١٠٨.
٤) عقيدة الإمام الصابوني، جـ٤ ص١١٣.

دراسات شرعية

بيته وذريته، رضي الله عنهم أجمعين»[1].

ويبين الطحاوي أن البراءة من النفاق لا تكون إلا بسلامة المعتقد في آل البيت، فيقول: «ومن أحسنَ القولَ في أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برئ من النفاق»[2].

ولقد كانت حياة سلف الأمة شاهدة على رعايتهم وصية رسول الله ﷺ في أهل بيته، والوقائع كثيرة، هاك شيئًا منها:

• قال أبو بكر (رضي الله عنه): «ارقبوا محمداً في آل بيته» - يخاطب الناس بذلك ويوصيهم به -، يقول: احفظوه فيهم؛ فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم[3].

- وقال (رضي الله عنه): «والله، لَقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ من أصل قرابتي»[4].

• وقال عمر للعباس (رضي الله عنهما): «والله، لإسلامك - يوم أسلمت - كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم؛ لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب»[5].

هذه بعض الشواهد، وإلا فإن الأمر أكبر من هذا، كما شملت هذه الرعاية أزواجَ النبي ﷺ؛ فإن أهل السنة يعرفون لهن حقّهن، فإنهن أمهات المؤمنين بنص القرآن، وأفضلهن: خديجة وعائشة (رضي الله عنهن أجمعين).

وقد كان بقية آل البيت - فضلاً عن سائر الصحابة - يعرفون مكانتهن؛ فقد قيل لابن عباس (رضي الله عنهما) بعد صلاة الصبح: ماتت فلانة - لبعض أزواج النبي ﷺ - فسجد، قيل له: أتسجد في هذه الساعة؟ فقال: أليس قال رسول الله ﷺ «إذا رأيتم آية فاسجدوا»، فأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي ﷺ؟[6].

ولما كان صحابة رسول الله ﷺ يحفظون لآل البيت قدرهم، فقد كان آل البيت أيضًا يعرفون منزلة إخوانهم من الصحابة، ويقدرون صاحب الفضل منهم (رضي الله عن الجميع) ويكفي الشاهد التالي: عن ابن عباس، قال: «إني لواقف في قوم، فدعوا الله لعمر بن الخطاب - وقد وضع على سريره - إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي فقال: رحمك الله، إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك؛ لأني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنتُ وأبو بكر وعمر، وفعلتُ وأبو بكر وعمر،

١) تفسير ابن كثير، جـ٤ ص١١٣ .
٢) شرح الطحاوية، م٢ ص٧٣٧ .
٣) انظر الفتح جـ٧، ص٩٨، والأثر في الصحيح.
٤) أخرجه البخاري، ح٣٧١٢ .
٥) تفسير ابن كثير، جـ٤ ص١١٣ .
٦) أخرجه الترمذي، ح٣٨٩١، وهو صحيح.

وانطلقت وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما، فالتفتُّ فإذا علي بن أبي طالب »[1] فهذا هو علي (رضي الله عنه) الذي يرفعه الرافضة فوق منزلته، ويزعمون ظلم الصحابة له وسلبهم حقوقه، إنه (رضي الله عنه) يرد عليهم بفعله وقوله.

ومن أجمل ما في هذا الباب: رسالة للشوكاني سماها (إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ﷺ)، ذكر فيها إجماع أهل البيت على تحريم سب الصحابة، من اثني عشر طريقًا، ثم سردها عن جماعة من أكابرهم. ثم ذكر طائفة من أقوالهم، تبين معتقدهم في صحابة رسول الله ﷺ، والترضي عنهم، وتحريم سبهم، وأن السب إنما هو من فعل الروافض الضلاّل، ومن تشبه بهم في فعلتهم هلك معهم، وذكر في آخر رسالته أن من لم يقنع بما ذكر من الأدلة والإجماع فهو: إما جاهل، أو مكابر. وصدق (يرحمه الله).

رابعًا: معتقد أهل البدع والضلال في آل البيت:

افترق الناس في آل البيت، فهلكوا، ونجا أهل السنة، وهذا بحكم علي (رضي الله عنه) حيث قال: « يهلك فيّ رجلان: مفرط في حبي، ومفرط في بغضي »[2]، وأهل السنة وسط بين طرفين، وقد سلك أهل الزيغ في آل البيت مسلكين: مفرط في الحب وهم الروافض والصوفية، ومفرط في البغض وهم النواصب.

المسلك الأول: مسلك الرافضة والصوفية:

معتقد الرافضة في آل البيت:

غلا الرافضة في محبتهم كما غلت النصارى في المسيح (عليه السلام)، وقالوا: لا ولاء إلا ببراء، أي: لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) [3]، وأطلقوا (النَّصْب) على من تولى الشيخين (رضي الله عنهما)؛ بناءً على أن: (من أحبهما فقد أبغض عليًّا)، و(من أبغضه فهو ناصبي)، وهاتان مقدمتان، أولاهما باطلة[4]. ورفعوهم فوق منزلتهم، وادعوا لهم ما لم يثبت، بل ما لا تقبله العقول!.

وقد تبرأ خيرة آل البيت من تلك المحبة ودعوا إلى الاعتدال فيها، قال علي بن الحسين (رحمه الله تعالى): « يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارًا »[5]، وعن الحسن بن الحسن أنه قال لرجل يغلو فيهم: « ويحك !

---

1) أخرجه البخاري، ح٣٦٧٧ .
2) أخرجه اللالكائي، م٧ص١٣٩٧، وإسناده قوي.
3) شرح الطحاوية، م٢ص٦٩٧ .
4) انظر التدمرية، ص١٢٢ .
5) أخرجه اللالكائي، م٧ ص١٣٩٨ .

أحبونا لله، فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فابغضونا، ولو كان الله نافعًا أحدًا بقرابة من رسول الله ﷺ بغير طاعة، لنفع بذلك أباه وأمه، قولوا فينا الحق فإنه أبلغ فيما تريدون، ونحن نرضى منكم»[1].

قولهم بإمامة الاثني عشر:[2]

الإمامة عندهم في المرتبة الرابعة من أصول الدين، بعد التوحيد والعدل والنبوة، فزعموا فيها أن النبي ﷺ نصّ على إمامتهم نصًا جليًا أو خفيًا. **ومن أصول الرافضة في الإمامة:**

أ - أن هؤلاء الأئمة معصومون كعصمة الأنبياء.

ب - أن كل ما يقولونه فقد تلقوه عن النبي ﷺ.

ج - أن إجماع العترة (وهم الأئمة الاثني عشر) حُجة، وأن كل ما قاله أحدهم فقد أجمعوا عليه كلهم!.

وبراءة آل البيت من لزوم طاعتهم - على ما قرره الرافضة - ثابتة: فعن علي بن الحسين أنه قال: «من زعم منا أهل البيت أو غيره أن طاعته مفترضة على العباد فقد كذب علينا، ونحن منهم براء، فاحذر ذلك إلا لرسول الله ﷺ ولأولي الأمر من بعده»[3]. وعن أبي جعفر محمد بن علي، قال: «يزعمون أني مهدي، وإني إلى أجلي أدنى مني إلى ما يدعون»[4].

انحراف الرافضة في أئمتهم:

وقد بلغ مبلغًا عظيمًا، ومن صوره:

أولاً: اختلافهم في تعيين الأئمة اختلافًا متباينًا، كلٌّ يدعي الحق دون حجة ولا برهان.

ثانيًا: مخالفتهم لأئمتهم، حيث فارقوا أهل السنة والجماعة.

ثالثًا: أن الرافضة لا يهتمون بتمييز المنقولات عن الأئمة، ولا خبرة لهم بالأسانيد ومعرفة الثقات.

رابعًا: كذب الرافضة على أئمتهم:

فلم يقفوا عند حدّ القصور في تمييز المنقولات، وقد عظم كذبهم، لا سيما على جعفر الصادق، فإنه ما كُذب على أحد مثل ما كذب عليه، حتى نسبوا إليه: كتاب الجَفْر، والبطاقة، والهَفْت، واختلاج الأعضاء، وجدول الهلال، وأحكام الرعود والبروق... وغيرها.

خامسًا: اتباع الرافضة لشيوخهم لا لأئمتهم:

فقد مات الأئمة من سنين كثيرة، فأين مهديُّهم؟! والذين يوجهون الرافضة، ويطيعهم الرافضة، هم الشيوخ، أو كتب

---

1) السابق، م٧ ص١٤٠٠.

2) انظر مجلة البيان، ع٩٣ ص٨ - ١٩.

3) أخرجه اللالكائي، م٧ ص١٣٩٨.

4) السير، جـ٤ ص٤٠٧.

صنفها الشيوخ.

سادساً: سخافة قول الرافضة في أئمتهم:

وماذا حصّلوا من انتظارهم إمامهم المزعوم محمد بن الحسن العسكري إلا العناء وسخرية العقلاء بهم؟!.

سابعاً: زعمهم اختصاص آل البيت بشيء من التشريع لم يعلم به غيرهم:

ومن ذلك: زعمهم اختصاصهم بمصحف فاطمة، ويكفينا هنا رد علي نفسه – لما سئل: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما كان في كتاب الله؟ – قال: «لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن...»، ولمسلم: «ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء لم يعم به الناس كافة»[1].

ثامناً: شرك الرافضة في أئمتهم:

حيث ينسبون إليهم أفعالاً لا تليق إلا بمقام الربوبية، وتأمل هذه القصة: عن القاسم المطرِّز، قال: دخلت على عبّاد الكوفة، وكان يمتحن الطلبة، فقال: من حفر البحر؟ قلت: الله، قال: هو ذاك، ولكن من حفره؟ قلت: يذكُرُ الشيخ، قال: حفره علي!!، فمن أجراه؟ قلت: الله، قال: هو كذاك، ولكن من أجراه؟ قلت: يفيدني الشيخ، قال: أجراه الحسين، وكان ضريراً، فرأيت سيفاً وحَجَفَة، فقلت: لمن هذا؟ قال: أعددته لأقاتل به مع المهدي، فلما فرغت من سماع ما أردت، دخلت عليه، فقال: من حفر البحر؟ قلت: حفره معاوية (رضي الله عنه)، وأجراه عمرو بن العاص، ثم وثبتُ وعَدَوْتُ فجعل يصيح: أدركوا الفاسق عدوَّ الله، فاقتلوه.[2]

حقيقة مذهب الرافضة:

والحقيقة التي ينبغي أن تُعلم: أن كل ما يدعيه الرافضة لآل البيت، لم يكن مودة لآل البيت، ولا محبة فيهم!، فإن القوم قوم بُهت، وأهل كيد وخداع، وإن وراء الأكمة ما وراءها، ويشهد التاريخ أنهم كادوا للإسلام ويكيدون له؛ فهم قوم منافقون باطنيون – أقصد أهل زماننا من الرافضة –،

قال الإمام الدارمي: «حدثنا الزهراني أبو الربيع قال: كان من هؤلاء الجهمية رجل، وكان الذي يظهر من رأيه الترفض وانتحال حب علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فقال رجل ممن يخالطه ويعرف مذهبه: قد علمت أنكم لا ترجعون إلى دين الإسلام ولا تعتقدونه، فما الذي حملكم على الترفض وانتحال حب علي؟ قال: إذن أصدقك أنا، إنْ أظهرنا رأينا الذي نعتقده رُمينا بالكفر

1) أخرجه البخاري، ح٣٠٤٧، ح١٩٧٨ بنحوه.

2) السير، جـ١١ ص٥٣٨، وإسنادها صحيح.

والزندقة، وقد وجدنا أقوامًا ينتحلون حب علي ويظهرونه، ثم يقعون بمن شاؤوا، ويعتقدون ما شاؤوا، ويقولون ما شاؤوا، فنُسبوا إلى التشيع، فلم نر لمذهبنا أمرًا ألطف من انتحال حب هذا الرجل ثم نقول ما شئنا، ونعتقد ما شئنا، ونقع بمن شئنا، فلأن يقال لنا: رافضة أو شيعة، أحب إلينا من أن يقال زنادقة كفار، وما علي عندنا أحسن من غيره ممن نقع بهم.

ثم قال: وصدق هذا الرجل فيما عبر عن نفسه ولم يراوغ. وقد استبان ذلك من بعض كبرائهم وبصرائهم... ولئن كان أهل الجهل في شك من أمرهم، إن أهل العلم منهم لعلى يقين»[1].

معتقد الصوفية في آل البيت :

والصوفية يرون أن آل البيت هم خواص الأمة؛ ومن هنا أتى غلوهم في الأولياء. وينبغي أن يعلم أن لهم اصطلاحًا في الولاية يخالف اصطلاح أهل السنة، فأهل السنة يعرفون الولي بأنه: كل مؤمن تقي، ليس بنبي.

أما ولي الله عند الصوفية فهو: من اختاره الله وجذبه إليه، ولا يشترط الصلاح ولا التقوى عندهم، بل هي وَهْب إلهي دون سبب ولا حكمة، وجعلوا المجاذيب والمجانين والفسقة والظلمة أولياء، وقسموا الأولياء إلى مراتب: الغوث، والأبدال، والنجباء، ولكل منهم تصرف في الكون حسب مرتبته.

والمطلع على حقيقة مذهبي الرافضة والصوفية يجد الأصل واحدًا، والغاية واحدة، كما يجد الاشتراك في كثير من العقائد والشرائع[2]، **وخير مثال على ذلك ما نحن بصدده، وهو:**

١ - الإمامة الشيعية والولاية الصوفية:

زعم الرافضة أن أئمتهم مختارون من الله، خُصوا بخصائص دون غيرهم، ورفعوهم فوق مقامات الأنبياء، وهذا نفسه ما ادعاه الصوفية لأوليائهم، وكما جعل الرافضة للأئمة مقامات بعد مقام الولاية كالنقباء، وهم وكلاء الإمام...، فقد جعل الصوفية المقام الأعظم للقطب الغوث، ثم الأبدال السبعة، ثم النجباء السبعين...

٢ - تقديس القبور وتعظيم المشاهد:

الشيعة أول من بنى المشاهد والمساجد على القبور في الإسلام، وكان ذلك منذ بداية القرن الثالث الهجري، ولكن بعض خلفاء بني العباس شرعوا يهدمونها... ونسج الصوفية على المنوال نفسه؛ فجعلوا أهم مشاعرهم: تعظيم القبور والأضرحة، والطواف والتبرك بها...

١) الرد على الجهمية، ص١٧٩ - ١٨٠.

٢) انظر: الفكر الصوفي، عبدالرحمن عبدالخالق، ص٤١٥ - ٤٤٨.

ولعل من الأمثلة على شدة التقارب بين الفئتين: ما قام به الرافضة في بلد إسلامي من بناء مسجد عظيم أنفقوا فيه بسخاء على مقام (السيدة زينب)، وهو من المقامات التي أنشأها الصوفية، بل صار مزاراً عظيمًا للرافضة!! ويكفي في بيان التقارب: أن التشيع ما دخل إفريقيا - في العصر الحديث- إلا عن طريق الصوفية التي كانت ضاربة أطنابها في إفريقيا - ولا زالت -، بل إن دولة العبيديين (الفاطميين) كانت تسعى لنشر التشيع والرفض، وما أراد العبيديون - أصلاً - بإنشاء الأزهر إلا ليكون معلمًا للرفض، ومركزًا لنشر تلك العقيدة المزيفة، ولكن الله رد كيدهم، ولما سقطت دولتهم على يد صلاح الدين، الذي أعاد الله به ضياء السنة، بقي دين الرفض مختبئًا، واتخذ طريق التصوف أسلوبًا وسبيلاً لمحاولة بقائه.

المسلك الثاني من مسالك أهل البدع في آل البيت:

سبهم وتكفيرهم، كما يفعلون مع بقية الصحابة (رضي الله عنهم)، وهذا مسلك المارقة الخوارج الحرورية.

والأدلة على تحريم سب الصحابة وآل البيت ظاهرة، وأقوال السلف في حبس سابّهم وعقوبته متكاثرة، قال (تعالى): ﴿**وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**﴾ [**الحجرات**: ١٢]، وأدنى أحوال الساب لهم أن يكون مغتابًا، وقال (تعالى): ﴿**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ**﴾ [**الهمزة**: ١]، وقال (تعالى): ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا**﴾ [**الأحزاب**: ٥٨]، والله (تعالى) قد رضي عن الصحابة رضاءً مطلقًا، فقال: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ [**التوبة**: ١٠٠]، فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان، ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان، ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً.

وقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه»[1].

وقد فصل ابن تيمية في الصارم المسلول حكم ساب الصحابة بعد أن نقل نقولاً كثيرةً عن العلماء، وهناك جملة من أنواع سب الصحابة مما يعدّ ناقضاً من نواقض الإيمان[2]، وهي:

١) أخرجه مسلم، ح ٢٥٤٠ .

٢) انظر نواقض الإيمان، د. عبدالعزيز العبداللطيف، ص٤٠٥ .

دراسات شرعية

١ - أن يسب الصحابة أو جمهورهم، سبًّا يقدح في دينهم وعدالتهم؛ كأن يرميهم بالكفر، أو الفسق، أو الضلال.

٢ - أن يسب صحابيًا تواتر فضله.

٣ - أن يقذف عائشة، أو غيرها من أمهات المؤمنين.

وواضح أن هذا السب قاسم مشترك بين الروافض والنواصب!!.

ولماذا كان السب ناقضًا للإيمان ومكفرًا؟:

- لأن في سب الصحابة (رضي الله عنهم) تكذيبًا للقرآن الكريم، وإنكارًا لما تضمنته آيات القرآن من تزكيتهم والثناء عليهم.

- لأن سبهم يستلزم نسبة الجهل إلى الله (تعالى)، أو العبث في تلك النصوص الكثيرة التي تقرر الثناء على الصحابة.

- ولأن فيه تنقصًا وأذى للرسول ﷺ؛ فهم أصحابه الذين رباهم وزكاهم.

- ولأن سبهم طعن في الدين، وإبطال للشريعة، وهدم لأصله؛ لأنهم هم نقلة الدين، فإذا طعن فيهم انعدم النقل المأمون للدين.

ونحن نبرأ إلى الله من فعل الخوارج الذين يناصبون الصحابة وآل البيت العداء، وقتلوا عليًا على يد ابن ملجم (عليه من الله ما يستحق). كما نبرأ من صنيع الروافض وافترائهم وبهتانهم.

وأخيراً: أما وقد ثبت هذا الفضل لآل البيت، فهل يا ترى يناله كل من كان منتسبًا لهذا النسب الشريف كائنًا من كان؟.

إن أصول الشريعة لتدل دلالة واضحة على أن النسب بحد ذاته لا يمكن أن يكون كافيًا لتحصيل تلك المزية والمنقبة وذلك الفضل، إذ لو كان كافيًا لنفع أبا لهب وأبا طالب، إذ لا بد أن ينضاف إليه الإيمان والعمل الصالح؛ فإن النسب وحده لا يعني حصول العصمة، ولا سقوط التكاليف.. هذا أمر.

وأمر آخر وهو: أن القرب من النبي ﷺ كما أنه تشريف، فهو تكليف أيضًا؛ فإن الله (تعالى) ضاعف الأجر لأزواج النبي ﷺ - وهنَّ من آله - وبيّن لهنَّ مضاعفة العقوبة، وهذا من خصائصهن (رضي الله عنهن) لعظم قدرهن؛ لأن قبح المعصية تتبع زيادة فضل الآتي بها، قال (تعالى): **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٠، ٣١]**، فلما كانت مكانتهن رفيعة ناسب أن يجعل الذنب - لو وقع منهن - مغلظًا؛ صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع.

إذن: فالفضل الوارد لآل البيت إنما يستحقه المؤمنون منهم، المتبعون للسنة، وهم الذين ندين لله (تعالى) بحبهم، والاعتراف بفضلهم، وموالاتهم، ومعاداة من عاداهم.

أما الواقع المشاهد لبعض المنتسبين لآل البيت، من الذين بدلوا وغيروا وحرفوا، وصاروا دعاة للضلالة، ناصرين للبدعة، محبين للشرك الصراح، موالين لأهل الكفر، أما هؤلاء فلا حب لهم ولا كرامة، فإنهم لا يعتبرون من آل البيت، بل حقهم الكراهية والبغض والبراءة والعداوة، كما هو مقرر في باب الولاء والبراء، فتسري عليهم أحكام الشريعة، كما تسري على غيرهم، في حين أن الأمر في حقهم أشد وأقبح؛ فهم يسيئون إليه ﷺ، ويؤذونه و آل بيته (رضي الله عنهم)، لكن أفعالهم الشنيعة، وأعمالهم البشعة لا تغض من قدر آل البيت شيئًا، بل قدرهم عند أهل السنة محفوظ، لا يزيله تحريف غالٍ، ولا انتحال مبطل، ولا تأويل جاهل.

إن كثيرًا من أولئك الدجاجلة الأفاكون استغلوا نسبتهم لآل البيت، وصدقوا معتقد الرافضة وغلاة الصوفية في أئمتهم، فادَّعوا العصمة لأنفسهم وصاروا دعاة على أبواب جنهم، ينشرون البدع والضلال والكفر والشرك الأكبر!.

ألا فليعلم أولئك، والمغترون بهم، والسائرون في ركابهم، أنهم ليسوا على شيء؛ فإن الله (تعالى) ليس بينه وبين أحد من خلقه نسب ولا سبب، إلا سبب الإيمان والعمل الصالح، وإن النبي ﷺ لا يغني عن أحد شيئًا، ولو كان أقرب قريب، ولو كان نافعًا أحدًا لنفع أباه، وقد قرر ذلك أعظم تقرير وأوضحه، ولكن القوم في غيهم يعمهون. عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: لما أنزلت هذه الآية: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ [**الشعراء**: ٢١٤] دعى رسول الله ﷺ قريشًا، فاجتمعوا، فعمَّ وخصَّ، فقال: «... يابني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة! أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئًا ...».[1]

---

١) أخرجه مسلم، ح/٢٠٤ .

دراسات شرعية

هذه أحكام الأضحية

بقلم: عبدالله الإسماعيل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فإن الأضحية من شعائر الله الظاهرة التي أجمع المسلمون على مشروعيتها[1]، وداوم النبي ﷺ على فعلها، كما في حديث أنس (رضي الله عنه) «أن رسول الله ﷺ انكفأ إلى كبشين أقرنين أملحين، فذبحهما بيده» .[2]

وإليك أيها القارئ الكريم مسائل في الأضحية وأحكامها تحت العناوين الآتية:

أولاً: حكمها:

الأظهر من قولي العلماء أنها سنة مؤكدة للقادر عليها، وهو قول الجمهور، وليست بواجبة؛ لجملة من الأدلة منها:

١ - أن النبي ﷺ ضحى عمن لم يضحِّ من أمته، كما في حديث جابر (رضي الله عنه)[3].

٢ - حديث أم سلمة (رضي الله عنها)، أن النبي ﷺ قال: «إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يمسَّ من شعره وبشره شيئًا»[4]، فقوله: «وأراد» ظاهر الدلالة في عدم الوجوب[5].

٣ - أن أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) كانا لا يضحيان كراهية أن يقتدى بهما[6].

٤ - قول أبي مسعود الأنصاري (رضي الله عنه): «إني لأدع الأضحى وإني لموسر، مخافة أن يرى جيراني أنه حتم عليّ»[6].

---

١) انظر: المغني، جـ١٣ ص٣٦٠.

٢) البخاري: كتاب الأضاحي، جـ٦ ص٢٣٤.

٣) أخرجه أحمد، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

٤) مسلم: ح/١٩٧٧.

٥) انظر: المغني، جـ١٣ص٣٦١، المجموع، جـ٨ص٣٥٦.

٦) أخرجه البيهقي، وصححه الألباني في الإرواء.

ثانيًا: وقتها:

يبدأ وقت ذبح الأضحية من بعد صلاة العيد؛ لحديث أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذبح قبل الصلاة فإنما ذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين»[1]، ويمتد وقت الذبح إلى آخر أيام التشريق، وهو اليوم الثالث عشر من ذي الحجة، فتكون أيام الذبح أربعة، لحديث جبير بن مطعم مرفوعًا: «... وفي كل أيام التشريق ذبح»[2]. والأفضل ذبحها في اليوم الأول بعد الصلاة؛ لقول النبي ﷺ: «إن أوَّل ما نبدأ به من يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر»[1].

ثالثًا: صفة ذبحها:

يسن أن يذبحها بيده، فإن كانت من البقر أو الغنم أضجعها على جنبها الأيسر، موجهة إلى القبلة، ويضع رجله على صفحة العنق، ويقول عند الذبح: بسم الله والله أكبر، اللهم هذا منك ولك، اللهم هذا عني (أو اللهم تقبل مني) وعن أهل بيتي، أو عن فلان - إذا كانت أضحية موصي -،

ويدل على هذه الصفة الأحاديث الآتية:

١ - حديث أنس (رضي الله عنه) قال: «ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده، وسمَّى وكبَّر، ووضع رجله على صفاحهما»[3].

٢ - حديث جابر السابق.

٣ - حديث عائشة (رضي الله عنها): «أن رسول الله ﷺ أمر بكبش أقرن، يطأ في سواد، ويبرك في سواد، وينظر في سواد[4]، فأتي به ليضحي به، فقال لها: يا عائشة هلمي المدية، ثم قال: اشحذيها بحجر، ففعلتُ، ثم أخذها وأخذ الكبش فأضجعه، ثم ذبحه ثم قال: باسم الله، اللهم تقبل من محمد وآل محمد ومن أمَّة محمد، ثم ضحى به»[5].

٤ - أن ابن عمر (رضي الله عنهما) كان يكره أن يأكل ذبيحة ذبحت لغير القبلة[6].

- أما جملة: «اللهم هذا منك ولك» فقد جاءت في حديث جابر (رضي الله عنه) وإسناده صحيح لولا عنعنة أبي إسحاق، إلا أن لها شاهدًا يتقوى به[7].

١) البخاري: كتاب الاضاحي، جـ٦ ص٢٣٤.

٢) قال ابن حجر: «اخرجه أحمد، ولكن في سنده انقطاع ووصله الدار قطني ورجاله ثقات» (الفتح، جـ١٠ ص١٠).

٣) البخاري: كتاب الاضاحي، جـ٦ ص٢٣٧.

٤) أي: إن اظلافه، ومواضع البروك منه، وما أحاط بعينيه: أسود.

٥) مسلم: ح/١٩٦٧.

٦) أخرجه عبدالرزاق بإسناد صحيح.

٧) أورده الهيثمي في المجمع (جـ٤ ص٣٥٠).

دراسات شرعية

– و إن كانت الأضحية من الإبل نحرها معقولة يدُها اليُسرى؛ لحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه أتى على رجل قد أناخ بدنته ينحرها، فقال: «ابعثها قياماً مقيَّدة، سنَّة محمد ﷺ»[1].

وعن عبدالرحمن بن سابط (رحمه الله): «أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا ينحرون البدنة معقولة اليُسرى، قائمة على ما بقي من قوائمها»[2].

رابعاً: ويحرم بيع شيء منها حتى من شعرها وجلدها، ولا يعطى الجزّار بأجرته منها شيئاً؛ لقول علي (رضي الله عنه): «أمرني رسول الله ﷺ أن أقوم على بُدْنه، وأن أتصدق بلحمها وجلودها وأجلتها، وأن لا أعطي الجزار منها» [3] «قال: نحن نعطيه من عندنا»[4].

خامساً: ما يجزئ في الأضحية:

أ – لا تجزئ إلا من الإبل والبقر والغنم؛ لقوله (تعالى): ﴿**لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ**﴾ [الحج: ٣٤]

وبهيمة الأنعام هي: الإبل، والبقر، والغنم[5].

ب – تجزئ الشاة عن الواحد وأهل بيته، لقول أبي أيوب (رضي الله عنه) لما سئل: كيف كانت الضحايا على عهد رسول الله ﷺ؟ فقال: «كان الرجل يضحي بالشاة عنه وعن أهل بيته»[6].

وتجزئ البدنة والبقرة عن سبعة وأهل بيوتهم؛ لحديث جابر (رضي الله عنه)، قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ مهلين بالحج، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الإبل والبقر، كل سبعة منا في بدنة»[7].

جـ – أقل ما يجزئ من الضأن ما له نصف سنة، وهو الجذع؛ لقول عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال: «ضحينا مع رسول الله ﷺ بجذع من الضأن»[8].

وأقل ما يجزئ من الإبل والبقر والمعز مسنَّة؛ وهي من المعز ما له سنة، ومن البقر ما له سنتان، ومن الإبل ما له خمس سنين[9]؛ لحديث جابر (رضي الله عنه)

١) أخرجه البخاري ومسلم.
٢) صحيح سنن أبي داود للألباني، ح/١٥٥٣.
٣) متفق عليه.
٤) أخرجه مسلم.
٥) المغني: جـ١٣ ص٣٦٨، ابن كثير، جـ٥ ص٤١٢.
٦) أخرجه الترمذي، جـ٢ ص٩٠.
٧) أخرجه مسلم.
٨) أخرجه النسائي، جـ٣ ص٩١٥.
٩) المغني، جـ١٣ ص٣٦٩.

قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذبحوا إلا مسنَّة، إلا أن يعسر عليكم، فتذبحوا جذعة من الضأن».[1]

د – أربع لا تجوز في الأضاحي، كما في حديث البراء بن عازب (رضي الله عنه)، قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع لا تجوز في الأضاحي: العوراء البيِّن عورها، والمريضة البيِّن مرضها، والعرجاء البيِّن ظلعها[2]، والكسير[3]، وفي لفظ: والعجفاء[4] التي لا تنقي[5]»[6].

سادساً: ما يجتنبه المضحي:

إذا دخلت العشر حرم على من أراد أن يضحي أخذ شيء من شعره أو ظفره أو جلده حتى يذبح أضحيته؛ لحديث أم سلمة (رضي الله عنها) أن النبي ﷺ قال: «إذا دخلت العشر وأراد أحدكم أن يضحي فلا يمس من شعره وبشره شيئاً»، وفي رواية «ولا من أظافره شيئاً حتى يضحي».[7]، وهذا النهي خاص بصاحب الأضحية، أما المضحى عنهم من الزوجة والأولاد فلا يعمهم النهي؛ لأن النبي ﷺ ذكر المضحي، ولم يذكر المضحى عنهم. ومن أخذ شيئاً من شعره أو ظفره في العشر متعمداً فلا يمنعه ذلك من الأضحية، ولا كفارة عليه، ولكن عليه أن يتوب إلى الله (تعالى).

سابعاً: الأضحية عن الميت:

أ – تصح الأضحية عن الميت إذا كانت إنفاذاً للوصية.

ب – أما أن يفرد الميت بأضحية تبرعاً، فهذا ليس من السنة، وقد مات عم النبي ﷺ حمزة وزوجته خديجة، وثلاث بنات متزوجات، وثلاثة أبناء صغار، ولم يرد عنه ﷺ أنه أفردهم أو أحداً منهم بأضحية.

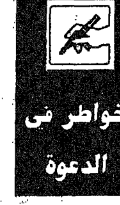
جـ – إن ضحى الرجل عنه وعن أهل بيته ونوى بهم الأحياء والأموات شملهم جميعاً[8].

---

١) أخرجه مسلم.
٢) أي: عرجها.
٣) أي: المنكسرة.
٤) أي: المهزولة.
٥) أي: لا مخ لها لضعفها وهزالها.
٦) صححه الألباني، انظر: الإرواء، جـ٤ ص٣٦١.
٧) أخرجه مسلم.
٨) انظر: أحكام الأضحية للشيخ ابن عثيمين.

الأسباب والنتائج

● محمد العبدة ●



من الكلمات التي ما فتئ بعض الإسلاميين يرددونها، ولا يملون من تردادها كلما ووجهوا بنقد أو لوم: «نحن نعمل، والنتائج على الله»، وهي كلمة حق؛ فالإنسان يبذل الجهد، ويأخذ بالأسباب التي أُمر أن يأخذ بها، ويدع النتائج لمشيئة الله، فما قضى به (سبحانه) للمؤمن فهو خير.

ولكن مشكلة هذا القول تكمن في نصفه الأول، والسؤال المتبادر: هل قمنا – حقيقة – بالعمل المطلوب؟ هل أخذنا بالأسباب الواجبة شرعًا؟، وهل بذلنا كل وسعنا، وكل طاقتنا، ثم قلنا: دع النتائج لله؟.

هذه الأسئلة يجب أن نفكر فيها طويلاً، ونعيد النظر في أعمالنا، ونرجع إلى الماضي القريب، فإن النتائج التي وصلنا إليها، ومحصلة العمل الإسلامي بعد مرور ما يقارب القرن على بدئه لا تدل على أننا قمنا بالواجب تمامًا، ولا تدل على أننا أخذنا بالأسباب على أحسنها، إنها نتائج ضعيفة إذا قيست بهذه المدة المتطاولة.

ليس هذا إنكارًا للجهود المخلصة، ولا جحودًا لما قام به أهل العلم والفضل، ولكن.. لماذا نظن أن الأمور سائرة على ما ينبغي؟ ولماذا لا نفترض أن هناك خللاً ما، سواء أكان خللا في المنهج والتصورات أو في الوسائل وطرق السير؟.

لقد سرق العلمانيون والمتسلقون جهود المسلمين... ولا يزالون، فلماذا لا نبحث مثل هذه القضية؟ ألا يستحق المسلمون أن يكون لهم قيادة علمية يرجعون إليها، قيادة توجههم وتحميهم من تكالب الأعداء عليهم، وتحميهم

من هذه الحرب الضروس التي يشنها الإعلام العالمي – ومن يسير في ركابهم – على الإسلام والمسلمين.

كيف نقول: إننا قمنا بالعمل، وليس للمسلمين منبر إعلامي قوي يذود عنهم، ويشرح للناس قضيتهم، ويبشر بالإسلام لإنقاذ الناس من الهلاك.

كيف نقول: إننا قمنا بالعمل، ولا نجد خطوات جادة مخلصة لتوحيد الصف الإسلامي، وإذا بُدئ بهذا الأمر، فإنه يبدأ بخطوات خجولة مترددة.

ليس المقياس أن نرى النتائج فقط، ولكن أن ننظر إلى البدايات، هل أُحكمت أم لا؟، والأخذ بالأسباب لا يعني الأخذ بأضعفها، ومن قصر في هذا فلا يلومنَّ إلا نفسه، وقد قيل:

لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

ويروى عن الخليفة الأموي «سليمان بن عبدالملك» أنه قال: «ما لمت نفسي على فوت أمر بدأته بحزم، ولا حمدتها على درك أمر بدأته بعجز».

إن الخلل في إحكام البدايات، وعدم الوقوف على أرض صلبة، وعدم السير على منهج واضح: هو الذي أوقع المسلمين في أخطاء كبيرة، جعلهم يتقدمون خطوة ويتأخرون خطوات، بينما نرى أن أصحاب رسول الله ﷺ قاموا بعده بشؤون الحكم والإدارة، واختلطوا بالأمم، ولكن كل ذلك كان مشدوداً لقاعدة منهجية واضحة.

إن الأخذ بالأسباب من منهج أهل السنة، ولكن لا يعتمد عليها وحدها؛ فإن هذا شرك بالله، وكذلك: لا تترك؛ فإن هذا حُمْق.

لقد كان سلفنا الصالح يتوكلون على الله ويأخذون بالأسباب.

أخطاء في فهم المنهج

محمد بن عبدالله الدويش

من قضايا المنهج

يكثر اليوم الحديث عن المنهج وطرح التساؤلات وإثارة النقاش حوله، ويكثر استخدام هذا المصطلح في الخطاب الدعوي، وتقويم الجهود والأعمال الدعوية.

والحديث عن المنهج مظهر من مظاهر النضج في التفكير وتجاوز الوقوف عند المسائل الفرعية وتكرارها والجدل فيها على حساب الأصول.

لكن.. ما طبيعة هذا الحديث؟.

أهو حشد للطاقات والجهود داخل إطار الطائفة الناجية لاستكشاف معالم المنهج، وتحديد الثوابت الدعوية في مثل هذا العصر وظروفه؟ أم أن الجهود اتجهت للتشاجر والتطاحن داخل الصف الإسلامي، بل داخل صف أهل السنة؟!.

وما أسطره هنا لا يعدو كونه اجتهاداً فرديًّا، ومحاولة شخصية، آمل من القارئ الكريم ألا يؤدي به اختلافه معي في قضية أو جزئية إلى رفض ما يوافقني عليه، وكلٌّ يؤخذ من كلامه ويرد، إلا المعصوم ﷺ.

المنهج في اللغة:

قال ابن فارس: «النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول: النهج، الطريق.. ونهج الأمر: أوضحه. والآخر: الانقطاع.. وأتانا فلان ينهج، إذا أتى مبهوراً مقطوع النَّفَس»(١).

حين نعود إلى لسان العرب نستطيع أن نستنبط من معاني المنهج ومشتقاته:

١) معجم مقاييس اللغة، جـ٥ ص٣٦١ .

١ - الوضـــوح: « طريق نهج: بيِّن واضح، وهو النهج.
والمنهـاج: الطريق الواضح. واستنهج الطريق: صار نَهْجًا.
٢ - سلوك الطريق: نهجت الطريق: سلكته، والنهج: الطريق المستقيم.
٣ - الانقطاع: وهو ليس من هذا الباب، بل من الأصل الثاني.[1]

المنهج في الكتاب والسنة:

ورد المنهج في القـرآن في قـوله (تعالى): ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [**المائدة**: ٤٨]. وفي السنة النبوية: جاء استخدام هذا المصطلح في حديث: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون... ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»[2].

أخطاء في المنهج:

أولاً: اعتبار أقوال الرجال مقياساً للمنهج:

مما لا جدال فيه، ولا يحتاج لاستدلال: أن لأقوال أهل العلم قيمة ومكانة، ولا أدل على ذلك من أنك لا تقرأ لأحد من المعتبرين في مسألة من المسائل إلا وتراه يثني على اختياره قولاً من الأقوال، في الإشارة إلى من قال بهذا القول من أهل العلم. لكن هذا شيء، واعتبار أقوالهم وآرائهم حجة شرعية ومصدراً للتلقي شيء آخر.

وفي ميدان التقرير النظري: فلن تجد أحداً من أهل السنة يعتقد العصمة لرجل من الرجال، أو يرى أن قوله حجة ملزمة للأمة كلها، لكنك حين تنتقل إلى ميدان العمل والتطبيق: فسترى الكثير ممن يتحدث عن قضايا كبرى تتعلق بالمنهج ينطلق من رأي فلان وفلان من الناس، ويظهر أثر ذلك في جوانب عدة، منها:

١ - استفتاء بعض المهتمين أهل العلم في كل ما يجدّ ويحدث، واعتماد هذه الفتوى أو الرأي حجة دون اعتبار الدليل الشرعي.

٢ - في مجال تقويم الأعمال الدعوية والجهود والبرامج، أو تقويم بعض الدعاة: قد يُكتفى بسؤال فلان أو فلان من الناس، واعتبار رأيه حجة قاطعة.

٣ - الحكم بالانحراف عن المنهج على فرد أو داعية؛ بحجة أنه خالف ما قرره العالم الفلاني أو الجماعة الفلانية، أو الهيئة العلمية الفلانية.

---

١) لسان العرب، م٦ ص٤٥٥٤.

٢) رواه أحمد، جـ٤ ص٢٧٣.

من قضايا المنهج

ومع تأكيدنا لقيمة أقوال أهل العلم وضرورة استفتائهم، إلا أن هذا شيء، واعتبار أقوال بعضهم حجة على الأمة شيء آخر.

قال شيخ الإسلام (رحمه الله): «والمقصود أن من نصب إمامًا فأوجب طاعته مطلقًا، اعتقادًا أو حالاً، فقد ضل في ذلك، كأئمة الضلال الرافضة الإمامية... وكذلك: من دعا لاتباع شيخ من مشايخ الدين في كل طريق من غير تخصيص ولا استثناء... وكذلك: من دعا إلى اتباع إمام من أئمة العلم فيما قاله وأمر به ونهى عنه مطلقًا، كالأئمة الأربعة، وكذلك: من أمر بطاعة الملوك والأمراء والقضاة في كل ما يأمرون به وينهون عنه من غير تخصيص ولا استثناء»[1].

ومن يقرأ في كتب أهل العلم السابقين واللاحقين فسيجدهم قد تواصوا بالعيب على التقليد والنعي على أصحابه وذمهم.

وقد يعتذر بعضهم بأنه يسوغ له التقليد، وأن غيره يدرك ما لا يدرك، وأنه لم يصل إلى مرتبة معرفة الأدلة ومناقشتها، فقد يسوغ له التقليد في ذات نفسه، لكن.. لم يجعل ذلك معياراً يحكم به على الآخرين، فيضللهم أو يخرجهم عن دائرة المنهج محتجًا بأقوال الرجال؟، وحين يناقش بالدليل الشرعي يقول: إنه ليس صاحب علم، وفرضه أن يقلد.

ثانياً: اعتبار واقع المجتمع معياراً للمنهج:

تتفاوت مجتمعات المسلمين اليوم في مدى قربها أو بعدها عن الهدي الشرعي، ومدى سلامتها من البدع والمحدثات، وقد يتميز مجتمع منها بأنه أكثر محافظة وأقل ابتداعًا من غيره، فيشعر أهله بالتوجس والريبة مما يفد إليهم من سائر المجتمعات، ويعطي الواقع المشاهد بعض المصداقية لهذه النظرة.

لكن قد تتحول القضية إلى اقتناع راسخ بأن أي وافد على هذا المجتمع فذلك دليل انحرافه، فيرفض هؤلاء الكثير مما لم يألفوه بحجة أنه وافد، أو لم يكن يعرف من قبل، ولو قالوا: **﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾** لكانوا أكثر واقعية مع أنفسهم.

نعم، قد يكون هذا الوافد مخالفًا

---

١) الفتاوى، جـ١٩ ص٦٩ – ٧٠.

فينبغي أن يرفض؛ لأنه مخالف للشرع لا لأنه وافد، وقد يكون موافقًا للشرع، فكونه غير معروف لدى مجتمع معين أو طبقة معينة من الناس مهما علا قدرهم ليس مبرراً لرفضه.

ثالثًا: الخلط في المصطلحات الشرعية:

هناك مصطلحات شرعية رتب الشرع عليها المدح والذم، والوجوب والتحريم وبعضها مصطلحات عامة تحتاج للفقه في تنزيلها على الوقائع والمواقف، وقد يُتكأ على مثل هذه المصطلحات، وينطلق منها، ويستثمر أثرها على الناس في تقرير ما يريده باسم المنهج، ومن ذلك:

١ - المصلحة: فالمصالح والمفاسد مصطلح شرعي يكثر الحديث عنه في كتب الأصول والمقاصد، بل قد ذهب بعض أهل العلم إلى اعتبار أن الدين كله قائم على مراعاة المصالح والمفاسد، لكن بعض الدعاة قد يقف مواقف ويعمل أعمالاً دعوية تخالف المنهج الشرعي، وحين يطالَب بالحجة والبرهان لا يجد لنفسه مستنداً إلا أن المصلحة تقتضي هذا الأمر، وينسى هؤلاء أن المصلحة وصف شرعي لا بد من تنزيله على مناطه الشرعي فعلاً، وليست لباسًا يُلبسه من شاء على ما راق له من عمل.

وأحيانًا قد يوصف الواجب الشرعي - كإنكار المنكر - بأنه يترتب عليه مفاسد، وينسى هؤلاء أن المفاسد المعتبرة هي ما اعتبرها الشرع. إن الأصل الشرعي المستقر: أنه يجب إنكار المنكر، إلا إذا ترتب على إنكاره مفسدة؛ فالقاعدة والأصل: وجوب الإنكار، وترتب المفسدة استثناء، فتحول الاستثناء عند بعض هؤلاء إلى قاعدة.

٢ - الفتنة: والفتنة جاءت نصوص الشرع بذمها وعيب أهلها والداعين إليها والساعين لإثارتها، لكن قد ينطلق اليوم بعض الذين يسعون لتشويه سير الدعاة إلى الله (عز وجل) والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، من هذا المعنى المستقر وهذا الرفض لدى جمهور المسلمين للفتن؛ ينطلقون من ذلك ليحَوِّلوا جهد هؤلاء وإبلائهم إلى جرم وضلال، وفي ظل هذا الزخم الهائل من التهم بإثارة الفتنة للدعاة إلى الله (عز وجل) نسي كثير من المسلمين أو جهلوا المعاني الشرعية للفتنة.

فالصد عن سبيل الله، والكفر به، والمسجد الحرام: جرم عظيم، لا يوازيه القتال في الشهر الحرام؛ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وإيذاء المؤمنين لصدهم عن دينهم فتنة؛ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١٠]. والكفر والشرك بالله فتنة تستوجب الجهاد والقتال وإراقة الدماء لإزالتها؛ ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣].



٣ - **البدعة**: وهي مصطلح أطلق في الشرع على كل ما أحدث في دين الله، واقترن هذا المصطلح بالذم في نصوص الكتاب والسنة، بل كان ﷺ لا يدع التحذير منه في خطبة أو مناسبة «... وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، والخطأ هنا يقع في تنزيل هذا الوصف الشرعي على عمل معين أو شخص معين، فبعض أهل البدع يقصر هذا الوصف على نوع واحد من البدع، وهي البدع الحقيقية، ويخرج البدع الإضافية من وصف البدعة. وبعض آخر يغلو فيحكم بالابتداع على من لا يستحقه، ويصف بذلك كل من أخطأ في مسألة ولو كانت من المسائل الخفية، بل وربما كانت من مسائل الاجتهاد.

رابعاً: الانطلاق من ردود الفعل:

تترك الأحداث آثارها وتهز النفوس هزاً قد يفقدها بعض التوازن، فتتجه إلى طرف آخر، ومن هنا: تساهم ردود الفعل في صرف بعض الناس عن موقف الاعتدال:

أ - فقد تكون ردة الفعل تجاه موقف أخطأ فيه شخص فعالجه آخر بتطرف مقابل، ولعل إهمال شأن الحكم بغير ما أنزل الله وتهميش قضية الحاكمية ردة فعل تجاه طائفة اختزلت مشكلات المسلمين كلها في هذه المشكلة.

ب - وقد تكون ردة الفعل مدرسة في مقابل مدرسة أخرى، فمدرسة أهل الظاهر ما هي إلا ردة فعل لمدرسة أهل الرأي التي تطرفت في الأخذ بالقياس وإهمال النص.

ج - وقد تكون من الإنسان نفسه تجاه خطأ اكتشفه في نفسه، أو تقصير في جانب من الجوانب، فيتحول إلى الطرف المقابل، ويعالج الأمر بالتطرف بعيداً عن الاعتدال والموضوعية.

د - وقد تكون تجاه حدث أو أزمة مرت بالأمة وتركت آثارها وخلّفت ظلالها الثقيلة على النفوس، «إن الناموس العام لردود الأفعال هو عدم الاتزان وعدم الموضوعية، وإن الكسالى والعاجزين والفوضويين سيظلون باستمرار على هامش الفعل، وفي بؤرة ردود الأفعال تتقاذفهم الأمواج العاتية»[1].

خامساً: اعتبار النتائج القريبة مقياساً لفشل ونجاح المنهج:

لا شك أن كل عامل يتطلع إلى نجاح عمله، وإلى تحقيق أهدافه ومقاصده، والدعاة إلى الله (عز وجل) - شأنهم شأن سائر العاملين - يسعون لتحقيق أهدافهم، من: نشر الخير في المجتمعات، وكف الفساد والشر عنها، وقد يفشل بعض الدعاة في تحقيق الأهداف التي يتطلعون إليها. والفشل تحكمه عوامل عدة، منها: خطأ المنهج، لكن قد يكون ناشئًا عن تقصير في الأخذ بالأسباب، أو الذنوب والتقصير في الطاعة، أو عدم تمام صفاء النية، فقد يكون لدى المسلم شيء من ذلك، لكنه في الجملة سليم المنهج، فلا يسوغ أن نرفض طريقته ونحكم بفشلها؛ فالفشل هنا له هو لا للمنهج، لقد هزم المسلمون في غزوة أحد، وفروا يوم حنين، وأخبر القرآن أن ذلك بما كسبته أيدي المسلمين، فهل يجرؤ مسلم على اتهام أصحاب النبي ﷺ بالخلل في منهجهم إذ ذاك؟ إذن: يجب التفريق بين التقصير وإتيان بعض الذنوب - التي يتم علاجها بتصفية النفوس وتزكيتها - و الخلل في المنهج، الذي يعني المراجعة له.

وقد يكون ذلك ابتلاءً وامتحاناً لرفعة درجة أولياء الله؛ فقد أخبر الله عن أهل الكتاب أنهم ﴿ **يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ** ﴾ [**آل عمران**: ٢١] و أثنى على أصحاب الأخدود الذين

١) فصول في التفكير الموضوعي، لعبد الكريم بكار، ص٢٧٠ .

حرّقوا جميعًا في النار في مجزرة جماعية، لم يكن الغلام إذ ذاك هو المسؤول عنها، ولم تكن تلك الدماء ثمنًا لتهوره. وحين جاء النبي ﷺ بدعوته وجهر بها أوذي نفر من المسلمين، بل منهم من قتل، وأُخرجوا من ديارهم، أكانت دعوته ﷺ هي المسؤولة عن هذا الذي أصابهم؟! أم أن ذلك كان يعني خللاً في المنهج ؟ ! (معاذ الله).

إننا كثيرًا ما نسمع الطعن في بعض المناهج الدعوية بحجة أنها فشلت في تحقيق أهدافهما، والفشل جزء منه قد يعود للمنهج، لكنه ليس بالضرورة ملازمًا له. أما إذا عتبرنا النتائج بمقياس آخر غير قياس اللحظة الحاضرة، فسنرى أن الكثير من الجهود الدعوية - التي يصمها بعضهم بالفشل - قد حققت النجاح، ولو لم يكن في ذلك إلا القيام بالواجب الشرعي.



سادسًا: الخلط في تحرير منهج السلف:

لقد كان من منجزات الدعوة السلفية المعاصرة أن اتفق الرأي العام الإسلامي على قبول منهج السلف في الجملة، وصار من دلائل ذلك: أن أحدًا لا يمكن أن يجرؤ على التصريح بأنه يرفض منهج السلف، وصار الوصف بالخروج عن منهج السلف تهمة لدى الجميع، يسعى إلى نفيها ولو كان متصفًا بها في الحقيقة.

وهي قضية إيجابية مهمة، لكن كثر الحديث الآن عن منهج السلف ووصف عمل من الأعمال بأنه على منهج السلف ووصف آخر بأنه على خلاف منهج السلف، ولا شك أن السعي لتوضيح منهج السلف، والسير عليه، ودعوة الناس إليه: قضية لا مجال للمناقشة فيها، بل النقاش فيها أمارة على الانحراف والزلل.

ولكن: هل كل ما ادعي أنه منهج السلف هو منهج السلف فعلاً؟ وهل يحق لكل مدعٍ أن يتهم فلانًا من الناس بأنه على خلاف منهج السلف؟..

إن هناك أخطاءً ترتكب في تحديد منهج السلف، ومنها على سبيل المثال:

١ - إهمال اعتبار تغير الزمان والمكان:

هناك أمور مستقرة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وهناك أمور تختلف باختلافهما، فقد يقول أحد السلف قولاً ينطبق على عصره ووقته، لكنه لو عاش إلى عصرنا لربما تغير اجتهاده.

إن اعتبار العصر وظروفه لا يعني بحال نسف آراء السلف وأقوالهم، لكن البعد الزماني المطلق ليس إلا لنصوص الوحي، بل حتى أقوالهم المرتبطة بزمن معين أو مكان معين يجب أن نستفيد منها ونُعنى بها، مراعين اختلاف الزمان والمكان.

٢ - تعميم اجتهادات آحاد السلف:

قد يقرر أحد رأيًا في مسألة من المسائل، ويثني على تقريره بسرد بعض أقوال من قال بذلك من السلف؛ لينطلق من ذلك إلى أن هذا هو منهج السلف، وقد يجاريه القارئ في هذه النتيجة لعدم استحضاره لسائر الأقوال والنصوص، ويغيب عن القارئ أن الكاتب قد تعمد اختيار الأقوال التي توافق ما يذهب إليه، وتجاوَزَ ما تعارضه، والأمانة العلمية تقتضي - بلا شك - نقل جميع النصوص، أو بالأصح عدم الاقتصار على جانب واحد منها.

فلا بد من التفريق بين منهج السلف وآراء آحاد السلف.

٣ - دعوى اعتبار روح ما عليه السلف:

وهو منهج يسلكه أولئك المتميعون الذين يسيرون وفق ما يحلو لهم، وحين يناقَشون في ذلك ويطالَبون بسلوك منهج السلف: يحتجون بأن المقصود: اتباع روح ما عليه السلف، فالأقوال والآراء المبتدعة، والمناهج المنحرفة، والتسيب الفقهي والعلمي عند هؤلاء: لا يمكن أن يترتب عليه مجاوزة منهج السلف، ما دمنا متمسكين بروح ما عليه السلف!.

إذن: فقضية اتباع منهج السلف قضية يجب أن تصبح من البدهيات لدى العاملين للإسلام، لكن الحكم بأن هذا منهج السلف، وأن ذاك

من قضايا المنهج

خلاف منهج السلف يجب أن يصدر بموضوعية وعلم، وألا تطلق الأحكام جزافًا.

سابعًا: النظر إلى جانب واحد من النصوص:

إن من العدل في التعامل مع النصوص الشرعية أن ينظر الباحث فيها إليها جملة، وأن يجمع النصوص الواردة في الباب الواحد، وحين ينظر إلى جانب واحد منها فقط فسيخرج بنتيجة غير شرعية.

ففي مقابل النصوص التي تتوعد أهل الكبائر بالعقوبة والنكال: هناك نصوص تفتح أمامهم باب الرجاء.

ثامنًا: اعتبار المسائل الاجتهادية من المنهج:

هناك مسائل مما يسوغ فيها الاجتهاد والاختلاف، ولا ينبغي أن تكون مجالاً وميدانًا للإنكار والتهارج، فضلاً عن التأثيم والتضليل، لكنك تجد بعض الدعاة حين يتبنى اجتهادًا في مسألة ينطلق من هذا الاجتهاد ليلزم الأمة به، ويقرر أن هذا مما لا يسوغ خلافه، وأن المخالفة فيه دليل على انحراف في المنهج.

ألسنا نرى أن بعضهم يتبنى اجتهادًا في مسألة من مسائل الوسائل الدعوية - التي اختلف فيها أهل العلم في هذا العصر - فيتبنى رأيًا من هذه الآراء، ويحشد أقوال مؤيديه، ويطوي صفحًا عن الآراء الأخرى في المسألة، وهو يعلم أنها تخالف رأيه، وهي لعلماء يحترمهم، فيصور للقارئ أن هذه المسألة من المعلوم من الدين بالضرورة، ومن ثم: فأولئك الذين يخالفونه في اجتهاده منحرفون في منهجهم، بعيدون عما عليه السلف، فاقدون للورع والديانة...!!

قال شيخ الإسلام (رحمه الله): «وأيضًا: فقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع: أن من الخطأ في الدين: ما لا يكفّر مخالفه، بل ولا يفسّق، بل ولا يأثّم، مثل الخطأ في الفروع العملية»[1]

---

١) الفتاوى، جـ١٢ ص٤٩٤.

تاسعًا: الخلط بين الخلاف في الأصل والخلاف في تحقيق المناط:

هناك فرق في المسائل الخلافية قد لا يتفطن له بعض المختلفين، والغالب في الخلاف الدائر اليوم بين أهل السنة هو من هذا الباب، ألا وهو: الخلاف في الأصل أو في تحقيق المناط.

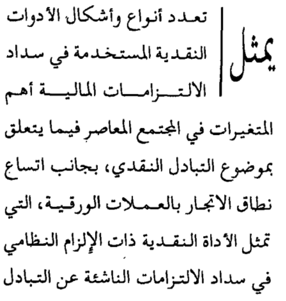
فقد يتفق الجميع على أنه لا يكفر مسلم بكبيرة من الكبائر، ولا يكفر إلا بما سماه الشرع كفرًا، فيجتهد أحدهم ويحكم بالكفر على معين لما ظهر له من خلال عمل موجب للكفر عند أهل السنة، فإن ذلك لا يجوز للآخر اتهامه بأنه يرى رأي الخوارج وينتحله.

بل هذا هو الشأن في الخلاف بين الأمة في سائر مسائل الفروع، فهم يتفقون على اتباع الدليل وسنة النبي ﷺ في كل مسألة، صغرت أم كبرت، لكن الخلاف قد ينشأ بينهم في تحديد ما هو مقتضى الدليل وسنة النبي ﷺ، فلا يسوغ لمن أوصله اجتهاده أن هذا الأمر سنة أن يصم من خالفه بأنه غير حريص على تطبيق السنة، إذ المدار هنا: هل هذا الأمر سنة أم لا؟.

دراسات اقتصادية

الربا والأدوات النقدية المعاصرة (١)

د . محمد بن عبدالله الشباني



يمثل تعدد أنواع وأشكال الأدوات النقدية المستخدمة في سداد الالتزامات المالية أهم المتغيرات في المجتمع المعاصر فيما يتعلق بموضوع التبادل النقدي، بجانب اتساع نطاق الاتجار بالعملات الورقية، التي تمثل الأداة النقدية ذات الإلزام النظامي في سداد الالتزامات الناشئة عن التبادل السلعي والخدمي في المجتمع .

إن دراسة ظاهرة استخدام الأدوات النقدية المتعددة في سداد الالتزامات الناشئة عن ممارسة الأنشطة الاقتصادية المختلفة (مثل: الشيكات، وبطاقات الائتمان المختلفة) كأدوات تحل محل النقود المعدنية أوالورقية، يرجع إلى ما يكتنف هذه الأساليب من تساؤلات عن مدى شرعية هذه الأدوات من ناحية، ومواطن الربا التي يمكن أن توجد نتيجة لاستخدام هذه المستجدات من وسائل سداد الالتزامات من خلال الوحدات المصرفية المختلفة من ناحية أخرى .

يرتبط فهم طبيعة هذه الأدوات ودورها في تحقيق أهم وظائف النقود بفهم النظرية النقدية، التي تهتم بربط النقود بالمتغيرات الاقتصادية .

إن فهم النظرية النقدية يستدعي تحديد ماهية النقود، وتكوينها،

وأشكالها، وطبيعة العلاقات المرتبطة بتأديتها لوظائفها، وإبراز وجهة النظر الشرعية من خلال فهم ودراسة النصوص من القرآن والسنة، مع تحديد النظرة الشرعية لمفهوم النقد (بوصفه معياراً لتفسير التغيرات في أثمان السلع والخدمات) والأدوات المعاصرة المستخدمة في تحقيق وظيفة النقد الخاصة بتيسير التبادل السلعي والخدمي، ومواطن الحرمة عند استخدام هذه المستجدات من الأدوات .

وفي هذه المقالة سوف أحاول دراسة الجوانب الشرعية لهذه الأدوات ومواطن الربا جميعًا، مع محاولة إلقاء الضوء بشكل مختصر على ماهية النقود من وجهة النظر الإسلامية.

ماهية النقود:

تحاول الدراسات التاريخية للنظام النقدي الإجابة على السؤال التالي: ماذا يُعنى بالنقود؟ وتأتي الإجابة على أنها: سلعة متميزة تمتاز من بين باقي السلع للقضاء على المقايضة، ولها وظائف تقليدية وأشكال معينة، وترتبط بهيئات اقتصادية محددة. [1]

لقد ترتب على النظرة المتعلقة بأن النقد ما هو إلا سلعة مختارة من بين السلع: حصر نطاق التحليل النقدي في الجانب العيني؛ فالظواهر الأساسية في الحياة الاقتصادية يمكن دراستها من خلال الجانب العيني (سلع وخدمات)، أما النقود فهي مجرد غطاء خارجي للأشياء، يجب معرفة ما وراءه، فقيمة المنتجات لا تجد مقياسها في الأسعار النقدية، وإنما في علاقات المبادلة بين السلع في الأسعار النسبية بينها، وإن ما يتخذ مظهراً نقديًا ما هو - في الحقيقة - إلا عملية توفيق بين عناصر الإنتاج من: رأس مال، وعمل، ومعرفة فنية، وموارد طبيعية، وأجر نقدي. أما الادخار: فهو يمثل الجزء الحقيقي من السلع التي لم تستهلك خلال فترة معينة، أما أهمية الاستثمار: فلا تعود

١) الاقتصاد والنقد المصرفي، د. مصطفي رشدي شيحة، ص٣٤ .

إلى رأس المال النقـدي، وإنما في تحـوله إلى رأس مـال طبيـعي، أي: إلى أجـهـزة وآلات ومـبـانٍ ، فـالقـاعـدة العـامـة إذن هي: أن حـقيـقـة الظواهر الاقـتـصادية ما هي إلا ظواهر عينية، وما النقـود إلا أداة فنية ليس لهـا من وظيفـة سوى تسـهيـل عمليات المبادلة والتراكم الرأسمالي في اقتصاد مبادلة الإنتاج.

إن هذا الاتجـاه التحليلي لماهيـة النقـود، لم يكن حدثًا عارضًا بقـدر ما كان نتاج مـجـمـوعـة من الظروف التـاريخـيـة والفـكرية المصـاحـبـة للتـغـيـرات التي حـدثت في الاقـتـصـاديات الأوروبيـة خـلال فـتـرة تراجع الأمـة الإسـلامـيـة، ودخولها في فترة الاضمحلال والجمود والانفـصـام مـا بين مـعطيـات ومـبـادئ الشريعة الإسلامية والركود الذي أصاب مـخـتـلف أوجـه الحـيـاة في الأمـة الإسلاميـة، أما بالنسبة للاقتـصـاديات الأوروبيـة، فـقـد تميـزت بتـعـدد الاضطرابات النقـدية والتـجـارب في تطوير العـمل المصـرفي، مع تغير وتبـدل الظروف التـاريخـيـة، التي أدت إلى تفسير الكثير من العلاقات النقـدية غير المتـوازنة والمرتـبطة بالإنتـاج والأسـعـار، وفي مـواجـهـة هـذا الاتجـاه (الاتجـاه العيني) برز اتجاه فـكري مضـاد له قائم على رفض تجـريد الاقـتـصـاد العـيني من كل خـصـيـصـة نقـدية؛ حـيـث يرى أن للنقـود دوراً وأهميـة في تفـسير الظواهر العينية، مما أعطى للتحليل النقدي دوراً على حساب التحليل العيني.



يرتبط دور النقـود في أداء مـهـامـهـا بوصـفـها ظاهرة اجـتـمـاعـيـة ذات أبعاد مـتـعـددة من حـيـث إنهـا تمثل وسـائل الدفع التي يحتاج إليها الاقتصاد بتطور العلاقات الاقتصادية (إنتاجًا وتوزيعًا) من مـرحلة الإنتـاج الـذاتي القـائم على إشـبـاع الحـاجـات الذاتيـة إلى مـرحلة الإنتاج المتخصص المقترن بالحاجة إلى المبـادلة، التي بدأت بالمقـايضـة ومـا صـاحـبـهـا من معـوقات بسـبب تعـدد الأطراف وتعـدد السلع، مما أدى إلى اختيار سلعة معينة كقاعدة للمقارنة، وبهـا تقـاس قـيم السـلع الأخـرى، ومـا استـتـبع ذلك من قـبـول هذه السلعـة،

باعتبار أن لها قيمة ذاتية تقبل من الجميع في عمليات التبادل، مع إمكانية تخزينها وانتقالها من حيث الزمان والمكان.

لقد واجه الإنسان مشكلة اختيار السلعة القابلة لأن تكون وسيطًا للمبادلة، ومقبولة من الجميع، وتكون مقياسًا للسلع الأخرى.

خصائص النقود:

لقد توصل الإنسان من خلال تجاربه إلى ضرورة أن تتصف النقود بخصائص معينة، حتى تقوم بوظائفها، وهذه الخصائص يمكن إجمالها في الأمور التالية [1]:

١ – أن تكون الوحدات التي تتكون منها السلعة كنقد مقبولة من الجميع، وهذا القبول يعطيها خاصية الإلزام، وبعد تولي الدولة فرض القبول لوحدات النقد ساعد ذلك الأمر على أن تصبح النقود الورقية التي يصدرها البنك المركزي ملزمة للجميع ومبرئة للذمة، وبالتالي: ظهرت النظرية التي تقول: إن النقود ليست لها قيمة في ذاتها، وإنما تستمد هذه القيمة من سلطة الإجبار، فالدولة هي التي توجِد النقود، وهي التي تزيل عنها هذه القدرة.

٢ – أن تكون لها صفة الدوام والثبات، ففقدان النقد لهذه الصفة يضعفها من القيام وظائفها المتمثلة في أنها مخزن للقيمة، ووسيلة لتسديد الديون، فعدم الثبات يؤدي إلى الاضطراب في المعاملات.

٣– توفر عنصر الندرة، فالندرة عنصر أساس لفرض الاحترام والتناسب مع حجم المعاملات والمحافظة على القيمة، لقد كان اختيار الذهب والفضة في الماضي مؤسسًا على ما يتمتعان به من ندرة نسبية في الوجود الطبيعي، وبعد قيام الدولة بالإلزام بقبول النقود الورقية، فقد استخدم لتحقيق هذه الخاصية فرض القيود على الإصدار النقدي الورقي.

٤) إمكانية الانقسام، أي :إمكانية تجزئتها إلى وحدات صغيرة نهائية أو لا نهائية، وهذه القابلية تستلزم القدرة

---

١) المرجع السابق، ص٧٠ .

دراسات اقتصادية

على تجزئة قيمتها، وبالتالي: تجزئة الوحدات النقدية الموازية على أن يتبع هذا الانقسام التكافؤ أو المساواة بين قيمة مجموع الأجزاء المقسمة ووحدة النقد الكلية، ولمواجهة الحاجة إلى انقسام الوحدات النقدية تعمد الدولة في العصر الحديث إلى إصدار ما يسمى بالعملة المساعدة؛ سواء أكان على أساس معدني أو أوراق نقدية مساعدة تقوم بدور وحدات التجزئة لوحدات النقد الورقية، والغرض منها: تسهيل المعاملات ومواجهة اختلاف أحجام السلع.

وظائف النقود :

على ضوء ما سبق من مناقشة لماهية النقود والخصائص التي يجب أن تتوفر في أي سلعة تتخذ نقداً: يتضح أن النقود ليست غاية في ذاتها، بقدر ما هي أداة لتأدية وظائف معينة يمكن إجمالها في الأمور التالية [1]:

١ – قياس قيم السلع والخدمات: فالنقود هي مقياس للقيمة ووحدة للمحاسبة، فعدد الوحدات النقدية اللازمة للحصول على السلعة، التي تستبدل بها السلعة، تعتبر ثمناً أو قيمة لهذه السلعة، وحيث إن النقود هي وحدة القياس المشتركة لقيم جميع السلع، وبالتالي: يمكن المقارنة بين القيم النسبية لمختلف السلع عن طريق تقدير عدد الوحدات النقدية اللازمة للحصول على كل سلعة.

٢ – أداة للدفع ووسيط للمبادلة: فالنقود تستخدم كأداة للمدفوعات؛ للحصول على السلع والخدمات من خلال الشراء، والبيع، وتقديم الخدمة، أوالحصول عليها، فعن طريق تقديم كمية من النقود أو فتح حساب في البنك التجاري: يتم دفع المعاملات المالية وإشغال الذمة وإبراؤها، فالنقود أداة لتسديد كافة الالتزامات .

٣ – النقود مخزن للقيمة: وهذه الوظيفة مرتبطة بخاصية الثبات والدوام، فالنقود – بما تمثله من قوة شرائية –

---

١) المرجع السابق، ص٧٣ – ٨٢ .

يمكن أن تكتنز في لحظة معينة، أي: يحتفظ بها لتنفق في لحظة تالية، وهي بذلك تربط قيمة السلع بالزمن، والنقود بفكرة المضاربة، والقيام بتحقيق الادخار وتراكم رؤوس الأموال.

وفي الماضي، حينما كانت المعادن النفيسة (الذهب والفضة) يتم تداولها نقوداً، فيتمثل التخزين في الاحتفاظ بها، أما بعد أن حلت النقود الورقية محلها، فيتمثل التخزين في الإيداع في البنوك، وينتج عن الاحتفاظ بها في البنوك: الحصول على ثمن لهذا الإيداع يتمثل في الفائدة التي تمنح للمودعين.

طبيعة النظام النقدي:

من خلال الاستعراض السابق اتضحت لنا ماهية النقود من حيث خصائصها ووظائفها، الأمر الذي سيساعدنا على: معرفة طبيعة النظام النقدي، وبالتالي: تحديد التكييف الفقهي - كما نراه - للنظام النقدي المعاصر، مع توضيح ومناقشة الأبعاد الشرعية للأدوات المستجدة للدفع في النظام النقدي المعاصر، مع محاولة تحديد مواطن الربا التي يمكن أن تنشأ من خلال استخدام هذه الأدوات.

النظام النقدي لأي مجتمع من المجتمعات ما هو إلا مجموعة من العلاقات والتنظيمات التي تحكم الوضع النقدي ضمن فترة زمنية معينة ونطاق مكاني محدد، وبالتالي: **فلا بد من توفر ثلاث خصائص للنظام النقدي[1]**، وهي:

١) **قيام النظام على عدد من العناصر**، من أهمها: عنصر القاعدة النقدية، التي يقصد بها المقياس الذي يتخذه المجتمع أساساً لحساب القيمة الاقتصادية، والغاية منها: المحافظة على القيمة الاقتصادية للنقود (أي: قوتها الشرائية) في النطاقين الداخلي والخارجي.

تقوم القاعدة النقدية على ظاهرة الندرة للموارد النقدية عندما كان النقد يأخذ شكلاً ماديًّا متمثلاً في المعادن النفيسة، التي تتمتع بندرة طبيعية، ولكن الأمر

---

١) المرجع السابق، ص٨٣ – ٨٨ .

اختلف عندما استندت القاعدة النقدية على القيمة الورقية (قاعدة النقد الورقية)، وبالتالي: حل الجانب التنظيمي، الذي يتمثل في مجموعة الشروط والقواعد التي تضعها السلطات النقدية في الدولة، للتعبير عن تصورها للقيمة النقدية وارتباطها بالقيم الاقتصادية، وهي شروط تهدف - غالبًا - إلى تحقيق الاستقرار النقدي، أي: تحقيق التوافق بين حجم وسائل الدفع وقدرات الجهاز الإنتاجي، وبالتالي: فكفاءة القاعدة النقدية تقاس بقدرتها على التحكم في عرض النقود القانونية، عن طريق غطاء الإصدار والائتمان، عن طريق التحكم في الودائع وفي رقابة البنك المركزي على البنوك التجارية، بجانب هذا العنصر الأساس هناك عناصر ثانوية في النظام النقدي، ومن أهمها: وحدة النقد الرسمية المستخدمة في الحسابات النقدية، فلكل اقتصاد قومي وحدة نقد رسمية تستخدم في الحسابات النقدية، مثل: الريال، والجنيه، والدولار... ترتكز عليها المدفوعات الداخلية الناتجة عن دفع الالتزامات المالية (البيع، والشراء، والأجور، والأرباح.. إلخ)، **ويلزم لهذه الوحدة الحسابية صفتان أساسيتان: الأولى**: الصفة القانونية، أي: التمتع بقوة إبراء مطلقة في الوفاء بالالتزامات يُجْبَر الدائن على قبولها وفاءً لدينه، ويعفى المدين من دينه بمجرد السداد بها، ويقبلها الجميع في المعاملات. **الثانية**: الصفة الإلزامية لسعرها، بحيث لا يسمح بتحويلها إلى أي نوع آخر من النقود، ولكن وظائف وعلاقات النقود الأساسية طغت على دور وأهمية القاعدة النقدية، وهذا ما نشاهده في أن العلاقة بين وحدات النقد الأساسية (الريال/ الدولار، مثلا) وأدوات الدفع الأخرى (نقود ائتمانية، أذون خزانة، أوراق مالية) مرتبطة بموضوع السيولة ؛ فالنقود الأساسية - بصفتها نقودًا قانونية ونهائية - تمثل قيمة السيولة، أما أدوات الدفع الأخرى: فهي تتمتع بدرجات متفاوتة من السيولة قد



تتحول عاجلاً أو آجلاً إلى نقود أساسية بحسب دورها في النشاط الاقتصادي.

٢) النظام النقدي نظام اجتماعي : لايمكن فصله عن البيئة الاجتماعية والاقتصادية التي يعمل فيها، فهي تعكس بالضرورة الاقتصاد الذي وجد لخدمتها، فالنظام النقدي في الاقتصاد الرأسمالي الربوي يختلف عن النظام النقدي في اقتصاد تقوم قيمه على الإسلام، فمثلاً: النظام النقدي الرأسمالي يقوم على الربا، فجميع أشكال المعاملات في هذا النظام تدور حول تلك الفائدة الربوية، أما النظام النقدي الإسلامي في حالة قيامه في مجتمع يلتزم بالنظام الاقتصادي الإسلامي: فلن يكون للفائدة الدور المؤثر والفاعل، بل سيحل مفهوم الربح والخسارة محل مفهوم الفائدة الربوية.

٣) النظام النقدي نظام متغير حسب ما يحدث في النظام الاقتصادي والاجتماعي الذي ينتمي إليه، فالنظام النقدي يمثل الشكل الخاص لتداول النقود في اقتصاد المبادلة، فمثلاً: التغيرات التي حدثت في النظام الاقتصادي الرأسمالي أثرت في تطور النظام النقدي؛ حيث مر هذا النظام من مرحلة قاعدة الذهب إلى مرحلة قاعدة النقد الورقية، ومرحلة الليبرالية النقدية إلى مرحلة التدخل النقدي، وهذا التغير كان نتيجة لطبيعة التوافق بين البيئة الاقتصادية والظواهر النقدية؛ بقصد المحافظة على الأهداف الرئيسة للنظام الرأسمالي.

النظام النقدي والنقود الورقية :

يقتضي فهم النظام النقدي المعاصر معرفة العلاقة ودراستها بين خاصية النظام النقدي (القاعدة النقدية) والنقود الورقية والائتمانية، وهذا يقتضي إلقاء الضوء على تطور هذه العلاقة في كلٍّ من النظامين الإنجليزي والفرنسي؛ باعتبار أن هذين النظامين يمثلان القوتين الرئيستين في النظام الرأسمالي؛ حيث كان لهما الريادة في ابتكار النظم النقدية وتطويرها في القرن التاسع عشر، ومنهما انتقلت هذه النظم إلى بقية اقتصاديات العالم.

دراسات اقتصادية

لقد اعتبر النظامان وحدات النقد الذهبية نقوداً قانونية ونهائية، أي: إنها تمثل نقود القاعدة النقدية، فوحدة النقد أصبحت تساوي وزناً معيناً من الذهب، وهذا يعني: أن كمية معينة من هذا المعدن النفيس تعتبر مقياساً للقيم الاقتصادية في المجتمع، ووحدة الحساب لهذه القيم، وقد أدى التطور الاقتصادي واتساع نطاق التبادل إلى ظهور أدوات دفع أخرى، بعضها يتمتع بخاصية قوة الإبراء دون الخاصية النهائية، أي: القدرة على التحول إلى نقود أخرى (النقود الورقية)، وبعضها الآخر لا يتمتع بالقبول الإجباري ولا بالخاصية النهائية (النقود الائتمانية)، وإنما تستخدم في المعاملات على أساس القبول الاختياري وثقة الأفراد في المؤسسات التي تصدرها، ومن المعروف أن النقود الورقية نمت وتطورت من خلال تطور النظام النقدي الفرنسي، كما أن النقود الائتمانية نمت وتطورت من خلال تطور النظام النقدي الإنجليزي.

ومن خلال التجربة التاريخية للفترة من سنة ١٧٩٧م حتى سنة ١٨١٨م توصل النظامان إلى جعل وحدة النقد تساوي وزناً معيناً من الذهب أو الفضة، وقصر حق الإصدار للنقود الورقية (المصرفية) على بنك فرنسا وبنك إنجلترا، وأصبح لهاتين المؤسستين الخيار بالنسبة لغطاء الإصدار، إما بضمان احتياطي معدني (ذهب أو فضة) أو تغطية الإصدار بالائتمان الذي تمنحه، وبالتالي: تصبح النقود الورقية أداة ائتمان ووسيلة للإقراض والتمويل لقطاعات التجارة والمعاملات، فعندما يكون غطاء الإصدار متمثلاً في الائتمان: يتم اتباع أسلوب الخصم وإعادة الخصم باستخدام الأوراق التجارية، وبصفة خاصة (السند الإذني) و(الكمبيالات)، وبالتالي: فإن إصدار النقود الورقية من خلال الضمان يتم تغطيته بالكمبيالات المخصومة، بحيث يكون غطاءً لها بدون حاجة إلى زيادة الرصيد المعدني، والنتيجة: أنه يمكن أن يتجاوز حجم النقود المصدرة حجم غطاء الإصدار

المعـدني، وتحت نظام الإصـدار الورقي بضمان الائتمان: فإن جملة النقود الورقية المعروضة في التداول كانت مغطاة جزئيًّا بالنقود المعدنية، أما الجزء الآخر فيكون مغطًّى فعليًّا بالائتمان، كما أن النظام الإنجليزي اتبع طريقة فتح الاعتماد وأداتها النقود الائتمانية (الشيكات).

على ضوء ما سبق من إيضاح لفكرة تطور النظام النقدي وتحديد طبيعته وماهيته، يتضح لنا: أن النظام النقدي المعاصر مؤسس على النقود الورقية، التي تتمتع بصفتي القانونية والنهائية؛ لتساعدها وتكملها في تحقيق وظائفها وحجمها: النقود الائتمانية، وهما معًا يكونان الرصيد النقدي، أي: مجموع أوراق الدفع المتاحة لاقتصاد معين في فترة زمنية معينة.

وبهذا برزت قاعدة النقد الورقية، حيث انفصلت القيمة الاقتصادية للنقود عن أي قيمة اقتصادية لأي سلعة مادية معينة - وبصفة خاصة: الذهب - فقيمة النقود في قوتها الشرائية، أي: في قدرتها على التحول إلى سلع وخدمات، وبذلك تصبح النقود أداة الدفع في اللحظة الحالية وتمثيل للثروة في اللحظة المستقبلية.

إن قاعدة النقد الورقية لا تتجسد في مظهر مادي معين، وإنما هي تتمثل في مجموعة الشروط والقيود التنظيمية التي تضعها الدولة لإصدار النقود الورقية القانونية، وهذه القاعدة أدت إلى ظهور أدوات دفع متعددة ومتنوعة، وخاصة بعد ثورة الاتصالات، التي ساعدت على ظهور وسائل جديدة، يتم بموجبها سداد الالتزامات بدون استخدام النقود الورقية، مثل: (بطاقات الصرف)، و (بطاقات الائتمان)، و(الشيكات)؛ مما يستدعي دراسة هذه الأدوات من الناحية الشرعية، وتحديد مناط الربا فيها.

و للحديث صلة.

سراييفو

شعر : مروان كجك

أضيعوها كما كنتم أضعتم قبلها القدسا
وضموها لأندلسٍ لعلّ همومنا تُنسى
وسيروا في جنازتها فقد أتقنتمُ الدرسا
وأصبحتم لقاتلها جنودًا تحفرُ الرمسا
وأصبحتم لقاتلها نعالاً تُتقنُ الدوسا
وصرتم يا لجهلكمُ عبيدًا بُلّهًا خُرسا
لأجلِ المالِ والدنيا وعيشٍ يقتلُ الحِسّا
نسيتم مجدَ غابركم وأعملتُم بهِ رَفْسا
وخرّبتم منازلَكم وظُلْمُ الأهلِ ما أقسى!
وأسرفتم بطاعتكم رجالاً بايعوا النّحْسا
وأطفأتم منائركم و أوقدتم لهم شَمْسا
وأغدقتم على الأعداءِ معلومًا ومُنْدَسّا
ومَلَّكتم رقابَ الناسِ موتورًا ومُغْتَسّا

نص شعري

يُرَى فـي الـليلِ رُومـيًّـا ويُصبحُ يعـبُـدُ الفُـرْسَـا
وإن أضـحَى فـذو ظَرَفٍ وإن أمـسَى فـيـا بُؤسَى
يـروحُ وفـي يـديـهِ لَـظًـى ويُقْـبِلُ صـانعًـا عُـرْسَـا
وإن أزْرى بـه صَـنَـمٌ تَـقَـلَّـدَ من دمي تُـرْسَـا
يـقـدِّمـهُ لـسـيّـده ويقـبِضُ حظَّهُ مَكْـسَـا
أضـيـعـوها فـقـد عَـقِـمَتْ وأصـبحَ سِنُّهـا يَأْسَـا
وعـيـشـوا مـثلَ مـجنونٍ تخـبَّطَ واكـتـوى مَـسًّـا
يـبـيـعُ الديـنَ بـالـدنـيـا ويضـرسُ أهـلَهُ ضَـرْسَـا
ويـخـطُـبُ وُدَّ مَـنْ ظـلـمـوا ولا يـلَـقَـى بِـذا بـأسَـا
ويـزعـمُ أنـهُ الـنـجـادُ يهـرسُ مَنْ بَغَـا هَرْسَـا
ويـهـزِمُ كُـلَّ نـازلـةٍ ويجـعـل نِمْـرَها تَيْـسَـا
وعـندَ الـبـأسِ تعـرِفُـهُ جَـبـانًا رَعْـشَنًا (بَسًّـا)
صـريحُ الكفـرِ في فـمـه ويهـمسُ بالهـدى هَمْـسَـا
طـويـل البـاع لـلأعـداء ويبـخسُ أهلَه بَخْـسَـا
عـفـيفٌ عن قـراعِ الرومِ يَنْهَسُ لَحْـمَنا نَهْـسَـا
ويـأمـرُنـا بمـكـرُمَـةٍ ويأتي عـامـداً عَكْـسَـا
ويـنـدُبـنـا لـنُـصْـرَتِـه ويجـعلُ حِـصْنَنَا حَـبْـسَـا
وإن قُـلْـنـا لـه مـهـلاً ولا تُرخِصْ لنا نَفْـسَـا

تَوَعَّدَنا بموْعِدَةٍ وقَسَّمَ فَيْئَنَا خَمْسَا

ونَفَّلَنا لسادته وصيَّرَ أمرَنا خَمْسَا

وأفقَرَنا وجَوَّعَنا وكَنَّسَ أرضَنا كَنْسَا

ولم يَتْرُكْ لنا سَيْفًا ولا قَلَمًا ولا جَرْسَا

فنزَّهناهُ عن دَخَلٍ ولم نشركْ بهِ رأسَا

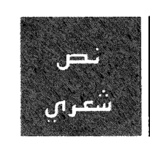
وضاعَ العمرُ يا وَلَهي ونَدَّ الشَّطُّ والمرسَى

فبيعوها لنَخَّاسٍ يزيدُ شقاءَها قَرْسَا

ويُسلِمُها لِقَوَّادٍ يُقَوِّمُ حُسْنَها شَوْسَا

ونامُوا بعدَها كالعَيْرِ واستهدُوا به شَخْسَا

فقد دُفِنَتْ شهامَتُكُم وقِيلَ لأمِّكُمْ : تَعْسَا



ملف العدد
متابعات حول الصحوة الإسلامية



فاتحة الملف

لا تخطئ عين المراقب للظاهرة الإسلامية بعدين رئيسين:

أولهما: الانتشار الضخم، بحيث أصبحت «العودة إلى الإسلام» أوسع بكثير من أن تدرس من خلال العمل الإسلامي المنظم، السياسي منه، والدعوي، والاجتماعي، وبحيث تواجه المؤسسات والتنظيمات الإسلامية تحديًا أساسًا في قدرتها على توجيه هذه الظاهرة وترشيدها، وتأميلها للإنجاز الإيجابي الفاعل.

والبعد الآخر: الحصار العام المعلن عالميًّا وإقليميًّا، بحيث أصبحت القضية الإسلامية في رأس قائمة (الأجندة) الدولية، ونحن على قناعة بأن المرحلة الجديدة تحتاج إلى مراجعة شاملة للمنجز السابق، ووقفة تأمل عميق من داخل العمل الإسلامي لشروط المرحلة وأبعادها، ودخول إلى التفاصيل بدلاً من التعميمات.

وحين ارتأينا في مجلة «البيان» أن نفتح ملفًا شاملاً بين آونة وأخرى لتناول واحدة من القضايا الأساسية، دعوية كانت، أم فكرية، أم سياسية، ومعالجتها من زوايا مختلفة: كانت قضية المراجعة لمسيرة «الصحوة» الإسلامية – في رأينا – فاتحةً مهمة يستدعيها منجز الصحوة المعاصر من جهة، ثم ما يحيط بها من تحديات إقليميًّا و عالميًّا من جهة أخرى.

ونحن إذ نشكر المشاركين في هذا الملف الذين بادروا بالاستجابة، فإن لنا عتبًا كبيرًا على إخوة لنا آخرين، حرصنا أن يكون لرأيهم مساحةً في ثنايا ملفنا هذا، تقديرًا لتجربتهم ومعرفتهم معًا، ثم لم يكن منهم ولو خبر اعتذار يحسم الظن باليقين.

ونحن إذ نقدم هذا الملف فإننا ننوي إبقاءه مفتوحًا لمشاركاتكم وتعليقاتكم التي نرجو أن تزيد الموضوع خصوبة وعمقًا.

حصاد الصحوة..

الانتشار والتأصيل الشرعي



تمثل الصحوة الإسلامية المعاصرة هاجسًا مزمنًا للعديد من الجهات والتيارات الفكرية والسياسية على مستوى العالم العربي والإسلامي وعلى المستوى الدولي على حد سواء؛ فالذين أحرقهم تسلط الغرب وهيمنته السياسية والاقتصادية، والذين أشغلهم تغلغل القيم والثقافة الغربية داخل المجتمعات الإسلامية، يرون في الصحوة أملاً في كبح التسلط والهيمنة الغربية، وفي إيقاظ الشعوب المسلمة من سباتها العميق؛ لتعيش حالة التحدي التاريخي للحضارة الغربية بكل منطلقاتها العقدية والثقافية وقدرتها التقنية العالية، أما الآخرون الذين يرون أن الغرب قد وصل إلى مرحلة «اللاتحدي» من جانب الحضارات الأخرى، وأن ما يقدمه من قيم وثقافات هي قيم عالمية لا ينبغي لأحد أن يعترض عليها أو يرفضها، أو أولئك الذين يخافون على مصالحهم الذاتية ومكاسبهم الشخصية، فهم يرون في الصحوة خطرًا و (بعبعًا) يتهدد مصالحهم ووجودهم.

ولكن هل وصلت الصحوة الإسلامية - بالفعل - إلى مستوى متقدم لكي تشكل لأولئك المتعاطفين معها هذا الأمل المشرق، أو المعادين لها هذا الهاجس المزمن؟ وهل واقع الصحوة يبرر تلك الحملات المسعورة التي تشنها الحكومات العلمانية في العالم العربي على مظاهر الصحوة الإسلامية ويجعلها تنتهج سياسات تجفيف المنابع، أو يبرر لكثير من مفكري الغرب وسياسييه وضعها في مقام العدو الأول للحضارة الغربية؟.

بقلم :
د . أحمد محمد العيسى



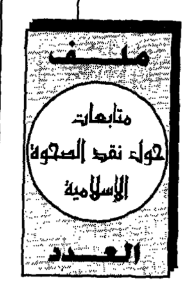
إن المتأمل لواقع الصحوة الإسلامية اليوم لن يجد صعوبة تذكر في الإشارة إلى ضعف إمكانات الصحوة المادية والعسكرية والإعلامية، إضافة إلى عوامل التفكك والاختلاف الذي يضرب أطنابه في معسكر الصحوة الإسلامية.

إذن: ما هي عوامل القوة والخطورة التي تمتلكها الصحوة والتي جعلت منها أهم ظاهرة اجتماعية في أواخر القرن العشرين؟، إن الجواب على هذا السؤال المهم يمكن أن يتناول عوامل شتى، ولكن – في رأيي – **إن أهم عاملين يدعمان مكانة الصحوة الإسلامية ويجعلانها تمثل الهاجس الذي أشرنا إليه، هما**: سرعة انتشار الصحوة الإسلامية واستقطابها لشرائح مختلفة في المجتمعات الإسلامية، والاهتمام بالتأصيل الشرعي للقضايا المعاصرة.

لقد أدى الانتشار السريع للصحوة الإسلامية، واستجابة العديد من شرائح المجتمعات الإسلامية لنداء الدعاة والعاملين للإسلام للعودة إلى الدين والالتزام بمبادئه وقيمه وإعادة الاعتبار للهوية الإسلامية، إلى اعتبار الصحوة ظاهرة تاريخية تسعى إلى تغيير المجتمعات الإسلامية؛ مما جعلها خطراً حقيقياً على الواقع السائد في هذه المجتمعات، فلم تكن رسالة الصحوة الإسلامية موجهة للنخبة من المثقفين أو المفكرين، كما هو الحال لبعض التيارات الفكرية الوافدة، مثل: تيار الحداثة الذي كان ولا يزال يحتقر الجماهير، ويعتبرها لا تعي رسالته وخطابه الفكري. ولقد أدى وضوح وسهولة شعارات الصحوة الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة، واعتمادها على تاريخ حضاري عريق يحتوي على معين لا ينضب من

الأفكار والرؤى والقيم، إلى تفاعل الشباب المسلم مع تلك الشعارات، والتزامه بما تطرحه من رؤى وآمال ومفاهيم، وساعد على انتشار الصحوة الإسلامية: الإخفاق المذهل على جميع المستويات للتيارات المتغربة التي قادت البلاد العربية والإسلامية خلال هذا القرن، الأمر الذي جعل من بعض أشد المتحمسين للتيارات القومية والماركسية والحداثية يعودون إلى الإسلام، ويتحدثون باسمه، ويشيرون إلى أنه الحل لما تواجهه الأمة من مصائب ونكبات.

وعلى الرغم من اعتراف الكثيرين من الأعداء والأصدقاء بقدرة الصحوة على استقطاب أعداد غفيرة من الشباب المسلم، إلا أن بعض المفكرين الإسلاميين يعتبر أن استقطاب تلك الجموع الغفيرة أدى إلى ضعف مناهج التربية الإسلامية؛ حيث لم يجد المربون والعلماء الوقت الكافي لتربية تلك الجموع بالعقيدة والمبادئ الأخلاقية الإسلامية والمنهج السليم في التفكير والتلقي، فكان أن انجرف بعض منهم في تيارات الغلو، وانشغلت الصحوة كثيراً بالأخذ والرد في قضايا بعيدة عن واقع الأمة وأولوياتها المعاصرة، وعلى الرغم من صحة هذه الملاحظة – على وجه العموم – إلا أنه ينبغي التأكيد على أن التأثير والانتشار السريع للصحوة داخل المجتمعات الإسلامية هو ميزة إيجابية كبرى، إذ إنها أثبتت أن عموم المسلمين يعيشون في فراغ كبير لا تستطيع ملأه إلا حركة جماهيرية تعتمد على عقيدة الإسلام الواضحة لاستعادة موقع الأمة في العالم المعاصر، وتؤكد على أن الشباب يستجيب ويتفاعل مع رسالة الصحوة الواضحة، مهما كانت الظروف التاريخية والسياسية التي أدت إلى ابتعاد كثير منهم عن الالتزام الشامل بالعقيدة الإسلامية؛ فعاشوا ردحاً من الزمن في غربة عن دينهم وهويتهم؛ ولهذا: فإن الفشل في معالجة الانحرافات الناتجة عن الانطلاقة السريعة لا يعني أن البداية كانت خاطئة، ولكن يعني أن







أساليب التربية لا تزال قاصرة عن معالجة تلك الانحرافات، وغير قادرة على مواكبة التغيرات الكبيرة التي تحدث على الساحة الإسلامية.

ويأتي الحديث عن العامل الثاني من عوامل نجاح الصحوة الإسلامية، وهو: قضية التأصيل الشرعي لقضايا المسلمين المعاصرة، وقضية التأصيل الشرعي أصبحت همًّا من هموم الصحوة الإسلامية، بعد أن اصطدم الفكر الإسلامي بمعضلة التفاوت الكبير بين المبادئ الإسلامية والواقع الراهن، حيث أدت سنوات طويلة من غياب المسلمين عن مصادر دينهم؛ بسبب الجهل المتراكم عبر سنوات عديدة، وبسبب الغزو الفكري والثقافي من قبل الحضارة الغربية.. إلى أن تختلط كثير من أحكام الدين بالعادات المتوارثة، أو بالعادات الوافدة، فنشأت المناهج المشوشة في كثير من قضايا المسلمين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية... فكان لزامًا على الدعوة أن تبحث في تأصيل تلك القضايا من الناحية الشرعية، وإعطاؤها الوقت الكافي للدراسة العلمية، بعيداً عن تسطيح تلك القضايا وتمييعها وتلفيق الحلول لها، وسبب آخر أدى إلى تصاعد الدعوة إلى التأصيل الشرعي للقضايا المعاصرة، هو: اتساع شقة الخلاف بين بعض تيارات الصحوة، فأصبح كثير من الدعاة والمفكرين يدركون الحاجة إلى وجود مرجعية ومنهج يحتكم إليه المختلفون لمعرفة الحق والصواب. وعلى الرغم من أن الإنجاز في هذا الموضوع لا يزال ضعيفًا ومحدوداً، إلا أن مجرد الاهتمام بهذه القضية الكبرى، وكونه شائعاً في أوساط الصحوة الإسلامية، يمكن اعتباره إنجازاً مهمًّا للصحوة الإسلامية المعاصرة، يضاف إلى الإنجاز الأول الذي أشرنا إليه آنفًا.

ولعل الهجوم الشرس الذي تتعرض له الصحوة الإسلامية اليوم من قبل القوى العلمانية والشيوعية في العالم الإسلامي أو من الدول الغربية، ليس مرده فقط إلى سرعة انتشارها واعتبارها القوة الشعبية الأولى في العالم

الإسلامي، بل وأيضًا بسبب الدعوة إلى تأصيل القضايا المعاصرة شرعيًّا، والدعوة إلى تغيير الحياة من جميع جوانبها داخل المجتمعات الإسلامية.

إن هذه الدعوة أثبتت للغرب ولأصحاب التيارات التغريبية أن الصحوة، في الوقت الذي تطالب فيه بتطبيق الشريعة في جميع مناحي الحياة في البلاد الإسلامية، فإنها إنما تدعو إلى قيام نظام شامل للحياة يختلف عن مفاهيم الغرب وقيمه وأسلوبه في الحياة، ولهذا: كان التركيز شديداً على وصف الصحوة الإسلامية بأنها: قوة «ظلامية»، وأنها تريد العودة بالمجتمعات إلى القرون الوسطى، وأنها «ماضوية»، أي: تعيش في الماضي، وتنظر إلى الحاضر على أنه جزء من الماضي... إلى آخر المنظومة الفكرية المتداولة في أوساط الثقافة العلمانية.

ولعل في الإشارة إلى هذين العنصرين الإيجابيين الذين يشكلان حصاد الصحوة خلال السنوات الماضية ما يحفز إلى معرفة السلبيات والإخفاقات التي تتعثر فيها الصحوة؛ لكي يتم تدارسها وبحثها من قبل العلماء والدعاة والمفكرين الإسلاميين، الذين يهمهم مستقبل الإسلام وأبنائه في عالم متغير متقلب.



الانتقال إلى مرحلة مختلفة:

إن المتأمل في الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها العالم يشعر بأن هناك متغيرات كبيرة تحدث على أكثر من مستوى، وبالتالي: تؤثر في جميع الحركات الاجتماعية التي تعمل وتعيش في هذا العالم، والصحوة الإسلامية المعاصرة – مثل أي حركة اجتماعية أخرى – (بالمعنى الواسع للكلمة) تتأثر وتؤثر بما يجري حولها من أحداث وتطورات على جميع الأصعدة.

وكل ظاهرة اجتماعية فاعلة ومتحركة تتطور بفعل محركين أساسين، هما: العوامل الداخلية التي تعتمل داخل الحركة، والعوامل الخارجية التي



تتعامل معها الحركة وتؤثر فيها. ولو نظرنا إلى الصحوة الإسلامية من هذا المنطلق لوجدنا أنها قد دخلت - بالفعل - في مرحلة تاريخية جديدة، لها ظروف خاصة، ولها متطلبات أخرى غير تلك التي كانت سائدة في فترة ماضية ليست بعيدة عن وقتنا الراهن.

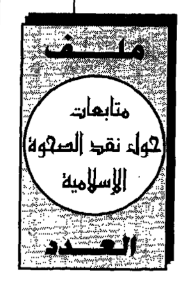
ولكن.. هل يمكن معرفة خصائص المرحلة الجديدة قبل أن نعرف: ما هي خصائص المرحلة السابقة، ومتى انتهت، ولماذا أصبحت المرحلة الحالية مختلفة عن السابق؟.

الواقع: أن الباحث في تاريخ الصحوة يجد صعوبة في تحديد بداياتها، ومراحل تطورها، والتحديات التي أثرت على مسيرتها التاريخية، ولن نجد صعوبة في الإشارة إلى أن دراستنا للصحوة الإسلامية - بوصفها ظاهرة تاريخية اجتماعية متغيرة - ضعيفة إلى حد بعيد، ولو أراد الباحث الرجوع إلى المكتبة للبحث في مصادر تتناول ظاهرة الصحوة بشكل عام، لوجد العديد من الدراسات والكتب والندوات والمؤتمرات، التي إما أن تكون صادرة عن مراكز البحث العربية القومية، أو تكون صادرة عن مراكز البحث الغربية، نعم: هناك كثير من الكتب الإسلامية المتميزة، ولكنها في الغالب تتناول ظواهر جزئية لها علاقة بظاهرة الصحوة، أو جزءاً من مكوناتها، مثل: التجديد، و الغلو والتطرف، وتطبيق الشريعة، و مظاهر الانحراف عن المنهج الصحيح في العقيدة والأدب والفكر.. وغيرها، و لكن لا تجد الكثير والمفيد من الدراسات التحليلية لتاريخ الصحوة وواقعها ومستقبلها.

إذن: فإن هذه المحاولة في تحديد ملامح المرحلة الجديدة التي نتوقع أن الصحوة قد دخلت فيها، ستكون قريبة من الاستقصاء الذي يعتمد على قراءة للأحداث التي حدثت خلال السنوات الماضية، ولا يمكن اعتبارها دراسة تحليلية تعتمد على تراكم المعرفة في هذا الموضوع، إذ إن الباحث يحتاج إلى مقدرة كبيرة في لملمة جوانب الموضوع من مصادر عديدة، قد

يكون كل مصدر له ارتباط بظواهر جزئية من مكونات الصحوة.

لو تأملنا في واقع الصحوة خلال العقدين الماضيين – أي: في السبعينات والثمانينات الميلادية – لوجدنا أن الصحوة قد اكتسبت انتشاراً واسعًا في جميع بلاد العالم، وأصبحت شيئًا فشيئًا تستفيد من الإخفاقات المتسارعة للأيديولوجيات القومية والبعثية والماركسية، التي كانت تجتذب قطاعًا واسعًا من الشباب المسلم، ثم بدأ الجهاد في أفغانستان بعد الغزو السوفييتي لذلك البلد المسلم في عام ١٩٧٩م، فأدى إلى استنفار إسلامي شعبي ضخم مما جعل من هذه القضية محوراً أساسًا من محاور خطاب الدعوة؛ حيث بدأت الآمال تراود كثيراً من الشباب بصياغة ملحمة إسلامية كبرى تحرر المسلمين من نفسية الذل والانكسار، وتغسل العار الذي لحق بالمسلمين في أماكن أخرى كثيرة، من أهمها: فلسطين. وقد ساند هذا الاتجاه: الظروف الدولية المواتية التي كانت تنظر إلى الجهاد في أفغانستان على أنه الأمل في تحطيم الدب الروسي؛ ولذلك: ساندته كثير من الأطراف بالمال والسلاح، وعلى الرغم من قيام الثورة الإيرانية في تلك الفترة، التي اعتبرها كثير من الحركات الإسلامية وغير الإسلامية نصراً للفكرة الإسلامية ونذيراً بالخطر على الأيديولوجيات السائدة، إلا أن كثيراً من القوى المهيمنة كانت تدرك الحاجز الكبير الذي يفصل الشعوب الإسلامية عن النموذج الإيراني؛ مما جعلها لا تتحرك بشكل جدي للوقوف في وجه العمل الإسلامي.



هذا من الناحية السياسية، أما من النواحي الأخرى فقد اتسمت تلك المرحلة بتأسيس كثير من المشروعات الدعوية والخيرية في كثير من بلاد العالم مما مكن الصحوة من اكتساب خبرات كثيرة، إضافة إلى تكوين جذور عميقة في العمل الاجتماعي والإغاثي وبناء المساجد والمدارس، مما أكسبها التفاف الجماهير حولها، وجعل خطابها الدعوي مهيمنًا في



الأوساط الشعبية في البلاد الإسلامية، كما انتشرت وسائل جديدة للدعوة لم تكن مستغلة من قبل، مثل: الشريط، والمجلات، والمؤتمرات الخارجية، وقوافل ومخيمات الدعوة... وغيرها، وظهرت أيضًا فكرة البنوك الإسلامية وبعض مجالات الاستثمار الإسلامي.. إلى غير ذلك من مظاهر الصحوة أو العودة إلى الدين، وكل هذه الأنشطة كانت تسير في كثير من بلاد العالم دون وجود عوائق سياسية أو قانونية كبيرة.

من جهة أخرى، ومع تسارع العمل الإسلامي وتشعبه، وبعد النجاحات السريعة: بدأ يلوح في الأفق التنافس بين تيارات الصحوة في اجتذاب العائدين إلى الدين، وبرز كثير من الخلافات حول الأساليب المتبعة في الدعوة، وتعدى ذلك إلى ظهور اتجاهات الغلو من جهة والتفريط من الجهة المقابلة، بعد أن اصطدم العمل الإسلامي بالواقع المتخلف للمجتمعات الإسلامية، ونظرًا لكون الصحوة لم تجابه في ذلك الوقت تحديًا خارجيًّا حقيقيًّا، فقد أدى ذلك إلى انشغال الصحوة بنفسها حتى ظن الكثيرون أن الصحوة بدأت تأكل نفسها.

إذن: هل يمكن أن نقول: إن تلك الأحوال قد تبدلت؛ بحيث نستنتج أن الصحوة قد دخلت مرحلة جديدة؟.

إن المتأمل في الأحداث التي وقعت منذ بداية العقد الحالي - أي: منذ خمس سنوات تقريبًا - سواء على ساحة العمل الإسلامي، أو تلك الأحداث التي وقعت على الساحة الدولية والإقليمية، يدرك أن هناك الكثير من المتغيرات التي بدلت واقع العمل الإسلامي، وبدلت الظروف المحيطة بالصحوة، وما لم يتم استيعاب هذه المتغيرات ومعرفة حجمها وتأثيرها فإن الصحوة الإسلامية ستفقد القدرة على التعامل مع تلك المتغيرات ومواجهتها وتكييفها لمصلحة العمل الإسلامي، وستتطلب مرحلة استيعاب تلك المتغيرات سعيًا متواصلاً لدراسة المتغيرات كما هي

في الواقع، وأيضًا بحثًا عميقًا للوسائل الشرعية الصحيحة لكيفية التعامل مع تلك المتغيرات. وعلى الرغم من تداخل تلك المتغيرات بحيث يصعب تقسيمها إلى متغيرات داخلية أو متغيرات خارجية - حيث إن كل متغير داخلي لابد وأن يكون متأثرًا بالعوامل الخارجية وربما مؤثرًا فيها، والعكس صحيح أيضًا - **ولكن قد يكون من الضروري فرز تلك المتغيرات لكي يمكن تصور المرحلة الجديدة بشكل أفضل.**

المتغيرات الداخلية:

لقد أدى الانتشار الكبير الذي حققته الصحوة إلى تعدد الاتجاهات الفكرية والسياسية داخل إطار الصحوة الإسلامية، واختلفت المدارس التي تسعى إلى جذب أكبر عدد من المناصرين لفكرتها، مما خلق نوعًا من التشرذم والاختلاف والتنافس غير المنضبط بالضوابط الشرعية.

وإذا أضفنا إلى ذلك ضعف آليات الحوار بين تيارات الصحوة وغياب أجواء الثقة، فإن صورة تماسك العمل الإسلامي ودعم بعضه البعض تكون أكثر قتامة؛ فقد أصبح العمل الفردي المنغلق على التيار أو الإطار الفكري أو الحزب السياسي أحد السمات البارزة في العمل الإسلامي، ولعل هذه السمة كانت موجودة في المراحل السابقة، أي: إنها سمة ليست جديدة على العمل الإسلامي، ولكنها أصبحت أكثر تجذرًا في المرحلة الحالية، كما أن استمرارها مع وجود التحديات الخارجية المتعاظمة يجعلها تمثل أحد أهم العوائق التي ستؤثر على مستقبل العمل الإسلامي.

من المتغيرات الأخرى التي أصبحت تميز المرحلة الجديدة: النفسية القلقة، وتراجع الحماس المندفع، وازدياد الخوف على مستقبل الصحوة الإسلامية عند كثير من قادة العمل الإسلامي وشباب الصحوة؛ وقد حصل ذلك بعد انهيار الحلم الإسلامي في أفغانستان نتيجة الحرب الهوجاء بين رفقاء الجهاد، فقد تجاوزت الآمال حدودها في فترة من فترات الجهاد، ثم عادت الآمال الآن





بعدما حدث ما حدث إلى درجة متدنية، بل ربما غيّر الكثيرون قناعاتهم بأهداف الصحوة ورسالتها، وقد عزّز هذه الحالة ضعف نتائج مشاركة كثير من تيارات الصحوة الإسلامية في العمل السياسي في الدول العربية وغير العربية، حيث لم يؤد دخول الإسلاميين إلى البرلمانات والمجالس التشريعية إلى مكاسب حقيقية للعمل الإسلامي، أو لتحقيق الهدف المشترك، وهو: تطبيق الشريعة الإسلامية في أنظمة الدول وتشريعاتها.

أما على الصعيد الفكري والعلمي: فقد بدأت بعض التحولات الفكرية من البروز بقوة خلال المرحلة الجديدة، فقد برز اتجاهان رئيسان في كيفية التعامل مع الواقع ومع الحضارة الغربية المهيمنة؛ حيث أدى تحول كثير من الرموز الفكرية العلمانية والماركسية إلى الفكر الإسلامي، وكذلك ممارسة الحوار الفكري مع التيارات العلمانية، إلى بروز تيار «الفكر العقلاني» الذي يرى أن الفكر الإسلامي يجب أن «يتطور لصالح الواقع وتحت ضغطه ضد التعامل المثالي والتاريخي مع الإسلام»، و «أن الواقع هو الأصل، والعقل هو الأساس، ولا سلطان إلا للعقل ولا سلطة إلا لضرورة الواقع الذي نعيش فيه»، وفي مقابل ذلك: اتجه كثير من المفكرين والمنظرين للصحوة إلى الدعوة إلى «فقه الواقع» والتأصيل الشرعي للمستجدات الحضارية على الساحة الإسلامية، ونتيجة لاختلاف المنطلقات والأسس التي يرى بها كل طرف الأحداث والمتغيرات الداخلية والخارجية والسبل الصحيحة للتعامل معها، فقد دخل الاتجاهان في مناطق تجاذب سببت نوعًا من التشويش الفكري على كثير من شباب الصحوة؛ فقد أدى الاتجاه «العقلاني» إلى خلخلة الثوابت الإسلامية، وإلى تمييع كثير من قضايا المسلمين المصيرية، وفي الوقت نفسه: لم يحسم الفريق الآخر موقفه من مسألة «فقه الواقع»، فلا زال الكثيرون يتساءلون عن ماهيته، ويشكك البعض في أهميته وجدواه.

ومن المتغيرات على الساحة الإسلامية: تقلص العوائد المالية التي كانت تساهم في دعم مشروعات الصحوة الخيرية والإنسانية والدعوية؛ فقد تأثرت الصحوة بانخفاض وتدهور الاقتصاد في معظم الدول الإسلامية، إضافة إلى الظروف الخارجية التي بدأت تحاصر الدعم المالي الشعبي للعمل الإسلامي، وسيكون لهذا العامل دوراً أساسًا في مستقبل الصحوة في المرحلة الجديدة التي بدأت تعيشها.

المتغيرات الخارجية:

لقد شهد العالم خلال الأعوام الخمسة الماضية أحداثًا متسارعة وعظيمة الأهمية، فقد سقطت الشيوعية رسميًّا خلال هذه الفترة، وبرزت إعادة تشكيل مناطق التماس الحضاري والأيديولوجي، وانتهت بذلك الحرب الباردة، وصاحب ذلك: نشوء العديد من الحروب الإقليمية في أوروبا وآسيا الوسطى وغيرها، وحدث في العالم العربي أهم حدث في تاريخ المنطقة المعاصر، وهو حرب الخليج الثانية، الذي بدا فيه النظام العربي الذي قادته القومية العربية متصدعًا وغير قادر على الاستمرار، وبدأت في المنطقة ما يسمى بعملية «السلام» بين عدو المسلمين الأول والحكومات العربية.

وفي أثناء التحرك الدولي لتنظيم المسرح العالمي بعد هذه الأحداث لسد الفراغ من سقوط القوة العالمية الثانية واختفاء التنازع الأيديولوجي، برزت الصحوة الإسلامية بوصفها قوة اجتماعية وسياسية لها وزنها على الساحة العربية والدولية، فأصبحت تمثل العائق الأبرز في اتجاه ترتيب النظام العالمي الجديد، فنتج عن ذلك: الاتجاه إلى تحجيم هذه القوة الجديدة أو احتوائها، فبدأ العالم الغربي يرى في القوة القادمة من منطقة العالم الإسلامي خطرًا يهدد مصالحه في المنطقة؛ مما جعله يدعو إلى تحالف علماني ضد «الأصولية الإسلامية»، ودخلت الصحوة الإسلامية نتيجة لذلك في صراع مكشوف مع معظم الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي، واستطاعت بعض القوى





الإسلامية أن يكون لها تأثير في صنع القرار، واتخذت بعض الأنظمة تدابير «احترازية» للحد من تأثير الصحوة؛ فاعتمدت سياسات أمنية واقتصادية وإعلامية وتربوية لتجفيف منابع الصحوة.

هذه المتغيرات الخارجية التي حدثت خلال الأعوام القليلة الماضية تؤسس بلا شك لمرحلة جديدة لم تشهدها الصحوة الإسلامية من قبل؛ حيث تبدل المناخ العام، وعظمت التحديات وكثر الأعداء، وتغيرت أساليب الصراع والتنافس، وبدت في خط المواجهة الأمامي أمام هيمنة الغرب حضاريًا وسياسيًا واقتصاديًا، وأصبحت الصحوة منذ ذلك الحين ظاهرة عالمية تشحذ الهمم لدراستها ورصد اتجاهاتها وتطورها ومستقبلها.

ومعظم المتغيرات الداخلية والخارجية التي أشرنا إليها تحدث دون أن يكون للصحوة دور بارز في صنعها أو التخطيط لها؛ إذ إنها - في الغالب - تحدث في وقت هي غير مستعدة لمواجهتها أو التعامل معها، بل وربما عدم الوعي بها والإحاطة بتفاصيلها، فافتقد العاملون للإسلام والدعاة والمفكرون الرؤية الاستراتيجية البعيدة المدى، وانشغل الكثير منهم بالأحداث اليومية المتسارعة ومحاولة مواجهتها، وظهر عند الكثيرين التردد أو النكوص عن العمل، وظهرت الرغبة في العودة إلى الأساليب التي كانت صالحة ومنتجة في الفترات السابقة عندما كان المناخ مسالمًا، والتيار - عالميًا وإقليميًا - يسير في الاتجاه نفسه.

فهل نعي هذه المتغيرات، ونعرف أبعاد المرحلة الجديدة التي دخلنا فيها؟.

الخطاب السياسي الإسلامي

«رؤية نقدية»



نقد الخطاب السياسي للصحوة الإسلامية ليس انتقاصًا من قدر كسبها السياسي، وليس نكرانًا لتأثيرها الإيجابي الكبير في حياة الأمة: إدخالاً لخطاب الدين في مجالات كانت حكرًا على العلمانية، وعودة بشرائح من أبناء المسلمين إلى دينهم وإلى تَبَنِّيه حلاً وخلاصًا وحيداً لأمتهم.

لكن ككل عمل بشري، فإن إنتاج الصحوة الإسلامية وكسبها النظري والعملي في حاجة مستمرة إلى التقويم والمراجعة؛ لاكتشاف جوانب الخلل والقصور، ومحاولة علاجها، ومعرفة جوانب القوة، والعمل على إثرائها وتعميقها.

ما الخطاب السياسي؟:

يطلق لفظ الخطاب السياسي على معانٍ عدة، لكن يهمنا هنا أن نتوقف عند اثنين منها:

١ - مجموعة الأفكار والتصورات المنظمة والمرتبطة منطقيًا والمتعلقة بتحليل الواقع السياسي وتحديد طرق معالجته والتأثير فيه، وهذا قريب من التعريف المتداول لدى المتخصصين في علم السياسة.

٢ - طرق ووسائل تبليغ منظومة الأفكار والتصورات السياسية، والتعبير عن الرأي السياسي، وتتعدد هذه الوسائل إلى منطوقة (التصريح، الخطبة..)، ومكتوبة، ومصورة... وغيرها.

وهذا المعنى الثاني هو الذي سنستعمله في هذه المقالة.

بقلم: د. سعد الدين العثماني



ويرتبط الخطاب السياسي ارتباطًا قويًا بالمبادئ والمفاهيم التي يحملها الشخص أو تحملها المجموعة التي تنتجه، كما يرتبط بالتصورات التي يقتنعون بها عن الواقع من حولهم وطرق التأثير فيه. وهكذا: فمن غير الممكن فهم خطاب سياسي معين دون الغوص في ذلك الجهاز المفاهيمي الذي ينطلق منه، وفي كثير من الأحيان: فإن علاج نقص الخطاب السياسي يبدأ من علاج الأخطاء العقدية والتصورية والفكرية التي أنتجته.

ونكتفي بمثال واحد من تاريخنا القديم: فالخطاب السياسي للخوارج، والمتسم بالتكفير والمناداة بإعطاء الأولوية للخروج على الحكام، بدءاً من علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ناتج عن انحراف في العقيدة، وليس فقط عن خطأ في تقدير الواقع أو في أسلوب معالجته.

وهذه المكانة المركزية للجهاز المفاهيمي في التأثير في الخطاب السياسي، لا تمنع من أن بعض جوانب الخلل فيه ناتجة عن أسباب نفسية لصاحب الخطاب، أو عن سوء تقدير للقوة الذاتية أو للواقع المحيط.. أو عن غيرها من الأسباب.

أصول عامة:

وقد يكون من الضروري التذكير في البداية ببعض الأسس والأصول الشرعية المهمة، التي يكون الجهل بها بالغ التأثير على أداء الصحوة السياسي:

١ - العمل السياسي مجال اجتهاد كما بين ذلك العلماء الذين كتبوا

في السياسة الشرعية، كما أنه مجال مقاصد؛ لدخوله في دائرة المعاملات (التي يسميها علماؤنا: العاديات)، وهذا من معاني القاعدة الأصولية: «الأصل في العبادات والمقدرات التعبد، والأصل في العاديّات الحِكَم والمقاصد»[1].

ومن ذلك: أن إجراءات السياسة الشرعية إجراءات تهدف إلى تحقيق المصالح ودرء المفاسد وفق الضوابط الشرعية، وإن لم يرد بذلك الإجراء نص، وعنها ينقل ابن قيم الجوزية قول أبي الوفاء بن عقيل: «السياسة ما كان فعلاً بحيث يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد، وإن لم يشرعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحي»[2].

٢ - لذلك: فمجال السياسة الشرعية مجال يحتاج إلى حذر شديد؛ لأن الجمود فيه - مثل التسيب سواء بسواء - عمل على عكس ما يريده الشرع، لذلك يعيب ابن القيم على أناس تشددوا هنا «فسدوا على أنفسهم طرقًا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له، مع علمهم وعلم غيرهم قطعًا أنها حق مطابق للواقع، ظنًّا منهم منافاتها لقواعد الشرع، ولعمر الله، إنها لم تناف ما جاء به الرسول، وإن نفت ما فهموه هم من شريعته باجتهادهم، والذي أوجب لهم ذلك: نوع تقصير في معرفة الشريعة، وتقصير في معرفة الواقع وتنزيل أحدهما على الآخر».[3]

٣ - ومن نتائج ما سبق: أن مجال السياسة الشرعية مجال اختلاف الاجتهادات والآراء، واجب المسلم فيها طاعة الله بحسب الاستطاعة، وتحري المصلحة قدر الإمكان، وقد يوافق الصواب كما قد لا يوافقه، «لكن



١) أبو إسحاق الشاطبي: الموافقات، جـ٢ص٣٠٠ - ٣٠٧، والاعتصام، جـ٢ ص١٢٩ - ١٣٢.

٢) إعلام الموقعين، جـ٤ص٣٧٢، والطرق الحكمية، ص١٣.

٣) الطرق الحكمية، ص١٣



لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فإذا اتقى العبدُ اللهَ ما استطاع: آجَرَه الله على ذلك، وغفر له خطأه، ومن كان هكذا: لم يكون لأحد أن يذمه ولا يعيبه ولا يعاقبه...»[1]. وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم[2].

٤ - يخضع مجال السياسة الشرعية للقاعدة العامة: «فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت، فإنه يجب ترجيح الراجح منها»[3].

ولهذه القاعدة تطبيقات متعددة، أشار إلى بعضها ابن تيمية في أماكن متعددة من فتاواه[4].

مهمة البلاغ المبين:

ويأتي تحديد الهدف البعيد المتوخى من الخطاب السياسي الإسلامي عاملاً آخر، يؤثر على طبيعة الخطاب السياسي وعلى خصائصه.

وفي رأينا: فإن هذا الهدف البعيد المدى هو: تحقيق البلاغ المبين لمبادئ الدين؛ لأنه الهدف الذي ابتعث الله (سبحانه) من أجله الرسول ﷺ؛ يقول (تعالى): ﴿... **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ**﴾ [**العنكبوت**: ١٨] والبلاغ المبين هو الواضح البيِّن، الذي يوصل المعاني المطلوبة إلى من يتوجه إليه الخطاب، فقد يكون الخطاب واضحاً عند صاحبه، لكنه غير واضح عند سامعه ومتلقيه، وهذا بعض ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ [إبراهيم: ٤].

---

١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، جـ٣٥ ص٣٦٧، وابن حجر العسقلاني: فتح الباري، جـ١ ص٥٢٩.

٢) مجموع الفتاوى، جـ١٩ ص١٢٢.

٣) المصدر نفسه، جـ٢٨ ص١٢٩.

٤) انظر مثلاً: جـ٢٠ ص٤٨ - ٦١ و جـ٢٨ ص٦٨، وابن القيم: الطرق الحكمية، ص١٢ وما بعدها.

وهكذا: فإن الخطاب السياسي الإسلامي يجب أن يهدف إلى أن يبلغ الكفاية في الوضوح وتقديم الحجة، ويتجنب كل العوائق التي تحول دون ذلك، وإلا فليس مبينًا، كما أن على هذا الخطاب ألا يكون عائقًا أمام التبليغ والدعوة وإيصال الفكرة والموقف الإسلاميين.

وكل جوانب النقص والخلل التي سنتحدث عنها هي في حقيقتها من العوائق أمام «البلاغ المبين»، ومن المشوشات على الدعوة في فهمه للدعوة ومبادئها.

بين العاطفية والموضوعية:

لعل من أول سمات الخطاب السياسي الإسلامي التي كثر الحديث عنها، هو كونه في غالب الأحيان خطابًا انفعاليًّا عاطفيًّا، يُؤْثر الخطابة على التحليل الموضوعي، ويطغى فيه الحماس على المنطق العقلي.

ورغم أهمية إلهاب الحماس في كل عمل سياسي، وأهمية تقوية العواطف الإيمانية في كل عمل إسلامي إلا أن الضروري أن يكون التفكير العميق هو الموجه للعاطفة، وأن تعرض القضية الإسلامية عرضًا مبنيًّا على الإقناع لا التأثير النفسي والإثارة الوجدانية.



والفرق بين الأمرين كبير من وجوه متعددة:

- فغلبة الحماس والعاطفة يمنع من التفكير في العواقب واحتساب النتائج؛ لأنه يسهل الانسياق وراء شعارات حماسية تضبب الرؤية، وتمنع من استخلاص النتائج الموضوعية، وقد يؤدي كل هذا إلى صدام غير مبرر ولا محسوب مع طرف سياسي في الساحة، كما يؤدي إلى أن تخوض الحركة الإسلامية معارك سياسية قبل أوانها وأكبر من قدراتها، ولا يبعد أن يتم بعض ذلك بفعل إثارات استدراجية دبرت من خارج الصف الإسلامي.

- وغلبة الحماس والعاطفة يؤدي إلى استعجال النتائج، ويحاول أن يحرض



لذلك ويستجيش، بينما التوجيه العقلي والفكري يحاول إيصال المبادئ والأفكار، والتأثير بالتالي على مهل وفي رفق وهدوء.

– وطغيان الانفعال والعاطفة يؤدي أيضاً إلى النظر إلى الأشخاص والهيئات والأحداث نظرة مجافية للواقع، مبنية إما على المبالغة والتهويل، أو الاحتقار والتهوين، أو على التشويه، فهناك – مثلاً – من لا يتصور صدور أمر أو موقف من جهة معينة، فيرفض تصديق أي معلومات تثبت عكس ما كان يتوقعه، وهناك من يسارع إلى إعلان العداء نحو جهة من الجهات – وقد تكون إسلامية، تتبنى المبادئ والأهداف نفسها – لبادرة بدرت أو كلمة صدرت، لم يتحر صاحبنا ليعرف تأويلها الصحيح، ولم يتجشم عناء المرور بمراحل التبين والتثبت، والتماس العذر، والمراجعة...، وكلها أمور ضرورية شرعاً في مثل تلك المواقف قبل الانجرار وراء الحماس بإلقاء اللوم وتوجيه التهم.

– ويؤدي طغيان الانفعال والعاطفة أخيراً – وليس آخراً – إلى غياب العمق الفكري والتحليلي في الخطاب السياسي الإسلامي، ويدخل في ذلك: التبسيط – إلى حد التسطيح – للصراع الفكري والسياسي الدائر مع الآخرين، ولطبيعة عرض القضية الإسلامية، فتحليل المشكلات المطروحة لا يتم بدراسة متأنية لأسبابها وجذورها وعوامل تطورها، ولتأثيرها في الواقع والحلول الممكنة لعلاجها، ثم اختيار الحل الأوفق للشرع وللواقع ولتأثيرها في الواقع عن وعي وإدراك، لكن يتم ذلك في انفعال وإلقاء للحلول المرتجلة والأحكام الجاهزة.

إن كثرة ما جر طغيان الخطاب العاطفي على الممارسة السياسية للحركة الإسلامية من مشكلات يستوجب في رأينا الإسراع بأمور ثلاثة:

١ – إعطاء الأهمية داخل الحركة الإسلامية للتربية على مبادئ الشرع القاضية

بعدم قبول الأخبار إلا بعد روية وتمحيص وتثبت، وطلب الحجة والبرهان في كل أمر، والتورع عن الاتهام والتجريح، والبعد عن السباب وفحش القول، والتزام الهدوء والتأني في الخطاب... ويبدو أن التركيز على مثل هذه الأمور غير كاف لحد الساعة في البرامج التربوية للحركات الإسلامية، وفي توجيهها لأبنائها.

٢ - إعطاء الأهمية في المناهج التربوية داخل الصف الإسلامي للتربية المنهجية الفكرية، ولبناء عقليات قادرة على الموازنة والنقد، ولإكساب وتنمية المهارات المناسبة لذلك.

٣ - وكل هذا لن يتأتى إلا بإعطاء الريادة والقيادة لأصحاب العلم والفكر بدل أهل الخطابة والوعظ، ليس انتقاصًا من شأن هذين، ولكن إنزالاً لهما مكانهما الصحيح، حتى يلجما بلجام العقول، وهي النتيجة التي انتهى إليها «د. عبدالله بن فهد النفيسي» بعد تحليل مماثل، يقول: «إن حاجة الحركة الإسلامية لصف من الموجهين الفكريين أكثر إلحاحًا من هذا الكم الهائل من الخطباء، مطلوب الاهتمام بإعداد الموجه الفكري؛ لأنه الحارس الأمين للجبهة «الأيديولوجية» التي تتحصن بها الحركة»[1].



وقد نستدل على ذلك بأسبقية العلم على العمل شرعًا وعقلاً، كما قال البخاري في صحيحه: «باب، العلم قبل العمل، لقول الله (تعالى): ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ »[2].

بين الفعل ورد الفعل:

لقد كان من أبرز نتائج طغيان العاطفية والانفعالية على الخطاب السياسي الإسلامي، سقوطه في ردود الأفعال، وقصوره عن الفعل الموضوعي المبادِر،

١) الحركة الإسلامية - رؤية مستقبلية، أوراق في النقد الذاتي، ص٢٩ .

٢) الجامع الصحيح، كتاب العلم .



إن ما نراه في كثير من الأحيان هو انتظار الأطراف الأخرى حتى تتخذ موقفاً ليتخذ الإسلامي الموقف المناقض، أو لينسج على منواله، أو الاستيقاظ على وقع حدث، فيسارع الخطاب الإسلامي لملاحقته، وهكذا يأتي هذا الخطاب - في أحايين كثيرة - مطبوعًا بالآنية والظرفية، لاهثًا وراء المواقف والأحداث الجزئية المتلاحقة، مما يفقده - في الغالب - الحضور المستمر والمتوازن في قلب الأحداث السياسية، بله صنعها أو التأثير فيها.

ولا نعني بالفعل المبادر الإعلان المستمر «للحرب» على مختلف الأطراف، مما قد يعتبر أقصى ما يقدر عليه - مع الأسف الشديد - بعض الدعاة، بل الفعل المبادر هو المسارع إلى الخيرات، المبشر قولاً وعملاً بمبادئ الدين والرحمة والهداية...

وطغيان خطاب ردود الأفعال ينتج عنه عدة مفاسد، منها:

- طغيان المتابعة الآنية للأحداث اليومية التي تقع في الساحة السياسية، فيصبح الخطاب الإسلامي خطابًا تابعًا، يجيب عن تساؤلات الآخرين، ويعلق على مواقفهم وتصريحاتهم، بدل أن ينشغلوا هم بتساؤلاته ومواقفه وتصريحاته، ويستغرقه التصدي للأحوال الطارئة بدل التحرك نحو أهداف ذاتية محددة سلفًا.

- غياب التحليل الاستراتيجي الذي يأخذ بعين الاعتبار التغيرات والمستجدات، وليس التشبث بتحليلات ثابتة جامدة، لا تتحرك بتحرك الواقع ومعطياته.

- غياب الرؤية الشاملة المتكاملة، فيواجه كل حدث معزولاً عن سياقه والمنظومة التي ينتمي إليها، وهذا يؤدي إلى عشوائية تجعل الحركة الإسلامية تواجه كل حدث بطريقة خاصة، كأنها تنتج له خطابًا خاصًا، وهذا يوقع في التخبط والتناقض، وهذان أساس الفشل في كل عمل سياسي.

- وكل هذه النقائص إنما تعني في الحقيقة: غياب الرؤية التخطيطية،

والتفكير ذى المدى البعيد، الذي يقرأ العواقب وينظر إلى المآلات.

خطابٌ مستغنٍ:

ينطلق جزء كبير من الخطاب السياسي الإسلامي من منطلق الاستعلاء على الآخر والاستغناء عنه؛ فهو يخاطب غيره من فوق، على أساس أنه يملك الحقيقة المطلقة، ويتعامل مع الآخر من منطلق الاكتفاء بقدراته وطاقاته، ويتحرك كأنه وحده سيحقق أهداف الأمة كلها دون حاجة إلى التعاون مع الآخرين.

وهذه السمة مبنية على أخطاء في العلم والتقدير عميقة، منها:



١ - رفع الاجتهادات السياسية إلى مستوى الأحكام الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة، فيعتبر الرأي المخالف فيها باطلاً مجافيًا للحق، بل قد يتخذه مناط الولاء والعداء، وقد ينسب المخالف في الاجتهاد السياسي إلى البدعة والفسوق، إن لم يكن إلى الكفر، وهذا كله مخالف للكتاب والسنة ولما عليه سلف الأمة في هذا الباب.

٢ - الانطلاق من تزكية النفس وتنزيه الذات، في مقابل الحط من الآخر وتضخيم عيوبه، ولسان حاله يقول: أنا الأعلم بالشرع، والآخر لا يدري شيئًا، وأنا الأتبع للشرع، والآخر حائد عنه، ولا حاجة إلى التأكيد على مخالفة ذلك للنصوص الصريحة، ومن ذلك قوله (تعالى): ﴿ **فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ** ﴾ [النجم: ٣٢].

٣ - يعتبر الخطاب المستغني نفسه كاملاً، مكتفيًا بذاته، لا يحتاج إلى من ينبهه إلى خطأ، أو يعرفه بنقص، كما لا يحتاج إلى الاستفادة من الغير، ومن ثم: فهو يخوض تجربته السياسية وحده، ويصوغ أحكامه (أو اجتهاداته) وحده، ولا يأخذ بعين الاعتبار ما يقوله غيره ولو كان من العلماء المعتبرين أو المجربين المحنكين.

٤ - تنتهي هذه السمات المتسلسلة إلى أن ينظر الخطاب المستغني إلى



الأفكار والأشخاص نظرة تتسم بالمطلقية، فهي إما خير محض و إما شر محض، والآخرون إما أصدقاءِ و إما أعداء، ولا حل وسط، ولا مجال لأي تطبيق جزئي أو أي تدرج. وهذا يناقض بدهيات العقول، كما يناقض ما كرره علماء السلف من أن أي شخص أو طائفة قد يكون عندها بعض الحق أو بعض الصواب الذي يجب أن يعرف لها. والاختيار في مجال السياسة الشرعية يتم على أساس «الأرضى من الموجود» و «الغالب أنه لا يوجد كامل، فيُفعل خير الخيرين، ويدفع شر الشرين؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب يقول: أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة، وقد كان النبي ﷺ وأصحابه يفرحون بانتصار الروم والنصارى على المجوس، وكلاهما كافر، لأن أحد الصنفين أقرب إلى الإسلام، وأنزل الله في ذلك «سورة الروم» لما اقتتلت الروم وفارس، والقصة مشهورة، وكذلك يوسف: كان نائبًا لفرعون مصر - وهو وقومه مشركون - وفعل من العدل والخير ما قدر عليه، ودعاهم إلى الإيمان بحسب الإمكان»[1].

إن هذه المقدمات أنتجت خطابًا سياسيًا ذا سلبيات بالغة الأثر، منها:

- أنه خطاب يفقد خاصيتي الرفق واليسر، ويشكل بذلك مصدر توجس وخوف، وربما مصدر خوف وفزع، قد يؤدي إلى فقد الأصدقاء وتكثير الأعداء، وفتح جبهات لا مبرر لها. والأصل أن يكون الخطاب السياسي خطابًا مطمئنًا، رفيقًا، ميسرًا، متلطفًا، متوددًا... **﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [النحل: ١٢٥]، **﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾** [فصلت: ٣٤]، «المؤمن يألف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»[2].

---

١) مجموع الفتاوى، جـ٢٨ص٦٨ .

٢) أخرجه أحمد في المسند، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير، جـ٦ ص٧ .

وفي الخطاب السياسي للدعوة من الخلل والنقص، وفي تأثيره من المفاسد، على قدر نقص تمثله لتلك المعاني.

- أنه خطاب يلغي من حسابه الآخر وظروفه وردود فعله، وينطلق كأن صاحبه هو الطرف السياسي الوحيد في الساحة.

كما يلغي من حسابه ذوي الفضل والعلم، وذوي الخبرة والسابقة، كأن عهد صاحبه يشكل قطيعة مع سابقيه، فهو الفاتح لما أغلق، الآتي بما لم تستطعه الأوائل، وهو بذلك يلغي تجاربهم وينتقص الاستفادة منها، ويكرر أخطاءهم باستمرار.

- أنه خطاب مستعلٍ، لا يطرح نفسه بوصفه اجتهاداً، أو رأيًا، أو اقتراحًا فيه ما في اجتهادات البشر من القصور والمحدودية، بل يضفي على نفسه مطلقية الوحي وكماله، وعصمة من نزل عليه، وكل هذا يجر إلى إصدار الأحكام والاستنتاجات المطلقة بدل فتح باب الاحتمالات، وأخذ الأمور فهمًا ومواجهة، من منطلق النسبية والأولويات والفرص المتاحة والإمكانات الذاتية.



- أنه خطاب قادح جارح، ينتقل من مناقشة وانتقاد، إلى اتهام الأشخاص والهيئات، ونبش النوايا والخلفيات. وأصول الشرع تقضي باستئثار الله (تعالى) بعلم النوايا، والتقحم فيها - بالتالي - رمي بالظن وكلام بغير دليل، وفي المقابل: يجب العمل على فهم عقلية الآخر ومنهج تفكيره، كما يمكن الانطلاق من مواقفه وتصريحاته المعلنة، واعتبار الاتفاق أو الاختلاف معها أمر اجتهاديًّا مبنيًّا على آراء وترجيحات، وهذا ما يجنب التصنيفات والاتهامات المجانية التي لا رصيد لها.

خطاب غير واقعي وغير اجتماعي:

ولسنا نعني بالواقعية مجاراة الواقع وإقرار ما هو عليه من محرمات ومفاسد،



بل الواقعية مراعاة للواقع، ومحاولة الارتفاع به إلى الدعوة في تدرج، وعلى قدر الوسع والاستطاعة، و دون هزة عنيفة؛ لأن العالم «تارة يأمر، وتارة ينهى، وتارة يبيح، وتارة يسكت عن الأمر أو النهي أو الإباحة» وهو «قد يؤخر البيان إلى وقت التمكن، كما أخر الله (سبحانه) إنزال آيات وبيان أحكام إلى وقت تمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليمًا إلى بيانها»، «فإذا حصل من يقوم بالدين من العلماء أو الأمراء أو مجموعهما، كان بيانه لما جاء به الرسول شيئًا فشيئًا بمنزلة بيان الرسول لما بعث به شيئًا فشيئًا، ومعلوم أن الرسول لا يُبَلِّغ إلا ما أمكن علمه والعمل به، ولم تأت الشريعة جملة، كما يقال: إذا أردت أن تطاع فأْمر بما يستطاع. فكذلك المجدد لدينه والمحيي لسنته: لا يبلغ إلا ما أمكن عمله والعمل به...»(1).

ويدخل في الواقعية: عدم الاكتفاء بتسطير المبادئ العامة، بل وضع الحلول العملية للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية... المعيشة. فلقد بقي ما يطرحه الخطاب السياسي الإسلامي ذا طابع عام مجرد، إلا في القليل النادر، لم يهتم كثير من الدعاة بالظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي، لم يحتل تحرير الإنسان من الاستضعاف وتمتيعه بحقوقه وكرامته المكانة اللائقة به، كما لم يهتم الخطاب الإسلامي – في الغالب – بملاحقة مظاهر هذا الحيف في الواقع، نقداً وتقويماً وإصلاحاً.

وبعد:

فليس ما ذُكر إلا بعض ما استدرك على الخطاب السياسي الإسلامي، وكله – كما قلنا – لا يلغي إيجابياته في حياة الأمة، وعسى أن نستدرك ما فات، ونصلح النقص، وندرأ الخلل، فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون.

---

1) مجموع الفتاوى، جـ ٢٠ ص٥٩ – ٦٠ .

إعلام الصحوة

والدور المفقود



لكل حركة حضارية وسائلها الإعلامية التي تسعى من خلالها إلى إيصال رسالتها إلى الجماهير، وكلما تنوعت تلك الوسائل وتكاملت كلما كان التأثير أبعد أثرًا وأكثر انتشارًا، ولقد حققت الدعوات الكبرى إنجازاتها على مر التاريخ الإنساني بفضل عوامل متعددة، كان من أهمها: الوسائل التي تستخدمها في نشر رسالتها، وقدرتها على التأثير في قطاعات كبيرة من الناس، ومع التقدم التقني المتسارع في العصر الحديث – وخاصة في وسائل الاتصال – أصبح الإعلام نظامًا متكاملاً توضع له القوانين ويدرسه الدارسون، وتسعى الدول والمجتمعات وكل صاحب رسالة حضارية إلى استخدامه واستغلاله بما يخدم رسالته ويحقق مصالحه، وقد أدركت الدولة في المجتمعات المعاصرة أهمية الإعلام وقدرته التأثيرية؛ فعمدت إلى تأطير وتنظيم هذا العمل ووضع السياسات الإعلامية التي تمكنها من التحكم فيه وتوجيهه بما يخدم مصالحها.

وقد حققت الصحوة الإسلامية المعاصرة نجاحًا باهرًا في الوصول إلى فئات بشرية متعددة داخل المجتمعات الإسلامية وخارجها، بفضل عدة عوامل، من أهمها: الوسائل الإعلامية التي استخدمها الدعاة والمربون والعاملون للإسلام، ولو تتبعنا الوسائل التي كانت لها أكبر الأثر في تلك النجاحات،

بقلم: د. أحمد محمد



لرأينا أن الصحوة قد استخدمت وسائل إعلام متنوعة ومتعددة، كان أقلها أثراً واستخداماً وسائل الإعلام الجماهيرية الحديثة: من صحافة، وإذاعة، وتلفاز، في حين كانت أكثر الوسائل تأثيراً في أوساط الصحوة: الشريط الإسلامي، والكتاب، والتجمعات الجماهيرية، مثل: المؤتمرات، والمحاضرات، والمخيمات... وغيرها. ولو تأملنا في هذه الحقيقة وحاولنا معرفة أسباب ضعف استخدام الفئة الأولى من وسائل الإعلام ونجاح استخدام الفئة الثانية، لأشرنا إلى بعض الأسباب، منها:

١- تعتمد وسائل الإعلام الحديثة، من: إذاعة، وتلفزيون، وصحافة على العمل الجماعي المنظم، وهذا يحتاج إلى مؤسسات تضم في جنباتها مجموعة من المختصين في أكثر من مجال، بينما تعتمد وسائل الفئة الثانية من الإعلام - وهو الذي تستخدمه الصحوة بشكل ناجح - على العمل الفردي المبدع. وإذا كانت الصحوة تفتقر - عموماً - إلى العمل المؤسساتي الضخم في جميع أنشطتها، وتضعف عندها القدرة التنظيمية، الناتجة عن التخطيط الدقيق، والإحصاءات الصحيحة، ودراسة التوقعات المستقبلية، والقدرة على قراءة المتغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية: فإن النتيجة هي اتجاه الصحوة إلى الفئة الثانية من وسائل الإعلام.

٢ - يتطلب تأسيس وإدارة المؤسسات الإعلامية الحديثة إمكانات مادية وبشرية ضخمة، بينما تقل التكاليف بشكل كبير في استخدام وسائل الإعلام الخفيفة، مثل: الشريط، والكتاب، وتنظيم المحاضرات والمخيمات... وغيرها؛ لذلك: كان تأسيس المؤسسات الإعلامية والإنفاق عليها يعتبر ترفًا في نظر كثير من العاملين للإسلام والداعمين للنشاط الإسلامي، وذلك في ظل الحاجة المتزايدة للإنفاق على المشروعات الدعوية الأخرى وتقديم خدمات الإغاثة للمسلمين في بقاع كثيرة من المعمورة.

٣ - يغلب على الرسالة الإعلامية التي تقدمها وسائل الإعلام الحديثة الخطاب الإعلامي غير المباشر، حيث يقدم: التحليل الصحفي أو الإخباري، والصورة، والرسوم «الكاريكاتيرية»، إضافة إلى المسلسلات الإذاعية والتلفزيونية والبرامج المتنوعة، رسالة إعلامية غير مباشرة يكون تأثيرها عظيمًا على نفسية الإنسان وسلوكه وتصوراته، بينما تقدم الفئة الثانية من وسائل الإعلام خطابًا إعلاميًّا مباشرًا بعيداً عن التعقيد، ولذا: نجح كثير من العلماء والدعاة في الوصول والتأثير على القطاعات البشرية الأقل تأثرًا بوسائل الإعلام الحديثة، بينما نجد أولئك الذين يتعرضون للرسالة الإعلامية الحديثة لا يتجاوبون بشكل كبير مع الخطاب الإسلامي المباشر، الذي تقدمه وسائل الإعلام المستخدمة حاليًا في أوساط الصحوة.

٤ - ومن الأسباب التي أدت إلى ضعف استخدام وسائل الإعلام الحديثة في أوساط الصحوة الإسلامية: وجود القوانين والأنظمة الصارمة التي تسنها الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي للتحكم والتوجيه في وسائل الإعلام؛ فإصدار صحيفة أو مجلة أو إنشاء قناة تلفزيونية أو إذاعية يتطلب





إجراءات قانونية صارمة، هذا إذا كانت ملكية كل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لا تعود مباشرة إلى الدولة.

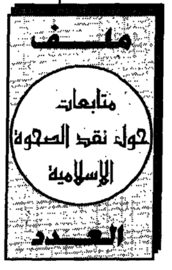
وإذا كنا ذكرنا بعض الأسباب التي أدت إلى ضعف استخدام الصحوة لوسائل الإعلام الحديثة والاتجاه إلى استخدام وسائل إعلام لها خصوصية تتلائم مع واقع الصحوة، فإن هذا لا يعني أن تيارات الصحوة لم يكن لها تجربة متميزة في هذا المجال تستحق أن نقف عندها ونحاول تقويمها ونقدها.

لقد قامت محاولات عديدة - ومنذ وقت مبكر - لاستخدام وسائل الإعلام الحديثة من قبل تيارات الصحوة الإسلامية، وقد تفاوتت درجة نجاح أو فشل تلك المحاولات بناءً على الظروف الزمانية والمكانية التي قامت فيها تلك المحاولات، كما تأثرت بالأسباب التي أشرنا إليها آنفًا، ونظراً لصعوبة الوقوف بالتفصيل على ظروف تلك المحاولات لتقويم أسباب نجاحها أو فشلها، فإن من الممكن الإشارة إلى بعض خصائص إعلام الصحوة، وبعض ملامح الإخفاق في تلك المحاولات، وعندما نقول «إعلام الصحوة» فنقصد به وسائل الإعلام الحديثة، وليست الوسائل التي أشرنا إلى أن الصحوة قد نجحت في استخدامها، كما أننا لا نقصد أيضاً الإعلام الإسلامي عامة، فإن هناك نوعًا آخر يعبر بشكل أو بآخر عن بعض المفاهيم الإسلامية، ويتبنى بعض الأطروحات الإسلامية، ولكنه يصدر مباشرة أو بتوجيه من بعض الحكومات في العالم الإسلامي، وهذا الإعلام له خصائص مختلفة ليس هذا مجال بحثها.

من خصائص إعلام الصحوة:

أنه يتركز في جانب الصحافة والنشر، وفي فئة محدودة منه؛ فمن الواضح

أن الصحوة لا تملك حالياً تجارب إذاعية أو تلفزيونية، كما أنها لا تملك صحفًا يومية واسعة الانتشار، بل يتركز إعلام الصحوة على المجلات والصحف الأسبوعية والشهرية، ومن المعلوم أن خصائص المجلات الأسبوعية والشهرية تختلف عن خصائص الصحف اليومية أو الإذاعة والتلفزيون، كما أن تأثيرها يختلف، فهي أبعد عن الحضور خلال الأحداث والأزمات اليومية، فتبتعد بذلك عن تشكيل الجانب النفسي والصدمة الأولى للأحداث، وإذا أضفنا إلى ذلك: اختلاف المجلات الأسبوعية والشهرية عن تقديم رسالة إعلامية كما تقدمها الإذاعة أو التلفزيون من خلال البرامج المختلفة الإخبارية أو الاجتماعية، فإن النتيجة المنطقية هي ابتعاد الصحوة عن استخدام جميع إمكانات الإعلام وقدراته التأثيرية، ومن ثم: فقد تركت الساحة لمختلف التيارات والاتجاهات والأيديولوجيات المحلية والعالمية لملء الفراغ الكبير.



ومن **خصائص إعلام الصحوة**: أنه انطلق في بداية تاريخه ليعبر عن تيار حزبي أو فكري في ساحة الصحوة، فنشأت المجلات الأسبوعية أو الشهرية من داخل تنظيم الحزب أو الجماعة، وطغى عليه الخطاب الحزبي المنغلق، فأصبح يعبر عن رأي الحزب، وينشر البيانات والمقابلات مع زعماء الحزب أو الجماعة، واستعراض نشاطات الحزب الدعوية وغيرها، وأصبح يتوجه برسالته إلى جمهور الحزب، أو التيار الفكري أوالمذهبي، ولم يخاطب ذلك الإعلام جميع جمهور الصحوة، عوضًا عن أن يخاطب المسلمين كلهم المتعاطفين مع الصحوة الإسلامية، أو الذين يعادونها عن جهل أو سوء قصد، وأدى ذلك إلى انغلاق ذلك الإعلام على جمهور محدود

وتضاؤل تأثيره المعنوي، ونتيجة لذلك: انغلق الخطاب الإعلامي على قضايا محدودة، أغلبها قضايا سياسية - إذا كان الحزب أو الجماعة تعمل في مجال السياسة - أو قضايا فكرية وفقهية - إذا كانت الجماعة ممن ينادون باعتزال السياسة ومشاكلها -، وقليلاً ما تجد مشاركة إعلام الصحوة في قضايا اجتماعية واقتصادية وتربوية وتقنية مما لها علاقة بواقع العالم الإسلامي ومشاكل التنمية فيه، وعلاقته بالعالم الخارجي وغيرها.

ومن خصائص ذلك الإعلام:

ضعف استخدام وسائل التأثير المتعدد، فهو يعتمد - في الدرجة الأولى - على خطاب إعلامي مباشر يغلب عليه الاحتجاج والعاطفة ورد الفعل والتعليق على الأحداث السياسية والفكرية، وهو بهذا الأسلوب لا يختلف كثيراً عن أسلوب المحاضرة أو الخطبة الذي استخدمته الصحوة بشكل مؤثر عن طريق الشريط الإسلامي أو الإلقاء المباشر، وبذلك فَقَدَ إعلام الصحوة أهم وسائل اجتذاب الجمهور؛ فالقارئ لا يعرف من خلال ذلك الإعلام ما يستجد من أحداث في البيئة المحيطة أو في المجتمع والعالم بشكل عام؛ بسبب ظروف إصداره الأسبوعي أو الشهري، كما أنه لا يجد التحليل الموضوعي على تلك الأحداث، ولا يقدم له مادة تعليمية متميزة، كما أنه لا يضيف إليه متعة ثقافية أو أدبية، أو يقدم له وسيلة للتسلية والاسترخاء، إلى غير ذلك من الوسائل التي تجذب القراء إلى التفاعل مع وسائل الإعلام.

ومن الخصائص أيضاً:

قلة الكوادر الإعلامية المتخصصة وضعف تدريبها، حيث تعتمد المجلات والصحف الإسلامية في الغالب على الهواة والمتحمسين للعمل الإسلامي،

وقد يكون تأهيلهم الإعلامي ضعيفًا، فنادرًا ما تجد في إعلام الصحوة مراسلين صحفيين يجوبون أقطار العالم للبحث عن المادة الإعلامية المتميزة، وقليلاً ما يكون للمجلة الإسلامية محللون سياسيون واقتصاديون على مستوى علمي رفيع، وإذا أضفنا إلى ذلك: ضعف الكوادر الفنية للإخراج والتصوير والرسم والإنتاج ... إلخ، وضعف استخدام التقنيات الحديثة في مجال الاتصال، فإن الناتج سيكون تأخر إعلام الصحوة، وابتعاده عن المنافسة الحقيقية مع الإعلام المسيطر على الساحة الإسلامية والعالمية.

ومن خصائص إعلام الصحوة:

عدم اعتماده على التمويل المادي الذاتي، وإغفال اعتباره أحد وسائل الاستثمار وتحقيق الربح المادي، فقد ظن الكثيرون أن هدف الاستثمار يتعارض مع طبيعة هذا الإعلام، الذي يهدف إلى الدعوة وإيصال رسالة الإسلام إلى جماهير الأمة، وإذا أضفنا إلى ذلك: ضعف التوزيع، وقلة الإعلانات، فإنه يمكن الإشارة إلى أن إعلام الصحوة يكلف هيئاتها ومنظماتها وجمعياتها عبئًا ماديًا، مع ما تواجهه تلك الهيئات من متطلبات مادية هائلة؛ ولذلك: أصبح إعلام الصحوة رهينة للعوامل الخارجية، التي قد تتغير بصورة سريعة، فأثّر ذلك على استمراره وتطويره ومنافسته للإعلام الآخر.

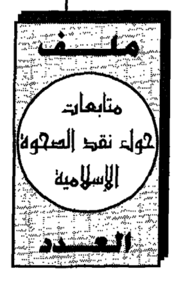
هذه بعض خصائص إعلام الصحوة، نسردها بطرح عمومي ينال السمة البارزة لهذا الإعلام، على الرغم من أن هناك تجارب واعدة تظهر في أماكن متفرقة من العالم الإسلامي، أو تصدر في الغرب؛ حيث يستفيد الإعلام من حرية النشر والتعبير التي توفرها تلك المجتمعات، ووجود الإمكانات الفنية والتقنية، ولكن في انتظار نضوج كثير من تلك المحاولات الواعدة، وظهور نماذج أخرى أكثر انفتاحًا



على متطلبات العمل الإسلامي، وأكثر قدرة على تسخير إمكانات الإعلام في خدمة الإسلام، فإن إعلام الصحوة لا يزال يمثل الحلقة المفقودة في العمل الإسلامي، وخاصة بعد التطورات المذهلة في تقنية الاتصالات والإعلام، التي أدت إلى سقوط الحدود الجغرافية والسياسية، وأصبحت الحواجز الإعلامية أكثر هشاشة مما مضى، مما جعل كثيراً من أهل الملل والنحل وأصحاب التيارات الأيديولوجية المختلفة تتسابق في ميدان الإعلام؛ لكسب مساحة أكبر في التأثير، فتتمكن من الوصول إلى قلوب الناس وعقولهم.



نقد أدب الصحوة .. مقدمة نظرية



الأدب كتيبة من كتائب الدعوة، والأدباء فصيل طليعي في مشروع التأهيل الثقافي الإسلامي، والصحوة إذ تطرح رؤيتها الإسلامية، فهي لا تفعل ذلك في مناخ رخاء واسترخاء، وغياب المنافس الذي يريد - من خلال خطابه الأدبي - أن يخلو له وجه القراء، ليكونوا ويكوّنوا بنيانًا مرصوصًا، ومنصة حضارية لما يطلق من أفكار، ويباشر من تطلعات.

فالمنافسة قائمة على قدم وساق، محتدمة بين أطراف مختلفة، وبوسائل مشروعة وغير مشروعة، موظِّفة كل ما امتلكت من منابر وأجادت من أشكال القول الأدبي وأنواعه، من: مسرح، ورواية، ومقال، وقصيدة.. موظفة ذلك كله ليكون خط الدفاع الفكري عن معركتها للنهوض بالأمة والرقي بها إلى المستوى اللائق بها، ولقد سبق خطاب الصحوة الشرعي والفكري والسياسي، سبق خطابها الأدبي زمانًا واهتمامًا، كما سبقه كمًّا وكيفًا، ولذلك أسبابه التاريخية والموضوعية المتعلقة بطبيعة الصحوة بوصفها اتجاهًا يعمل للبعث الإسلامي والتجديد الإيماني، كما أن الأدب في العالم الإسلامي عامة والبلاد العربية بخاصة لم تكن قد تبلورت - في العصر الحديث - أهميته الفكرية والجمالية بصورة

بقلم: د. مصطفى السيد



واضحة، ولم يتمظهر الدور الذي ينهض به في إعادة تشكيل عقل القارئ ومعتقده ومعارفه، وتفجيره لآبار الوعي الذاتي والجمعي في الأمة، وإن كان الشعر قد قارب ستة عشر قرنًا من الحضور في وجدان العربي فألِفَ كل منهما صاحبه، فإن الأمر بالنسبة للقصة لم يكن كذلك؛ فالدكتور «محمد حسين هيكل» عندما كتب أولى قصصه، لم يتجرأ أن يضع اسمه على صفحة الغلاف، و «محمود تيمور» كان يوقع قصصه بـ «موبسان المصري»، نسبة إلى «جي دي موبسان» القاص الفرنسي؛ وإذا كان التخوف قد لازم هؤلاء العلمانيين فما بالك الإسلاميين، الذين سيتأخر الفن القصصي عندهم والمسرحي أيضًا إلى وقت لاحق، حيث استطاع القاص والكاتب الإسلامي «على أحمد باكثير» (١٣٢٨ – ١٣٨٩هـ ١٩١٠ – ١٩٦٩م) إنجاز إبداعات أكثر من رائعة في مجالي القصة والمسرحية، جعلته و «توفيق الحكيم» – الذي كان سابقًا عمرًا وفنًّا– فرسي رهان وقرني ميدان، وربما لو امتد به العمر لطاول «نجيب محفوظ» أيضًا. لقد كان «باكثير» (رحمه الله تعالى) رائدًا ومؤسسًا للأدباء الإسلاميين الذين – فيما أحسب وأعلم – لم يتمكنوا أن يتابعوا بناءه بالقوة نفسها التي ميزت «باكثير».

ويومًا بعد يوم شرع الخطاب الأدبي يحرز مكاسب جديدة وجيدة، ويتقدم إلى مواقع لم يقف عليها من قبل.

واشتعلت معركة التجديد التي انتقل معها الخطاب الأدبي – ولا سيما الشعر – من خطاب الأذن إلى خطاب العقل، ومن سيطرة الصوت، إلى سطوة الصورة ليستقر أخيرًا عند تخوم «الرؤيا»*، كما انتقل من التعبير المباشر إلى التراكيب التي حُفت بالإيهام والغموض، عاكسًا الثقافة والهموم للشاعر المثقف الذي غادر السطحية والارتجال، بادئًا صياغة قصيدته صياغة تدخل القارئ في حوار مع القصيدة، ينتهي بموقف جديد أو ميلاد جديد للقارئ.

وإذا كان أكثر الشعراء متفقين على أن التشكيل الموسيقي (القيم الصوتية، والعروض، والإيقاع) عنصر مائز للفن، فإنهم لم يتفقوا على أن العروض الخليلي هو نهاية المطاف، وأن الخليل جمع ومنع، إنهم مع تقديرهم لهذا العالم الفذ، فإنهم يرون أن موسيقا الشعر أكبر من أن يُتوصل فيها إلى تشكيل نهائي مستقر.

ولقد جعل كثير من الإسلاميين قضية التشكيل الموسيقي قضية حياة أو موت بالنسبة للقصيدة، وقاتلوا – مع غيرهم – في معركة انجلت عن ثبات التيار الجديد في الساحة الأدبية.

وإذا كنت أعتقد أن دعاة التجديد أكبر أو أكثر من أن تظلهم راية واحدة، وأن عناصر التجديد ليست محل اتفاق، وأن بعض المجددين



---

* يرى البعض أن (الرؤيا) للحلم والخيال، و (الرؤية) للفكر.



كانوا مجترين، وبعضهم الآخر كانوا مجترئين على لساننا وديننا، فإن بعضَ الإسلاميين قد دخل غمار معركة التجديد غير مستكمل لأدواتها وآلياتها، مفتقراً إلى الإلمام بخلفية عميقة تؤهله للاستفادة من الاتجاه الجديد في الشعر عموماً، وفي الشكل خصوصاً.

فبعضهم يحسب أن مجرد حشر التفاعيل حسب عروض الشكل الجديد – دون أن يتغير ثقافة واهتماماً وذائقة أدبية – يجعله في عداد المجددين.

فأكثر الإسلاميين يعرف تراث الأسلاف في الشعر، ولكنه لا يعرف ما يجب أن يفعل ليكون امتداداً واعياً وواعداً للسلف، ولا يدرك كثير من الإسلاميين أن التغير يجب أن يتناول شبكة العلاقات مع اللغة والأشخاص والأشياء، فلا تجديد بعلاقات قديمة لا تتواصل مع ضفيرة العلاقات المعاصرة.

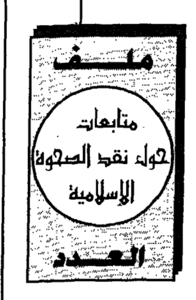
لم تتمكن الإبداعات الأدبية للإسلاميين – إلا نادراً – من التحليق في الفضاءات الواسعة، لا سيما أدب الأنين والنشيج، فكانت بكائيات راعفة نازفة، بخلاف العلمانيين واليساريين، الذين أدى اصطدامهم بالسلطة – التي لم يتناقضوا معها من حيث المبادئ التي قامت عليها، بل من حيث الوسائل والمناهج التي اتبعتها في أدائها وحضورها – أدى هذا الاصطدام – غالباً – إلى ثورة أدبية وثروة شعرية وقصصية ومسرحية.

ولقد قُسمت الحرية بين الأديب المسلم والأديب العلماني واليساري قسمة ضيزى، ففي حين أعطي الأول هامشاً محدوداً تجاه القضايا

المطروحة، مُلِّك اليساري فضاءً أوسع من الحرية إزاء السلطة والتراث والعرب والعصر، فاستثمر ذلك استثمارًا مدروسًا، مكنه من السيطرة على المنابر الأدبية في الجامعات والإعلام والندوات والمنتديات، وظهر ذلك جليًا في المكتبة الأدبية، حيث نجد النتاج الأدبي للحداثيين واليساريين والعلمانيين في شمال إفريقيا والشام والعراق والجزيرة العربية يتقدم كمًّا وكيفًا - غالبًا - كتابات الإسلاميين التي أخذت هي الأخرى تتقدم - ولو ببطء - ولكن بثبات وثقة لتنتج إبداعات ناضجة وواعدة - إن شاء الله -.

وليست السلطة هي المسؤولة وحدها عن غياب الحرية وتغييبها وعما يترتب على ذلك من خنق الإبداع جنينًا، وجني الثمار المرة، لإبعاد الإسلاميين عن أن يكونوا شركاء أساس في صياغة مشروع الغد، بل شارك السلطة في المسؤولية غياب التدريس الجاد والعميق - في بعض الأوساط الإسلامية - للأدب، فتغيرت أسماء الكليات والأقسام والعنوانات - وكأن المشكلة في الأسماء - وبقيت الثقافات إياها تدرس أدبًا وتدرسه بأساليب تجاوزها الزمان. توقفت القراءة الواعية لعبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني، كما تعثرت الجهود لاستكمال عمل هذين الناقدين العبقريين في الأوساط الإسلامية أكثرها - التي تعد أخلاقيًا وموضوعيًا المسؤولة عن حمل أمانة هذا العلم درسًا وتدريسًا، فحصًا وتقويمًا -.

حصل ذلك في الوقت الذي هيمنت بلاغيات النص السكّاكية - نسبة إلى السكّاكي (رحمه الله تعالى) - على تأويل الإبداع وتحليله وتعليله،



ولتكون أحياناً أشبه بحصار على الدارس والمدروس في دوائرنا نحن الإسلاميين، ويحصل ذلك أيضًا في الوقت الذي صارت البلاغة السكَّاكية جزءاً محدوداً في الدرس النقدي الحديث الذي يحاكم فيه النَّاص والنَّص بمعطيات الألسنية والأسلوبية والبنائية والدراسات المقارنة، التي يعاني أكثر الكتاب الإسلاميين فيها من نقص مذهل، لا يتهدد معه دورهم الأدبي فحسب، بل ووجودهم أيضًا في هذا الميدان، وذلك لأن النقد المقارِن (بكسر الراء، وهو الاسم الأدق من الأدب المقارَن) يوفر للأدب المحلي عن طريق الاحتكاك بالآداب الأخرى فرصة ذهبية لاستكمال مواطن النقص في الخطاب الأدبي المحلي، ولولا هذا الاحتكاك لغرقت الآداب المحلية في محليتها، كما تمنح الدراسة المقارنة دعاة الإسلام وخطابه الدعوي فرصة أفضل لبث رسالتهم كلما توفرت لهم - عبر القراءات الأدبية المقارنة - معلومات أشمل وأدق عن الأمم الأخرى، والدراسة المقارنة هي التي تكشف الجوهر البنائي للعمل الأدبي، وموارد النص (والتناص - الذي هو تداخل النصوص) كما تؤدي إلى بلورة فلسفة عامة للفنون والآداب، وإذا كانت أي لغة وحدها لا تحوي منفردة على ميراث الحكمة الإنسانية وموروثها، فإن الحاجة إلى المقارنة تبدو (لما سيق وسبق من فوائد) ليست كمالاً أدبيًا ولا ترفًا معرفيًا، بل هي ضرورة فكرية وثقافية، بل وسياسية، حتى يكون خيارنا واختيارنا ومواقفنا نتاج رؤية شاملة واستنطاق تيارات متعددة، بحيث تتحرر من استيراد الرؤية الفردية واختزال المعرفة الإنسانية.



فلعله يتضح مدى الخسارة التي لحقت بأدب الإسلاميين جراء غياب النقد المقارن عن دوائرهم الفكرية والجامعية؛ مما جعل الخطاب الإسلامي الأدبي يعاني - غالبًا - فقرًا مزمنًا، لافتقاده معطيات المقارنة دارسًا ومدروسًا، كاتبًا ومكتوبًا.

ولقد اختلط الأمر على كثير من الإسلاميين في العلاقة مع الغرب، فتداخل الشعري في الشرعي، والقاعدي في العقدي، وتحامى أكثرهم ولوج محارم الغرب الأدبية، حفاظًا على الهوية، وتحصينًا للشخصية الإسلامية من أن تجتاح أو تباح من قبل الأدب الغربي، إن الحفاظ على الهوية المستقلة والشخصية المتميزة، لا يكون مرادفًا للعزلة والتقوقع والانغلاق والانسحاب من المعترك الثقافي والإبداعي، إن المحافظة على الهوية يكون بالانفتاح الواعي على الثقافات والحضارات في تفاعل إبداعي أساسه الثقه بالله، ثم بالنفس، والقدرة على الاستفادة من كل خيِّر ومفيد.



وإذا كان المسلم يشعر بالاكتفاء والامتلاء في أموره الشرعية، فقد لا يكون عليه ضير أن يحضر في الساحة الأدبية العالمية - شريكًا كاملاً - آخذًا ومعطيًا، عاملاً على أن يجعل القول الأدبي - لا سيما القصة والمسرحية - جسرًا للحوار الداخلي للتواصل مع القراء المسلمين بمختلف شرائحهم الاجتماعية وإمكاناتهم الفكرية، ثم الطيران إلى مطارات العالم حاملاً - عبر الكلمة مُؤَدْلَجَةً بالفكر الإسلامي، مدججةً بمقومات تحميها من السقوط في مدافن الآنية وحُفَر الذاتية، وتتجافى عن السكوت عن كل صور الانتهاك للدين والعقل والثروات

الإسلامية في الإنسان والمال العام والبيئة.

ولقد تُرجم الكثير من أدب العلمانيين واليساريين والحداثيين العرب إلى القارئ الغربي، في حين ظل أكثر الكتاب الإسلاميين مقروئين في لغاتهم المحلية وفي أوساطهم المحلية أيضًا، وهذا الأمر حرم الخطاب الأدبي الإسلامي من مهمة الحوار التي ينهض بها الخطاب بين جميع القراء، بغض الطرف عن أوطانهم واتجاهاتهم العقدية والسياسية والفكرية، فـ« شكسبير» كتب بالإنجليزية ولكن قُرِئ في كل اللغات الحية تقريبًا، وكذلك « ديكنز»، و « موليير»، و « هوجو»، و « جوته »، و « همنجواي »، و « دوستوفسكي »، و « تولستوي »، و « ماركيز » الكولومبي الذي ينتمي إلى بلاد هي أكثر تأخرًا من البلاد العربية، وكذلك « أكتوبات » المكسيكي الحائز على جائزة نوبل ١٩٩٣م.



ولقد افتقر أدب الإسلاميين – أكثرهم – إلى مقومات بنائية وفنية حالت بين خطابهم الأدبي ونماذج النخبة من القراء، كما أفقد ذلك الدعوة الإسلامية التغلغل عبر الخطاب الأدبي إلى مختلف العقول والقلوب، لتكون جزءاً من النسج الوجداني والفكري لأكبر عدد من المتلقين، **ومن هذه المقومات التي افتقر إليها أدبنا:**

– ثقافة إسلامية عميقة:

لا سيما تاريخ الإسلام وسير أبطاله، بوصف التاريخ من المنابع المهمة التي تمد العمل الأدبي بكنز لا ينفد من الموضوعات (ولا بد من التوكيد على المصادر الغضة كالقرآن الكريم) وقد حفظه «باكثير» (رحمه الله) في وقت مبكر، والحديث الشريف، وألاّ يتلقى الأديب

هذه الثقافة من مصادر آسنة مشوبة بكدرة الاستشراق، أو من موارد ملفقة كنتاجات المهزومين والتلفيقيين.

- ثقافة أجنبية:

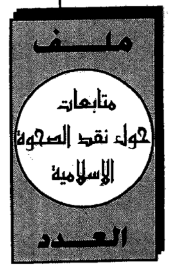
وحبذا لو كانت أداتها إحدى اللغات الأوروبية الحية، وذلك كي يتمكن من الإبحار في محيطات روائع الأدب العالمي (بادر «باكثير» - بوصفه نموذجًا يتيمًا للأدباء المسلمين - إلى الالتحاق بقسم اللغة الإنجليزية في جامعة القاهرة، كي تسلم ثقافته الأدبية من جهل مزر بالخطاب الأدبي العالمي) أو من الادعاء بإحاطة كاذبة بمكونات هذا الخطاب، أو الرفض المطلق له، عبر نفيه وتجاهله سدًّا لذرائع السلبيات المتوقعة من الاطلاع عليه.

- رؤيا متكاملة:

تجسد مثل خريطة ضوئية ورسوم بيانية مواطن الضعف والقوة في الجسد الإسلامي، وذلك حماية للإبداع من تكرار ممجوج، وسطحية ممرورة، وليكون إضافة تشبع ذائقة المتلقي وتترعها، وتمده بما يضاعف رصيده الجمالي ويعمق لذاذته الوجدانية، ويسلحه بمعرفة يتصدى بها - بعد عون الله (سبحانه وتعالى) - لكل محاولات إفقاره معرفيًّا، وإفلاسه ثقافيًّا، ويواجه الحملات الشرسة على قيمه الإسلامية التي تتمنهج بالعنف طوراً، وبالتحيل والمكر مراراً وأطواراً.

- التمكن المقتدر الجسور من التعامل مع الأداة التعبيرية:

(اللغة) التي تجسد تلاحم الأفكار والمشاعر، والشكل والمضمون، والذات والموضوع، بحيث تتوزع خلالها عناصر (الأدبية) توزعًا



دقيقًا، عاكسًا موهبة الكاتب وخبرته وثقافته انعكاسًا رُؤيًا لا عوج فيه ولا أمتى، فلا إسراف في خدمة الشكل، ولا إجحاف في حق المضمون.

- طموح الكاتب المسلم إلى تجاوز ما قبله ومن قبله:

فلا ينظر إلى الماضي والحاضر كسقف ليس ممنوعًا تجاوزه فقط، بل ومستحيلاً أيضًا، بل عليه - وإن استوقفه الماضي والحاضر - ألا يوقفاه ويُثْبِتَاهُ في أبهائهما وتخومها، وأن يعتقد أن الفن معطاء ولود إذا وفق في استدراجه إلى البوح بأسراره، وتمكن من فتح مغاليقه التي تتأبى على دعاة الفن الرخيص والأدب الفج والرؤيا المهلهلة.

إذا نظرنا إلى ما كان عليه أدب الإسلاميين قبل ثلث قرن، وما بلغه الآن بفضل الله، ثم بفضل بعض الأقلام الجادة، إذا فعلنا ذلك فسنجد أننا قد تجاوزنا الكثير من السطحية، وحزنا حزمًا من الوعي، وامتلكنا مقومات طيبة، وبدأ إبداعنا يتألق ويتألق، وإني لأبصر شبابًا يكتبون على صفحات «البيان» وشقيقاتها العربيات الإسلاميات، يكتبون أدبًا مبشرًا وواعدًا - إن شاء الله - .

وإذا كان خطاب الصحوة الفكري قد انتزع مكانته المميزة في ساحة كادت أن تكون محجوزة للخطاب المنشق عن تجربة الأمة ومسيرتها، فإن خطاب الصحوة الأدبي مطلوب منه - بإلحاح - أن يساير شقيقه الفكري، ابتغاء حضور «إسلامية» متكاملة في سوح الصراع المتلاطمة التي تموج بالأفكار وتزدحم بالطروحات.

والله المستعان، وعليه التكلان.



ملاحظات أولية على الدعوة

إلى نقد الصحوة الإسلامية



كنت ولا أزال أشعر بقلق كبير من ترداد الحديث عن «النقد الذاتي» أو نقد الصحوة الإسلامية، سواءٌ أكان هذا الحديث نابعًا من أبناء الصحوة أنفسهم أو من خصومها، على الرغم من اختلاف الوجهة والقصد والمنهج، وليس ذلك - بطبيعة الحال - عن قناعة بأن هذه الصحوة مبرأة من العيوب والأخطاء، وحتى الانحرافات في بعض أطرافها، وإنما يعود إلى عدد من الاعتبارات الواقعية التي لاحظتها من خلال تتبع هذه الظاهرة في الفترة الأخيرة على وجه الخصوص.

الاعتبار الأول:

هو شيوع هذه الموجة بشكل واضح، وهي - بلا شك - من جراء التأثر ببعض حاجات المناخ الثقافي العام، الذي استهوته قصة النقد الذاتي، إضافة إلى أن الضغوط المتوالية من الصحافة العلمانية - والدوائر الثقافية العلمانية بشكل عام - يبدو أنها أزعجت قطاعًا من الإسلاميين وألجأتهم إلى اعتراف قهري بالذنب، وضرورة «التكفير عنه» ثقافيًّا بتشريح الصحوة على الملأ.

وموطن الخطر في هذا الجانب: أن زيادة الشيء عن حدّه، وتضخيمه، والإلحاح عليه: لا يؤدي - عادة - إلى علاج الحالة، بقدر ما يؤدي إلى انحراف مضاد، قد يتمثل - في مثل حالتنا - في إشاعة أجواء من الإحباط والكآبة والشعور المَرَضي بالذنب والعجز.

بقلم: **جمال سلطان**



الاعتبار الثاني :

أن عملية المراجعة والتقويم والنقد، ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي مقصودة لتحقيق أهداف معينة، مثل ترشيد المسيرة، وبث روح جديدة تدفع بالعمل الإسلامي خطوات على الطريق القويم... ونحو ذلك، وهذا كله يلفت نظرنا إلى أن المكان والزمان اللذين يرد فيهما «النقد الذاتي» حاسمان وفاعلان في تحقق النتائج المرجوة أو تحقيق عكسها تماماً، فإذا كنت في واقع محبط، أو محاصر، أو شديدة جراحه، أو مستعرة أجواؤه بالعداء و الحرب: فإن توجيه النقد إلى أبناء هذه الأجواء يكون عملاً مدمراً وغير مسؤول؛ لأن نتيجته المباشرة هي: تقريب المسلم خطوات جديدة إلى إعلان الهزيمة: نفسيًّا، وواقعيًّا، ودع عنك موجات الفتنة التي تمور وتطحن الصف المسلم بعضه في بعض، ولعله لذلك المعنى، كان من هدي النبي ﷺ الامتناع عن إقامة الحدود في الحرب.

وكانت قناعتي: أن الأجواء التي تعيشها الصحوة الإسلامية الآن لا تناسب التوسع في مثل هذا الجانب النقدي، مهما كانت المبررات الثقافية جميلة وجذابة.

الاعتبار الثالث :

أن الأجواء الثقافية مشوشة للغاية، والهجوم العلماني، وغير العلماني، من جهات ذات مصالح في تشويه الصحوة الإسلامية قد بلغ مداه، وهذا ما يحول دون عرض قضية النقد الذاتي للصحوة على الملأ بصورة عاقلة وعملية ومأمونة؛

لأن المتربصين يأخذون الكلام على أنه اعترافات إسلامية بالخطيئة، مما يسبب تضليلاً كبيراً لدى العوام، وإذا ما حاولت الدفاع أو كشف المغالطات وجدت نفسك وسط معركة فكرية مضنية ومهدرة لجهدك، وقد كنت في غنى عنها.

إن ممارسة النقد الذاتي تحتاج إلى مناخ اجتماعي وفكري قائم على الاتزان والهدوء والتعقل والحوار البناء، إلا في حالات الضرورة القصوى، وهي حالات جزئية على كل حال، ولا تتسم بالشمول أو الإطلاق.

الاعتبار الرابع :

أن فكرة «النقد» رغم أنها تعني تشريح القوى الذاتية والإمكانات، وجلاء إيجابياتها وسلبياتها، إلا أن مصطلح «النقد» قد انتهى في الممارسة العملية والثقافية في العالم العربي إلى معنى «مناقشة السلبيات وتصحيحها»، وأصبح شائعًا أن تقول: فلان لا يطيق النقد، بمعنى: أنه ينزعج من مناقشة أخطائه أو سلبياته، وهذا المعنى هو الذي استقر في معظم الكتابات عن «نقد الصحوة»، وفي هذا المناخ غاب الحديث تمامًا عن «إيجابيات الصحوة» حتى أنه يكون عسيراً على أحد الشباب الإسلامي أن يعدد لك إيجابيات الصحوة إذا سألته عنها، في حين أنه يقدم لك لائحة بالسلبيات إذا سألته، وذلك لأنه تعود الاستماع إلى الكلام في الثانية دون الأولى، فألفها، ولذلك: فقد تصورت أن الحديث عن «إيجابيات الصحوة»، والكشف عن مكامن القوة فيها، هو الأولى بالإبراز هذه الأيام، لتحقيق الموازنة النفسية والتصوريّة لدى الشباب بين سلبيات الصحوة وإيجابياتها؛ وكذلك لبلورة معنى هذه الإيجابيات، وتفسير أسبابها، وحشد الطاقات لتنميتها والبناء عليها، إضافة إلى أن ذلك سبيل عملي للرد على العلمانيين والمشوشين، ممن يرون لكل شيء في الوجود سلبيات وإيجابيات، إلا الصحوة الإسلامية، فهي الظاهرة الوحيدة التي لا يجدون لها إيجابيات أبداً، أو لا يذكرون أن لها إيجابيات.

لكل هذه الاعتبارات وجدتني متحفظًا تجاه كثرة الحديث عن «نقد





الصحوة»، وإن كانت الحاجة تبقى ماسة إلى البحث عن «آلية» مناسبة لتصحيح المسار، ورتق الخروق، وسد الثغرات التي تهدر طاقات النهوض والتقدم، وفي تصوري: أن الإعلام الإسلامي يمكنه - رغم كل التحفظات السابقة - أن يساهم بشكل فعال في هذا التصحيح والترشيد، من خلال الكلمة والدراسة والحوار والتحقيق والندوات.. ونحو ذلك، وهي ممارسات قائمة بالفعل، ولا يخلو أحد منّا مِنْ جهد ساهم به في ذلك، على أن يكون ذلك الجهد وفق صياغة متزنة، ومعالجة رصينة وحانية، وذكاء كبير في العرض، ووفق توازن نفسي وفكري يمنع الآثار السلبية الخطرة التي قد تنتج عن هذه المعالجات وعرضها.

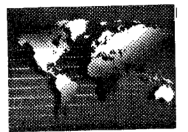
ثم إن هناك جانباً من جوانب الصحوة، لا يخضع للاعتبارات السابقة، ولا يجوز إخفاء عواره أو تأخير بيان فساده، إلا وهو الجانب الفكري، ولا سيما ما يتصل بالعقيدة وأصول الديانة؛ فالبدعة، والغلو، والانحراف الفكري: ظواهر خطرة، لا يمكن السكوت عنها، بل إن تجاهلها والسكوت عنها يكون أخطر بكثير من عرضها للنقد والبيان والترشيد، وتبقى - من وراء ذلك كله - الضرورة القصوى لإشاعة مناخ الرحمة والتغافر بين الإسلاميين، وتعميق الشعور بالحاجة إلى الرفق والتريث والاتزان في معالجة مختلف قضايا الصحوة الإسلامية، سلوكاً وفكراً.

قمة شرم « الإرهاب »

« شرم الشيخ ».. ذلك المنتجع الوديع في سيناء اختير مكانًا لانعقاد « قمة صانعي السلام »!، والمفارقة أن هذه القمة ما كانت لتنعقد لولا أن سلام وأمن الدولة الصهيونية تعرض للخطر، وهذه الدولة المشروع ما كانت لتقوم لولا أنها رائدة الإرهاب في العالم، وأكثر دول الأرض ممارسة له... وما « شرم الشيخ » إلا أرض لوثها الإرهاب الصهيوني دهرًا قبل أن ترجع إلى أصحابها.

مواطن فلسطيني ذكر لمحطة « CNN »: أن هذه القمة هي قمة الإرهاب لا قمة السلام؛ لأنها تترجم فعليًّا الإشارة المعنوية لدولة اليهود أن تمارس ما تشاء من إرهاب ضد مواطني الضفة والقطاع، بمباركة السلطة الوطنية « الفلسطسرائيلية »! ومواطن أمريكي اتصل بالمحطة نفسها حين كانت تذيع برنامجًا عن إرهاب « حماس » متسائلاً: لماذا نستغرب أن يلجأ الفلسطيني للإرهاب والعنف وقد رأى عدوه الإسرائيلي يستخدم العنف ضده لعقود خلت، ويحقق نجاحات ما كانت لتتم لولا اللجوء إلى الإرهاب المدعوم دوليًّا...؟، مراسل محطة هيئة الإذاعة البريطانية وصف القمة بأنها: أثارت من الأسئلة والاختلافات أكثر مما حشدت من مواقف و رؤى موحدة، بل إنه اعتبرها قمة « البنادق الصوتية » و « المفرقعات الكلامية »...

المسلمون والعالم



بقلم: د . عبدالله عمر سلطان

القمة طرحت تساؤلات حول الفرق بين الإرهاب والجهاد المشروع، وحول تاريخ العنف المنظم في المنطقة، ومن بدأ به؟ وحول مفهوم كل دولة حضرت لمعنى كلمة «إرهاب» وما يعنيه لها، مجلة (الإيكونومست) الواسعة الانتشار طرحت الموضوع من زاوية المؤسسة اليمينية الحاكمة في أوروبا وأمريكا... لم تخف المجلة أن الإرهاب في أصله صناعة غربية، لم يعرف إلا في عصر تفوق الرجل الأبيض واستعرضت أبرز محطاته:

«في يونيو عام ١٩١٤م تقدم شاب صربي متعصب نحو عربة كانت تمر في «سراييفو» وأطلق النار على من فيها، فأردى الأرشيدوق «فرديناند» ولي عهد النمسا، وفي غضون أسابيع بدأت الحرب العالمية الأولى. وفي عام ١٩٤٠م كانت المقاومة الفرنسية تقتل المحتلين الألمان متى رأتهم، وأينما وجدتهم، وعام ١٩٤٤م شنت قوات «إس.إس» الألمانية عملية ثأرية في وسط فرنسا، فذبحت (٦٤٢) قرويًا، وفي أغسطس ١٩٤٥م أسقطت القوات الجوية الأمريكية أول قنبلة نووية على مدينة (هيروشيما) اليابانية، فقتلت نحو (١٩٠) ألف ياباني، كان جميعهم مدنيين تقريبًا، وفي غضون أيام انتهت الحرب العالمية الثانية. لكن هل يمكن أن تلجأ الجيوش ذات الديمقراطيات العريقة إلى الإرهاب أيضًا؟

المسلمون

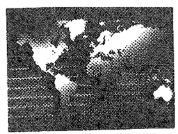


والعالم

فقبل قرن، كان يمكن أن يسمي العالم الغني الهجوم على المدنيين عملاً محظوراً، لكن العالم الحديث كان يفكر بطريقة أخرى، فقد كان قصف الحلفاء لألمانيا في الحرب العالمية الثانية موجهًا لترويع المدنيين أملاً في تحطيم المعنويات، أي: إرهابهم - باختصار -!، وكان قصف (طوكيو) وضرب (هيروشيما) و (ناجازاكي) بالسلاح النووي موجهين لترويع الحكومة اليابانية وليس لتخويف المدنيين.. لكن الضحايا لم يلحظوا الفرق. لكن: ما الفائدة من وضع تعريف واسع إلى حد يشمل «ستالين» والقوات الجوية الأميركية، كما قد يسأل أحدهم على ذلك؟ هناك جوابان:

- ففي المقام الأول: يشير هذا التعريف إلى أن الإرهاب كان من الناحية التاريخية القوي لا الضعيف، فإبَّان النضال الهندي من أجل الاستقلال، كانت مجزرة (أمريتسار) أسوأ مثال على الإرهاب، عندما عمدت القوات البريطانية عام ١٩١٩م إلى إطلاق النار على اجتماع سياسي، واستمرت في ذلك حتى آخر طلقة، وكانت الحصيلة (٣٧٩) قتيلاً، وقد فعل الإرهاب فعله، فقد ساد النظام في ولاية البنجاب المتمردة.

عمومًا، ظهر الإرهاب الحقيقي العشوائي في الثلاثين سنة الأخيرة، كما في مجزرة محطة بولونيا، وهجمات غاز السارين في مترو أنفاق طوكيو بأيدي طائفة دينية، أو في تفجير مدينة أوكلاهوما، فالجرائم الثلاث كانت تضرب أيًا كان، ولا هدف محدداً لها، وكل من يراها غير ذلك يكون بلا عقل صحيح. وفي هذه السنين نفسها، كان معظم عمليات الجيش الجمهوري الأيرلندي، وليس كلها، موجهًا نحو أهداف محددة، مثل رجال الشرطة والجنود والمزارعين البروتستانت في المناطق الحدودية، وكان العنف الذي تمارسة منظمة «إيتا» الانفصالية في إسبانيا على هذا النحو».



الإرهاب إذن أو ما يعرف بـ « التيرورزم » « Terrorism » بدأ مع الثورة الفرنسية، ولم يتفجر تاريخيًّا في رحم العالم الإسلامي المطارد... عواصم الإرهاب الفظيعة خلال هذا القرن كانت: برلين النازية، و روما الفاشية، و موسكو الشيوعية، و طوكيو المحورية... كانت هناك مآسٍ لا يمكن وصفها بقيادة بريطانيا وأمريكا، واسألوا (برلين) المجروحة و (هيروشيما) المحروقة بجحيم القنابل النووية... المنصفون لا يجادلون أن الغرب استعمل القوة والعنف بشكل منظم، وتصميم مندفع لمعاقبة المدنيين، وسمى ذلك الإرهاب: « حروب تحرير » وعمليات أمنية، وإسرائيل وعصاباتها طرحت من رحم التجربة الغربية و استوعبتها جيداً، ثم طبقتها على أرض فلسطين، ولا يمكن أن نتجاوز هذا المدخل دون التأكيد على أن كل قادة الدولة الصهيونية متورطون شخصيًّا في عمليات إرهابية قذرة، لا يمكن أن تمر في ظل أوضاع عادلة دون عقاب..! اسمعوا « إسحاق شامير » يتباهى بتسخير الإرهاب في سبيل تحقيق حلمه اليهودي: ففي حوار جرى عام ١٩٧٧م بين رئيس وزراء إسرائيل والمؤرخ البريطاني « نيكولاس بيسيل »، سئل عن اغتيال اللورد « موين »، وعن تأثير هذه العملية على نجاح الحلم الصهيوني!.

ورد « شامير » عليه قائلاً: « بدون أدنى شك أثرت تلك العملية في موقف الحكومة البريطانية، وساعدت على تحسين فرص النصر، تمامًا كما تستفيد القضية الفلسطينية من هذه الأساليب(!)؛ منذ عشر سنوات لم يكن الرأي العام يسمع بحقوق الشعب الفلسطيني أو بالدولة الفلسطينية، الآن هناك شبه إجماع في الولايات المتحدة والدول الأوروبية

المسلمون



والعالم

حول الحركة الفلسطينية، المطالبة بحق تقرير المصير والاستقلال، ماذا حدث من عام ١٩٦٧م حتى عام ١٩٧٧م؟ إن الحكومات - في رأيي - لا تعطي هذه المسائل الاهتمام الكافي إلا اذا استخدمت ضدها الأسلحة الماضية، ومن هنا: أرى أن اغتيال اللورد «موين» خدم قضية اليهود، إن إرهابنا(!) كان منظمًا وموجهًا ضد الحكومات والعاملين في المواقع الرسمية، بينما انحصر الإرهاب الفلسطيني في الأهداف المدنية»!.

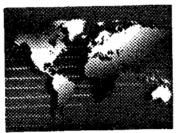
واعترض المؤرخ «بيسيل» على هذا التفسير، وقال إن التجاوزات لامست بالأذى المدنيين أيضًا، بدليل ما فعلته منظمة (أرجون) التي أعلنت مسؤوليتها عن نسف فندق الملك داود (حزيران / يونيو١٩٤٦م).

وقال «شامير»: إن الفندق كان يضم مقر القيادة العامة للقوات البريطانية في فلسطين.

أجابه «بيسيل»: ولكن حصيلة الضحايا من المدنيين كانت مروعة جداً؛ الأمر الذي اضطر عصابة (الهاجانا) للانسحاب من حركة المقاومة الموحدة!.

واستمرت هذه المناظرة وقتًا طويلاً؛ لتبين في نهاية الأمر: أنه من الصعب جداً رسم خط فاصل بين الإرهاب والمقاومة الوطنية... بين استهداف العسكريين والمسؤولين وبين ضرورة المحافظة على سلامة المدنيين العزل والأبرياء، كما تبين أيضًا من سياق الأحداث التاريخية: أن الإرهاب السياسي المنظم كان أمضى أسلحة العنف التي استخدمتها الصهيونية لإخراج الفلسطينيين من بلادهم.

وبسبب تداخل الإرهاب في أيديولوجية الدولة الاسرائيلية؛ نشأت أحزاب متطرفة تبنت هذه العقيدة، مثل: (ليكود)، و (غوش إيمونيم)، و (كاهانا حي)، و (أمناء جبل الهيكل)، و (موليديت)، ولم يكن



«جولدشتاين» الذي أردى أكثر من ثلاثين شخصاً في الحرم الإبراهيمي في الخليل سوى إفراز طبيعي للتنظيمات الإرهابية المتسمة بالعنف والاحتقار لكل ما هو غير يهودي.

إذن: في المحصلة النهائية لا يمكن أن نتطرق إلى الإرهاب دون التطرق إلى جذوره الأوروبية، ولا يمكن أن نتحدث عن إرهاب في أرض فلسطين دون الحديث عن الإرهاب اليهودي، الذي قطف ثمار فعله الآثم: دولة مدللة، جيشًا مجهزاً بأحدث الأسلحة، ودعمًا دوليًّا إثر سقوط مواطنيه ذوي الدماء الزرقاء!.

العوامل المشتركة التي حملت القمة إلى الانعقاد بهذه السرعة عديدة، أهمها:

* إظهار تعاطف الدول الغربية الكبرى مع المشروع الصهيوني في أوقات المحنة، وغمره بأنواع الدعم والتأييد، تذكيراً للجيران العرب بمقامات الشرق أوسطية... في المرحلة القادمة: هناك «سادة» لو سقط منهم ضحية «هرول» الغرب المتحضر بقيادة أمريكا إلى تجميع «الأحزاب» و«القبائل» الدولية للوقوف بجانبهم، ثم هناك «شرق أوسطيون» واقعيون يصفون هذه العمليات الأخيرة بالأعمال الجبانة والشريرة، وهؤلاء يُرجى من ورائهم تدعيم المظلة الأمنية الجديدة، أما الأشرار الحقيقيون، فهم: أولئك الذين يدعمون حق الفلسطينيين في محاربة الاحتلال، هؤلاء نصيبهم الويل والثبور وعظائم الأمور وقائمة الإرهاب التي يقررها جهاز المخابرات الأمريكية.

* دعم شمعون بيريز «مفكر» الشرق أوسطية النيرة، الذي يتحدث بلغة السلام، وأنها العسل واللبن التي ستتحقق بعد أن يلوح صباح التطبيع القسري والهيمنة الصهيونية العظمى، هذا المفكر لا يجد حرجًا من أن يتقمص شخصية «هتلر»، فيوقع العقوبة الجماعية على «بني فلسطين»،

المسلمون



والعالم

كما أوقعها النازي على «بني إسرائيل»، أو بعبارة أخرى: إحراق كومة القش من أجل إبرة، ونظراً لجمعه المتناقضات، وقدرته على الانتقال على هذه الحبال المتباعدة: فإن «الشريك الأمريكي» يرى أن دعمه في الانتخابات أمر يدخل تحت أركان عملية السلام، وواجب من واجباتها، تسقط العملية كلياً في حالة التخلي عنها.

* رفع أسهم الرئيس الأمريكي في الساحة الأمريكية، وتمكينه من الفوز بانتخابات الرئاسة الأمريكية؛ فالقاعدة الذهبية للسُّنَّة الانتخابية تقول: «كل دعم لليهود على أرض فلسطين له دعم مساوٍ له في القوى ومواز في الاتجاه»، وهذه قاعدة يحفظها الرئيس الذي عُيِّن في عهده أكبر عدد من اليهود في إدارته، والذي يصرح سفيره اليهودي إلى إخوانه في فلسطين: بأنه صهيوني، ويفتخر بذلك...

وما دام «كلنتون» قد اختار، فلا بد من «شرم الشيخ» للبكاء على الأرواح اليهودية، ولو طال السفر!.

* تفريغ شحنة من الضغط المتراكم في كثير من البلدان التي شاركت في المؤتمر، هذه البلدان - كما يقول «توماس كوبرلاند» - : «كانت تظن أنها ستطرح مشاكلها مع العنف السياسي في بلدانها، فالبلد المضيف ينادي منذ عقد بعقد «قمة للإرهاب»، وكثير من العرب المشاركين يواجهون مأزقاً سياسياً صعباً في وجه جماعات المعارضة المسلحة، وروسيا تعتبر الشيشان مجرد حفنة من الإرهابيين، و أوروبا واليابان يعيشان أوضاعاً تطاردها أشباح الإرهاب السياسي والعشوائي، بل إن أمريكا «عابدة القوة»! و «مقدسة الزعامة» ذاقت طعم الإرهاب ذي

المسلمون



والعالم

النكهة المحلية - وبصورة فاجعة - في أوكلاهوما... الجميع - إذن - يريد طرح موضوع العنف المسلح والإرهاب العشوائي، لكن الأماني شيء، وما تمخض عنه المؤتمر شيء آخر تمامًا... فإسرائيل - ومن خلفها التابع الأمريكي - حصرت قضية الإرهاب في سلسلة الهجمات الأخيرة في (تل أبيب) و (عسقلان)، وظهر للعرب قبل غيرهم أن الإرهاب مقامات هو الآخر... وأنه لا صوت يعلو على أمن وسلامة شذاذ الآفاق...!.

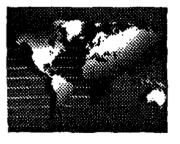
* التأكيد على صورة جديدة من صور التطبيع، وبحسب مصدر حكومي يهودي: فإن أحدًا لم يكن يحلم قبل أربع سنوات أن يجتمع العرب للإدانة بأعمال تمس أمن الكيان الصهيوني، كما أن الحضور الدولي لم يشهد مثيلاً له منذ جنازة رابين، وبكلام آخر؛ فالعالم يقف من أجل التطبيع ودعمه، بينما لم تجدْ دعوات عقد مؤتمر لدفع العملية السلمية آذانًا صاغية، وكان أمريكا تريد أن تذكر الجميع أن الاسم الفضفاض للمؤتمر لا يمكن أن يحرف الهدف الرئيس له، وهو: دعم إسرائيل، وإسرائيل فقط.

إيجاد مظلة وغطاء دولي، لكي تطلق إسرائيل يدها في إرهاب الدولة الذي تمارسه، وهذا الإرهاب الموجه ضد المدنيين، بل ضد شعب بكامله، لم يكن ليمر دون ردة فعل دولية، لولا أن قمة « الشرم » قد أعطت له الغطاء الشرعي والمعنوي المطلوب، بل إن هذا المؤتمر قد فتح الباب لأضخم عملية إرهاب مبرمج ومدعوم منذ عشرات السنين، فكيف وظفته حكومة « بيريز »؟!.

تعال إلى حيث الإرهاب:

كأنما يشاهد العالم مقطعًا دعائيًا لأحد رعاة البقر وهو يمارس هوايته

المسلمون



والعالم

ويصطاد فريسته، شاهد العالم الرئيس الأمريكي يزور إسرائيل، بينما يقف الصهيوني المحتل يصطاد فريسته البريئة، بل المسحوقة، بينما يتمتع بالمشهد الصديق الذي حشد العالم لنصرته، ثم وعده بإنفاق ما لا يقل عن « ١٠٠ » مليون دولار من أجل أن يحارب « الإرهاب ».

إن ما فعلته أمريكا و « كلنتون » بحق اليهود أمر عظيم، فَهِمَ « بيريز » (حمامة السلام المسمومة) الإشارة الأمريكية، وراح يضرب بعصا الإرهاب الصهيونية... وهذه بعض المشاهد :

– أقفلت المناطق المحتلة لمدة أكثر من شهر، ومنعت الشحنات الغذائية والدوائية من الدخول إلى مناطق الحكم الذاتي، ليس هذا فحسب، بل برزت مناطق الحكم المزعوم معزولة عن بعضها، ولم يستطع المواطن الذي يسكن في محيط (٣كم) عن دائرة عمله أو مصدر رزقه من المرور؛ حفاظًا على أمن المحتلين وأمن المستوطنين.

– نَضَب مخزون حليب الأطفال في غزة ومدن الضفة، ومات عشرات الأطفال الفلسطينيين من الجوع، كما توفي العديد من المواليد بعد منع ذويهم من المرور عبر حواجز الجيش المحتل بحجة الإجراءات الأمنية والمدعومة من المجتمع الدولي المشاهد لهذه الجرائم بصمت خبيث.

– منعت السلطات المحتلة الأطباء من التوجه إلى وظائفهم؛ مما أدى إلى وفاة العشرات من المرضى؛ لأسباب يمكن علاجها في الأوضاع الطبيعية، كما منعت السلطات المحتلة السلطة العرفاتية من الحصول على الأوكسجين المستورد من (يافا) و (حيفا) ومدن الساحل.

– قامت السلطات المحتلة باعتقال المئات من « المشبوهين » الذين تدور حول

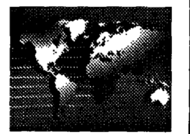
انتماءاتهم الإسلامية الشائعات، وقام عرفات بتكملة المهمة، فاعتقل رموز الإسلاميين في كنتونه المهلهل، وصرح أنه أول زعيم عربي يقوم بحملة مداهمة للمساجد، وفاته أن هذا «الشرف» قد سبقه إليه أشاوس من زعماء العرب!.

– فجرت السلطات المحتلة أحد عشر منزلاً خلال أسبوع من انفضاض المؤتمر، وقد شهد الرئيس الأمريكي خلال وجوده تفجير منزل عائلة «يحيى عياش»؛ مما يعني المزيد من الاحتقار وتغذية مشاعر الانتقام بين صفوف الفلسطينيين...

لقد أعطت هذه القمة «بيريز» الضوء الأخضر ليقوم بهذا الإرهاب الذي ترعاه دولة، ولا تقوم بتغذيته منظمات ولا أفراد... فإرهاب الدولة – إذا كانت صهيونية –: مفهوم ومشروع، والرد على الاحتلال البشع: إرهاب وجريمة ونذالة!!.

لقد اختصرت صحيفة «لوموند» المرحلة بقولها: «إن إسرائيل – للمرة الأولى – تشعر بأن العنف الأصولي موجع، وهذا كل ما في الأمر، وهذا ما يجعل القوى المساندة لها تطلق يدها لتفعل ما تشاء دون سؤال حتى عن آثار هذه المشاعر المحمومة...

إن العقاب الجماعي الذي مارسته حكومة تل أبيب في رأي «شيام بهاتيا» يمثل «أسوأ أشكال العقاب الجماعي»، ويضيف: «ومع دخول الحصار أسبوعه الثالث يجري دفع عدد متزايد من الفلسطينيين إلى صفوف المتطرفين والمتعصبين، وتزخر الصحف الفلسطينية بقصص المدنيين الأبرياء الذين دفعوا ثمن ذلك، ففي قرية من قرى القدس، مات قرويان مسنان لأن عائلتيهما لم تتمكنا من نقلهما إلى المستشفى، وفي حادثة أخرى: توفي رضيع عمره



شهر واحد من مدينة قلقيلية بسبب نوبة ربو، بينما كان والداه يتجادلان مع الجنود الإسرائيليين أمام حاجز تفتيش عند مدخل المدينة...

ويقول مهندس من مخيم الفوار للاجئين: «لماذا لم تعاقب الحكومة الإسرائيلية بلدة اليهودي الذي قتل إسحاق رابين؟ولماذا لم ينسفوا بيت أسرته ويلقون بها إلى الشارع؟ إن إسرائيل تعامل المليوني فلسطيني باعتبارهم مفجرين انتحاريين محتملين، فكيف يكون هناك سلام عندما يتحكم شعب بحياة شعب آخر؟».

ماذا تفعل السلطة الوطنية إياها... ! لا شيء سوى مزيد من الذل والانكسار، وتنفيذ رغبات إسرائيل التي أطلقت على زعيم السلطة لقب «الشرطي الفاشل»؛ لعدم قدرته على سحق حماس وأنصارها...، ذهبت صيحات عرفات و «أزلامه» في الهواء، وبقيت السلطة الوحشية تخنق شعبًا بكامله، لا تراعي في ذلك أبسط القواعد الدولية التي لا تطبق إلا على الشعوب المسلمة لحصارها.

ماذا فعل الحصار بالشعب الفلسطيني...تقول صحيفة «الأوبزرفز»: «لقد وضع كثير من العائلات في مخيم الفوار أطباق ستلايت؛ لتمكنهم من متابعة الأخبار العالمية على مدار الساعة... فالإرهابيون الوحيدون في نظرهم هم الإسرائيليون الذين يحتجزون مليوني شخص كرهائن في «سجن كبير» (فلسطين).



وبعد يوم واحد من مغادرة الزعماء لشرم الشيخ قامت القوات الإسرائيلية بنسف منزل عائلة صانع القنابل الفلسطيني «يحيى عياش» الذي اغتيل على يد عملاء إسرائيليين، لكن أصدقاء عياش وأقرباءه يقولون: إنهم سيبنون منزلاً أكبر لعائلته، لكي يكون صرحًا تذكاريًا له».

والمعضلة الحقيقية التي تواجه المنطقة مستمرة طالما أن الإرهاب المدجج بالسلاح

النووي لا يجد سوى التشجيع والتطبيع، وطالما أن اجتماعات ما بعد القمة التي بدأت في (واشنطن)، وستتبعها جولات أخرى لتحقق مسيرتها وهدفها ورسالتها في قضية واحدة: حماية الإرهاب التاريخي والمنظم، أو بعبارة السوق: إرهاب «الجملة»، وملاحقة ومحاصرة المقاومة ضد المحتل، وهو عنق «مفرق» حسب ما تدل عليه هذه اللغة بنفسها.

هل كلنتون صهيوني؟:

إنه السؤال نفسه الذي طرحه محرر صحيفة «يديعوت أحرونوت»، بل وضعه عنوان لمقاله الافتتاحي، الذي ذكر فيه: أن كلينتون يعد أول رئيس دولة يتخلص من «حتمية التوازن» في علاقاته مع إسرائيل، وهو يدعمنا مئة في المئة...

وربط الرئيس كلينتون المبادرة بالفعل، والقول بالعمل، فقدم مئة مليون دولار على الطاولة؛ لتمويل لجنة «المتابعة» المشتركة التي ستكون تحت رئاسة «وارن كريستوفر» وزير الخارجية الأمريكية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الزيارة الأخيرة التي قام بها الرئيس الأمريكي إلى إسرائيل (لمدة ٢٢ ساعة)، تعد الثالثة خلال ثمانية عشر شهراً؛ ولذا: أدت هذه الزيارات الثلاث الأخيرة إلى إقناع الجميع حتى أكثر المتشككين من المرشحين للانتخابات عن الليكود، وهو «بنيامين نيتنياهو»، بأن الولايات المتحدة وعلى رأسها الرئيس «بيل كلينتون» قد «أودعت البلسم في قلوب الإسرائيليين»، ولا سيما عندما رفض إدانة إغلاق إسرائيل للأراضي الفلسطينية، ولما سئل «آخر الصهاينة» عن سر هذا الموقف من جانبه؟، رد قائلاً: «إنه رد فعل طبيعي؛ إذ إن أي أسرة مهددة في أمنها تفكر أولاً وقبل كل شيء في وضعها الأمني».

المسلمون



والعالم

المسلمون في أوغندا
تاريخ وتحديات (٢)

تمهيد :

تطرق الكاتب في العدد الماضي إلى التعريف بجغرافية أوغندا واستعمارها واستقلالها ودخول الإسلام فيها عن طريق محورين، ثم تحدث عن مراحل انتشار الثقافة الإسلامية فيها وبعض التحديات التي واجهها المسلمون، وتناول المرحلة الأولى التي بدأت من دخول الإسلام سنة (١٢٦٠هـ - ١٨٤٢م) إلى (١٣٩١هـ - ١٩٧١م) .
وفي هذه الحلقة - وهي الأخيرة - يتابع الكاتب ذكر مراحل وتحديات أخرى.

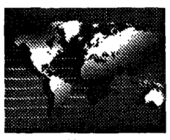
- البيان -



الثقافة الإسلامية وتحدياتها في المرحلة الثانية من سنة (١٣٩١هـ - ١٩٧١م) إلى (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) :

على الرغم من قصر هذه المرحلة من تاريخ الثقافة الإسلامية في أوغندا ، إلا أنها ذات أهمية بالغة، ونقطة تحول من الركود والجمود، إلى الحركة والنهوض، فهي الفترة الوحيدة التي ترأس فيها قائد مسلم دولة أوغندا بعد استقلالها، وهذا الرئيس هو (عيدي أمين)، ويعتبر عهده من أفضل العهود انتعاشًا للحركة الإسلامية في أوغندا، فقد كان المسلمون يعيشون حياة تشتت وتمزق، وكانوا شيعًا وأحزابًا، يتنازعون في (المسائل الكبرى والصغرى)، وقد اشتهر من تلك الأحزاب خمسة :

١ - جمعية (بوكتو)، وكانت أشد تمسكًا بالتقويم الشهري في صيام رمضان والعيدين، سواء أوافق رؤية الهلال أم خالفها.



بقلم: زياد صالح لوبانغا

٢ - جمعية (الجمعة مع الظهر)، وهذه أصرت على الجمع بين صلاة الجمعة والظهر في آن واحد.

٣ - جمعية (اتحاد مسلمي أوغندا)، وكانت ترى تقديم الأسن أو الأسبق إلى الإسلام للسلطة الدينية.

٤ - جمعية (نَعَمْ) وكانت ترى تقديم المتعلم والمثقف للسلطة الدينية.

٥ - جمعية (كلجاتا)، وكانت ترى معارضة البدع التي وقع فيها المسلمون في أوغندا [1].

عمل هذا الرئيس على توحيد تلك الجمعيات المتصارعة، وإزالة الشقاق والنزاع بينها، فكان من ثمرات جهوده ما يلي:

أ - توحيد الشعائر الإسلامية، التي امتد إليها الخلافِ والنزاع، وكان كل حزب بما لديهم فرحون، فهؤلاء يصومون شهر رمضان بالرؤية، وأولئك يصومونه بالحساب والتقويم، فتم توحيدهم جميعاً على دخول رمضان في يوم واحد، وكذا خروجه، وكان يُعلَن في الوسائل الإعلامية بدخول الشهر وخروجه، وبداية الحج ونهايته، وعليه جرت العادة إلى يومنا هذا.

ب - إنشاء المجلس الأعلى الإسلامي، الذي يجمع كل المسلمين في البلاد كافة، ووكل هذا المجلس بتنظيم شؤون المسلمين الدينية، ونشر الدعوة والإرشاد، وتوظيف الدعاة، ورعاية الأيتام والمعاقين، وتدبير الأحوال المدنية:

١) مظاهر الانحراف في توحيد العبادة...، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ص١٤ .

من زواج وطلاق وفسخ وظهار وخلع ... ونحو ذلك، كما أنه كان موكلاً برعاية الزكاة والصدقات والأوقاف، والإشراف على المناهج والتعليم في المدارس الإسلامية الأهلية.

ج – طرد المذاهب والفرق المنشقة عن الإسلام: كالقاديانية، والإسماعيلية، وعدم السماح لها بالتسجيل كفرقة أو جمعية مستقلة.

د – الاهتمام بإنشاء المساجد والجوامع، والمعاهد، وتشجيع المؤسسات والهيئات الإسلامية بمزاولة نشاطاتها الخيرية والثقافية والإنمائية، وكذلك: فتح أبواب المنح لالتحاق الطلاب بالجامعات الإسلامية في الخارج، لينهلوا منها العلوم الشرعية الصحيحة، التي يحتاجها المسلمون في أوغندا، لاسيما وأن هذا الرئيس سعى – بجهوده الخاصة – في تسجيل دولته ضمن الدول الإسلامية، رغم قلة النسبة المئوية للمسلمين فيها، وربما كان يفكر في تطبيق شريعة الله مستقبلاً!، وهذا ما جعله يطرح في مؤتمرات الدول الإسلامية فكرة إنشاء جامعة إسلامية في أوغندا، تزود الدولة بالبحوث والدراسات الأساسية في هذا المشروع الكبير[1].

تحديات المرحلة الثانية:

أخذت التحديات في هذه المرحلة أيضاً شكلين بارزين:

التحديات الداخلية: لقد ظل أكثر المسلمين – رغم تزايد عددهم في هذا العهد – جهالاً في أمور دينهم وعقيدتهم، حيث إن البدع التي خلفها العهد السابق كانت باقية في عقبهم، فقد كانت البدع الدينية منتشرة، ومنها: الموالد النبوية التي تقام هنا وهناك بإشراف المجلس الأعلى الإسلامي، وعلى نفقات الدولة نفسها، كما أن علماء السحر والتنجيم ارتقوا المناصب العليا في المجلس الأعلى الإسلامي، وفي التوعية الدينية العامة، سواء على مستوى الضباط في

١) انظر: التقرير الخاص بإنشاء الجامعة الإسلامية في أوغندا، ص١، فقد نص التقرير على أن فكرة إنشاء هذه الجامعة تمخضت عن مؤتمر رؤساء وقادة الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في لاهور – باكستان – سنة ١٩٧٤م، وكان الرئيس عضواً فيه، وإن لم يذكر اسمه في التقرير لأنه أعد بعد خروجه من السلطة.



الجيش، أو الإداريين، أو عامة الناس، فهؤلاء لم يستطيعوا أن يعطوا للثقافة الإسلامية صورتها الحقيقية، كما يأملها كل مسلم، ويشهد لفضلها كل عدو منصف.

التحديات الخارجية : وأعني بها نشاط المسيحيين بالدرجة الأولى، سواء المواطنين أو الأجانب الذين كانوا يدعمون التنصير والتبشير، وهذا التحدي كان قد قوي في المرحلة الأولى، وتكاملت عدته في عهد الاحتلال البريطاني، الذي مكنه من جميع وسائل الحياة، ليضمن له السيطرة على مقاليد البلاد والعباد، بل إن الدستور الذي وضعه المستعمرون تنص مواده على أن يكون رئيس الوزراء، ووزراء الخزانة والمالية، والعدل، من المسيحيين[1].

وبالفعل فإن أصحاب هذه المناصب في تلك المرحلة، سرعان ما انقلبوا على الحاكم، وضحوا بجاههم ومناصبهم لإسقاطه، وهو ما حدث بالفعل في سنة (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م). وهكذا انتهت هذه الفترة بتحالف النصارى في الداخل والخارج ضد «عيدي أمين»، وأصبح المسلمون هدفَهم الأول، يفعلون بهم كل ما بدى لهم، لأن رقابهم وبلادهم أصبحت تركة سهلة في أيديهم.

الثقافة الإسلامية في أوغندا في المرحلة الثالثة (١٩٧٩م - ١٩٩٦م) والتحديات المواجهة لها:

تعتبر هذه المرحلة سلسلة من الانقلابات الحكومية، التي لم يعد للمسلمين فيها دورهم القيادي، وهي على كثرتها ترمي إلى إبعادهم عن مراكز النفوذ والريادة؛ فمنذ أن أطيح بالرئيس السابق «عيدي أمين»، كان الهدف الأساس هو القضاء على الإسلام، وإبادة أكبر عدد ممكن من أبنائه، فقد راح ضحية الحروب الأهلية أعداد غفيرة من المسلمين في مدينة أميرارا، وفي العاصمة كمبالا، وغيرها من الأماكن، كما شردت أعداد أخرى منهم إلى السودان وزائير، ثم تداول عدد من الرؤساء السلطة حتى استقر في النهاية لآخر رؤساء أوغندا بعد عدة انقلابات، وهو «يويري موسوفيني» الذي جاء بانقلاب عسكري سنة ١٩٨٦م.

١) انظر : مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا، ص٢٤ .



أما الثقافة الإسلامية في هذه المرحلة، فإن تلك التغيرات السياسية التي مرت بأوغندا، لم تستطع القضاء عليها، لأنها أصبحت تستعصي على الاضمحلال والذوبان، ولكنها أثرت عليها، بأن قللت من حركتها ونشاطاتها، وأقصت عدداً كبيراً من أعضائها عن مناصبهم، أمثال :

١ – عباس موانا (مدير عام البنك الأهلي التجاري الأوغندي).

٢ – عيسى خليفة لكواغو (نائب المدير العام للبنك الوطني الأوغندي).

٣ – السيد / جَمَادى لوزيندا (السكرتير الدائم لوزارة التربية والتعليم).

٤ – رمضان وسيكي (السكرتير الدائم لوزارة التجارة).

٥ – أحمد انسرينكو (السكرتير العام لإدارة جامعة ماكريري).

وغيرهم كثير مما لا يتسع المقام لذكرهم[١].

وبما أن هذه المرحلة بمثابة إصلاح ما دمرته الحرب، وإعادة تنظيم من شتتته من أبناء الأمة الإسلامية، وبناء هيكلهم الديني والثقافي والاجتماعي والاقتصادي ونحوه، فثمة جهود مشتركة بين المسلمين المواطنين وغيرهم تبذل في عملية البناء، ولا سيما أن هذه المرحلة تفيض بالكوادر العلمية والثقافية، التي نهلت العلوم الإسلامية والعصرية في مختلف الجامعات، ورجعت لتبلغ رسالتها، وتؤدي واجبها نحو دينها وشعوبها، وقد نظمت جهودها في صورة هيئات وجمعيات، يمكن تصنيفها كالآتي :

١ – **الجمعيات المحلية** : وهي التي تكونت داخل أوغندا، وسجلت نفسها رسميًا بموافقة الحكومة، وبتوصية المجلس الأعلى الإسلامي الذي يعد مظلة وارفة لسائر الجمعيات المحلية، ومن بين تلك الجمعيات ما يلي :

أ – جمعية الدعوة السلفية.
ب – جمعية الثقافة الإسلامية.
ج – جمعية التوحيد الإسلامية.
د – ندوة الشباب الإسلامي الأوغندي.

١) انظر : مجلة الأمة، العدد الثاني عشر، السنة الأولى، ذي الحجة ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ص٧٨ .





هـ - جمعية اتحاد طلبة جامعة ماكريري. و - جمعية النساء المسلمات في أوغندا.

هذا، وللمسلمين في وعيهم الثقافي إلمامٌ بالإنجيل، إذ أسلم عدد كبير عن طريق معرفة هذا الكتاب، ولذلك كونوا ثلاث جمعيات :

أ - جمعية الدعوة للشباب المسلم، ويرأسها عبدالله كييصوا.

ب - جمعية الدعوة لمسلمي أوغندا، ويرأسها هلال سعيد.

ج - جمعية اتحاد الشباب المسلم، ويرأسها إدريس كزغو.

إضافة إلى أن هناك جمعيات أخرى غير مسجلة، أو لم نتذكرها إبان إعداد هذه المقالة.

٢ - الهيئات الخارجية : وهي التي أتت من خارج أوغندا، وفتحت مكاتبها فيها، لتساهم في نشر الثقافة والمعرفة، وتدعم الدعاة، وترعى الأيتام، وتشيد المساجد، وتبني المدارس والمستشفيات، وتحفر الآبار، وتساعد ذوي الحاجات والمساكين، وغير ذلك من أعمالها الخيرية، نسأل الله أن يبارك في جهودها، وهذه الهيئات هي :

أ - رابطة العالم الإسلامي. ب - هيئة الإغاثة العالمية، وهي تابعة للأولى.

ج - لجنة مسلمي إفريقيا. د - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

هـ - الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية. و - المنتدى الإسلامي.

ز - منظمة الدعوة الإسلامية. ح - لجنة إفريقيا.

ط - الجامعة الإسلامية في أوغندا، التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي[1]... وغير ذلك من الهيئات الخارجية التي لها مساهمة ونشاط خيري ملحوظ، وإن لم يكن لها مكتب في أوغندا.

تحديات المرحلة الثالثة : وهي أيضًا اتخذت نمطين :

---

١) أنشئت هذه الجامعة سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، وكان من بين أهدافها :

أ - توفير فرص التعليم للأقليات المسلمة في إفريقيا.

ب - إعطاء اهتمام خاص للدراسات والبحوث، وتعليم اللغة العربية، ونشر الثقافة الإسلامية في البلدان الإفريقية.

ج - تمكين الدول من اقتناء العلوم والتقنية، واكتساب المعرفة والمهارة اللازمة لاستخدامها لصالح الدول والشعوب.

د - تدريب أيدي عاملة كافية، واقتناء الطرق والوسائل للتعليم العالي، والبحوث العلمية، والدراسات المتقدمة في شتى ميادين العلم والتعليم. انظر : التقرير عن إنشاء الجامعة الإسلامية في أوغندا، ص٢ .

١ – الصراع على السلطة الدينية، وهذا الصراع ظهر في المرحلة الأولى، واختفى في المرحلة الثانية، وعاد من جديد في المرحلة الثالثة، وذلك بتأثير عاملين أساسين:

أ – تنازع المسلمين أنفسهم، واختلافهم فيمن يرونه أهلاً للزعامة الدينية، أيقدمون لها من هو أكثرهم علماً، أم أشدهم ورعاً، أم أقدمهم سنًّا، أم أقواهم جاهاً وشرفاً !؟.

وعلى أي حال، فإن للاختلاف القبلي دوراً في هذا الصراع، إذ كل قبيلة تريد الوصول إليها، لتكون صاحبة الكلمة والنفوذ.

وساعد على ذلك: تدخل الحكومات المحلية في ذلك الصراع، لا بنية حسمه وإنهائه، ولكن لتعميقه وترسيخه، حتى لا تكون للمسلمين قوة اتحادية، تقدر على زعزعة الحكومة، أو تقوم بأي مواجهة ضدها، وهذا ما شهدته السنوات الخمس الأولى من بداية هذه المرحلة، حيث كان هناك مجلسان إسلاميان معروفان لدى الحكومة، أولهما برئاسة الشيخ / عبده عبيد كامليغيا، والآخر برئاسة الشيخ / قاسم مولومبا[1]، وقد سعت رابطة العالم الإسلامي في عام ١٩٨٦م لإنهاء الصراع بين المجلسين، وإدماج بعضهما في بعض، ثم رجعت الكرة من جديد، حين سعت الحكومة الحالية سنة ١٩٩٠م لإيجاد مجلسين إسلاميين، أولهما برئاسة الشيخ / سعد إبراهيم لويمبا، والثاني برئاسة الشيخ / حسين رجب كاكوزا، ولا زالا قائمين حتى الآن، وقد انشق عنهما مجلس ثالث بتدبير من الحكومة نفسها، أوهمت به المسلمين أنها تريد بذلك توحيد المجلسين، حتى يكون المسلمون تحت مجلس واحد، ولكن لم تلغ المجلسين السابقين حتى تتم لها الموافقة بين ما تقول وما تفعل، هذا وقد انسحب المجلس الذي يرأسه الشيخ / حسين رجب كاكوزا، وبقي الأول الذي يرأسه الشيخ / سعد إبراهيم لويمبا، والجديد الذي يرأسه الشيخ / أحمد جمعة موكاسا، وبينهما خلاف شديد، لكسب الأتباع والمؤيدين.. والله المستعان.

ب – الجهل وقلة العلم، هذا على الرغم من انتشار المعاهد والمدارس الإسلامية، وفتح جامعة إسلامية في أوغندا، إلا أن الجهل بالإسلام وثقافته لم يزل متفشياً

١) انظر: مجلة الأمة، في عددها السابق، ص٤٧ – ٤٨ .



في كثير من أبناء المسلمين، ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة، منها :

- كون التعليم بالرسوم، سواء في المدارس الأهلية التي يملكها المسلمون، أو الحكومية التي تملكها الدولة، وهذا الأمر وقف حاجزاً دون تعليم المسلمين من قبل، لأن الذي يقدر على دفع الرسوم في هذا العام، قد يعجز عنه في العام القادم، لعدم وجود المال عنده، وهذه الرسوم في تضاعف وازدياد مستمر، فمن كان هذا شأنه: فسوف يكون خطراً على الثقافة الإسلامية، إذ يظل جاهلاً حتى بأبسط أمور دينه، بل كيف يؤدي العبادات دون معرفتها وفهم روحها وحقيقتها، وتصور معناها ومقصدها، وقد شاهدنا الكثير منهم لا يصوم رمضان كله أو بعضه، بحجة أنه لا يجد طعاماً جيداً يفطر به، أو أن له أولاداً وذرية، إذا صاموا يغنيه صيامهم عن نفسه.

- انحصار التعليم في منطقة دون أخرى، صحيح أن المدارس الإسلامية اليوم تربو على مئة مدرسة بما فيها المعاهد(١) ولكن بعضها محصور في منطقة دون أخرى، أو في العاصمة وما جاورها، مع أن المسلمين الموجودين في المناطق الأخرى أعدادهم هائلة، وهذا الأمر ينبغي أن تفطن له الجمعيات والهيئات العاملة في أوغندا، التي عزمت أن تنشر الثقافة في البلاد، لأن هذه الأعداد لا يمكن أن تنتقل كلها إلى المناطق التي يوجد فيها تلك المدارس، ونلفت النظر إلى أن البنات المسلمات في أوغندا يفقدن التعليم الإسلامي، إذ لا يوجد لهن مدارس خاصة بهن، وحتى اللاتي يجتمعن مع البنين في مدرسة واحدة، أقل بكثير ممن يبقين في بيوت آبائهن، وتلك مشكلة تتطلب حلاً سريعاً، ينقذهن من شر الأمية(٢) التي بقين فيها سنين عدداً.

- البدع والخرافات التي أشرنا إليها في المرحلة الأولى، سواء التي وقعت في الاعتقاد

١) انظر : مجلة الدعوة، العدد ١٣٠٤ في ١٢/٢/١٤١٢هـ ص٢٥.

٢) انظر : الأقليات المسلمة في العالم ظروفها وآلامها وآمالها، جـ٢ ص٩٨٤ .

المسلمون



والعالم

أو في العمل، وهي إن كانت اليوم محصورة في الشيوخ الكبار في السن، ولكنها تتنافى مع الدين وثقافته، وما هؤلاء الشيوخ إلا جزءٌ من المسلمين، الذين لهم تأثير ملحوظ في الأجيال القادمة، بحكم مكانتهم وتجاربهم في الحياة.

٢ - التحديات الخارجية: وهذه سأوجزها في تيارين:

أ - المذاهب الهدامة المنشقة عن الإسلام، ويمثلها مذهبان:

- المذهب القادياني: وقد رجع إلى الساحة الأوغندية، فور سقوط الرئيس «عيدي أمين» سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م أو التي تليها، وله توغل كبير في بعض الشباب الذين تعلموا في الخارج - لا سيما في الغرب - وبعض حاملي الشهادات الحكومية المحلية.

- المذهب الشيعي: وقد رجع هذا سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م تقريباً، وقد اكتسح محافظة بأكملها في منطقة (إيغانغا)، ولا يزال في انتشار مستمر بحكم إمكاناته المادية الهائلة، وقد أسس مركزاً كبيراً في قرية (كافولي) لم يسبق له مثيل في أوغندا، لينفث فيه منهجه وآراءه المخالفه للإسلام وثقافته وحضارته، ومع الأسف الشديد تجد الناس الجهال، يأتون إليه مذعنين، لحاجتهم إلى المال.

ب - التنصير المسيحي: لا يزال التنصير في أوغندا، وفي كل بلد إفريقي، على رأس التحديات للإسلام وثقافته في الوقت الحاضر، ذلك أنه منذ عهد الاحتلال مُكّنَ من وسائل العيش والحياة؛ للوقوف ضد الإسلام والمسلمين.

هذا وقد ذكرت هذه التحديات ليس من باب تثبيط همة المسلمين، أو بث الرعب في قلوبهم، وإنما لإحاطتهم بطبيعة التحديات التي يواجهونها، وإطلاعهم على حجم الداء، حتى يبحثوا عن الدواء المناسب، وما عليهم إلا أن يضاعفوا الجهود في محاربة تلك التيارات ومواجهتها؛ لما في ذلك من قتل لأطماعهم، وكفاية الناس من شرها، حيث إن غايتها صراع مع القيم الإنسانية، وهدم لكل ثقافة نافعة، وحضارة راقية.



وهنا أقترح بعضًا من الأمور :

١ – العناية بنشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، والمستقاة من الكتاب والسنة، ومن سيرة الصحابة (رضوان الله عليهم)؛ لأن هذه الأمة بأسرها، لا نصيب لها في الحياة بدونها.

٢ – الاهتمام بالأسر المسلمة في تكوينها، والمحافظة عليها، كأساس وركيزة للمجتمع الإسلامي المنشود، وذلك عن طريق العناية بالثقافة والتربية الصالحة، والقدوة الحسنة في كل شؤون الحياة، داخل المنزل وخارجه.

٣ – تكوين كوادر مسلمة، كفريق عمل من المتخصصين في علوم التربية والتعليم، لإيجاد منهج موحد للتعليم والتثقيف الإسلامي في أوغندا، ويتم ذلك بالتعاون مع الجامعات الإسلامية والمؤسسات العلمية الأخرى ذات التجربة والخبرة الطويلة في هذا المجال، وذلك للحفاظ على الهوية الإسلامية، وعصمتها من هجمات التشويه والتشنيع.

٤ – التنسيق فيما بين الجمعيات والهيئات الإسلامية (المحلية والدولية) لمواجهة الأخطار المشتركة، وسد الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها الأعداء والحاقدون.

٥ – نشر الكتب، وتوزيع النشرات بلغات مختلفة سائدة بين أبناء الشعب الأوغندي حتى يتمكنوا من فهم الإسلام فهمًا صحيحًا جيداً، وإدراك مفاهيمه وتعاليمه البناءة.

٦ – ضرورة تبني الدعاة والمعلمين، وتزويدهم بكافة وسائل النشر والتأليف الممكنة، وتبسيط مفاهيم مؤلفاتهم، وجعلها في كتيبات ونشرات مسلسلة، بعناوين مختصرة.

٧ – إيجاد دراسات ميدانية عن الحركات والتيارات المناوئة للإسلام، وتزويد العاملين في الحقل الثقافي والتربوي والدعوي بها ليتمكنوا من صد هجماتها، وإبطال كيدها ومكرها، وإفشال خططها وتدابيرها.



محاور علمنة الإسلام

نظرات في الأساليب الجديدة لغزو الإسلام

بقلم:

د. محمد يحيى



من الأساليب التي اتبعت في الفترة الأخيرة لمحاربة الإسلام من الناحية الفكرية، ما يمكن أن يسمى بعلمنة الإسلام، أي: تجريده من الطابع (المقدس) – كما يطلق عليه العلمانيون – ونزع أي روابط تصله بالوحي الإلهي المنزل ثابت الصياغة والتحقق، وقد راجت في السنوات الأخيرة في بعض الدوائر الفكرية العلمانية مقولة تزعم أن (الإسلام دين علماني بالطبع)، وتبرر هذه المقولة أمام الجمهور المسلم بأنها تعني: أن الإسلام دين يتناول شؤون الحياة ويغطيها، ولا ينعزل عنها، وهو تصور ينسجم مع المفهوم العام حول الإسلام، ولكن تختلف الصورة عندما يبدأ الكتاب العلمانيون في شرح وتوضيح أبعاد هذه المقولة؛ وهنا تتجلى ظاهرة علمنة الإسلام في إحدى أهم صورها، فالمعنى المتضمن في مقولة: (إن الإسلام دين علماني) هو: أن الإسلام غير محدد الملامح والقسمات، وأنه قابل للتغير والتشكل وفق الظروف والأحوال الجغرافية والتاريخية، وأنه في الواقع يترك مساحات واسعة من الشؤون الحياتية مفتوحة لكل اجتهاد و رأي – أيًّا كان – طالما انه يحقق (المصلحة)، وهي بدورها فكرة مبهمة، وإن تحددت

أبعادها في الفكر العلماني بشكل مادي واضح، يقصرها على النواحي الاقتصادية أو القيمية المشابهة لقيم الغرب، وهكذا فإن المقولة التي تبدو في ظاهرها وكأنها تتوافق مع الأصل الإسلامي الذي يربط بين الدين والدنيا، فإنها في الواقع ترمي لتأسيس فصل الدين عن الحياة من خلال تمييع الإسلام نفسه، وتقليص مساحته، ورده إلى مجرد كيان هلامي شفاف أقرب إلى العدم، يتشكل مع كل ظرف وحال حتى لا يكاد يكون له وجود مستقل أو مميز أو هوية، وهذه المقولة تصل إلى علمنة الإسلام، أي: تجريده من القداسة والصلة بالوحي الإلهي من خلال هذا الرد والانكماش والميوعة التي تفرض عليه.

والحق أن أصحاب مقولة: (إن الإسلام دين علماني) يكشفون مراميهم مهما حاولوا خداع القارئ بأنهم: إنما يطورون المبدأ القائل: بأن الإسلام دين ودولة، أو دين وحياة، و أول ما يكشفهم هو ذلك الاستخدام الشاذ الذي يلحُّون عليه لكلمة (علماني)، إن هذا المصطلح أصبح يحمل الآن دلالات ومعاني مستقرة تفيد: فصل الدين عن شؤون الحياة، أو تشير إلى شؤون الحياة وقد فصلت وعزلت عن أي تأثير ديني؛ لذا: فإن الإصرار على استخدام هذه الكلمة في هذا السياق بالذات لتَعْني: مجرد الحياة، يحمل تناقضاً صارخاً؛ لأن المقولة تجمع في طرفيها بين الدين (الإسلام) وضد الدين (أي: العلمانية)، ولا بد في هذه الحالة أن يلغي أحدهما الآخر.

ويتساءل المرء: لماذا لم يُستَخْدم لفظ (الحياة) – مثلاً – بدل (العلماني) لو كانت النوايا حسنة؟! فكيف يكون الإسلام دين علماني إذا كانت العلمانية تعني فصل الدين عن الحياة أو تسيير شؤونها، ولا تعني مجرد (الحياة) كما قد توحي المقولة في ظاهرها؟ وكيف يمكن أن يوصف الإسلام بأنه دين علماني دون أن يعني ذلك بالضرورة القول: إن الإسلام دين

يلغي نفسه بنفسه؟، ولا داعي للاستمرار في توضيح التناقضات الكامنة في هذه المقولة؛ لأنها في النهاية مجرد شعار براق يلنت النظر بالجمع بين الإسلام والعلمانية، بحجة أنه يلغي التناقض المعروف بينهما، لكنه في الحقيقة والفعل – وبعد توضيح مضامينه – يؤكد على هذا التناقض ويثبته؛ حيث يجعل علمانية الإسلام المزعومة تتلخص في أن الإسلام ليس له قوام أو كيان أو هوية مميزة تفرض على الحياة وتسيرها، بل هو خاضع للتشكل إلى حد أن يلغي ويعزل وجوده، وهذه هي العلمانية في جوهرها. إن مقولة الإسلام بوصفه دينًا علمانيًا لا تفيد تكريم الإسلام وتوكيده كما قد يُظن، بل على العكس: تلغيه لصالح تأكيد العلمانية.



وهذه المقولة تفيد مع ذلك في تحديد ملامح عملية علمنة الإسلام التي أشرنا إليها؛ فجوهر هذه العملية الفكرية المعقدة هو إفراغ منتظم لكل المبادئ والقيم والمفاهيم الإسلامية من مضامينها الثابتة والمستقرة (بحجة محاربة الجمود و«الثبوتية» كما يطلقون عليها)، ثم إعادة ملئها بمضامين علمانية متغربة تناقض معناها، أو تركها خاوية مائعة لتتخذ بعد ذلك شتى المضامين.

هذا هو جوهر هذه العملية التي اتخذت من مقولة (الإسلام دين علماني) أحد شعاراتها، ونجد مظاهر هذه العملية المتنوعة في تحركات وطروحات فكرية مختلفة يُروَّج لها على الساحة؛ فمفهوم الاجتهاد مثلاً تحول عن معناه الإسلامي ليصبح في الكتابات العلمانية أداة لتطويع أحكام الإسلام الشرعية لتتناسب وتتوافق مع التوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الغربية العلمانية الطابع.

وهكذا سمعنا الفتاوى تترى من هنا وهناك؛ لتقدم (اجتهادات) وصفت بالإسلامية، تحلل زواج المسلمة بالمسيحي واليهودي، وتحرم

تعدد الزوجات والطلاق، وتبارك مصادرة أراضي وأملاك الأوقاف الإسلامية.. وغير ذلك، أما مفهوم صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، فقد تحول إلى القول بميوعة وهلامية الأحكام الإسلامية ومحدوديتها إلى حد أنها قابلة للتوائم مع كل وضع وظرف؛ فالإسلام صالح لكل مكان وزمان وبيئة، ليس كما يفهم المسلمون (لأن أحكامه تناسب الفطرة البشرية، ولا تقيدها بقيود تخالف طبيعتها)، بل لأن هذه الأحكام كمادة الأثير الأسطورية التي كانت حسب التصور توجد في كل مكان ولا توجد في مكان؛ فإنها شفافة لا يتبين وجودها.

وقائمة المفاهيم والمبادئ الإسلامية التي خضعت لعملية العلمنة طويلة، ويكفي أن نذكر مثلاً: أن مقولة (تغير الفتوى بتغير الظروف) التي تعني ببساطة أن المتصدي للإفتاء ينبغي أن يحسن تبين جوانب المسألة المعروضة عليه مع ثبات الحكم الذي يتنزل عليها، بحيث تتغير هذه الفتوى (وليس الحكم الشرعي) إذا تغير أحد أو بعض جوانب الظروف والملابسات المحيطة بالمسألة مما ينقلها من الوقوع تحت حكم معين إلى الوقوع تحت حكم آخر، تحولت هذه المقولة الفقهية المعروفة عند الكتاب العلمانيين لتعني تغير الأحكام الشرعية نفسها وتبدلها وتحورها مع تبدل الأزمنة والأوضاع، بحيث تصبح الشريعة تابعًا وليس قائداً لمجريات الأحداث والزمن، ومن هذا المدخل جرى تبرير مبدأ (التاريخية) و (النسبية) الذي يطبقه نفر من الكتاب العلمانيين الآن على قضايا الشريعة، بل والعقيدة الإسلامية ذاتها؛ فهم يذهبون إلى أن الأحكام الشرعية والقضايا العقدية ليست سوى أوضاع بشرية المنشأ، يجب أن تتغير بعد زوال الأحوال والظروف التاريخية التي وضعت فيها، وأنها لا تنطبق إلا على هذه الأوضاع الأصلية، ولا تصلح إلا لها، بحيث لا يمكن

إجـراؤها في الظروف القـائـمـة، وهي جـد مـخـتـلفـة وبعـيـدة عـن الأصل الغابر! كل هذه الأفكار يخرجون بها ويبررونها ويتأولونها من مقولة: (تغير الفتوى بتغير الظرف) بعد أن يجروا عليها عملية العلمنة.

وإذا كانت هذه المظاهر من العلمنة دقـيـقـة ومـتـسـمـة بالطابع الفكري العـمـيق – أو الذي يبـدو كـذلك –: فإن هـناك مظاهر أخرى أكثر وضوحًا، ومنهـا: تذويب مـعـالـم الإسـلام في قـســـمــات الأديان والتـآلف بين الأيديولوجيات والأفكار المختلفة.. إن هذه الـدعـاوى تـتـردد الآن من منابر دوليـة مـتـعـددة سواء أكـانت هيـئـات ووكالات الأمم المتحدة، أو المنظمات الكنسـيـة العـالمية، أو وسائل الإعـلام عـابرة القـارات، وظاهر هذه الدعـوات هو نشـر السـلام والمحـبـة والوئام، ونزع أسباب الحروب والصراعات، ومحاربة دعـاوى التـعـصـب والتطرف.. لكن جوهرها الحقيقي هو التمييع والإذابة والتـداخل إلى حـد الإلغـاء، وعـمليـة التـذويـب هذه المروَّج لهـا تحت اسم (التعددية) لن تطال الثقافات القوية (ونقـصـد بالقـويـة تلك التي تسندها دول قوية الجيوش ومدعمة بالمال)، بل ستطال وتؤثر على الثقافات الضـعـيفة التي لا تساندها دول قوية ولا اقتصاد قـوي؛ لذا: فـإن دعـوى (الـتـعـددية) تخـفي وراء مظهـر التـسـامح والرحـابة الفكرية البراق دعـوةً عنصـرية لفـرض ثقافات وقيم وتوجـهـات الغرب على الثـقـافـات الأخـرى، وبالذات على الإسلام بوصفه دينًا وعقيدة وثقافة.

وبجانب ذلك: فإن دعوة (التعددية) تسـوي بين جـمـيع الأطراف الداخلة فيـها، فلا يصبح هناك حـق وباطـل، أو جـيـد ورديء، أو أعلـى و أدنى، بل الكل سـواء طالما أنه دخل في سـيـاق (الـتـعـددية)، فـلا يوجـد فـرق بين بوذي، وهندوسي، وشنتوي، وبهائي، وقـادياني، ويهـودي، ومـسـيـحي، وزرادشـتي... ومـسلم؛ لأن الجـمـيع

أديان وعقائد داخلة في (التعددية)، فليس لأحد منها فضل على الآخر أو الحق في القول: بأنه دين الحق.

والمحصلة النهائية مرة أخرى هي علمنة الإسلام، أي: نزع القداسة والمنزلة الإلهية عنه، وتحويله إلى نِحلة بشرية الوضع تضاف إلى النِّحَل البشرية الوضع أو (العلمانية)! .

إن الأسلوب القديم الذي اتبعته التيارات العلمانية المتغربة في مواجهة الإسلام لم يعد يجدي في ظل الصحوة الإسلامية التي عرفتها السنوات والعقود الأخيرة، لذا: تحتم تغيير زاوية الاقتراب إلى الهجوم، فبدلاً من تنحية الإسلام وإبعاده قسراً عن كل شؤون الحياة من سياسية واجتماعية واقتصادية (وهو مع ذلك مدخل ما يزال متبعًا في بلدان عديدة) بدأ التوجه إلى غزو الإسلام من داخله والإبقاء على الهيكل الخارجي العام مع تفريغه وتخريبه من الداخل، ثم إعادة الملء حيثما أمكن بالقيم العلمانية بعد عملية واسعة من إعادة التفسير والتأويل - كما تسمى -، ولقد عُرفت هذه العملية في بداياتها بأسماء عدة: كالتحديث، والعصرية (الغربية)... وما أشبه ذلك من المصطلحات الخداعة. وفي الفترة الأخيرة جاء شعار: (الإسلام دين علماني)، وتبعته مقولات إعادة قراءة التراث وإعادة تأويله وتفسيره، ثم دعاوى تاريخية الإسلام، و (نسبية الشريعة)، وعلى الرغم من الاختلاف بين هذه المسميات والمصطلحات (وهو اختلاف قد يكون كبيراً وذا مغزى في بعض الأحيان)، إلا أنها تشترك في أنها أدوات متعددة لخدمة العملية الأكبر، وهي: عملية علمنة الإسلام.

والواقع أن فرض العلمنة على العقائد والأديان هي عملية عرفتها المسيحية في الغرب بدءاً من القرن الثامن عشر الميلادي، كما عرفتها اليهودية - فيما يُزعم - من القرن التاسع عشر الميلادي، ولكن هناك فارقًا واضحًا بين

هذه الأديان والإسلام؛ فليس في المسيحية بوضعها المعروف شريعة تذكر، وقد تشكلت عقائدها الكبرى من التثليث والحلول والصلب على مدى تاريخي طويل؛ بما سمح بإعادة تفسيرها أو تحويرها في العديد من المذاهب النصرانية المعاصرة؛ لأنها على أي حال كانت وضعًا بشريًا بحتًا كما يقر الجميع، مما لا تضار معه من فرض المداخل التأويلية والتاريخية العلمانية عليها، أما بالنسبة لليهودية: فإن العلمنة التي فرضت على شريعتها جرت في الواقع لمصلحة الدعوة الصهيونية القومية المتعصبة الجامحة، بحيث كان التخفف من بعض قيود الشريعة عندهم بالعلمنة حافزًا قويًا لبعض الاتجاهات اليهودية في الغرب أن تنضم لحركة اليهودية الصهيونية العالمية وتقويها، ومن هنا: كانت العلمنة مصدر قوة، وليست مصدر ضعف، لا سيما وأن العلمنة التي فرضت على الشريعة اليهودية لم تفرض إلا على أقسام محددة منها، كما أنها لم تفرض على جميع اليهود، بل على قطاعات معينة ومحددة كذلك في أوروبا، وبالمثل: لم تضر العلمنة المسيحية؛ لأنها لم يكن لديها أصلاً شيء تخسره للعلمانية.

كذلك الحال يختلف بالنسبة للإسلام؛ لأن العلمنة تُفرض عليه بالكامل، وعلى نطاق واسع يشمل الشريعة والعقيدة والقيم، كما أنها تفرض على نطاق الأمة بأسرها وعلى كل قطاعات المجتمع المسلم، وفوق ذلك: فإن هناك فارقًا جوهريًا خطيرًا، فالعلمنة عندما زُوجت بالمسيحية واليهودية كان مقصوداً منها أن تقوي هذه الأديان وتجعلها تصمد في وجه التطورات الفكرية والاجتماعية الحديثة في أوروبا منذ القرن الثامن عشر الميلادي، لا سيما وأن هذين الدينين يتقبلان تمامًا دخول العلمانية عليهما بالكيفية التي أشرنا إليها، أما في حالة الإسلام: فإن إدخال العلمنة

في دائرة الضوء

- وعلى عكس الشعارات المرفوعة - كان يهدف - وبوضوح وسفور - إلى ضرب الإسلام، وتذويب هويته، وتمييع قوامه، وزعزعة عقيدته وشريعته، بل وإلى إفراغه من محتواه، وتحويل الهيكل الهش الباقي إلى نصير وحليف ومبرر للعلمانية، بعد أن تملأ قسماته مبادئها وروحها.

إن عملية علمنة الإسلام من العمليات التي تستحق أن تدرس بشكل واسع ومفصل في إطار ملامحها التي رسمناها بشكل عام في هذا المقال.

بريد البيان

الأخ / محمد الصالح: نشكرك على تواصلك مع المجلة، أما بخصوص أسئلتك فقد أحيلت إلى المحرر الأدبي، فأجاب حول ما يخص المجلة بما يلي: إن المقصود بـ «ليلى»: «الدعوة» أو «الصحوة المهتدية» عمومًا... وهي بالتالي: ليلى جديدة تمثل نقلة من الهمّ الشخصي الساذج إلى حمل هم عام أكثر سموًا. أما الإكثار من النواحي السياسية والأدبية: فهو مطلب مقبول، لكن الكثرة تضبطها مراعاة المجلة للتوازن، باعتبارها منبرًا جامعًا يحرص على هذا الشمول.

الأخ / [illegible]: مشاركتك بعنوان «بين عمر بن عبدالعزيز ودعاة اليوم»: تم إجازة الوقفتين الأولى والثانية منها، وستنشران قريبًا – بمشيئة الله –.

الأخ / [illegible]: سعدنا كثيرًا بمشاركتك، غير أن لجنة الإجازة تعتذر؛ لافتقار موضوعك إلى الطرح الشامل رغم أهمية ذلك الموضوع.

الأخ / محمد الزاكي (وفقه الله): مشاركتك «تجارة مختلفة» نعتذر عن نشرها، وهي إلى الخاطرة أقرب منها إلى الأقصوصة. أما مشاركتك «النقد الإحيائي وصراع تثبيت الهوية عند الرافعي والمنفلوطي» فهي معروضة على لجنة الإجازة للنظر فيها.

الأخ / سالم بن علي القحطاني: نشكرك أولاً على مشاعرك النبيلة تجاه المجلة، وأما اقتراحاتك فهي محل عناية أسرة التحرير، ولعلها ترى النور قريبًا.

الأخ / محمد بن عبدالله الرويلي: نشكرك على ثنائك على «البيان» وكتابها، واقتراحاتك وجيهة، وستكون في الاهتمام – بمشيئة الله –.

الأخ / أحمد بن عبدالعزيز بن عمر: الفكرة التي طرحتها تحتاج إلى إعادة صياغة؛ حيث لم ينجح المقال في إيصال المعنى المطلوب، مع شكرنا وتقديرنا لك.

الأخت / شيخة بنت شجاع: نشكر لك ثقتك بالمجلة والقائمين عليها، ومشاركاتك الذاتية ستعرض – حال ورودها – على لجنة الإجازة، والصالح منها سيرى النور – إن شاء الله –.

الأخ / جلال المحلاوي: قصتك «المقرئ»، برغم ما فيها من روح إسلامية وأسلوب قصصي واعد، غير أن قالبها غير موفق، وننصح – أخانا – بكثرة الاطلاع لصقل موهبته القصصية.

الأخ / عبدالرحمن الحوتان: ستصلك رسالة خاصة – إن شاء الله (تعالى) –.



المصارحة مع النفس

بقلم : أحمد بن عبدالرحمن الصويان

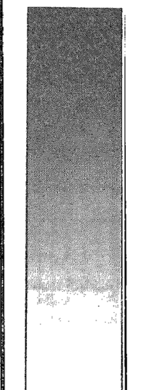
اعتاد بعض الناس على التغاضي عن أخطائهم، والحرص الشديد على تسويغها، والتماس المعاذير لدفنها والسكوت عنها.. بل قد يتجرأ بعضهم في الدفاع عنها وتحويلها إلى مكاسب وحسنات، كما اعتاد بعضهم النظر إلى الناقد - أيًّا كان هدفه أو أسلوبه - بعين الريبة والشك، ومن ثم: التهميش والإهمال..!.

ربما يكون سبب ذلك: ضعف في التربية والتكوين النفسي للفرد؛ مما يجعله يخاف من الاعتراف بالخطأ، وربما يظن أن اعترافه بالخطأ يسقط من قدره ومكانته، وربما يكون سبب ذلك: التعصب والتحزب الذي يقود إلى الهوى الذي يعمي ويصم، وربما تكون هناك أسباب أخرى تختلف باختلاف الناس والأحوال...!.

وتزداد هذه الظاهرة بروزاً عندما يكون الخطأ منسوباً لأحد الأشياخ المتبوعين، أو لإحدى التجمعات الدعوية؛ فيظن بعض الأتباع أن نقد الشيخ أو التجمع قدح وذم في إمامهم أو تجمعهم، ولهذا يكون الدفاع عنه أكثر تشنجاً وتعسفاً، وإلى هذا يشير «المعلمي» بقوله : «من أوسع أودية الباطل الغلو في الأفاضل: ومن أمضى أسلحته: أن يرمي الغالي كل من يحاول رده إلى الحق ببغض أولئك الأفاضل ومعاداتهم».(1)

هكذا اعتاد بعض الناس، ولكن القرآن الكريم يربينا على منهج آخر، إنه

1) التنكيل، جـ1 ص6 .



منهج المراجعة والمحاسبة وتدارس الأعمال بكل صدق وتجرد، ومن ثم: المصارحة والمكاشفة التي تتلمس مواضع النقص والعيب، لا لتضخيمها وازدراء النفس من أجلها، ولكن من أجل تدارك الحال وتقويمه.

انظر إلى الصحابة (رضي الله عنهم) في غزوة أحد بعد أن أصابهم ما أصابهم من اللأواء والعنت والمشقة، يتنزل عليهم قول الله (تعالى) واضحاً جلياً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، ثم قال الله (تعالى) لهم: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وفي غزوة حنين يعاتب الله (تعالى) المؤمنين بقوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

بل إن الله (تعالى) يعاتب نبيه محمداً ﷺ – وهو سيد ولد آدم – في غير آية، قال الله (تعالى): ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [عبس: ١ – ١٠]، وقال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]، وقال (تعالى): ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

غاية في الوضوح والصراحة التي تبني الثقة في نفس الإنسان، وتجعله يستثمر هفواته وأخطاءه في تقويم النفس وتزكيتها، وإعادة بنائها، وأما المجاملة والمداورة والمهادنة، فكما أنها ترسخ من الخطأ وتنميه وتسقي جذوره حتى يظهر أثره في الأجيال اللاحقة، فهي أيضاً تنفخ في الذات الإنسانية حتى تظن أنها قد بلغت الكمال أو قاربت..!!.

والمصارحة في بيان الأخطاء تعني: التناصح وتسديد المعايب بمحبة ورحمة وإشفاق، ولا تعني: التفاضح، والتراشق بالتهم للتشفي والانتقام، وتتبع الهفوات للتقليل من أقدار الناس وإسقاطهم. وبين الحالين خيط رفيع لا يحسنه إلا من هداه الله (تعالى) إلى نور الحكمة وزكاة النفس.

والإنصاف من الأخلاق النبيلة العزيزة..!.

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة صغيرة

هو الصهيوني

كما عرفناه - من منطلقات ديننا الحنيف - شعب ملعون وغادر وناكث بالعهود ومتوحش في عدوانه، فهم قتلة الأنبياء ولما لديهم من وزن اقتصادي وإعلامي، فإنهم يستغلون الأحداث لصالحهم ولكن لا يصنعونها: لقد اغتصبوا الأرض المقدسة في فلسطين بتواطؤ دولي معروف، وساموا الشعب الفلسطيني المسلم سوء العذاب بمذابح ومآسٍ. والآن يمر الصراع معهم بمرحلة (الصلح الذليل)، وقد ظهر إلى أي مدى كانت العلاقة الوثيقة بين بعض العرب ويهود من وراء الكواليس، وأن العداء المزعوم إنما كان ضحكًا على الذقون... لقد تداعى القوم لولوج سلام الشرق الأوسط الذي سموه بغير اسمه (سلام الشجعان) والحقيقة أنه العار والشنار والتنازل عن المقدسات، بل وصل الأمر للسقوط في أحبال يهود.

وفي هذا الخضم يعربد الصهاينة بحصار ما يسمى بسلطة الحكم الذاتي، وبذل الشعب الفلسطيني، ويأتي العدوان الأخير على لبنان الذي هو تكرار لما حدث عام ٨٢، وتسقط الضحايا، وتدمر البنية التحتية، وتضرب العاصمة بيروت، والعرب لا يملكون أن يقدموا سوى الشجب والتنديد، ويرفض مجلس الأمن حتى مجرد إدانة للعدو؛ لمكانة العرب المعروفة !!!.

أيها العرب هل تبقّى لكم بعد هذا الذل مكان؟ هل تستطيعون حتى مجرد التلويح بإلقاء هذا السلام، هل تجرؤون على جمع كلمتكم. إن منطلقاتكم ليست واحدة والطريق الذي يرهبه العدو عطلتموه وحاربتموه معًا، إن عدونا الصهيوني لا يرهبه سوى أتباع الذي أخبر: «يا عبدالله يا مسلم هذا يهودي ورائي تعالى فاقتله» ﷺ.

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

في هذا العدد :

■ الموزعون ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة – ش الجلاء – الاهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن احمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٢٤٥٧٤٥/٥٤

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ١٠٦٥٥ بباب البلقة ، هاتف ٣٠٥٩٣٥

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥.

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف – المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ – ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065

الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ٥ر١ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالا ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيه ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)

نحو ترشيد الصحوة الإسلامية

بالحوار حولها

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد .

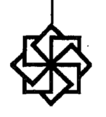
مرت الدعوة الإسلامية المعاصرة في عقودها الأخيرة بتجارب مختلفة – وهي كجهد بشري – لها سلبياتها وإيجابياتها؛ نتيجة مدى قربها أو بعدها من مشكاة النبوة؛ مما جعل الغيورين على هذه الدعوة يطالبون بضرورة المراجعة والحوار لحل الإشكاليات التى أدت إلى سلبيات لا تخفى على الجميع، فما الهدف – إذن – من نقد الصحوة الإسلامية..؟!.

هل هو : النقد من أجل النقد ، وملء صفحات المجلة بلون من ألون الترف المعرفي؟!.

هل هو سبيل لتزكية الذات وإلقاء التبعة على الآخرين ؟!.

أم هو وقفة تقويمية تلائم المفترق الذي تمر به الصحوة الإسلامية؟!.

كانت تلك الأسئلة تراودنا كثيراً عند إعدادنا للملف (متابعات حول نقد الصحوة الإسلامية) المنشور في العدد السابق، وكنا نقدِّم رجلاً ونؤخر ثانية، ولكننا أخيراً... رأينا أن نستعين بالله (تعالى) وننشر ما وَصَلنا من مشاركات الكُتَّاب، ونرجو أن يكون القراء قد وجدوا فيها ما يستحق العناية والتقدير ... وثمَّة ملحوظات مهمَّة أردنا أن نؤكد عليها في فاتحة هذا العدد :





أولاً : الذين يخافون من النقد لهم بعض الحق في ذلك؛ فالصحوة الإسلامية المعاصرة أصبحت مادة عذبة وفاكهة شهية للأقلام الحاقدة الحاسدة، التي صوبت سهامها لمحاربة كل – أو بعض – أبواب التدين ، وسعت بكلٍّ إمكاناتها وقدراتها

لتجفيف منابعه وسدٍّ أبوابه، وأجلبت بخيلها ورجلها لحرب علمائه ودعاته..!!.

وكذلك فبعض الناقدين يتحدثون بصورة الاستعلاء والفوقية وتحقير الخصوم، وينظرون إلى الناس نظرة ازدراء واستهانة؛ فترى شغلهم الشاغل وهمهم الغالب هو: افتعال الخلاف، وتصيد العثرات وتضخيمها بصورة تطغى على رؤيتهم؛ فتحجب عليهم منافذ الرؤية والرأي..!!.

ولكننا في الوقت ذاته لا نرى أنَّ الأقلام الشانئة الحاقدة، أو الجاهلة المتنطعة، تحجبنا عن البحث عن الحقيقة، أو سلوك السبيل القويم.

ونحسب أنَّ النقد العلمي البناء من المحب المشفق الصادق نعمة عظيمة ثمرتها: معرفة النقص أو القصور لعلاجها وتداركها، وبالتالي: الترقي في درجات النضج والكمال.

إنَّ التناصح باب عظيم من أبواب التعاون على البر والتقوى، حثَّ عليه الشرع، وتواترت به النصوص، ولأن يأتي هذا التناصح من داخل البيت الواحد بصوت مشفق حنون مخلص، خير من أن يأتي من خارجه وقد علته الغبرة، ودفعه الهوى أو البغض - والعياذ بالله (تعالى) -.

وعندما فتحنا ذلك الملف، كنا نستحضر المكتسبات العظيمة، والمنجزات الكبيرة التي قدمتها الصحوة الإسلامية - عبر تاريخها المعاصر - في شتى المجالات (الدعوية والعلمية والاجتماعية والسياسية.. ونحوها). والنقد الذي نطمح إليه هو وسيلة من وسائل حفظ تلك المكتسبات، بل تنميتها وتطويرها وتسديدها لتحقيق أكبر قدر ممكن من النجاح - إن شاء الله (تعالى) -.



ثانياً: أنَّ الصحوة الإسلامية المعاصرة بتاريخها الطويل، ومكتسباتها العديدة، وامتدادها الرحب الواسع الذي ملأ الآفاق، لا يتيسر نقدها نقداً شاملاً وعميقاً بمقالة عابرة أو بسلسلة مقالات مهما بلغت جودتها، ولا يتيسر تقويمها تقويماً متكاملاً من شخص واحد أو عدة أشخاص اختزلت تجربتهم الدعوية والفكرية في نطاق محدود، وإنما يحتاج تقويم الصحوة إلى جهود كثيرة تتضافر، ومراكز بحثية متخصصة تنتج أفكاراً تتلاقح؛ لينضج بعضها بعضاً، ولكن حَسْبُنا



في ذلك الملف: أننا أسهمنا في تجديد هواءٍ ساكن، وتحريك ماءٍ راكد، ولعل هذا يستحث أهل العلم والكفاءة للمساهمة معنا بتعليقاتهم واجتهاداتهم.

ثالثًا: احتوى ملف (متابعات حول نقد الصحوة الإسلامية) على مسائل عديدة، وناقشها من زوايا وأبعاد مختلفة، مما يعطيه صبغة الشمول النسبي.

ولكن افتقد الملف محاور مهمة جداً، كنا نتمنى أن تتم معالجتها وتدارسها، ولم يتيسر ذلك.

ومن أبرز هذه المحاور:

المحور الأول: التقويم الشرعي والفكري لمسيرة الصحوة الإسلامية:

لا يخفى على كلِّ متابع أن هناك مدارس مختلفة في فهم النص الشرعي ومنهج تلقيه والتعامل معه؛ ممَّا جعل هناك تبايناً واضحاً في طرائق الاستدلال والمعرفة، وأساليب التفكير والتربية، وبالتالي: أدى ذلك إلى الاختلاف في توصيف الواقع وتحديد مشكلاته وخصائصه؛ ولهذا نرى أطروحات مختلفة في مناهج التغيير والدعوة والفكر والبناء، تصل إلى حدِّ الغلو والإفراط أحياناً، وتنزل إلى حدِّ الإرجاء والتمييع أحياناً أخرى، وبين هذين البعدين مدارس أخرى كثيرة تقرب وتبعد من المنهج الحق.

ونحسب أنَّ التقويم المعرفي والفكري، ونقد الخطاب الدعوي، وما يتبع ذلك من دراسة مناهج التغيير: جانب في غاية الضرورة والأهمية؛ لأنه السبيل لمعرفة منهاج الفرقة الناجية السالمة من الشبهات والشهوات التي وصف الله (تعالى) طريقها بقوله: **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [**يوسف**: ١٠٨]



المحور الثاني: التصدع الداخلي في بعض صفوف أهل الصحوة الإسلامية:

على الرغم من الخير الكثير الذي قدمته الصحوة، وعلى الرغم من الانتشار الواسع الذي انتظم شريحة كبيرة من أبناء المسلمين، إلا أنه ممَّا تضيق به صدور المخلصين من العلماء والدعاة والمصلحين: وجود ذلك التنازع والتقاطع بين أبناء البيت الواحد، بل التهارش والتدابر، بل البغي والظلم (!!) الذي أنهك الطاقات

افتتاحية العدد

وأعجزها ، حتى أصبحت الحزبية - بمعالمها المختلفة - شرخاً غائراً يسيطر على بعض الصفوف، ويعوقها عن العمل الجاد والمثمر، وأصبح - والعياذ بالله - معيار الولاء والمحبة عند بعضهم مقدار قربهم أو بعدهم من الحزب ..!!.

لقد استعرت نيران الحزبية - عند بعضهم - بصورة محزنة جداً، حتى استطاع الأعداء أن ينفذوا من خلالها لتفريق الصفوف وضرب بعضها ببعض، وصدق الحق (تعالى) بقوله: ﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ [**الأنفال**: ٤٦].

المحور الثالث : الضعف الإداري والفني :

الضعف الإداري والفني سمة مميزة لمعظم أبناء ومؤسسات المنطقة الإسلامية، بسبب الظروف السياسية والاجتماعية التي مرت بها الأمة، وأبناء الصحوة الإسلامية جزء لايتجزأ من هذا النسيج الواسع، حيث أصابهم ما أصابهم من عدوى الضعف - وأحياناً التخلف - الإداري والفني، وظهرت علامات ذلك عند بعضهم - ضعف الخطط والبرامج الآنية والمرحلية والدراسات المستقبلية ، وقصور في تحديد الأولويات ، وعجز ظاهر في توظيف الطاقات والإمكانات المتوفرة، وتخبط في ردود الأفعال، وأصبح بعض أبناء الصحوة الإسلامية يجترون تجارب سابقة ، ويستنسخونها بآلية ساذجة، وبدون وعي بالمتغيرات الإقليمية والدولية!!.

تلك إذن : محاور جديدة مقترحة لمزيد من الحوار وتبادل الرأي ، نتمنى أن يتحفنا بدراستها وعلاجها أولو الرأي والحكمة والخبرة، وأبواب المجلة مشرعة - إن شاء الله (تعالى) - لكل رأي جاد مخلص .



ونؤكد - ختاماً - أنَّ الهدف من هذا الحوار كله هو: التناصح والتواصي بالحق ، بعيداً عن الهمز أو اللمز أو التعالي والتشفي ، يحدونا في ذلك قول الله (تعالى): ﴿ **وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ** ﴾ [**هود**: ٨٥]. وقول النبي ﷺ : «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا».



اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه.

دراسات شرعية

تعظيم الله (تعالى) وشعائره

بقلم : د. عبد العزيز بن محمد آل عبداللطيف

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد :

فإن تعظيم الله (تعالى) ـ وتعظيم ما يستلزم ذلك من شعائر الله (تعالى) وحدوده ـ من أجلّ العبادات القلبية وأهم أعمال القلوب، التي يتعين تحقيقها والقيام بها، وتربية الناس عليها، وبالذات في هذا الزمان الذي ظهر فيه ما يخالف تعظيم الله (تعالى) : من الاستخفاف والاستهزاء بشعائر الله (تعالى)، والتسفيه والازدراء لدين الله (تعالى) وأهله.

إنّ الإيمان بالله (تعالى) مبني على التعظيم والإجلال له (عزّ وجل)[1]، قال الله (تعالى) : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ [مريم : ٩٠].

قال الضحاك بن مزاحم ـ في تفسير هذه الآية ـ : « يتشققن من عظمة الله (عز وجل) »[2].

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية أهمية تعظيم الله (سبحانه) وإجلاله فيقول : « فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله (سبحانه وتعالى)، والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يُتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال

---

١) انظر تفسير السعدي : ٣/٢٥٩.

٢) العظمة لأبي الشيخ : ١/٣٤١.

والإكـرام، الذي هو حـال في القلب يظهـر أثره على الجـوارح، بل قـارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح».(١)

ومما قـاله ابن القـيّم عن منزلة التعظيم: « هذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الربّ (تعالى) في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيماً وإجلالاً، وقد ذم الله (تعالى) من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته، قال (تعالى): ﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح: ١٣]، قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة، وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته.

وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فـإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت..»(٢).

وتعظيم الله وإجلاله لا يتحقق إلا بإثبات الصفات لله (تعالى)، كما يليق به (سبحانه)، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والذين ينكرون بعض صفاته (تعالى) ما قدروا الله (عز وجل) حق قدره، وما عرفوه حق معرفته(٣)، ولما كان من أسماء الله (تعالى) الحسنى: «المجيد» و «الكبير» و «العظيم» فإن «معنى هذه الأسماء: أن الله (عز وجل) هو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجلّ وأعلى.

وله التعظيم والإجلال، في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه»(٤).

ويقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي – في هذا المقام: «إن الإنسان إذا سمع وصفاً وصف به خالق السموات والأرض نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، فليملأ صدره من التعظيم، ويجزم بأن ذلك الوصف بالغ

١) الصارم المسلول.

٢) مدارج السالكين: ٢/ ٤٩٥ .

٣) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٣/ ٦٠ .

٤) تفسير السعدي: ٥/ ٦٢٢ .

من غايات الكمال والجلال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون القلب منزهاً معظماً له (جلّ وعلا)، غير متنجّس بأقذار التشبيه...»[1].

ومما يوجب تعظيم الله (تعالى) وإجلاله: أن نتعرّف على نعم الله (تعالى)، ونتذكّر آلاء الله (عزّ وجلّ)، ومما قاله أبو الوفاء ابن عقيل في ذلك: «لقد عظم الله (سبحانه) الحيوان، لا سيما ابن آدم، حيث أباحه الشرك عند الإكراه وخوف الضرر على نفسه، فقال: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]: من قدّم حرمة نفسك على حرمته، حتى أباحك أن تتوقى وتحامى عن نفسك بذكره، بما لا ينبغي له (سبحانه)، لحقيق أن تعظم شعائره، وتوقر أوامره وزواجره، وعصم عرضك بإيجاب الحدّ بقذفك، وعَصَم مالك بقطع مسلم في سرقته، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقتك، وأباحك الميتة سداً لرمقك، وحفظًا لصحتك، وزجرك عن مضارك بحد عاجل، ووعيد آجل، وخَرقَ العوائد لأجلك، وأنزل الكتب إليك، أيحسن بك – مع هذا الإكرام – أن تُرى على ما نهاك منهمكاً، وعما أمرك متنكبًا، وعن داعيه معرضًا، ولسنته هاجراً، ولداعي عدوك فيه مطيعاً؟.

يعظمك وهُوَ هُوَ، وتهمل أمره وأنت أنت، هو حطّ رتب عباده لأجلك، وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجُدها لك.

ما أوحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان بينا يكون بحضرة الحق، وملائكة السماء سجود له، تترامى به الأحوال والجهالات بالمبدأ والمآل، إلى أن يوجد ساجداً لصورة في حجر، أو لشمس أو لقمر، أو لشجرة من الشجر، ما أوحش زوال النعم، وتغيّر الأحوال، والحور بعد الكور»[2].

ولقد كان نبينا محمد ﷺ يربي أمته على وجوب تعظيم الله (تعالى)، ففي حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول ﷺ فقال: يا محمد، إنّا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع،

١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: ص٣٦.

٢) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب: ١/١٥٣.

والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ **﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾** [الزمر: ٦٧].

وما في الآية يدل على أن عظمة الله (تعالى) أعظم مما وصف ذلك الحبر، ففي الآية الكريمة تقرير لعظمة الله (تعالى) نفسه، وما يستحقه من الصفات، وأن لله (عز وجل) قدراً عظيماً، فيجب على كل مؤمن أن يقدر الله حق قدره[١].

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عند هذه الآية الكريمة:

ما ذكر الله (تبارك وتعالى) من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعل هذا، وهذا قَدْر ما تحتمله العقول، وإلا فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل... فَمَن هذا بعض عظمته وجلاله كيف يُجعل في رتبته مخلوق لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؟»[٢].

ولما قال الأعرابي لرسول الله ﷺ: «فإنا نستشفع بالله عليك، فقال النبي ﷺ: سبحان الله، سبحان الله! فما زال يسبِّح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه»[٣].

وقد اقتفى الصحابة (رضي الله عنهم) - ومن تبعهم بإحسان - هذا المسلك، فعظّموا الله حق تعظيمه، وعُمرت قلوبهم بإجلال الله (تعالى) وتوقيره: فهذا ابن عباس (رضي الله عنهما) يقول لبعض أصحاب المراء والجدل: «أما علمتم أن لله عباداً أصمتهم خشية الله (تعالى) من غير عيّ ولا بكم، وإنهم لَهُمُ العلماء العصماء النبلاء الطلقاء، غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله (تعالى) انكسرت قلوبهم، وانقطعت ألسنتهم، حتى إذا استفاقوا من ذلك، تسارعوا إلى الله بالأعمال الزاكية، فأين أنتم منهم؟».[٤].

وكان أهل العلم يعظمون ربهم،

---

١) انظر: فتاوى ابن تيمية، مجلد ١٣/ ١٦٠-١٦٢.

٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب: ٤/ ٣٤٦.

٣) سنن أبي داود: كتاب السنة، ح/ ٤٧٢٦.

٤) أخرجه الهروي في ذم الكلام ص١٨٤.

دراسات شرعية

ويقدرونه (عزّ وجل) حق قدره، حتى قال عون بن عبد الله: «ليعظم أحدكم ربه، أن يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول: أخزى الله الكلب، وفعل الله به كذا»(١).

ويقول الخطابي: «وكان بعض من أدركنا من مشايخنا قلّ ما يذكر اسم الله (تعالى) إلا فيما يتصل بطاعة»(٢).

«وكان أبو بكر الشاشي يعيب على أهل الكلام كثرة خوضهم في الله (تعالى)، إجلالاً لاسمه (تعالى)، ويقول: «هؤلاء يتمندلون(٣) بالله (عزّ وجلّ)(٤)».

ومن أروع الأمثلة التي دوّنها التاريخ عن سلفنا الصالح، وتعظيمهم لله (عزّ وجلّ)، ما وقع لإمام دار الهجرة مالك بن أنس (رحمه الله تعالى)، لما سأله أحدهم عن قوله (تعالى): ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟.

فما كان موقف الإمام مالك إزاء هذا السؤال؟ يقول الرواي: «فما رأيته وجد (غضب) من شيء كوجده من مقالته، وعلاه الرحضاء (العرق)، وأطرق القوم، فجعلوا ينتظرون الأمر به فيه، ثم سُرِّي عن مالك، فقال: الكيف غير معلوم، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً، ثم أُمر به فأُخرج».(٥)

فتأمّل (رحمك الله) ما أصاب الإمام مالك (رحمه الله) من شدة الغضب وتصبب العرق إجلالاً وتعظيماً لله (تعالى) وإنكاراً لهذا السؤال عن كيفية استواء الربّ (تعالى).

ومن الأمثلة في هذا الباب ما جرى للإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله تعالى)، لما مر مع ابنه (عبدالله) على قاص يقص حديث النزول فيقول: إذا كان ليلة النصف من شعبان ينزل الله (عزّ وجلّ) إلى سماء الدنيا بلا زوال ولا انتقال ولا تغير حال، يقول عبدالله: فارتعد أبي، واصفر لونه، ولزم يدي، وأمسكته حتى سكن، ثم قال: قف بنا على هذا المتخرص، فلما حاذاه قال: يا هذا رسول الله أغير على ربه (عزّ وجلّ)

---

١) شأن الدعاء للخطابي ص١٨، ووردت هذه المقالة عن مطرف بن عبدالله بن الشخير، كما في الحلية لأبي نعيم ٢/٢٠٩، وذم الكلام للهروي ص١٩٠ .

٢) شأن الدعاء ص ١٨، ١٩ .

٣) من المنديل، يريد الامتهان والابتذال .

٤) الشفا للقاضي عياض ٢/١٠٩٦ .

٥) أخرجه الصابوني في عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص١٧، ١٨ .

منك، قل كما قال رسول الله ﷺ»(١).

ومن تعظيم الله (تعالى): تعظيم كلامه، وتحقيق النصيحة لكتابه تلاوة وتدبراً وعملاً، وقد حقق سلفنا الصالح الواجب نحو كتاب الله (تعالى) من التعظيم والإجلال، حتى إن بعض السلف كانوا يكرهون أن يصغروا المصحف.(٢)

وقال بعضهم: والله ما نمت في بيت فيه كتاب الله، أو حديث رسول الله ﷺ احتراماً لهما(٣).

ومما يجب تعظيمه وتوقيره: تعظيم رسول الله ﷺ وتوقيره، وتعظيم سنته وحديثه، يقول «ابن تيمية» في تقرير وجوب توقيره وإجلاله: «إن الله أمر بتعزيره وتوقيره، فقال: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩] والتعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار.

ومن ذلك: أنه خصّه في المخاطبة بما يليق به، فقال: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، فنهى أن يقولوا: يا محمد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يانبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك والله (سبحانه وتعالى) أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحداً من الأنبياء، فلم يَدْعُه باسمه في القرآن قط...

ومن ذلك: أنه حرّم التقدم بين يديه بالكلام حتى يأذن، وحرم رفع الصوت فوق صوته، وأن يُجهر له بالكلام كما يجهر الرجل للرجل...

ومن ذلك: أن الله رفع له ذكره، فلا يُذكر الله (سبحانه) إلا ذكر معه، وأوجب ذكره في الشهادتين اللتين هما أساس الإسلام، وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام، وفي الصلاة التي هي عماد الدين...».(٤)

ومما يجدر التنبيه عليه: أن التعظيم المشروع لرسول الله ﷺ هو تعظيمه بما

١) أورد هذه القصة عبدالغني المقدسي في كتابه «الاقتصاد في الاعتقاد» ص ١١٠ .

٢) انظر الحلية لأبي نعيم ٤ / ٢٣٠ .

٣) انظر طبقات السبكي ٦ / ٨٢ .

٤) الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول ص٤٢٢ – ٤٢٤ = باختصار .

يحبه المعظَّم ويرضاه ويأمر به ويثني على فاعله، وأما تعظيمه بما يكرهه ويبغضه ويذم فاعله، فهذا ليس بتعظيم، بل هو غلو منافٍ للتعظيم.(١)

وعقد الدارمي ـ في سننه ـ باباً بعنوان: باب تعجيل عقوبة من بلغه عن النبي ﷺ حديث فلم يعظمه، ولم يوقره(٢)، وأورد الدارمي جملة من الآثار التي تضمنت عقوبات ومثلات في حق من لم يعظِّم حديث رسول الله ﷺ .

وقد عني السلف الصالح بتعظيم السنة النبوية وإجلال رسول الله ﷺ، ومن ذلك: ما قاله عبد الله بن المبارك عن الإمام مالك بن أنس: «كنت عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله ﷺ فلدغته عقرب ست عشرة مرة، ومالك يتغير لونه ويصفر، ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ، فلما فرغ من المجلس وتفرق الناس، قلت: يا أبا عبدالله، لقد رأيت منك عجباً! فقال: «نعم إنما صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ»(٣).

«وقال الشافعي (رحمه الله تعالى): يكره للرجل أن يقول: قال رسول الله، ولكن يقول: رسول الله ﷺ؛ تعظيماً لرسول الله ﷺ».(٤)

وممن يجب تعظيمهم وإجلالهم: صحابة رسول الله ﷺ، فيتعين احترامهم وتوقيرهم، وتقديرهم حق قدرهم، والقيام بحقوقهم (رضي الله عنهم).

وقد خرج جرير بن عبد الله البجلي، وعدي بن حاتم، وحنظلة الكاتب (رضي الله عنهم) من الكوفة حتى نزلوا قرقيساء وقالوا لا نقيم ببلدة يشتم فيها عثمان بن عفان.(٥)

وباعد محمد بن عبد العزيز التيمي داره وقال: لا أقيم ببلدة يشتم فيها أصحاب رسول الله ﷺ.(٦)

ولما أظهر ابن الصاحُب الرفضَ ببغداد (سنة ٥٨٣هـ) جاء الطالقاني إلى صديق فودَّعه، وذكر أنه متوجه إلى بلاد قزوين.

فقال صديقه: إنك ههنا طيّب، وتنفع الناس.

فقال الطالقاني: معاذ الله أن أقيم ببلدة يجهر فيها بسبّ أصحاب رسول الله ﷺ،

---

١) انظر تفصيل ذلك في الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبدالهادي ص٣٨٥ .

٢) انظر سنن الدارمي ١/١١٦ فما بعدها .

٣) الديباج المذهب لابن فرحون ١/١٠٤ .

٤) أخرجه الهروي في ذم الكلام ص٢٢٥ .

٥ ، ٦) انظر الإبانة الصغرى لابن بطة ص١٦٤

ثم خرج من بغداد إلى قزوين، وأقام بها إلى أن توفي بها.(١)

وبالجملة يجب تعظيم شعائر الله (تعالى) جميعها، كما قال (تعالى): ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

ويلحظ الناظر في حال المسلمين أن ثمة مخالفات تنافي تعظيم الله (تعالى) وشعائره كالاستهزاء، أو الاستخفاف، أو الازدراء، أو الانتقاص لدين الله (تعالى) وشعائره.

وتظهر هذه المخالفات عبر وسائل الإعلام المختلفة، ومن خلال منابر ثقافية ومؤسسات علمية مشبوهة وغيرها.

ويمكن أن نشير – في خاتمة هذه المقالة – إلى أهم أسباب وقوع تلك المخالفات المنافية للتعظيم، ومنها:

الجهل بدين الله (تعالى)، **وقلة** العلم الشرعي، **وضعف التفقه** في هذا الأصل الكبير، ومنها: **غلبة نزعة الإرجاء** في هذا الزمان، فمرجئة هذا الزمان الذين يقررون أن الإيمان تصديق فقط، ويهملون العبادات القلبية، كانوا سبباً رئيساً في ظهور وجود هذه المخالفات ... فيمكن أن يكون الرجل ـ عندهم ـ مؤمناً ما دام مصدقاً، وإن استخف بالله (تعالى)، أو استهزأ برسوله ﷺ أو دينه!! **ومن أسباب هذه الظاهرة**: وجود علم الكلام قديماً، الذي لا يزال أثره باقياً إلى هذا العصر، فأهل الكلام يخوضون في الله (تعالى) وصفاته، مما أورثهم سوء أدب مع الله.

وأخيراً: فإن من أسباب ذلك: **كثرة الترخص والمداهنات والتنازلات من علماء السوء الذين أُشربوا حب الدنيا والرياسة، فجعلوا الدين ألعوبة** يأخذون منه ويدعون.

ورحم الله ابن القيّم حيث يقول: «كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه؛ لأن أحكام الرب (سبحانه) كثيراً ما تأتي على خلاف أغراض الناس...».(٢)

---

١) طبقات السبكي ٦/١١

٢) الفوائد ص٩٣.

مصادر التفسير: (٣)

تفسير الصحابة للقرآن

ـ الحلقة الثالثة ـ

بقلم: مساعد بن سليمان الطيار

بعد أن أنهى الكاتب الحديث عن التفسير بالقرآن والتفسير بالسنة، تطرق في الحلقتين الماضيتين إلى الحديث عن تفسير الصحابة باعتباره مصدراً ثالثًا للتفسير، فذكر أهمية تفسيرهم، ثم بدأ يفصِّل مصادرهم في التفسير، وأن له مرجعين: **أولاً: ما يرجع إلى النقل**، فأورد تفصيل ذلك.

وفي هذه الحلقة يتحدث الكاتب عن المرجع الثاني وتفاصيل أخرى من الموضوع. **البيان**



ثانيًا: ما يتعلق بالفهم والاجتهاد (الاستدلال):

يكون معتمد المفسِّر في هذا القسم العقل، ولا خلاف في أن الصحابة قد اجتهدوا في بيان القرآن، وقد نبَّه ابن الأثير إلى ذلك في شرحه لحديث: «من قال في كتاب الله (عز وجل) برأيه...»[١]، حيث قال: «وباطل أن يكون المراد به: أن لا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه، فإن الصحابة (رضي الله عنهم) قد فسَّروا القرآن، واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ﷺ، وإن النبي ﷺ دعا لابن عباس، فقال: «اللهم فقِّهه في الدين وعلِّمه التأويل»[٢]، فإن كان التأويل مسموعًا كالتنزيل، فما فائدة تخصيصه بذلك؟»[٣].

١) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود، ح/ ٧٩٠ . ـ البيان ـ

٢) أخرجه أحمد، جـ١ص٢٦٦، وصحح إسناده أحمد شاكر، ح/٢٣٩٧، ح/٢٨٨١. ـ البيان ـ

٣) جامع الأصول، جـ٢ص٤ .

ويشتمل هذا القسم على أربعة أنواع، هي:

١ - تفسير القرآن بالقرآن :

قد سبق الحديث عن أن تفسير القرآن بالقرآن مرجعه إلى الرأي، وذلك أن ربط الصحابي بين آية وأخرى كان معتمداً على العقل، ولو كان عنده سندٌ إلى رسول الله ﷺ لذكره، مثل ما مرَّ ذكره في تفسير قوله (تعالى): ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾ [**الأنعام**: ٨٢] حيث أُسند إلى الرسول ﷺ.

ومن الأمثلة الواردة عنهم في تفسير القرآن بالقرآن ما يلي:

عن عمر بن الخطاب في تفسير قوله (تعالى): ﴿**وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ**﴾ [**التكوير**: ٧] قال: تزويجها: أن يؤلف كل قوم إلى شبههم، وقال: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ**﴾ [**الصافات**: ٢٢][١].

و مما يحسن بحثه في هذا الموضوع: كيفية استفادة الصحابة من القرآن في تفسيرهم.

٢ - تفسير القرآن بأقوال الرسول ﷺ مما لم ينص فيها على التفسير :

سبق الحديث عن هذا القسم، وأن معتمد المفسر هاهنا العقل، وذلك لأن الصحابي يجتهد في ربط الحديث بمعنى الآية.

ومن أمثلته: ما رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن النبي ﷺ قال: «فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح» يقول أبو هريرة: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**﴾»[٢].

فنلاحظ أن أبا هريرة نزَّل الحديث على معنى الآية، فجعل اجتماع الملائكة هو الشهود الذي يحصل في صلاة الفجر.

٣ - التفسير اللغوي (المحتملات اللغوية) :

نزل القرآن بلغة الصحابة (رضي الله عنهم)، ولذا: فهم أئمة التفسير اللغوي، وإذا روي عن أحدهم تفسير لغوي، فإن محلَّه القبول.

وبالنظر إلى الألفاظ اللغوية المفسَّرة تجد أنها على قسمين:

الأول: ألاَّ يحتمل اللفظ إلا معنى واحداً، وهذا ما لا يقع فيه خلاف،

١) انظر: الدر المنثور، جـ٨ ص٤٣٠.

٢) انظر: فتح الباري، جـ٨ ص٢٥١.

وهو أشبه بأن يجعل من القسم الذي طريقه السماع لا الاجتهاد، لعدم الحاجة لإعمال الرأي في مثل هذا.

الثاني: ما يحتمل أكثر من معنى، والسياق محتمل لها جميعها، ففي مثل هذا يكون التَّميزُ وإعمال الرأي اعتماداً على المعنى اللغوي، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره الطبري في تفسير قوله (تعالى): ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ**﴾ [**المطففين**: ٢٦] أن فيه ثلاثة أقوال، اثنين منها عن صحابيين:

القول الأول: بمعنى خِلْطُهُ، وهذا قول ابن مسعود، قال: «أما إنه ليس بالخاتم الذي يختم، أما سمعتم المرأة من نسائكم تقول: طيب كذا وكذا خلطه مسك».

القول الثاني: بمعنى: آخر شرابهم، وهذا قول ابن عباس، قال: «طيَّب الله لهم الخمر، فكان آخر شيء جعل فيها حتى تختم بالمسك»(١).

٤ - ما يرجع إلى احتمال النص القرآني أكثر من معنى:

قد تحتمل الآية أكثر من معنى، فيذكر صحابي أحد هذه المعاني، ثم يذكر الآخر معنًى غيره من المعاني المحتملة لهذا الخطاب القرآني، وقد يعتمد في اختياره على ما سبق من الأقسام الثلاثة فيما يتعلق بالاجتهاد.

ومن أمثلة ذلك: تفسيرهم قوله (تعالى): ﴿**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ**﴾ [**الانشقاق**: ١٩]، ورد في قوله ﴿**لَتَرْكَبُنَّ**﴾ قراءات، منها: فتح التاء والباء، وقد اختلف في: من وجِّه إليه الخطاب؟، على قولين:

الأول: أنَّ الخطاب موجَّه للرسول ﷺ، واختلف في معنى ﴿**طَبَقًا عَن طَبَقٍ**﴾ على هذا القول على معنيين:

١ - لتركبن يا محمد ﷺ حالاً بعد حال، وأمراً بعد أمر من الشدائد، وهذا مروي عن ابن عباس من طريق مجاهد والعوفي.

٢ - لتركبن يا محمد ﷺ سماءً بعد سماءٍ، وهذا مروي عن ابن مسعود من رواية علقمة.

الثاني: أن الخطاب موجَّه للسماء، والمعنى: أنها تتغيَّر ضروباً من التغيّر: تتشقق بالغمام مرَّة، وتَحْمَرُ أخرى، فتصير وردة كالدهان، وتكون أخرى كالمهل، وهذا مروي عن ابن مسعود من رواية مرة الهمذاني و إبراهيم النخعي(٢).

في هذا المثال تجد لابن مسعود قولين في تحديد من وجِّه له الخطاب، وفي الأول



١) انظر أقوالهم في تفسير الطبري، جـ٣٠ ص١٠٦ - ١٠٧.

٢) انظر مروياتهم في تفسير الطبري، جـ٣٠ ص١٢٢-١٢٤.

يوافقه ابن عباس في هذه الجزئية، ثم يخالفه في معنى الركوب طبقاً عن طبق.

وما كان ذلك الاختلاف إلا لاحتمال هذا النص هذه المعاني المذكورة، فأبدى كل واحد منهما أحد هذه المحتملات.

مسألة: في اجتهاد الصحابة في حياة الرسول ﷺ:
تُظهر بعض النصوص أن الصحابة كان لهم اجتهادات في فهم الخطاب القرآني وتفسيره في عصر الرسول ﷺ، وكان لاجتهادهم حالتان:

الحالة الأولى: أن يُقرَّ الرسول ﷺ اجتهادهم،

ومن ذلك: الأثر المروي عن عمرو بن العاص، قال: بعثني رسول الله ﷺ عام (ذات السلاسل)، فاحتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيمَّمت به، ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له، فقال: «ياعمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟ قلت: نعم يا رسول الله، إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، وذكرت قول الله: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] فتيممت، ثم صليت، فضحك ﷺ، ولم يقل شيئاً»[١].

- ومنه: ما رواه الطبري عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: «تلا رسول الله ﷺ يوماً ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، فقال شاب من أهل اليمن: بل عليها أقفالها، حتى يكون الله (عز وجل) يفتحها أو يفرجها، فما زال الشاب في نفس عمر (رضي الله عنه) حتى وُلِّيَ فاستعان به»[٢].

الحالة الثانية: أن يُصَحِّح الرسول ﷺ فهمهم للآية:

- ومثاله: تفسيرهم الظلم، في قوله (تعالى): ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، فقد فهم الصحابة أن الظلم عام يشمل جميع أنواعه، وذلك بقولهم: «وأينا لم يظلم نفسه»، فأخبرهم الرسول ﷺ بالمراد بالظلم في الآية، وأنه الشرك[٣].

- ومنه حديث عدي بن حاتم، في قوله (تعالى): ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] حيث عمد (رضي الله عنه) إلى

١) أخرجه أحمد وأبو داود.
٢) تفسير الطبري، جـ ٢٦ ص٥٨.
٣) انظر رواية ذلك في صحيح البخاري (فتح الباري، جـ١ ص١١٠، جـ٦ ص٤٤٨).

عقالين: أبيض وأسود، ثم جعلهما تحت وسادة، ثم جعل ينظر إليهما في بعض الليل، فلم يستبينا، فلما أصبح أخبر الرسول ﷺ بفعله، فأرشده الرسول ﷺ إلى أن المراد بهما سواد الليل وبياض النهار[1].

ففي هذين المثالين تلاحظ أن الصحابة فهموا الآية على معنى محتمل، لكنه غير المراد، فأرشدهم الرسول ﷺ إلى المعنى المراد بالآية، ولم ينههم عن تفهُّم القرآن إلا بالرجوع إليه.

حكم تفسير الصحابي:

لا يصلح إطلاق الحكم على تفسير الصحابي جملة من حيث الاحتجاج به أو عدمه، بل لابدَّ من التفصيل في تفسير الصحابي.

لقد سبق ذكر أن الصحابة يجتهدون في التفسير، وهذا الاجتهاد عرضة للخطأ، لأن الواحد منهم غير معصوم حتى يقبل منه كل قوله.

ثم إن هذا الاجتهاد مدعاة لوقوع الاختلاف في التفسير، وبهذا لا يكون قول أحدهم حجة؛ لأن الصحابة إذا اختلفوا لم يكن قول بعضهم حجة على بعضٍ.

ويمكن تنزيل الحكم مقسَّماً على مصادرهم: النقلية والاستدلالية.

أولاً: المصادر النقلية:

يشمل الحكم على المصادر النقلية ما يلي: أسباب النزول، وأحوال من نزل فيهم القرآن، والأمور الغيبية.

ويمكن القول بأن هذه الأمور الثلاثة لها حكم الرفع؛ لأن الصحابي ليس له في هذه الأمور إلا النقل، وإن نُسب إليه التفسير، فإنما هو على سبيل التوسع في إطلاق التفسير له، ولأنه هو الناقل له.

■ ويحترز في هذا الحكم مما يكون من قبيل الاجتهاد في (أسباب النزول)، إذ قد تُطلق عبارة النزول ويراد بها أن المذكور في النزول داخل في حكم الآية، وكثيراً ما تصدَّر بقولهم: نزلت هذه الآية في كذا وكذا.

ولذا: قد يرد عنهم أقوال كثيرة في سبب النزول، وهي غير صريحة في السببية، وإنما تكون داخلة في حكم الآية، وهذا إنما قاله من قاله اجتهاداً منه.

ويلحق بهذا: أحوال من نزل فيهم الخطاب، إذ قد يقع الاجتهاد في حمل معنى الآية على حالٍ من الأحوال.

وقد يرد في الآية سببان صحيحان

---

1) انظر روايته في صحيح البخاري (فتح الباري، جـ٨ ص٢٣١).

صريحان، فتحمل الآية عليهما، ومن ذلك ما يلي:

ما ورد في سبب نزول قوله (تعالى): ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]

روى أبو داود عن ابن عباس، قال: «إن ابن عمر (والله يغفر له) أوهم؛ إنما كان هذا الحيُّ من الأنصار – وهم أهل وثن – مع هذا الحي من يهود – وهم أهل كتاب – وكانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب أن لا يأتوا النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم.

وكان هذا الحيّ من قريش يشرحون النساء شرحاً منكراً، ويتلذذون منهن مقبلات مدبرات ومستلقيات.

فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه، وقالت: إنما كنَّا نُؤتى على حرفٍ، فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني، حتى شَرِيَ (انتشر) أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله (عز وجلّ): ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]

أي: مقبلات ومدبرات ومستلقيات، يعني بذلك: موضع الولد».[1]

- وروى البخاري عن جابر – في نزول هذه الآية – ما يلي: «كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾».[2]

ففي هذين السببين ترى ما يلي:

١ – أنها تحكي حالاً من أحوال من نزل فيهم القرآن، وقد سبق أن السبب قد يكون في ذكر خالٍ من أحوال العرب.

٢ – أن ابن عباس ذكر السبب في قضية طريقة الجماع في خبر الرجل القرشي والأنصارية.

٣ – أن جابر ذكر السبب في نتيجة إحدى طرق الجماع.

وقد أنزل الله هذه الآية لإبطال هذين الحالين اللذين كان يعمل بهما اليهود والأنصار.

هذا، وقد أخبر الحاكم أن سبب النزول له حكم الرفع؛ فقد قال بعد حديث جابر السابق: «هذا الحديث وأشباهه مسندة عن آخرها، وليست بموقوفة، فإن الصحابي الذي شهد

١) انظر: عون المعبود، جـ٦ ص٢٠٤ – ٢٠٥.

٢) انظر: فتح الباري، جـ٨ ص٣٧.

الوحي والتنزيل، فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا، فإنه حديث مسند».[1]

* كما يحترز في المغيبات من أن تكون من مرويات بني إسرائيل، فإذا سلمت من ذلك فإن لها حكم المرفوع؛ لأن الأمور الغيبية لا يمكن القول فيها بالاجتهاد.

– ومن أمثلته: ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) في تفسير «الكرسي» بأنه «موضع قدمي الرحمن».

فهذا المثال يتعلق بصفات الله (عز وجل) ولا سبيل للوصول إليها إلا بالنقل، ولا مجال للاستنباط فيها.

فإن قيل: إن ابن عباس قد اشتهر عنه الأخذ من مرويات بني إسرائيل، وعليه: فإن هذا التفسير يحتمل أن يكون مما تلقَّاه عنهم؟.

فالجواب: أنه لا يُظنُّ بابن عباس أنه يرجع إليهم في معرفة صفات الله، وهم من أهل التعطيل لها، فمثل هذه المسائل المتعلقة بالله لا تؤخذ إلا من المعصوم في خبره، وهو الرسول ﷺ.

ثم إن ابن عباس لم ينفرد بهذا التفسير، بل قد صحَّ عن أبي موسى[2] مثل قول ابن عباس، وهذا مما يُعزِّز قول ابن عباس، ويدل على تلقيه من الرسول ﷺ، والله أعلم.

أما ما يثبت من هذه المغيبات أنه من الإسرائيليات فإنه ينظر إليه:

إن كان موافقاً لما في الكتاب والسنة قُبِلَ، وإن كان مخالفاً لهما رُدَّ وترك، وإن لم تظهر فيه موافقة ولا مخالفة فالحكم فيه: التوقف، والله أعلم.

ثانياً: المصادر الاستدلالية (الاجتهاد):

سبق تقسيم هذه المصادر إلى أربعة أقسام، وسيكون الحديث هنا عامًّا عنها.

والتفسير إما أن يكون بياناً عن لفظٍ، وإما أن يكون بيانًا عن معنىً.

فإذا لم يحتمل اللفظ أو المعنى المراد إلا تفسيراً واحداً لا غير، فإن هذا مما لا مجال للاجتهاد فيه، وحكم هذا التفسير: القبول؛ لعدم احتمال غيره.

أما إذا وقع الاحتمال في الآية، فإن هذا مجال الاجتهاد والرأي، وإذا كانت الآية محتملة لأكثر من قول، فإن هذا الاجتهاد يحتمل أمرين:

---

1) معرفة علوم الحديث، ص٢٠.

2) أشار إلى روايتهما ابن حجر في الفتح (جـ٨ص٤٧)، وقد صحح إسناد أبي موسى.

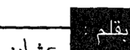
دراسات قرآنية

الأول: أن يكون مما توافق عليه اجتهاد الصحابة (أو كان في حكمه؛ كالإجماع السكوتي) فإن هذا حجة يجب قبوله عنهم.

الثاني: أن يقع بينهم خلاف مُحقَّق، ففي هذه الحالة لا يمكن القول بحجيَّة هذه الأقوال، ولا بأحدها على الآخر؛ لأن قول أحدهم لا يكون حجة على الآخر، فلا يقال: معنى الآية كذا لأنه قول ابن عباس، مع وجود مخالفٍ له من الصحابة.

وإنما يكون عمل من بعدهم في مثل هذه الحالة الترجيح بدليل صالح للترجيح، ومحلٌّ هذا البحث موضع آخر، وهو قواعد الترجيح؛ لأن المراد هنا بيان ما يكون حجة وما لا يكون من أقوال الصحابة.. والله أعلم.

القانون الدولي الإسلامي
(علم السير)
(١)
مفهومه - تدوينه - خصائصه



عثمان جمعة ضميرية



تمهيد :

من طبيعة الفقه الإسلامي وخصائصه: أنه يلبي مصالح الناس ويحيط بالوقائع والحوادث المستجدة، وفي مصادره من الخصوبة والمرونة، وفي ضوابطه وقواعده من العموم والشمول ما يكفل مواجهة تطور الناس واحتياجاتهم، فإن كل ما يحدث للناس من وقائع في هذه الحياة لها في الشريعة أحكام: نصًّا أو دلالة، على ما قاله الإمام الشافعي (رحمه الله): «إذ ليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها»[1] «كل ما نزل بمسلم: ففيه حكم لازم، أو على سبيل الحق فيه دلالة موجودة، وعليه إذا كان فيه بعينه حكم: اتِّباعه، وإذا لم يكن فيه بعينه: طلب الدلالة على سبيل الحق فيه بالاجتهاد...» والأصل في هذا آيات كثيرة، كقوله (تعالى): ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، وقوله (تعالى): ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] وقد أوفى الإمام الشافعي (رحمه الله) على الغاية في هذا المعنى؛ حيث قرر: أن جماع ما أبان الله لخلقه في كتابه، مما تعبدهم به لما مضى من حكمه (جل ثناؤه)، من وجوه: فمنها ما أبانه

(١) الرسالة للشافعي ص ٢٠ ت: أحمد شاكر.

نصًّا، مثل جمل فرائضه في: أن عليهم صلاة وزكاة وحجًّا وصومًا... ومنها: ما أحكم فرضه بكتابه، وبيَّن كيف هو على لسان نبيه، مثل: عدد الصلاة، والزكاة، ووقتها، وغير ذلك... ومنها: ما سن رسول الله ﷺ، مما ليس لله فيه نصُّ حكم، وقد فرض الله في كتابه طاعة رسوله ﷺ والانتهاء إلى حكمه... ومنه: ما فرض الله على خلقه الاجتهاد في طلبه، وابتلى طاعتهم في الاجتهاد، كما ابتلى طاعتهم في غيره مما فرض عليهم.. فإنه يقول: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد: ٣١].

وقد اهتم فقهاء الإسلام (رحمهم الله تعالى) اهتمامًا بالغًا بالقضايا والوقائع المستجدة وأفردوها بالتاليف، عنايةً بها وإعلاءً لمكانتها وموضوعها، وهذا ما نجده في جانب الجهاد والسير، وهو موضوع «القانون الدولي العام» بالمفهوم المعاصر[١] «ومما لا شك فيه أن مصطلح «القانون الدولي» من المصطلحات الحديثة التي لم يستخدمها الفقه الإسلامي، ومع ذلك، فليس من نتائج عدم استخدام المصطلح: أن هذا الفقه لم يعرف الأحكام القانونية الدولية، فقد عرفها ولكن في إطار آخر... حيث تناول الفقه الإسلامي علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول الأخرى في أبواب الجهاد، وفيما كتبه الفقهاء عن السير والمغازي، وفي بعض المؤلفات عن الخراج والسياسة الشرعية كذلك»[٢].

وقد سميت هذه الأحكام بالسِّيَر (جمع سيرة)؛ لأنها طريقة معاملة المسلمين لغيرهم، فلا نكون مغالين إذا قلنا: إن أئمة الإسلام وفقهاءه عُنُوا منذ البدء بوضع أسس القانون الدولي، وإن كانت هذه الأسس تخص أحكام أو قانون الحرب في أكثرها، وقد وجد الإسلام منذ نزوله أعداء مناوئين، فحارب من حاربه وسالم من سالمه، ووضع الحدود والقواعد لحربه وسلمه وما يعرض له فيهما من المسائل الكثيرة التي تتعلق بالمحاربين والمسالمين وأشباه ذلك، مما أحله الفقه الإسلامي أسنى مكان، حتى إنه ليمكن أن يقال: إنه عني بما تقدم من القواعد واتسع لها صدره أكثر من غيرها من الأحكام السياسية؛ لأنها نشأت مع الإسلام ونمت

---

١) ولا يعني هذا تطابقًا بينهما، انظر المشروعية في النظام الإسلامي، د. مصطفى كمال وصفي ص٥٠ تعليق (١).

٢) عن قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي والشريعة، د. جعفر عبدالسلام.

سياسة شرعية

بنموه، وكانت نتيجة لازمة للجهاد والفتوحات الإسلامية العظيمة[1].

وهذا يدعونا لتعريف علم «السير والمغازي» وموضوعه ونشأته، لنتعرف من خلاله على علم العلاقات الدولية والقانون الدولي الإسلامي بوضوح... وموضوع السيرة والمغازي هو: **عرض حياة الرسول ﷺ، بذكر الأخبار التي تروى عنه ﷺ بالروايات المسنَدَة مرتبة على السنين، بحسب وقوع الحوادث التي تشير إليها الأحاديث والأخبار**[2]. فهي إذن: تبحث في حياة الرسول ﷺ منذ إرهاصات مولده حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وتبحث في حياة صحابته الذين جاهدوا معه، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه، وفي تاريخ انتشار الإسلام الذي ابتدأ بنزول الوحي على النبي ﷺ إلى أن دانت الجزيرة العربية به، ودخل الناس في دين الله أفواجًا[3]. ولئن استعملت كلمة (السيرة) وعرفت - قبل أن يجعلها ابن هشام عَلَمًا على كتابه، الذي اختصر فيه سيرة ابن إسحاق - كما نجدها في بعض الكتابات التاريخية، فإنها بعد نشأة التدوين للعلوم الإسلامية واستقلالها بالتأليف أصبحت «إذا جاء لفظها مفردًا معرفًا قصد به تخصيصًا: (السيرة النبوية)، أي: تاريخ حياة الرسول ﷺ - من مولده إلى وفاته - مع ذكر آبائه وأهل بيته وصحابته، فضلاً عن ذكر خصاله وأحواله وعاداته، ثم الأحداث المرتبطة بالدعوة، كالوحي والهجرة والغزوات والوفود»[4]، وإن كان بعض العلماء يرون أن مصطلح (السيرة) في عرف الشرع - متى أطلق - يراد به طريقة رسول الله ﷺ في مغازيه على الخصوص.

وأما كلمة (المغازي)، فإنها كانت تعني من حيث وضعها اللغوي: (الحروب والغزوات)، ثم تخصص معناها فصارت تعني الحروب التي اشترك فيها الرسول ﷺ وصحابته.. ولكن هذا الاسم تدرج في الزمن فاتسع معناه وشمل تاريخ حياة النبي ﷺ. ونعلم مما تقدم أن اللفظتين (السيرة) و (المغازي) مستعملتان بمعنى واحد، لا يُفرق بينهما؛ فقد ذكر الحافظ ابن كثير (سيرة ابن إسحاق) وقال: «قال ابن إسحاق في المغازي»[5].

١) الشرع الدولي في الإسلام د. نجيب الأرمنازي ص٤٤ - ٤٥.

٢) حدائق الأنوار في سيرة النبي المختار لابن الديبع الشيباني ص٣ (طبعة قطر).

٣) فقه السيرة النبوية، منير الغضبان ص٩٣ (طبعة جامعة أم القرى، بمكة).

٤) القاموس الإسلامي، لأحمد عطية: ٣/٥٩٥، وسيرة ابن هشام: ١/٣ مقدمة المحقق.

٥) البداية والنهاية لابن كثير: ٣/٢٤٢.

بقي أن نقول كلمة عن منهج هؤلاء المؤرخين والمحدثين في كتبهم عن (السير): وهو أنه يتكون من أخبار دقيقة مضبوطة متفرعة من علم الحديث، ولذلك نالها ما ناله من نقد وتمحيص، وكانت هذه السيرة تتألف من القصص الصحيحة والخيالية التي أحاطت بشخص الرسول ﷺ؛ بسبب إجلال المسلمين له، وأخذ المؤرخون يجمعون هذه القصص ويركبونها ويربطون بينها، مستعينين بالآيات القرآنية الكريمة، إلا أن منهج المحدثين الدقيق في الرواية كان له الغلبة على منهج المؤرخين، بما له من صبغة علمية دقيقة، وكان غالبًا في المدينة أكثر منها في أي موطن آخر؛ لارتباط المؤرخين فيها بالأحاديث الصحيحة أكثر من المؤرخين الآخرين، ففي المدينة ولد منهج تاريخ (السير والمغازي) المتفرع من الحديث والمتأثر به في بادئ الأمر، حيث ظهر الإسناد عند أول كاتبين فيه، وهما: «أبان بن عثمان» و «عروة بن الزبير»، وإن لم يصر ضربة لازب، وأخذت السير والمغازي تتطور سريعًا، فنجد الزهري يخطو بالتاريخ خطوة إلى الأمام، إذ يحاول أن يربط بين الأحاديث... ويتوَّج هذا التطور بمحمد بن إسحاق الذي يمثل تطور الكتابة في السير، فتتمثل في (سيرته) كل التيارات التاريخية الموجودة في عصره[1].

وقد عرض العلماء والكتاب المعاصرون لتعريف علم السير، فقال الشيخ محمد أبو زهرة: «يراد بالسير: أحكام الجهاد والحرب، وما يجوز فيها وما لا يجوز، وأحكام الصلح والموادعات، وأحكام الأمان وممن يجوز، ثم أحكام الغنائم والفدية والاسترقاق، وغير ذلك مما يكون في الحروب وأعقابها...»[2]، ويقول أستاذنا «د. مصطفى كمال وصفي»: **«ويسمى العلم الذي يبحث في علاقات المسلمين بالأمم الأخرى باسم: (علم السير)، أي: سيرة المسلمين في غيرهم من الأمم من حربيين ومعاهدين ومستأمنين وأهل ذمة»**[3]، ثم يوازن بينه وبين القانون الدولي العام، فيقول: «وهو يختلف في موضوعه عن القانون الدولي العام الحديث في أن الأصل فيه: أنه يبحث في التزام المسلمين نحو غير المسلمين ولو كانوا أفرادًا يسكنون دار الإسلام، فهو ليس مخصصًا لبحث العلاقات الدولية فقط»[4].

1) نشأة التدوين عند العرب د.حسين نصار ص٦٧ - ٧٠ .

2) من تقديم أبي زهرة للسير الكبير بشرح السرخسي ص٣٣ .

3) المشروعية في النظام الإسلامي د. وصفي ص٢٨٠ .

4) المرجع نفسه ص٤٩ .

ونخلص إلى تعريف علم السير، بأنه: **«العلم الذي يبحث في تنظيم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في حال السلم والحرب»**.

القانون الدولي الإسلامي:

لم يستخدم فقهاء الشريعة مصطلح (القانون الدولي)؛ لأنه من المصطلحات الحديثة، وقد استخدم علماء الإسلام كلمة (القانون) – بصيغة المفرد – عنوانًا على مؤلفات في فنون مختلفة – كاللغة والتوحيد والفقه – منذ قرون، فكان هذا مؤشراً على جواز ذلك، وأنه لا محذور فيه ما لم يتعد التسمية إلى التأثر بمضمون أجنبي عن الإسلام، ومن الأمثلة على ذلك: كتاب (قوانين الوزارة) للماوردي، في السياسة الشرعية، و (قانون التأويل) للقاضي أبي بكر بن العربي، وهو يتناول القواعد المنهجية لطلاب العلوم الشرعية[1].

وفي العصر الحديث درج كثير من الكتاب والمؤلفين في الفقه الإسلامي على استخدام كلمة القانون في فروع كثيرة من الفقه، مثل: (قانون الأحوال الشخصية) و (القانون الجنائي) و (القانون الدستوري) و (القانون الإداري) و (القانون الدولي) مضافة إلى الإسلام أو الشريعة، ولعل ذلك كان نتيجة الدراسة المقارنة بين الشريعة والقانون، ورغبة في تقريب أحكام الفقه الإسلامي إلى الدارسين غير المتخصصين من دراسي القانون الوضعي، ولأسباب أخرى غير ذلك.

ولذلك حاول بعض الباحثين والكتاب تعريف القانون الدولي الإسلامي، ومن هذه التعريفات:

عرفه د. محمد حميد الله الحيدرآبادي بأنه: «ذلك القسم من قواعد القانون والعرف في الدولة، ومن الالتزامات التي تضمنتها المعاهدات التي ترعاها الدولة الإسلامية القائمة فعلاً أو قانونًا في تعاملها مع الدول الأخرى القائمة فعلاً أو قانونًا»[2]، بينما لا يعتقد أستاذنا د. جعفر عبدالسلام أن وضع تعريف للقانون الدولي في الشريعة الإسلامية من المسائل الدقيقة، خاصة وأن المحاولات التي بذلت للقيام بهذه المهمة حديثًا لم تتفق على هذا المدلول، ويعتقد أن الأفضل في مجال دراسة الشريعة: الإبقاء على المصطلحات الأساسية لها، وعدم

١) طُبع بتحقيق الأستاذ / محمد السليماني دار القبلة بجده.

٢) (دولة الإسلام والعالم) ص١٤ ترجمة د. فتحي عثمان.

سياسة شرعية

تعريف المصطلحات الأجنبية وفقًا لأحكام الشريعة حتى تظل المقارنة في إطارها الصحيح[1].

إن اهتمام فقهاء الإسلام بهذا الجانب من الفقه جعلهم يفردونه بالتأليف؛ تمهيداً لقواعده، وبسطًا لأحكامه، وبيانًا لآثاره؛ ولذلك سنُلمع هنا إلى التطور التاريخي لتدوين (علم السير) عند الفقهاء، مع أثارة من منهجهم الذي يقوم على سرد الوقائع والحوادث ضمن ما اتخذوه من منهج علمي دقيق في الرواية يقوم على الإسناد.

فقد كان الفقهاء المتقدمون من الصدر الأول يتناولون موضوع السير – إما في (باب الجهاد) أو في أبواب أخرى: كالمغازي، والغنائم، والردة، وعهد الأمان، والجزية –، وتفاوتت عنايتهم واهتمامهم بهذا الجانب، تأليفًا، وتدريسًا، وكان من أوائل الفقهاء الذين أولوا هذا الجانب عناية: الإمام الشعبي، والأوزاعي، و الثوري، والفزاري، إلا أن أبا حنيفة وتلاميذه كان لهم القدح المعلى في ذلك.

وأول من صنف في (السير) واتخذ هذا المصطلح للدلالة على ما نسميه اليوم القانون الدولي الإسلامي هو: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وهذا ما يميل إليه الباحثون في هذا العلم، فقد قال أبو الوفا الأفغاني: «إن من أقدم ما صنف في السير: (كتاب السير) للإمام أبي حنيفة النعمان، أملاه على أصحابه: أبي يوسف، وزفر، وأسد بن عمرو، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وحفص بن غياث النخعي، ومحمد بن الحسن الشيباني، وعافية بن يزيد، وحماد ابنه.. وأضرابهم من الأئمة الكبار، فرووه عنه، وزادوا فيه، ورتبوه، وهذبوه، حتى نسب إليهم، نحو كتاب (السير) للحسن بن زياد، و (السير الصغير) للإمام محمد بن الحسن»[2].

وأما الذي كان له عناية خاصة بعلم السير، وأفرده بالتأليف، واستقصى أحكامه وما يتعلق به، فهو الإمام محمد بن الحسن الشيباني؛ يقول د. محمد حميد الله: «لعل اتخاذ هذا المصطلح (السير) للدلالة على القانون الدولي الإسلامي كان في القرن الثاني الهجري، فقد عُرف عن أبي حنيفة أنه أول من استعمل مصطلح (سيرة) لتمييز مجموعة من دروسه التي كان يلقيها عن

١) قواعد العلاقات الدولية: ص٣١ – ٣٢ .

٢) الرد على سير الأوزاعي: مقدمة المحقق ص١ .

قوانين الإسلام في الحرب والسلم، وقد نشرت هذه الدروس منقحة على أيدي عدد من تلاميذه، وصل إلينا منها بصورة من الصور كتابا (السير الصغير) و (السير الكبير) للشيباني، وقد نقد فقيهَ العراق أبا حنيفة فقيهٌ معاصر له، هو إمام الشام الأوزاعي، ولم يصلنا ماكتبه الأوزاعي، ولكن وصلنا ما نشره ردًّا عليه تلميذ أبي حنيفة الشهير (أبو يوسف) باسم (الرد على سير الأوزاعي)، ويشير الشافعي كذلك إلى سير الأوزاعي في كتاب (الأم)، كما يشير إلى سير الواقدي، ومن ثم: يبدو أن الكلمة قد صارت مصطلحًا فنيًّا يشيع استعماله بين الفقهاء في مختلف العصور»[1].

وبعد هذه الإلمامة في علم السير نلاحظ أن هذه النشأة كانت في القرن الثاني الهجري، ثم اتسعت الكتابة فيما بعد وتنوعت، وأن فقهاء السنة كان لهم فضل السبق في ذلك، ولكن بعض الباحثين يذكر كتابًا للإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) - وقد كان فقيهًا ومحدثًا - وقد دون أحد تلاميذه كتابين، هما: (مجموع الحديث) و (مجموع الفقه)، ويسمى كلاهما: (المجموع الكبير)، وتلميذه هذا هو «أبو خالد الواسطي»، ونجد في هذا (المجموع الكبير) للإمام زيد ترتيبًا لكتبه وأبوابه كترتيب كتب الفقه، ومنها كتاب (السير)، وأول باب فيه: (باب الغزو والسير)، ثم تتابعت الأبواب في فضل الجهاد والشهادة، وقسمة الغنائم، والعهد والذمة...

وقد اختلف العلماء حوله في أمرين: أولهما: قبول راوي المجموع، حيث جرحه علماء السنة واتهموه بالوضع، ووثقه علماء الزيدية وقبلوا روايته واعتمدوها، وثانيهما: كيفية تدوين المجموع؛ هل دونه الإمام زيد (رضي الله عنه) بقلمه ونقله عنه أبو خالد، أم أنه أملاه على تلميذه، أم روى عنه تلميذه (مجموع الأحاديث) و (مجموع الفقه) ثم دونهما ورتبهما؟، وانتهى الشيخ أبو زهرة بعد مناقشة ما قيل في هاتين المسألتين إلى أن العلماء تلقوا (المجموع) في كل الأجيال بالقبول.

ولكن الدراسة المتأنية للمجموع تصل إلى نتيجة مخالفة لهذا القول، تجعلنا لا

[1]) دولة الإسلام والعالم، د. حميد الله، ص ٢٣ - ٢٤ والسير للشيباني: ص ٥٣ ، مقدمة المحقق .

سياسة شرعية

نطمئن إلى نسبة هذا الكتاب للإمام زيد (رضي الله عنه)، فإذا رجعنا إلى أقوال جهابذة علماء الجرح والتعديل من أهل السنة: فإننا لن نرتضي قبول رواية «أبي خالد الواسطي» الذي انفرد برواية (المجموع) عن الإمام زيد؛ لأنه كذَّاب وضاع، كما أنه تفرد بروايته عن أبي خالد: إبراهيم ابن الزبرقان، هذا فضلاً عن عدم ذكر رجل كابن النديم هذا الكتاب في (فهرسته)[1] مع عنايته الشديدة بذكر الفقهاء من الشيعة بصفة عامة *.

وللحديث بقية.

1) عصر نشأة المذاهب: د. محمد يوسف موسى ص٧٤.

* عن بحث بالعنوان نفسه للكاتب لم يطبع بعد.

خواطر في الدعوة

قاتل الله ردود الأفعال

محمد العبدة

تربَّى الصحابة في مكة تربية قرآنية، فلم تكن أقوالهم وأفعالهم ردودًا على تصرفات الآخرين، ولم نسمع أنهم اسُتجروا لمعركة لا يريدونها، أو شُغلوا عن طريقهم الذي سَّنه لهم رسول الله ﷺ، ولم تستفزهم تحديات قريش وسفاهة بعض رجالها لقتال ينال الأسرة الواحدة أو العشيرة الواحدة، وعندما أرادوا في المدينة مخالفة اليهود في مسألة معينة، وأخذوا الأمر إلى أقصى الطرف الآخر، استغرب الرسول ﷺ هذا الفهم، وردهم إلى الطريق الأعدل.

هذا الاعتدال في الشخصية، يجب أن يكون ديدن العلماء والدعاة (الذين هم ورثة الأنبياء) في إرجاع الناس إلى الحق، و إنقاذهم من براثن الشيطان.

وإن الشخصية التي يستفزها الحدث وتقابله برد فعل قوي، وتذهب بعيداً إلى الطرف الآخر، وتتمادى في ذلك، وتؤكد على موقفها، وتصوّبه، وتحاول الإتيان بالأدلة والبراهين، وتغالط نفسها في ذلك، هذه الشخصية ليست قدوة صالحة للعاملين في حقل الدعوة؛ فإن ردود الأفعال أصابت المسلمين بمقاتل خلال تاريخهم الطويل، وإن المتتبع لتاريخ فرقة المرجئة سيتضح له أن فكرة الإرجاء ، وإن كانت تتقبلها بعض النفوس (لجهل أو لهوى)، ولكنها كانت تقوى وتتبلور وتنتشر بعد أحداث معينة، وكان الذي غذاها في بداية أمرها الرد على الخوارج وآرائهم المتشددة المبتدعة، ثم زاد الإرجاء وتأكد بعد فشل عبدالله بن الزبير (رضي الله عنه) في محاولته لاسترجاع الخلافة من بني أمية، وبعد مقتل الحسين (رضي الله عنه) في خروجه على يزيد، وفي مثل هذه الأجواء تبدأ المحاولات لتطويع النصوص وتأويلها

لتتناسب مع الفكرة المعتنقة، ومع البعد عن الشؤون العامة، ولتؤكد الانكماش والتقوقع.

وإن أوضح ما تكون هذه الظاهرة في المماحكات التي وقعت بين الفرق التي تتبنى وجهات نظر مختلفة في العقائد، يقول العلامة ابن المرتضى: «وعندما غلا المعتزلة في إثبات الحكمة، وأوجبوا معرفة العقول للحكمة بعينها على جهة التفصيل، فجاؤوا بأشياء ركيكة، رد عليهم الأشعرية وغلوا في الرد، واستلزم ذلك نفي الحكمة...»[1].

ويقول ابن تيمية ناقداً لهذه الظاهرة: «كما قد يصير بعض جهال المتسننة في إعراضه عن بعض فضائل علي وأهل البيت، إذا رأى أهل البدعة يغلون فيها»[2].

ولا يخلو عصرنا من هذه الخصلة الذميمة، فبعد فشل ثورة أحمد عرابي في مصر ـ وقد ساهم فيها الشيخ محمد عبده، ونفي على إثرها إلى بلاد الشام، وعاش في بيروت ـ كانت ردة الفعل عند الشيخ أن قال كلمته المشهورة: «لعن الله السياسة، وساس، ويسوس...».

ولكن ردود الأفعال فيما يدور حول الدعوة والعمل الإسلامي المعاصر كانت أعنف من هذا وأكثر إيلاماً للنفس؛ فقد أصيب بعض الناس بحساسية بالغة إزاء مخالفيهم، فلا يحبون أن تذكر محاسنهم، بل لا يحبون أن يذكروا أبداً، وذهبوا بعيداً في التشنيع عليهم، وإلصاق التهم الظالمة بهم، وتحميل أقوالهم ما لا تحتمل، وإن المسلم الذي يراقب هذه الأحوال ليتعجب من أمثال هؤلاء، ويقول في نفسه: هل هؤلاء الأشخاص أسوياء؟وهل يتقون الله حقًّا؟!.

والله نسأل التقوى في القول والعمل.

١) إيثار الحق على الخلق، ص ١٩٤.

٢) فتاوى ابن تيمية، جـ٦ ص ٢٦.

الربا والأدوات النقدية المعاصرة (٢)

د . محمد بن عبدالله الشباني



في الحلقة الأولى من هذه الدراسة تمت مناقشة ماهية النقود ووظائفها، وطبيعة النظام النقدي والنقود الورقية. وفي هذه الحلقة: سوف تتم مناقشة ماهية النقود في الإسلام، والتخريج الفقهي الخاص بالعملات الورقية والمواطن الربوية فيها.

ماهية النقود في الإسلام:

يرتكز الأصل الشرعي فيما يتعلق بطبيعة النقود: على أساس أن النقد هو الأداة التي تقيَّم بها الأشياء، وليس على أساس أن النقد سلعة بحد ذاتها، ولكنه أداة للتبادل، ويشير القرآن الكريم إلي هذه الحقيقة في قوله (تعالى): ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠] ففي هذه الآية تفريق بين الثمن وبين أداة الثمن، وألحقت بالثمن صفة ملازمة له وهي التفسير؛ حيث وصف ثمن بيع يوسف (عليه السلام) بالبخس، أي: بالقلة، قاله مجاهد والشعبي[١]. لقد أشارت الآية إلى أمرين: الأول: أن قيمة وثمن يوسف (عليه السلام) كان قليلاً لا يتفق مع حقيقة قيمته، وقد أشار إلى هذه الحقيقة الإمام ابن العربي في كتابه أحكام القرآن عند تفسيره لهذه الآية بقوله: «وقيل في (بخس) أنه بمعنى حرام، ولا وجه له، وإنما الإشارة فيه إلى أنه لم يستوف ثمنه بالقيمة؛ لأن إخوته

١) النكت والعيون: تفسير الإمام أبي الحسن الماوردي جـ٣ ص ١٨ .

إن كانوا باعوه، فلم يكن قصدهم ما يستفيدون من ثمنه، وإنما كان قصدهم ما يستفيدون من خلو وجه أبيهم عنه»[1].

الأمر الثاني: أن الإشارة إلى الدراهم بعد إيراد لفظ الثمن ما هو إلا إشعار بأنها أداة لتحديد القيمة، وبالتالي: يمكن أن تكون الأداة المستحدثة في الثمن تتفاوت وتتعقد أشكالها وأنواعها حسب ظروف الناس وطبيعة المجتمعات.

لقد فهم فقهاء المسلمين وعلماؤهم طبيعة النقد وعلاقته بالعمليات التبادلية، فقد أشار ابن قدامة في كتابه القيم (المغني) إلى حقيقة النقد وطبيعته عندما تحدث عن الزكاة، فقام بالتفرقة بين زكاة الزروع والثمار، وزكاة المعدن المستخرج من الأرض، وأشار إلى الفرق بينهما مع أن مصدرهما واحد، وهو الأرض، يقول (رحمه الله): «أما الزروع والثمار فهي نماء في نفسها، تتكامل عند إخراج الزكاة منها، فتؤخذ الزكاة منها حينئذ، ثم تعود في النقص لا في النماء، فلا تجب فيها زكاة ثانية؛ لعدم إرصادها للنماء، والخارج من المعدن مستفاد خارج من الأرض بمنزلة الزرع والثمر، إلا أنه إن كان من جنس الأثمان ففيه الزكاة عند كل حول؛ لأنه مظنة للنماء من حيث إن الأثمان قيم الأموال ورأس مال التجارات، وبهذا تحصل المضاربة والشركة؛ وهي مخلوقة لذلك: فكانت بأصلها وخلقتها كمال التجارة المعد لها»[2].

فقد ربط ابن قدامة بين قيم الأموال والأثمان، حيث يتم تحديد قيم الأموال من خلال تحديد الأثمان؛ ولهذا: عندما تحدث في (باب الربا والصرف) عرَّف الصرف بأنه: بيع الأثمان بعضها ببعض[3]، وقد أوضح هذا المفهوم المتمثل في أن طبيعة النقد تتمثل في أنها الوسيلة لتحديد قيم مختلف الأشياء، حيث أكد ذلك عند مناقشة زكاة الذهب والفضة الصحيحة والمكسرة، حيث رأى جواز الإخراج عن الذهب والفضة الصحيحتين أكثر من المكسرة؛ معللاً ذلك بأن «الفرق بينهما (أي: الصحيحة والمكسرة): أن القصد من الأثمان القيمة لا غير، فإذا تساوى

١) احكام القرآن لأبي بكر بن العربي جـ٣ ص١٠٦٧.
٢) المغني جـ٢ ص ٦٢٥.
٣) المغني جـ٤ ص ٥٩.



الواجب والمخرج في القيمة والقدر جاز، وسائر الأموال يقصد الانتفاع بعينها، فلا يلزم من التساوي في الأمرين الإجزاء؛ لجواز أن يفوت بعض المقصود»[1].

ويوافق ابنُ عابدين ابنَ قدامة في هذا المفهوم، حيث يقول: «رأينا الدراهم والدنانير ثمنًا للأشياء، ولا تكون الأشياء ثمنًا لها... فليست النقود مقصودة لذاتها، بل وسيلة إلى المقصود»[2].

ويتولى ابن القيم (رحمه الله) في كتابه (إعلام الموقعين) إيضاح طبيعة النقود ودورها بشكل جلي، وبمنطق اقتصادي سليم، عند تحديد علة الربا بالنسبة للذهب والفضة باعتبار أنهما الوسيلتان المستخدمتان في التبادل، يقول: «...العلة فيهما (الدراهم والدنانير): الثمنية، وهذا: قول الشافعي، ومالك، وأحمد في الرواية الأخرى، وهذا هو الصحيح، بل الصواب ... فالتعليل بالوزن ليس فيه مناسبة، فهو طرد محض، بخلاف التعليل بالثمنية، فإن الدراهم والدنانير أثمان المبيعات، والثمن هو المعيار، به يُعرف تقويم الأموال، فيجب أن يكون محدودًا مضبوطًا لا يرتفع ولا ينخفض، إذ لو كان الثمن يرتفع وينخفض كالسلع، لم يكن لنا ثمن نعتبر به المبيعات، بل الجميع سلع، وحاجة الناس إلى ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورية عامة، وذلك لا يمكن إلا بسعر تعرف به القيمة؛ وذلك لا يكون إلا بثمن تقوّم به الأشياء ويستمر على حالة واحدة، ولا يقوّم هو بغيره؛ إذ يصير سلعة يرتفع وينخفض، فتفسد معاملات الناس، ويقع الخُلف ويشتد الضرر... فلو أبيح ربا الفضل في الدراهم والدنانير، مثل: أن يعطى صحاحًا ويأخذ مكسرة، أو خفافًا ويأخذ ثقالاً أكثر منها: لصارت متجرًا، أو جر ذلك إلى ربا النسيئة فيها ولا بد، فالأثمان لا تقصد لأعيانها، بل يقصد التوصل بها إلى السلع، فإذا صارت في أنفسها سلعًا لأعيانها: فسد أمر الناس، وهذا معنى معقول يختص بالنقود لا يتعدى إلى سائر الموزونات»[3].

من خلال هذه المناقشة التي أوردها

١) المرجع السابق، جـ٣ ص ١٠ .

٢) مجموعة رسائل ابن عابدين، ص ٥٧ .

٣) إعلام الموقعين، لابن القيم، جـ٢ ص ١٣٧ .

ابن القيم (رحمه الله) يتضح دور النقود؛ حيث يجب أن يقتصر على أن تكون أداة لتحديد قيم الأشياء؛ وبالتالي: فلا يجوز أن تستخدم النقود سلعًا يتجر بها، وبهذا: فإن ما يتم من مضاربات في سوق العملات يجعل النقود سلعًا تُعد للربح، حيث نتج عن ذلك أضرار كبيرة كما هو مشاهد في الواقع المعاصر، فيما يتعلق بتذبذب أسعار العملات، واتجاه كثير من فوائض الأموال إلى الاتجار فيها بدلاً من الاستثمار في المشروعات الإنتاجية.

على ضوء ما سبق يمكن القول: إن الشرع الإسلامي لا يشترط شكلاً معينًا، أو مادة معينة للأداة النقدية؛ فقد تكون مسكوكات ذهبية، أو فضية، أو نحاسية، أو أي نوع من المعادن، أو ورقية، وتعتبر نقوداً إذا توفرت فيها العناصر التي أشار إليها ابن القيم، وهي:

١ – اعتبار النقد أداة للدفع ووسيلة للتبادل للسلع والمنافع.

٢ – اعتباره أداة لتقييم الأشياء ومعرفة أثمان المبيعات.

٣ – ثبات قيمة الوسيلة التي تستخدم لتقييم الأشياء وثبات معيارها، بحيث لا ترتفع ولا تنخفض.

٤ – عدم الاتجار بها، أي: عدم اعتبارها سلعة يتجر بها.

ووفقًا لهذه الضوابط: فإن النظرية النقدية كما توصل إليها ابن القيم تتفق في بعض جوانبها مع ما تم التوصل إليه في هذا العصر في ظل ما عرف بقاعدة النقد الورقية، حيث انفصلت القيمة الاقتصادية للنقود عن أي قيمة اقتصادية لأي سلعة مادية معينة، وبالتالي: فإن هذه القاعدة تتمثل في مجموعة الشروط والقيود التنظيمية التي تضعها الدول لإصدار النقود الورقية وما تطور من وسائل في التداول النقدي، وهو ما عرف بالنقود الائتمانية، ومن هذا يتضح: أن وجهه نظر ابن القيم تختلف عما هو متعارف عليه في العصر الحاضر؛ فابن القيم يرى عدم جواز الاتجار في النقود؛ بخلاف النظام النقدي المعاصر الذي يقوم على اعتبار النقود سلعة مثل باقي السلع لها قيمة ذاتية تتمثل في قيمة الزمن، الذي يقوم على فكرة الربا؛ حيث إن العلة في التذبذب في أسعار العملات في السوق المالية العالمية يعود – فيما أظنه – إلى نقص الضوابط الخاصة

بالنقود حسب ما أشار إليها ابن القيم، ومنها منع الاتجار بالنقود.

على ضوء ما سبق من تحديد لمفهوم النقد عند ابن القيم وغيره من فقهاء المسلمين: فما هو الموقف تجاه النقود الورقية من حيث شرعيتها ومدى جريان الحكم الشرعي للذهب والفضة عليها، بعد أن أصبح التعامل بالذهب والفضة مستحيلاً؛ لاتساع وكبر حجم التبادل السلعي والخدمي بين أفراد المجتمع؟.

إن الإجابة على هذا التساؤل ترتبط – وفق ما سبق مناقشته – بأن استخدام معدني الذهب والفضة وسيلةً للتبادل وإبراء الذمة، وارتباط علة الربا بالنسبة للذهب والفضة بالثمنية، وأن قيام الأوراق النقدية مقام الذهب والفضة يؤدي إلى سريان العلة عليها، وبالتالي: سريان الأحكام المترتبة على الذهب والفضة عليها، باعتبار أن العملات هي أجناس؛ حيث إن الذهب جنس والفضة جنس، وأن العلة الجامعة بين الذهب والفضة في أحكام الصرف هي الثمنية، وبالتالي: سريان هذه العلة على النقود الورقية لاعتبارين:

١ – اجتماع طبيعة الجانب المادي من حيث إن المادة للعملات الورقية هي الورق، بينما الجامع للذهب والفضة مادة المعدن.

٢ – اجتماع علة الثمنية بعين الذهب والفضة، وهذا يسري على العملات الورقية المختلفة لمختلف الدول.

على ضوء هذا: تصبح العملات الورقية أجناس بتعدد جهات إصدارها، فالنقد الأمريكي مثلاً جنس، والنقد السعودي جنس... وهكذا، وقد أفتت هيئة كبار العلماء في السعودية بأن العملات الورقية أجناس[1].

حيث نص على جريان الربا بنوعيه (الفضل والنَّساء) في العملات الورقية، كما يجري الربا بنوعيه في النقود المسبوكة من الذهب والفضة وغيرها من المعادن كالفلوس، وقد أيد المجمع الفقهي الإسلامي هذه الفتوى[2].

على ضوء هذا: فإن عمليات الصرف الحاضر بين العملات المختلفة جائزة عند توفر شرطي الحلول والتقابض، أي: جواز شراء الدولار الأمريكي بسعر ثلاثة

١) القرار رقم ٢ الصادر في الدورة الثالثة المنعقدة فيما بين ١/٤/١٣٩٣هـ إلى ١٧/٤/١٣٩٣هـ.

٢) القرار رقم ٦ الدورة الخامسة المنعقدة برابطة العالم الإسلامي فيما بين ٨ – ١٦/٤/١٤٠٢هـ.

ريالات ونصف أو أكثر أو أقل، بشرط التقابض بسعر اليوم، استناداً إلى حديث ابن عمر الذي جاء فيه: «كنت أبيع الإبل بالبقيع؛ فأبيع بالدنانير وآخذ الدراهم، وأبيع بالدراهم وآخذ الدنانير، آخذ هذه من هذه، وأعطي هذه من هذه، فأتيت رسول الله ﷺ في بيت حفصة، فقلت يا رسول الله: رويدك، أسألك: إني أبيع الإبل بالبقيع، فأبيع بالدنانير وآخذ الدراهم، وأبيع بالدراهم وآخذ الدنانير، آخذ هذه من هذه، وأعطي هذه من هذه، فقال رسول الله ﷺ: لا بأس أن تأخذ بسعر يومها؛ ما لم تفترقا وبينكما شيء»[1] فالواضح من هذا الحديث: أن التصارف الجاري فيه تقابض بمظهره الشكلي على أساس الحق القائم بهيئة دنانير في الذمة بتسديده بما يساويه من دراهم بسعر ذلك اليوم.

وعليه: فما هو حكم التعامل العملي الذي يحدث في البنوك من حيث أسلوب التصارف؟، فمن المعروف أن عملية الصرف: إما أن تكون من خلال الصندوق، أو بالقيد على حساب العميل، وما يرتبط بذلك أيضًا من عملية البيع والشراء بالعملات من خلال أسواق العملات العالمية. فما هي مواطن الربا على ضوء هذا الواقع؟.

أما بالنسبة للدفع والأخذ من البنك مباشرة بتبادل عملة ورقية مقابل شراء عملة أخرى: فلا إشكال فيه من ناحية توافر شرط التقابض؛ حيث يسلم الراغب في الشراء النقود المحلية، ويتسلم العملة الأخرى، فهذا تقابض حال ومنجز، أما إذا كان دفع العملة من حساب الشخص في البنك نفسه بخصم قيمة العملة المشتراة من حساب المشتري لدى البنك، وحيث إن البنك يتعامل مع الحساب المفتوح لديه من قبل المشتري على أساس أنه وكيل له الحق بالدفع والإضافة عند ورود تعميد من صاحب الحساب، فإذا كان الأمر كذلك، فإنه يتوفر في هذا الأسلوب أساس التقابض؛ حيث إن البنك يتسلم ما يقابل قيمة العملة المشتراة من حسابه المودع لدى البنك، وهذا المال هو وديعة محفوظة لديه وهو مفوض بالتصرف فيها مع ضمانها للمودع.

١) أخرجه النسائي: كتاب البيوع، جـ ٧ ص٢٨٣

المواطن الربوية في عمليات تبادل العملات الورقية:

أصبح التعامل بالعملات شراءً وبيعًا أسلوبًا من أساليب الحصول على الأرباح، وبالتالي: ظهرت صناديق خاصة في البنوك تتولى التعامل بها في سوق العملات في أوروبا وأمريكا، وتحولت النقود إلى سلع يتم الاتجار بها، واعتبر الاتجار فيها من الأمور التي تزاولها بعض البنوك الإسلامية كوسيلة لتحقيق الأرباح لعملائها المودعين لديها بدلاً من أخذ الفائدة الربوية.

يأخذ أسلوب الاتجار بالعملات صورًا متعددة، وقبل مناقشة مواطن الربا في هذه الصور والتعامل لا بد من مناقشة المبدأ الأساس، وهو: هل يجوز الاتجار بالعملات شراءً وبيعًا؟... تختلف الآراء حول ذلك: فمن مجيز للاتجار فيها إذا تحقق التقابض في مجلس العقد، وذلك بالخصم من حسابات المتاجرة بالعملات لدى السمسار الذي يتولى إجراء عمليات البيع والشراء نيابة عن المُتاجر (قد يكون السمسار بنكًا أو مؤسسة أو فردًا يقوم بهذا العمل) وفق شروط وقواعد تحدد من يقوم باتخاذ قرار البيع والشراء سواء أكان السمسار باعتباره وكيلاً مفوضًا من قبل المتاجر في العملات، أو تلقي التعليمات الخاصة بإنفاذ البيع والشراء من قبل المتاجر وفق إجراءات معينة.



يقوم السمسار بعمليات الاتصال بمندوبيه في أسواق العملات العالمية بإنفاذ التعليمات الخاصة بالشراء أو البيع لصالح عملائه، وقيدها بالإضافة أو الخصم على حسابه لدى مندوبيه في تلك الأسواق، ويتحقق شرط التقابض من خلال القيد على الحسابات المختلفة باعتبار أن قيد الإضافة والخصم يماثل عمليات التقابض المادي للعملات؛ لهذا: فإن بعض البنوك الإسلامية تزاول نشاط الاتجار في بيع وشراء العملات وفق هذا الأسلوب، باعتبار أنه أسلوب من الأساليب الجائزة لتحقق شرط التقابض، وبالتالي: انتفاء الربا من هذا الأسلوب واعتباره قناة من قنوات استغلال المدخرات واستثمارها.

إن الحرمة لهذا التعامل -كما أراها- لا تقوم على أساس تغير وسيلة التقابض في مجلس العقد، حيث تبدل أسلوب التقابض وطبيعة مجلس العقد؛ فقد

أصبح مجلس العقد يتم من خلال وسائل الاتصال الحديثة التي سهلت ووسعت نطاق مجلس العقد من خلال التخاطب بالتهاتف والفاكس والحاسب الآلي، أي: أصبحت الأسواق متقاربة وكأنها في مكان واحد، وأصبح حلول القيد على الحسابات المختلفة، بديلاً عن التقابض المادي والحصول على التفويض والالتزام بذلك باستخدام هذه الوسائل الحديثة.

إن الحرمة تأخذ جانبًا آخر، وهو: تغير طبيعة وظيفة النقود، فالنقود ليست سلعة يتجر فيها مثل بقية السلع، وخاصة النقود الورقية التي لا يمكن تحويلها إلى سلعة اقتصادية مثل الذهب والفضة اللذين يمكن شراؤهما كسلع لاستخدامهما موادًا أولية لصناعات مختلفة، وبالتالي: الخروج بالنقود عن طبيعتها التي جعلت لها، والتي من أجلها تم قبولها، وهي: أنها أداة للدفع ووسيلة للتبادل، وقد سبق أن أوضحنا وجهة نظر الإمام ابن القيم واستشهادنا بقوله.

إن التحليل والمنطقية التي وصل إليها ابن القيم (رحمه الله) فيما يتعلق بالنقود، والتي حددت مشكلة النظرية النقدية المعاصرة في أن الاتجار في العملات هو العلة في اضطراب أسواق النقد العالمية؛ حيث إن الاتجار بالعملات قد أفسد عملية التبادل التجاري، وألحق الضرر بالتبادل من خلال اضطراب أسعار السلع العالمية، فأصبحت العملات تخضع لتقلبات قانون العرض والطلب؛ مما أثر على أسعار السلع؛ فالتاجر الذي يرغب في شراء أي عملة بقصد الاستيراد لسلعة معينة من أي بلد سيتأثر بالتذبذب في أسعار العملات التي يود الاستيراد بواسطتها من خلال عمليات المضاربة في العملات، حيث إن العرض والطلب على العملات غير حقيقي، حيث تتم المضاربة فيها والاتجار فيها بيعًا وشراءً، ليس بقصد شرائها لذاتها لتحقيق الوظيفة الأساسية للنقود... وهذا يؤدي إلى مفسدة وإضرار بالناس، كما قال ابن القيم، حيث قال: «وسر المسألة: أنهم مُنعوا من التجارة في الأثمان بجنسها؛ لأن ذلك يفسد عليهم مقصود الأثمان، ومنعوا من التجارة في الأقوات بجنسها، لأن ذلك يفسد عليهم مقصود الأقوات، وهذا المعنى بعينه موجود في بيع التبر والعين؛ لأن التبر

ليس فيه صنعة يقصد لأجلها؛ فهو بمنزلة الدراهم التي قصد الشارع ألا يفاضل بينها، ولهذا قال: «تبرها وعينها سواء» فظهرت حكمة تحريم ربا النَّساء في الجنس والجنسين، وربا الفضل في الجنس الواحد»[1] وفي موضع آخر أورد (رحمه الله) مناقشة لطيفة خاصة عن استعمال المادة المضروبة منها العملة المعدنية لأغراض أخرى غير غرض النقد، تدل على مدى عمق فهمه لمفهوم النقد ودوره في الحياة الاقتصادية، مع معالجته لازدواجية استخدام معدن الذهب لأغراض صناعية وكأداة للنقد، يقول (رحمه الله): «إن الحلية المباحة صارت بالصنعة المباحة من جنس الثياب والسلع، لا من جنس الأثمان، ولهذا لم تجب فيها الزكاة، فلا يجري الربا بينها وبين الأثمان، كما لا يجري بين الأثمان وسائر السلع - وإن كانت من غير جنسها -؛ فإن هذه بالصناعة قد خرجت عن مقصود الأثمان، وأعدت للتجارة، فلا محذور في بيعها بجنسها ولا يدخلها «إما أن تقضي، وإما أن تربي» إلا كما يدخل في سائر السلع إذا بيعت بالثمن المؤجل»[2]، ومن هذا النص ندرك: أنه يجوز شراء الحلي المصنوعة من مادة العملة المعدنية، ولو تفاضلت من حيث اختلاف الوزن ما بين وزن الحلي ووزن العملة المعدنية، إذا تم التقابض يداً بيد في مجلس العقد مثل بيع الذهب بالفضة.

وعلى ضوء ما سبق: فإن الاتجار في العملات بيعًا وشراءً بقصد الربح، وليس بقصد استخدامها من أجل تمويل الاستيراد والتجارة في السلع: مكروه، وقد يصل إلى الحرمة؛ للأمور التالية:

١ - التوسع في البيع والشراء في أسواق العملات العالمية أدى إلى هروب أموال المسلمين إلى الدول الكافرة، وهذا الاتجار لا يهدف إلى الحصول على سلع وخدمات يحتاجها المسلمون، ولكنه بقصد المضاربة لتحقيق الربح؛ مما أدى إلى ضياع فرصة الاستفادة من هذه المدخرات التي يتم استخدامها في الاتجار في العملات الأجنبية، والقاعدة الشرعية تقول: عند اجتماع المصالح مع المفاسد، فإذا كانت المفسدة أعظم من المصلحة: درأنا المفسدة، ولو تأتى ذلك بفوات

١) إعلام الموقعين، جـ ٢ ص ١٤٠ .

٢) السابق، جـ ٢ ص ١٤١ .

المصلحة، والمصلحة الفائتة هي ما يمكن أن يحققه المتاجر في العملات في أسواق العملات الأجنبية من أرباح، لكن مفسدة تسرب أموال المسلمين من بلاد المسلمين وعدم استغلالها فيما فيه منفعة ومصلحة للاقتصاد يحقق مفسدة أكبر من المصلحة التي قد يحققها المتاجر في العملات، يقول (تعالى): ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾ [البقرة: ٢١٩] فحرمهما لأن مفسدتهما أكبر من منفعتهما.

٢ - أن خروج الأموال من بلاد المسلمين بقصد الاتجار بالعملات الأجنبية للدول الكافرة يحدث أضراراً بميزان المدفوعات للبلاد الإسلامية؛ حيث إن هذا الخروج لا يقابله سلع ولا خدمات تفيد اقتصاد الدول الإسلامية، بل إن ذلك يمثل تهريباً لفائض الإنتاج المحلي وضخه لصالح القوى الأجنبية، وفي هذا تعاون على الإثم بإضعاف اقتصاديات الدول الإسلامية وحرمانها من الأموال التي يمكن - لو تم استثمارها في مجالات إنتاجية - أن تزيد الناتج القومي وتسهم في تشغيل القوى العاملة العاطلة.

٣ - يرتبط الاتجار في العملات بشبهات أخرى تؤكد الحرمة، ومن ذلك: ما يعرف ببيع وشراء الخيارات، حيث لا يتم الشراء والبيع في محل العقد، وإنما يتم إعطاء خيار لمشتري العملة بإتمام الصفقة أو عدمها خلال فترة زمنية معينة، ويتم دفع مبلغ معين من قيمة الصفقة خلال فترة الخيار، يحق للمشتري أو البائع فيها إمضاء البيع والشراء، ويتم الاتجار في هذه الخيارات أيضاً، وإذا انتهت فترة الخيار ولم يقم المشتري بالتصرف بهذا الخيار بإتمام الصفقة أو بيع الخيار بسعر أعلى مما اشتراه به: يخسر ما دفعه، وهذا الأسلوب يقوم على التوقعات والمضاربة، فهو شراء وبيع غير ناجز، وبالتالي: حصل المحذور الشرعي بعدم التقابض الحسابي.

تتم ممارسة الاتجار بالعملات من قبل بعض البنوك الإسلامية، وقد أوجدت لها صناديق استثمارية، وأجيز شراء وبيع العملات بهدف تحقيق الربح نتيجة للتذبذب في أسعار العملات، ولذا: فإن الواجب الامتناع عن ذلك، أما شراء العملات من المصارف بقصد تمويل عمليات الاستيراد، وليس بقصد تحقيق

الربح من خلال الاتجار فيها: فهذا أمر جائز؛ لأن ذلك بقصد تحقيق التبادل السلعي والخدمي، وهي الوظيفة الأساسية التي من أجلها جعلت النقود، ويدل على ذلك حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) الذي رواه أبو داود والنسائي، جاء فيه: «أتيت رسول الله ﷺ وهو في بيت حفصة، قلت: يا رسول الله: رويدك، أسالك، إني أبيع بالبقيع؛ فأبيع بالدنانير وآخذ الدراهم، وأبيع بالدراهم وآخذ الدنانير، آخذ هذه من هذه، و أعطي هذه من هذه، فقال رسول الله ﷺ: لاباس أن تأخذ بسعر يومها، ما لم تفترقا وبينكما شيء»[1]، فهذا الحديث يوضح دور التصارف وتبادل النقود بعضها ببعض من أجل تيسير التجارة؛ حيث إن القصد من ذلك: إتمام عمليات التبادل السلعي، وبالتالي: فإن شراء العملة الأجنبية بسعر يومها عند فتح الاعتماد أو سداد قيمة السلعة الواردة عند وصول البضاعة بسعر فتح الاعتماد وبسعر سداد قيمة الاعتماد: هو ما يمكن أن يقاس على حديث ابن عمر (رضي الله عنهما).

أما الصور الأخرى للتعامل بالعملات، التي يمكن أن يشوبها الربا، فهي الصور التالية:

١ - بيع وشراء العملات على أساس السعر الآجل ولو كان القصد من ذلك تثبيت قيمة السلع المستوردة، وقصد هذا التعامل هو: التعاقد على شراء العملة حاليًا، ولكن تنفيذها أو قيدها لصالح المشتري وخصمها من رصيد البائع لا يتم إلا بعد مدة مؤجلة متفق عليها: شهر، أو ثلاثة أشهر...، والسعر إما أن يكون مساويًا للسعر الحاضر، أو أعلى منه، أو أقل منه، والاختلاف في السعر يعود إلى توقع ارتفاع الفائدة أو انخفاضها بين مراكز بيع العملات العالمية.

وربوية هذا التعامل تتمثل في عدم تنفيذ التعاقد في مجلس العقد، وهو مخالف للمنع الوارد في الأحاديث النبوية المحرمة لربا النَّساء والتفاضل.

٢- الشراء والبيع الآجل للعملات، وهو ما يعرف في سوق العملات باسم سواحب، حيث يتم شراء عملة مؤجلة التسلم، وفي الوقت نفسه: يتم بيعها بعملة أخرى مؤجلة؛ فمثلاً: يتم شراء دولارات مقابل جنيهات إسترلينية

١) سبق تخريجه .

دراسات اقتصادية

حاضراً أو مؤجلاً، ثم بيع ما اشتراه نفسه بريالات مؤجلة، أي: يتم التسليم على ما تعاقد عليه عند حلول الأجل.

إن التصارف على هذا الأساس باعتبار أن العملات أجناس أثمان يتوفر فيها علة الثمنية – عند من اعتبر أن العلة هي الثمنية – .. هذا التعامل من الصرف يعتبر تعاملاً ربويًا لحديث عبادة بن الصامت عن عبدالله « ... سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح إلا سواء بسواء عينًا بعين. فمن زاد أو ازداد فقد أربى... ».[1]

١) مسلم، باب المساقاة، ح/١٥٨٧ .

دراسات دعوية

لماذا الدعوة العائلية؟

نحو برنامج عملي للدعوة بين الأقارب

بقلم: حجاج بن عبدالله العريني

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما: أنه لما نزل قول الله (تعالى): ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، أتى النبي ﷺ الصفا، فصعد، ثم نادى: «يا صباحاه!» فاجتمع الناس إليه، بين رجل يجيء إليه، ورجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «يابني عبد المطلب! يابني فهر! يابني لؤي! أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟» قالوا: نعم. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»[١]. فها هو محمد ﷺ المبعوث للناس كافة، يوجه نداء خاصاً إلى الأهل والقرابة والعشيرة استجابة لأمر الله (جل وعلا).

ودعوة الأقارب والأهل والأرحام من الصلة والبر، بل إن الدلالة على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أبر البر والإحسان، والدعاة في جانب الدعوة العائلية على ثلاثة أحوال - إلا من رحم الله -:

١ - رجل أغلق على نفسه مع مجموعة من الأقارب، انتقاهم بعناية على أساس التوافق والانسجام أو الاستجابة، وترك البقية بحجة عدم الاستجابة؛ حيث حاول دعوتهم مرة أو مرتين، وظن أنه معذور بذلك،

---

١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٦/١٦، ١٧ ومسلم في كتاب الإيمان ح/٣٥٥ .

وهذا ليس أسلوب أهل الجهد والجهاد في الدعوة.

٢ - رجل مشغول بأمور دعوية خارج نطاق العائلة، وقد حصل له كثير من البرود في مواقفه وعلاقته مع الأقارب من الناحية الدعوية، وهذا نسي حقًّا مهمًّا من حقوق أرحامه عليه، وقصّر كثيراً في دعوتهم.

٣ - رجل له نشاط دعوي في عائلته، ولكنه نشاط يتم بطريقة عشوائية، بدون أن يكون هناك تخطيط ومتابعة، ولا شك أن العمل المدروس أكثر ثمرة من العمل غير المنظم.

مميزات الدعوة العائلية:

إن للدعوة العائلية سمات تتميز بها عن الدعوة العامة، وهذه المميزات تختلف من عائلة إلى أخرى، ولكنها تجتمع في كونها عونًا للدعاة للقيام بهذا العمل واستمراره، ومن هذه المميزات:

١ - أن عدد الأفراد الذين يتم الاحتكاك بهم في الدعوة العائلية يعتبر عدداً كبيراً مهما صغرت العائلة التي ينتمي إليها الداعية؛ فإذا نظرنا إلى أي شخص نجد أن لديه مجموعة كبيرة من الأقارب، يتواصل معهم وتربطه بهم روابط المودة والرحمة.

٢ - سهولة الاحتكاك بأولئك الأقارب والوصول إليهم: يزورهم ويزورونه، ويقابلهم في المناسبات، بل قد يشترك معهم في السكن.

٣ - الدعوة العائلية تعتبر وسيلة دعوية، يمكن أن تستمر ولا تنقطع لأي سبب - إذا طبقت بطريقة جيدة - .

٤ - الدعوة العائلية إذا أديرت بشكل جيد، فإنها تفيد في شحذ الهمم وتحريك الطاقات الخاملة عند بعض الصالحين في الأسرة، وتدفعهم للدعوة، وتكون وسيلة ناجحة - بإذن الله - للتأثير عليهم.

٥ - إن الدعوة العائلية تؤدي إلى استقامة الأقارب، والتخلص من المنكرات؛ مما يكون له مردود إيجابي على بيت الداعية وأطفاله.

٦ - تُيسر الدعوة العائلية التأثير على النساء في المجتمع، وخاصة أن النساء أقل احتكاكًا

بالدعوة ووسائلها، وأيضاً: توفر هذه الدعوة الاحتكاك والتأثير على الأطفال.

٧ – من خلال الدعوة العائلية يتم الوصول إلى جميع أفراد المجتمع، حيث إن المجتمع هو مجموع هذه الأسر.

من الوسائل الدعوية العائلية:

وسائل الدعوة العائلية كثيرة ومتنوعة، وسنشير هنا إلى نماذج منها فقط، ولا بد أن لكل عائلة ما يناسبها، ثم إن البدء والاستمرار في هذه الدعوة ينتج أفكاراً وبرامج جديدة ومؤثرة.

١ – أهم وسيلة أو خطوة في الدعوة العائلية، هي: التنسيق، والتخطيط، وتحديد الأهداف المرحلية، مع بيان الوسائل والطرق، ويبدأ ذلك بالتنسيق بين مجموعة من الأخيار في العائلة، وإقناعهم بفكرة الدعوة العائلية، ومن ثم: تنظيم الأفكار ووضع الخطط الدعوية، ويتبع ذلك: التقييم الدوري المستمر لجميع الأنشطة والبرامج الدعوية لتصحيح الأداء واكتساب مزيد من الخبرة، ولا بد من التكاتف والتعاون في هذا المجال؛ فاليد الواحدة لا تصفق!.

٢ – تمثيل القدوة الحسنة في أمور الدنيا والدين؛ فلن يتقبل الناس الدعوة من شخص فاشل في حياته العملية أو العلمية، أو من شخص لديه قصور ظاهر في التزامه الشرعي . ولكي يكون الداعية قدوة حسنة مؤثرة: عليه أن يتخذ من الرسول ﷺ قدوة له ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب: ٢١].

٣ – توثيق الصلة مع الأقارب، وكسب مودتهم، وإتقان فن التعامل معهم، حتى يشعر كل فرد بأن له علاقة خاصة بالداعية، وهذا لا يعني النفاق والابتذال، ولكن علاقة صادقة، ومودة خالصة، ومبادئ ثابتة.

٤ – إقامة لقاء دوري للعائلة (شهرياً مثلاً)، وذلك لزيادة الألفة والمحبة، وتوطيد أواصر المودة، وتحقيق صلة الرحم، كما أن مثل هذه اللقاءات توفر وقت الداعية، حيث يمكنه القيام بواجب صلة الرحم والدعوة في وقت واحد.

٥ – الاستفادة من التجمعات العائلية، سواء اللقاء الدوري أو المناسبات

الطارئة مع الحذر من المبالغة المنفرة.

ويكون ذلك بعدد من الوسائل، منها:

أ - مساعدة صاحب المناسبة بالسعي في إجراءات ترتيب اللقاء، ودعوة الضيوف، وكل ما يمكن القيام به من خدمة.

ب - توزيع أي جهد دعوي صالح وموثق، سواء أكان شريطًا، أو كتيبًا، أو ورقة مفيدة، أو فتوى مهمة... أثناء اللقاء، والحرص على ذلك، والاستمرار عليه في كل مناسبة.

ج - دعوة بعض العلماء أو طلبة العلم في ا لمناسبات العائلية؛ لإفادة الحاضرين فيما يهمهم في أمور دينهم ودنياهم [1] ، ويتم التركيز على المواضيع التي تهم عموم الأسرة.

د - إعداد المسابقات الثقافية المناسبة لجميع فئات العائلة؛ لاستغلال الوقت بالنافع والمفيد لرفع المستوى الثقافي لأفراد العائلة.

هـ - الحديث عن أحوال المسلمين وأخبار العالم الإسلامي، كما يمكن عرض بعض أفلام الفيديو التي تظهر هذا الواقع؛ لزرع الإحساس بمآسي المسلمين وحثهم على دعمهم والدعاء لهم.

و - التذكير والحث على مجالات الخير المنتشرة (والحمد لله): كالمحاضرات، والخطب، والندوات.. والإعلان عنها، والتعريف بالأشرطة الجيدة وأماكن وجودها.

ز - طبع أسماء وهواتف أفراد العائلة بشكل جذاب وتوزيعها؛ للمساهمة في صلة الرحم.

ح - استخدام القصص والحكايات الواقعية المؤثرة للدعوة، وقد لوحظ أن هذا الأسلوب من أقوى أساليب التأثير على الناس وأيسرها، ويمكن الاستفادة من بعض الكتب التي تحكي هذه القصص، ومن ثم: سردها في هذه اللقاءات.

ط - توقير الكبار وأصحاب الوجاهة في العائلة، وبيان الثمار التي تجنى من

---

١) ٩٢ وسيلة دعوية، إبراهيم الفارس.



خلال تلك اللقاءات؛ لكسب تأييدهم لمشاريع الدعوة العائلية من بدايتها، وذلك لكي يُستفاد من مكانتهم في تقوية الدعوة العائلية، أو على الأقل حتى لا يكونوا معارضين لها.

٦ - الإحسان إلى أفراد العائلة، ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، ومساعدتهم فيما يحتاجون إليه، وإحياء معالم التكافل الأسري، ويجب على الداعية أن يُعرَف بالمواقف المشرفة وعلاج الأزمات، وليس فقط بالوعظ والإرشاد، ويحسن أن يقوم الداعية بتلمس احتياجات أفراد العائلة، والمبادرة بمساعدتهم قبل أن يُطلب منه ذلك، مع الحذر من التطفل عليهم في أمورهم الخاصة.

٧ - حصر المخالفات الشرعية الموجودة في العائلة، وذلك للتركيز عليها وإصلاحها تدريجيًا بالحكمة والأساليب المناسبة، ويحسن هنا محاولة معرفة أسباب الانحراف ليسهل العلاج.

٨ - الاهتمام بالأطفال والمراهقين، فقد قال أحد الحكماء: «أكرم صغارهم؛ يكرمك كبارهم، وينشأ على محبتك صغارهم»، ويكون ذلك بإعداد أنشطة خاصة بالصغار والمراهقين، يُراعى فيها سنهم وميولهم، ويمكن القيام بالرحلات وتنظيم ذلك للخروج بأكبر فائدة.

٩ - الزيارات المنزلية لأفراد العائلة،وذلك لما فيها من محبة ورفع الكلفة وتعميق الروابط؛ وهذا مما يغفل عنه كثير من الدعاة لكثرة الأشغال وعدم التفرغ، مما ينتج عنه وجود حاجز بين الداعية وأفراد عائلته.

١٠ - تقديم الهدايا لأفراد العائلة والتودد إليهم، لما للهدية من أثر عجيب؛ فهي تقرب البعيد، وتؤلف القلوب، وتروض النفوس المستعصية، وتحبب الداعية إلى الناس، يقول الرسول ﷺ: «..وتهادوا تحابوا، وتذهب الشحناء»(١).

---

١) مالك في الموطأ، ص ١٦٤٢ .

١١ – الاستفادة من بعض العادات والتقاليد الموروثة - غير المخالفة للشرع - لدى بعض الأسر واستثمارها في المجال الدعوي، نحو ما ينتشر بين النساء خاصة من قيامهن بزيارة المرأة التي رزقت بمولود، أو المتزوجة حديثًا، أو القادمة من سفر بعيد . . . أو غير ذلك، وتقدم هدية عينية لهذه المرأة، فحبذا لو أضيف لهذه الهدية المادية مجموعة من الأشرطة والكتيبات والنشرات الدعوية الصالحة . . . وغيرها مما ينفع المهدى إليه في دينه[١].

١٢ – الاهتمام بتأمين الدعم المادي لإنجاح المشروع الدعوي العائلي، فبدون ذلك لا يمكن الاستمرار في إيجاد الحوافز: كالهدايا، وجوائز المسابقات، والتوزيع الدوري للأشرطة والكتيبات، وهذا الدعم المادي يجب أن يكون مستمرًا وغير منقطع طوال العام.

١٣ – شكر كل من أسهم في التواصل في العائلة، أو ساعد في الدعوة تشجيعًا له للمواصلة وبذل المزيد، وحثًّا لغيره للقيام بدوره.

١٤ – الحرص على إيجاد صندوق للتكافل العائلي، يكون الاشتراك فيه ضمن أسس متفق عليها، وتكون مهمة القائمين على هذا الصندوق متابعة أوضاع العائلة واحتياجاتها، مثل:

أ – الشاب الذي يريد الزواج، ومساعدته.

ب – الفقراء في العائلة أو من تحمّل دينًا، ومساعدته بأسلوب يحفظ له كرامته.

١٥ – الدعاء والتوجه إلى الله وطلب عونه (جل وعلا)، والدعاء لأفراد العائلة بالصلاح والهدى، يقول ﷺ: «دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل»[٢].

أسباب نجاح واستمرار الدعوة العائلية:

هناك بعض الأسباب المؤثرة على تطبيق برنامج الدعوة، يجب أن يأخذ بها كل من يتصدى للدعوة العائلية، ونورد هنا بعض الأسباب العامة التي يجب أن

١) ٩٢ وسيلة دعوية، إبراهيم الفارس.

٢) أخرجه مسلم: ؛كتاب الذكر والدعاء، ح/٢٧٣٣ .

يضعها الداعية ضمن خطته الدعوية:

١ - الإخلاص لله (تعالى)، وإيمان الداعية بما يدعو إليه؛ فالدعوة النابعة عن إخلاص مع القوة والعزيمة والإيمان والاعتماد على الله: لا بد أن تؤثر وتؤتي أكلها، فالإخلاص أمرٌ مهمٌ لنجاح الدعوة واستمرارها.

٢ - أن يعمل الداعية بما يدعو إليه، ويبتعد عما ينهى عنه، فليس معقولاً أن يؤثر في الناس من يقول ولا يفعل، قال (تعالى): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الصف: ٢، ٣] وقد ورد في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه (يعني أمعاءه) في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان، ما شأنك ؟! أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه»[١].

٣ - دراسة أي نشاط مقترح للتطبيق على الدعوة العائلية دراسة مستفيضة لمعرفة إمكانية تنفيذ هذا النشاط؛ إذ لا يكفي أن تكون الفكرة ممتازة وهادفة، بل لا بد من معرفة إمكانية تنفيذها واستمرارها، عملاً بقوله ﷺ حينما سُئل: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: «أدومها وإن قلّ»[٢] لأن التذبذب وبدء النشاط ثم إيقافه، أو عدم إخراجه إخراجًا جيداً ومشوقًا: يقلل من استجابة المدعوين إن لم يفقدهم الثقة والاحترام للبرنامج الدعوي.

٤ - عدم اليأس أو استعجال النتائج، وضرورة التأني وبعد النظر، وهذا الأمر يغفل عنه كثير من الدعاة؛ فنجد أحدهم يتعجل النتائج، ويستغرب بطء استجابة الناس، وينسى قول الله (تعالى): ﴿ **وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً** ﴾ [الإسراء: ١٠٦] فيجب

١) البخاري: كتاب بدء الخلق، جـ ٤ ص ٩٠، ومسلم في كتاب الزهد، ح/ ٢٩٨٩.

٢) البخاري: كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل.

ـلى الداعية أن يكون حكيمًا، ولا يغفل عما أحدثته وسائل الهدم في عقول الناس وأفكارهم، وأن ذلك قد استغرق وقتًا طويلاً، فلا نستغرب أن نحتاج إلى وقت مناسب لإعادتهم إلى طريق الهداية.

٥ - الانتباه إلى أن الانفتاح مع العائلة ودعوتها يجب ألا يؤدي إلى مداهنة الداعية، فيشارك أو يحضر بعض المنكرات التي لا يجوز حضورها، أو يسكت عن بعض المنكرات التي لا ينبغي له التأخر في إنكارها.

٦ - أن يعلم الداعية حال من يدعوهم؛ لأن الناس يختلفون في مدى تقبلهم للدعوة، فمنهم من يرضى بها، ويقبل عليها، ويتفاعل معها، ومنهم من يغلق قلبه أمامها، ويصم أذنيه عن سماعها، ويرفض أن يتفاعل معها. وكل واحد من هؤلاء يحتاج إلى معاملة خاصة. وأيضًا: يجب أن يعلم الداعية أن النفس البشرية لشخص واحد تختلف من وقت إلى آخر، فيجب مراعاة ذلك.

٧ - أن يعلم الداعية حال المتعاونين معه من الأخيار في العائلة، وأن يكون خبيرًا بهم وبقدراتهم، فيضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وأن يوجه كل شخص إلى ما يمكن أن يبدع فيه.

٨ - التركيز على بناء العقيدة وتثبيت الإيمان، لأنها الأساس والأهم، والخطوة الأولى في الدعوة، وذلك عن طريق التركيز على:

أ - مواضيع العقيدة والإيمان، مثل: تعليم التوحيد، ومعنى «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، والتحذير مما يضاد ذلك، ومثل: اليوم الآخر، والجنة، والنار، والخوف من الله، ومحبته، وترسيخ التوحيد بمعانيه الشاملة.

ب - بناء الحصانات الفكرية ضد الشبهات الموجهة للإسلام وبناء الحصانة ضد الفرق الضالة.

جـ - تصحيح المفاهيم في القضايا التي شوهها أعداء الإسلام، وطرح المفاهيم الغائبة التي يحتاج إليها المسلم.

٩ - العناية بجانب الوعظ والرقائق، والترغيب والترهيب، وتعظيم الله في

القلوب، وربط المدعوين بالقدوات الصالحة من السلف، وبيان محاسن الإسلام وجوانب الإعجاز في تشريعه.

١٠ – عدم التعالي أو الظهور بمظهر العالم أو الأستاذ، لكي لا يثير المدعوين، وخصوصًا كبار السن منهم، وليحرص الداعية دائمًا على عدم إثارة غيرة الآخرين منه.

١١ – الحرص على المظهر الحسن، فليس من الدين في شيء أن يكون الداعية رث الثياب، بل إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يُرى أثر نعمته على عبده، كما قال ﷺ: «إن الله يحب أن يُرى أثر نعمته على عبده»[١].

١٢ – استخدام التوجيه غير المباشر، وعدم المواجهة بالعتاب، بحيث يقوم الداعية بالتوجيه دون أن يعلم المدعوون من هو المقصود بهذا التوجيه، وهذا منهج نبوي، حيث كان ﷺ حين ينكر على أصحابه بعض الأعمال يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا. وبهذا الأسلوب يتفادى الداعية التصادم أو إثارة الرفض والاستعلاء لدى المدعو.

١٣ – الصبر وسعة الصدر واحتمال الأذى؛ لأن من يتصدى للدعوة إلى الله لا بد أن يناله أذى وابتلاء من الله (سبحانه وتعالى)، وهذا هو طريق الأنبياء والرسل وكل من قام بهذه المهمة العظيمة، يقول الله (تعالى): ﴿ **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ** ﴾ [**الأنعام**: ٣٤] فيجب على الداعية أن يستوعب ذلك، ويصبر، ويتسم بطول النفس وبعد النظر، حتى تتحقق له الغاية المنشودة.

١٤ – الانتباه إلى وسائل الهدم في العائلة، سواء أكانت هذه الوسائل أشخاصًا أو أجهزة أو غير ذلك، ومن ثم: مقاومتها بالحكمة؛ لأنه بغير ذلك نجد أن ما يبنيه الداعية في وقت طويل يهدم في لحظات (وليس الذي يبني كمن هو يهدم).

---

١) سنن الترمذي، ح/ ٢٨٢٠، وسنده حسن.

كلمة أخيرة :

وصية مهمة لك أيها الأخ المبارك حين تختار من يعينك على هذا المشروع من الأخيار الصالحين في عائلتك، فعليك بمن تتوسم فيهم الشجاعة والكرم، فلا يستطيع أن يقوم بهذا المشروع إلا من كان لديه إقدام وشجاعة، ولا يستطيع أن يستمر في هذا المشروع إلا من يكون كريمًا، ليس في بذل أمواله فقط في سبيل الدعوة، ولكن في بذل الأوقات، وهذا قد يكون أهم من الأموال التي يمكن الحصول عليها من مصادر أخرى، فالبخيل بوقته لا يمكن أن يقوم بعمل قوي ولا بنشاط دائم مستمر، وهما أصل هذا المشروع الدعوي.

وفي الختام: اعلم أنك من خلال هذا المشروع الدعوي العائلي المبارك لن تخسر شيئًا قط، بل سوف تستمتع بذلك، وسوف تجد السرور والطمأنينة في قلبك، وهما عاجل بشرى المؤمن، وسوف يهبك الله (تعالى) من السعادة والتوفيق - حتى في أمورك الدنيوية - ما لا تحتسب، ومع ذلك : فإنه يجب عليك أن تعلم أن الدنيا ليست هي دار الجزاء، وإنما هي دار الكد، والكدح، والعمل، أما جزاؤك : فتنتظره في الدار الآخرة عند الله.

ولا يعني هذا أن المهمة سهلة، وأن الطريق معبدة.. لا؛ فإن المهمة صعبة، والطريق وعرة شائكة، والمعركة على أشدها في زمن سادت فيه الشهوات، وانحرفت الأخلاق، وسيطر على الناس حب الدنيا حتى شغلتهم عن الآخرة وأنستهم إياها. ولكن مما يشد العزم ويقوي الهمة للقيام بهذا المشروع : استحضارنا لمعية الله الخاصة بعباده المؤمنين ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ [**العنكبوت** : ٦٩]، وإيماننا أن الثواب على قدر المشقة، وكلما كان الجهد أكبر، كان الثواب أعظم، أضف إلى ذلك : ما يحصله الإنسان من سعادة حين يشعر أنه قد تخطى الصعاب والعقبات وكان له سهم في خدمة هذا الدين.

أسأل الله (تعالى) أن يجعلنا من المصلحين العاملين الموفقين.

الجنرال ..
والوطن المنفى

(١)

تَحْتَ جدارِ الوطنِ المَنْفَى
كنتُ أمُدُّ عروق دمائي
أتهيَّأُ للدَّفنِ
وحيداً
في الصحراءْ
يظهرُ جنرَالُ الزَّهْوِ فَتيًّا
يأكلُ صَحْنَ بلاغته
الجوعى
والفقراءْ!

(٢)

وردةُ جمجمتي
لن تُورق في زَبَدِ الصَّمْتِ صباحا
لن تُزهر داخل أسوار حنيني
ذاتَ مساءْ!

(٣)

ـ لن أُبْرئكَ من الجَمْهرة بسوحي
الممتلئة بالرُّعب
وبالأقذاءْ



شعر: د. حسين علي محمد

وببحر دماءْ ..
يتفجّرُ من ظلٍّ الجنْرالِ الضّخْم
لن أُبرئكَ من الوهْم
في خسَّة ليلٍ يتمدَّدْ
يبتلعُ العصفورَ الأخْضرَ والغَيْمْ
في ساح الشُّهَدَاءْ!

(٤)

لنْ أخْلَعَ رأسي في مشهد عُرْيِ الرَّاهنِ
في استخذاءْ
أرفعُ عينيَّ مليا
في مشهدِ هذا الخزي المجنون
وهَرْوَلة (الرّفقاءْ) !
إني أرقبُك وحيداً، تبدُو
كالمفتونِ
بأرضِ الغرباءْ!

(٥)

ماذا تَفْعَلُ
تحت غيومِ الوَطَنِ المُثْقَلِ بالفَقْد
وأوْحال الدَّاءْ؟
خُضْتَ بحارَ سقوطك حتى الرَّقَبَهْ
هل كان الموتُ يُسابقُ حُلْمَكْ
يسري في نبضِ دماءْ
تعلنُ عن ليلٍ يتخفَّى
تحت الأضلاعِ الستة للنجمة
في الأنحاءْ!

(٦)

نمشي فوق مناكبِ قتلانا الشهداءْ

كلَّ مساءْ

تصفعُنا ذكراهُمْ

ليلاً

فجراً

ظهراً

عصراً

صيفاً

وشتاءْ

فلماذا تُمسك مرآةَ الأيَّام السوداءْ

وتَحدِّق في الأفْق المجدولِ بعارِكْ

في خُيلاءْ؟!!

(٧)

تَحلُمُ بالشِّعْرِ

وبالماءْ

والخضرةِ، والنخلِ،

وترنيمِ الشعراءْ

لكنْ..

خفقةُ نعلِ الجنرالِ الكاسرِ

تذبحُ صدقك

لا تستأذنُ أُفقي، أفقك

كيْ تعبث فيهْ

شهْقةُ صمتي / صمتكْ

تنبئُ عن موتي، موتِكْ

ورحيل العُمْر غباراً

في هذا التِّيهْ

البيان الأدبي

الإسلامية عند نجيب الكيلاني

« رأس الشيطان » نموذجًا

بقلم : إبراهيم بن منصور التركي

تورط أحد الباحثين فألف كتابًا بعنوان : « الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ »[1]، وذهب إلى أن "محفوظ" كاتبٌ ألْهبَ رواياته بالحديث عن القيم الإسلامية والروحية!!! ولا يخفى ما في هذا الفهم من سذاجة، كان أول من استغربها واستنكرها الروائي « نجيب محفوظ » نفسه. على أن كاتبًا آخر كان أكثر حذقًا وبراعة وقدرة على التشقيق والتمحل وهو يستعرض موقف « نجيب محفوظ » من الدين في كتابه « الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية »[2]، حتى كان « محفوظ » أول المصفّقين لهذا الفهم الدقيق الذي توصّل إليه هذا الباحث!!، إذ إنه يبرّئ في ذلك الكتاب ساحة « نجيب محفوظ » من الاستخفاف بالرسالة السماوية، ليجعله داعية إلى نبذ التصادم بين الدين والعلم، ومطالبًا بتعاونهما في سبيل انتشال الواقع من وهدته.

لا أريد بعنوان هذا المقال أن أتورّط كما تورط الكاتبان السابقان في التبرئة أو التجريم؛ لذا: فإن ما تطمح إليه هذه الورقات هو تفكيك

---

١) الإسلامية والروحية في أدب نجيب محفوظ، من تأليف : د. محمد حسن عبدالله.

٢) الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية، من تأليف : جورج طرابيشي.

واحدة من روايات «الكيلاني» إلى عناصرها الموضوعية، وبيان الكيفية التي تناول بها «الكيلاني» كلّ عنصر، ومقارنة ذلك بما تقتضيه أصول الحسّ الإسلامي. وقد كان الاختيار عشوائيًا لواحدة من رواياته التي لم يسبق لي قراءتها - وهي رواية: «رأس الشيطان»[1]، وهذا يعني أن ما سيقال هنا لا يمكن أن يعمم على كل رواياته، بل هو خاص بهذه الرواية فقط؛ وذلك حتى لا يُظلم الرجل ويكون الحكم أكثر دقة وموضوعية وإنصافًا لهذا العَلَم الذي كان واحداً من المتحمسين للطرح الإسلامي في الأدب.

أولاً: فكرة الرواية:

من الصعب جدًّا تلخيص عمل روائي في بضعة أسطر، ولذا: لا يمكن هنا إلا تسجيل الخط العريض الذي سارت فيه الرواية، فهي تتحدث عن كفاح الشعب المصري أيام الوجود الإنجليزي، كما تشير إلى الفساد الإداري في الحكومة المصرية آنذاك، فتُصوِّر حالة وزير المواصلات (عثمان باشا) يوالي الإنجليز، كما يعبث بإحدى القرى الصغيرة التي له فيها مزارع وبساتين، حتى يضطر أهل القرية - إزاء تعسف وظلم ناظر مزرعته - إلى إحراقها وقتل ناظرها.

تسهم جريدة (النهضة العربية) بقيادة نائب رئيس تحريرها «ضياء الدين» بالوقوف مع الفلاحين والكفاح ضد الوجود الأجنبي وأذنابه، وتتطور الأحداث حتى يتم إقفال الجريدة واعتقال محرريها، كما تتشوه سمعة وزير المواصلات فيُعزل من منصبه، ثم يصاب بشلل نصفي بعدما وجد نفسه مجرداً من كل شيء: المنصب، والزوجة، والأبناء، وتنتهي الرواية بالإفراج

١) رأس الشيطان. نجيب الكيلاني (رواية)، مؤسسة الرسالة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

عن المسجونين.

لا شك أن هذا الاختصار قد غيّب كثيراً من معالم الرواية، ولعل الاستعراض الجزئي لبعض عناصرها يكشف عن أجزاء أخر من الرواية لم يمكن تناولها فيما سبق. لكن يهم هنا النظر إلى لب الفكرة التي تقوم عليها الرواية، والنظر في مدى إسلامية هذه الفكرة...

من الصعب جداًّ القولُ بأن رفض الوجود الأجنبي وعملائه في أي قطر هو فكرة إسلامية دون النظر في أسباب الرفض؛ فهي فكرة قد تكون وطنية، وقد تكون قومية، فيستوي فيها المسلمون وغير المسلمين؛ فالدعوة إلى نبذ التدخل الأجنبي في شؤون أي بلد، والدعوة إلى حكم وطني ذاتي: إنما هي من الدعوات التي تطالب بها كل الشعوب مسلمها وكافرها، وبذا يمكن القول بأن هذه الفكرة التي حوتها الرواية ليست فكرة إسلامية صرفة، بل هي فكرة ملتزمة - بالمعني النقدي للالتزام -، وليس كل ملتزم إسلاميًّا. وقد كان يمكن للكيلاني أن (يؤسلم) هذه الأفكار بتحوير بسيط، ولكن بالصورة التي جاءت عليها الرواية فما كتبه الكيلاني يمثل أدبًا ملتزمًا لا أكثر.

٢ - الشخصيات الإسلامية:

لا يظهر في الرواية غير شخصية إسلامية واحدة، وهو أحد مشايخ القرية هو (الشيخ الشاذلي)، وهو أحد المتصوفة الذي يتحولق حوله رجال القرية، فيؤدون الابتهالات والأناشيد الصوفية، وتبدو الشخصيات الإسلامية في غالب روايات الكيلاني على هذه الشاكلة، فغالبهم متصوفة ومن شيوخ

الطريقة.

هذه الصورة للشخصية الإسلامية عند الكيلاني لا تكاد تختلف عنها في روايات نجيب محفوظ، مع فارق يسير وجوهري، وهو أنها في روايات محفوظ تأتي شخصيات سلبية منعزلة عن واقع الناس ومشاكلهم، أما هي عند الكيلاني - كما في هذه الرواية - فذات حضور فاعل، إذ تلتقي حولها الأفئدة، وتجتمع بها الكلمة، وتصبح ذات مركز قيادي يخوّلها توجيه الناس وحفز هممهم، ولذا: لما أراد عثمان باشا (وزير المواصلات) امتصاص غضب أهل القرية لم يجد من يعتذر إليه سوى «الشيخ الشاذلي»، الذي سيصفح عن أخطاء ناظر عزبته، ويطلب من أهل القرية إعادة المياه لمجاريها.

ولئن كان إعطاء الشخصية الإسلامية هذا الدور الريادي أمراً يستحق الإشارة، فإن جعلها ذات مظهر صوفي يقوم على الأناشيد والابتهالات وجمع الناس حولها، أمر يستحق العتَبَ؛ فالإسلام ليس ترانيم وأناشيد وطقوساً غنائية، كما أن كَوْن هذه الشخصية الإسلامية بعيدة عن نبض الحياة اليومي، بزهدها الزائد والمبالغ فيه، وبعدها عن الحاجات اليومية للإنسان، هذه الصورة، وإن كانت في ذاتها ليست مما يرفض، لكن حصْر الشخصية الإسلامية في هذا المظهر أمر يسلُب الشخصية الإسلامية امتدادها المفترض، حيث يمكن للشخصية الإسلامية أن توجد في أي مكان وأي عمل، مع احتفاظها بكامل مبادئها وقيمها الإسلامية النبيلة، وهو ما لم يظهر مع الأسف في هذه الرواية.



٣ - الأبطال:

في هذه الرواية برز بطلان اثنان، وهما نائب رئيس تحرير الجريدة (ضياء الدين)، وإحدى المحررات وهي (صفاء). ولا بد من التوقف مع الدور البطولي لهاتين الشخصيتين: فأما «ضياء» فهو أحد الناقمين على الوضع السيء الذي تعجّ به البلاد، ولذا: فهو يكتب مقالاته الغاضبة على هذا الوضع، إما بشكل علني أو بشكل غير مباشر، وهو - كما تخبر الرواية - عضو في تنظيم يسعى إلى محاربة الوجود الإنجليزي في البلد، والقيام بأعمال لزعزعة ذلك الوجود، ونظراً لثقته بالمحررة «صفاء» فقد دعاها لتكون عضواً في ذلك التنظيم؛ لحاجتهم إلى العنصر النسائي في بعض الأعمال، ولأن دور «ضياء» لا يقتصر على محاربة الوجود الإنجليزي فحسب، بل وعملائه كذلك؛ فقد ظلّ على خلاف دائم مع الوزير (عثمان باشا)؛ للفساد والتلاعب بحقوق المواطنين وتقديم المصالح الشخصية أولاً، ولأن الوزير - ثانيًا - عضو في حكومة لا تكتسب شرعيتها من مواطنيها، بل من المندوب السامي الإنجليزي.

ويمكن إدراك بقية الأعمال التي يقوم بها الأستاذ «ضياء» بتسليط الضوء على طبيعة الدور الذي طلب من «صفاء» القيام به، فهو يعطيها قنبلة، ويطلب منها أن تدخل بها إلى إحدى أماكن تجمعات الجنود الإنجليز، فتتركها وتذهب، ثم تنفجر القنبلة ليذهب من ضحاياها مجموعة من الجنود والضباط الإنجليز، كما أنه يطلب منها أن تأخذ كامل زينتها لتحاول إغراء أحد الجنود الإنجليز واستدراجه إلى الشاطئ، ومن ثم: يقدم رفاقها ليغرقوا

هذا الجندي في مياه البحر.

إن هذا الدور الذي يقوم به البطلان هو دور نضالي، وكفاح شعبي من أجل التحرر من ربقة المستعمر، وبغض النظر عن مشروعية مثل هذه الأعمال، فإن مثل هذه الأعمال النضالية لم يربطها «الكيلاني» بدوافع إسلامية، بل كان وراءها أهداف وطنية تهدف إلى تحرير التراب وإعادته إلى أصحابه. وبذا: فالأبطال في هذه الرواية هم أناس وطنيون لا أكثر، مما يجعل مثل هذا الموضوع همًّا مشتركًا بين جمع أدباء ذلك القطر، ولذا: كتب عنه أكثر من أديب وتناوله أكثر من روائي، وطريقة عرض «الكيلاني» لا تكشف عن خصوصية إسلامية، أو إشارة إلى الحرص على السبيل الإسلامي، مما يؤكد ما سبق قوله.

٤ - العلاقة بين الرجل والمرأة:

تبدو في كثير من الروايات المعاصرة حتمية الاتصال بين الرجل والمرأة سواء أكان اتصالاً بدافع الحب (البريء!!) - كما يُسمى -، أو كان بدافع الشهوة والاستمتاع. وهذه الرواية لا تخلو من هذين النوعين: فمن النوع الأول ما يكون بين «صفاء» و «ضياء» من الاقتران والتواؤم النفسي والفكري، مما ينشأ عنه علاقة حب (بريئة!!) لا تخلو من الخلوة بين المحبَّيْن، وتبادل الكلام والآراء، بل وتبادل عبارات الغزل الرقيق الذي قد يصل إلى حد التغني بالجمال الظاهر. مثل هذه العلاقة التي لا ينشأ عنها أي صلات آثمة!، تبدو - في نظر الكيلاني - علاقة عادية توطّئ غالبًا للاقتران المشروع بين العاشقين (الزواج)، ولذا: جاءت مثل هذه العلاقة في كثير من روايات الكيلاني. ولا أحد

البيان الأدبي

يستطيع الجزم بأن خروج العاشقين وتلاقيهما بعيداً عن الأعين، وتبادل الكلمات والعبارات في أي موضوع كان - لا أحد يستطيع الجزم بأن هذا هو ما أباحه الشرع من جواز رؤية المخطوبة والتعرف عليها، بل إن فتح المجال أمام مثل هذه العلاقات في أي مجتمع مؤذن بفساد كبير، ولعلنا نلتمس للكيلاني العذر بأنه كان يتحدث عن بيئة كانت تلك عاداتهم الاجتماعية، ولكن ذلك لا يعني أن تورَد مثل هذه الصلات في معرض الاستحسان والقبول.

كانت هذه هي العلاقة الوحيدة (النظيفة) في تلك الرواية، أما العلاقات الآثمة: فمنها ما كان بين زوجة الوزير (عثمان باشا) ومدير مكتبه (بركات)، وقد سلّط الكيلاني الضوء على هذه العلاقة في عدد من المواطن، ورسم صورة الخيانة الزوجية التي ارتكبتها الزوجة مع «بركات» حتى اكتشف الوزير الأمر لحظة كانت زوجته بين يدي «بركات». تصوير هذه العلاقة الآثمة أخذ أكثر مما يجب وكان يمكن الاقتصاد في الحديث عن ذلك، ومع ذلك: يحمد للكيلاني أنه لم يُسِفّ (كثيراً) في هذا الجانب.

العلاقة الأخرى كانت بين «سلطان» ناظر عزبة «عثمان باشا» وإحدى فتيات القرية المخدوعات (نجية عبد السلام)، وقد ظلت هذه الفتاة محلّ عبث «سلطان» وهي مخدوعة بوهم الزواج المنتظر، إلى أن طردها «سلطان»، فما كان منها بعد هذا العار إلا أن صعدت إلى النخلة وألقت بنفسها منتحرة!!! (هنا لا بد من تساؤل: أما كان يمكن للكيلاني إيجاد الحلّ الإسلامي لمثل مأزق



هذه الفتاة غير الانتحار؟!).
الارتباط الزوجي بين «عثمان باشا» وزوجته قد أفرط الكيلاني في وصف تفاصيله وهو يصور حالات تبذل المرأة لزوجها، مما لم يكن له داعٍ، ولم تكن الرواية بحاجة إليه، ومثل ذلك يقال عن التعبير عن محاولات الاعتداء والإغراء والمضايقة التي تعرضت لها وقامت بها «صفاء»؛ فمرة كاد رئيس التحرير يعتدي عليها وهو مخمور لولا أن سقط مغمى عليه بسبب سوء حالته الصحية، ومرة تذهب لطلب عمل بعد إقفال الجريدة، فيساومها ويغازلها مدير الشركة حتى تخرج إلى غير رجعة، ومن ذلك: ما قامت به من إغراء (بدافع وطني!!)، حينما تهتكت في ثيابها وملابسها لتغري جنديًّا إنجليزيًّا، ظلّت تشاغله عن تحقيق مآربه (الدنيء) حتى جاء رفاقها فقتلوه ضربًا.
كل هذا التصوير لهذه العلاقات يوشك أن يسلب هذه الرواية القدرة على تصوير الفضيلة في أبهى صورها؛ فالعلاقة المثلى – كما جاءت في الرواية – هي مزيج من الهيام والغرام المشبع بالمحاذير الشرعية.
ويلحظ فيما سبق أن الكيلاني قد لجأ إلى إقحام الرجل والمرأة – وهو ما قد يفعله أحيانًا حتى ولو لم تكن الرواية تستدعيه –، لكونه عنصرًا ضروريًّا لقيام العمل الروائي عنده، وإذا تم الاتفاق على هذا المبدأ، فإن الاختلاف يكمن في الكيفية التي يمكن أن يعبّر بها الروائي عن هذه العلاقة.
أخيراً:
يقتضي الإنصاف القول بأن الجنس في روايات الكيلاني أقل منه

عند أي روائي آخر، كما أنه – في الغالب – يأتي لدوافع تقتضيها الرواية (وهذا لا يعني بطبيعة الحال الموافقة على التفصيلات التي قد يفرط فيها الكيلاني).

لا شك أن هذه السطور عاجزة عن رسم تصور كلي عن كتابات الكيلاني، (وهو ما أحذر القارئ من الوقوع فيه). لذا: يمكن الإحالة في هذه الخصوص إلى كتاب: (الاتجاه الإسلامي في روايات الكيلاني)[1]؛ فمؤلفه ممن عرفوا بسلامة الاتجاه والمنهج، وكتابه: عبارة عن أطروحة علمية أشرف عليها الدكتور / عبدالرحمن رأفت الباشا (رحمه الله)، وفي الكتاب غنية لولا تقدّم زمن تأليفه، مما فوت فرصة الحكم على الروايات الأخيرة للكيلاني.*

1) الكتاب من تأليف د. عبدالله العريني، مطبوعات المهرجان الوطني للتراث والثقافة.

* للاستاذ محمد حسن بريغش دراسة مستوعبه لاعمال د. نجيب الكيلاني القصصية في كتابه (دراسات في القصة الإسلامية المعاصرة) ومن ضمنها (رأس الشيطان) بتحليل ودراسة موضوعية. – البيان



الأمـــل

أمل يخـاطب خلسـةً وجـداني والطيـر يشـقل كـاهل الأغـصـان

أمل أحس به إذا انهـار الظلام وقـام صـرح الصـبح كـالبنيـان

وأحسـه والطفل يبتـدئ الخطى يهـوي فـينهض واهن الأركـان

والنمل يطلب رزقـه متـجلداً والنحل ينعش روضـة البسـتان

وأُحسـه والعشـب يختـرق الحصى ويقـيم دولتـه على الكثبـان

والزهر يخلف غـيـره ببـهـائه والماء يخـرس ألسن النيـران

أُحسـه في الكون في حـركـاته وأُحسـه في لوحـة الفنان

أملٌ يراودني وإن قـيـدت بالأغـلال أو عـذبت بالإحـسـان

أملٌ يروادني وإن أُلجـمت قلة حـيلتي فَكتـمت سـحـر بيـاني

ويظل يحـدوني على رغم الجـراح تفـتني وتغـوص في وجـداني



شعر: عبدالله بن عبدالكريم الذميس

أملٌ يحـــدثني بعـــودة عِـــزَّتي وكـــرامـــتي وجـــحـــافلِ الإيمان

شـــمّـــاء لا تحني الرؤوس لغـاصـب كـلا ولا تخـــشى ســـوى الرحـــمن

تـنفض من غـــفـــواتهـــا مـــشـــحـــونةً بالثـــأر يدفـــعـــهـــا إلى الميـــدان

ترمي العـــدو بحـــارقٍ من نارها وتعـــود تحـــمل راية السلطان

حُلُمٌ أراهُ حـــقـــيـــقـــةً تغـــزو الوجـــود وتســـتـــخف بسطوة الأحـــزان



ردوها علي

شعر: محمد عبدالقادر الفقي

ودعِ العتابْ

لن يسمعوكَ فقد أصاخوا السمعَ للطاغوتِ

ها هم سادرون وراء « سالومي » يشقّون العبابْ

وتدور أعينهم إذا اهتزت مفاتنها وطير النور غابْ

فاربأ بنفسكَ واستقمْ

لا اللومُ يُزْهِرُ أقحوان الفجرِ أو يُذْكي أعاصيرَ الشبابْ!

لو كان يُجدي كنتَ أشعلت الحرائق في الرسائل والحروفْ

لكنْ شرار العشب قد طالت أظافرها

و« سالومي » تساوم:

- « أين أرضُكَ »

- لا جنود ... ولا سبيلَ ... ولا صواب!

* * *

ظمآن بين سواحلي

والماءُ في أعلى القبابْ

أستمطر الأوغادَ، تلفظني الحدودُ

يميتني هذا الجمودُ

وعين سالومي « تصوِّر » كل بابْ

وتسد فُرْجةَ كل باب!!

* * *

البيان الأدبي

ضاعت جهاتُ الحيّ، والفجواتُ في السيف العُضابْ
وتراكمت أنات «ليلى» والخيولِ الخضرِ، وانتُهك الكتابْ
فاصدع بصوتكَ
واغتسل بالنور والإخلاص حتى تمسح الأدرانَ من جسدٍ
تبرقش أو ترقّش بالسياط وبالسبابْ!!
واشدُدْ، وحاذرْ، واستمع فصل الخطابْ!

* * *

واصبر على جهل الغثاء فكم قرونٍ قد خلتْ
مذ هُدْهُدِ الأنباء غابْ!

* * *

واترك سراة الطين
في المرآةِ صورتهم غبارٌ أو غرابْ!!

* * *

واترك سراة الطين
في المرآة صورتهم غبارٌ أو غراب!!
واحذرْ
فسالومي هي السَّلَبوتُ
والجبروتُ
في العصر العجابْ!
لا المزن تهمي في صحارى روحها
أبداً . . . ولا «الإشعاع» سوف يطهر القلب الخرابْ!

* * *

فاركضْ برجلك كي يطيب لكَ التنفسُ والشرابْ
وانظر مليًّا قبل أن تطئ الحصى والبرزخينِ
فإن أفعى الليل لاذتْ بالفرار من الجرابْ!!
هي ذي تسيل إلى ديارك تشتهي دفئا
وثمة بارقاتٌ في الثنايا والثيابْ

سمٌّ نقيعٌ في رضاها والرضابْ!

* * *

وتقول سالومي: «طريقي وحده يفضي إلى تاج الصدارةِ
والعداةُ لهم مغارات الذّئابْ»!!
وحذامِ تصرخ في رمال التبرِ:
«من يستأصل الأشواكَ؟
من يستنصل «الهالوكَ»؟
من سيردّ لي شمسي ويحملني على الخيل العِرابْ؟!

* * *

خزّرْ عيونَكَ، إن «سالومي» تراوغُ
في الظلامِ تمدّ كفّيها إلى السكينِ
ترقصُ بعدما تدمي كُلانا والنواصيَ والكِعابْ!
ستلوكُ في دلٍّ دماك وتنتشي
وتفوزُ بالصفراءِ والبيضاء والثوب المعصفرِ والدّوابْ!

* * *

كم أرعنِ الخطوات خرّ وتاه في حجراتها
وعدتْ عليه النائباتُ وما أنابْ!
كم من غريقٍ قد تعلّقها ...
تعلّق في خيوطٍ من سرابْ
وبنى على ثبج التمني ألف قصرٍ
ما تدبّر حينما ألقتْ عليه رموشَها ووحوشها
وأرتْه ألوان الخضابْ
حتى إذا (الرغبوت) زاد على النِّصابْ
قدّتْ قميص حيائها، ومضتْ تعانقهُ عناق الدبِّ
حتى خار وانسحقتْ مفاصلُهُ
وجاءته الكواسرُ والمناسرُ والكلابْ!

* * *

البيان الأدبي

وإذا أطلَّ الفجر وانزاح الحجابْ
جاءت إليك، دموعها تنسابُ ساخنةً على الخدينِ
أو تنثال ما بين الوطابْ
وتظل ترقص في رداء الضعفِ
والأفعى تطلُّ
وقد تضمَخ عودها بِنِشاءِ حمقكَ
ثمّ
تهجمُ
بعدما امتزجت بعطر الاقترابْ!

* * *

احفظ حروفكَ طاهرات، لا تحاورْ ... لن تُثابْ!
السابقون تبددوا، واللاحقون تمددوا
هدأت فرائصهم، ونبض الصوت غابْ!

* * *

وإلام نُخفي بؤسنا، ونغلّف الألفاظ بالحلوى
وبالإيقاعِ
والأمل المذاب؟!
وإلام نرحل في دوائرنا ونزدرد التعلاّت الكذابْ؟
ونصيحُ في صَخَبٍ: «ألا لا يجهلنْ أحَدٌ علينا»
ثم
يغزونا الذبابْ

* * *

مقاطع من قصيدة طويلة للشاعر منع طولها من نشرها كاملة .

أصداء من سيرة الضوء و الظل

شـهـدْتُهُ في الظلالِ يَحْـتَـجبُ ... وللسَّحـابِ الثِّـقـالِ يَنْتـسبُ
تضيء وجْـه الدروب طَلْعَـتُـهُ ... وعَنْ مرايا الضيـاء يَغْـتَربُ!!!
في كل حـقلٍ ثمـارُ راحـتِـه ... وحـقلهُ المُسْتطاب يُنتَـهبُ!!!
تغـدو إليـه الطيـور مسـغبـةً ... كـيف غـداً مِنْ يديه تنسربُ؟!!
وهل تروح الخـمـاصُ طاويةً ... وغـرسُه للحـصـاد مُـرْتَقَبُ؟!!
من كل فجٍّ.. سناهُ تقـصـده ... قـوافلٌ في مَـدَاهُ تنسكبُ
يمدُّ راح النـوال في ثقـةٍ ... وفي حـمـاهُ العُـفـاةُ تحْـتربُ!!
أبْصـرتُ في خَطْوه سكينتَـه ... وكل نجمٍ إليـه يَنْجَـذِبُ
وكـان.. مـا كـان.. في توهجه ... وَمنْ مـدار الشـمـوس يقـتـربُ
لكـنَّمـا في الظـلال دَوْرَتـهُ ... وفـي رُؤاهُ العَـطَـاءُ... والـغَـلَـبُ
أحـدِّق الآن في مَنَابعـه ... وليس إلا الجـفـافُ.. والعطبُ!!
وأرحـل الآن فـي سنـابلـه ... وليس إلا الهـجـيـرُ.. والسَّغَبُ!!
وأسـبح الآن في دفـاتره ... وليس إلا السطور تنتـحبُ!!!
وأبزغ اليـوم من مشـارقه ... وليس إلا الرعـود.. والسحبُ!!!

***

شعر : د. صابر عبد الدايم

أيرحل العِطْرُ عَنْ حدائقه ... وفي الرحيل الهوانُ والوصبُ؟!!
أيهْجُر الماءُ البحْرَ في زمنٍ ... كل البشارات فيه تكتئبُ؟!!
وهل تجفُّ الحُروفُ في زمنٍ ... تجفُّ فيه الرؤى .. وتُسْتلَبُ؟!!
هل انطفاءُ النهار تشعلهُ ... شَمْسٌ .. ضياها كأنَّه الذهبُ؟
وهل تعود الخيولُ صاهلةً ... فتنجلي النائباتُ .. والكربُ؟
وهل يعيدُ الزمانُ قصَّتَهُ ... وتكشفُ الآنَ وجْهَهَا الحُجُبُ؟!!
وهل تعيدُ الحروفُ فارسها ... فتصطفيه الصُّدورُ والكتُبُ؟
وهلْ.. وهلْ.. قصَّةٌ مهلهلةٌ ... فهل تعودُ البروقُ والشُّهُبُ؟!!

***

شهدتُهُ في الظّلال يَحْتَجِبُ ... وَللسَّحابِ الثِّقالِ يَنْتَسِبُ!!
وكان ما كانَ في توهجه ... مُتوَّجٌ بالحَيا ومُنْتقِبُ
أثْمارُه: طلْعُها يُتوِّجنا ... والتَّاجُ فيه الفَخَارُ والحَسبُ
وفي حماهُ المظلِّ عاشقَهُ ... ترْحَلُ عنَّا الظُّنونُ والرِّيَبُ
مِنْ أفُقِ المكْرُماتِ مَطْلَعُهُ ... لِغَيْرِ هَامِ الإباء .. لا يثبُ
وقلْبُه في اليقينِ رحْلتُهُ ... بغيرِ ضوءِ الرَّجاءِ .. لا يَجِبُ
وفي مدار العَبيرِ سيرتهُ ... سابحةٌ ... والحُروفُ تلتهبُ
أبْصَرْتُ في خَطْوه سكينَتَهُ ... وكل نَجْمٍ إليه ... يَنْجذبُ
تضيء وجْهَ الدُّروب طَلْعتهُ ... وعَنْ مرايا الضِّياءِ ... يَغْتَرِبُ

نحو معالجة أعمق للوضع في اليمن

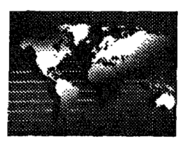
رفعت الحكومة اليمنية في الآونة الأخيرة شعار محاربة الفساد والقضاء عليه، ومع أنه شعار جميل براق لايسع مخلصًا رفضه، إلا أن تحليلات المتابعين للساحة اليمنية اختلفت في تحديد الدوافع الحقيقية التي حدت بالحكومة اليمنية إلى رفعه :

– فطائفة ترى أنه مجرد محاولة امتصاص لغضبة الشعب نتيجة المعاناة الكبيرة التي لحقته من جراء تردي قيمة الريال اليمني وانخفاض معدل دخل الفرد بصورة مفزعة.

– وطائفة ترى أنه مجرد تحسين للصورة ونكاية بـ(التجمع اليمني للإصلاح) الشريك الثاني في الحكم الذي انسحب وزراؤه من جلسة مجلس الوزراء التي أقرت فيها الحكومة تنفيذ المرحلة الثانية من ما يدعى بـ(عملية الإصلاح الاقتصادي)، وأصدر مجلس شورى الإصلاح بيانًا اعتبر تنفيذ الحكومة للمرحلة الثانية من الإصلاحات الاقتصادية مجرد إجراءات تنحصر فقط في جباية الأموال؛ مما يثقل كاهل المواطن ويشغله بلقمة عيشه وذويه،فضلاً على أن الإصلاحات لاتأتي ضمن برنامج للإصلاحات جاد وشامل.

– وطائفة ثالثة ترى أن صناع القرار الغربي قد أغاظهم توجه الجماهير اليمنية القوي نحو الإسلام، وما يوجد في التركيبة القبلية اليمنية من عزة ونخوة وخلال حميدة؛ فأوحوا إلى رموز (التيار الليبرالي) داخل الحكومة

المسلمون



والعالم

بقلم:
أيمن بن سعيد

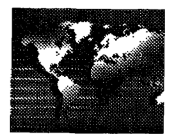
اليمنية بالقيام بتنفيذ مخططاتها لإذلال أهل اليمن وتركيعهم والحط من كرامتهم؛ تحت ستار تنفيذ شروط صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والمتطلبات الدولية للمرحلة الراهنة، وبالتالي: قاموا برفع هذا الشعار (محاربة الفساد) لتحسين صورتهم أمام العامة وتعليق نفوس الأمة بذلك؛ بغرض إلهائها عن المخطط الذي يقومون بتنفيذه نيابة عن صناع القرار في تلك العواصم التي تسوءها التركيبة الاجتماعية للشعب اليمني والتوجه الإسلامي لديه.

– وترى طائفة رابعة أن عملية رفع شعار محاربة الفساد جزء من حملة انتخابية مبكرة يقوم بها المؤتمر الشعبي العام، وذلك باعتبار أن قضية الفساد وسبل القضاء عليه ستكون محوراً مهمًّا من محاور الحملات الانتخابية للأحزاب اليمنية عام ١٩٩٧م، الذي من المتوقع أن يكشف كثيراً من غسيل الحكومة الراهنة، التي يعتبر المؤتمر الشعبي الحاكم الفعلي داخلها وصاحب النفوذ الحقيقي فيها؛ مما يعني إلصاق تهمة الفساد به وتعرية كوادره، ففي رفعه المبكر لهذا الشعار – قبل طرحه من قبل الأحزاب الأخرى – تبرئة له ومبادرة منه في كسب عواطف كثير من عامة الشعب اليمني قبل غيره، وإذا صاحب ذلك تغيير للحكومة اليمنية الحالية، وإيكال إدارة دفة البلاد إلى حكومة جديدة، فإن ذلك يعني إفشالاً للدعايات الانتخابية لكثير من الأحزاب اليمينة؛ نظراً لكون التهمة بتعاطي الفساد وحمايته ستوجه الى حكومة منحلة.

ومع هذا التشكيك القوي من قبل المتابعين للساحة اليمنية في مصداقية طرح محاربة الفساد والقضاء عليه، إلا أنه لايسعنا إلا تأييد هذا الشعار والمطالبة الجادة بتنفيذه؛ باعتبار أن من رسالة علماء الصحوة الإسلامية وأبنائها محاربة الفساد والعمل على استئصاله؛ ولذا: فسأحاول في هذه المقالة – مستعيناً بالله (تعالى) – العمل على تحديد طبيعة ذلك الفساد المستشري ذاكراً بعض صوره ومجالاته البارزة، التي – في ظني – لو استوعبتها الحكومة اليمنية واتخذت خطوات جادة وكافية لمحاربتها: فإن مواجهتها للفساد ستكون أعمق وأبعد عن المهاترات الحزبية والتسابق الانتخابي على رجل الشارع اليمني لجذبه وكسب صوته.

تحديد طبيعة الفساد وصوره:

الفساد هو الخروج عن الاستقامة وتغير الشيء عما كان عليه من الصلاح ،ونظراً لاختلاف الأفراد والدول والمجتمعات في تحديد الضوابط التي يُتعرَّف بواسطتها على صلاح الأشياء من فسادها؛ نتيجة الاختلاف في القيم والمبادىء التي يُسار عليها، فإن الحكومة اليمنية وهي في بلاد الإيمان والحكمة ،وفي دولة تعلن في دستورها أن دينها الإسلام وأن الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريعات التي تسير عليها مطالبة بان تجعل النصوص الشرعية الصحيحة والأدلة الشرعية التي اعتبرتها هي المعيار التي تتعرف به علي صلاح الأشياء في اليمن من فسادها.



وحين يتم تطبيق هذا المعيار على الوضع في اليمن وقضاياه سنجد صوراً ومجالات كثيرة للفساد ولعل من أوضحها وأضخمها:

١ – الانحراف العقدي : ويأخذ هذا الانحراف في اليمن اتجاهين:

أ– غيبة المفاهيم والقيم الإسلامية الصحيحة لدي كثير من أبناء الشعب اليمني المسلم ،ابتداءً بمفهوم (لا إله إلا الله) الذي تلقاه المسلمون الأولون على أنه مفهوم يبلغ من الضخامة أن يزيل واقعاً بشرياً فاسداً

بأكمله من حياة الأفراد والمجتمعات ،وينشيء بدلاً منه واقعًا جديداً مختلفًا عنه كل الاختلاف في كافة جوانب الحياة لايند منها شيء... إلى أن صار ذلك المفهوم العظيم في عصرنا مجرد كلمة ينطقها بعضهم بلسانه دون فهم لمعناها، فكيف بالعمل بمقتضاها: من التسليم بما جاء من عند الله (تعالى)،والعمل بقدر الطاقة بمقتضي ما أنزل سبحانه، ومروراً بمفهوم العبادة، الذي قصره بعضهم على شعائر تعبدية يؤدونها بشكل خال من التدبر والخشوع بعد أن أخرجوا منه الأخلاق والأعمال .

ومروراً بمفهوم الولاء والبراء الذي حوله كثيرون من حب لعباد الله المتقين، مهما نأت ديارهم واختلفت ألسنتهم وأنسابهم، إلى حب على أساس العرق والأرض والحزب.

ومروراً بمفهوم القضاء والقدر، الذي كان يعني التوكل على الله (عز وجل) مع الأخذ بالأسباب الى أن صار في حياة كثيرين•تواكلاً وإهمالاً للأخذ بمسببات القوة والطرق المؤدية للنجاح.

وغاب استيعاب كثير من الأفراد والتجمعات لرسالتهم في الحياة من خضوع وانقياد لله (تعالى)، ودعوة للخلق إلى ذلك، وصار الهمٌّ الأعظم والجهد الأكبر متجهًا نحو تحقيق شهوات البطن والفرج.

كما غاب ذلك التوازن الجميل بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة؛ الذي كان فيه عمل الدنيا جزء من عمل الآخرة ، وكان الفرد فيه مطالب بأن يعمل لآخرته كأنه يموت غداً ، ومطالب بأن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً، وصار الحال إلى مجرد تعلق بالملذات أو ارتباط بالخرافات بشكل أهملت فيه عمارة الأرض وطلب العلم والأخذ بأسباب النهوض والقوة.

ب – تفشي العديد من المنكرات العقدية الضخمة ابتداء بشرك الجاهلية الأولى: من طواف حول القبور، والذبح، والنذر، والدعاء لها، إلى وجود طوائف وأحزاب ومؤسسات تقوم على مبادئ وأسس مناقضة



للإسلام، وتسعى بجد وعزم إلى نشرها.

٢ - الخلل الاقتصادي:

ويتمثل ذلك في جوانب متعددة من أبرزها:

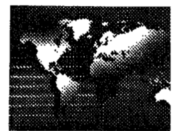
أ - قيام اقتصاد الدولة على الربا إذ البنوك الربوية هي الركيزة، والمعاملات الربوية داخلة في أكثر معاملات الدولة المالية الداخلية والخارجية، والحكومة تحث الناس وتشجعهم بممارسة ذلك مع ما فيه من محاربة الله (تعالى).

ب - اعتماد الدولة في توفير قوت شعبها على الاستيراد، مع أن اليمن بلد زراعي بالدرجة الأولى تتوافر فيه كافة المناخات، ويملك ساحلاً بحريًا يزيد على ٢٠٠٠ كم.

وبإمكان اليمن - لو صدقت النوايا - وتم الأخذ بأسباب النجاح أن تكتفي في هذا الجانب محليًا، بل وتقوم بالتصدير خارجيًا.

جـ - احتكار الاستيراد وسيطرة حفنة لاتتجاوز أصابع اليدين على أقوات الناس ومصالحهم.

د - العبث بالمال العام واختلاس بعضهم لجزء كبير منه قبل أن يدخل في خزينة الدولة وبعد دخوله بطرق كثيرة مباشرة وغير مباشرة.



هـ - إسناد إدارة دفة الاقتصاد في اليمن - غالبًا - الى حفنة متهمة من قبل قطاع عريض من الشعب بالضلوع في الفساد وحمايته وإقصاء المخلصين ومضايقتهم عن الإسهام في إدارته بطرق جلية وملتوية تضطرهم للاستقاله.

٣ - خلل مؤسسات التربية والتوجيه:

لاتقوم مؤسسات التربية والتوجية في اليمن بدورها المنشود في إعداد الإنسان الصالح وتكوينه، فمثلاً:

في القطاع التعليمي نجد:

أ - المناهج التعليمية - باستثناء مناهج المعاهد العلمية - جلها غير

مؤهلة بشكل جيد للإسهام في تنشئة الإنسان الصالح القوي إيمانيًا وفكريًا وماديًا، وهي مع ذلك غير ميسرة في أيدي الطلبة في مناطق كثيرة من اليمن.

ب - الكوادر القائمة على العملية التعليمية تدريسًا وإدارة وإشرافًا غير مؤهلة في كثير من المدارس والمعاهد والكليات اليمنية للقيام بالدور المنوط بها، بالإضافة إلى أن كثيراً منهم لديه توجهات فكرية منحرفة وسلوكيات سيئة.

جـ - تنتشر في القطاع التعليمي اليمني ظاهرة بيع الشهادات بشكل يجعلها تتجاوز حد الظاهرة ويوصلها الى مرحلة المشكلة مما يلزم المعالجة العاجلة.

د - كثير من المباني المدرسية غير صالحة وجل الوسائل التعليمية غير متوفرة.

وفي القطاع الإعلامي نجد:

أن مؤسسات الدولة الإعلامية والكثرة الكاثرة من المؤسسات الإعلامية الحزبية والأهلية، لاتتبنى، ولاتعمل على نشر قيم الشعب اليمني ومبادئه الإسلامية، ولاتقوم بالدفاع عنها؛ بل نجدها منشغلة في متابعة ذهاب وإياب وتصريحات رجالات الدولة والمعارضة والثناء أو الذم لأقوالهم وتصرفاتهم.

بالإضافة الى تبني كثير منها للفساد الفكري والأخلاقي المنافي لأصل الإسلام أو القادح في كماله،هذا مع ندرة البرامج والكتابات الجادة التي تسعي للبناء والمعالجة حتى ولو من منطلقات قومية أو وطنية فكيف بالبرامج والكتابات المنضبطة بالضوابط والمعايير الشرعية.

٤ - الخلل الإداري:

وله صور عديدة منها:

أ - قوانين الدولة وأنظمتها قديمة عفا عليها الزمن، ولم يدخلها التحديث، فهي: إما إرث من قوانين ما كان يدعى (الجمهورية العربية اليمنية) والمأخوذة بدورها من القوانين المصرية المستوردة من القوانين الفرنسية والإنجليزية، وإما إرث من القوانين الاشتراكية فيما كان يدعى بـ(جمهورية اليمن الديمقراطية).



ب – المركزية العقيمة في وزارات الدولة المختلفة، التي تجعل المواطن في جل معاملاته الحكومية المهمة محتاجًا لمراجعة العاصمة صنعاء لإنهائها.

جـ – الأثر القبلي والحزبي والمناطقي الملموس في التوظيف والتعيين والترقية في المؤسسات العسكرية والمدنية وغياب مبدأ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب؛ مما جعل كثيراً من مؤسسات الدولة العسكرية والمدنية تقوم في الغالب على تكتلات قبلية أوحزبية أو مناطقية.

د – ما استفاض من العبث في سجلات الدولة بحيث تصرف بعض المرتبات لأموات أو لشخصيات وهمية أو يقوم الفرد الواحد بشغل الكثير من الوظائف بأسماء وبطاقات شخصية متعددة.

هـ – الوضع المتردي في مؤسسات الدولة الرقابية: إما نتيجة لوجود أشخاص غير مؤهلين على رأسها، أو لعدم توفر الإمكانات اللازمة للقيام بالدور الرقابي على مؤسسات الدولة العسكرية والمدنية على الأقل بشكل مقبول،وقد نتج عن ذلك :

– عدم التزام جل موظفي الدولة بالدوام الرسمي بحيث لاتكاد مدة عمل أحدهم يوميًا في جل مؤسسات الدولة تتجاوز ثلاث ساعات .

– تلاعب الموظفين في إنجاز معاملات المراجعين والعنت الكبير الذي يلاقية عامة الشعب من جراء ذلك.

– تفشي ظاهرة الرشوة في أوساط بعض الموظفين صغاراً وكباراً الى حد جعل منها مشكلة كبيرة، وماتنتجه من ثمار نكدة من ظلم للعباد وأكل لأموال الناس بالباطل.

٥ – صور أخرى للخلل :

أ – تفلت جل تعاملات الدولة الخارجية وعلاقاتها الدولية من أحكام الشريعة الإسلامية.





ب - ماتقوم به بعض الجهات من أندية رياضية ومؤسسات فنية من إبعاد شباب الأمة ذكوراً وإناثًا عن الواجب الشرعي الملقى على عواتقهم في التربية والبناء.

جـ - التفلت الأمني وارتفاع معدلات الجريمة بصورة ملحوظة وتكون عصابات جماعية لممارسة السرقة والنهب ...الخ.

د - تسخير موارد الدولة وإمكاناتها المختلفة لخدمة رموز وكوادر الحزب الأقوى في الحكومة ، والعمل من خلالها على زيادة المنتسبين والمؤيدين له من العامة عن طريق الإغراء تارة والتهديد تارة أخرى تمهيداً - كما يبدو - للانتخابات القادمة.

هـ - المنكرات والمعاصي المتفشية داخل قطاع كبير من المجتمع اليمني: كإضاعة الصلاة وعدم إخراج الزكاة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والظلم للخلق، وأكل أموالهم بالباطل؛ مما يثير الأحقاد والضغائن بين الناس.

وليس الهدف هنا استقصاء صور الفساد الموجودة، وإنما لفت أنظار الصادقين الى جزء منها للعمل العاجل لعلاجها.

كيف تصلح الأوضاع ؟

إذا كان الواقع بهذا الشكل المخيف فإن المعالجة الجادة له لابد أن تكون عميقة بعيدة عن السطحية والارتجال والتعامل الجزئي. بحيث يبحث عن الأسباب الحقيقية التي أدت الى تلك المشكلة الضخمة من إعراض عن تعلم الشرع الصحيح وتطبيقه في جل جوانب الحياة وقصره على قضايا الأحوال الشخصية كناحية تطبيقة ، أو جعله - دستوريًا - دين الدولة ومصدر تشريعاتها كناحية دعائية.

ومن فشو الجهل والأمية الكتابية والفكرية، ومن الركون إلى الذين ظلموا وإيساد للأمر (تخطيطًا وتنفيذاً ومتابعة) في جل المواقع الى غير أهله.

ومن ذنوب ومعاصٍ كبيرة وصغيرة يحارب بها الله (عز وجل) على مستوى المؤسسات الحكومية والأهلية وعلى مستوى الأفراد.

نعم: لابد من **دراسات توصيفية تأصيلية لقضية الفساد (طبيعة، وأسبابًا، وآثارًا، ومعالجة)** بحيث تكون محاربته جزءاً من مشروع نهضوي متكامل، يعالج فيه فساد الفرد، كما يعالج فيه فساد المؤسسات والمجتمعات، ويعالج فيه فساد الحكومة، كما يعالج فيه الفساد الموجود لدى كثير من طوائف وطبقات الشعب.

ويحرص فيه على تصحيح الفساد العقدي والأخلاقي والتربوي، كالحرص على تصحيح الفساد الاقتصادي والإداري والمالي أو أشد.

وإذا بان ذلك – عزيزي القارىء – ظهر لك أن شعار الفساد يصبح شعارًا أجوفَ إذا كانت المعالجه تتم بطرق جزئية وسطحية: كفصل مرتشٍ صغير، أو سجن مختلس ضعيف لا حماية حزبية أو قبلية له، أو نقل موظف من موقع الى آخر، وحيث لم يتم بعد وضع العلاج الناجع والبدأ في الطريق الصحيح لمحاربة الفساد ومعالجته؛ فإني أدعو كافة أهل اليمن الى عقد مؤتمر شعبي عام يشارك فيه علماء اليمن الأخيار ـ في كافة التخصصات ـ ودعاتها الأبرار ورجالاتها المخلصون من كافة شرائح المجتمع اليمني ومناطقه مهمته: توصيف قضية الفساد ومجالاته وتحديد أسبابه وآثاره السيئة والطرق الصحيحة لمحاربته والقضاء عليه.

على أن يهيأ لمثل هذا المؤتمر ـ رسميًا وشعبيًا ـ كافة سبل النجاح البشرية والإدارية والمالية والإعلامية؛ ليكون خطوة تتبعه خطوات عملية مدروسة لمحاربة الفساد والقضاء عليه.

وختامًا: فإن هذه السطور لاتعني القول بإطباق الفساد في اليمن كله فالخير فيه كثير ولله الحمد. فهو بلد الإيمان والفقه والحكمة وموطن تنتشر فيه العادات الحسنة والأخلاق والخلال الكريمة.

المسلمون



والعالم

ولايمكن لمتابع منصف أن يغض الطرف عن الجهود المبذولة في هذا السبيل من قبل علماء اليمن ودعاتها والنخب المثقفة الغيورة على دينها وبعض رجال المال والأعمال وشيوخ القبائل داخل التجمع اليمني للإصلاح وخارجه والجمعيات الخيرية بفروعها المنتشرة في كافة محافظات الجمهورية، كما أن لبعض رجال الحكومة جهد ملحوظ في التنمية والتطوير لا يمكن تجاهله. وندعو الله أن تتضافر الجهود المخلصة والأعمال الصادقة في كشف حقيقة الفساد ومحاربته - فعليًا - من قبل كافة أبناء اليمن: علماء، ودعاة، وعامة.

كما أسأله أن يصون اليمن ويحميه ويحفظ عليه دينه النقي الخالص من شوائب الشرك والخرافة، وأن يجنبه المخططات العلمانية الخارجية والداخلية التي تطمح الى صرف الناس عن دينهم وإبعادهم عن شريعتهم وإلهائهم عن رسالتهم التى خلقهم الله (تعالى) من أجلها عن طريق اتباع سياسة التجويع، وبالتالي: الإذلال تارة وسياسة الإغراق في الفتن والشهوات تارة أخرى.

والله العاصم والهادي الى سواء السبيل،،،



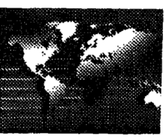
الأوضاع المعيشية في قطاع غزة

بين الأمس واليوم

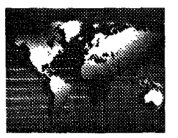
يبلغ عدد سكان قطاع غزة قرابة مليون نسمة، معظمهم من اللاجئين الذين هاجروا من ديارهم نتيجة لحرب عام ١٩٤٨م، حيث نسبة اللاجئين حوالي ٧٥٪ من إجمالي عدد السكان، ويعيش معظم سكان القطاع في ظروف اجتماعية واقتصادية بالغة القسوة، لدرجة أن بعض الخبراء الأجانب – الذين زاروا القطاع أثناء فترة الانتفاضة – يصرحون: بأن قطاع غزة هو أفقر منطقة في العالم.

ومنذ عام ١٩٦٧م (وهو تاريخ الاحتلال الاسرائيلي) عانى قطاع غزة من ويلات الاحتلال ونكباته على جميع الأصعدة والمستويات، بما في ذلك المستوى الاجتماعي والاقتصادي، ولكن أبناء القطاع الذين أغلبهم من اللاجئين والذين لا يملكون الأرض أو الأموال، وجدوا في العمل في الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨م فرصة لكسب قوت يومهم وإعالة أسرهم، حيث بلغ عدد العمال من أبناء قطاع غزة الذين يعملون لدى (مشغلين إسرائيليين) قبل قيام الانتفاضة حوالي ثمانين ألف عامل، وقد كان هؤلاء العمال يعملون في الأعمال الشاقة التي لا يقوم بها اليهود، (خاصة أعمال البناء والزراعة)، ولكن الحاجة إلى كسب لقمة العيش دعت هؤلاء العمال إلى تحمل كل المصاعب في سبيل الحصول على فرصة عمل يرتزقون منها.

المسلمون



والعالم



بقلم: عصام يوسف

ومع قيام الانتفاضة الفلسطينية، وتكرار مرات حظر التجول لفترات طويلة واعتقال الآلاف من أبناء الشعب الفلسطيني : بدأ عدد هؤلاء العمال يقل تدريجيًا، حيث انخفض عددهم بشكل كبير جدًا بعدما بدأت « إسرائيل » في تطبيق سياسة إغلاق الأراضي المحتلة واشتراطها الحصول على عدد من التصاريح كي تسمح للعامل بالدخول إليها؛ مما أدى إلى رفع نسبة البطالة بشكل كبير جدًا، حتى إنها بلغت في قطاع غزة في عام ١٩٩٢م حوالي ٥٠٪ من مجموع قوة العمل.

وبعد توقيع اتفاق السلام بين « إسرائيل » ومنظمة التحرير استبشر الكثير من السكان بالخير وبقرب حل مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية وعلى رأسها مشكلة البطالة وانخفاض مستوى الدخل، وادعى بعضهم أن هذا الحل السلمي هو في الأساس حل اقتصادي، سوف ينتعش الناس معه اقتصاديًا وأن البطالة سوف تختفي من قطاع غزة.

وقد قام بعض الاقتصاديين الذين يناصرون الاتفاق السلمي بإجراء بحوث على حجم العمالة العاطلة عن العمل وتوزيعها على قطاعات العمل التي سيتم البدء بها فور استلام السلطة الفلسطينية لمقاليد الحكم في قطاع غزة، ولكن مع استلام السلطة الفلسطينية مقاليد الحكم تبددت أحلام الكثيرين ممن كانوا يحلمون بالحصول على أعمال،

ويأملون في القضاء على البطالة في قطاع غزة: فعلى أرض الواقع جاءت النتائج مخالفة لمعظم التوقعات، وكان أول أمر قامت به «إسرائيل» هو: تخفيض عدد العمال العرب من قطاع غزة بشكل كبير؛ حيث لا يوجد الآن سوى قرابة عشرين ألف عامل فقط يعملون داخل الخط الأخضر؛ مما رفع نسبة البطالة إلى ٧٥٪، وقد أدى ذلك إلى زيادة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية لسكان قطاع غزة، وأصبح الكثير من أبناء القطاع يعيشون تحت خط الفقر، وأصبح أكثر العائلات بلا مصدر رزق، سوى القليل الذي تتلقاه من الجمعيات والمؤسسات الخيرية.

وقد استلمت السلطة الفلسطينية قطاع غزة وبنيته التحتية مدمرة، وليس فيه مشاريع استثمارية سوى القليل جداً، وبحجم صغير لا يؤثر في اقتصاديات القطاع، ولم تقم السلطة بأي مشروع استثماري من شأنه التخفيف من معاناة أبناء القطاع، حتى مشروع ميناء غزة الذي تغنى به الكثيرون وبآثاره الاقتصادية، لم يخرج عن كونه حبراً على ورق حتى الآن.

ومع قدوم آلاف الأسر من الخارج واستقرارها في قطاع غزة ذي الإمكانات المحدودة: ارتفعت الأسعار بشكل قياسي؛ نظراً لقلة الموارد وضعفها؛ مما زاد من حدة المشكلة الاقتصادية ومن معاناة سكان القطاع، حتى إنه أصبح ظاهرة مألوفة: أن ترى الأطفال يبحثون في مجمعات القمامة عما يأكلونه!.

وقد قامت السلطة الفلسطينية بتشغيل حوالي خمسة آلاف مواطن في دوائر السلطة المختلفة - بخاصة في جهاز الشرطة والأمن الوطني -، ولكن هذا الرقم نظراً لضآلته (إذ لا يتعدى ٣٪ من حجم القوى العاملة في





القطاع) لم يخفف من نسبة البطالة التي ارتفعت بشكل ملحوظ، بجانب عودة الآلاف من أبناء القطاع من دول الخليج بعد الاستغناء عن خدماتهم؛ الأمر الذي ساهم في زيادة نسبة البطالة، ولا زال أبناء القطاع يعودون من دول الخليج و دول المغرب العربي، مما يعني فقدان القطاع لمصدر من مصادر الدخل، حيث إن الكثير من عائلات القطاع تعتمد على تحويلات أبنائها العاملين في الخارج، أما الآن فقد اصبحوا عاطلين عن العمل، وأصبح من الطبيعي أن يتدفق الآلاف من أبناء القطاع على أبواب مكاتب الشؤون الاجتماعية التابعة لوكالة الغوث الدولية، ولكن الوكالة – التي تُقَلِّص خدماتها باستمرار – لا توفر إلا بعض المساعدات المتفرقة والمحدودة وللحالات البالغة الصعوبة فقط .

كل هذا بالاضافة إلى آلاف الأسر التي فقدت عائلها بسبب القتل أو الإصابة بشكل بالغ يعجزه عن العمل، مما يجعل هذه الأسر – ليس فقط – تحت خط الفقر، بل ليس لديها من مقومات الحياة إلا ما تقدمه لها بعض الجمعيات والمؤسسات الخيرية من صدقات ومساعدات لا تأخذ طابع الاستمرار .

وببساطة يمكن القول بأن الأوضاع الاقتصادية التي يعيشها سكان قطاع غزة هي أوضاع مأساوية بكل المقاييس والمعايير، وليس من المتوقع في القريب العاجل أن تتغير هذه الأوضاع، إن لم تزدد سوءاً .

وفيما يلي بعض الإحصاءات عن البطالة ومستوى الدخل في قطاع غزة خلال السنوات الماضية.

لقد خرجت قوات الإحتلال وقطاع غزة تحت حكم ذاتي بإدارة سلطة وطنية فلسطينية، ولكن اقتصاده لا يزال مرهوناً بأسرائيل فلا يستطيع

أحد أن يغادر القطاع إلا بموافقة إسرائيل، ولا تزال الضرائب الجنونية مفروضة مما يترتب على ذلك انخفاض حاد في مستوى المعيشة وزيادة نسبة الفقر والبؤس والمعاناة ويظهر ذلك في المظاهر التالية :

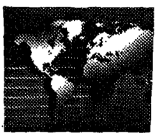
١ - ارتفاع حاد في الأسعار وتدني الأجور حتى أصبحت الأسعار عندنا أغلى منطقة في العالم ومثال ذلك، كيلو لحمة الخروف عندنا (١١) دولاراً ولذلك لا يأكله غالبية الناس إلا في عيد الأضحى، ويأكل الناس لحوم الأبقار حيث إن سعرها (٧٫٥) دولاراً، سعر الكيلو من السكر (٢٫٧) دولاراً، سعر الكيلو من الفاصوليا (٢) دولار، سعر شوال الدقيق وزن (٦٠) كيلو (٢٦) دولاراً.

٢ - ارتفاع نسبة البطالة وتعادل ٥٠٪ حيث كان يعمل في اسرائيل ١٠٠٫٠٠٠ (مائة ألف) عامل لا يسمح الآن بالعمل إلا لـ(٣٥٫٠٠٠) عامل، واستوعبت السلطة الفلسطينية (١٥٫٠٠٠) عامل، ويبقى (٥٠٫٠٠٠) عامل بدون عمل، ولا توجد عندنا مصادر للعمل.

٣ - ضرب الاقتصاد الزراعي حيث كان يعتمد المزارع على تصدير المنتجات الزراعية وبذلك يوفر فرص العمل، ولكن اسرائيل منعت التصدير؛ مما ترتب على ذلك خسائر فادحة للمزارعين، مما اضطر المزارع إلى عدم زراعة أرضه حتى لا يخسر.

٤ - لا توجد في قطاع غزة أي مصادر طبيعية للدخل، والصناعة عبارة: عن صناعات بسيطة بالكاد تكاد تستوعب المئات من العمال، والاقتصاد الزراعي محطم.

٥ - نسبة ٦٠٪ من السكان لاجئون أي: إنهم لا يملكون إلا البيت أو



الكوخ الذي يعيشون فيه، فإذا وجد الواحد منهم عملاً أطعم أبناءه، وإذا لم يجد عمل، عاش على الصدقات والمساعدات وإن كان شاباً في الثلاثين من عمره.

■ **سياسة الإغلاق وتأثيرها على الضفة والقطاع***

إن استمرار مسلسل الإغلاق حسب أهواء و أمزجة القيادة في «إسرائيل» الذي يتحكم في قوت وعيش مئات الألوف من الفلسطينين، مما يؤثر على العديد من المجالات الحيوية وبالدرجة الأولى الاقتصادية، حيث إن الاقتصاد الفلسطيني مرتبط ارتباطاً شبه كامل بالاقتصاد الإسرائيلي . وإن سياسة الإغلاق المتكرر التي تعلنها السلطان الإسرائيلية بمنع العمال الفلسطينيين البالغ عددهم حوالي ٥٠ ألف عامل من الضفة الغربية و ٢٠ ألف عامل من قطاع غزة من مزاولة أعمالهم في «إسرائيل» مما يؤدي إلى انخفاض الدخل القومي الفلسطيني بشكل عام في المنطقة وبشكل خاص وواضح بالنسبة للعمال أنفسهم وأسرهم؛ مما يشكل خسائر اقتصادية كبيرة للضفة والقطاع تبلغ حوالي ١٠٠ مليون دولار سنوياً في مختلف المجالات.

ومن ناحية أخرى فإن تجار وصناع الضفة الغربية والقطاع يعتمدون بشكل كامل على «إسرائيل» في شراء المواد الأساسية والخامات الأولية اللازمة للصناعة، وإن استمرار سياسة الإغلاق يؤثر على الحركة الصناعية والتجارية؛ مما يؤدي إلى عواقب وأضرار اقتصادية فادحة.

وللتعليم حصة من الأضرار الكبيرة التي يسببها الإغلاق، تتمثل في وجود المئات من طلبة قطاع غزة يمنعهم استمرار الطوق الأمني من

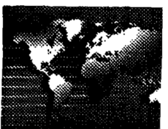


التحاقهم بكلياتهم وجامعاتهم الموجودة في الضفة والقدس، حيث يفوت عليهم الكثير من التحصيل العلمي أو تأخير سنوات التخرج بالنسبة لهم لعدم تمكنهم من مواصلة تعليمهم في الفترة المقررة لدراستهم.

كما أن العديد من المدارس التابعة لوكالة الغوث وغيرها في القدس يتهددها خطر التخلف الدراسي بسبب عدم تمكن المدرسين والطلبة من الوصول لأماكن الدراسة لأن غالبية المدرسين هم من سكان الضفة الغربية الذين يحول الإغلاق دون وصولهم لأماكن عملهم، الأمر الذي يهدد المؤسسات التعليمية بالقدس.

ومن التأثيرات الخطيرة التي أوجدها الإغلاق – وتستدعي اهتمامًا مميزًا –: ظروف المرضى، حيث يوجد في قطاع غزة والضفة الغربية العديد من الحالات المرضية التي تدهورت أوضاعها الصحية لعدم إمكانية الدخول إلى مستشفيات القدس الطبية وغرف العمليات المتطورة؛ فإنه لا سبيل إلا في المستشفيات الاسرائيلية الأمر الذي يهدد حياة الكثير من المرضى، مما يتطلب من السلطات إعادة النظر في شأنهم واستثناءهم من تلك القرارات المتكررة بالإغلاق.

وأخيرًا فلا بد من الإشارة إلى التأثيرات الخطيرة على السكان الفلسطينيين في الضفة والقطاع وهي: ظاهرة ارتفاع الأسعار بشكل حاد وعلى سبيل المثال ما وصلت إليه أسعار الخضروات والفواكه من ارتفاع شديد بشكل يصعب معه على أصحاب الدخل المحدود كالموظفين والعمال تحملها، والأمر أصبح لا يطاق لعدم توافر الإمكانات المادية لدى هذه الشريحة من المجتمع، خاصة أنه كلما ازدادت أيام الطوق الأمني



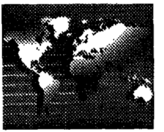
ازدادت الأسعار ارتفاعًا تبعًا لذلك.

لقد كان ذلك الاستعراض لحلقة من حلقات معاناة ذلك الشعب، الذي طالت معاناته نوعًا من التجاوب ومقتضى من مقتضيات الولاء الذي ندعو الله أن يكون له صدى في نفس كل مسلم.

وللبيان كلمة :

ومما يجب أن يلفت النظر إليه أن المقال يصور واقع حال شعب قطاع غزة والعوامل التي تؤثر وتزيد في معاناته وليس معنى ذلك أنه يُرغِّب في التجاوب مع الضغوط الإسرائيلية التي تمارس ضد هذا الشعب فور كل عملية مقاومة تحدث في فلسطين، حيث إن الشعوب لا تحصل على حريتها وعزتها إلا بدفع الثمن الغالي والمسلمون تأسيسًا وانطلاقًا من تعاليم دينهم يتفهمون ويقدرون البذل والتضحية والصبر في سبيل الله، « والصبر ليس له جزاء إلا الجنة » .

فهل من التفاتة نحو هذا الشعب في معاناته ومحنه المتوالية؟ وإلى متى السكوت والتخاذل عن نصرتهم والاهتمام بشؤونهم ومدّ يد العون لهم؟.



أوضاع اللاجئين الشيشان

مشاهد مأساوية من الداخل



تمهيد:

انطلاقاً من المقولة المأثورة «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» فقد تابعت (البيان) تاريخ وواقع وجهاد الشعب الشيشاني في كثير من المقالات، وما زلنا نرى أن هذا الشعب المسلم من الشعوب الإسلامية التي نالت الإهمال والتعتيم على ما أصابها من الهمجية الروسية التي ما زالت تسوم هذا الشعب سوء العذاب، وتحاول إيجاد أذناب لها ممن ينتسبون لهذا الشعب المجاهد، ولكن المجاهدين الشيشان لقنوا الجيش الروسي ضربات موجعة جعلت الروس يتنازلون عن كبريائهم بطلب المفاوضات معهم.

وهذا المقال تصوير لواقع ذلك الشعب من نواح متعددة - رأي العين - لعلها توقظ وتنبه كثيراً من المسلمين الذين ما زالوا يعتقدون أن الحرب في الشيشان مسألة داخلية، كما يزعم الروس الذين ضربوا بحقوق الإنسان عرض الحائط في تعاملهم الهمجي، الذي يندى له الجبين مع صمت الغرب المطبق، لا لشيء إلا لأنهم مسلمون والله المستعان. - البيان -

في البداية نتساءل:

من هو الإنسان؟ نعم من هو الإنسان... قد يبدو هذا السؤال غريباً! لكن الأحداث المتتاليه التي نعيشها تجعل هذا السؤال يقفز إلى الواجهة؛ بسبب أن العالم الغربي كثيراً ما يرفع هذا الشعار «حقوق الإنسان» والتصدي للإرهارب في مناسبات، ويدوس على هذا الشعار في مناسبات

تقرير ميداني *

أخرى يُنتهك فيها حق الإنسان بصوره أكثر بشاعة، فمن ناحيه يرفع بقوة شعار محاربة الإرهاب عندما تقتل مجموعة من اليهود، حتى ولو كانوا عسكريين، ويساند قيام اليهود بقتل المئات من المدنيين من النساء والأطفال. . . ، وبينما توفر الحماية لأكراد العراق ضد عنف وظلم النظام البعثي، فإن الغرب يساند محاولة تركيا القضاء على ضرب حزب العمال الكردستاني، مع العلم أن ممارسات الجيش التركي تشبه إلى حد كبير ممارسات الجيش العراقي السابقة.

وفي حين تضخم قضية قمع الجيش الصيني للطلاب في بكين أو إعدام نيجيريا لمجموعة من المعارضين المحسوبين على الغرب، فإننا لم نسمع عن حقوق الإنسان المنتهكه في كشمير أو في الشيشان أو في جنوب الفلبين.

والذي يبدو أن الإنسان في عرف الغرب هو أولاً: اليهودي، ثم النصراني الغربي، ثم نصارى العالم الثالث، وأخيراً عملاء الغرب في الدول الأخرى. أما المسلم فيبدو أنه لا يدخل ضمن تعريف الإنسان وخير شاهد على ذلك ما جرى ويجري للشعب الشيشاني المسلم في عملية إباده وتصفية، جسدية مع تدمير منظم للمدن والقرى.

● الأوضاع الأمنية:

الحقيقية: أن المرء يعجز عن تصوير المآسي التي أحدثتها القوات الروسية المعتدية، فالطائرات تحلق على ارتفاعات منخفضة جداً، فلا ترى شيئًا إلا دمّرته، حتى لم يعُد هناك أي صورة تُذكر من صور الحياة



الطبيعية، فقد هدمت محطات الكهرباء والمياه والغاز، ووسائل الاتصالات كافة، حتى أصبحت هذه البلاد مقطوعة عن العالم. وأصبح المسلمون في الشيشان يعيشون في هذه الحالة القاسية؛ فما أن تسير شبراً حتى تتابع أمامك المآسي والجراح، فالبيوت كلها تحوّلت إلى أنقاض، والشوارع عجت بأشلاء البشر المتناثرة في كل ركن، فهنا يد طفل بريء ملقاة على صخرة، وجمجمة شيخ مُسن ألقتها قذيفة هناك، أمّا الطرقات فقد تلطخت بدماء عشرات القتلى، وكأن كل شيء أصبح في ديارهم أحمر اللون.

– ومع ذلك – فالشيشانيون في حالة استنفار دائم، كل شاب وشيخ حمل ما حصل عليه من السلاح، وتوجّه إلى المراكز، ومن ثمّ: إلى حيث توجد القوات الروسية للانتقام.. هذه صورة أقل من مختصرة عن واقع الحال داخل الشيشان.

● أوضاع السكان بالداخل:

أما أحوال الشيشان المعيشية فلست أدري كيف أصفها أو أقربها، فالحروب التي تهز ميزانيات دول عظمى تكوي اليوم شعبًا فقيرًا محاصرًا من كل مكان، فالأهالي ما زالوا يعتمدون ـ بعد الله ـ في معيشتهم على ما كانوا يدخرونه من قبل، ولا يوجد غيره، أما الجو: فمع أن الثلوج قليلة لكن البرد شديد جداً، لا يكاد يحتمل، ومصادر التدفئة أصبحت الحطب، ومن يستطيع جلبه في ظل هذه الحرب العدوانية؟.

● أوضاع اللاجئين الشيشان:

وضع المهاجرين في الشيشان على حالتين:

المهاجرون خارج الشيشان: فهناك مهاجرون في داغستان، وقد توزعوا على منطقتين حدوديتين مع الشيشان:

١ – منطقة (خساريون) وعدد المهاجرين في هذه المنطقة (٥٠,٠٠٠) مهاجر، يعيش معظمهم في البيوت، (بنسبة ٩٥٪) مع الأسر الشيشانية



المسلمون والعالم

هناك، ويلاقون ضيافة كريمة من إخوانهم المسلمين هناك، والباقون يسكنون في المدارس.

٢ - منطقة (كزليار) وعدد المهاجرين في هذه المنطقة (٢٠,٠٠٠) مهاجر، علماً بأن ٨٠٪ من المهاجرين، في هاتين المنطقتين من الأطفال (٤٠٪ منهم رضع).

وهناك مهاجرون في الجمهورية الصغيرة المجاورة «أنقوشيا»، ويقدر عددهم بـ(١٣٠,٠٠٠) مهاجر، وهذه إحصائيات تقريبية؛ لأن جميع وسائل الاتصالات والمواصلات مقطوعة مع هذه الجمهورية.

● **الأوضاع الصحية:**

أما بالنسبة لأحوال المستشفيات فمعظمها يعمل في مداواة الجرحى والمصابين، أما مستشفيات الأمراض الأخرى: فلم يعد في هذه الظروف يتذكرها أحد؛ فمئات الجرحى يَرِدون يوميًّا على مستشفيات الشيشان، وهذا أمر مكلف جداًّ. ولا يوجد في المستشفيات حتى أقل الإمكانات الطبية، فالفرش قد كسيت بالدماء، إذ لا وقت لعمليات التطهير والتعقيم والتغيير، وينام المرضى على أسرة مكسرة وممزقة الفرش، أما أدوات الجراحة والعمليات، فلا يتوفر منها سوى القليل من المخزون القديم، وكذلك الأدوات الطبية الضرورية كالشاش والقطن.

● **أوضاع الدعوة:**

أما حال الإسلام والدعوة في الشيشان اليوم كحال أي بلد مسلم حكمته الشيوعية الحمراء زهاء سبعين سنة من الظلم والجبروت والإذلال؛ فالناس بعامة في غفلة عن الإسلام وعن تعلم شرائعه السمحة، شأنهم في ذلك شأن كثير من البلدان الإسلامية.

ومعظم الشباب قد أبعدتهم الشيوعية الحمراء عن تعاليم دينهم الصحيحة، وفي الوقت نفسه نشطت الصوفية البعيدة عن تعاليم الإسلام



الصحيحة في الشيشان، وانتشرت بواسطتها البدع.

ولكن هناك بعض الطلاب سواء من العرب أو من الشيشان المهاجرين قديماً إلى البلاد العربية لهم جهود طيبة في الدعوة، وقد أنشئ مركز إسلامي في (جروزني)، وقد لمس كاتب هذه السطور من إخواننا الشيشانين رغبتهم الشديدة في العودة إلى الإسلام، وحرصهم في البحث عن مسائل العقيدة، وهناك مسائل فقهية كثيرة يستفسرون عن حكمها.

وهذه فرصة عظيمة، وبوابة مفتوحة للدعوة. ومن العوامل المساعدة لعودتهم إلى الله كثرة مشاهدة الجنائز والقتلى، وتذكر المصير الحتمي، فهم الآن بحاجة ماسة إلى دعم دعوي شديد؛ لتأصيل العقيدة الصحيحة في النفوس من خلال الكتيبات والأشرطة وما شابه ذلك، وعندهم الاستعداد للتقبل، فهم إذا سمعوا بسنة يعملون بها، والمرأة عندما تعرف ما يجب من الحجاب تطلب الحجاب الكامل، هم يتلهفون على المصاحف بكل شوق... وهذه صورة مختصرة في هذا المجال الدعوي.

● **بعض المشاهد داخل الشيشان:**

- امرأة تحكي ما رأت في (جروزني)، وأنها شاهدت بنفسها طفلا لا يتعدى العاشرة من عمره ممدداً على الأرض بعد أن قطع الجنود الروس أطرافه الأربعة.
- قصفت الطائرات الروسية قسم الولادة في مستشفى المدينة، مما أدى إلى مقتل غالبية الأطفال حديثي الولادة الذين كان يضمهم المستشفى.
- عشرات من الفتيات والنساء يتعرضن للاغتصاب من الجنود الروس.
- رجل مقتول يدعي «أيوب» يبلغ من العمر (٤٢) عاماً: تعرض للاغتصاب! من قبل الجنود الروس أمام أبنائه، ثم قُتل بعد الجريمة.
- دخلت مجموعة من الجنود على بيت فيه عجوز وشيخ وأبناؤهما، ثم أمروا الشيخ والشيخة أن يخلعا ملابسهما ويمارسا الجماع أمام الجميع





وعندما رفضا: اغتصبوا الشيخ، وقتلوا الجميع.

بعد هذا الاستعراض السريع لأحوال المسلمين في الشيشان، والأحوال التي رأيتها وعايشتها في أرض الواقع، وبعد أن عرضنا جزءاً يسيراً من حالة المسلمين في تلك الديار، ذلك الحال الذي يتعسر على الكلمات وصفه! بقي السؤال: ماذا عسانا أن نفعل بعد هذا البيان؟ وحسبنا الله ونعم الوكيل.

● **أحسن الله عزاءكم وعزاءنا يا أهل الشيشان.**

والمجلة ماثله للطبع وردت الأخبار مؤكدة ما أشيع عن العملية الدنيئة باغتيال الرئيس «جوهر داوديف» ولقد سبق - للبيان - أن تطرقت في العدد (٨٤) لحياة الفقيد ومواقفه وإصراره على تحرير بلاده من الاحتلال الروسي، ولماذا حاول الروس إسقاطه واستراتجيتهم - التي نفذوها - في ذلك، ووقفة مع حماسه الإسلامي وآماله الكبيره بحكم الإسلام بعد عقود من الحكم الروسي البغيض، والبيان ترجو أن يكون في هذا الحدث الجلل ما يجمع الشمل ويوحد الصف ويجدد العزم على تحقيق آمال هذا الشعب - إن شاء الله -.

رحم الله الفقيد وعفا عنا وعنه وغفر لنا وله. - البيان -

---

* مندوب لجنة شباب الجمهوريات الإسلامية وروسيا الاتحادية بالندوة العالمية للشباب الإسلامي.

ونرغب من الأخوة في الندوة العالمية مواصلة المجلة بمثل هذه التقارير الميدانية المهمة. - البيان -

الدين والعلم

على أعتاب قرن جديد

بقلم
خميس بن عاشور



نعيش اليوم في أواخر القرن العشرين، والعالم كله يستعد للدخول في القرن الواحد والعشرين، والعالم الغربي المتقدم مشغول كثيراً بهذا الحدث، فهو يعمل جاهداً على نشر أفكاره وهيمنته على أطراف العالم، بل صار يتطلع إلى أقطار السموات والأرض مستكشفًا لبطاح جديدة يرسو عليها بسفائنه ويحط فيها بمراكبه الفضائية. وأما الدول والأنظمة المتخلفة: فإنها تحاول أن تتظاهر بالاهتمام المزيف والمبالغ فيه، لأنها ربما لا تعلم أنها لا تزال تعيش من حيث التقدم المادي مع بداية القرن العشرين، ولكن العالم الغربي يهوى كثيراً أن يتندر ويضحك على وقع شحطات هؤلاء الذين يرومون دخول القرن القادم على متن عربة بخارية حاملين في أيديهم بندقية بارود ذات طلقة واحدة.!! إن هذا المشهد -لا ريب- يدل على أزمة حضارية حقيقية وأزمة إنسانية نعيشها في عرصات هذا العالم المضطرب بأفكاره وفلسفته ومنهجيته، فهذه التكنولوجيا المعقدة لم تعد منذ عهد قريب سرًّا من الأسرار التي تعلل قوة مجتمع من المجتمعات، ولا سيما عندما أصبحنا نشاهد هذه التكنولوجيا في صورة ألعاب يلهو بها الأطفال في كل مكان، لقد أصبحت التكنولوجيا ملكًا للإنسانية جمعاء، ولا يسعها أن تكون سرًّا مكنونًا، بل لا يمكنها أن تكون كذلك ولو أرادت؛ فبعدما كان الاختراع العلمي يحتاج إلى زمن طويل نسبيًّا لكي يصير

تطبيقيًّا على نطاق واسع، تقلصت هذه المدة إلى درجة كبيرة بعدما تمكن الإنسان من أصول وقواعد العلوم وجعلها أسيرة أهوائه ورغباته، وحتى الاختراعات المذهلة في ميادين الأسلحة النووية والكيماوية فإن الكثير من الدول أصبحت مالكة للخبرة العلمية التي تمكنها من صناعتها وتطويرها، غير أنه يمنعها من ذلك قلة الأموال من ناحية، والضغوط الدولية لمحاصرة إنتاج هذه الأسلحة الفتاكة من ناحية أخرى. إن الأخطار الكبيرة التي أصبحت تتهدد الإنسانية جراء بعض المخترعات العلمية جعلت العالم بأسره يتورط في مشكلة أخلاقية نجمت من اعتداء العلم المادي على الطبيعة وعلى إنسانية الإنسان الذي أصبح يعامل معاملة الأشياء والآلات. لقد تطور العلم المادي تطورًا كبيرًا، في حين بقيت بعض العلوم متأخرة، العلوم التي تعالج قضايا الإنسان من حيث هو إنسان. إن العالم اليوم في حاجة إلى المسلمين، وأما المسلمون فحاجتهم مع بداية القرن القادم، ليست هي العُدد المادية فحسب، ولكن الأهم من ذلك هو تلك العُدد المعنوية الكبيرة، وهل العالم الإسلامي اليوم في مستوى هذه المسؤولية؟، أو بالأحرى: هل هو سائر على الطريق القويم لتحقيق هذه القوة الحقيقية، قوة المستقبل؟.

إن كل المؤشرات والأدلة تتجه نحو إثبات تلكم الحاجات الملحة للإنسان المعاصر من أجل معرفة ذاته، وهذا ما قد يفسر الاندفاع نحو العودة إلى إنسانية الإنسان، وعودة الدين إلى مكانته في نفوس الأفراد والمجتمعات. وكثير من المحللين يغضون الطرف عن حقيقة هذا التوجه العالمي نحو إعادة الاعتبار إلى الدين، وخاصة من لدن أولئك الذين أطلقوا على أنفسهم - كذبًا وزورًا - مثقفين، فهم يعتبرون المتديِّن خارجًا من دائرة الثقافة، واصطلحوا على أن المثقف لا بد من أن يكون «لائيكيًّا» أي: جاعلاً الدين وراءه ظهريًا، مع أن الثقافة في لغة المعاجم تقوم على أركان، من أهمها: العلم، والدين، والفن... ولذلك فإنه بإمكاننا أن نحكم على الثقافة بالمفهوم الحالي أنها في أزمة قاتلة. لقد حاول هؤلاء المثقفون جهدهم إنشاء تلك

الفرقة والقطيعة بين العلم الطبيعي والدين، غير أن علماء الطبيعة أنفسهم كذبوا هذه العلاقة وبينوا أن ميادين الفكر – التي لا تزال تبحث عن موضوع لها – لا يمكن اعتبار نتائجها إلا وهمًا وسرابًا، وذلك عندما تكون هذه النتائج تتصادم مع حقائق العلوم الموضوعية، ولنا أن نقدم بعض الشهادات لأكبر علماء الطبيعة في هذا العصر هدية إلى أولئك المثقفين الذين لم يأخذوا من الثقافة الغربية غير الكفر الذي يسمونه «لائيكية» وتنويراً: يقول الفيزيائي والفلكي الإنجليزي «آرثور ستانلي أربجتون»: «إن الفيزياء الحديثة تقودنا بالضرورة إلى الله، ولا تبعدنا عنه، ولم يكن أي مخترع للإلحاد عالمًا طبيعيًّا، بل كانوا جميعًا فلاسفة أنصاف معتدلين جدًّا»[1] ويقول الإنجليزي «أرنست روثر فورد» (١٨٧١م–١٩٣٦م) الحائز على جائزة نوبل سنة ١٩٠١م: «... وأيضًا العالم النزيه الذي كشف بعضًا من جوانب الوجود، لا ينبغي أن يكون مرتابًا في الله، إنه لتفسير خاطئ في الأوساط المتخصصة، أي: إن العالم الذي يعرف عن الوجود أكثر من غيره يتوجب عليه أن يكون بلا رب، العكس هو الصحيح تمامًا...»[2] ويقول الفيزيائي الأمريكي «أرثور– هـ– كومبتون» (١٨٩٢م–١٩٦٢م) الحائز على جائزة نوبل سنة ١٩٢٧م: «... بعيداً عن هذا جداً أن تكون في نزاع مع الدين، فقد تحول العلم إلى حليف للدين، فمن خلال فهم أفضل للطبيعة نتعرف بشكل أفضل أيضًا إلى الله، وإلى الدور الذي يجب أن نلعبه في مسرحية (!) الكون»[3].

إن هذه الحضارة المعاصرة لها جذور دينية من غير شك رغم إنكار هؤلاء المثقفين لهذه الحقيقة الدامغة، سواء أنظرنا إليها مظاهر وصوراً، أو أصولاً وقواعد فكرية؛ فمن حيث المظاهر لنأخذ ثلاثة أمثلة: من آسيا نأخذ اليابان، ومن أوروبا بريطانيا والدول الاسكندنافية، ومن أمريكا الولايات المتحدة، وهذه الدول هي الأكبر والأكثر تقدمًا ومدنية، فسنجد أن

١) العقيدة والمعرفة، زغريد هونكه، ص٢٤٢ .

٢) المرجع السابق، ص٢٤٣ .

٣) المرجع السابق، ص٢٤٣

في دائرة الضوء

اليابان دولة متديِّنة وأن اليابانيين الذين بزوا غيرهم في العلوم الإلكترونية المعقدة يتدينون بالخرافات، ومنها: اعتقادهم أن الإمبراطور هو من أبناء وسلالة الآلهة، إضافة إلى أن الراية اليابانية ترمز إلى تلك الخرافات الدينية البدائية. وأما بريطانيا فإن الصليب هو شعار رايتها وكذلك الدول الاسكندنافية كلها، ولا تزال الملكة في بريطانيا تركب العربة التي تجرها الأحصنة، ولم نسمع بأحد من المثقفين يقول بأن الملكة متخلفة. وأما الولايات المتحدة فيكفي للدلالة على توجهها الديني الرسمي ما هو مكتوب على ورقة المئة دولار من عبارة (نثق بالله – We trust of God) بالإضافة إلى اعتراف (البراجماتية) وهي فلسفة المجتمع الأمريكي بالدين ورعايته والدعوة إلى التمسك به، ورؤساء الولايات المتحدة يحرصون دائمًا على ارتياد الصلوات في الكنائس الأمريكية. وأما عندما ندرس أصول هذه الحضارة الغربية فإننا نجدها مرتكزة على أسس دينية، وهذا عكس ما هو متداول عند بعض المثقفين المسلمين وغيرهم، وبإمكاننا الاستشهاد على ذلك بكتاب لأحد علماء الاجتماع الألمان «ماكس فيبر» (١٨٦٤م–١٩٢٠م) وعنوان كتابه هو: «الأخلاق البروتستانتية والفكر الرأسمالي» وقد واجه في هذا الكتاب ادعاءات الماركسية من أن الاقتصاد هو الذي يؤثر في الفكر وليس العكس، وبيَّن أن الدين هو الذي قام عليه الفكر الرأسمالي، ومعروف أن العقيدة البروتستانتية تحث على الإخلاص في العمل والحث على الإتقان فيه[١] حتى صارت الصناعة الغربية آية في الإتقان والجودة، والجميع يعلم أن الثورة الصناعية قامت في بريطانيا حيث غالبية السكان على العقيدة البروتستانتية.

وأما المسلمون بوضعهم الحالي: فإنه ليس لديهم ما يدخلون به إلى القرن القادم، ولا يملكون من الأشياء المادية والنظريات العلمية ما يجعلهم يساهمون في صياغة الاستراتيجية القادمة، إلا أنهم في الحقيقة يمتلكون شيئًا هو أسمى من كل هذه الماديات والتقنيات المذهلة، إنهم يملكون هذا الدين الإسلامى العظيم الذي تفتقر

١) وهذا كما نلاحظ عقيدة إسلامية، ولعلها مما تبقى من آثار النصرانية الصحيحة.

إليه المدنية الغربية، وبعبارة أخرى: إنهم يمتلكون دواءً خطيراً من شأنه أن يعالج مشاكل الإنسان التي تقوده إلى الشقاء والانتحار والبؤس المعنوي، إنهم باختصار يمتلكون قوة المستقبل.

ولنتساءل هل حققت المدنية الغربية بوضعها الراهن سعادة الإنسان؟.

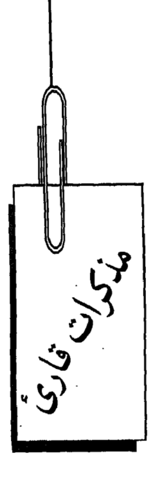
إننا نشعر دائمًا بأن العلم وتطبيقاته قد انحرف عن وظيفته الإنسانية المتمثلة في خدمة قضايا الإنسان من حيث هو إنسان، بل إننا نجد شياطين الفكر الغربي وفلسفته قد وضعوا للناس مُسَلَّمة، هي: أن العلم والدين ضدان لا يلتقيان، فإما أن نأخذ بتلابيب الدين ونتمسك به، فنبقى في تخلف دائم، وإما أن نترك الدين لكي نرقى في سلم المجد والرقي المادي والتقنية؛ لنصل إلى درجة من الرفاهية تمكننا من تلبية رغباتنا وشهواتنا إلى أبعد الحدود، ولكن النتيجة والثمرة التي وعد بها هؤلاء الشياطين تخلفت، بل كانت وبالاً وخسرانًا، ففي غياب من الدين تسبب العلم والاستغلال المتوحش للتكنولوجيا في تلويث الطبيعة، وصار الإنسان في بعض المناطق من كوكب الأرض لا يجد الهواء النقي لكي يتنفسه، وفي غياب من الدين ظهر الظلم في أبشع صوره متمثلاً في استعمار شعب بغرض نهب ثرواته، وبعيداً عن توجيهات الدين صارت المرأة مفتولة العضلات كالرجل، وفقد الإنسان بالتالي إنسانيته وهو أغلى ما يمتلكه، وليس غريبًا إذن – بعد هذه الكارثة – أن يتوجه الإنسان بتساؤلات عن قيمة هذا الوجود الذي طغت عليه المادة والفكر المادي، وعن الغاية التي يمكن أن يصل إليها بعد هذا البعد عن قضايا الإنسان الأساسية، وبعبارة إسلامية: البعد عن الفطرة التي فُطر الناس عليها، وبعد هذه الصدمة أدرك الإنسان المعاصر أن الدين هو الدواء الوحيد الذي لا مناص من استعماله لعلاج هذه الأمراض التي تفتك بالروح والجسد معًا.



إن هذا التوجه العالمي نحو الدين جعل بعض الملاحظين يرون في ذلك مؤشراً لرجوع الحروب الصليبية (الدينية)، وهذا الحكم قد يكون صحيحًا، ولكن بالإمكان تفاديه

واجتنابه عن طريق الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن، وأما اللجوء إلى الحروب، فإن تجارب الإنسانية في هذا الميدان تجعلها - ربما - تفكر في طرق أخرى، سيما وأن الساحة العالمية اليوم تدندن على وتري الحوار والسلام العالميين، ونؤمن - نحن المسلمين - بوسيلة الدعوة إلى الله، كما أننا نؤمن إيمانًا قويًا بأن الإنسانية ستستجيب إلى داعي الله الذي يدعوها بإخلاص إلى التوبة والرجوع إلى طريق الله وطريق الإسلام، وذلك كلما ألفينا السبيل منشرحًا - بدون وجود عوائق - نحو قلوب التائهين والتائهات في هذا العالم المريض بأفكاره وحضارته.

كارتـــــــــر..
من الرئاسة إلى التنصير



عندما تنتهي فترة رئيس أمريكي في الحكم، فإنه وأنصاره يبحثون عن مشروع يخلد ذكراه ويقدم به نفعًا للأمة من بعده، وقد اكتسبت أغلب مشاريع الزعماء السابقين شهرة كبيرة، وخدمت المجتمع، وقد اتخذت في غالبها طابع المؤسسة الثقافية والعلمية مثل: مركز هوفر، ومركز كينيدي، ومكتبة ريجان، ومركز روزفلت، وجامعة إيزنهاور ... وأمثالها.

وأما كارتر، الرئيس الذي جاء به إلى الرئاسة التوابون! (المولودون من جديد) في المسيحية، فقد أنشأ – مع زوجته روزالين – مركز كارتر في مدينة أطلنطا، وبدعم من كنيسته، وهذا المركز أظهر للناس اهتمامه بالقضايا الإنسانية والسياسية، والبحث عن السلام في العالم، أو كما يقول كارتر: «إنهم يقومون بفتح صدورهم وقلوبهم للناس، ونشر كلمة الله»، وقد قام المركز بأعمال مهمة وبارزة في العالم، من اليابان شرقًا إلى المساعدات الطبية للنساء في جورجيا، وبناء المساكن للفقراء في فلوريدا، ومرورًا بإفريقيا، حيث يقومون بأنشطة في أكثر من ثلاثين دولة إفريقية، وساهم المركز في

بقلم:
محمد الأحمري

تجنب وقوع حرب بين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية، ونزع فتيل الحرب من هاييتي، وساهم في المصالحة البوسنية الصربية السابقة، وتدخل في السودان، وكانت لقاءات متعددة ما بين روزالين كارتر والبشير، وقد عبرت عن انزعاجها من تعامل البشير معهم، ومن مشكلة المواعيد التي كانت تعطى لهم، وتحدث كارتر عن اهتمامه بالسودان، وبخاصة الجنوب السوداني.

وعند المركز ما يسمى بمشروع القرن، وهذا المشروع في إثيوبيا، وهو مشروع دعم زراعي وديني لمئة وعشرة آلاف عائلة إثيوبية، حيث يوفر المركز حقلاً صغيراً وخدمة وإشرافًا ومتابعة لكل أسرة يتم تنصيرها، إذ يرى كارتر أن تطوير إفريقيا يجب أن يتم روحيًّا ! وماديًّا.

وبعد خروجه من الرئاسة لم يقر له قرار، ويرى أن عمله (منصراً) هو عمل أرقى من الرئاسة، وهو الذي يليق به وبقدراته، يعمل ذلك في راوندا، وبورندى، وكينيا، وهاييتي، واليابان، وغينيا، وغانا، وزيمبابوي، ويقابل السكان في نيجيريا يقدم لهم النصرانية، وينصبونه زعيماً للقبيلة، ويعطونه الراية، وأرضاً يبني عليها قصره، ويبني لهم الكنائس، ويوزع الإنجيل والذرة !.

مذكرات قارئ

ثم يرجع إلى أمريكا يتحدث عن قصصه مع المزارعين والفلاحات في أدغال إفريقيا، ولا ينسى أن يذكر للشباب النصارى ولداعمي المشاريع هناك كيف أن عدداً من الأفارقة يمنعونه من مساعدتهم في المزارع، ويقولون له: لا تشارك فتتسخ ملابسك، ولكنه يقول: «إني ألبس ملابس العمل والزراعة».. ويذكر أيضاً من مشكلات العمل في إفريقيا: أن الوزراء في الحكومات الإفريقية لا يستطيعون كتابة خططاً للتنمية؛ لذا: يقوم المركز بكتابة خطط التنمية لهذه الدول، ولأن مقياس الوزارة في حكومات إفريقيا ليس القدرة ولا المعرفة، بل هو – غالبًا – روابط قبلية وقرابة وصداقة.

ومما هو جدير بالملاحظة: أن هذا المركز التنصيري استطاع إقناع الحكومة الأمريكية والبنك الدولي ومؤسسات عالمية أخرى أن يتم تنفيذ مساعداتهم لإفريقيا عبر ذلك المركز وبالاشتراك معه، بحيث أصبح عدد من المشاريع الدولية يدار من قبل الكنائس مباشرة، تحت أسماء ومؤسسات عالمية، ومما أكسب هذه المشروعات نجاحها أن كارتر يشرف مباشرة على العديد منها، وإلى جانب هذا: فإنه مستمر في مواعظ الأحد في الكنيسة، وسوف تصدر مواعظه مطبوعة في كتاب، كما أنها توزع مسجلة بصوته، ولعل القارئ

لا ينسى أنه هو الذي أقام الصلاة في الكنيسة في يوم الأحد الذي سبق توقيع اتفاقية السلام الأولى في واشنطن، وهو صاحب كتاب (دم إبراهيم) الذي كتبه بعد توقيع السادات للصلح ، و(دم إبراهيم) يقصد به دم العرب واليهود أبناء إبراهيم كما هو مشهور عندهم في الكنيسة.

بقي أن نعلم أن هذا المتقاعد النشط كان مسؤولاً عن أقوى حكومة علمانية لا تخلط الدين بالسياسة !! وقد كان يحرص في القضايا السياسية العامة أن يبعد عن نفسه وعن سياق كلامه الطابع الديني قدر طاقته، ويخفي حقيقة جهوده.

وقد سمعت أحد الزعماء – يصفه بعد مقابلة معه – بقوله : كارتر هذا «قدّيس» !! من شدة ما رأى منه من انصراف روحي كامل لمناصرة الكنيسة، لقد كان وما زال كارتر زعيماً عملياً ومنصراً جاداً، يثير نشاطه أسئلة كثيرة.

بريد البيان

وفاة عالم فاضل:

وصلت المجلة لمحة وفاء وتعريف بالعالم الجليل فضيلة الشيخ «زيد بن عبدالعزيز بن فياض» (رحمه الله) الذي وافاه الأجل يوم ٢١/١١/١٤١٦هـ من تلميذه «عبدالله بن علي بن عامر» وفيما يلي تلخيص لما كتب:

ولد فضيلة الشيخ في روضة سدير المشهورة سنة ١٣٥٠هـ، وحفظ القرآن وهو ابن اثنتي عشرة سنة، أتم دراسته الجامعية وتخرج في كلية الشريعة عام ١٣٧٦هـ، وقد عين فور تخرجه عضواً في دار الإفتاء، كما مارس التدريس بكلية الشريعة، وكان من مؤسسي مجلة الدعوة ومن أساتذته العلامة الشيخ «محمد بن إبراهيم» مفتي عام المملكة العربية السعودية الأسبق (رحمه الله).

كان الفقيد (رحمه الله): واسع العلم، حسن الخلق، يصدع بكلمة الحق، وقد وتمتع بقوة ذاكرة، وتواضع جم.

من مؤلفاته: الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، وهو من أوسع شروحها...

وختاماً... يدعو تليمذ الشيخ طلبة العلم إلى دراسة هذه الشخصية؛ لتتعرف الأجيال عليها، ويقتدوا بها. رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته.

الأخوان الكريمان: مصطفى مخيمر، و محمد كاميلي، نشكر لكما مشاركتيكما ونعتذر عن نشرهما؛ ونتمنى دوام التواصل.

تصل مشاركات من بعض الإخوة القراء والكتاب غير مذيلة باسم كاتبها وعنوانه؛ فيتعذر نشرها حتى وإن كانت صالحة للنشر؛ لذا نأمل من الكتاب الحرص على كتابة الاسم والعنوان.

الأخ / عبدالله الزعبي نشكرك على متابعتك للبيان وثنائك عليها، أما حول طلبك، فقد حول للجهة المختصة وستصلك رسالة خاصة بالعنوان الذي طلبته.

الأخ / رائد العبدالكريم: موضوعك عن العواصم يحتاج إلى مزيد من التأصيل العلمي والشرعي، مع العلم أن المجلة سبق أن تطرقت للموضوع.

الأخت / نجوى الدمياطي: عرضك لكتاب «فن التفاوض» أحيل للجنة الإجازة، وستفادين بالنتيجة - إن شاء الله -.

الأخ / أ.أ.ع. الصومال: نعتذر عن تلبية طلبك حيث إن المجلة لا تقدم مساعدات فورية (يمكنك الاتصال بالهيئات الخيرية المتخصصة).

الأخ / حفيظ بن عجب آل حفيظ: وصلتنا ثلاث مشاركات حول تأملات في آيات ستنشر منها واحدة هي: «واعتصموا بحبل الله» في منتدى القراء في عدد قادم.

الأخ / عبدالله الوسيدي: موضوعك «مزوج السنة» لم يجز لكونه لا جديد فيه، نرجو دوام التواصل.

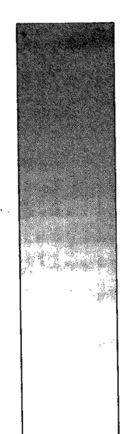
الورقة الأخيرة

«نخبة» البيوت المحميَّة

بقلم: د. محمد البشر

طلائع النخبة التي تحمل أعلى المؤهلات العلمية وتنتسب إلى أجلّ الوظائف الإنسانية في بلداننا العربية تصاب بداء عضال ومرض اجتماعي يسلبها مكانتها وتأثيرها في الأوساط التي تعيش فيها.. وبخاصة تلك النوعية من النُّخب التي درست وعاشت في الأجواء الطبيعية للإنسان.. ومارست كل طرائق التعبير الحر عن إنسانيتها وهويتها.

مجرد أن تطأ أقدامها الأراضي العربية وتبتلعها أمعاء المجتمع، نجد أن أفراد هذه النخبة يصابون بازدواج في الشخصية، يفقدهم سمات تلك الهوية التي طالما عبروا عنها وكافحوا من أجل الحفاظ عليها.. بل ناضلوا بالقلم واللسان والفعل من أجل أن تصل معانيها السامية إلى الآخرين.. شفقة عليهم.. ورحمةً بهم.. وإنقاذاً لهم من المزلات والمُضلاَّت. ما أن تعود هذه النخبة إلى أوطانها وتلبث هنية من الزمن حتى تتكيف مع أساليب العيش في البيوت المحمية.. وتتعرف على فن التعامل مع الرموز.. وتفكيك الطلاسم.. وتأخذ دورها «غير» الطبيعي على المسرح، الذي



لا يسمح بالخروج عن النص.. ويؤكد على ضرورة أن تكـون الشخصيـات مستـعارة – على الأقل أثناء حركتها على خشبة المسرح – وما عدا ذلك فهو شأن خاص. وفي هذا الاستثناء تمارس النخبة دورها الطبيعي.. وعوضًا عن أن تكون فترة الاستثناء وقتًا لاجتلاء الصدأ الذي علق بعقلها وإزالة ركام الزيف الذي ملأ مساحات فكرها، نجد أن هذه النخبة تمارس نوعًا من الحنين إلى ما مضى من أيامها.. والقراءة المتأنية لتاريخها.. و «قد؟!» يساورها شعور بالذنب وتأنيب الضمير إذا ما أحست بالفارق بين أمسها ويومها.. ومع ذلك كله فهي عاجزة عن أن تحدث تغييراً.. ليس لأن المصلحة تقتضي الانتظار والتريث.. وليس لأن ذلك من لوازم العقل والاتزان والاعتدال والتسديد والمقارنة وغير ذلك من معاني الحكمة.. بل لأنها ألفت الدور واستكانت له.. فهي أضعف من أن تُسفر عن مبدأ.. أو تعلن عن شخصية.. أو تناضل عن هوية.

إنها نخبة البيوت المحمية.. تتغذى بتربة غير التربة.. وتستنشق هواءً غير الهواء.. وتنتج ثمراً غير الثمر.

إنها نخبة البيوت المحمية.. التي تتبسم في العلن.. وتتمعر في الخفاء..



مجلة إسلامية
شهرية جامعة

تصدر عن
المنتدى الإسلامي

رئيس مجلس الإدارة
د. عادل بن محمد السليم

مدير التحرير
أحمد أبو عامر

المركز الرئيس:

AL BAYAN
MAGAZINE
7 Bridges Place,
Parsons Green
London SW6 4HR, U.K.
Tel : 0171 - 731 8145
Fax : 0171 - 736 4255

كلمة صغيرة

والوسيلة

أجمع علماء السلف الصالح على أن اتباع الرسول ﷺ لا يتم إلا باقتفاء آثاره في كل شأن، ومنه اتباع سبيله في الدعوة إلى الله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

ولا شك أن التهور وعدم الاستمساك بأدلة الشريعة وقواعدها والعنف الناتج عن ذلك ليس وسيلة لإصلاح المجتمعات وتقويمها، كما أن الغلو في التكفير - غير المنضبط بالضوابط والأصول الشرعية المتفق عليها عند سلف الأمة - مزلق غير محمود العواقب.

أما جهاده ﷺ فقد كان له صفات مذكورة، ومعايير مضبوطة، وأهداف محددة، مبثوثة في كتب أهل العلم الأثبات.

إننا بحاجة إلى بيان واتباع منهج الرسول ﷺ في العلم والعمل، وفي الدعوة والإصلاح. وبحاجة - أيضًا - إلى البحث في أسباب انحراف بعض الأفراد عن الوسيلة الدعوية الصحيحة. وهذا يتطلب - بلا شك - تصدّر العلماء، وقيامهم بواجب التعليم والدعوة، وأن يتعاون الجميع في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعودة إلى الله (تعالى).

والله نسأل للجميع العلم النافع والعمل الصالح.

في هذا العدد :

■ **الموزعون** ■

الأردن : الشركة الأردنية للتوزيع ، عمان ص.ب ٣٧٥ هاتف ٦٣٠١٩١ ، ٦٣٥١٥٣ ، فاكس ٦٣٥١٥٢

الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان : شركة الإمارات للطباعة والنشر ، دبي ص.ب ٦٠٤٩٩ ، هاتف ٦٢٣٩٢٠ ، فاكس ٦٦٣٧٦٨

قطر : دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ، الدوحة هاتف ٦٦٢٤٤٤ ، فاكس ٦٦٢٤٥٠

مصر : القاهرة ـ ش الجلاء ـ الأهرام للتوزيع ، هاتف وفاكس ٥٧٤٧٠٢٣ .

المغرب : سوشبرس للتوزيع ، الدار البيضاء ، ش جمال بن أحمد ص.ب ١٣٦٨٣ ، هاتف ٥٤/٢٤٥٧٤٥

السعودية : مؤسسة المؤتمن للتوزيع ص.ب ٦٩٧٨٦ ، الرياض ١١٥٥٧ ، هاتف ٤٦٤٦٦٨٨ ، فاكس ٤٦٤٢٩١٩،
الشركة الوطنية هاتف ٤٧٨٢٠٠٠، فاكس ٤٧٨٤٣٣٣ .

اليمن : مكتبة دار القدس ، صنعاء : ص.ب ٣٦٠٠ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة ، هاتف ٢٠٦٤٦٧

الكويت : درة الكويت للتوزيع، ص.ب ٢٩١٢٦، الصفاة هاتف ٤٧٢٤٦٦٦، فاكس ٤٧٢٤٥٥٥ .

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ـ المنامة: ص.ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ ـ ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

أمريكا : Al-Fajer Pub. (Al-Bayaan Magazine)
118 S. Main St. Suite # 160
Ann Arbor, MI 48104 U.S.A.
Tel. 313-677-006 Fax 313-677 0065
الرقم المجاني : (Subscription No.: 1-800-99-Fajer)

■ الاشتراكات ■

بريطانيا وإيرلندا	١٨ جنيهًا استرلينيًا
أوروبا	٢٠ جنيهًا استرلينيًا
البلاد العربية وإفريقيا	٢٥ جنيهًا استرلينيًا
أمريكا وبقية دول العالم	٣٠ جنيهًا استرلينيًا
المؤسسات الرسمية	٤٠ جنيهًا استرلينيًا

■ سعر العدد ■

الأردن ٥٠ قرشًا ، الإمارات العربية ٦ دراهم ، أوروبا وأمريكا ١٫٥ جنيه استرليني أو ما يعادلها ، البحرين ٦٠٠ فلس ، اليمن ٢٥ ريالاً ، مصر ١٢٥ قرشًا ، السعودية ٨ ريالات ، الكويت ٦٠٠ فلس، المغرب ١٠ دراهم ، قطر ٨ ريالات ، السودان ٥٠ جنيه ، سلطنة عمان ٤٠٠ بيزة.

EUROPE & AMERICA 1.5 (STERLING OR EQUIVALENT)



الأصولية بين الاتهام والحقيقة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.. وبعد:

ما زلنا وسنستمر ـ بإذن الله ـ دائبين ـ انطلاقاً من رسالتنا الدعوية ـ في الذب عن ديننا الحنيف، وكشف كل ما يراد به من نوايا باطنة ومشكوفة للإساءة إليه ولدعاته وعلمائه وللمنتمين إليه، وقد تطرقنا في افتتاحيات (البيان) وكثير من مقالاتها إلى هذا الاتجاه وفضحه.

وبادئ ذي بدء: فالإسلام دين رباني يقوم على الكتاب والسنة وإجماع الأمة بفهم سلفنا الصالح... هذا ما ندين به، وما عداه من المنطلقات القديمة والجديدة مما يخالف ذلك الفهم فهي منبوذة في نظرنا ولا قيمة لها البتة.

والأصولية المقصودة في رأي كثير من وسائل الإعلام الأجنبية وصداها في عالمنا الإسلامي والعربي هي نهج فئات من النصارى ممن يَدْعُون إلى العودة لجذورهم وأصولهم المعتبرة عندهم، وقد سبق لنا ـ في هذه المجلة ـ إيضاح حقيقة تلك الأصولية، والمراد منها، والأخطاء المقصودة وغير المقصودة من إلصاق هذا الفهم بالإسلام والمنتسبين إليه بحق، وأن الهدف النهائي الذي يدندنون حوله هو إلصاق تهمتي (التطرف والإرهاب) بالإسلام ودعاته، مع العلم أن ما يحصل من ذلك القبيل منسوباً لفئات إسلامية لا تمثل الإسلام الصحيح، وقد يكون سبب ذلك انتشار الفساد في بعض المجتمعات في ظل سيطرة التطرف العلماني...





وما نريد الوصول إليه: أن نبين للقارئ الكريم أن تهمة الأصولية إياها تأخذ

منحى عجيباً ومفترى، يراد من ورائه إلحاق الأذى بالإسلام ودعاته ، مع غض النظر عن كل التوجهات الأصولية الأخرى في بلدان العالم التي أصبح لها حق الوجود والعمل في وضح النهار، بما في ذلك حق الدخول في الانتخابات والمنافسة للوصول إلى سدة الحكم، وعلى سبيل المثال لا الحصر (حز ب الليكود الصهيوني)، الذي نافس حزب العمل الحاكم في دولة يهود ووصل للحكم مرات وآخرها في الانتخابات الأخيرة حيث أعطاه الشعب اليهودي خياره ، مع العلم أن الحزبين في نظرنا وجهان لعملة واحدة..
صحيح أن حزب (الليكود) – وهو تكتل أحزاب دينية أصولية متطرفة – وحزب العمل ينطلقان من أسس توراتية وتلمودية معروفة (لا تفريط في الأرض، ولا في بناء المستعمرات أو إخلاء القائم منها) و (لا تنازل عن القدس عاصمة لهم) فضلاً عن (التحجيم لكيان الحكم الذاتي ورفض عودة فلسطينيي الشتات)، ومع ذلك : تقول الإدارة الأمريكية ـ بعد فوز الليكود ـ: على العرب ألا يتعجلوا الحكم على حكومة (نتنياهو) .. هكذا بكل بساطة؛ لأن المسألة مراعاة لليهود لكسب أصواتهم ذات الفعالية، أما العرب فهم آخر من يُفَكَّرُ فيه.

وفي الهند وجدنا حزب (بهارتا جاناتا) الهندوسي الأصولي المتطرف له حق الوجود، بل حرية العمل حتى وصل إلى المرتبة الأولى في الانتخابات الأخيرة ، وقد نحى (حزب المؤتمر) العتيد ، وكُلِّف رئيسه بالوزارة فعلاً، ولولا منافسة الأحزاب الهندية الأخرى واجتماعها ضده لوصل إلى الحكم ؛ فذلك الحزب المتطرف له مواقفه العنصرية ضد أكبر أقلية في العالم وهم (المسلمون في الهند)؛ حيث قَتَلَ الآلاف منهم وهدم المساجد ، ومن أشهرها (مسجد البابري)، وبعد فوز الحزب أعلن رئيسه أن كشمير كلها هندية، وأنه سيعيد بناء المعبد الهندوسي على أنقاض مسجد (أيوديا).



هذان مثالان على التسامح الدولي مع الأصوليين غير المسلمين..

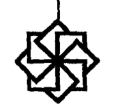


ولم تنل تلك الأحزاب المتطرفة من الإعلام الغربي بخاصة وتابعيه في الإعلام العربي ولا (١٪) من حقد وعدواة وتهويل مما وجه إلى الإسلاميين بمجرد الإعلان عن دخولهم الانتخابات،بل وجدنا الشعار الديمقراطي جاهزاً : ضرورة احترام اختيار الناخب (غير المسلم بالطبع !).

وإن كـان الموقف الغربي من دولة يهـود معـروف - وهـو الانحيـاز الكامل لها - لأسبـاب مـعـروفـة، إلا أن الهند لم يـوجـه إليـهـا أي هجـوم أوتحـذير من خطر تمكين الأصوليين فيها، أو التلويح لها بالمقاطعة، أو التـهـديد بالاجـتـيـاح إن استلم الحزب الأصولي السلطة كما فعل (ميتران الهالك) حينما أوشك (االإنقاذيون) في الجزائر على الوصول إلى الحكم، بل إن أمريكا أبدت استعدادها للاعتراف بالحكومة الهندية مهما كان توجهها.

إننا نتساءل بكل صدق: أين الخوف المزعوم من الأصولية ؟! وأين الرعب المدّعى من خطر إمساكها بزمام الحكم ؟!، أم ان ذلك لا يكون إلا حينما يكون الأمر في ديار الإسلام؟.

وإن كان للعدو الصهيوني مكانته لدى الغرب بعامة وأمريكا بخاصة؛ وذلك بالدفاع عنه بالتحالفات الاستراتيجية وإعطائه كل ما يريده من أسلحة الدمار الشامل، وتمكينه من صنع القنابل النووية وأسلحـة الدمـار الشـامل في الوقـت الذي يحـال دون الدول الإسلامية واستيراد الأسلحة المتقدمة وتثار الزوابع ضد أي بلد مسلم يشاع عنه محاولة اقـتناء تلك الأسلحة، بل والتـهـديـد بضـربة لمجرد الاشـتـبـاه في ذلك وهذا مـا حـصل بالفـعل، فـمـا معنى ذلك؟ إن المسـألة هي مـحـاربة الإسـلام والمسلمين ومـحـاصـرتهم ووضعهم تحت سيطرة أعدائهم، بينما يعطى لعباد البقر في الهند حق اقتناء السلاح النووي، وامتلاك ما يشاؤون ؛ نكاية بجارتهم باكستان.. وإن كانت حكومتها ذات منهج علماني، لكنها في الأخير بلد مسلم!.



الحقيقة أن الموقف الأمريكي لا يُستَغْرَب، فأمريكا وإن كانت تتبنى الاتجاه العلماني بموجب دستورها إلا أن زعماءها يخلطون بين الدين والسياسة في علاقتها مع دولة يهود ، يقول أحد الباحثين* في هذا المجال: إن الموقف الأمريكي من إسرائيل هو نموذج للخلط بين الدين والسياسة...، وهو الذي جعل كثيراً من رؤساء أمريكا ابتداءً من « ولسن» ينطلقون في سيـاسـاتهـم حـيـال (إسـرائـيل) مـن رؤى توراتية، وهـذا التناقض المكشوف لا تسلط عليه الأضواء ولا يكشف للناس؛ ليعرفوا الموقف الحقيقي

* البعد الديني في السياسة الأمريكية ، د. يوسف الحسن .

لأولئك من الإسلام، وإلا .. فلماذا التسامح مع غير المسلمين، بل دعوتهم واستقبالهم وخطب ودهم، كما فعل مع زعيم (الشين فين) الأيرلندي الممثل لـ (منظمة الجيش الجمهوري الأيرلندي) صاحبة الأعمال الإرهابية (الحضارية) الشهيرة!.

إن الحرب ضد الأصولية بعامة هي في الأساس موجهة ضد الإسلام؛ لمحاولة إيقاف مده، ومنع انتشاره، ورفض أي تفوق باسمه، حتى ولو كان عن طريق الديمقراطية (المزعومة)، بل إنهم أوعزوا إلى أصدقائهم في بعض الدول العربية لتقنين منع الاتجاهات الإسلامية من العمل مهما كان وزنها بدعاوى سخيفة ما أنزل الله بها من سلطان، وليس وراءها إلا ما عرفنا، ثم الخوف - والخوف وحده - من انتصار الإسلام، الذي طالما حاربوه مما ساعد على نشوء التطرف في الفكر والغلو في الفهم، وأدى بالتالي إلي مواقف متشنجة وتصرفات متهورة رد فعل لتلك الأساليب الرديئة في الحكم، مما عاشت معه تلك البلدان واقعاً مأساوياً معروفاً، وكان بإمكانها تجاوز واقعها الكئيب لو عادت إلى حكم ربها وتحكيم شريعته وفتح باب الحوار الذي يغلق كلما أراد عقلاء الأمة فتحه.

إن أسباب تلك الحرب الضروس ضد الإسلام أو ما يسمونه مكراً بـ (الأصولية الإسلامية) راجعة لكراهية أعداء هذا الدين له، كما قال (تعالى): ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ لكن.. ما مبرر هذه الحرب من أناس يحملون هويات مسلمة؟، لا شك أنه الانحراف والضلال وكراهية انتصار هذا الدين، وإن سموا ذلك بالعلمانية أو العقلانية أو الحداثة، ومع أن كل الظروف - تعمل في ظاهرها - ضد الإسلام والاتجاهات الإسلامية الصحيحة، ولكن النتائج ستكون - بإذن الله - بعكس ما يريدون، وستتسع العودة الصحيحة إلى الإسلام، وما حلت محنة بالأمة عبر تاريخها إلا وكانت سبباً في الرجوع إلى الله.

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.



دراسات شرعية

ضوابط الضرورة

في الشريعة الإسلامية



بقلم: د. عبد الله التهامي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد..

فإن لموضوع الضرورة أهمية بالغة جدًا؛ إذ كثر غلط الناس في تلك المسألة، وذلك من عدة جهات:

أولاً: من جهة تنزيلها؛ فقد تساهل كثير من الناس في ارتكاب محرمات ومحظورات شرعية بحجة أن ذلك من قبيل الضرورة الشرعية، مرددين: «الضرورات تبيح المحظورات».

ثانيًا: من جهة ضبط هذه الحالة بضوابطها الشرعية؛ فلئن صدق على بعض الحالات أنها من باب الضرورة إلا أن كثيرًا من أهل الضرورات تجاوزوا حد الضرورة، وتوسعوا في استباحة المحرمات وفعل المحظورات.

وثالثًا: من جهة الرضا بالواقع، فقد استسلم معظم الناس إلى نعمة الترخص، ورغبوا في استبقاء هذه النعمة وعدم زوالها، مع أن مسألة الترخص تعتبر من الأمور العارضة والقضايا الطارئة، إلا أنها صارت في كثير من الأحيان ـ عند بعض الناس ـ ذريعة إلى التخلص والتفلت من الالتزام بقيود هذه الشريعة، والأخذ بعزائم أحكامها.

ومن الأمثلة على ذلك: التساهل في ممارسة بعض أنواع المعاملات المالية المحرمة، واستقدام من لا يجوز استقدامه من الأيدي العاملة وغيرها، والسفر إلى مواطن الفتنة وأماكن الرذيلة والفساد، ودخول المرأة ـ بلا محرم ـ على الطبيب بصورة مألوفة معتادة، والخلوة المحرمة بين الرجال والنساء، والكذب في الحديث.

هذه صور من الواقع تشهد بتفريط كبير وإهمال غير يسير في مناحٍ شتى من حياة الأمة، وهو انحراف واضح عن جادة السبيل.

ثم: إن أهل الزيغ والهوى كثيراً ما يتعلقون بستار الضرورة في تحقيق مآربهم ونيل أغراضهم، فيحمّلون هذه الشريعة باطل صنيعهم وسوء مكرهم، بل وربما ينسلخون من الدين كله باسم الضرورة أو الحكمة أو المصلحة.

تلك بعض الأسباب الداعية إلى بيان معنى الضرورة، وتحديد ضوابطها في هذه الشريعة، وقد جعلت **الكلام مرتّباً في ست مسائل:**

١ – تعريف الضرورة لغة واصطلاحاً والفرق بينها وبين الحاجة.

٢ – مدخل لفهم الضرورة الشرعية.

٣ – أقسام الضرورة الشرعية.

٤ – حكم العمل بالضرورة الشرعية.

٥ – ضوابط الضرورة الشرعية.

٦ – ضوابط العمل بالضرورة الشرعية.

المسألة الأولى: تعريف الضرورة لغة واصطلاحاً والفرق بينها وبين الحاجة:

١ ـ الضرورة في اللغة[1]: الحاجة والشدة لا مدفع لها، والمشقة، والجمع: ضرورات، وهي اسم لمصدر الاضطرار.

والاضطرار: الاحتياج إلى الشيء، واضطره إليه: أحوجه وألجأه فاضطر.

وأصل مادة (ضر) خلاف النفع.

٢ ـ الضرورة في الاصطلاح:

أ ـ عند العروضيين في الشعر، تطلق الضرورة على الحالة الداعية إلى أن يرتكب فيها ما لا يرتكب في النثر[2].

ب ـ عند أهل الكلام: هي ما لا يفتقر إلى نظر واستدلال، حيث تعلمه العامة؛ يقال: هذا معلوم بالضرورة، أي: بالبديهة[3].

ج ـ عند أهل الشريعة من الفقهاء والأصوليين:

المراد بحالة الضرورة عند علماء الشريعة في مثل قولهم: يجوز كذا عند الضرورة أو لأجل الضرورة: تلك الحالة التي يتعرض فيها الإنسان إلى الخطر في دينه أو نفسه أو عقله أو عرضه أو ماله فيلجأ (لكي يخلص نفسه من هذا الخطر) إلى مخالفة

١) انظر القاموس المحيط: ٢/٧٧، لسان العرب: ٤/٤٨٣، ومعجم مقاييس اللغة: ٣/٣٦٠، والمعجم الوسيط: ١/٥٣٨.

٢) انظر المعجم الوسيط: ١/٥٣٨.

٣) قواعد الفقه للبركتي، ٣٥٨.

دراسات شرعية

الدليل الشرعي الثابت [1]، وذلك كمن يغص بلقمة طعام، ولا يجد سوى كأس من الخمر يزيل هذه الغصة.

وقد تواترت الأدلة على أن هذه الشريعة جاءت لحفظ الضروريَّات الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

والمراد بالضروريَّات: الأمور التي لا بد من المحافظة عليها حتى تستقيم مصالح الدنيا والآخرة على نهج صحيح دون اختلال، وإنما يكون ذلك بالمحافظة على هذه الأمور الخمسة، لذا تسمى الضرورات (أو الضروريَّات) الخمس، وتسمى بالكليات الخمس أيضًا؛ لكونها جامعة لجميع الأحكام والتكاليف الشرعية، فهي كلية تندرج تحتها جميع جزئيات الشريعة، وتسمى أيضًا بمقاصد الشرعية؛ لما ثبت بالاستقراء التام لهذه الشريعة دقيقها وجليلها: كون المحافظة على هذه الأمور الخمسة أمرًا مقصودًا للشارع[2].

لذلك: صح عند العلماء جعل المحافظة على الأمر الضروري أصلاً ثابتًا لا يتغير أبدًا، وأساسًا قائمًا لا يتعرض للخدش بوجه من الوجوه، وتسمى المحافظة على هذا الأمر الضروري حالة ضرورة إن ترتبت عليه مخالفة لحكم شرعي ثابت.

وقد يقول قائل: ألا يعد العمل بالضرورة نقضًا وهدمًا لأدلة الشرع؛ إذ فيه مخالفة واضحة للدليل الشرعي الثابت؟ فالجواب: إن العمل بالضرورة وفق ضوابطها الشرعية لا يعد هدمًا لأدلة الشرع، بل هو عمل بالدليل الشرعي، إذ الضرورة ثابتة به، ثم إن العمل بالضرورة مقيد بضوابط تحفظ مقاصد الشريعة وتحققها، فالعمل بالضرورة مشروع في حدود مقاصد الشرع ومراميه النبيلة.

بل إن العمل بالضرورة من الأمور التي تؤكد شمول هذه الشريعة لشتى الوقائع والحوادث، وتقرر صلاحها لكل زمان ومكان، ومواكبتها للأحوال والمتغيرات، كما أن في العمل بالضرورة تيسيرًا ورحمة بالعباد ورعاية لمصالحهم، ودرءًا للمفاسد عنهم.

---

١) انظر الموافقات للشاطبي: ٢/٨ وما بعدها.

٢) انظر نظرية الضرورة الشرعية: ص ٢٤٦.

٢ - الفرق بين الضرورة والحاجة[١]:

الضرورة حالة تستدعي إنقاذاً، أما الحاجة فهي حالة تستدعي تيسيراً وتسهيلاً، فهي مرتبة دون الضرورة؛ إذ يترتب على الضرورة ضرر عظيم في إحدى الكليات الخمس، ويترتب على الحاجة مشقة وحرج، لكنه دون الضرر المترتب على الضرورة، وقد تنزل الحاجة منزلة الضرورة: فيما إذا ورد نص بذلك أو تعامل أو كان له نظير في الشرع يمكن إلحاقه به؛ كتجويز الإجارة وعقد الاستصناع، وأجرة الحمام.

المسألة الثانية: مدخل لفهم الضرورة الشرعية:

في هذا المدخل ذكر لبعض القواعد الأصولية والفقهية المتعلقة بالضرورة ،ولا بد عند ذكر هذه القواعد من ربطها بموضوع الضرورة كثمرة لهذا المدخل.

١ - قاعدة المشقة تجلب التيسير[٢]:

معنى هذه القاعدة: أن الشريعة الإسلامية في جميع أحكامها جاءت بما يقع تحت قدرة المكلف وإن ترتب على فعله مشقة كالجهاد والصوم والحج، وقد تخرج المشقة على وجه الاعتياد فتسبب حرجاً كبيراً لسبب من الأسباب؛ فهنا تصبح هذه المشقة سبباً للتيسير والتخفيف، والتخفيفات في الشرع على نوعين:

أ- نوع شرع من أصله للتيسير، وهو عموم التكاليف الشرعية في الأحوال العادية.

ب ـ نوع شرع لما يوجد من الأعذار والعوارض، وهو المسمى بالرخصة، وهو المقصود بقاعدة المشقة تجلب التيسير؛ فالقاعدة إذن مجالها: الرخص والعوارض، والضرورات؛ كأكل الميتة.

وعلى هذا: فالضرورة من المشقة التي تجلب التيسير والتخفيف.

٢ - قاعدة الرخص:

الرخصة في الشريعة هي: «الحكم الثابت على خلاف الدليل لعذر»[٣].

وتنقسم الرخصة باعتبار سببها إلى أقسام[٤] منها:

أ - رخصة بسبب السفر.

ب - رخصة بسبب المرض.

ج - رخصة بسبب الاضطرار، فالضرورة إذن من أسباب الترخص.

---

١) الموافقات: ٢/١٠، شرح القواعد للزرقاء ١٥٥ - ١٥٧.

٢) انظر الوجيز لبورنو: ١٥٧ وما بعدها.

٣) المنهاج للبيضاوي: ١/١٢٠.

٤) الأشباه والنظائر للسيوطي، ص٧٧.

دراسات شرعية

٣ - قاعدة الاستحسان:

الاستحسان في الشرع: «العدول في مسألة عن مثل ما حكم به في نظائرها إلى خلافه لوجه هو أقوى منه»[1] فهو إذن: قطع المسألة عن نظائرها على عكس القياس الذي هو إلحاق المسألة نظائرها، وهذا الوجه القوي الذي أوجب قطع المسألة عن نظائرها قد يكون نصًا أو إجماعًا أو قياسًا خفيًا أو ضرورة، فيعمل بالدليل الأقوى وهو أمر مستحسن، ولهذا سمي استحسانًا [2]، وذلك مثل النظر إلى الأجنبية: لا يجوز لأحد أبداً لكنه جاز للطبيب ضرورة، فالاستحسان قد يستند إلى النص أو الإجماع أو الضرورة، فالضرورة إذن تصلح مستنداً للاستحسان.

٤ - قاعدة المصالح المرسلة [3]:

المصلحة عموماً قد تكون شرعية إن جاء بطلبها دليل خاص من الشرع، وقد تكون ملغاة إن جاءت على خلاف نصوص الشريعة ومقاصدها، وقد تخلو عن الدليل الطالب والمانع فتكون مرسلة.

وتنقسم المصلحة المرسلة باعتبار قوتها إلى ثلاثة أقسام:

فأقواها المصلحة الضرورية، ثم الحاجية، ثم التحسينية.

والمراد بالمصلحة المرسلة الضرورية: المحافظة على الأمور الضرورية التي لم يدل على اعتبارها دليل خاص، وهذه المحافظة بينة ظاهرة في حالة كون الضرورة ثابتة بطريق الاجتهاد، فالضرورة إذن قد تكون من قبيل المصالح المرسلة.

٥ - قاعدة الضرر يزال[4]:

هذه القاعدة من القواعد الفقهية الكبرى، وهي تشمل أصلين مهمين:

ا ـ النهي عن إيقاع الضرر ابتداءً، باتباع شتى وسائل الوقاية والحماية لئلا يقع الضرر.

ب ـ وجوب رفع الضرر ـ إن وقع ـ باتباع أفضل السبل العلاجية.

وقول الرسول ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»[5] يشمل هذين الأصلين، وفي الأخذ بالضرورة تحقيق لهذه القاعدة.

وخلاصة ما تقدم أن يقال: إن وقوع الضرورة لون من ألوان المشتة التي

---

١) الإحكام للآمدي: ٤/١٥٨.

٢) انظر المدخل الفقهي: ١/٨١، أصول الفقه لزكي شعبان: ١٤٩.

٣) انظر روضة الناظر: ١/٤١١، مذكرة الشنقيطي ص١٦٨.

٤) الأشباه والنظائر للسيوطي ص٨٣، الوجيز لبرونو ص١٩٢.

٥) رواه ابن ماجه: ح/٢٣٤١.

تستدعي تيسيرًا وتسهيلاً في هذا الدين، وذلك أيضًا سبب من أسباب الترخص، فتدخل الضرورة لذلك في باب الرخص، وبالنظر في الدليل المحرِّم نجد أن الضرورة حالة استثناء توجب العدول عن العمل وفق هذا الدليل، وهذا هو الاستحسان، وإذا نظرنا إلى جدوى العمل بالضرورة أدركنا أنها ـ ولا شك ـ تحقق مصلحة راجحة، فهي داخلة في باب المصالح، كما أنها تدرأ ضرراً ومفسدة، فهي بهذا تندرج تحت قاعدة (الضرر يزال).

المسألة الثالثة : أقسام الضرورة :

تنقسم الضرورة باعتبارات متعددة إلى أقسام كثيرة، وذلك على النحو الآتي:

أ ـ أقسام الضرورة باعتبار متعلقها :

١ – ضرورة تتعلق بحفظ الدين، مثل: قتل الشيوخ والنساء والأطفال في الجهاد إذا تحصن بهم العدو، حفظًا للدين.

٢ – ضرورة تتعلق بحفظ النفس، مثل: أكل الميتة حفظًا للنفس.

٣ – ضرورة تتعلق بحفظ العقل، مثل: أكل الميتة؛ حفظًا للعقل.

٤ – ضرورة تتعلق بحفظ النسل، مثل: دفع المال للعدو الكافر؛ حفظًا لعرض امرأة مسلمة.

٥ – ضرورة تتعلق بحفظ المال، مثل: إفساد قليل المال حفظًا لأكثره.

ب ـ أقسام الضرورة باعتبار الشمول :

١ – ضرورة عامة: كوقوع الأمَّة في قحط عميم.

٢ – ضرورة خاصة: كوقوع رجل في مخمصة.

ج ـ أقسام الضرورة باعتبار الدليل الدال عليها :

١ – ضرورة أثبتها النص: كالأكل من الميتة للمضطر ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[المائدة: ٣].

٢ – ضرورة تثبت بالاجتهاد: كما في باب المصالح المرسلة إن كانت ضرورية.

المسألة الرابعة : حكم العمل بالضرورة الشرعية :

وفي هذه المسألة ثلاثة أمور:

أولاً : الأدلة على مشروعية العمل بالضرورة من حيث الجملة:

١ ـ من القرآن: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٧٣]

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

٢ – من السنة: عن أبي واقد الليثي قال: قلت يا رسول الله: إنا بأرض تصيبنا مخمصة فما يحل لنا من الميتة؟ فقال: إذا لم تصطبحوا، ولم تغتبقوا، ولم تحتفئوا بها بقلاً، فشأنكم بها[1].

٣ – الأدلة الكثيرة والشواهد المتعاضدة الدالة على أن هذه الشريعة مبنية على التيسير والتخفيف[2] مثل: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥] «بعثت بالحنيفية السمحة»[3].

٤ – الأدلة الكثيرة والشواهد المتعددة الدالة على رعاية هذه الشريعة لمصالح العباد من جهة ودرء المفاسد عنهم من جهة أخرى[4].

ثانيًا: حكم العمل بالضرورة الشرعية:

العمل بالضرورة الشرعية واجب وليس جائزًا، والدليل على ذلك:

١ – قاعدة الواجب لا يترك إلا لواجب[5]: مثل قطع اليد فإنه محرم، وحفظ هذا العضو من الإنسان أمر واجب، لكن هذا الواجب يترك عند السرقة، فتقطع اليد، ولو لم يكن القطع واجبًا بالنسبة للسارق لكان هذا الفعل حرامًا، فتُرك الواجب وهو حفظ العضو لواجب أهم منه وهو إقامة حدود الله.

٢ – قاعدة للوسائل حكم المقاصد:[6] فأكل الميتة للمضطر واجب، لأن حفظ النفس واجب، وهو لا يتم إلا بوسيلة، هي الأكل من الميتة، وهذه هي قاعدة: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

ومن الخطأ أن يقال: إن هذا الفعل يجوز للضرورة[7]، بل الصحيح أن

---

١) رواه أحمد في المسند، والدارمي في السنن: ح/١٩١٢ ومعنى: لم تحتفئوا بها بقلاً: لم تجدوا ما يقتلع فيؤكل.

٢) انظر: قاعدة المشقة تجلب التيسير في الأشباه والنظائر للسيوطي، ص٧٦، ولابن نجيم، ص٧٥.

٣) رواه أحمد في المسند، ح/٢١٢٦٠.

٤) الإحكام للآمدي: ١/١٣٢.

٥) الأشباه والنظائر للسيوطي ص١٤٨.

٦) انظر إعلام الموقعين لابن القيم: ٣/١٣٥.

٧) إلا أن يراد بذلك مطلق الإذن... لا الإذن المطلق.

يقال: يجب أن يشرع عند الضرورة.

أما قول العلماء «الضرورات تبيح المحظورات»، فهو بالنظر إلى أثر الضرورة في تغيير حكم الفعل ونقله من الحظر والمنع إلى الإذن والإباحة، وأما الأخذ بالضرورة فإنه واجب.

ولعل هذا يتضح إذا علمنا أن للضرورة أحوالاً، وإليك بيان ذلك:

ثالثًا: أحوال الضرورة باعتبار تغييرها لحكم الفعل[١]:

١ - ما يفيد إباحة المرخص به حال قيام الضرورة، فالفعل ها هنا يصبح مباحًا، بل واجبًا كالاضطرار لأكل الميتة.

٢ - ما يفيد جواز الإقدام على المرخص به حال الضرورة، مع بقاء الحرمة، كإجراء كلمة الكفر على اللسان.

٣ - ما لا يباح أصلاً ولو للضرورة كقتل المسلم، وذلك فيما إذا كان الفعل منهيًا عنه لذاته.

المسألة الخامسة: ضوابط الضرورة الشرعية:

هناك شروط وقيود لا بد من حصولها في حالةٍ ما؛ ليسوغ تسميتها ضرورة شرعية، ولا يمكن أن تكون تلك الحالة ضرورة شرعية مع تخلف شيء من هذه الضوابط، وإليك بيان هذه الضوابط مع الاستدلالِ لها:

١ - قيام الدليل المحرِّم ورجحان العمل به: كأكل الميتة؛ فإن الدليل على تحريم الميتة قائم، والعمل به راجح؛ فلا يجوز أكل الميتة، إلا أنه جاز للمضطر مخالفة هذا الدليل والعمل على خلافه، ويحترز بذلك عما إذا كان الدليل مبيحًا أو موجبًا، كمن يضطر، لكنه يجد شيئًا من الماء يسد به رمقه، فلا ضرورة ها هنا، لعدم وجود المخالفة المترتبة على قيام الدليل المحرِّم[٢].

ومن هنا: عُلِمَ أن حالة الضرورة مبنية على مخالفة ما يعتقد رجحان تحريمه، كمن يرى حرمة اللحوم المستوردة، فإن أكله منها لإنقاذ نفسه من الموت يعتبَر ضرورة، وليس من الضرورة بالنسبة لمن يرى جواز تناول هذه اللحوم.

٢ - أن يترتب على الامتثال للدليل الراجح المحرِّم ضرر متعلق بإحدى الكليات الخمس: كأن تتعرض نفسه

١) انظر الوجيز لبورنو، ص١٧٦ .

٢) انظر الإحكام للآمدي: ١/ ١٣٢ .

دراسات شرعية

للهلاك إن لم يأكل من الميتة ويحترز بهذا عن انتفاء الضرر: كأن يوجد الدليل المحرِّم لكنه لا يضطر إلى مخالفته بأكل الميتة، فيما إذا كان في الأحوال العادية، فلا ضرورة ها هنا؛ لعدم الحاجة الشديدة إلى المخالفة؛ إذ إن الضرر لا وجود له.

ووجه هذا الضابط ودليله: القاعدة المعروفة «الضرر يزال» فلتراجع مع أدلتها.

٣ - أن يكون حصول الضرر أمراً قاطعًا أو ظنًا غالبًا، ولا يلتفت إلى الوهم والظن البعيد، كأن يكون المضطر في حالة تسمح له بانتظار الطعام الحلال الطيب، فلا يقدم على تناول الميتة والحالة كذلك حتى يجزم بوقوع الضرر على نفسه فيجوز حينها تناول الميتة، ودليل ذلك: ما علم في الشريعة من أن الأحكام تناط باليقين والظنون الغالبة ،وأنه لا التفات فيها إلى الأوهام والظنون المرجوحة البعيدة،(١) وقد تقدم في حديث أبي واقد قوله ﷺ: «إذا لم تصطبحوا...» ما يدل بوضوح على أن الإقدام على المخالفة لا يتم إلا بعد التيقن والجزم بحصول الضرر.

٤ - ألاَّ يمكن دفع هذا الضرر إلا بالمخالفة وعدم الامتثال للدليل المحرِّم، فإن أمكن المضطر أن يدفع هذا الضرر بأمرين أحدهما جائز والآخر ممنوع، حرم عليه ارتكاب المخالفة للدليل المحرم، ووجب عليه دفع الضرر بالأمر الجائز، كأن يغص بلقمة وأمامه كأسان من الماء والخمر، ووجه هذا القيد ما ورد في ذلك من قواعد مثل: «إذا ضاق الأمر اتسع، وإذا اتسع ضاق» «الضرر يدفع قدر الإمكان» لتراجع مع أدلتها.

٥ - ألا يعارض هذه الضرورة عند ارتكابها ما هو أعظم منها أو مثلها، كأن يأكل المضطر طعام مضطر آخر، ووجه ذلك ما ورد من قواعد مثل: «الضرر لا يزال بمثله» و «يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام» و «يرتكب أخف الضررين لدفع أعظمهما» و «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح».

وكذلك: فإن الضرورة تسقط ولا يلتفت إليها إن ترتب على الأخذ بها إخلال بمبادئ الدين ومقاصد الشريعة: كقتل المسلم، والزنا، فهذه لا ضرورة تحلها؛ لأن تحريمها جاء على سبيل

---

١) انظر قاعدة «اليقين لا يزال بالشك»، وما يتنوع عنها في الأشباه والنظائر للسيوطي، ص ٥٠ ولابن نجيم ص ٥٦ .

القصد والتعيين، لا على سبيل الذريعة والتكميل، كتحريم النظر إلى الأجنبية، فإنه ذريعة للزنا؛ لذلك: يترك العمل به عند الضرورة،[1] ووجه ذلك قاعدة: «الضرورات تبيح المحظورات بشرط عدم نقصانها عنها»[2].

من يقدر الضرورة؟:

إذا كانت الضرورة عامة للأمة أو لكثير منها فإن تطبيقها على الوقائع وتنزيلها على الحوادث لا يتأتى إلا ممن له علم بالواقع، وعنده تمام الدراية بملابسات الأمور وأبعادها؛ ذلك أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ويكفي أولي العلم قولُ من يوثق بدينه وعلمه من أهل المعرفة في كل واقعة.

أما إن كانت الضرورة خاصة بإنسان ما: فإن تطبيقها يختص به كمن؛ وقع في مفازة ووجد ميتة. والواجب على الجميع تقوى الله قدر المستطاع والتثبت من الأحوال والوقائع، ثم الأخذ بهذه الضرورة وفق ضوابطها وقيودها المذكورة دون بغي ولا اعتداء، كما قال سبحانه:

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

وصفوة هذه الضوابط مجموعة في الأسئلة التالية:

١ - هل الدليل المحرِّم قائم ومتجه والعمل به راجح؟.. إن كان الجواب: نعم...

٢ - فهل يترتب على الامتثال بهذا الدليل ضرر يتعلق بالكليات الخمس؟.. إن كان الجواب نعم...

٣ - فهل حصول هذا الضرر محقق مقطوع به أو ظن غالب؟.. إن كان الجواب: أنه كذلك مقطوع به أو ظن غالب وليس وهمًا ولا ظنًا بعيدًا...

٤ - فهل يمكن دفع هذا الضرر المؤكد بطريق آخر دون حصول مخالفة للدليل المحرِّم؟.. إن كان الجواب: أن ذلك لا يمكن إلا بمخالفة الدليل المحرِّم...

٥ - فهل يترتب على مخالفة الدليل المحرِّم عند العمل بالضرورة حصول ضرر أكبر أو مماثل؟ إذ لا

١) انظر الوجيز لبورنو، ص ١٧٧ - ١٧٩.

٢) انظر شرح القواعد للزرقاء ص١٣٥.

يصح العمل بالضرورة فيما لا يباح الترخص فيه، وذلك إذا كان الفعل منهيًا عنه لذاته، ثم إن العمل بالضرورة لا بد فيه من مراعاة ما يأتي في ضوابط العمل بالضرورة:

المسألة السادسة: ضوابط العمل بالضرورة الشرعية:

إذا اجتمعت الضوابط السابقة في حالة ما، صح أن تعد هذه الحالة ضرورة شرعية يؤخذ بها ويستند إليها، لكن العمل بالضرورة مع كونه واجبًا لا بد فيه من ضابطين، هذا بيانهما:

الضابط الأول: أن تقدر هذه الضرورة بقدرها، من حيث الزمان والمكان والكم والكيف، فلا بد من تحديد المقدار الذي يدفع الضرر ويحقق المصلحة، إذ تجويز الأخذ بالضرورة مقصور على هذا المقدار، وما زاد على ذلك يبقى في حيز التحريم، فلا يأكل المضطر من الميتة إلا بالقدر الذي يسد رمقه، وما زاد فهو حرام[1].

الضابط الثاني: أن العمل بالضرورة مرتبط بقيام الضرر وتوقعه، فإن زال فلا ضرورة؛ لأن الأخذ بالضرورة استثناء وبدل كالتيمم لا يجوز مع وجود الماء؛ إذ الماء أصل والتيمم بدل، والعمل بالبدل لا يجوز مع وجود الأصل، فبمجرد زوال العذر وارتفاع الضرر أو اختلال أحد الضوابط يبطل العمل بالضرورة، ووجه هذا الضابط: القاعدة التي تقول: «ما جاز لعذر بطل بزواله»[2].

ومن هنا يتبين وجوب السعي الجاد لإزالة هذه الضرورة وبذل الجهد في سبيل رفعها، وإنما يكون ذلك بالأخذ بأسباب النجاة والاحتياط في مواجهة الأزمات قبل وقوع الخطر بتوقعه واتقائه قدر الإمكان، وعند وقوعه بمقاومته ومحاولة رفعه أو تخفيف ضرره ومفاسده، وعدم الركون له والاستسلام والخنوع، وبعد وقوعه بمنع تَكْرَارِه، والمؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين.

إن القيام بفروض الكفاية المعطلة

---

1) انظر الأشباه والنظائر للسيوطي ص٨٤، ولابن نجيم ص٨٦ .

2) انظر شرح القواعد للزرقاء، ص١٣٥ .

في هذه الأمة كفيل برفع حالات الاضطرار التي تعيشها المجتمعات الإسلامية، كواجب إعداد القوة، وإيجاد الهيبة، ودفع الباغي، وسد الخلة، ونصر المظلوم، وكفالة الفقير، وإعالة العاجز، وتعليم الجاهل، وقصر الآثم.

اللَّهم هيئ لهذه الأمة من أمرها رشداً، واهدها إليك صراطًا قيِّما مستقيمًا، وصلِّ الله على خير البرية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



ثلاث كلمات إلى ثلاث فئات

بقلم: عبدالعزيز بن ناصر الجليل

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا وقدوتنا محمد ﷺ وبعد، فلقد سبق في أعداد ماضية الحديث عن اليقين باليوم الآخر وثمراته، وفي هذه الحلقة ـ بمناسبة الحديث عن هذا الأمر العظيم ـ سأتوجه بهذه الكلمات إلى ثلاث فئات من الناس، هي التي تتألف منها مجتمعات المسلمين اليوم، ولا يكاد يخرج فرد من الأفراد عنها، وهذه الفئات هي:

أولاً: الفئة المصلحة الداعية إلى الخير:

وهؤلاء هم أشراف المجتمع وأحسنهم قولاً وأثراً في الناس، وأنبلهم غاية وأسماهم هدفاً، وهؤلاء هم الذين عناهم الله (عز وجل) بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقوله (تعالى): ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وهم الذين عناهم الرسول ﷺ بقوله: «ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله (تبارك وتعالى)»[١] **وإلى إخواني هؤلاء أوجه هذه الكلمات:**

---

١) مسلم: ٣/١٧٠، ح(١٥٢٣).

- اعلموا أنكم سادة المجتمعات وأشرافها بحق، وكيف لا . . . وأنتم تحملون أعظم رسالة وأنبل غاية، ألا وهي تعبيد الناس لرب العالمين وإخراجهم بإذن الله (تعالى) من الظلمات إلى النور، كيف لا . . . وأنتم تضحون بأوقاتكم وأموالكم وراحتكم في سبيل إنقاذ أنفسكم وإنقاذ الناس من عذاب الله (تعالى) في الدنيا وعذابه الأليم في الآخرة . . . أيٌّ غاية أشرف وأنبل من هذه الغاية؟ .

- ولما كان هذا العمل بهذه المنزلة، فالله الله أن يضيع سدى أو يصير هباءً بنزغة شيطان أو هوى نفس يلوثان العمل برياء أو إرادة دنيا فانية، أو ابتداع في الدين بما لم يأذن به الله (سبحانه)، إن صدور هذه الأمراض ممتنع من عبد أيقن باليوم الآخر، وأيقن بيوم الحسرة التي يتحسر فيها العبد على كل عمل لم يخلص فيه لله (عز وجل)، ولم يتابع فيه الرسول ﷺ . وإن ذلك - والله - لكائن في يوم التناد ﴿ **وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [القصص : ٦٥]، ويا سعد من كان جوابه : أجبناهم بالاتباع والانقياد وعدم الابتداع، ويا خيبة وخسارة من كان حاله كما قال (تعالى) : ﴿ **فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ** ﴾[القصص : ٦٦] .

- وإن مما يحافظ على شرف الغاية في الدنيا وعظم الجزاء في الآخرة : سلامة الصدور ووحدة الكلمة ونبذ الفرقة والاختلاف! لأن مما يضعف أثر أهل الخير على الناس : تفرقهم ومنابذة بعضهم لبعض، لأنهم بذلك ينشغلون بأنفسهم عن دعوة الناس؛ كما أن الناس تضعف ثقتهم بأهل الخير إذا رأوا ما بينهم من الأحقاد والإحن، فالله الله في دعوة الله (عز وجل)، والله الله في العمل الصالح أن يضيع هباءً منثوراً في يوم الفاقة والحاجة، يوم يكون العبد في أمسِّ الحاجة إلى حسنة واحدة يثقل بها ميزانه، إنه لا يمكن لمن أيقن بيوم الجزاء والحساب والوقوف بين يدي الديان (عز وجل) أن ينفق العمر القصير في قيل وقال وأحقاد وأضغان وافتراق على أمور يجوز الاختلاف عليها، وبقدر

دراسات دعوية

ما يكون من هذه الأمراض في النفوس بقدر ما تؤخر عجلة الدعوة، ويفتح المجال للفئة المفسدة لتبث سمومها في الناس، وتجرهم إلى الشقاء في الدنيا والعذاب في الآخرة (نسأل الله السلامة).

– وإن من أخطر ما تفرزه الفرقة والاختلاف بين أهل الخير: الظلم والعدوان والانتصار للنفس وحظوظها بتأويل، وأحياناً بدون تأويل. وينبغي لمن أيقن بيوم الفصل، وأيقن بيوم التلاق يوم أن يلتقي الظالم بالمظلوم والجائر بالمجار عليه.. أن يحسب لهذا المقام حسابه، وألا يتكلم إلا بعلم وعدل، وأن يراعي حرمة مال المسلم وعرضه وجميع حقوقه، قبل أن يأتي يوم القصاص ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً** ﴾ [آل عمران: ٣٠].

– إن اليقين باليوم الآخر وأهواله واليقين بالتبعة الفردية المذكورة في قوله (تعالى): ﴿ **وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً** ﴾ [مريم: ٩٥]، إن ذلك كله يفرض على الفئة المصلحة أن يكون الحق رائد كل فرد فيها، وهذا بدوره يخلِّص من الحزبية المقيتة ولوثاتها، وما فيها من التعصب للأشخاص أو الهيئات، فكل هؤلاء لا ينفعون عند الله (عز وجل) إذا لم يكن الحق هو الرائد والموجه للجميع، وهذا يؤكد على الفئة المصلحة والداعية إلى الخير أن تربط الناس والأتباع بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح لا بآراء الرجال وعقولهم، وهذا لا يعني التنقص من أهل العلم والدعوة وعدم تقديرهم، كلا... فلهم التقدير والمحبة والإجلال، ولكن فرق بين التقدير والتقديس.

– بما أن من سنة الله (عز وجل) ابتلاء أوليائه بأعدائه؛ ليبلي المؤمن بلاء حسنا، فإن مما يثبت به الله عباده المؤمنين ودعاته الصادقين أن يرزقهم الإنابة إلى دار الخلود رجاء ثواب الله (عز وجل)، وأن الله (تعالى) ليس

بغافل عن الظالمين، فهناك يوم القصاص الأعظم، وذكر هذا اليوم مما يصبِّر به الله (سبحانه) دعاته المصلحين، وكلما كان ذكر هذا اليوم العظيم في قلوب الدعاة أكثر، كلما كان صبرهم وتضحيتهم أعظم وأكبر، وهذا يقود إلى مسألة أخرى، وهي: أن ينتبه أهل الخير والإصلاح إلى دور اليوم الآخر والتذكير به دائماً في تربية النفوس وتهذيبها، وأن يعنوا به عناية كبيرة في البرامج التعليمية والمناهج الدعوية، بل ينبغي أن تربط جميع المناهج على اختلافها باليوم الآخر وأعمال القلوب حتى يكون للمناهج أثرها العملي والتعبدي والأخلاقي، وينبغي ألا يلتفت إلى من يقلل من شأن الحديث في اليوم الآخر والوعظ بأيامه وأهواله بحجة أنه كلام وعظي أو عاطفي أو إنشائي؛ فهذا غلط كبير وتفريط عظيم في رافد عظيم من روافد التربية والتزكية.

هذا وإن كان قصد ذلك المقلل الإشارة إلى أهمية العلم والتأصيل والاستدلال وليس هو التهوين من ذلك اليوم العظيم، إلا أنه ينبغي التنبيه على أن العلم والتأصيل والاستدلال ينبغي أن يربط ذلك كله بتعظيم الله (عز وجل) وعبادته والاستعداد بالعلم والعمل للدار الآخرة، وهذا لا يتأتى إلا أن يقوم أهل العلم والتوجيه والإرشاد إلى صبغ دروسهم وحلقات تعليمهم بهذا الأمر سواء أكان العلم في العقيدة، أو في الفقه وأصوله، أو الحديث ومصطلحه، أو السيرة والتاريخ .. إلخ.

ثانيًا : الفئة المفسدة الداعية إلى الشر والصادة عن الخير :

وهؤلاء هم سفلة المجتمع، وهم أراذل الناس؛ لأنهم خانوا ربهم، وخانوا أمتهم، وظلموها، وعرَّضوا الناس للشقاء والنكد في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة، وهؤلاء هم الذين عناهم الله (عز وجل) في كتابه الكريم بقوله: **﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾** [الأنعام: ١٢٣] يقول الشيخ السعدي – (رحمه الله تعالى) – عند هذه الآية: « **﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ**

مُجْرِمِيهَا ﴾ أي: الرؤساء الذين قد كبر جرمهم، واشتد طغيانهم ﴿ لِيَمْكُرُوا فِيهَا ﴾بالخديعة والدعوة إلى سبيل الشيطان، ومحاربة الرسل وأتباعهم، بالقول والفعل، وإنما مكرهم وكيدهم يعود على أنفسهم؛ لأنهم يمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين.

وكذلك يجعل الله كبار أئمة الهدى وأفاضلهم يناضلون هؤلاء المجرمين، ويردون عليهم أقوالهم ويجاهدونهم في سبيل الله، ويسلكون بذلك السبل الموصلة إلى ذلك، ويعينهم الله، ويسدد رأيهم، ويثبت أقدامهم، ويداول الأيام بينهم وبين أعدائهم، حتى يدول الأمر في عاقبته، بنصرهم وظهورهم، والعاقبة للمتقين» [1] وبهذه المناسبة **أوجه الكلمات التالية لأهل هذه الفئة**لعل الله (عز وجل) أن ينفعهم بها:

- أذكركم بموعظة الله (تعالى) إذ يقول: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا** ﴾ [سبأ: ٤٦]، فماذا عليكم لو قام كل فرد منكم مع نفسه أو مع صاحبه، ثم فكرتم فيما أنتم عليه من فساد وصد عن سبيل الله (عز وجل). هل أنتم مقتنعون بما تفعلون، وبما تتسببون به لأمتكم من الشرور؟ وهل هذا يرضي الله (تعالى) ويجلب النعيم لكم في الآخرة؟ إنكم إن قمتم لله (عز وجل) متجردين مثنى أو فرادى، وفكرتم في ذلك فإن الجواب البدهي هو أن الفساد والإفساد لا يحبه الله (عز وجل)، بل يمقته ويمقت أهله، وسيأتي اليوم الذي يمقت فيه أهلُ الفساد أنفسهم، ويتحسرون على ما فرطوا وضيعوا وأفسدوا وذلك في يوم الحسرة، حيث لا ينفع التحسر ولا التندم.

إن الذي يكره الخير وأهله، وينشر الفساد، ويصد عن سبيل الله (تعالى) إنما هو بين أمرين لا ثالث لهما: إما أنه لا يؤمن بالله ولا باليوم

---

١) تفسير السعدي، عند الآية (١٢٣) من سورة الأنعام.

الآخر، وما الحياة عنده إلا هذه الدنيا، فهو يسعى ليجمع فيها ويظلم ويبطش؛ لأنه لا يرجو اليوم الآخر ولا يخافه، فهذا كافر مرتد، وإن كان يخفي هذا الكفر فهو منافق زنديق، أو أنه يؤمن بالله واليوم الآخر، لكن الدنيا وزخرفها ومناصبها أسكرت عقله ولبه؛ فأصبح في غفلة شديدة عن الآخرة ونعيمها وعذابها حتى استمرأ الفساد، وصارت الدنيا أكبر همه يلهث وراءها، ويجمع حطامها ولو كان عن طريق الفساد والإفساد، ومثل هذا الذي يؤمن بالآخرة ولكنه في غفلة شديدة عنها، مثل هذا لا عقل له، كما أن الأول لا إيمان له، وقد يخسر إيمانه في النهاية، والحاصل أن تتداركوا ما بقي من عمركم في التوبة إلى الله (عز وجل) قبل حلول الأجل، حيث لا ينفع الندم، واعتبروا بمن ذهب ممن هو على شاكلتكم بدون توبة، وماذا بقي له من الذكر في هذه الحياة الدنيا.

قارنوا من مات من أهل الخير والصلاح كشيخ الإسلام ابن تيمية، وقبله: الإمام أحمد، ومالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وبعدهم الإمام محمد بن عبدالوهاب (رحم الله الجميع). لقد بقي ذكرهم عند الناس كأنهم لم يموتوا، مع ما نرجوه لهم من الأجر العظيم في الآخرة، قارنوا هؤلاء بمن مات من أهل الشر والإفساد الذين لم يبق لهم ذكر البتة، لا.. بل بقي الذكر السيئ ولعنات الأمة تلاحقهم عند ذكرهم، مع ما يُخشى عليهم من عذاب الله (سبحانه) يوم يقوم الناس لرب العالمين، فأي الفريقين أشرف مكانةً وأهدى سبيلاً؟.

- نذكركم بيوم الحسرة والندامة، يوم يتبرأ منكم الأتباع، وتتبرؤون من الأتباع، ولكن حين لا ينفع الاستعتاب ولا التنصل ولا التبرؤ، بل كما قال (تعالى): ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ**﴾ [**البقرة**: ١٦٦] نذكركم بالأثقال العظيمة التي ستحملونها يوم القيامة من أوزاركم وأوزار الذين تضلونهم بغير علم إن

لم تتوبوا، قال (تعالى) : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل : ٢٥] .

- لما كان الظلم قرين الفساد و الإفساد، فإنه جدير بالظالمين الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أن يتذكروا يوم الفصل والحساب ﴿ يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [غافر : ٥٢] ليتذكر الظالمون هذا اليوم المشهود الذي يقتص فيه الحكم العدل من الظالمين للمظلومين، ليتذكروا هذا اليوم العظيم إن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر ما داموا في دار الدنيا دار التوبة والاستعتاب، فوالله إن للظالم ليوماً ينكشف فيه الغطاء ويعض فيه على يديه من الخزي والحسرة، وإن في كتاب الله (عز وجل) لغُنية عن أي كلام وكفاية عن أي موعظة قال (جل وعلا) :﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [إبراهيم : ٤٢ ، ٤٣] وإن الظالمين جميعهم تابعيهم ومتبوعيهم لهم يوم مشهود وعصيب، يوم يلعن بعضهم بعضاً، ويحيل التبعة بعضهم على بعض، ولكن حين لا يجلب لهم ذلك إلا الخزي والبوار .

- إن لم يجد واعظ الله (سبحانه) والدار الآخرة فيكم شيئاً فلا أقل من أن يوجد عندكم بقية مروءة وحياء تمنعكم من إفساد أخلاق الأمة والوقوف في وجه المصلحين الداعين إلى معالي الأمور والأخلاق، فالمتأمل لحال المفسدين في الأرض اليوم ليأخذه العجب والحيرة من أمرهم ... فما لهم وللمرأة الحيية التي تقر في منزلها، توفر السكن لزوجها وترعى أولادها، ماذا عليهم لو تركوها في هذا الحصن الحصين تؤدي دورها الذي يناسب أنوثتها وطبيعتها، ثم ماذا عليهم لو تركوا

أولاد المسلمين يتربون على الخير و الدين والخصال الكريمة؟ ماذا يريدون من إفسادهم وتسليط برامج الإفساد المختلفة عليهم؟ هل يريدون... جيلاً منحلاً يكون وبالاً على مجتمعه، ذليلاً لأعدائه، عبداً لشهواته؟! إن تلك هي النتيجة، وإن من يسعى إلى تلك النتيجة الوخيمة التي تتجه إليها أكثر الأسر المسلمة اليوم، لهو من أشد الناس خيانة لمجتمعه وأمته وتاريخه، فيا من وصلوا إلى هذا المستوى من الهبوط والانتكاس: توبوا إلى ربكم، وفكروا في غايتكم ومصيركم، واعلموا أن وراءكم أنباء عظيمة، وأهوالاً جسيمة تشيب لها الولدان، وتشخص فيها الأبصار، فإن كنتم تؤمنون بهذه: فاستيقظوا من غفلتكم وراجعوا أنفسكم، والله (جل وعلا) يغفر الذنوب جميعاً، وإن كنتم لا تؤمنون بذلك فراجعوا دينكم، وادخلوا في السلم كافة قبل أن يحال بينكم وبين ما تشتهون.

- نذكِّر المنافقين من هذه الفئة بأن الله (سبحانه) يعلم سرهم ونجواهم، ويعرِّف المؤمنين بسيماهم مهما أظهروا الإسلام في الدنيا، وفي الآخرة يخزيهم ويفضحهم بين الأشهاد ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾ [الحاقة: ١٨] فتوبوا إلى الله علام الغيوب ما دمتم في زمن التوبة، وصححوا بواطنكم قبل أن يبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور.

ثالثًا: فئة الأتباع وعامة الناس:

وهم الذين لم يصلوا في أخلاقهم وأهدافهم إلى مستوى الفئة الشريفة المصلحة، ولم يهبطوا إلى مستوى الفئة المفسدة الوضيعة الخائنة.

وإنما هم فئة بين الفئتين ولديهم الاستعداد للخير الذي تدعو إليه الأولى، كما أن لديهم الاستعداد لتلقي الشر والإفساد الذي تسعى إليه الفئة الثانية[1]، وهذا

١) ولذلك يوجد في هذه الفئة: الصالحون والفاسدون حسب نشاط أهل الخير وأهل الشر، وقد يوجد من بينهم أهل العزلة والساكتون.

يؤكد أهمية الدعوة، وقطع الطريق على الفئة المفسدة؛ حتى لا ينحرف الناس عن الصراط المستقيم. والملاحظ في هذه الفئة أنها السواد الأعظم، بينما يغلب على الفئة الأولى والثانية أنهما قلة، والدفع بين الفئة المصلحة والمفسدة من سنن الله (عز وجل) حيث الصراع بين الحق والباطل، قال (تعالى): ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وإلى هذه الفئة من الناس أتوجه بهذه الكلمات:

* إن تذكر اليوم الآخر ومشاهده العظيمة من أهم الأسباب التي تقي من شر المفسدين المستكبرين في الدنيا وفي يوم التناد ويوم تخاصم أهل النار، فإذا أيقن العبد بهذه المشاهد وأن الله (سبحانه) ينادي عباده ﴿ **مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ عندئذ يحذر العبد أن يتبع كل ناعق ملبس، وإنما يتبع المرسلين وأتباعهم، كما أن تخاصم أهل النار وما فيه من تبرؤ المتبوعين من الأتباع يجعل العبد يحسب لهذا المشهد حسابه، حتى لا يعض على يديه حسرة وندامة، وهذا الشعور المخيف يجعل الإنسان في حذر من أهل الشر والإفساد الذين يزينون له الباطل في الدنيا، ويوم القيامة يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ التابع من المتبوع والمتبوع من التابع، فكفى بتذكر تلك المشاهد العظيمة واعظاً ورادعاً لكل من يحب لنفسه الخير حتى يحذر من أهل الشر والفساد، ويلتصق بأهل الخير والإصلاح الذين يسعون لإنقاذ الناس بإذن ربهم (سبحانه) من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة، ويعض عليهم ويبذل لهم المودة والنصرة والدعاء، حيث إنهم أرحم الخلق بالخلق، وهم صمام الأمان لمجتمعاتهم، فجدير بمن هذه صفاته أن يُحَبَّ ويُوالى وينصر.

– لقد أنعم الله (سبحانه) على عباده بالعقول وإرسال الرسل وإنزال الكتب حتى تَبْيَّنَ الرشد من الغي، ولن ينفع التابعين الذين أعطوا قيادهم لدعاة الشر وألغوا عقولهم، لن ينفعهم يوم القيامة إلقاء التبعة على المتبوعين من المفسدين، ولقد قامت حجة الله (سبحانه) على عباده . . . نعم لن يجدي عن الأتباع الذين فتحوا أفكارهم وبيوتهم لأهل الشر ليفسدوا فيها ويمكروا فيها إذا قامت الخصومات بين يدي الحكم العدل، إنهم بذلك يتحولون إلى فئة المفسدين، شعروا أم لم يشعروا .

– وأخيراً لنسمع إلى تحذير الله (عز وجل) لعباده من طاعة الشيطان وحزبه وبراءته من أتباعه يوم القيامة، قال (تعالى) : ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

التوحيد أولاً وأخيراً

محمد العبدة



إن أساس الإصلاح الإسلامي هو التوحيد الخالص لله (تعالى)، فهو الذي يرتقي بالإنسان المكان اللائق به، وهو الذي ينقذه من رق العبودية لغير الله، ويحرره من استعباد الإنسان، ومن استعباد الخرافة والأهواء، وهو الذي ينقذه من المحتالين الدجالين أحبار السوء الذين يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، وإذا لم يتعبد الإنسان لله (تعالى) فسوف يقع في الوثنية - لا محالة - بشتى صورها وأشكالها؛ فإن الإنسان كما جاء في الحديث (حارثٌ وهمَّام)، فلا بد أن يمتلئ بشيء، فإذا لم تكن العبودية لله فهي لغيره مهما تظاهر بأنه حر، فالعبودية هي عبودية القلب كما يقول ابن تيمية (رحمه الله)، فمن ركض وراء الشهوات فهو الأسير المملوك، ولو كان حاكماً يستعبد الناس.

التوحيد الخالص لله (تعالى) هو الذي يجعل المسلم شخصية تستعصي على الطغيان، ولا تخضع للملأ أو المال، كما استعصى الصحابي الجليل بلال بن رباح حين قالها لملأ قريش: أحد أحد، والتوحيد هو الذي يحفظ الإنسان من الانفلات بلا قيد أو ضابط، كما حُفظت الأفلاك بالجاذبية.

التوحيد الخالص لله (تعالى) هو الذي أنقذ العرب من وهدة النسيان والخمول، وجعلهم أمة تحمل رسالة وتشعر بالمسؤولية، وتحول العربي إلى إنسان لا تأسره الأوهام والتقاليد، ولا القبيلة والعشيرة، ولا الإقليمية والقومية.

إن من أصعب الأشياء على الإنسان الذي يحب الفساد في الأرض أن يسمع كلمة التوحيد ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] وكأنهم يقولون: كيف يكون إله واحد ينظر في أمر الجميع؟ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ...﴾ [الزمر: ٤٥] وقد خشي فرعون من هذا التوحيد الذي جاء به موسى (عليه السلام) فقال: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ...﴾ [غافر: ٢٦] والدين هنا يعني الحكم، وكأنه يقول: إن هذا النبي الذي جاء بالتوحيد خطير جداً؛ لأنه سيذهب بملككم وسيادتكم وطريقتكم في العيش. فلا مانع عند الطغاة أن يكون الدين حركة ثقافية أو حضارية تتكلم عن الزخرفة الإسلامية أو العمارة الإسلامية، وتذكر ما أنتجه العلماء القدامى في الطب، والهندسة، وعلم الفلك، ولا مانع من تشجيع الطرق الصوفية التي تربط الفرد بالشيخ والولي والأقطاب والأوتاد وما هنالك من خيالات وخرافات.

ومن المؤسف أن بعض الذين يوسمون أنفسهم بأنهم (مثقفون)، أو بعض من دخلت في قلوبهم شبه (علم الكلام) يأنفون من هذا التوحيد، فلا يدرسونه ولا يُدرِّسونه؛ لأن هذا عندهم أقرب أن يكون للعوام! أما هم فلا بد أن يخوضوا في الذات الإلهية، وكيف ولماذا؟... ولا بد أن يذكروا أقوال الفلاسفة القدامى والمعاصرين؛ فتراهم يلوكون الكلمات التي لا تقيم حقاً ولا تهدم باطلاً، والتي هي كلحم جمل غَثّ على رأس جبل وعر، ولا يكتفون بهذا، بل يُنفّرون الناس عن هذا التوحيد باللمز والغمز لأهله الذين يقومون به ويعلمونه الناس.

إذا أردنا النهوض فلا بد أن نرتفع بمستوى الأمة كي تفهم وتمارس التوحيد الخالص، وحتى لا تكون قطيعاً يُنادى من مكان بعيد، وتكون أمة تقوم بواجباتها وتحمل الرسالة.



غيبة الهدف من حياتنا العلمية

بقلم:
محبة الدين سماء

إننا لنعجب من طائر صغير غادر عشه مع انبلاج فجر يوم جديد، نراه وقد فرد جناحيه على بساط النسيم، رافعًا رأسه الصغير، ورافعًا معه همته لأعلى بكل عزيمة البِشْر، ينطلق، ينشرها أغاريد عذبة تعطّر الأجواء، ونراه يطير عند الأصيل أو في جو الهجير، نراه يسير يلتقط الحَبّ بمنقاره الصغير، وقد يغدر به حيوان جارح أو طائر كاسر، أو يستعذب في رحلته لفح السموم باحثًا عن لقمة عيش لصغاره، أو منقبًا عن أعواد صغيرة لعشه، يقطع آلاف الأمتار مستميتًا في الوصول إلى ما يريد، ثم لا تنظر.. إلا وقد عاد إلى بيته الصغير عند الغروب راضيًا مسرورًا.

لم يكن بإمكان تلك الروح أن تهدأ ساعة قبل أن تصل إلى الهدف المنشود الذي تحيا لأجله، هكذا يهدي الله المخلوقات إلى فلكها الذي تدور فيه وفق سنن محكمة.

■ لكل إنسان هدف:

إنّ الحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان هي: أنّ لكل إنسان هدفًا رسمه في حياته حتى يبلغه، ويسعد بنواله.

لذا: كان من البدهي أن يسعى المرء ويجتهد في حياته للوصول لما يصبو إليه، فالهدف إذن ضرورة لا بد منها في هذه الحياة، وإلاّ لتخبّط

الإنسان وسار سير الأعمى، فالهدف هو بمثابة البوصلة التي تهديه لسلك الطرق الصحيحة، والسفينة بدون بوصلة في عرض البحر تكون معرضة للهلاك.

إن الله (سبحانه وتعالى) أراد لهذه الإنسانية الارتقاء والعلو، لذلك حدّد لها الهدف الذي من أجله خلقت، وبيّن لها أن الخير كل الخير في السير على هذا الطريق الذي يصل إلى الغاية الكبرى، وصدق الله إذ يقول: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [**الذاريات**: ٥٦]

■ **أثر الخطأ في تحديد الهدف:**

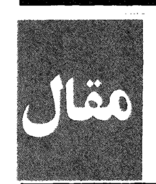
ولعدم تحديد الهدف من الحياة الناشئ عن خطأ في أصل التصور الصحيح للحياة؛ نشأت مشكلات عديدة ما زالت البشرية - التي تنأى عن روح الإسلام إلى اليوم - تجترّ آلامها، وعلى رأسها المشكلات النفسية الناشئة من انعدام التصور الصحيح لهذه الحياة وعدم معرفة سبب وجودنا فيها ومهمتنا الموكولة إلينا في هذا الوجود، ومصيرنا ومصير الكون، والغاية من هذا التنظيم الرائع للكون، ومن هذا الإبداع العجيب الدقيق المحكم للإنسان ولسائر الأحياء والكائنات، لماذا وُجد كل ذلك بهذه الدقة والإحكام؟!.

لذلك: كان الإسلام يربّي أبناءه دائمًا على أن يكونوا ذوي بصيرة، لأنهم فهموا الغاية الكبرى ووعوا دورهم في الوصول إليها «فجاءت التربية الإسلامية تربّي الناشئ على: أن ينظر إلى كل ساعات الحياة ولحظاتها على أنها أمانة في عنقه، عليه أن يستغلها في الخير، وتربيه على أن يجد لذة نفسية عظيمة كلما ساهم وسابق في عمل الخير، أو دفع الشر عن نفسه وأمته؛ فكل لحظة من حياته يتقرب فيها بإرضاء ربه هي متعة جديدة تشعره بالمزيد من قيمته عند الله، الذي أوجده ليبلوه في هذه الحياة، ثم يجزيه الجزاء الأوفى، كما تشعره بأثره في المجتمع، وفي البيئة، وفي الكون والإنسانية ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** ﴾ [**الملك**: ٢][1].

والواقع الملموس يؤكد أن هذه الحقيقة لم تتجاوز حدود الإقرار والاعتراف



١) التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، إعداد / عبدالرحمن نحلاوي.



اللساني؛ فنظرة قريبة من بيوتنا ومقارٍّ أعمالنا تشير إلى حقيقة تقع فيها فئات من الناس، ولعلها - مع استمرار إغفال دراستها وآثار أبعادها - ستتحوّل إلى طابع عام للعاملين في مجالات عديدة، وهي: عدم رسم الهدف الكبير وجعله بمثابة ضابط لخط الحياة، والتحليق في الأفق الواسع بدلاً من النظر إلى الأفق القريب أو نصب أهداف زائلة ببلوغ الأجل المسمى، إنْ لم تكون هذه الأهداف قصيرة الأمد، خسيسة في موضوعها، حقيرة في مضمونها، ذاتية في روحها وشكلها، ويلاحظ أن هذه الظاهرة موجودة بين اليافعين والراشدين الناضجين ومن فوقهم، ولعل من أسباب انتشار هذه الظاهرة: عدم تنشئة الفرد بيئيًّا على أن يحيا لغاية...

ولا أدري ما سبب غياب هذه المسألة لدى أكثرنا، هل هو زيف الحضارة المدنية الذي أبعدنا عن نقطة البداية الصحيحة؟، أم هو التفريغ الثقافي من عقولنا وأرواحنا الذي سبّب الابتعاد التدريجي عن القرآن بوصفه دستور حياة؟ أم كل هذه الأمور مجتمعة؟!.

وإن كانت الأسرة هي المسؤول الأول فهي ليست الأخيرة؛ فهناك المؤسسات الإعلامية بشتى صورها، يعيش في وسطها الفرد ويتفاعل معها وتتفاعل معه، قد يربّى عليها وقد ينهل منها الآداب والعلوم، بل أصبحت لا تقل تأثيراً عن الأسرة في صياغة المفاهيم وتكوين الاتجاهات، فهي بذاتها كافية لأن تكون محضنًا مهمًّا وعاملاً مؤثراً في إيجاد مثل هذه الغاية وأبعادها.

■ **صور غياب هذه الفكرة في حياتنا:**

وصور كثيرة من يومياتنا تشير إلى غياب هذه الفكرة من حياتنا، مثلاً:

- عدم صدق بعض المتهنين للعملية التربوية في تحقيق الأهداف التربوية الإجرائية.

إننا بحاجة إلى فهم: أنّ الهدف العلمي ضرورة للوصول لغاية كبرى؛ من أجلها خلقنا، والتأكيد على هذه الفكرة يأتي من عدة أوجه:

– العلم يهدي إلى الإيمان، وقد رأينا كثيراً من العلماء الراسخين المنصفين هداهم علمهم إلى أن وراء هذا الكون ذا قوة عليا يدبره، وينظمه، ويرعى كل شيء فيه، وبميزان وحساب ومقدار، ذلك أن العالم أقدر من غيره على استبانة ما في هذا الكون من ترابط وتناسق وإحكام.

بعد ذلك: ما حجم هذه الفكرة في عقل المسلم أو المسلمة خصوصاً.

إن التاريخ الإسلامي لا يبخل علينا بنماذج وشواهد تؤكّد على اهتمام أهله بمثل هذا الفهم، فهم يسعون للعلم حتى الرمق الأخير من حياتهم.

« فلنوازن بين ذوي تلك الغايات وأضدادهم من طلاب وطالبات جامعاتنا اليوم، الذين يدرسون فيها أربع سنوات، فبعضهم يدرسون دراسة ضعيفة فرديّة، لا حضور ولا استماع ولا مناقشة ولا اقتناع، ولا تطاعم في الأخلاق، ولا تأسّي، ولا تصحيح للأخطاء، ولا تصويب ولا تشذيب للمسلك، وَيَتَسَقَّطُون المباحث المظنونة السؤال من مقرراتهم المختصرة، ثم يسعون إلى تلخيص تلك المقررات، ثم يسعون إلى إسقاط البحوث غير المهمة من المقررات، بتلطفهم وتملقهم لبعض الأساتذة، فيجدون لدى بعضهم ما يسرّهم وإن كان يضرهم، وبذلك يفرحون »[1].

■ ما دور الفتاة المسلمة؟:

وأتساءل الآن: أين هي الفتاة المسلمة؟.. إنّ ما تهتم به الفتاة اليوم بعيد جداً عن مثل هذه الأمور!.

هل الخلل يعود إلى فهمها لطبيعة الهدف؟!! أم الخلل في ضعف إيمانها بضرورة هدف تحيا لأجله؟ أم لعدم إدراكها أبعاد تلك الفكرة؟ أم لسطحية ثقافتها التي أصبحت شكلاً من الأشكال غير المستهجنة اجتماعيًّا؟ أم إنه



١) إسلامية المعرفة، د. عماد الدين خليل.

مقال

المجتمع الذي يطالبها بأن تنصرف لاهتمامات ضيّقة؟ أم لعدم عناية المناهج الدراسية بهذه الفكرة والتركيز عليها؟ أم لفقداننا رعاية الفتاة المتعلمة ثقافيًّا واجتماعيًّا على المستويات الرسمية والمؤسسات التربويةوالتثقيفية؟ أم لعدم بناء والديها لها بناءً يقوم على تصور صحيح لدورها في هذا المجتمع؟.

إنّ هذه الأسباب مجتمعة تؤدي إلى ما نعاني منه الآن، نعم هناك معاناة نسائية غير مرئية الأسباب نرى آثارها من جرّاء غياب هذا الوعي على أصعدة عدة؛ على صعيد الأمة الإسلامية عمومًا: على صعيد الزوج، الطفل، محيطها الاجتماعي، وظائفها التعليمية التربوية خصوصًا.

نعم.. إنها مسألة محسوسة برياضيات العلم ومعادلاته.

فإنسان دون غايات كبرى، قوية، صحيحة الجذور، سليمة التصورات، مفهومة الأبعاد، هو إنسان خامل عقليًّا؛ نتيجة ضمور الهدف العلمي لديه، الأمر الذي يترتّب عليه انصرافه عن أمور جليلة إلى اهتمامات ضعيفة... وبعد أن تصبح المرأة ذات مسؤولية: لا نملك إلا أن نعظم لها المسمّيات ونضخم المصطلحات اللصيقة بطبيعة وظيفتها داخل البيت.. فهي المربية، والمعلمة، وإن لم تأخذ منهما سوى مسمياتهما، وهي صاحبة الرسالة، وصانعة الأجيال، والله أعلم بتكوينها ومستوى تركيبها الروحي والفكري... وإن أصبنا كبد الحقيقة، فهي منصرفة بما يشبه الكلية عن خصائص لصيقة بالتربية وشؤون قريبة من التوجيه والبناء. وهذا الحكم لم يتأتَّ من فراغ؛ فمن يطالع ما يقدم للمرأة شكلاً ومضمونًا من أدب وفكر.. يستطيع إصدار حكم واضح عادل ليس بعيدًا عما ذكرت.

نعم هناك صور مشرقة من نساء يصنعن أولادهن بأعينهن، ويحرصن على تعلّم ما هو مفيد لجيل واعد مسلم، ومع ذلك: يظل

جانب من حياتها لم تُضأ مصابيحه بعد.. وهو تكوّن قناعات لديها بضرورة التنشيط العقلي والسعي العلمي، وربط هذه الخدمات بغاية عظمى، إننا نجمّد طاقات مدخرة، ونحوّل طاقات من حالتها الحركية إلى حالتها الكامنة.. عندما نجعل من هذه الحقيقة الغائبة أمراً تكميليًّا أو ثانويًّا بالنسبة للمرأة، فالآذان ما زالت تسمع من يقول: جميل أن تتعلم المرأة، لا باس من تفوّق للمرأة، أمر حسن أن تحصل على درجة علميّة...

إنّ من الضرورة بمكان أن تستغل المرأة طاقاتها العقلية، وتوظّفها بما يخدم نفسها وأمتها حتى تزكّي عما وُهبت إيّاه من عقل وفطنة وذكاء، وحتى تحصّن مجتمعها من خطر محدق به فيما لو لم تزاول دورها بشكل صحيح.

إنّ ضمور عقل الفتاة الفكري أو العلمي لن يعود على مجتمعاتنا بالخير، والنتائج التي يتمخض عنها هذا الضمور لا تعد ولا تحصى، يكفي أن أذكر منها:

- اختلال كفتي ميزان المجتمع ثقافيًّا وعلميًّا (فوارق فكرية كبيرة بين الجنسين المتزوجين).

- خلل في البناء الداخلي للأجيال القادمة.

وأخيراً: فإن صرح الحضارة الإسلامية الجديد ما زال بحاجة إليه وإليها؛ لكي يقفا على خط التجنيد لكل ما فيه خدمة الأمة جمعاء؛ ليواجها معاً، ويدافعا معاً.

إنه بحاجة إلى الجيل المتعلم بفرعيه، فثمّة برامج علميّة كبيرة تنتظرهم وهي في مسيس الحاجة إلى تآزر وجهود النوعين حتى يعمروا ويشيدوا، وعلى نعم ربهم يشكروه.

وصدق الله العظيم القائل: ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [**النحل**: ٧٨]

دراسات تربوية

معالم في طريق السعادة الزوجية

بقلم: أيمن أسعد عبده

بعد أن انتهت مراسم حفل الزفاف الذي كان متميزًا في كل شيء: متميزًا في بساطته وبعده عن التكلف والإسراف، وفي خلوه من منكرات الأفراح، اختلى العروسان في غرفتهما الخاصة، وما هي سوى لحظات حتى مد الشاب يده ووضعها على رأس عروسه، ثم دعى بالدعاء المأثور: «اللهم إني أسالك من خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه»(١)، ثم توضأ وصلى بها ركعتين، وبعدها رفعا أيديهما بالابتهال إلى الله (تعالى) أن يوفقهما في حياتهما الجديدة، وأن يحفظ بيتهما الصغير من كل شر، وأن يجمع بينهما في خير.

بعدها جلسا يحددان الأسس التي سوف يقوم عليها بناء حياتهما الزوجية، والمعالم التي سوف يستضيء بها زورقهما الصغير وهو يسلك طريقه عبر الأمواج إلى بر الأمان. فكان مما اتفقا عليه:

أولاً: سلامة النية: فالنية هي أساس الأمر ولبه، وهي التي تتفاضل بها الأعمال، وبصلاحها يتحول العمل من عادة إلى عبادة، يأجر الله عباده عليها. فاتفقا على أن يعقدا قلبيهما على نية صالحة في زواجهما؛ بأن ينطلقا في حياتهما الزوجيه من المنطلقات التالية:

■ الاستجابة لأمر النبي ﷺ لشباب

---

١) رواه البخاري

أمته بالمبادرة إلى الزواج في مثل قوله: « يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج.. »(١).

■ احتساب إحصان الفرج وغض البصر وإعفاف النفس، وبهذه النية يحصل الزوجان على عهد من الله (تعالى) بالعون والتوفيق، قال ﷺ: « ثلاثة حق على الله (تعالى) عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف »(٢)، ومن أوفى بعهده من الله!.

■ احتساب أجر إقامة البيت المسلم وفق منهج الله (تعالى).

■ احتساب إنجاب الذرية الصالحة التي توحد الله؛ وتكثِّر سواد الأمة التي يباهي بها النبي ﷺ الأمم يوم القيامة، واحتساب تربيتهم التربية الإسلامية؛ لعل الله أن يخرج منهم من يحمل همَّ هذا الدين، ويقوده إلى النصر والتمكين، أو لعل الله يوفق بعضهم ليكونوا علماءً أفذاذًا أو مجاهدين أبطالاً.

■ احتساب أجر النفقة على الزوجة والعيال، قال ﷺ: « إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي له صدقة »(٣).

فإذا عقد الزوجان قلبيهما على هذه النية: صارت كل لحظة من حياتهما الزوجية عبادة يؤجران عليها، فيا لها من أجور عظيمة.

ثانيًا: التعاون على الطاعة: بأن يحض كل منهما الآخر على عمل الخير ويشجعه عليه، قال ﷺ: « رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل تصلي فأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء »(٤)، فإن لم يكن التشجيع على الطاعة فلا أقل من عدم الوقوف عقبة في سبيلها، فكم من زوجة وقفت في طريق

١) رواه مسلم.
٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجة، وحسنه الألباني.
٣) متفق عليه.
٤) رواه أبو داود وقال الألباني: حسن صحيح.



زوجها للعبادة أو طلب العلم أو الجهاد أو الدعـوة بكثـرة طلبـاتهـا وعـدم استعدادها للتضحية بشيء يسير من حقـوقهـا، والعكس صـحيح، قال الله (تعـالى): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، والأسوة الحسنة في ذلك هن أمـهـات المؤمنين والصحابيات (رضي الله عنهن) اللاتي كن يقلن لأزواجهن في الصبـاح حين يودعنهم على البـاب: يا فلان اتق الله فينا، فإنا نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام!.

ثالثًا - إقامة البيت المسلم والأسرة المسلمة وفق شرع الله وسنة نبيه ﷺ، فلا يقْدمـان على خطوة إلا بعـد أن يعلمـا حكم الله ورسـوله فيـهـا، فإن علماه لم يُقَدِّما عليه شيئًا أبدًا: عرفًا، أو عـادة، أو هوى، ويسـتـعليـان بعقيدتهما، ويقفان بصلابة أمام التيار المضـاد، يضربان المثل والقدوة فيما ينبغي أن تكون عليه الأسرة المسلمة والبيت المسلم بقدر استطاعتهم، فياله -حـينذاك - من بيت مـبـارك تعـبق أنحاؤه بآيات الذكر الحكيم، ويفوح من جنباته أريج سنة خير المرسلين ﷺ.

رابعًا - بناء حياتهما على المحبة والرحمة والمودة والعشرة الحسنة، امتثالاً لأمر الله ورسوله، فالميثاق غليظ عقده الله (عز وجل) ورتب عليه الثواب والعـقـاب، ولا يمكن - في التـصـور الإسلامي - أن يكون بين الزوجين حقد أو بغضاء أو حسـد، كيف وقد أفضى بعضـهم إلى بعض، يقول سيـد قطب (رحمه الله) في تفسير قوله (تعالى): ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢١]: «لا يقف لفظ (أفضى) عند حدود الجسد وإفضاءاته، بل يشمل المشـاعـر والعـواطف والوجـدانات والتـصـورات والأسـرار والهـمـوم، يدع اللفظ يرسم عشرات الصور لتلك الحياة المشـتـركـة آناء الليل وأطراف النهـار،

وعشرات الذكريات لتلك المؤسسة التي ضمتهما فترة من الزمان، وفي اختلاجة حب إفضاء، وفي نظرة ود إفضاء، وفي كل لمسة جسم إفضاء، وفي كل اشتراك في ألم أو أمل إفضاء...»(١).

والأحاديث الصحيحة تكاد لا تحصى في الحض على حسن العشرة بين الزوجين، كما أن السيرة العطرة مليئة بالنماذج العملية من حياة النبي ﷺ على الحياة الزوجية الهانئة الجميلة في البيت النبوي الكريم.

خامسًا - لا تمنع المحبة والعشرة بالمعروف بين الزوجين من أن يكونا حازمين مع بعضهما في التربية والتوجيه وخاصة من ناحية الزوج، فمحارم الله (عز وجل) لا مداهنة فيها، والتقصير في الأمور الشرعية لا يمكن السكوت عنه، فها هو النبي ﷺ يدلل زوجاته أرق الدلال، فكان يدلل عائشة (رضي الله عنها) بقوله: «يا عائش»(٢)، «يا حميراء»، وكانت تشرب من الإناء وهي حائض، فيأخذه النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيها(٣)، وكان يقبِّل نساءه وهو صائم(٤)، ولكنه مع هذا كله لم يقم لغضبه شيء إذا انتهكت حرمات الله، قالت عائشة (رضي الله عنها): «حشوت وسادة النبي ﷺ فيها تماثيل كأنها نمرقة، فقام بين البابين وجعل يتغير وجهه، فقلت: ما لنا يا رسول الله؟ قال: ما بال هذه الوسادة؟ قالت: وسادة جعلتها لك لتضطجع عليها، قال: أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة...»(٥).. وغير ذلك كثير.

سادسًا - أن يكونا لبعضهما كما كان أبو الدرداء وأم الدرداء (رضي الله عنهما): كانت إذا غضب سكتت واسترضته، وإذا غضبت سكت واسترضاها، وكان هذا منهجًا انتهجاه من يوم زواجهما، وياله من منهج حكيم، فكم من البيوت هدمت، وكم

١) في ظلال القرآن لسيد قطب.
٢) كما في صحيح البخاري.
٣، ٤) كما في صحيح مسلم.
٥) أخرجه البخاري.

من الأسر انهارت بسبب غضب الزوجين معًا وعدم تحمل أحدهما للآخر.

سابعًا - الزوجان بشر: ومن طبيعة البشر الخطأ والنقص، فإن وقع الخطأ والتقصير من أحد الزوجين في حق الطرف الآخر - إذا كان من الأمور الدنيوية - فعلى الطرف الآخر الصفح والعفو، فلا ينسى حسنات دهر أمام زلة يوم، وعليهما أن يغضا الطرف عن الهفوات الصغيرة مع التنبيه بأسلوب لطيف ليس فيه جرح للكرامة أو إهانة، ولهذا نهى النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً، وأن يتخونهم أو يلتمس عثراتهم(١)، وكان هذا أسلوب النبي ﷺ، فعن أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها): أنها أتت بطعام في صحفة لها إلى النبي ﷺ وأصحابه، فجاءت عائشة مئتزرة بكساء، ومعها فِهْر(٢)، ففلقت به الصحفة، فجمع النبي ﷺ بين فلقتي الصحفة وهو يقول: «كلوا، غارت أمكم» مرتين(٣). فيا له من معلم حكيم صبر على هذا الخطأ العظيم من عائشة، وعالجه بالصفح والحلم والتماس العذر.

ثامنًا - المشكلات والعيوب والنقائص تبقى بين الزوجين فلا يطلع عليها الأهل والأقارب، لأن هذه الحياة حياة سرية ولا بد أن تبقى بين الزوجين، فالغالب على هذه المشاكل أنها إذا خرجت عن نطاق الزوجين فإنها تتطور وتتعقد، إلا إن وجد الزوجان أن الحياة بينهما أضحت مستحيلة، فإن لهما أن يشركا بعض المقربين من ذوي الدين والعقل للمساعدة في حل هذه المشكلات.

تاسعًا - أن يوضح كل منهما للآخر من أول يوم أهدافه في الحياة على المدى البعيد والقريب والوسائل التي يستخدمها للوصول إلى هذه الأهداف، فيكون لهما أهداف

١) رواه البخاري.

٢) الفهر: حجر ناعم صلب.

٣) رواه النسائي في عشرة النساء.

مشتركة يتعاونان عليها، كما يكون لكل منهما أهداف خاصة به، ولا بأس من أن يطلع زوجه عليها لكي يساعده عليها؛ ولا يقف حائلاً بينه وبين تحقيقها.

إذا وضع الزوجان المباركان هذه الأسس نصب أعينهما، وسجلاها في ورقة يكون مع كل واحد منهما نسخة منها، بحيث تكون ميثاقًا بينهما يراجعانه بين الحين والحين، واتفقا بألا تكون هذه الأسس والمعالم حبراً على ورق، بل تتحول إلى واقع يحاولان تطبيقه قدر المستطاع، ويذكر أحدهما الآخر بأن المسألة صعبة تحتاج إلى مجاهدة وصبر وتربية، وتعاهدا على المحاولة الجادة لتنفيذها.. فهذه معالم مباركات لكل زوجين وكل شاب وشابة مقبلان على الزواج، ينشدان السعادة الزوجية.. والله الموفق.

شاطئ النجاة

شعر: محمد بن أحمد الزهراني

توّقفَ وانزوى جَـزِعـاً مُـراعـاً	فـسـوطُ الريحِ يقـتلعُ الشّراعَـا
وَفي الأمـواجِ إعـصـارٌ غـضـوبٌ	بـه الأفـواهُ تزداد اتسـاعَـا
وَشَـاهَدَ ذلك البـحّـارُ جـيـشـاً	من الغِـربانِ ينـدفِعُ اندفـاعَـا
فـأيـن النورسُ الجـوّال يهـدي	عُـيونَ سـفـينةٍ فـقـدتْ دِفـاعَـا
فـألْيَلَتْ الدُّنى في مُـقلتـيـه	وَأَمْـسَكَ رأسَـهُ وبكى التـيـاعـا
وفي خَطَراتِـهِ بـحـثٌ وسَـعْـيٌ	ويُشْـعِلُ في دواخِلِه صِـراعـا
فلمْ يرمُقْ بـهـا سُـرُجًـا لحلٍّ	علىَ حْملِ الأمانةِ ما استطاعـا
لِـمَ الإسـلام شـرَّدَهُ بنُوهُ	فأُغْطِشَ صُبْحُهمْ وسَعَوا جِياعا
فنادى الذئبُ: إنَّ لكمْ نعـيـمًـا	لَديَّ فـأقـبَلوا هَمَـجًـا تداعى
فـأسـقـاهُـمْ كُـؤوسَ الفـحش شِـرْباً	وأمّـوا نادياً للطهْـرِ بـاعـا



وُخـــدِّر عَـــقلُهُمْ والخـــيطُ رَثٌّ   تكاثر حـولَهُ العُـمـيُ انْصَـيـاعـا

مـــجـــانينُ وَعكْسٌ في نِظامٍ   ففـئـرانُ الرَّدى سجنَتْ سِبَاعـا

وذاك «حَنِيـفُنَا» كـأبٍ تعـيسٍ   رمـاهُ بنُوهُ واتّبـعـوا سُـواعـا

فـيـا بحّـارَ مـركبِ كُلِّ خيـرٍ   مصابيحُ الهدُى لَحِقَتْ ضيـاعـا

فـــرّتـل آيـة مـن نـور ربّـي   لِتُبْصِرَ بعـد داجيـةٍ شُعـاعـا

وكـــبِّـرْ وانطِلقْ وأقِمْ صـلاةً   وقل للرُّقـدةِ السُكرى: وَدَاعـا

لِتَنْقَشِعَ الغـيـومُ غـيـومُ زيفٍ   ونهـدمُ للغـوى فـينا قِـلاعَـا

حـبـالَ الرُّشـدِ فالزمـهـا وسِرْ في   سـبـيل الحقِّ لا تخشَ انقطاعـا

تجديد الإسلام في غابة فرنسية

وقفة مع فكر هشام جعيط*

بقلم: د. أحمد إبراهيم خضر



١ - فكرة طارئة قفزت إلى عقل المفكر! التونسي «هشام جعيط» وهو يراقب الثلوج في إحدى الغابات الفرنسية؛ فكتب ما اعتقد أنه تجديد وإصلاح للإسلام.

توهم «المفكر التونسي»! أن فكرته الطارئة هذه ستحول ضعف أمتنا إلى قوة، وستكون مؤشراً للتطور الأصيل، بدلاً مما يسميه «تأخرنا في التطور»، إنه يرى أن مجتمعنا العربي! قد تطور في اتجاه العلمانية بخطوات عملاقة!: فالدولة تعمل مستقلة عن الدين، والتصورات العقلانية نفذت إلى ميدان التربية، والشباب لم يعد يبالي بالممارسات الدينية، لهذا فهو يرفع الطابع الإسلامي «ولكن» بطريقة تختلف عما هي عليه الآن.[١]

٢ - شعر «المفكر التونسي» بعد أن ألهمته مقولات «فرويد» في كتابه (مستقبل وهم) بهذا الحنان العميق الذي لا يجتث نحو هذا الدين الذي أثار طفولته، وكان أول دليل له على الخير والشر المطلق، فنجده يتحدث عن معجزة الدين الذي يخاطب أبسط كائن وأكثره سذاجة، كما يتجه إلى أسمى فكر وأكثره رفعة.. تجده يتحدث عن الرسول ﷺ الذي يرى فيه كتلة هائلة من المُثُل والحب والوفاء، الذي يزن ويوزن كل تلك الدموع والاندفاعات، الرسول الذي نادى

١) انظر: هشام جعيط، الإصلاح والتجديد في الإسلام، مجلة «الاجتهاد»، بيروت، العدد الرابع عشر ١٩٩٢م.

باسمه كثير من الناس ممن كانوا في النزع الأخير، تجده يقرّ بأن الدين روح العالم والإسلام روح الأمة الإسلامية، وأنه لا يزال قوة حية ملموسة ملتصقة التصاقًا حميمًا بالمجتمع الإسلامي تخترقه من طرف لآخر.

٣ - انطلاقًا من هذا الحنين لهذا الوهم الفرويدي (لمفهوم الدين) يطرح علينا المفكر المذكور عدة مقدمات لا تثريب عليها - في مجملها - من حيث المبدأ، يقول فيها:

أ - ينبغي ألا نرفض الإسلام، بل يجب أن نمتثل لروحه وجوهره، الذي يعني التفتح على الخارج، ثم العودة إلى الذات.

ب - لا شيء يبتر الإسلام من اعتباره ثورة اجتماعية خانتها الظروف.

ج - يجب على الإسلام البقاء دينًا للدولة تعترف به تاريخيًّا، وتهبه حمايتها، ولا تتلاعب به لأسباب سياسية، ولا تدخل عليه إصلاحات من عندها.

د - إن التشريع الإسلامي استهدف بصورة عميقة خير الناس، وساهم في توحيد بشرية مشتتة بواسطة الولاء ذاته للشريعة، وهي القانون الذي نظم كافة مظاهر الحياة.

هـ - إنه ضد أي محاولة للتشريعية العلمانية التي تستهدف الرجوع إلى تأكيد ما نصت عليه الشريعة من حيث المبادئ، وتحويرها على صعيد النتيجة العملية لبلوغ غايات التحديث.

و - أنه لا يجاري فكرة الانحطاط عند «جيب» التي أرجع فيها جمود المجتمع الإسلامي إلى الفكر الديني أو الفقه.

ز - أنه ضد النظرة التي تدافع عن الإسلام من منطلق اتهام الفقهاء القدامى بـ (خيانة الإسلام وتشويهه)! بل إنه يعترف بعظمة العمل الذي أنجزه هؤلاء الفقهاء، ولكنه يرى ضرورة المراجعة التقويمية لاجتهاداتهم.

ح - أنه ضد محاولة إيجاد التطابق بين روح الفقه الإسلامي والفكر الحديث لصالح الأخير باستخدام أسلوب الحيل الفقهية، أي إنه - بصفة عامة - ضد منطق أنصار التحديث الديني الذي يقوم - غالبًا - على تزوير



الحقيقة الدينية، فهم يميلون إلى اقتراح إصلاحات ضد الشرع في اتجاه القيم التي رضي بها العالم الحديث؛ لكي يعرضوها على أنها من التشريع الإسلامي ذاته، بحجة أنهم يريدون أن يعيدوا إلى هذا التشريع سالف صفاته، في حين أن جهدهم تحكمه قمة سوء النية والنظرة الذاتية.

ط - والقرآن عنده لا يقبل الترجمة؛ لأن ترجمة معانيه تفرغه من حقيقته ومضمونه والوزن الروحي الذي شحنت به الكلمات، وتجرده من هذا المحيط الروحي الأخاذ.

إن أغلب الترجمات المعروفة لمعانيه تافهة من وجهة نظره، وإن بعضها قد حاول نقل الأسلوب القرآني المؤثر لكنها محشوة بالتناقض والمعاني الخاطئة، بل حتى المقلوبة.

وأخيراً يأتي (المفكر التونسي) فيعلن:

أنه ضد العلمانيين الذين يدّعون اليوم حق التلاعب بالإسلام، مستترين بقناع الإصلاح والرقي، في حين أنهم يتمنون خراب الإسلام.

٤ - عند هذه النقطه يكاد (المفكر التونسي) أن يدفعنا إلى أن نخرجه من عباءة (العلمانيين التقليديين)، إذ إنه يحاول إقناعنا بأنه يريد أن يجدد الإسلام والرؤية إلى الإيمان، فالقضية عنده قضية إصلاح، وإعادة تقييم، وإعادة بناء فقط، لكننا ما نلبث أن ندرك أن (الرجل) يريد أن يجدد في أسس الإسلام، وأن يسهم برؤية شخصيه في تحوير العقيدة والإيمان أو في المعاش الديني ودلالة التشريع على الأقل، بواسطة الدين وبما هو خارج عنه، وهذا هو الإصلاح عنده!.

٥ - خرج علينا (الرجل) بفكرة جديدة أسماها: (العلمانية المفتوحة)، علمانية يراها غير معادية للإسلام لا تستمد دافعها من شعور (لا إسلامي)، بل علمانية يتوهم أنها يمكن أن تحافظ على جوهر العقيدة، وحقيقة الأمر أنها لا تختلف مطلقًا عن العلمانية التقليدية، إنها - كما يقول بنفسه - تتسق مع الهدف العلماني العام: الفصل أو التحرير.

٦ - يفاجئنا (الرجل) بضربات سريعة ومتلاحقة لجوهر العقيدة والإيمان، عبر عبارات صريحة لا تحتمل التأويل: الإسلام مغامرة تاريخية كبرى



- الرسول بدأ بمغامرة رهيبة - الله فكرة! - الله يتـواطأ مع الإنسـان - ليس الله بأثبت الكائنات يقينية، بل إنه لغزا! - القرآن عمل عبقري ذو لغة أسطورية - العمل الأسطوري له نوعيته في القرآن - القرآن يعتمد أسطورة سفر التكوين، ثم يشريها - الدين يتضمن جانبًا من التمويه، وعناصره التي تضمنها لا يقبلها العقل إطلاقًا ولا الفكر ولا ذهنية الإنسان الحديث - التقليدية الدينية سلبية - الضحالة قائمة في كل حياة وفكر يخضعان إلى اعتباطية الدين والتقاليد، ثم يقول بالحرف الواحد: «من حسن الحظ أن الإنسان خالف باستمرار الدين، وأن الدين بقي مثلاً لم يطبق أبدًا، وإلا لسحقت الحياة»!:

ماذا يريد جعيط بالضبط ؟! .

- يخلع (الرجل) أقنعته الخادعة، ثم يحدد أهدافه بجلاء وبجرأة، وذلك على النحو التالي :

أ - النظرة إلى الدين على أنه مجرد وديعة مقدسة لا ينبغي الخضوع لها : «الأولى بنا أن نتجه إلى الولاء التاريخي مع الشعور الأسمى بالحفاظ على وديعة مقدسة دون الخضوع لها».

ب - على الدولة أن تعمل مستقلة عن الدين، وأن تسير وفق قوانين السياسة والمصلحة الاجتماعية : «يجب على الدولة أن تتطور في نطاق عملها العادي داخل دائرة مستقلة طبق القوانين المجردة للسياسة والمصلحة الاجتماعية وخارج كل حنين سلفي».

ج - النظرة إلى القرآن على أنه كلام مقدس شرع في ظروف تاريخية واجتماعية معينة، وأنه يحوي عناصر توراتية يهودية نصرانية:

«من الأفضل هنا أن يقبل المرء فكرة أن القرآن كلام مقدس، وأنه شرع في ظروف تاريخية واجتماعية معينة، وهو ما يبعث في الوقت نفسه على رفع كل اتهام بالرجعية عن القرآن... نجد في القرآن تصورًا معينًا للجنين البشري قد لا يقبله العلم، ونظرة الكون المادي قابلة للتأويل بحيث لا تتضارب مبدئيًا مع العلم، لكنه تتداخل فيها عناصر توراتية هي بدورها متأثرة (بالتصورات) البابلية القديمة... إن الإسلام - ككل دين غيره - نشأ (!) في بيئة ذهنية معينة، وفي جو فكري معين، وفي عصر بشري سيطر فيه

المظهر العجيب، على أفق الإنسان، وهو ورث - فضلاً على ذلك - أغلب التقاليد اليهودية النصرانية!».

د - تحرير المجتمع والدولة من الدين، والبحث عن روحانيات أخرى في غير الإسلام، وتحرير المجتمع كذلك من أن يعمل في ضوء الإيمان بالآخرة على أنها الحياة الحق: «على المجتمع والدولة التحرر من (ما ورائية دينية) تعتبر حقيقة وحدها، أي: التحرر من كل عسف أيديولوجي ديني، فإذا كانت مهمة الدولة تجسيم الروحانيات فإن هذه الروحانيات منشورة متنوعة متعددة، وهي ليست بالضرورة تلك التي حددها الإسلام... على المجتمع أن ينمو طبق مقاييسه الخاصة في المرحلة الراهنة من مصيره، لا عملاً برؤية مسبقة لآخرة تكون هي الحياة الحق».



هـ - النظرة إلى الاعتقاد في وجود الملائكة والجن والشياطين على أنه من قبيل الخرافة:

«يتضمن القرآن الملائكة ورؤساءهم وإبليس وجيشه من الشياطين والجن، ويظهر أن هؤلاء اقتبسوا من الخرافات المحلية(!)».

و - إنكار العذاب الأبدي لغير المؤمنين، وإنكار الحساب في الآخرة، واعتبار الله (تعالى) ظالمًا متخفيًا لاعبًا!!:

«كيف يقبل العقل الناقد العذاب الأبدي - فضلاً عن كونه جسديًا - بالنسبة لغير المؤمنين؟، وكيف للنزعة الإنسانية الكونية لعصرنا أن تسمح بذلك؟، أين يكمن الحل للتناقض بين الحرية ومسؤولية الإنسان التي يتضمنها مفهوم الحساب، ومن قدرة الله وظلمه (!!) أو يكاد التي يترجم عنها القضاء والقدر؟ هذا الإله ذاته الشخصي والمتعالي.. أي لعبة يلعب؟ لماذا كان متخفيًا؟ أوَ لا ينكشف مرة واحدة وبوضوح للإنسان؟» تعالى الله عما يقول.

ز - التقدم نحو العقلانية خارج كل سيطرة للدين:

«إنَّ ما هو عقلاني يتابع سيره، ويجب أن يتابعه خارج كل سيطرة للعامل الديني وكل تبرير بواسطة الدين، وهكذا: فليس للعلم والعقلانية السياسية أن يبحثا عن أسس ممارستهما في القرآن حتى ولو كان القرآن ثريًا فريدًا فكريًا فيما يخص مصير الكون».

ح - السماح بالخروج عن الإسلام

وإظهار عدم الإيمان :

«لتسمح الدولة وتضمن الخروج عن المعتقد خروجًا حرًّا، فليتظاهر عدم الإيمان، وليبرز، وليؤكد ذاته؛ فليس للدولة أن تمنعه، بل يجب عليها أن تضمن خلافًا لذلك هذه الإمكانية».

ط - تعطيل الحدود الشرعية :

«ينبغي على البلدان المتخلفة اللحاق في ميدان التشريع بالبلدان المتطورة، وأن يتوقف العمل بالتشريع غير الملائم القاسي المعروف بإقامة الحدود... وعلى القضاء الجنائي أن يعمل حيثما كان بالمبادئ العالمية لعصرنا».

ي - المساواة في الإرث بين الرجل والمرأة، وإبطال تعدد الزوجات، وتحرير الزواج والجنس من القيود الشرعية :

«ينبغي أن يركز الجهد على ميدان قانون الأحوال الشخصية الشاسع، والذي ما زال خاضعًا (لصيغة عتيقة وتنصيعات قرآنية) فينبغي تخليص ما يعرف بقوانين الميراث وتشريع الزواج وحتى (التشريع الجنسي) من عبء الفقه، وإخضاعه لمقولات العقل العالمي، وأن تضمن (للمرأة) المساواة في حقوق الإرث، وأن يقع العدول عن تعدد الزوجات، ويرتبط بهذه الأمور تدخل العقلنة في تشريع المواريث».

ك - تحرير الأخلاق من الدين :

«لا بد من الوصول إلى تحرير الأخلاق الملموسة من وطأة الأخلاق الدينية من حيث ضيقها وتشددها، ولأنها تحدد تفتح كل رؤية حديثة عقلانية للعلائق البشرية،... إن علمنة الأخلاق الملموسة هي بداية علمنة أسسها... ليست الديانة سوى عنصر من عبء وقمع واعتباط».

ل - ضرب الفضيلة والشرف :

«إن فكرة الفضيلة ذاتها سلبية إلى حد كبير، ومبنية على قمع الاندفاع الحيوي؛ فينبغي مراجعتها.. هذا ولم نتحدث عن كل الأخلاقية للشرف التي تستقر في قلب الإنسان الساذج آمرة إياه بالأسى والانتقام والموت...».

م - زرع قيم جديدة والتخلي عن القيم الدينية التي تجاوزها العصر الحديث:

«يمكن حصول زرع مناسب لقيم جديدة كان أهملها الإسلام في أطراف الضمير الأخلاقي، حيث تتعدد سلسلة الممكنات، لذلك يمكن التخلي عن الرؤى التي تجاوزتها

التجربة الحديثة للإنسانية بفضل تغير مُثُلها».

أصياغة للدين أم هدم له ؟!:

– الحقيقة : إن هذا «المفكر التونسي» يريد مثل الذين سبقوه من دعاة التنوير أن يعيد صياغة العقيدة الإسلامية صياغة حديثة تستخدم ما يسميه بلغة «**الفكر الحالي الراقي**» إنه يرفض لغة علماء الدين والفقه والشريعة الذين يسميهم «بالطبقة التحتية الماورائية» التي يجب عليها أن تتخلى لهم عن احتكار الحقيقة – على حد قوله – إن هذا هو عين ما قاله «زكي مبارك» منذ أكثر من نصف قرن مضى: «نزعنا راية الإسلام من أيدي الجهلة (علماء الدين) وصار إلى أقلامنا المرجع في شرح أصول الدين».

ونضرب هنا مثالاً واحداً نوضح به كيف عبر «المفكر التونسي» عن الله (عز وجل) بلغة ما يسميه «بالفكر الراقي» حينما اعتبر قلمه مرجعًا في شرح أصول الدين، إنه يقول: «إن الله هو الأنا المطلق تحديداً.. الأنا المحايث الذي يحرك ويدعم الكل، أما الطبيعة والعالم المادي فلا تكون سوى طبع الله أو عادته، والأحسن من ذلك: أنه الكشف الذاتي لـ.. أنا الأكبر».



– إن التبعية في لغة التعبير – كما يقول «جلال أمين» –: «وثيقة الصلة بالتبعية في مضمون الفكر، تؤدي كل منهما إلى الأخرى وتقويها، ومن كان تابعاً لفكر غيره استسهل التضحية بلغته، والاستسهال بالتضحية في اللغة يؤدي إلى التورط أكبر وأكبر في قبول ما لا يتعين قبوله من الفكر الأجنبي، لأن اللغة نفسها تعكس في كثير من الأحيان مواقف قيمية وتفضيلات خاصة، وهي لا تتمتع بدرجة الحياد التي تُزعم لها».

هذا هو ما حدث «لمفكرنا التونسي»: تورط مع «فرويد» في (وهم الدين) وتورط مع «إميل دوركايم» في (نزع الدين من الأخلاق)، وتورط مع «مارلو بونتي» – الذي يعترف بأنه يشعر نحوه بقرب كبير في الاعتقاد – (بوجود إلهين): أحدهما داخلي والآخر خارجي، وتورط مع «هيجل» عندما حلل الإسلام في ضوء كتابه «روح المسيحية ومصيرها» فاعتبر أن الله ليس بحقيقة، وأن الرسول ﷺ كان يشعر بالنقص أمام التكبر اليهودي، وأن اكتساحه لهم في المدينة نتج عن حقد شخصي عليهم،

وتورط مع «هاردر» في مقولته: «إن الدين روح لبشرية ما زالت في الطفولة، وأن على العقل أن يتحرر من الدين بدخول العصر الحديث».

- أقر «مفكرنا التونسي» بنفسه - وهذا ينطبق عليه - بأن المفكرين المسلمين الذين احتكوا بالحداثة ينزعون إلى التخلي عن الدين، الذي بدا لهم بناءً منخوراً ونسيجًا من المحالات، وظهر لهم مرتبطًا بذهنية ساذجة أو غير حديثة. كما أقر أيضًا بأن العقل النقدي الموحد المسوي لكل الأديان يسبب دواراً حقًا، وأن فهم الإسلام في ضوء الطريقة التاريخية أمر خطير على الدين، قد يصل إلى هدم الإيمان، شأنه شأن التحليل النفسي، وهذا هو ما وقع فيه حينما احتك بالحداثة وفهم الإسلام في ضوء «التاريخانية».

- إن موقف «المفكر التونسي» - كما اعترف بنفسه - : ممزق، مبهم، متضارب، تلاعب بالإسلام متستراً بقناع الإصلاح والرقي، ظنًا منه أن «علمانيته المفتوحة» ستخرجه من عباءتهم.

وبعد أن أعمل فكره وبذل جهده في تدمير العقيدة والإيمان نجده يقول عن الرسول ﷺ: «في هذه الغابة الفرنسية، حيث أكتب هذه السطور أمام الثلج، بعيداً جداً في الزمان والمكان عن ذلك العالم الذي عاش فيه (الرسول)، إني أحس نفسي أقرب إليه من شخص عاش في القرن الثاني الهجري، وأشعر أني قريب جداً من إدراك حقيقته»(!!).

---

* هشام جعيط: مفكر تونسي معروف، ولد في تونس عام ١٩٣٥م من عائله متدينة، درس في الصادقية بتونس، وتابع دراسته بباريس، وأقام فيها فتره طويلة، ثم أنجز بحثيه المشهورين (الشخصية والصورة العربية الإسلامية) و (أوروبا والإسلام) وله أطروحة أكاديمية بعنوان (الكوفة في القرن الأول الهجري)، ودراساته كلها من منظور علماني بحت، تلمس مظاهره فيما طرق الكاتب من أفكار تصادم الإسلام الصحيح كطروحاته المضطربة في هذا المقال. - البيان -

الشرعية الدولية
هل لها شرعية إسلامية



كثير أولئك الذين تحدثوا عن حكم الإسلام في التحاكم إلى القوانين والأنظمة الوضعية التي ابتليت بها أكثر البلاد الإسلامية، وكذلك عن التحاكم إلى الأعراف والعادات والتقاليد القبلية؛ حيث بينوا : أن هذا التحاكم محرم بنصوص الوحي المحكم، وأن من فعله عن علم ورضا وقصد، فإنه يخرج بذلك عن ملة الإسلام. *

ولكن الحاجة ماسة إلى البحث عن حكم التحاكم إلى القوانين والأعراف الدولية، تلك التي اختار لها الداعون إليها اسماً يصرح بمرادهم منها، فأسموها : (الشرعية) الدولية، فهي إذن : «شرع» يحكم علاقات الدول والأمم.

فهل هذا التشريع المحدث مقبول كله، أم مردود كله، أم بين هذا وذاك؟ وما هو الموقف العقدي للأمة منها ؟.

قد لا يتنبه كثير من الناس إلى خطورة تلك العبارات التي أصبحت تتردد على أسماعنا كل حين عن : «ضرورة احترام الشرعية الدولية»، و «وجوب الشرعية الدولية» و «تحريم الخروج على الشرعية الدولية»!!.

إن الأمر لا يعنينا إذا دارت تلك العبارات على ألسنة الساسة في دول الديمقراطية الغربية النصرانية، أو الاشتراكية الشرقية الإلحادية، ولكن الأمر



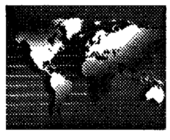
بقلم: عبدالعزيز كامل

يختلف حينما يكون له تعلق بأمتنا الإسلامية، فمن ذا الذي يملك سلطة جعلها أمة متحاكمة إلى «شرعية» أو «شريعة» غير شريعتها... ولو في بعض الأحكام؟!.

نعم، إن تلك التشريعات لم توضع خصيصاً لأمتنا الإسلامية، ولكنها من الناحية الواقعية تشملها وتفرض عليها، وللأسف: فإن الآلة الإعلامية الرسمية في عالمنا الإسلامي اليوم، لا تكف عن الضجيج حول ترسيخ هذا المفهوم: (احترام الشرعية الدولية)، فهل هذه «الشرعية» هي فعلاً واجبة الاحترام، ملزمة في الاحتكام، عادلة على الدوام؟.

أليست الشرعية الدولية هي تلك القوانين والنظم التي صاغتها الدول المتكبرة المنشئة لما سمي بـ(منظمة الأمم المتحدة)؟ وأليست تلك المنظمة هي الجهاز الحاكم والقائم على أكتاف الدول الثلاث الكبرى التي تحالفت وانتصرت في الحرب العالمية الثانية (أمريكا – بريطانيا – روسيا)؟ إن تلك الدول تعاقدت وتعاهدت – ومعها بعد ذلك (فرنسا والصين) – على تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ، حيث أطلقت على نفسها منذ ذلك العهد : (الأمم المتحدة)، وهو الاسم الذي اختير بعد ذلك للمنظمة الحاكمة والمشرعة لصالحها.

لقد صاغت تلك الدول بمفردها ما أطلق عليه: (ميثاق الأمم



المتحدة)؛ لتكون له المرجعية الكبرى في كل قضية من قضايا العالم، حيث تستمد (الشرعية) الدولية منه الأحكام والنظم، وتستند إليه في الإجراءات والتحركات.

إن ميثاق (الأمم المتحدة) ليس مجرد وثيقة منشئة لمنظمة دولية، ومحددة لقواعد العمل بها، وإنما هو أكثر من ذلك بكثير، إن الخبراء في القانون الدولي - الذين يُطلَق عليهم وصف «الفقهاء» - يعلنون في وضوح وصراحة: أن الميثاق هو أعلى مراتب المعاهدات الدولية، وأكثر قواعد القانون الدولي سمواً ومكانة! ولذلك: لم يكن من المستغرب أن تنص المادة (١٠٣) من هذا الميثاق نفسه على أنه: «إذا تعارضت الالتزامات التي يرتبط بها أعضاء الأمم المتحدة وفقًا لأحكام هذا الميثاق مع أي التزام دولي يرتبطون به، فالعبرة بالتزاماتهم المترتبة على هذا الميثاق»؛ ومعنى ذلك: أنه لا يجوز لأي دولة أن تبرم أي اتفاق دولي تتعارض أحكامه مع القواعد والأحكام الواردة في ميثاق الأمم المتحدة!، بعبارة أخرى يمكن القول: إن أي سلوك أو فعل لأي دولة في العالم يتناقض صراحة، أو يشكل خرقًا لميثاق الأمم المتحدة، يصبح بالضرورة: فعلاً أو سلوكًا منافيًا للقانون الدولي وللشرعية الدولية! وخروجًا عليها.

ويمكنك أن تتصور عشرات الصور لتصرفات يمكن أن تكون من وجهة النظر الإسلامية واجبة التنفيذ، ولكنها تكون من وجهة نظر (الشرعية الدولية) محرَّمة ومجرَّمة، وتشكل خروجًا على شريعة الدول الكبرى!.

فلو أن مارقة من المرتدين، أو خارجة من الخارجين انشقوا على دولة مسلمة، وقاموا بحركة انفصالية انشطارية، فاقتطعوا أرضًا، وأعلنوا فيها دولة، وشاءت الدول الكبرى أو بعضها أن تعترف بتلك الدولة المنشقة

المسلمون

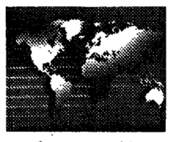
والعالم

حتى صارت عضواً في المنظمة الدولية، لما كان بمستطاع تلك الدولة الإسلامية أن تنصب في وجه أولئك الخوارج أو المرتدين سيف قتل البغاة!!، ولو أن طائفة من اليهود أو النصارى أو الملحدين احتلوا أرضًا إسلامية وأعلنوا فيها دولة لهم، ثم أرادت مشيئة الدول الكبرى أو بعضها أن تعترف لهم بهذا الاغتصاب – كما حدث كثيراً – لما كان بإمكان المسلمين – كلهم أو بعضهم – أن يعيدوا هذه الأرض المغتصبة التي أصبحت بحكم (الشرعية الدولية)! دولة مستقلة ذات سيادة، ولشعبها الحق في تقرير المصير !!، وهكذا تتشكل وتتطور خريطة العالم الإسلامي على حسب ما يتقرر في أروقة هيئة الأمم المتحدة.

وأيضًا.. لو صدر قرار، أو اتخذ من الأمم المتحدة ضد أي دولة إسلامية أو عربية، فإن من واجب جميع الدول الباقية أن تلتزم به، مهما كان ظالمًا ومظلمًا، لأنها ينبغي أن تتأدب بأدب العضوية في المنظمة الدولية.

هكذا، وهكذا...قس على ذلك الكثير مما تسمعه أذنك، وتبصره عينك، وتزكم برائحته أنفك، مما يدور في عالمنا العربي والإسلامي.

ثم تُدعى بعد ذلك شعوب المسلمين إلى «احترام» الشرعية الدولية للمنظمة العالمية... ليت الأمر يقتصر على ذلك، وتكتفي هيئة الأمم بالهيمنة السياسية على العالم، ولكن الواضح أن الدور المرسوم للأمم المتحدة هو: أن تتحول تدريجيًّا من مجرد منظمة دولية عامة، إلى تنظيم عالمي شامل؛ من خلال إقامة شبكة كثيفة من التفاعلات الدولية والإقليمية العامة والمتخصصة، الحكومية وغير الحكومية، وقد احتوى



الميثاق بالفعل على النصوص التي تمكن الأمم المتحدة من أن تتحول إلى نواة لمنظومة عالمية، تعكس الإطار المؤسسي للنظام الدولي كله، تكون لها أهلية التوجيه والتخطيط - وربما الإلزام - فيما يختص بالنواحي الاقتصادية والتعليمية والبيئية والاجتماعية، وكذلك الأسرية لدى شعوب العالم.

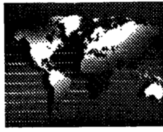
ويبدو أن أوضاع العالم قد أوشكت على التكيف لتصبح صالحة لأن تتعامل معها الدول الكبرى كعجينة تقبل التشكيل وفق أهوائها ومصالحها، ويزداد الأمر خطورة بتحول العالم إلى القطبية الواحدة التي تمثلها أمريكا... التي يسيطر عليها اليهود.

والمؤتمرات الدولية التي انعقدت وستنعقد تحت مظلة الأمم المتحدة تشهد على ذلك التحول والتطور للمنظومة الدولية، بما يمهد لتمكينها في النهاية أن تكون (حكومة عالمية)، وما المؤتمرات مثل: مؤتمر (الأرض) في (ريو دي جانيرو)، ومؤتمر (السكان) بالقاهرة، ومؤتمر (المرأة) ببكين... إلا علامات دالة على التحول في دور المنظمة الدولية، فاليوم توصيات.. وغداً قرارات... وبعد غد تشريعات.

إن الأمم المتحدة قد حشرت أنفها - وبخاصة في المؤتمرين الأخيرين - في أمور من أخص خصائص التشريع، فهل يراد أن يكون لهذا التشريع (شرعية)، وهل يصلح أن ينادى وقتها بضرورة احترام هذا التشريع الوضعي أو ذاك، وتحريم الخروج عليه باعتباره (شرعية دولية)؟!.

قد يكون لضغط الواقع تأثيره في (تطبيع) مشاعر الأمة، لكي ترضى بهذا المنكر العريض على المستوى السياسي، فتقبل للدول الكافرة الكبرى





بمنصب (الولاية) على العالم، ولكن ما هو العذر في ترويضها كي تقبل مع الزمن الالتزام بتشريعات الكفار وتصوراتهم المريضة في الميادين الاجتماعية والاقتصادية والأسرية؟.

وحتى على المستوى السياسي : من يقول بمشروعية إخضاع العالم الإسلامي كله لولاية فوقية غير إسلامية يطلق عليها (شرعية دولية) ! ويطلب لها التوقير والاحترام ؟ !.

إن مسؤولية إحقاق الحق وإبطال الباطل تقتضي من أهل الدعوة ألا يمرروا هذا الواقع الاضطراري على أنه أمر مشروع، ففرق كبير بين أن تضطر إلى أكل لحم الخنزير، وأن تستحل أكله وتعتبره مباحًا، حتى ولو لم تذقه.

إننا في حاجة إلى استبانة خصائص ومقومات وآثار تلك « الشرعية » ! التي يُراد منا أن نحترمها، ونحن في حاجة كذلك إلى قراءة جديدة لنصوص الوحي، فيما يتعلق بقضية التحاكم إلى أي شرعية غير الشرعية الإسلامية، ولو كانت هذه الشرعية هي (الشرعية الدولية) !.

* انظر : رسالة مفتي الديار السعودية العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم (رحمه الله) حول (تحكيم القوانين الوضعية) نشر دار المسلم بالرياض، وانظر أيضًا رسالة (تحذير أهل الإيمان عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن)، للشيخ أبي هبة الله الأزهري.

السودان المغضوب عليه.. لماذا؟

المسلمون والعالم



في وقت لم تجف فيه بعد دماء الضحايا الأبرياء في «قانا» ووقوف الولايات المتحدة الأمريكية في وجه أي قرار يدين إسرائيل بتعمد استهداف اللاجئين لقاعدة الأمم المتحدة وقتل المدنيين فيها، نجد أن الولايات المتحدة تستخدم نفوذها وسطوتها في اتجاه معاكس مع دولة مسلمة عربية هي (السودان)؛ حيث تضغط، ليس فقط من أجل توجيه لوم أو عتاب، ولا من أجل مناشدة لتطبيق قرارات مجلس الأمن، بل في سبيل فرض عقوبات بموجب (الفصل السابع)، وإذا رجعنا إلى القضية نجد أنها أقرب إلى التلفيق وبصورة تعوزها البراعة، ولكن بالرجوع إلى تعامل الأمم المتحدة ومن يحركها نجد أن هناك جهوداً وجلداً في أمرين مهمين وهما: التغاضي والتعامي عن أدلة الإدانة لغير المسلمين ومحاولة تمييعها ـ مثل أدلة المجازر الوحشية للصرب ضد المسلمين في البوسنة ـ حتى بلغت بهم الوقاحة حد التركيز في محاكمة مجرمي الحرب على اتهام أحد المسلمين بارتكاب جرائم حرب؛ مما يوحي بتساوي الجانبين في ناحية التجاوزات والممارسات غير الإنسانية، أما إسرائيل فهي دولة اليهود، ومن يجرؤ في هذا العصر على نقدهم أو حتى مناقشة القضايا التاريخية التي تمسهم؟!، وإذا كانت رواية اليهود عما يسمى بأفران الغاز أو معسكرات

بقلم: د. يوسف الصغير

الإبادة (التي يزعمون فيها قتل ستة ملايين منهم) لا يجوز نقدها، ومن تعرض لهذه الأسطورة تعرض للإذلال والمحاربة ويقدم للمحاكمة، بل ومن المضحكات المبكيات: أن أحد رجال الأعمال الإيطاليين قدم للمحاكمة للموضوع نفسه واتهم بـ(اللاسامية)؛ لأنه أظهر فرحه بمقتل رابين، وحُكِمَ عليه بقراءة مجموعة من الكتب عن اليهود؛ لتصحيح مفاهيمه، على أن يقوم بعرضها أمام المحكمة، وقد فرح جداً لهذا الحكم، وتعهد بتقديم عرض مطول لهذه الكتب أمام المحكمة...

نعم إن التعامل مع دولة «يهود» ليس فقط في التغاضي عن جرائمها، بل وتوفير الغطاء والحماية لها، فإن مجلس الأمن لا يجرؤ على مطالبتها بتطبيق قرار مجلس الأمن الذي ينص على انسحابها من جنوب لبنان، ولا أن يشجب جريمة بشعة لم تفضحها الأقمار الصناعية، ولا مخابرات الدول الكبرى، بل كاميرات الهواة من الصحافيين وجنود الأمم المتحدة.

أما الأمر الثاني: فهو التغاضي والتعامي أيضاً عن أدلة البراءة من الاتهامات للمسلمين، وإصرار بعض الدول الكبرى على تجريم المتهم، ومن أوضح الأمثلة على ذلك: إدانة مجلس الأمن للسودان، بل وفرض العقوبات عليه بموجب (الفصل السابع) الذي يعطي الأمم المتحدة

(الولايات المتحدة) الحق في استعمال القوة من أجل تنفيذ القرار.

وإذا كان القرار يقتصر على عقوبات دبلوماسية حاليًا، فإن القرار ينص على مراجعة الملف كل شهرين، ويُنْظَر فيما إذا كان ينبغي اتخاذ تدابير إضافية ضد السودان لضمان امتثاله للمطالب الواردة في القرار، ويطالب القرار بأن يمتثل السودان لمطلبين أساسين، هما:

أولاً: اتخاذ إجراءات فورية لكي يسلم إلى إثيوبيا الأشخاص الثلاثة المشتبه في اختبائهم في السودان لمحاكمتهم، وهم مطلوبون فيما يتعلق بمحاولة اغتيال رئيس جمهورية مصر العربية في أديس أبابا في ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٩٥م.

ثانيًا: دعوى الكف عن القيام بأنشطة مساعدة ودعم وتيسير الأعمال الإرهابية، وعن توفير الملجأ والملاذ للعناصر الإرهابية، إلى جانب التصرف من الآن فصاعدًا في علاقتها مع جاراتها ومع الآخرين بما يتماشى تمامًا مع ميثاق الأمم المتحدة وميثاق منظمة الوحدة الإفريقية.

ما المطلوب من السودان بالضبط؟:

وعند التمعن في القرار نجد أنه: إذا كانت الفقرة الأولى محددة، فإن الثانية عامة بحيث تتصرف أمريكا مع السودان بصورة غريبة.

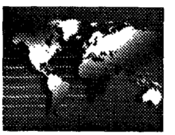
فيا ترى ما هي المطالب الحقيقية التي يجب على السودان تلبيتها حتى يخرج من دائرة الاستهداف؟.. هذا ما سأحاول الإجابة عليه:

في أول يناير ١٩٥٦م أعلن استقلال السودان، وقامت أول حكومة سودانية برئاسة الأزهري، وكان جو التنافس بين الأحزاب شديدًا؛ نتيجة التنافس بين طائفتي الأنصار (المهدية) والختمية (المرغنية)، وظلت الأمور

المسلمون



والعالم



في اضطراب إلى أن وقع انقلاب الفريق «إبراهيم عبود» في ١٧ نوفمبر ١٩٥٨م، ليحل البرلمان، ويلغي الأحزاب.. واستمر في الحكم حتى سقط بسبب ثورة شعبية، وعادت الحياة الحزبية ولكن في ظل فوضى واضطرابات وانقسامات حتى وقع انقلاب «النميري» في ٢٥ مايو ١٩٦٨م الذي استمر في الحكم حتى أُطيح به في ثورة شعبية، وجاءت حكومة انتقالية ثم حكومة أحزاب في فترة تردت فيها الأوضاع، حتى قام انقلاب ثورة الإنقاذ في يونيو ١٩٨٩م.

ثورة الإنقاذ:

في أواخر حكم الأحزاب كانت الأوضاع السياسية والاقتصادية والأمنية في غاية السوء؛ بسبب التنافس على السلطة بين رئيس مجلس السيادة (الاتحادي) ورئيس الوزراء (الصادق المهدي)، ولم يكن هناك مجال للاتفاق على سياسات، بل دخلت الدولة في دوامة من التخبط، وكان الجميع يتوقع انقلابًا عسكريًّا؛ من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه، حيث تفلت الأمن حتى في العاصمة التي بدأ يهددها التمرد النصراني في الجنوب؛ مما اضطر رئيس الجمهورية الاتحادي إلى توقيع اتفاقية سلام مهينة مع «قرنق»، ويبدو أن هناك أكثر من مجموعة في الجيش كانت تفكر في التحرك؛ ولذلك: لما قامت الحركة الانقلابية كانت توجهاتها غامضة؛ فالأسماء غير مشهورة، وبينهم ضباط من الجنوب، ولذلك سارعت بعض الدول المحيطة بالترحيب بالانقلاب بعد وقوعه.

وكان أول تصرف للانقلابيين اعتقال زعماء الأحزاب، وكان «الترابي» من بينهم، وبقدر ما كان الانقلاب حريصًا على حصوله على الدعم من

أي جهة كانت من أجل إنقاذ البلد، كان ـ أيضًا ـ حريصًا على عدم إبراز حقيقة التوجه الإسلامي له، ولكن مع الوقت برزت الصفة الإسلامية له من ناحية التزام الرئيس ونائبه بالشعائر الظاهرة، أو من ناحية الزهد في المظاهر، ومع الوقت تبين أن أكثر الفئات دعمًا للنظام هي الجبهة القومية الإسلامية، على الرغم من دعوة النظام للجميع للتعاون معه، ومع خروج زعماء الأحزاب ظهر أن للترابي وجاهة عند النظام، ومع الوقت برزت قضية: هل البشير من الجبهة، وبالتالي فالانقلاب انقلاب الجبهة، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون تحالفًا قائمًا على التوجهات والمصالح المشتركة، وهذا هو الذي يغلبه كثير من المراقبين.

مع مرور الوقت برزت التوجهات والشعارات الإسلامية للنظام، ومعها بدأت المضايقات من دول الجوار والغرب.

مظاهر الضغط على السودان:

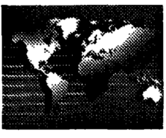
لقد كانت المواجهة مع السودان على أكثر من جبهة:

أولاً: مقاطعة اقتصادية: تمثلت في مضايقات البنك الدولي، وتخفيض حجم التبادل الاقتصادي مع دول الجوار، وانقطاع إمدادات النفط بعد المبالغة في تصوير موقف السودان في حرب الخليج الذي يشابه موقف تونس، ولا يقاس بموقف الأردن مثلاً.

ثانيًا: دعم المعارضة السودانية الشمالية واحتضانها على الرغم من عدم فاعليتها واختلافها فيما بين رموزها.

ثالثًا: تبني التمرد في الجنوب حتى وصل الأمر إلى أن يقوم مسؤولون رسميون غربيون ـ بالإضافة إلى شخصيات دينية غربية (أسقف

المســـلمون والعـــالم



كانتبري) – بزيارات إلى الجنوب عن طريق الدول المجاورة، متجاوزين في ذلك سلطة الحكومة السودانية، وقد أدى ذلك إلى طلب سحب السفير البريطاني من الخرطوم كما هو معروف.

رابعًا: التركيز على منع محاولة النظام أسلمة الجنوب، وقد عقدت مؤتمرات في أمريكا لقادة التمرد، وقام بابا الفاتيكان بزيارة الخرطوم، بالإضافة إلى زيارة أسقف «كانتبري» إلى الجنوب.

خامسًا: الضغط على دول الجوار الإفريقية لدعم التمرد في الجنوب بصورة مباشرة مع ما يمثل هذا من خطورة على الأنظمة، حيث إن كل بلد يوجد فيه معارضة يمكن احتضانها وهذه اللعبة مستمرة في المنطقة.

ومع ذلك فقد انقلبت مواقف إريتريا والحبشة رأسًا على عقب نتيجة الضغط الغربي؛ فمن علاقات حسنة مع السودان انقلب الأمر إلى تدخل سافر، تمثل في تسليم مبنى السفارة السودانية في أسمرة إلى المعارضة، وفتح معسكرات لتدريب المعارضة مما يعتبر (حسب المعايير الدولية) دعمًا للإرهاب وتدخلاً في الشؤون الداخلية للدول، بل إن «أسياسي أفورقي» صرح: أن إريتريا تهدف إلى إسقاط نظام الخرطوم، ولا يخفى أن إريتريا تمثل مخلب قط لإسرائيل وأمريكا في المنطقة، ويراد لها أن تلعب دورًا جديدًا؛ من أجل استكمال حلقة الحصار حول العالم العربي.

أما أوغندا فقد قامت قواتها بهجوم مشترك مع قوات قرنق انطلاقًا من الحدود الأوغندية.

سادسًا: كثر الحديث أثناء التدخل في الصومال عن إمكانية إقامة منطقة حظر جوي في جنوب السودان من أجل دعم التمرد، وقد سقط

هذا الخيار بانسحاب القوات الأمريكية من الصومال.

سابعًا: محاولة جمع أطراف المعارضة، وقد عقد مؤتمر «أسمرة» بحضور مندوبين عن أمريكا وإسرائيل، وتم الجمع بين الأحزاب التي كانت تحكم السودان، وتشكل المعارضة حاليًا مع قرنق، وقد واجه التجمع مشكلة عويصة، وهي: أن المعارضة الشمالية سياسية، بينما الذراع العسكرية هي قوات قرنق، وهذا وضع غير مقبول شعبيًا، وبالتالي: ظهرت أخيرًا بوادر محاولة إنشاء معارضة عسكرية شمالية تقوم كل شهر تقريبًا بعملية صغيرة على الحدود مع إريتريا أو الحبشة، ولا تعدو هذه العمليات أن تكون أكثر من محاولة إثبات وجود معارضة عسكرية شمالية للنظام.

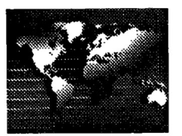
ثامنًا: إثارة موضوع مثلث حلايب المتنازع عليه مع مصر، وقد حاول كلا النظامين الاستفادة من النزاع في رفع شعبيته، مع أن الثمن هو زيادة الهوة بين الشعبين في مصر والسودان، ويبدو أن المستفيد الوحيد من هذه المشكلة هم أهل (حلايب)، فهم يحظون الآن باهتمام مصطنع وغير عادي.

وبالطبع لم تنجح كل هذه الأساليب في إسقاط النظام؛ مما اضطر الغرب إلى استعمال آخر سهم في جعبته، وهو التمهيد لعدوان مباشر، وكانت محاولة اغتيال الرئيس المصري الفرصة السانحة في المحاولة عندما عقد مؤتمرًا صحفيًا للحديث عن المحاولة وإثبات سلامته، وقد بادره أحد الصحفيين بالسؤال عن دور السودان، وبالطبع فالرئيس في تلك اللحظة لا يعلم عن المحاولة إلا حقيقة تعرضه للهجوم فقط، وقد أجاب الرئيس إجابة عامة، فالعلاقة مع السودان متوترة بسبب حلايب، وتوجه النظام بالتالي لا يجزم بتبرئته، وهو كذلك لا يجزم بضلوعه، ولكن أساطين النفاق في

المسلمون والعالم

الأمن والصحافة تلقفوا هذه التصريحات، فبدأت الصحف تنسج الأكاذيب الواضحة عن دور السودان، وأصبح دور الأمن إثبات ضلوع السودان في العملية، فبدأ الإعلان عن عمليات قبض على متسللين من السوادن، بل تمت محاكمة مجموعة باسم مجموعة العائدين من السودان، وكان موقف إثيوبيا سلبيًّا؛ فقد انتقدت أسلوب البعثة الأمنية المصرية، ولكن لأمر ما انقلب موقف إثيوبيا وتقدمت مشتركة مع مصر بشكوى إلى مجلس الأمن لمطالبة السودان تسليم ثلاثة متهمين مصريين بدعوى دخولهم السودان، وقد قبل مجلس الأمن الشكوى مع عدم تقديم إثيوبيا إثباتات على دعواها بمبرر عدم الكشف عن مصدر المعلومات، ويسارع مجلس الأمن، ليس فقط بقبول شكوى بدون سند، بل إلى إقرار أمور ليست ضمن الشكوى، ومنها طلب احترام حقوق الإنسان!.

والغريب أن أصل القرار مبني على طلب تسليم أشخاص محددين بدعوى دخولهم السودان، وهو طلب تعجيزي حيث إن دخولهم إثيوبيا ثم خروجهم منها يشابه إمكانية دخول السودان والخروج منه، بل الأدهى والأمر: أن أحد المطلوبين تبين أنه في افغانستان، وصرح ببراءة السودان، وأنه دخل إثيوبيا وخرج منها بجواز عربي، وهنا سؤال يبرز وهو: هل أصبح السودان بديلاً عن «الإنتربول الدولي»، ولماذا لم تطالب باكستان بهذا المطلب، ولكن الواضح أن سقوط الطلب الأول لم يسقط القرار الدولي، بل ولم يغير فيه حرف حيث إن القرار النهائي هو: تسليم الأشخاص الذين لا يوجدون في السودان، أو أن يتعرض السودان لعقوبات قابلة أن تصل إلى الحل العسكري، والمؤكد أن القرار



ليس حرصًا على حياة الرئيس المصري، ولا على حقوق الإنسان، بل هو موقف ضد السودان بسبب توجهاته الإسلامية وحرصه على استقلالية مواقفه وقراراته.

رسالة إلى ثورة الإنقاذ:

لقد قامت الثورة في البداية بتأكيد مبدأ الاستقلال والاعتماد على الذات، وهذا أمر مطلوب وعزيز، وله دور في بعض ما يتعرض له السوادن من أجل إعادته للدوران في الفلك إياه، ولكن هذا لا يمنع من توجيه كلمة؛ لما أرى أنه أخطاء ارتكبت بقصد أو بدون قصد، ومنها:

١ - لم تنجح الثورة في الحصول على التأييد الكافي من الإسلاميين، وبخاصة بعض فصائل أنصار السنة والإخوان، ولا أدري هل هذا بسبب الحساسيات القائمة مع الجبهة التي سبقت إلى مراكز التوجيه في النظام أو بسبب موقف تأصيلي مع النظام.

٢ - ضعف السياسة الاقتصادية، مما أدى إلى فتور الحماسة في الدخول في مشاريع اقتصادية، بل والإحجام عن ذلك أحيانًا، مع تركيز الدولة - أخيرًا - على محاولة جباية أكبر قدر من المال من المغتربين لسد الخلل في الميزانية، وهذا سيكون له آثار سيئة في المستقبل.

٣ - أخطاء استراتيجية وشرعية من ناحية سياسة دعم المعارضة في الدول المجاورة؛ حيث كان الدعم الأقوى - مع التضحية بقوى إسلامية - لمثل الجبهة الشعبية الإريترية مع مضايقة حركة الجهاد الإريتري، وقد تبينت خطورة هذه السياسة مع تشتت الجهاد في إريتريا وظهور الجبهة بوجهها الجديد، والذي ينبغي هو: عدم تكرار الخطأ نفسه في أوغندا.



٤ – أن الحق والعدل في هذا الزمان هو آخر ما تقوم عليه العلاقات بين الدول، ولذلك فلا نتوقع موقف للدول الصديقة بدافع الحق فقط، ولذلك فإن الصين تصرح بأن القرار جائر وغير منطقي، ولكن لم تستخدم حق النقض؛ لأن هناك مضايقات مع أمريكا في تايوان، وفي مجال الصناعة، أما روسيا فلا تعدو – في الوقت الحاضر – أن تكون تابعًا ذليلاً لأمريكا، وقد تتبدل الأمور بعد يلتسن فمن الضروري عدم المبالغة في المراهنة على مواقف غيرنا، مع وضع كافة الاحتمالات في الحسبان.

٥ – محاولة تحسين العلاقة مع مصر وتجنب الخضوع لبعض الاستفزازات واستغلال الرأي العام المعارض لتقسيم السوذان، حيث إن هدف أمريكا النهائي هو تقسيم السودان.

وفي الختام: نرجو من الله (سبحانه وتعالى) أن يقي المسلمين في السودان وغيره أعداءهم وشر الشيطان وأنفسهم، وأن تكون الأحداث في السودان عاملاً في تعميق الثقة وإصلاح ذات البين بين البلاد الإسلامية والعودة إلى تحكيم شريعة الله في كل خلاف بدلاً من الرجوع لأعدائه الذين لا يزيدون الخلاف إلا اتساعًا.



الأكراد قبل فوات الأوان

وقفة مع مأساة الشعب الكردي المسلم

الأكراد شعب عريق له تاريخ موغل في القدم، فهو من أقدم الشعوب التي وجدت في (الشرق الأوسط)، وقد أسهم بدور فاعل ومهم مع شعوب المنطقة في بناء الحضارة البشرية في هذه المنطقة الحيوية من العالم، وقد دخل الإسلام بلادهم سنة ١٨هـ، على يد الصحابي الجليل عياض بن غنم (رضي الله عنه)، ويذكر التاريخ أنه الشعب الوحيد الذي دخل في الإسلام طواعية.

ولقد وهب هذا الشعب نفسه لخدمة الدين وإعلاء كلمة الله وقد أنجب هذا الشعب العديد من العظماء أمثال: صلاح الدين الأيوبي، وبنو الأثير، وابن خلكان، وابن تيمية، وابن حجر، وبديع الزمان النورسي... وغيرهم، ولن يعجز الكرد أن يأتوا بغيرهم متى ما توفرت لهم الظروف المناسبة.

اشترك الأكراد في كافة الفتوحات الإسلامية وكانوا دومًا في المقدمة.

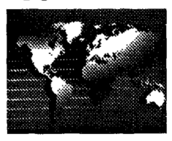
بلادهم تسمى كردستان « Kurdstan »، وتعني « وطن الكرد »، ويقدر عددهم بـ (٣٥) مليون نسمة.

أغلب الأكراد سنيون شافعيون، وهناك نسبة قليلة من النصارى، والأكراد يميلون إلى التدين ويتمسكون بالشريعة الإسلامية، وللشعب الكردي لغته التي تنتمي إلى فصيلة اللغات الهندوأوربية، وهي اللغة الأم لهذه الفصيلة.

المسلمون



والعالم



بقلم: جابان الكردي

لمحة عن البنية الأخلاقية لهذا الشعب :

يمتاز هذا الشعب بحبه للإسلام وتفانيه في الدفاع عنه، ويتسم أيضاً بالكرم، يقول سعد الدين أستاذ السلطان: مراد خان في تاريخه واصفاً الأكراد : «إن كل واحد منهم يفضل الحياة الحرة المستقلة في قمم الجبال وأعماق الوهاد، لا تجمعهم سوى رابطة العقيدة الإسلامية»، وهم يثورون لأتفه الأسباب ويتصفون بالشجاعة والإقدام، فلقد علمت الحياة الكردي أن العالم ملك الشُّجَاع : «أشد من الأسود إذا غضبوا وأخف من البروق إذا وثبوا»، ويطلق على الأكراد «قريش العجم» تعظيماً لهم، وأطلق المؤلفون الغربيون على بلادهم «بلاد الشجعان» وأطلق عليهم أحد الكتاب المسلمين «يتامى المسلمين».

بداية المشكلة الكردية :

بدأت مأساة الكرد عشية التقسيم الاستعماري للشرق، المعروف باتفاقية (سايكس – بيكو)، حيث لم ينس العالم الصليبي أن «صلاح الدين» الذي أذاق ملوك أوروبا مرارة الهزيمة، وحرر من براثنهم المسجد الأقصى، وطردهم من ديار المسلمين بعد أن دخلوها: كان من الأكراد (رأس حربة الإسلام)، نعم لم ينس الصليبيون – إبان الحرب الكونية الأولى – الأكراد أبداً، عندما رفس (جورو) الفرنسي قبر صلاح الدين بقدمه وهو يقول: «ها قد عدنا يا صلاح الدين».

لقد أخذوا بثأرهم تماماً، فقد قسموا بلاد الكرد إلى خمسة أقسام

ملحقة بكل من: إيران، والعراق، وتركيا، وروسيا التي هي بدورها قسمتهم بين أرمينيا المسيحية، وأذربيجان المسلمة، ولم يكتفوا بذلك الحد من تلك المؤامرة الدنيئة، بل أوكلوهم إلى حكام محليين هدفهم محاربة الإسلام وأهله، إما علنًا كأتاتورك، وإما سرًا كدعاة القومية العربية.

ولقد فعل هؤلاء الحكام بالأكراد ما يندى له جبين البشرية؛ من أعمال مخزية تنفطر لها القلوب، فأذاقوهم سوء العذاب، ففي مجزرة واحدة فقط قتلت قوات طاغية العراق «صدام حسين» (٥٠٠٠) إنسان بالغازات السامة، وتجاوز عدد الجرحى (٢٥) ألفًا: إنها مأساة (حلبجة) الحزينة، التي سويت بالأرض، وأبيد المواطنون فيها عن بكرة أبيهم، ومن استطاع الهرب لم ينج من تشوه وجهه وجلده، إن ما حصل أصعب من أن يوصف ويدركه الخيال، بل ما يفوق كل وصف وتعبير.

وقد دمر النظام الحاكم في بغداد ما يقارب (٦٥٠٠) قرية تدميرًا كاملاً، وقد دفن (١٤٧) شخصًا كرديًا وهم أحياء، وقتل (٥٣١) جريحًا ومريضًا كرديًا داخل مستشفى السليمانية، وقد اعتقل (٣٠٠) طفل في محافظة السليمانية وحدها، وعذبوا، وقيل: إن بعضهم قلعت عيونهم وتعرضوا لاعتداءات وحشية بالصدمات الكهربائية، وبقي مصيرهم مجهولاً.

هناك الكثير جدًا مما يعجز القلم عن كتابته، وقد تهون عنده جرائم الصهاينة والصرب!!!.

وفي تركيا المزيد من القتل وإهدار الدماء البريئة، فلم تدخر الحكومة الطورانية الفاشية العلمانية التركية جهدًا في سبيل إبادة هذا الشعب المسلم وإسكات صوت الحق فيه: انتهكت أبسط حقوق الإنسان على الوجود، أنكرت عليهم مجرد الاسم فضلاً عن اللغة، أسمتهم أتراك الجبال، قتلت منهم آلاف المدنيين، وأحرقت (٣٠٠٠)، قرية حيث دمرت البنية الاقتصادية والثقافية للشعب الكردي، حاولت بكل الأساليب صهر



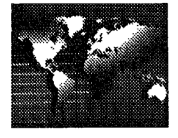
الأكراد ودمجهم في المجتمع التركي، وما زال مسلسل الأحداث لإذلال الشعب الكردي مستمراً، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

إنها مأساة تفوق مأساة أي شعب على هذه الأرض، إنها من أكبر جراحات العالم الإسلامي وأشدها استنزافًا حتى الآن، وأشدها حساسية وتجاهلاً؛ فلقد عوملت هذه القضية العادلة بسياسة التجاهل والقمع فوق ذلك: بالمعالجة المشوهة على مستوى الإعلام السلطوي الذي ينطلق من واقع التجزئة الاستعمارية، وعلى مستوى الحوار الأجوف غير المجدي من قبَل الحكام العلمانيين.

إن اللوم الأكبر – على هذا التجاهل – يقع على عاتق المسلمين الذين وقفوا إزاء هذه المأساة وتلك المعاناة بصمت مريب أشبه بصمت أهل القبور، ولا معنى لذلك سوى الخنوع والاستسلام للسياسات البعيدة عن شرع الله.

بل يعطي الإسلاميون اهتمامًا كبيرًا لمشكلات المسلمين في كل من الفلبين، وبورما، ويتناسون إخوانهم الأكراد الأقرب موطنًا من غيرهم.

إنه لم يعد الصمت ممكنًا يا أخوة الإسلام، فالسكوت عن قضية الأكراد سكوت عن الحق والعدل الذي هو جوهر الإسلام ﴿ **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ** ﴾ [**الأنعام**: ١٥٢] وإني لمستيقن كل اليقين، ولا يخالجني أدنى شك: أنه لولا الأحداث الأخيرة وما أحدثته من منعطفات في سياسة بعض دول المنطقة، لما التُفتَ إلى الأكراد أبداً، ولظلوا يتعاملون مع القضية بتجاهل مريب وصمت عجيب غريب، ومع ذلك: يبقى المسلمون مقصرين مهملين للقضية الكردية حتى الآن؛ ففي حين آوت أوروبا النصرانية الأكراد، وقدمت لهم المساعدات الإنسانية والإعانات والمنح الدراسية، ظل المسلمون متمسكين بموقف المتفرج، اللهم إلا بعض المساعدات القليلة التي تكاد لا تذكر.

المسلمون

والعالم

ولذلك: فإن الشعب الكردي المسلم في هذ الأوقات بأمس الحاجة إلى دعم إخوانه المسلمين – من منطلق الأخوة الإسلامية – بخاصة العاملين باسم الإسلام للتدخل السريع في قضيتهم بشكل عملي أكبر وأكثر جدية، وبخطوات سريعة، قبل أن يفوت الأوان ونضرب أكف الندم حيث لا ينفع الندم.

يجب أن نتحمل مسئوليتنا بجدية، ونقف بحزم أمام مسلسل الخزي والعار الذي يعاني منه الشعب الكردي المسلم.

حل المشكلة الكردية:

القضية الكردية من أعقد القضايا في الشرق الأوسط، وهي قضية شائكة جداً وحساسة، ولكن ما لا بد منه هو معالجتها بكل جدية ووضوح... ومحاولات دفنها وتجاهلها يزيد الأمر تعقيداً وتفاقماً.

ولقد طرح بعض قادة الأكراد الحكم الذاتي باعتباره حلاً مؤقتاً لمأساة هذا الشعب، وكأنهم ليس لهم الحق في حياة حرة كريمة مستقلة عن غيرهم.

وأجزم بأن أي أمة عزيزة الجانب ترفض ما يسمى بـ(الحكم الذاتي)، الذي هو في حقيقته عبودية وذل، ولكن بأسلوب حضاري... إنه استعمار جديد تنعدم فيه المساواة بين أبناء الحكم الذاتي مع أبناء الدولة المسيطرة.

والحكم الذاتي غير كفيل بإنهاء هذه المعاناة، والحل الآخر هو استقلال كردستان، وهو أصعب من أن ينال؛ فكردستان تحتوي على ٧٠٪ من بترول المنطقة، كما أن منابع الأنهار من أرضها، ومن يسيطر على نبع النهر يسيطر على مصبه، ناهيك عما فيها من خيرات زراعية ومعادن نفيسة.

وتنازل الدول عن كردستان يعني نهاية أكثر الدول المحتلة لكردستان، ولا أتوقع أبداً أن تجعل تلك الدول نفسها تحت رحمة الأكراد.

ولهذه الأسباب تصبح استقلالية كردستان أمراً صعباً جداً، وغير وارد



على المدى القريب، ولو بحث هذا الشعب عن الحل لقضيته والمنفذ لخروجه من هذه المأساة، فسيرى أن كل حل لقضيته بعيداً عن الإسلام لا يجدي، إذن: الحل يكمن في عودة جذرية للإسلام، طليعتها ورأس رمحها وأساسها هم أبناء كردستان، بالتعاون مع العلماء والدعاة... ومن هنا: فبإمكاننا القول: بأن المستقبل - بإذن الله - لهذا الشعب لن يكون إلا بذلك الأسلوب، لا سيما وقد جرب الأكراد الاتجاهات العلمانية في الساحة، التي لم تفد قضية الأكراد شيئًا، بل عرضتها للدمار والخلاف الحزبي البغيض.

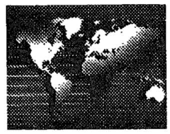
حل القضية حلاً نهائيًا مرتبط بمفاجأة عظيمة: ألا وهي خلافة إسلامية عالمية يشارك فيها أحفاد صلاح الدين وابن تيمية، ولكن ذلك - فيما يبدو - بعيد على الأقل في المستقبل المنظور إلا أن يشاء الله؛ لتشرذم الأمة وغلبة القوميات عليها، وتغلب الأحزاب العلمانية على مقدّراتها، ولكن لو تبنى الأكراد فكرة أسلمة القضية الكردية، فإنهم سيصلون إلى حريتهم وخلاصهم بإذن الله.

وهنا ندرك بأن الحل لمعاناة الأكراد، لا يمكن أن يكون في بلاد الصليب وعقد المؤتمرات واللجوء إليهم واستدرار عطفهم والبحث في الأمم المتحدة عن حل، الحل يكمن في العودة إلى الإسلام الذي ما تمسك قوم به إلا أعزهم الله ونصرهم، وما تركه قوم إلا أذلهم الله وأخزاهم.

أهمية منطقة كردستان مستقبلاً:

مما لا جدال فيه أن المنطقة الكردية لها أهمية قصوى في المرحلة المستقبلية وستكون هي محور الأحداث في الفترات القادمة، وسيكون لها النصيب الأوفر في دهاليز السياسة وأروقة الدول العظمى؛ ويَرجع ذلك إلى أهمية المنطقة.

وقد كان المؤرخون الغربيون الذي درسوا تاريخ هذا الشعب ولمسوا سماته قد أشاروا إلى أن المنطقة ستحمل الكثير من التيارات والمفاجآت المستقبلية؛ ولأجل هذا، فقد أسرع الصليبيون - وبخطوات عملية كعادتهم - إلى



استغلال الوضع لصالحهم، فيما بات المسلمون في سبات عميق، غير مدركين خطورة الأمر إلا في آخر المطاف؛ فليس الوجود الأجنبي في تلك المنطقة إلا نتيجة خطط مدروسة مدبرة مسبقًا وبأسلوب خبيث ماكر دنيء تحت الزعم خداعًا بحماية الشعب الكردي المسلم من خطر الطاغية صدام، مع العلم أنهم هم الذين نفخوا فيه، وسكتوا عن ظلمه للأكراد، وهكذا استطاعوا الدخول بين هذا الشعب بصورة المنقذ، وما هم إلا غزاة طامعون.

فلقد غزوا المنطقة عن طريق: بعثات التنصير، والمستشفيات والأطباء، وتوزيع الأغذية، وتوفير المنح الدراسية للشباب لإعداده من جديد على منهجهم؛ لكي يقوم بدوره المستقبلي الذي سيسندونه إليهم.

وهكذا.. لم يتركوا وسيلة إلا واستخدموها لإبعاد هذا الشعب المسلم عن دينه وتعريته عن أخلاقه، نعم.. لقد أدركوا جانب الشجاعة في الشخصية الكردية والوضع الراهن له؛ فأرادوا استغلال هذا الوضع لصالحهم وهذه الشجاعة في خدمة مبادئهم وأهدافهم.

لقد بينوا للأكراد بأن أحفاد الصليبيين الذين قتلهم صلاح الدين وشردهم وطردهم وأذاقهم مرارة الهزيمة جاؤوا ليمدوا لهم يد العون، ولم يفعل ذلك العرب والترك والفرس، الذين دافع عنهم صلاح الدين، وهم الآن يقتلونهم ويظلمونهم... بهذه الأفكار الخبيثة دخلت أمريكا بين الأكراد، حيث عجزت إسرائيل عن الدخول واستمالة الشعب الكردي معها ضد الغرب كجبهة خلفية (نسأل الله أن يخيب مساعيهم).

ومن هنا: تظهر حاجة الأكراد الماسة إلى جهود كل إخوانهم المسلمين لاجتياز محنتهم بسلام. وواجب الإسلاميين المحتَّم عليهم مع القضية: التعامل معها بكل وضوح وصراحة وبدون انسياق مع الإثارة التي ستجلبها لدول المنطقة وحكوماتها؛ لأن الحق لا يعرف الهوادة ولا حياء فيه، فهو واضح وضوح الشمس في رابعة النهار.





والجدير بالاهتمام والذكر: أن الأكراد – الآن – مهيؤون لامتطاء جواد النعرة القومية مما يحقق مآرب الغرب، وذلك رد فعل لما ذاقوه من القوميين العرب، والطورانيين الأتراك، والمتعصبين الفرس على حد سواء: من ويلات ومآس، وذلك ينتشر لدى كثير من شبابهم الذين ليس لديهم خلفية شرعية صحيحة، ممن تربوا على أدبيات الحزبين الكرديين العلمانيين، حزب (الطالباني) وحزب (مسعود البرزاني).

فيجب على المسلمين إدراك الوضع مع العمل العاجل لدعم ومساندة إخوانهم الأكراد، لئلا يخسروا شعباً كان رأس حربة الإسلام في جل فتوحاته – إن لم يكن كلها – نتيجة تقاعسهم عن نصرته، أو سكوتهم عن الحق.

والله من وراء القصد .

أيكون الصمت أبلغ ؟!

نص شعري

لا صهيل

فالجياد الورقية

لم تكن تملك في الأصل صهيلا

ومداد البوق شحّ

فبراميل الهواء

لم تجد للبوق حيلة

لم تعد تملك للنفخ وسيلة

لا صهيل

فالجياد الورقية

أبد الدهر ستبقى ورقية

ولهذا يصبح التمزيق سهلا

والجياد الخشبية

أشبعتها أرجل الصبية ركلاً

ألبستها في غمار اللهو وحلاً

فإذا ما أنشأت جيش غبار

وبدا ضيق الكبار

أصبحت للنار زاد !

وغدت منها رماد !

فبكى الطفل فأهدوه من (الأثل) جيادا

لا صهيل... فالجياد العربية

سكرت حتى الثمالة

فامتطاها في زمان السكر أبناء ثعاله

وثعاله...

رسمت آثارها في أظهر الخيل نعاله

وتمادى في احتياله

حينما ألزمها حب القرود

— شعر : علي بن محمد سفر

وسقاها نخبها حتى الثمالة

لا صهيل

فالأصيلة لم تزل خلف التخوم

لم يزل يهصرها قيد الهموم

لم تزل تخشى

إذا ضجت أهازيج القدوم

أن أرتال الجياد

لم تكن إلا جياداً ورقية

لا صليل

فسيوف المسرحية

فقدت ألوانها من عرق المستبسلين

فضحتها قهقهات الخاسرين لا .. الأنين

لا صليل

فالحروب العنتريه لم تعد تطلب سيفًا

لم تعد تثمر حتفا

لم تعد تحتاج إلاّ

ثلة تحمل في ساح الوغى للحرب دُفًّا

لا صليل

شُنق السيف بخيط العنكبوت

حينما أسلمه الغمد الأمين

لنسيج العنكبوت

لا صهيل لا صليل

فمتى نسمع صوت

الصحافة النسائية
في الوطن العربي

تأليف : د. إسماعيل إبراهيم

عرض

د. مالك الأحمد

«المرأة صانعة حضارة، دورها على مر العصور يسجله التاريخ بحروف من نور، فهي أم الأنبياء والرسل، ومربية الأجيال، تدين لها البشرية بالفضل الكبير، عرف لها الإسلام هذه المكانة.. فكرمها القرآن الكريم، وأنزلها منزلة رفيعة... كما شهدت عصور الإسلام الزاهرة نساء خالدات رائدات في سائر ميادين العلم والمعرفة».

هكذا بدأ الكاتب مقدمة كتابه الذي صدرت منه الطبعة الأولى عن الدار الدولية للنشر والتوزيع (مصر) عام (١٤١٦هـ) / (١٩٩٦م)، ويعتبر الكتاب أول دراسة شاملة عن الصحافة النسائية في الوطن العربي، حاصرةً للمجلات النسائية منذ بدء ظهورها عام ١٨٩٢م حتى نهاية ١٩٩٤م.

وقد قسم المؤلف كتابه إلى بابين رئيسين: الأول بعنوان: مجلات المرأة والأسرة في الوطن العربي – نشأتها وتطورها، والباب الثاني: فن التحرير الصحفي في مجلات المرأة والأسرة العربية، ويتضح من هذا التقسيم: أن الكتاب يتناول جانبين رئيسين: الأول – سرد تاريخي وحصر لأشهر المجلات النسائية بدءاً من تاريخ نشوئها، والجانب الثاني: تحليل صحفي فني.

وفي كلا البابين صنف المؤلف المجلات ـ تحت الدراسة ـ حسب المناطق الجغرافية؛ ففي الفصل الأول تحدث عن مجلات المرأة والأسرة في وادي النيل: (مصر والسودان)، وفي الفصل الثاني

تحدث عن المجلات في المشرق العربي: (لبنان، سوريا، الأردن، فلسطين، العراق)، وغطى في الفصل الثالث بلدان المغرب العربي: (تونس، ليبيا، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، وفي الفصل الأخير: تحدث عن صحافة الخليج والجزيرة العربية.

ما الجديد في الكتاب:

لا شك أن الكتاب دراسة موضوعية في بابه، ولئن اقتصرت بعض الفصول فيه على جوانب محددة في الصحافة الاجتماعية أو على بلد معين أو على فترة زمنية معينة، فإن الكتاب يغطي مساحة زمنية كبيرة، ومساحة جغرافية واسعة، محللاً ودارسًا لأغلب المطبوعات في هذا الجانب، لقد غطى الباحث (مئة وثمانين) مطبوعة منها (أربعون) ما تزال تصدر.

والكتاب تفرد بجمعه جانبين ـ قلما يتاح للباحثين جمعهما في دراسة واحدة ـ وهما: السرد التاريخي والتحليلي لما صدر سابقًا، والتحليل الصحفي الفني للمعاصرة منها.

موجز تاريخي للصحافة النسائية:

تعتبر مجلة «الفتاة» التي أصدرتها اللبنانية «هند نوفل» عام ١٨٩٢م في الإسكندرية أول مجلة نسائية عربية في الوطن العربي، ثم توالت المجلات النسائية في مصر، ثم تبعتها لبنان، وكانت أول مجلة: «الحسناء» أصدرها جرجي نقولا عام (١٩٠٩م)، ثم سوريا، حيث أصدرت ماري عبده عام (١٩١٠م) مجلة «العروس»، ثم العراق، حيث أصدرت يولينا صون مجلة «ليلى» عام ١٩٢٣م، ثم صدرت مجلة «ليلى» في تونس عام ١٩٣٦م، ثم السودان حيث أصدرت «تاكوي سركسيان» مجلة «بنت الوادي» عام ١٩٤٦م، ثم توالى صدور الصحافة النسائية تباعًا في بقية البلدان العربية، وتأخرت قليلاً في الخليج والجزيرة.

ملامح الصحافة النسائية حتى عام ١٩٤٠م:

نظرًا لأهمية مصر في تاريخ الصحافة النسائية وكثرة المجلات الصادرة فيها

في تلك الفترة؛ فيمكن الإشارة إلى أهم الملحوظات على الصحافة النسائية من خلال نظرة على الصحافة النسائية هناك:

• أغلب الصحافة النسائية الصادرة في تلك الفترة كانت تركز على: حقوق المرأة، خصوصًا التعليم والعمل، ثم دعوى السفور، وتحديد سن الزواج، وتقييد الطلاق، وتعدد الزوجات.

• ظهرت بعض المجلات المتعاونة مع الاستعمار البريطاني مثل: «فتاة النيل»، وكذلك «العروسة»؛ حيث كانت سجلاً لأخبار الراقصات والباحثين عن المتعة المحرمة.

• صدر الكثير من المجلات النسائية: إما عن نساء أو جمعيات نسائية.

• كتب كثير من الرجال بأسماء نساء؛ لتشجيع النساء على المشاركة.

• شارك النصارى، وبعض اليهود بقوة في إصدار المجلات النسائية.

وكانت الفترة اللاحقة (فترة الحرب وما تلاها) فترة ركود إلى حد ما، ثم جاءت الثورة المصرية حيث تغيرت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ولعل أهم الإصدارات في هذه الفترة مجلة «حواء» عام ١٩٥٥م، التي تمثل نقلة في نوعية الخطاب الصحفي، ورئيسة تحريرها الصحافية أمينة السعيد (وهي من دعاة تحرير المرأة!)، وقد استطاعت أداء دورها بشكل كامل في تدمير فكر المرأة بزعم تحريرها) لمدة ٢٦ سنة (١٩٨١)، ومن المعلوم أن حواء صدرت عن دار الهلال المعروفة سابقًا بمواقفها تجاه الإسلام وقضاياه، ومن أخبث المجلات النسائية التي صدرت لاحقًا واستطاعت الانتشار الواسع في مصر خصوصًا وبقية البلدان العربية: مجلة (نصف الدنيا)، التي تميزت بالفنون الصحفية الحديثة والورق والطباعة الفاخرة.

المجلات النسائية في لبنان:

تعتبر لبنان من البلدان العربية الرائدة في العمل الصحفي عمومًا ومنه الصحافة النسائية، وتتميز صحافتها في مرحلتها الأولى بالتردد بين الدعوة للتفرنج والمحافظة على العادات، وغلب

على صاحباتها أنهن خريجات إرساليات نصرانية أجنبية.

أما في المرحلة المتوسطة (١٩٤٣م - ١٩٧٥م)، فقد تطورت وتنوعت الصحافة النسائية، وأصبحت حرفة الصحافة بارزة فيها، ودخل عامل الربح، وارتفعت الأصوات بالحديث عن القضايا الجنسية والحرص على الأزياء والموضة.

ومن أشهر المجلات المعاصرة مجلة (فيروز)، (زينة)، (جمالك)، (نور)،... وغيرها، وغلب على المجلات المعاصرة: الجانب التجاري المتمثل في كثرة الإعلانات التجارية ومحاولة كسب رضا القارئ أو على الأصح (دغدغة مشاعره)، فضلاً عن حرصها على كسب رضا الحكومات لتحسين التوزيع بغض النظر عن المحتوى ومستواه الثقافي، وظهرت مجلات هي عبارة عن ترجمة لمجلات أجنبية بمحتواها الثقافي الأجنبي (جمالك) و (نور) وغلب موضوع الفنانات والأزياء والجمال على موضوعاتها.

وفيما عدا مصر ولبنان فإن المجلات النسائية العربية تميزت بقلتها وعدم انتظام صدورها وإقليميتها.

كذلك تميزت بعض الصحف التي تصدر في البلدان العربية الثورية (سوريا، العراق، تونس، ليبيا، الجزائر) في فترات الثورات بأنها أشبه ما تكون بنشرات حزبية، تعكس وجهة نظر الحكومة تجاه القضايا الاجتماعية، وتربط المرأة - على وجه الخصوص - بتوجهات الحزب الحاكم التي هي - غالبًا - ثورية يسارية.

مجلات المرأة والأسرة في الخليج والجزيرة:

رغم تأخر صدور المجلات النسائية في الخليج إلا أنها تميزت بالقوة (في الجانب التحريري الصحفي)، وكذلك بالتميز في الطباعة والورق الفاخر، ولعل «أسرتي» أقدم مجلة نسائية في الخليج حيث صدرت عام ١٩٦٥م.

وفي الإمارات: صدرت «زهرة الخليج» عام ١٩٧٩م، وفي عُمان: «الأسرة» عام

١٩٧٤م، وفي قطر: صدرت «الجوهرة» ١٩٧٩م، أما في السعودية فقد صدرت مجلة «الضياء» عام ١٩٧٧، عن جمعية النهضة النسائية بالرياض، وهي محدودة الانتشار وغير منتظمة في الصدور، لكن انتشرت في السعودية المجلات المهاجرة، وهي مجلات أصحابها سعوديون سواء أكانوا أفرادًا أو شركات، وأشهر هذه المجلات «الشرقية» التي صدرت في بيروت ١٩٧٤م، وكانت (ترويسة) المجلة: «مجلة نسائية سعودية»، وهي لا تمت حقيقة للمجتمع السعودي بصلة.

ونافست «الشرقية» في سنواتها الأولى المجلات العربية الأخرى، لكنها تدنت في الانتشار فيما بعد، ثم صدرت مجلة «سيدتي» عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق من لندن عام ١٩٨١، ثم صدرت «عالم حواء» عام ١٩٩١م، ثم توالت المجلات من قبرص ولندن وبيروت.

مجلات المرأة والأسرة ذات الطابع الإسلامي:

أشار الباحث إلى بعض المجلات النسائية ذات الطابع الإسلامي وذكر منها:

١ - مجلة «أسماء»: صدرت عام ١٩٨٧م عن الاتحاد الثقافي في فرنسا، لكنها تطبع في بيروت وتوزع في الدول العربية، ولقد توقفت عام ١٩٨٩م بعد صدور أربعة أعداد فقط، وتميزت أعدادها القليلة بالطباعة الجيدة، والورق الفاخر، والتنوع في موضوعاتها، والسمت الإسلامي البارز فيها.

٢ - مجلة «هاجر»: صدرت في مصر عام ١٩٩٠م ملحقًا شهريًا لمجلة «المختار الإسلامي»، وتميزت المجلة بطرحها الإسلامي الجيد ومعالجاتها الموضوعية لقضايا المرأة، خصوصًا في مصر، لكنها كانت ضعيفة في الجانب الفني والإخراج والطباعة، وتوقفت عن الصدور بعد فترة قصيرة من صدورها.

٣ - مجلة «عفاف»: وهي مجلة نسائية اجتماعية متخصصة صدرت في بيروت عام ١٩٨٥، ورغم إمكانات المجلة التحريرية والإخراجية المتواضعة

إلا أنها أدت دوراً جيداً في العمل على إيجاد حلول إسلامية للمشكلات الاجتماعية والحياتية للأسرة من منظور إسلامي.

ورغم حرص المؤلف - فيما يظهر - على الاستقصاء، فإنه غفل عن مجلات أسرية مهمة صدرت في الفترة نفسها التي غطاها المؤلف، وهي كالتالي:

١ - «الشقائق»: وهي مجلة نسائية إسلامية تصدر عن جمعية النجاة الاجتماعية في بيروت ابتداء من عام ١٩٩٢م، والمجلة إسلامية الطابع، وتعالج قضايا الأسرة من منطلق إسلامي، وتفتقد المجلة إلى الفنون الصحفية المعاصرة ،وتصدر شهريًا بلون واحد وورق عادي، وتعاني من قلة الإمكانات المادية وضعف الانتشار.

٢ - مجلة «الأسرة»* وتصدر عن مؤسسة الوقف الإسلامي في هولندا. صدر العدد الأول منها في محرم ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، واستمرت في الصدور شهريًا، وتميزت المجلة منذ بدء صدورها: بالاعتدال، والتنوع، والبعد عن الإقليمية، واستقطاب عدد كبير من الكتاب المتميزين، والإخراج الفني الراقي.

ولقد صدر - أخيراً - بعد صدور الكتاب مطبوعة نسائية جديدة، وهي مجلة «الشقائق»، وترأس تحريرها د.سارة بنت عبد الرحمن من، وهي مجلة إسلامية خاصة بالمرأة صدر منها أربعة أعداد، وتتميز بالطباعة الجيدة والإخراج والورق الفاخر، وتتخصص في قضايا المرأة من منطلق إسلامي، وهي جيدة في بابها.

ملحوظات عامة على الكتاب:

● رغم الجهد الكبير الذي بذله الكاتب إلا أن الكتاب شابه بعض أوجه القصور، لعل أهمها:

● غياب الاستقصاء الكامل للمطبوعات النسائية والاجتماعية خصوصًا المعاصرة منها، ويظهر أن

* مجلة الأسرة، يرأس تحريرها د. مالك الأحمد، ورغم قصر عمر هذه المجلة إلا أنها وجدت قبولاً لدى كثير من القراء.

المؤلف لم يكلف نفسه عناء الذهاب إلى الأسواق، لتفقد كافة المجلات النسائية المتاحة، وإن كان هناك استقصاء فيما صدر قديمًا، فإنه من غير المقبول إغفال مجلات موجودة في الأسواق.

● الباب الثاني من الكتاب وهو تحليل الفنون الصحفية لبعض المجلات المعاصرة غير مناسب، وهو موجه أساسًا للمتخصصين من رجال الإعلام، ويغلب عليه الجانب الأكاديمي البحت، بينما الكتاب ـ في الأصل ـ لجميع القراء.

● الرصد التاريخي قاصر، فنجد تحليلاً جيداً للفترات الأولى من ظهور الصحافة النسائية، خصوصًا في مصر، لكنه مُفتَقَد في الفترات اللاحقة ـ وخصوصًا المعاصرة ـ وكذلك غياب التحليل عن المطبوعات الصادرة في بعض البلدان العربية الأخرى.

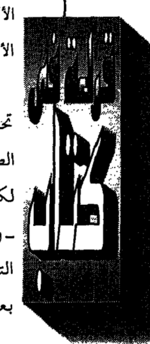
● التحليل الموضوعي للمجلات قاصر؛ فهو يعتمد في كثير من الأحيان على النقل عن مصادر أخرى، وجهد المؤلف في هذا المجال محدود.

● التحليل المنهجي لمحتويات المجلات النسائية لا يعتمد النهج الإسلامي في القبول والرد والاعتراض والنقد، لكن يغلب عليه السطحية والبعد عن التأصيل الإسلامي لواقع هذه المجلات ومدى قربها أو بعدها عن حقيقة الإسلام الصحيح.

● غاب عن المؤلف ذكر دور النصارى واليهود في الصحافة العربية عمومًا والنسائية خصوصًا، سواء في فترة نشوئها أو تطورها لاحقًا، وكذلك دور الإرساليات الأجنبية في توجيه القائمين عليها.

● لم ينتقد الكاتب الحكومات الثورية اليسارية ودورها في وأد المجلات النسائية، وذلك بتوجيهها لخدمة أغراض الحزب الحاكم، بعيدًا عن حاجات المجتمع والأسرة على وجه الخصوص.

● لم يبرز المؤلف دور المجلات النسائية الإسلامية، وإنما اكتفى بذكرها حفاظًا على الجانب الموضوعي



في البحث، ونقل فقرات من بعض افتتاحياتها.

وأخيراً: فإن الكتاب أنسب ما يكون للباحثين والمتابعين والإعلاميين، وهو مصدر غني بالمعلومات في هذا المجال، وقد قدمت دراسات عديدة في هذا المجال، لكن أغلبها أكاديمي الطابع وأغلبها لم ينشر، ومنها رسالة الدكتوراة الخاصة بالباحث «أسامة مشعل» حول المجلات النسائية، وقد ركز في بحثه على عينات منها، وقدم حولها دراسة تحليلية كاملة من منطلق إسلامي، ونال الباحث على رسالته ـ التي أشرف عليها د. عبدالقادر طاش ـ الدكتوراة من قسم الإعلام جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤١٦هـ.



فرعون باشا

نموذج للحاكم المستنير!

بقلم: ياسر قارئ

اقتنعت أوروبا منذ قرون خلت بحتمية تغيير وسيلة المواجهة مع المارد الإسلامي، ونجحت إلى حد كبير في انتزاع الإسلام من صدور الرجال فضلاً عن الأراضي، ولولا وجود القابلية لدى بعضهم للتبعية المطلقة ورهن أنفسهم للرجل الأبيض لكان خراج الأمريكتين وأستراليا يأتي كل عام إلى دار الخلافة في استنبول، ولكن الأمة التي شقيت بنماذج من السفهاء والدخلاء هوت من علوّها ودخلت في نفق مظلم من السياسات الخرقاء والعلاقات المشبوهة مع عواصم دول ما وراء البحار؛ فالمستشارون أوربيون، والتعليم على النمط الغربي، والاقتصاد موجه للتصدير الخارجي، والإصلاحات تصب في مصلحة كل أحد سوى المواطن! وعلى الرغم من كل هذا: تظل هناك شريحة في المجتمع تملك وقف هذه المهزلة الحضارية، فلا تفعل؛ لأنه ملبّس عليها، فلا ترى إلا من خلال نظّارة النظام، ولقد أنكر العلماء والأهالي على نابليون أفعاله في مصر، التي لا تختلف عما ذكرته آنفًا، بل وجزموا بكفره على الرغم من إعلانه اعتناق الإسلام قبل أن يطأ الديار المصرية، ثم إن هذه النخبة الاجتماعية رضخت، وأيدت ـ في كثير من الأحيان ـ سياسة خلفه الأوروبي المولد والمنشأ مؤسس مصر

الحديثة (محمد علي باشا) التي جرَّت على الأمة بأسرها ويلات كثيرة، ليس يغفرها له أحد من المسلمين المستضعفين الذين تعرضوا للذل والهوان والقهر عقب زوال الدولة العثمانية، تلك المأساة الفاجعة التي حمل الباشا على عاتقه تحصيلها إرضاءً لأصدقائه وجلسائه الأوروبيين وعمّاله من أصحاب الديانتين النصرانية واليهودية.

ونظرًا لطول الموضوع وتشعبه: فقد قسمته إلى أربعة أجزاء متتالية: أتحدث أولاً عن سيرته ونشأته، ثم: كيفية توليه السلطة وعلاقة ذلك بالماسونية، أما الجزء الثالث: فأتطرق فيه إلى سيَاسته الاقتصادية وآثارها على الوطن والمواطن، ثم أختم بالحديث عن حروبه ومؤامراته في شبه الجزيرة العربية والسودان واليونان وبلاد الشام، ومحاربته للسلطان، وفتح الباب أمام الأطماع الأوروبية لتخرج إلى حيز التنفيذ.

أولاً: سيرته ونشأته:

ولد محمد علي في مدينة (قولة) أو (قونية) من بلاد مقدونيا سنة (١١٨٢هـ/١٧٦٩م)، وتوفي بالقاهرة سنة (١٢٦٥هـ/١٨٤٩م)، وقد تولى عمّه تربيته، ثم اشتغل بالتجارة في الدخان، وربح منها كثيراً، ولم يتلق أي تعليم حتى قدومه إلى مصر فضلاً عن أن يجيد اللغة العربية [١]، وكان قد أرسل ضمن الحملة التي أتت لإنقاذ مصر من الفرنسيين، وأصبح رئيسًا لإحدى السرايا بعد فرار ابن عمه الذي كان يقودها، فقام بتنظيم الجيش وإصلاحه على الطريقة الأوروبية، واستعان في ذلك بالكولونيل الفرنسي «سيف» الذي غير اسمه إلى سليمان باشا[٢]، كما أنشأ ترعة عظيمة لإصلاح

---

١) محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٣٩٠، تاريخ الدولة العثمانية: يلماظ أرزتونا، ١/٦٥٤.

٢) المصدر نفسه، ص ٤١٠.

مقال

الري، وأقام الجسور على النيل، وأقام المدارس والورش الصناعية واستغنى عن الاستيراد من الخارج، فأصبحت مصر تصنع الطربوش والمراكب والبندقية والمدفع[1]، كما قام بتجريد أراضي الأوقاف وزراعة منتجات التصدير بناءً على مشورة الفرنسي «چوميل»، وأرسل البعثات إلى فرنسا وعلى رأسها رفاعة الطهطاوي، كما استعان بالأطباء والفنيين والعسكريين الفرنسيين[2]، ولقد علقّ أحد أحفاده على حبه للعلم قائلاً: «هذا الرجل الذي لا يكتب! كان له فهم عظيم بواجباته كأمير، فكان يحب العلماء ويعرف عدم إمكانية الاستغناء عنهم من أجل تطوير الشعب، وأنشأ في باريس مشتلاً من العلماء الشباب المصريين، وصبر على طول مدة دراستهم، ليحصلوا على الحقائق الغربية.[3]

وفي المقابل: فإن المؤرخ الجبرتي المعاصر للباشا يصفه بأنه: حسود شَرِه طمّاع، دائم التطلع لما في أيدي الناس أو أرزاقهم، ولم يسلم من ذلك حتى خدمة (الضربخانة) و(أفنديتها)، فسعى إلى مصادرة أموالهم.[4] بالإضافة إلى ذلك: فإن أحد المؤرخين تتبع وصف «الجبرتي» للباشا فخلص إلى أنه: مخادع كذاب يحلف الأيمان الكاذبة، ظالم لا عهد له ولا ذمة، يضمر السوء ويستخدم العنف والجور في الوقت الذي يعد فيه بالقول، ولا تنفع لديه شفاعة شيخ، اعتاد أن يحيط نفسه بالنصارى واليهود، ويمتلك من الحِيَل ما لم

---

١) المصدر نفسه، ص ٤٤٨ .

٢) تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، ٢/٤٨ .

٣) انظر : مذكرات عباس حلمي الثاني، ترجمة جلال يحيى .

٤) عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي، ٤/٢١٠ .

يخطر لميكافيللي على بال[١]، وفي المقابل: نجد أن أحد المستشرقين يصف الباشا بأنه: أعظم الشخصيات التي عرفها الإسلام الحديث شأنًا، والسبب في ذلك: أنه أبدى إعجابًا شديدًا بنعم الحضارة الأوروبية وبركاتها، فأنشأ مدرسة لتعليم الرياضيات باللغة الإنجليزية، فيما اعتمد اللغة الفرنسية في العلوم الأخرى[٢]، ولا عجب من هذا التناقض في تقييم الرجل؛ لأن الباشا هو مصدر هذا الاختلاف بين المؤرخين بسبب سياسته النفعية والمناهضة للإسلام وأهله.

ثانيًا: توليه السلطة:

منذ أن عين قائدًا لفرقة في الجيش الذي قدم إلى مصر، أخذ محمد علي في استمالة الجند إليه وصعّد من خلافه مع «خسرو» باشا الذي تولى حكم مصر حتى طرده الأهالي، ثم وقع الاختيار على أحمد باشا العثماني فأخرجه منها، وسلّط الأرناؤوط (الألبان) على الانكشارية، ثم سعى إلى التفريق بين (البرديسي) (والألفي) اللذين يتنافسان على السلطة، واستطاع تهييج الأهالي عليهما، فأسند الأهالي والأعيان إليه الولاية، وكتبوا بذلك إلى السلطان الذي أمر بنقله إلى سالونيك بناءً على وشاية الإنجليز به، نظرًا لمعارضته لمشاريعهم، لكن ضغط وإلحاح العلماء والأعيان والأهالي مكن الباشا من الاستمرار في ولاية مصر، وكان ذلك في سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م[٣]، لكن المؤرخ التركي «يلماظ أوزتونا» يرى أن «محمد علي» قد ساوم السلطان محمود الثاني على المنصب بعرضه الذهاب إلى الجزيرة العربية والقضاء على الوهابية إذا منح رتبة البكلربك (أي: الوالي) وقد تم له

١) قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، زكريا سليمان بيومي، ص١٥٩.

٢) تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس ص ٥٤٢/ ٥٤٥ بتصرف.

٣) تاريخ الدولة العليه العثمانية، ص٣٩٠.



ذلك[١] والسؤال الذي يبرز هنا هو: كيف استطاع رجل غريب التلاعب بالبلاد وعلمائها خاصة، في ظل التنازع على حكم مصر بين المستعمرين الأوروبيين الذين لم يكونوا ليرضوا عن وضع مريب كهذا لولا أن لهم مصلحة فيما يجري؟ لقد أجاب على هذا التساؤل أحد المؤرخين قائلاً: بأنّ هناك جوانب كثيرة يكتنفها الغموض في صعود محمد علي إلى هرم السلطة، خاصة وأنه لم يكن يصلح للولاية، وليس من الوزراء ولا من الأمراء، ولا من أكابر الدولة (على حد قوله)، هذا بالإضافة إلى افتعال الثورات بسبب رواتب الجند، ثم تمكنه من تسديدها، لكن صلة محمد علي بالشيخ حسن العطار الذي انضم إلى المحفل الماسوني الذي أسسه الفرنسيون تفسر لنا شيئًا من هذا الغموض[٢].

ثالثًا: سياسته الاقتصادية:

يعلل بعض المؤرخين أسباب غزو محمد علي لبلاد الشام بغرض إرجاع الأهالي الجهلة المغرر بهم الذين فروا إلى هناك، وذلك لأن الضرائب وأعمال السخرة التي شرعها الباشا لتغطية نفقات الإصلاحات قد جهل كنهها الناس؛ ففروا منه[٣]، وسوف نتحدث بشكل موسع عن حروب الباشا في الحلقة القادمة، لكن يكفينا هنا أن نعرض لسياسته الاقتصادية ونماذج منها؛ لنتعرف على مخططات الباشا أو الدور الذي أُعدّ له لينفذه!.

لقد اتسمت فترة حكم محمد علي بقرارات اقتصادية مجحفة

---

١) المصدر نفسه، ص٦٥٤ .

٢) قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ص ١٦٩ .

٣) تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٤٤٨ .

بالرعية، تراوحت بين أخذ الأراضي والأملاك بالقوة، والتلاعب بالأسعار والعملة، إلى احتكار البضائع، وبخس الأسعار، وفرض المكوس والرسوم وأعمال السخرة (العمل بلا أجر)، وهذه نماذج من ذلك:

كانت الضريبة على بضائع الإفرنج والنصارى ومن ينتسب إليهم اثنان ونصف بالمئة (٢,٥٪)، بينما كان يؤخذ على بضائع المسلمين عشرة بالمئة (١٠٪)، في الوقت الذي كان يتولى ديوان المكس (الجمرك) شخص نصراني رومي[١]، كما أن الباشا منع المزارعين من بيع الغلال على المتسببين؛ ليبيعها هو بدوره على الإفرنج، حتى قل وجود الخبز، بل امتنع، واشتكى الفقراء إلى الباشا[٢]، ثم زاد في الخراج لمساعدته على حروبه في الجزيرة العربية في سنة ١٢٣٣هـ، وصادف أن فاض النيل في تلك السنة حتى هلك الزرع وانهدمت البيوت[٣]، وفي السنة التالية أمر بجمع الفلاحين للعمل في ترعة الأشرفية بالأسكندرية بلا أجر، فغلّوا بالسلاسل ورُدم على بعضهم الحفر وهم أحياء لامتناعهم، وفي الوقت الذي مُنع الفلاحون من الزراعة قام الباشا بزيادة الخراج عليهم بعد عودتهم[٤]، ثم قام الباشا في سنة ١٢٣٥هـ بفرض رسوم جديدة على البهائم، وبخس الفلاحين ثمن البلح والليف وجريد النخل والخوص، فيما أجبرهم على دفع نسبة خمسة في المئة (٥٪) من قيمة المحاصيل مقدماً ولمدة عامين لمشايخ البلاد تحت نظام الالتزام[٥]، كما فرض على المزارعين نقل الغلال على حسابهم إلى الإسكندرية؛ لبيعها على الإفرنج وليشتري بثمنها

١) عجائب الآثار، ٤/ ٢٢٥.
٢) تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٤٤٨
٣) المصدر السابق: ٤/ ٣٨٨.
٤) المصدر السابق: ٤/ ٤١٧.
٥) المصدر السابق: ٤/ ٤٣٢.



البضائع الإفرنجية، بالإضافة إلى ذلك: قام الباشا ببخس المكيال وامتنع عن دفع ثمن الغلال[1]، كما تلاعب الباشا في صرف العملة ونَقَّص وزنها وعيارها، وعين خاله ناظراً للضَّرب، وقرر له في كل شهر خمسمئة كيس، بينما كان الناظر السابق يقبض خمسين كيساً فقط[2]، وفي إحدى المرات أخذ الباشا جميع الغلال بما في ذلك ما يدخره الناس لقوتهم وباعه على الإفرنج[3]، كما حجر على الأُجَرَاء والمعمرين والمستعملين في الأبنية والعمائر، وألزمهم العمل في عمائر الدولة بمصر أو افتداء أنفسهم أو إقامة بديل عنهم مع دفع أجرته[4]، كما ابتدع تحرير الموازين، وأبطل موازين الباعة وألزمهم شراء موازين الدولة، وهو باب يتجمع منه أكياس كثيرة[5]، وقام بإطلاق جماعة من المهندسين والمباشرين للكشف على الدور والمساكن، فإن وجدوا بها أو ببعضها خللاً أمروا صاحبها بهدمها وتعميرها، فإن كان يعجز عن ذلك أخرجوه منها، وأعادوا بناءها وتصبح من حقوق الدولة[6]، ولم يكتف بكل هذا، بل أمر بالمناداة في الناس بتحديد الربا على القروض التي يحصل عليها الناس من العسكر، وذلك لشدة الضيق والحاجة، وهذا من غرائب الأحكام!، حيث ينادى على الربا جهاراً وفي الأسواق من غير حياء ولا مبالاة، لأنهم لا يرون ذلك عيباً في عقيدتهم[7]، ولقد

---

١) عجائب الآثار: ٤/١٧٨ .

٢) المصدر نفسه: ٤/١٩٨ .

٣) المصدر نفسه: ٤/٢٠٨ .

٤) المصدر نفسه: ٤/٢٢٧ .

٥) المصدر نفسه: ٤/٢٤٧ .

٦) المصدر نفسه: ٤/٣٦٠ .

٧) المصدر نفسه: ٤/١١٩ .

أوجز المؤرخ الجبرتي (رحمه الله) أسباب الخراب في الدولة، فذكر زيادة الخراج واختلال المعاملة والمكوس واحتكار جميع الأصناف والاستيلاء على أرزاق الناس، فلا تجد مرزوقًا إلا من كان له خدمة الدولة متوليًا على نوع من أنواع المكوس أو مباشرًا أو كاتبًا أو صانعًا في الصنائع المحدثة، ولا يحاسب على ذلك إذا كان من غير العرب، أما الباشا فقد وضّح طريقة تعامله مع من يرفض الانصياع إلى تلك السياسات الظالمة؛ فقد قال في معرض لومه للعلماء الذين انتقدوه علانية في اجتماعاتهم بالأزهر: «إن حصل من الرعية أمرٌ ما فليس لهم عندي إلا السيف والانتقام»[1] لذا: فلم يجد الفلاحون مخرجًا من هذا الجحيم سوى ترك البلاد والهجرة إلى الشام؛ ليكونوا بمنأى عن ذراع الباشا، وذلك بسبب خصومته مع والي الشام.

- وللحديث صلة -

---

(١) المصدر نفسه: ٤/١٣٨.

العولمة الاقتصادية ومؤتمر الإيواء البشري

بقلم: د. محمد عبدالله الشباني

في دائرة الضوء

عقد خلال الفترة من الثالث حتى الرابع عشر من شهر يونيو لعام ١٩٩٦م في استنبول مؤتمر الإيواء البشري تحت مظلة الأمم المتحدة، وهذا المؤتمر حلقة من حلقات المؤتمرات التي دأبت الأمم المتحدة على عقدها وفق دعايتها بتحسين أوضاع العالم الاقتصادية والتجارية والعمرانية والسياسية والاجتماعية، لكن حقيقة الأمر بخلاف ذلك، بل إن هذه المؤتمرات أداة تستخدمها الرأسمالية اليهودية للسيطرة على العالم اقتصاديًا وفكريًا من خلال تأطير السلوك الاجتماعي والسياسي ليوافق الفكر العلماني الذي تقوم عليه الرأسمالية اليهودية المعاصرة.

إن الإطار الفكري الذي تقوم عليه فكرة المؤتمر وما طرح في وثيقته من أفكار وأساليب مطلوب من الدول المشتركة في هذا المؤتمر تبنيها لحل مشكلة تؤرق السياسيين في مختلف أقطار العالم وهي (مشكلة الإيواء وتوفير الأماكن الكافية لاستيعاب ملايين البشر)، هذا الإطار ما هو إلا غطاء للتسلل لاحتواء موارد الدول الفقيرة واستغلالها لصالح المؤسسات المالية والمالكين لها من دهاقنة اليهود والمتهودين فكراً وسلوكاً، ونشر الأنماط السلوكية التي أفرزتها الفلسفة الجدلية المادية، التي من مقتضياتها الانفلات السلوكي : سواء ما كان له ارتباط بالمنهجية الاقتصادية، وما يرتبط بذلك من حرية مطلقة في استلاب الآخرين، وتحقيق المنفعة الفردية على حساب

المنفعة الجماعية مع استبعاد الجوانب الأخلاقية في السلوك الاقتصادي، أو ما كان له ارتباط بأنماط السلوكيات الاجتماعية لسيطرة الرأسمالية اليهودية ممثلة في الولايات المتحدة ـ بوصفها قوة وحيدة ـ بتمكين هذه القوة الجديدة من الاستحواذ على العالم؛ ليكون القرن الحادي والعشرين قرن أمريكا.

أهداف المؤتمر:

إن أهداف المؤتمر الذي حددتها مسودته (جدول أعماله) تلبس الحق بالباطل؛ حيث تعلن مفاهيم عامة وتمنيات تُدغدغ بها رغبات الحكومات الفقيرة التي ترزح تحت وطأة الفقر والحاجة والتخلف، ولكنها في الواقع سراب يُنْفَذُ من خلاله إلى الهدف الحقيقي المغلف بهذا السراب.

فمن الأهداف المشار إليها في وثيقة المؤتمر ـ التي هي مدخل للأهداف الحقيقية ـ الأمور التالية:

١ ـ المساواة والعدالة لجميع الأفراد، للحصول على الإيواء وتوفير البنية التحتية المكملة للمسكن الملائم.

٢ ـ استئصال الفقر، من خلال توفير المأوى للفئات ذات الدخل المنخفض مع حق اختيار العمل والحصول عليه.

أما الأهداف الحقيقية للمؤتمر فيمكن فهمها من خلال ما رسم من إجراءات تنفيذية لتحقيق الأهداف الفضفاضة، وما امتزج ضمنها من مفاهيم أدرجت لتخدم الغرض الحقيقي للمؤتمر، ويمكن تحديدها على النحو التالي:

١ ـ العمل على تغيير مفهوم الأسرة القائم عل الأسس الدينية والقيم الاجتماعية الفطرية، وتوسيع هذا المفهوم ليشمل أنماطًا من الأشكال التي تم تبنيها في المجتمع الغربي بوجه عام، وفي الولايات المتحدة بوجه خاص؛ من خلال تغيير معالم ومكونات الأسرة كما عرفتها الإنسانية، حيث أشار البند (١٨) من الوثيقة إلى شمول الإيواء لمختلف أشكال الأسر، والمقصود من ذلك: منح الشاذين جنسيًّا الذين يكونون فيما بينهم أُسَراً، وتلك الأشكال من العلاقات بين الرجال والنساء الذين لا يرتبطون بعلاقات شرعية، مساكن للإيواء.

٢ - توسيع النظام الربوي، وتمكين المؤسسات المالية الربوية من السيطرة على المقدرات المالية لدول العالم الثالث، من خلال عمل شبكة من البنوك ومؤسسات الإقراض، وربط تمويل توفير المباني والبنية التحتية لمشاريع الإيواء بالإقراض الخارجي، البند (٣٠).

الالتزامات المطلوب تنفيذها لتحقيق الأهداف:

من أهم الالتزامات المطلوب تبنيها من قبل المشاركين في هذا المؤتمر والموقعين على وثيقته الأمور التالية:

١ - تغيير قوانين الملكية الخاصة بالأراضي: سواء الزراعية أو السكنية، وقوانين الإسكان والإيجارات، وفتح باب سوق شراء وبيع العقارات، وإزالة جميع العوائق الخاصة بتوفير المناخ الملائم لحرية السوق العقاري (البند ٥٦ من الوثيقة).

٢ - تغيير وتعديل الأنظمة لتسهيل حركة الأموال وربط تمويل الإسكان بالنظام المالي العام للدولة وتعديل السياسة النقدية والمالية لتوفير روح المنافسة، لتتحرك الأموال من أجل توفير القروض للفقراء، مع توفير الإمكانية لأنظمة الإقراض لتحقيق استعادة القروض من خلال توفير القوانين والأنظمة لذلك، وإقرار برامج رهن المساكن لمؤسسات الإقراض المتعددة (البند: ٦١).

٣ - ربط اقتصاديات الدول المتخلفة باقتصاديات الدول الرأسمالية ضمن المفهوم الذي تبشر به الوثيقة، وهو الاقتصاد الدولي، كما أشارت إليه البنود (١٤٠، ١٤٧، ١٥٠)، من الوثيقة، حيث تم التأكيد على ربط السلطات المحلية بالسوق المالي الدولي ومؤسسات الإقراض الخاصة بالشؤون البلدية، مع العمل على توفير البنية التي تسمح للاقتصاد الدولي في النمو، والمساهمة في بناء البنية التحتية لمشاريع الإيواء وتكوين المراكز الحضرية.

إن تبني الأهداف وقبول الالتزامات التي حددتها الوثيقة التي تم التوقيع عليها في مؤتمر استنبول يعني التمكين لما يعرف في مجال الدراسات الاقتصادية «بعولمة الاقتصاد» تحت قيادة صندوق النقد الدولي

والمؤسسات التابعة له.

وظاهرة «العولمة» التي أخذت في الازدياد في الفترة الأخيرة لها خطورتها على النمو الاقتصادي والحضاري والثقافي للمجتمعات المتخلفة، وبخاصة المجتمعات الإسلامية؛ حيث يتوفر في بلاد المسلمين مصادر الثروات الطبيعية؛ مما يدفع إلى الاستحواذ عليها من قبل الرأسمالية اليهودية العلمانية.

إن أهم مظاهر عولمة الاقتصاد هي: زيادة نمو الشركات المتعددة الجنسية، ومؤسسات الإنتاج الدولية الطابع والعالميةالنشاط، وقد أدى هذا الأمر إلى التشابك بين مؤسسات الإنتاج على الصعيد القطري والإقليمي، واتجاه الشركات القطرية إلى توسيع رقعة أنشطتها لتخرج به خارج الحدود الوطنية أو القومية وصولا إلى المستوى الكوني، والشكل الذي تأخذه العولمة هو قيام المؤسسات الضخمة بمد نشاطها خارج حدودها الوطنية وإنشاء فروع شبه مستقلة ولكنها تابعة لها في بلدان الدول المتخلفة، أو تحويل الكيانات القائمة للشركات القومية؛ لتُكوِّن فروعاً لها وتوابع لنشاطها.

لتتضح أبعاد ظاهرة العولمة الاقتصادية أو ما يمكن تسميته بظاهرة الرأسمالية متعددة الجنسية التي تجمع لديها عناصر القوة الاقتصادية، وما يمكن أن توظفه من قوة سياسية أو تمارسه من ضغوط على الدول المتخلفة غير القادرة على التعامل بندية مع هذه الكيانات العملاقة، فالإحصاءات توضح مدى خطورة هذا التمركز الرأسمالي... فإذا عرفنا أن إيرادات أكبر خمسمئة شركة في العالم بلغ في عام ١٩٩٤م **نحو عشرة تريليون ومئتين وأربع وخمسين بليون دولار**، وإذا تم مقارنة ذلك بمجموع الناتج المحلي الاجمالي لدول العالم في سنة ١٩٩٣م **(الذي كان أكثر قليلاً من ثلاثة وعشرين تريليون دولار)**، أدركنا مدى خطورة تركز الأموال لدى الرأسمالية العالمية.

إن السؤال الذي يبرز هنا هو: لماذا تتجه الرأسمالية اليهودية في نقل وتركيز بعض عمليات الإنتاج في الدول المتخلفة؟.. وإن الهدف الحقيقي هو البحث عن أعلى معدلات للربح، وهو هدف سهل يمكن تحقيقه

في دائرة الضوء

بعد أن قامت الرأسمالية اليهودية بالدفع إلى تبني السياسات الليبرالية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وفشل الفكر الاشتراكي في تحقيق النمو الاقتصادي للدول التي تبنته.

ومن هنا: نجد أن القوى الرأسمالية من خلال مؤسسات الأمم المتحدة المالية (البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وتوابعهما) وبعد أن تزعمت الولايات المتحدة العالم؛ أخذت بالدعوة إلى تبني أساليبها الاقتصادية، حيث أصبح تبني هذه السياسة بدون نظر لمحاذيرها هو التوجه لدى دول العالم المتخلف وبخاصة دول العالم الإسلامي، فقد أخذ البنك الدولي بتوجيه من الولايات المتحدة بإجبار دول العالم الإسلامي إلى إعادة هيكلة اقتصادياتها على ضوء هذه السياسة الليبرالية، فاتجهت لخارج دولها لجذب رأس المال الأجنبي، وتبني مفهوم القطاع الخاص من خلال استخدام آليات السوق وما يتطلبه ذلك من تحجيم واضح في الملكية العامة، وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، وهذا ما تتبناه وثيقة استنبول لحل مشكلة الإيواء.

إن عولمة الاقتصاد الذي تُطالب به الأمم المتحدة برئاسة الولايات المتحدة ـ حيث يحل مشروع أممية رأس المال بدلاً من أممية البروليتاريا، فما يحصل الآن من أساليب إجرائية متعددة الأشكال لحل مشاكل اجتماعية واقتصادية ـ هو تمكين لمراكز النظام الرأسمالي من إعادة احتواء دول العالم المتخلفة وإعادة امتصاص قواها، طبقاً لمنطق تراكم رأس المال في تلك المراكز.

إن آليات السوق الذي تقوم عليه الفكرة الأساس للرأسمالية: أن من لا يستطيع كسب قوته يجب أن يموت، فهناك في الغرب فلاسفة ممن يقول: إن المليار من فقراء العالم الثالث، بل وفقراء الدول الصناعية كانوا زائدين عن الحاجة، وبالتالي: فلا مبرر لوجودهم ولا حاجة إليهم، ضمن مفهوم فلسفة البقاء للأصلح!، ولذا: تجد الدعوة المستمرة لتغيير مفهوم الأسرة، والدعوة إلى الإجهاض وقتل العجزة.. وغير ذلك من الدعوات غير الأخلاقية وغير الإنسانية، وما هي إلا نتيجة العبثية الرأسمالية العلمانية.

إن المخرج من هذا الفخ الذي نصبته الرأسمالية اليهودية هو قدره العالم الإسلامي في اتخاذ قراره السياسي المستقل، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا طرح الفكر العلماني ونبذه من مناهجه وتوجهاته، وتبنى الفكر العقائدي الإسلامي وما يحتويه من سلوكيات وقيم ونظم وتشريعات لتحقيق سعادة الانسان الدنيوية والأخروية ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [**الأعراف** : ٩٦]. *

---

* تأجلت الحلقة الثالثة من دراسة الكاتب الكريم د/ محمد الشباني عن (الربا والأدوات النقدية المعاصرة) وذلك لتواكب المجلة المؤتمر مدار البحث، وموعدنا مع الحلقة المؤجلة في العدد القادم إن شاء الله.

- البيان -

القانون الدولي الإسلامي

(علم السير) (٢)

مفهومه - تدوينه - خصائصه

بقلم: عثمان جمعة ضميرية



بعد مقدمة عن شمول الشريعة الإسلامية لكافة مناحي الحياة ومرونتها في استيعاب القضايا الجديدة أخذ الكاتب ـ في الحلقة الماضية ـ في تعريف «القانون الدولي الإسلامي» (علم السير) شارحاً ومحللاً لعدة تعريفات، ومتطرقًا لبعض المسائل العلمية حول الموضوع، وفي هذه الحلقة يعالج بعض خصائص القانون الدولي الإسلامي.

- البيان -

تتميز أحكام القانون الدولي الإسلامي (علم السير) بمجموعة من الخصائص التي تميزها عن غيرها من الأنظمة القانونية ؛فأحكام القانون الدولي في الإسلام ليست قواعد وضعية يمكن أن تتناول أصولها يد البشر بالتعديل والتبديل كلما عنَّ لهم ذلك، بل هي أحكام شرعية تكون جزءاً لا يتجزأ من الشريعة السمحة، التي تنظم كل جوانب الحياة مستقاة من آيات الله البينات وسنة رسوله ﷺ ؛ فأول مصادرها الكتاب الكريم ثم السنة المطهرة، دون أن نغفل أهمية المصادر الأخرى: كالمعاهدات التي عقدها الخلفاء، والأوامر والوصايا التي كانوا يبعثون بها إلى أمراء الجيوش، وكذلك إجماع الفقهاء، بوصفها كلها مصادر مكملة أو تابعة.

وتضفي طبيعة الدعوة الإسلامية صبغة خاصة على القانون الدولي

الإسلامي؛ بحيث يبتعد مفهومه بعض الشيء عن القانون الدولي بمعناه المألوف **فالقانون الدولي ـ كما عرَّفه رجال القانون ـ هو : :** مجموعة القواعد التي تنظم العلاقة بين مجموعة من الدول في الحرب وفي السلم، بين مجموعة من الدول المستقلة المكتملة السيادة التي تترابط عرفًا أو اتفاقًا على قدم المساواة، وعلى أساس التبادل المطلق، وهو يقوم على مبدأ الإقليمية، فينبسط سلطان الدولة ـ بحسب الأصل ـ على أرضها وما فوقها وما تحتها دون أن يمتد إلى ما وراء ذلك.

هذا المفهوم لا تعرفه الشريعة الإسلامية، إذ إن الدعوة الإسلامية بطبيعتها دعوة عالمية، تقوم على اعتبار شخصي إنساني وليس على اعتبار إقليمي، إذ لا يتصور بالنسبة لها: أن تكون الحدود الإقليمية عامل تفرقة بين المسلمين[١].

وعلى هذا: يمكن أن نبرز ـ بإيجاز ـ أهم الخصائص التي تتميز بها أحكام القانون الدولي والعلاقات الدولية في الإسلام فيما يلي:

١ - أحكام القانون الدولي في الإسلام ترجع في أسسها العامة إلى الوحي:

وهذه الخاصية هي أهم الخصائص، ومنها تنبثق سائر الخصائص؛ فالإسلام دين رباني كامل، ينظم الحياة ويَحكم كافة جوانبها، وبما أن القانون الدولي الإسلامي (علم السير) جزء من الفقه الإسلامي الذي يقوم على الشريعة ـ كتابًا وسنة ـ فإنه يقوم على الوحي الإلهي، وكل فقيه مقيد في استنباطه للأحكام بنصوص هذين المصدرين أو الأصلين الأساسين عندما تسعفه النصوص بذلك، وإلا فهو مقيد باتباع قواعد الشريعة ومرعاة مقاصدها وأصولها[٢] [حالة الاجتهاد فيما لا نص فيه].

وإلى هذا المعنى يشير «ابن خلدون» بقوله عن أحكام الله (تعالى) في المكلفين: «وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت

١) انظر ميثاق الأمم والشعوب، ص٦٠٥، وقواعد العلاقات الدولية، ص٣٥.

٢) انظر التشريع الإسلامي وأثره في الفقه الغربي د. محمد يوسف موسى، ص٦٠ - ٦١، والأموال والنظرية النقدية، له أيضًا، ص١٣٦.

الأحكام من الأدلة قيل لها: فقه»[1].

وينص الله (تعالى) في كتابه الكريم على أن هذا الدين كله وحي منه (سبحانه) لهداية البشرية، ورحمة منه لها، فقال (سبحانه): ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، ومهمة الرسول (عليه الصلاة والسلام) ووظيفته هي البلاغ والبيان: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وتأسيسًا على هذه الخاصية في رجوع الأحكام إلى الوحي واستنادها إليه ليكون تشريعًا إلهيًا ربانيًا، فإنه لا مساغ لتقسيم التشريع الإسلامي إلى تشريع إلهي وتشريع وضعي، كما ذهب إليه بعض الكتَّاب في النظام الدستوري الإسلامي[2].

وكما ذهب إليه بعضهم من تقسيم التشريع إلى نوعين: ابتداء وهو خالص حق الله، وابتناء وهو يمكن أن يكون للبشر[3]؛ فإن للبشر حق الاجتهاد بضوابطه الشرعية، وليس لهم حق التشريع.

وهذه الخاصية تميز أحكام العلاقات الدولية في الإسلام عن سائر الأنظمة والقوانين الوضعية التي وضعها الناس لأنفسهم في القديم والحديث والتي لا نجد لها من الهيبة والاحترام كما نجده للتشريع الإلهي.

وهي كذلك ضمانة لتوحيد كلمة الأمة كلها على منهج واحد ونظام واحد عندما تلتقي على هذا الوحي بما فيه من موازين لا تضطرب ولا تتأرجح، ولا تتأثر بالهوى والعصبية والدوافع الذاتية.

٢ - ارتباط أحكام العلاقات الدولية بالعقيدة والأخلاق:

وهذه الخاصية منبثقة عما قبلها،

١) انظر مقدمة ابن خلدون: ٢/٧٩٨.

٢) ذهب إلى ذلك د/عبد الحميد متولي في كتاب (الإسلام ومبادئ نظام الحكم) ص١١، وراجع أيضاً د/عابد السفياني لما أبداه بعضهم عن الفقه بأنه تشريع وضعي في كتابه (الثبات والشمول في الشريعة)، ص٩٦ - ٩٩.

٣) ذهب إلى ذلك الشيخ عبد الوهاب خلاف في كتابه (السلطات الثلاث في الإسلام) ص٣٥ - ٨٠.

سياسة شرعية



ومظهر من مظاهرها، فقد عني القرآن الكريم - كما عنيت السنة النبوية - بالعقيدة التي تقوم على أساس الإيمان بالله (تعالى) ربًا متفردًا بالخلق، وإلهًا متفرِّدًا بالأمر والنهي، فلا عبودية إلا له؛ وبذلك يتحرر الإنسان من كل عبودية لغير الله[1].

فمن الأصول المقررة في الإسلام: أنه يشمل جانبين رئيسين هما: العقيدة والشريعة، والعقيدة هي التي يعبر عنها القرآن الكريم بالإيمان، والشريعة هي النظم التي شرعها الله (تعالى) أو شرع أصولها ليأخذ المسلم بها نفسه في علاقته بأخيه المسلم، وعلاقته بالإنسان، وعلاقته بالكون وبالحياة من حوله، والعقيدة هي الأصل الذي تنبثق عنه الشريعة وتقوم عليه، والإسلام حتَّم الترابط بينهما؛ ولذلك: فمن آمن بالعقيدة وألغى الشريعة، أو أخذ بالشريعة وألغى العقيدة لا يكون مسلمًا ولا سالكًا في حكم الإسلام سبيل النجاة[2].

ومن هنا: كانت أحكام العلاقات الدولية - كغيرها من جوانب الفقه الإسلامي - ذات اعتبارين: قضائي ودياني، فالقضائي يحاكم العمل بحسب الظاهر، أما الديانة: فإنما تحكم بحسب الحقيقة والواقع، فالأمر (أو العمل) الواحد قد يختلف حكمه في القضاء عنه في الديانة[3]؛ ولذلك: نجد الفقهاء يميزون بين ما ينفذ من الأحكام ظاهرًا وباطنًا وبين ما ينفذ ظاهرًا: تأسيسًا على هذا[4].

ومن هنا قالوا: من ادعى خلاف الظاهر لا يصدق قضاءً، إلا إذا كانت دعواه على نفسه، لأنه غير متهم في حق نفسه، ويصدق فيما بينه وبين الله (تعالى)، وقد أرشد النبي ﷺ إلى هذا المعنى فيما روته أم المؤمنين أم سلمة (رضي الله عنها)، عن رسول الله ﷺ: «أنه سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له

١) (العبودية) لابن تيمية تحقيق: أ/ عبد الرحمن الباني.

٢) انظر أحكام القانون الدولي في الإسلام.، ص١٧٩، ١٨٠، مدخل لدراسة العقيدة، لضميرية، ص٢٧ - ٣٦.

٣) المدخل الفقهي العام للأستاذ مصطفى الزرقاء، جـ١ ص٥٨، ٥٩.

٤) انظر حاشية ابن عابدين: جـ٥ ص٤٠٥، ص٤٠٦.

على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها»[1].

وهذه العقيدة تمتزج بالأخلاق، فتهذب النفس وتربي الوازع الذاتي، فتجعل منه محكمة داخلية في نفس المسلم، ينتصف من نفسه قبل أن ينتصف هو من الآخرين[2].

ومن الواضح أن القانون الإسلامي يعلق أهمية غير قليلة على القيم الأخلاقية، لقد كان هناك علم وحيد يشغل المسلمين في أول ذلك الأمر هو تعاليم دينهم، وسرعان ما تولدت عن ذلك علوم شتى... وعندما نالت فروع الفقه الإسلامي ـ ومنها القانون الدولي ـ مركزها، علومًا مستقلة بذاتها، فإنها ظلت تحتفظ بقيمها الأخلاقية، وكان على أحكام هذه القوانين أن ترتكز في قوة إلزامها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وهدي السلف الصالح، ولم ينشأ علم إسلامي لذاته مستقلاً عن غيره ودون نظر إلى ما سواه، وإنما أخضعت كل العلوم للشريعة من أجل الإسهام في خير الإنسان في الدنيا والآخرة، وبغير الإيمان بالبعث والحساب يكون الإنسان شرًا من الشيطان نفسه، وبغير الإفادة من نعم الله التي خلقها لعباده لا يكون الإنسان إنسانًا على الإطلاق، وقاعدة الإسلام هي: خير الأمور الوسط، وتصدق هذه القاعدة حتى بالنسبة لعلم يعمل في نطاق مادي تمامًا كالقانون الدولي الإسلامي، وعلى الرغم من أن هذا القانون قد انفصل عن القانون العام وعن علم السياسة إلا أنه لم يكن في قيامه مؤسسًا على المنطق الإنساني، ومن ثم: تسوقه الظروف المتباينة للمناسبات، وإنما كان يحتفظ بأساسه الأخلاقي الثابت؛ إذ يرتكز إلى مصدرين ثابتين هما القرآن والسنة[3].

وهناك آيات قرآنية كريمة توجب الالتزام بقانون الأخلاق الإسلامية في العلاقات الدولية، تمامًا كما هي ملزمة في العلاقات الفردية، وقد جاءت السنة النبوية وأعمال الخلفاء الراشدين وسيرتهم في الجهاد والعلاقات الدولية تطبيقًا عمليًا لذلك، ثم بنى الفقهاء كثيرًا من أحكامهم في

1) أخرجه البخاري في الأحكام، باب موعظة الإمام للخصوم، ١٣/ ١٥٧، ومسلم في الأقضية، باب الحكم بالظاهر، ٣/١٣٣٧.

2) انظر: دراسات إسلامية، د. محمد عبد الله دراز، ص٦٦ـ ١٦٧، والنظم الإسلامية، د. محمد العربي، ص٢٥.

3) انظر دولة الإسلام والعالم: د. حميد الله، ص١٠٨، ١٠٩.

سياسة شرعية

العلاقات الدولية والجهاد على هذا الأصل العظيم، ومن ذلك: وجوب الوفاء بالعهد، والتحرز عن الغدر حتى ولو غدر الأعداء بالمسلمين، وتحريم المثلة بالأعداء في الجهاد، وتحريم قتل غير المقاتلين، وتحريم استعمال آلات وأدوات يعم ضررها...

وقد أدرك بعض الكاتبين في القانون الدولي قيمة هذه الخاصية ومكانتها، حيث يرى الدكتور مجيد خدوري: أن الإسلام بوصفه منهجًا للحياة، فإنه يشدد على أهمية المبادئ الخلقية في العلاقات الدولية، بصرف النظر عن العقيدة الدينية، وأن العقيدة الإسلامية بوصفها أساسًا للأخلاق دفعت المسلمين لاتخاذ موقف رائع من التسامح نحو غير المسلمين، والتحلي بمبادئ إنسانية عكسها لنا مضمون الأحكام التي استنبطوها لحالة الحرب ولسير المعارك مع الأعداء.

والواقع التاريخي الإسلامي - وهذا يصدق على البشر أجمعين - يظهر لنا أن أي نظام اجتماعي، على الصعيد الدولي، يفقد معناه إذا خلا كليًّا من المبادئ الأخلاقية[١].

وهذه الخاصية أفاضت على الأحكام هيبة واحترامًا في عقول المخاطبين بالشرع، وأورثتها سلطانًا على النفوس، كان به الفقه الإسلامي شريعة مدنية ووازعًا أخلاقيًّا معًا؛ لما فيه من قدسية المصدر القرآني الآمر، ومن الزاجر الديني الباطن إلى جانب القضاء الظاهر، فلا يحتاج الإنسان إلى قوة مسلطة عليه دائمًا لتلزمه الخضوع لإيجابه، ولا يجد في الإفلات من سلطان حكمه غنيمة - إن استطاع الإفلات - سواء أكان عظيمًا أو ضعيفًا.

كما ترتب على هذه الخاصية أيضًا: أن يكون لمخالفة الحكم الشرعي جزاء يتحمله المخالف، وهو يشمل: الثواب عند الطاعة، والعقاب أو الضمان عند المخالفة.

والجزاء قد يكون دنيويًّا يتولاه الحاكم، أو السلطة العامة في الدولة، كما يكون جزاءً أخرويًّا عند الله (تعالى) يوم القيامة، ولكن للتوبة أثرًا في سقوط العقاب عند الله (تعالى)، ولها أثر في سقوط بعض العقوبات في الدنيا[٢].

---

١) انظر القانون الدولي الإسلامي، كتاب السير للشيباني، ص٨٦ - ٨٧ من مقدمة المحقق.

٢) انظر (بدائع الصنائع للكاساني): ٩/٤٢٩٥، ٤٢٩٦، والأم للإمام الشافعي: ٤/١٣٣، ١٣٤، والمغني لابن قدامة: ١٠/٣٠٨-٣١١.

الكلمة الحية

ثمة صنف من الناس، تجلس لأحدهم تحدثه ويحادثك فإذا بكلماته لا تقع من قلبك موقعًا، بل تتجاوزه إلى السويداء؛ لتستكن فيها، والعجب في الأمر: أن أولئك قد لا يكونون قد أوتوا فصاحة لسان أو غزارة بيان! وقد يقول الكلام نفسه غيرهم، لكنه لا يقع في نفسك الموقع نفسه! ولا يؤثر التأثير نفسه! فبحثت عن السبب فوجدته في ذي المحادثة المعبرة، حيث قال ذر لأبيه عمر بن ذر: «يا أبت: ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد، فإذا تكلمت - يا أبتي - سمعت البكاء من ها هنا وها هنا؟ فقال: يا بني: ليست النائحة المستأجرة كالنائحة الثكلى»، إنها الكلمات.. إذا ما اقتاتت من قلب صاحبها: نمت وكبرت، فتخرج من لسانه متوثّبة، فتية، مشعّة، بما شابها من صدق وإخلاص، فيكسبها ذاك حرارة، فلكأنها قد خرجت من بركان! حروفها من نار تلذع أكباد سامعيها! قد ذابت كلماتها في معانيها، ثم استحالت معانيها إلى الإيمان يتغلغل في أفئدة مُتلقيها.. فهي قد خرجت من قلب حيّ عاش بحمية الإيمان، وحماسة الشرف، واقتات من إرث الجدود، وتضلّعت من تركتهم سواءً أكانت: صلاة، أو ذكرًا، أو إحسانًا، أو خشوعًا، أو إخلاصًا وصدقًا..

إمّا ذاك.. وإلاّ فتخرج الكلمات كسيحة، مشلولة، باهتة، باردة، تخرج تحبو حتى تصل لأذن سامعيها، هذا إن هي وصلت!.

فلا تموت الكلمات إلاّ حينما تموت وتكفّن القلوب بكفن الغفلة والفتور! وفرق شاسع بين من يقذف بالحمم، ومن يقذف بالثلج والبَرَد! وبون عظيم بين من يحمل سيفًا صقيلاً ومن يحمل سيفًا خشبيًّا! **فواشوقاه للكلمات الحية، وسحقًا وبؤسًا للكلمات الميتة!.**

وما أشد حاجة الأمة إلى (الوعّاظ الصادقين) الذين ينفخون الحياة في قلوب الغافلين والفاترين!.

ورحم الله القائل: «إن الكلمات والمبادئ والأفكار، بلا عقيدة دافعة: مجرد كلمات خاوية، والذي يمنحها الحياة حرارة الإيمان المشعة من القلب».

بقلم: عبدالهادي أحمد الحسيني

المدينة الفاضلة

حديث خرافة! ولن يعدو أن يكون حلمًا فلسفيًّا أولع به عقلاء الحكماء والفلاسفة، وتغنى به الشعراء. لا وجود له إلا مع أحلام النفوس وآمالها وتخيلاتها.

فإن الله (سبحانه) قد جبل النفوس على طبائع وغرائز مختلفة، ولئن كان الظلم والجهل والهوى قاسمًا مشتركًا بين النفوس مشاعاً بينها، فإنها متفاوتة في رتب الفضيلة، وحب الحقيقة والخير والجمال، متباينة في دركات الظلم وحب الشر.

فكان ما يضطلع به المصلحون في كل أمة أمرًا شاقًا للغاية، مضنيًا لا ينهض به إلا العظماء ذوو الهمم الصادقة والعزائم الثابتة في كل أمة، فهم يطمحون للحيلولة بين الورى وشهواتهم، والحد من غي نفوسهم، وهم يعلمون علم اليقين أن سلب الأجسام آرواحها أقرب منالاً من سلب النفوس غرائزها وميولها، ولذا لا يكاد أن يجد الواحد منهم الراحة والدعة، وهذا الأمر هو هاجسه ومقصده، فإنه:

إذا كانت النفوس كباراً　　　تعبت في مرادها الأجسام

أفلم ييأس الحالمون بعد أن لو وجدت هذه المدينة، فلن تكون خالصة من شوائب الكَبَد والمعاناة، إن الواحد ليعيش مع نفسه صراعًا مجهداً، مع شهواتها وغيها وأدوائها، ومع ذا: فقلما تطاوعه على أمر من الحق وتسلمه قيادها، وهذا ما عاناه الصالحون قبلنا، ويعانيه الصادقون في حاضرنا، فإن القلب قلب. فأنى لك بمجتمع أخلاطه وأوشابه أن تجده متجاوبًا معك وفق ما يقتضيه سبيل الفضيلة والفطرة الصحيحة والقلب السليم، أرأيت عظم الأمر؟! فما أبعد هذا!.

أليس من الجور أن يطالب المرء الآخرين بما يضن هو به عليهم: يذم الزمان وأهله، ويندب الأخوة الصادقة، ويبكي المروءة الغائبة، وهو نفسه عيب الزمان وآفة الإخوان، وعناء ذوي المروءات.

وكأين من صادق في المحبة خالص في الود قاسَى من مفارقات الزمان وأضنته الآلام... كان عزاؤه في دنياه أخًا يبثه هموم نفسه وأحزان قلبه، يعده مستودع سره، فأعياه ذلك فما ظفر ببغيته؛ فنأى بنفسه وانطوى عليها: يجتر آلامه، ويكتم زفراته حتى قضى غير مأسوف عليه:

فعاش وما واساه في العيش واحد　　　ومات ولم يحفل به غير واحد

تموت النفوس بأوصابها　　　ولم يدر عوادها ما بها

وما أنصفت مهجة تشتكي　　　أذاها إلى غير أحبابها

بقلم: منصور الريس

لماذا التقاطع ؟!

قال الله (تعالى) : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣] بينما كنت أراجع كتاب ربي متأملاً في آياته، متفكراً في معانيه السامية العظيمة التي بلغت غاية الروعة والجمال في معناها ومبناها، استوقفتني هذه الآية طويلاً، فما استطعت تجاوزها كما كنت أتجاوز الآيات قبلها على عجل وبقدر قليل من التأمل والتفكر، لقد انعقد لساني عن كل شيء إلا هذه الآية العجيبة التي ملكت علي كل أحاسيسي، ومشاعري، وخواطري، فأصبحت أكررها صباحاً ومساءً كأني لا أرى غيرها أمامي ولا عن يميني ولا شمالي، فتعجبت أشد العجب لذلك، فبادرت أسأل نفسي لماذا لا تقرئين غيرها؟ ولماذا لا تتأملين في سواها؟ عجبي... كأنه لا آية إلا سناها ولا هدى إلا هداها؟!! أجيبي يا نفس، فقد أثقلني حملها، وزاد على كاهلي عناها.

فقالت النفس، والهم قد عناها، والكلمات قد تعثرت خطاها: وما عساي أقول عن حال أمة أضاعت أمجادها ومفاخرها، وسعت وراء التفاخر بأحسابها وأنسابها، كأنها لا ترى المجد إلا في تناحرها وتفرقها؛ فأحدهم يقول: أنا فلان ابن فلان، من ذا يعادلني في نسبي وشرفي، وآخر يقول: أنا من سأسود الناس وأسوسهم وأسيطر عليهم.

ثم سكتت النفس برهة وتنهدت وقالت: أتريد أن أقول لك ما الذي جعلك تقف عند هذه الآية ولا تتجاوزها؟.. إنه حال المسلمين في تشرذمهم، وتفرقهم، وتقاطعهم، وتدابرهم.. كأنهم ليسوا إخواناً، وكأن الإسلام ما ألف بين قلوبهم، وكأنهم بنعمة الله ما أصبحوا إخواناً.. فلماذا التفرق وقد جمعنا الله، والتشرذم وقد وحد الله صفوفنا؟!، ولماذا لا نعود أمة واحدة كما أراد الله (تعالى)؟!.

إني أقول يا متأملاً في كتاب ربه: ما تأملت حق التأمل!، ويا ناظراً في كتاب الله: ما نظرت حق النظرا، فلو كنت نظرت حق النظر وتأملت حق التأمل ما تجاوزت هذه الآية أبداً؛ لأنها تتحدث عن واقعنا وتحكي عما نحن فيه، فكأنها أنزلت لزماننا هذا الذي انقلبت فيه المفاهيم والأفكار، فبدل أن نعتصم بحبل الله فنجتمع: تفرقنا، وبدل أن نذكر نعمة الله علينا بتأليف قلوبنا بعد أن كنا أعداء: تنافرت القلوب وتباعدت، فلا إلف ولا محبة، وبدل أن نكون أخواناً: كُنا أعداء، وبدل أن نسأله الهداية: غفلنا عن سؤاله (سبحانه وتعالى)، فما وجدنا من ذلك إلا الهزيمة والتأخر والضعف والهوان، فكان حالنا كما قال العبد الفقير إلى الله.

وتأخرت عن درب كل فضيلة سفن الهداية تندب الأعرابا

حفيظ بن عجب آل حفيظ



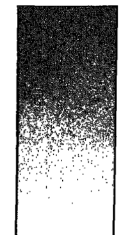
ما أحوجنا إلى الإخلاص

بقلم : همّام بن عبد الحكيم

طلب مني أخ لي أن أبحث له عن نسخة لمخطوط يريد تقديمه في أطروحة علمية، فبحثت له في المكتبات العامة، والمراكز والمؤسسات العلمية، فعثرت على نسخة منه – بخط المؤلف – في حوزة باحث يعمل في مؤسسة علمية، لم يسبق لي به لقاء من قبل، فطلبت منه أن أنظر فيها فأبدى استعداده على الفور، وقال : ساحضرها لك لتأخذ نسخة منها، وأعطاني بعض المعلومات المهمة المتصلة بالمخطوط، أخذت النسخة ولا أكاد أصدق؛ لشدة فرحي أولاً بالحصول عليها، ولعجبي ثانيًا من كون ذلك بلا مقابل، على كثرة ما أسمع من متاجرة الكثيرين بالمخطوطات، وما يتصل بها.

ولا تسل عن فرحة الباحث بما أرسلت إليه، وقد سألني عما إذا كان صاحب المخطوط يريد مقابلاً ماليًا – أيا كان – فقلت : لا أظن ذلك؛ فلم ألمس منه تشوفًا لذلك، ويكفي أنه تكلف إحضارها فور طلبي لها – رغم أنه لا يعرفني –، وكان يكفيه نفي وجودها في المكتبة. قال صاحبي : حاول تلمس رغبته في ذلك لعله يريد شيئًا؛ فقد قدم لنا خدمة عظيمة.

عدت إلى صاحب المخطوط، وعرفته بنفسي – حيث قد نسيني –،



وعرضت عليه الأمر، وليتني لم أفعل! لقد غدا جسمي يشتعل حرارة، – والجو بارد –، وذلك من حرج بالغ. لقد وجدت نفسًا سامية، وهمًّا فوق ظني..

لقد طأطأ صاحبنا رأسه منزعجًا خَجِلاً على استحياء، قائلاً: «لا أريد أن أقول لك كما قلت لرجل لي مثل قولك فأسمعته كلامًا جارحًا»... فكان وقع كلامه هذا علي أشد من الكلام الجارح، الاعتذار، بيد أنه لم يدع لي فرصة، لقد التفت إليّ قائلاً: «إلى متى يا أخي نطلب الدنيا بعمل الآخرة؟ لقد كان الأولى بك أن تعرض عن مثل هذا الكلام، لا سيما وأنني لم ألمح لك من قريب ولا بعيد بما عرض ويكفيك أني لم أعرفك لأول وهلة لما أتيتني الآن، مما يبين لك أني نسيت الموضوع أصلاً، ولا أكتمك أ[illegible] كنت مهتمًّا بخدمة المخطوط وتحقيقه، لكني تركت ذلك مؤثرًا هذا الأخ الباحث»!! فارتفع في عيني.

وقال: «أنا أعلم أن دأب الكثيرين أنه لا يبذل لك في قليل ولا كثير حتى يحقق له ذلك ربحًا ماديًّا، لذ[illegible] فلا تعجب من قلة البركة في كلامنا وكتاباتنا، لقد كان كلام السلف قليلاً لكن الله بارك فيه ببرك[illegible] إخلاصهم لله (تعالى)».

قلت: يا أخي هون عليك، فوالله إن في نفسي لمثل الذي في نفسك... وإني لأغتم مما أرى في واقعنا، و[illegible] تعجب إذا رأيت ما تقذف به المطابع كل يوم... لكن النافع منه قليل، ولا غرو فالتجارة في الكتب مر[illegible] وليس هذا اتهامًا للنيات – معاذ الله – فإن الأمة فيها مخلصون، لا يبتغون بعلمهم قليلاً ولا كثيرًا، وليس ببعيد عنا من كان يطبع كتبه (النافعة) على نفقته ويوزعها مجانًا ! ومن يرفض أخذ نسخة واحدة م[illegible] كتاب له، فضلاً عن استلامه مبلغًا من المال.

وذكرني ذلك بما كتبه علماء الأمة الأوائل، وخلفوه في قراطيس متواضعة، فهيأ الله من يقوم لها: يحق[illegible] وينشرها ليعم نفعها، وصار طلاب العلم عالة عليها، وأبقى الله لها الذكر الحسن، وفاقت في شهر[illegible] ونفعها كثيرًا مما كتب في بابها، أمثال: رياض الصالحين، وتفسير ابن كثير، والعقيدة الطحاوية، والأر[illegible] النووية، وفتح الباري... وكذا علوم الأئمة الأربعة واجتهاداتهم، ﴿ **فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا** [illegible] **النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ** ﴾ [**الرعد**: ١٧] فما أحوجنا إلى إخلاص النية، وتجريد القصد.

